

د. علي كريم سعيد

عراق ٨ شباط ١٩٦٣

من حوار المفاهيم

إلى حوار الدم

مراجعات في ذاكرة
طالب شبيب



0201632

Biblioteca Alexandrina



طالب شبيب

■ ولد في الرميثة عام ١٩٣٥، وجاء الأول على تلاميد متوسطة الديوانية فقبل في بغداد "كلية الملك فيصل"، لكنها أغلقت بعد سنتين بسبب تحولها إلى مركز لنشاط المعارضة.

■ حصل على منحة لدراسة الهندسة في لندن، فترأس هناك رابطة الطلبة العرب. وبعد عودته إلى بغداد في ١٩٥٨ خدم كضابط احتياط في قاعدة الرشيد الجوية، وأصبح في نفس العام عضواً في القيادة القطرية لحزب البعث - قطر العراق، وفي ١٩٥٩ عضواً في القيادة القومية، و ١٩٦٣ وزيراً للخارجية، ثم منفيًا إلى بيروت والقاهرة.

■ شغل وظيفة دبلوماسي مدة أحد عشر عاماً، وسفيراً في أنقرة وبن و لندن، وممثلاً دائماً للعراق في هيئة الأمم المتحدة.

■ جهر بمعارضة حكومة الرئيس صدام حسين بعد تورطها بمشاريع وحروب لا تصب في مصلحة العراق والوطن العربي، وسأهم في تأسيس الجمعية

عراق ٨ شباط ١٩٦٣
من حوار المفاهيم
إلى حوار الدم
مراجعات في ذاكرة
طالب الشبيب

- د. علي كريم سعيد
- عراق ٨ شباط ١٩٦٣ — من حوار المفاهيم إلى حوار الدم
- مراجعات في ذاكرة طالب الشبيب
- الطبعة الأولى ١٩٩٩
- جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
- دار الكنوز الأدبية
- ص . ب : ٧٢٢٦ — ١١ — بيروت — لبنان
- هاتف / فاكس : ٧٣٩٦٩٦

تصميم الغلاف والإشراف الفني : طالب الداود

ISBN 1900700077

د. علي كريم سعيد

عراق ٨ شباط ١٩٦٣
**من حوار المفاهيم
إلى حوار الدم**
مراجعات في ذاكرة
طالب الشبيب



Dr. Ali Karim Said Abdullah

Iraq of 8th February 1963
From The Dialogue of Conceptions
To The Dialogue of Blood
Reviews in Talib Ash – Shibib's Memory

Dar Al Konoz Al – Adabiah
1999
ISBN 1900700077

إلى جميع الذين دخلوا حوار الدم والنار بنية
ودوافع وطنية سليمة، مخطئين كانوا أم محقين،
قتلى أم موتى أو ما زالوا يتابعون
مشهد الاغتصاب والإخفاق في العراق

المحتوى

١١	تقديم
	الذاكرة
	الوحدة الوطنية بين المثقف والسياسي
	القلق الواعي أم الترحال حتى الموت
	أحلام تسبق الرحيل وإرادة البيت المفتوح
٢٣	محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في رأس القرية
	ثورة الشواف _ ١٩٥٩
	خطة الإغتيال
	التنفيذ بأسلحة مصرية
	آثار المحاولة
	فؤاد الركابي بين عبد الناصر وعفلق
٣٧	المؤتمر القومي الثالث
	الهرب سبباً لحضور المؤتمر
	انعقاد المؤتمر القومي الثالث، والاستقالة من الوحدة
	استبعاد الضباط البعثيين
	أجواء ونتائج المؤتمر
٤٥	التهيئة لثورة رمضان: صوت صادق ويد قوية
	كل شيء في سبيل الإعداد للثورة
	المدني يقود العسكري
	من نكسة الهاشمي إلى اعتقال السعدي
٦١	الإغتيال بالدبابة
	الغدارة بيدي أنفع
	يرون صورته في السماء
	بين الزعيم (عبد الكريم قاسم) والعقيد (عبد السلام عارف)
	عبد السلام يشارك في التوجيه
	الإستفادة من عبد الغني الراوي بعد دراسة شخصيته
	إذاعة الصالحية مقرأً جديداً لقيادة الثورة
	قيادة الجيش والسلطة بيد البعث
	الرعب في خدمة الثورة
	ماكو زعيم إلا كريم

- قتال شديد والضحايا أقل من التوقعات
الهاتف يرن مرة أخرى
لا أريدها حرباً أهلية
ملحق رقم ١ : المرات التي استخدم فيها الجيش ضد الشعب
٩٥ استسلام عبد الكريم قاسم وإعدامه
يونس الطائي وسيطاً
الخطأ القاتل
المحرم الأخير : الإستسلام
شهادة مختلفة ومهداوي آخر
مصير شعبية عبد الكريم قاسم
عبد الكريم قاسم : ماله وما عليه
بين مسيلمة الكذاب وأبو رغال
ملحق رقم ١ : قاسم الحنابي يتكلم
ملحق رقم ٢ : مهداوي آخر
ملحق رقم ٣ : المقاومة المدنية والعسكرية
١٢٩ بين رغبة التعددية وسلطة الحزب الواحد
١٣٧ من الداخلية إلى الإرشاد
طريقة نخذ ولا تسأل!
مشاكل خارج البعث
١٤٩ الخلاف ينتقل إلى داخل الحزب
سهولة إدارة الفوضى
تعبير الأمين القطري للحزب
انعقاد المؤتمر القطري العادي
قرارات التأميم الاشتراكية بين عبد السلام عارف ونحير الدين حسيب
١٦٥ الحرس القومي
رؤساء بلديات رؤوسهم معصوبة!
مع العميد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت
دولتان ومرجعيتان
ظواهر لا يمكن السكوت عليها
مواجهة بين الجيش والحرس القومي
لجنة تحقيق برئاسة أحمد العزاوي
وزير الدفاع يأمر بقتل الشيوعيين المتعاونين
١٨١ شيوعيون وبعثيون، حظ الانتساب من حوار المفاهيم إلى حوار الدم
طلبنا من التحقيق نتائج سريعة فحصلنا عليها! مقتل قيادة الحزب الشيوعي
الشلوط الثاني من حكم البعث في العراق

صراع مكشوف ضد الاتحاد السوفيتي

حظ العراق سيئاً!

ملف الوحدة، إخفاق الوعي وإخفاق التجربة، نرفض الممكن ونطلب غيره ٢٠٥

مع عبد الناصر

هذا أمين: إنه رجل مخبرات جيد

في الأزهر الشريف

ميثاق ١٧ نيسان

عبد الناصر والعراق

صعوبات أخرى

دقة محاضر محادثات الوحدة

بين المطرقة السورية والسندان العراقي

جمال عبد الناصر: هذا الكرسي جلس عليه فرعون

وحدة الفاطميين والعباسيين والأمويين

لقاءات عربية: مع محسن العيني، مهدي بن بركة، وقادة الجزائر

المسألة الكويتية ١٩٦٣ ٢٢٩

مناقشات لجلس النبض

اجتماعات بمحمدون الخاصة تسق الإتفاق الرسمي

القضية الكردية ٢٤٧

الاحتكام للقوة مرة أخرى

الموقف الخارجي ومصادر التسليح

كانت "اللامركزية" عهداً بعثياً

قاتل عبد الكريم سياسياً وقتلوا فنياً

جرائم لم نأذن بها

الملف الأمني ٢٦٩

إيليا زغيب، كتب عنه هاني الفكيكي ما سمعه من الآخرين

أرادها دولة جاسوسة

أمريكي ينقل كلمة سر حزبية

تخريب العلاقة مع إيران

رعونات كبرى وصغرى : تصفية نساء وزارة الخارجية

اجتمعت فيه خصال القسوة والتردد والغموض

مع مصر الناصرية

مع الاتحاد السوفيتي

ناصر الحائي ولطفي العبيدي

السعدي يتوسوس من وجود إرادة خفية

٢٩٣	البيرية المسلحة، حركة حسن السريع ٣ تموز ١٩٦٣
	قطار الموت
٣٠٧	الطائفية
	الثورة تلد انقلاباً، التهيئة للمؤتمر القطري الاستثنائي التكميلي
٣١٧	الحزب البعث العربي الاشتراكي — قيادة قطر العراق ١٩٦٣
	لعة مزدوجة
	لقاء بعد منتصف الليل
	مؤتمر حزبي يؤدي إلى انقلاب عسكري
٣٤٣	بين الشبيب والبكر وصدام وعفلق
٣٤٣	مع أحمد حسن البكر
	خوف لا يمكن تجاوزه
	بين رغبة التقاعد وخشية القتل
٣٥٢	مع صدام حسين
	الدولة ضد القانون
	مع الأمير طلال بن عبد العزيز
	أقسم أمامي على الإخلاص للعراق والأمة والحزب
	على خطى البكر
٣٥٨	مع ميشيل عفلق
	أشخاص آخرون
	ملحق رقم ١: وعود البكر
٣٧١	أوراق ورسائل شخصية
	رسالة إلى جورج بوش
	رسالة إلى عبد الله بشارة
	رسالة إلى عبد الله الأحمر
	رسالة إلى كمال خرازي
	رسالة إلى قاسم حول: حول فيلم الحسين بن علي (ع)
	رسالة جوابية من آل غور
	نحو طريق للعراق (مقالة)
	أيوب السوري مقابل تنياهو
٣٩١	مصادر مجموعة من المساهمين في ٨ شباط ١٩٦٣
٤٠٣	فهرس الأسماء
٤٢٤	ملحق الصور

تقديم

عندما تقف أمام المرأة، تشاهد من مستوي وزاوية معينه، صورة منعكسة عليها، تتغير ملامحها إذا ما أتيت بحركة بسيطة أو طرفت عيناك. وتستطيع انطلاقاً من مستويات وزوايا أخرى أن تحصل على ما لا نهاية من الصور المختلفة لنفس الشكل وأمام نفس المرأة. وتتضاعف الاحتمالات بتغير الناظر بسبب العدد اللانهائي من المستويات والزوايا والفروقات الهائلة بين ناظر وآخر عقلاً وخلفية ومنطقاً.

لذلك اتفقنا أنا والمرحوم طالب شبيب أن يحافظ كل منا على حقه في رؤية خاصة بشرط الصدق والقناعة بما نكتب. وهو منهج يساعدنا على استيعاب وجهات النظر الناقدة والمخالفة على أساس نسبية الحقيقة وتمايز صورها ومقاطعها، وإدراك عدم قدرة الآخر على ادعاء امتلاكها كاملة.

وقد خالفت الأيديولوجيات النسقية الشمولية والعقائد غير الصبورة هذه القاعدة، فطالبت معتقياً أن يتجمد نظرهم عند رؤية صورة واحدة أو مقطع واحد من الصورة ورفعها إلى مستوى المقدس فتتشجع روح الرعاع والقطيع الكامنة، وتنتعش الأوهام التي سبق أن هيمنت على أذهان الوطنيين والقوميين فأسكرتهم وأنستهم مدنيّتهم العريقة والصداقة والتراحم والحقوق. وحق عليهم القول الكريم "كل حزب بما لديهم فرحون". الآية.....

ووسط تلك المساورة بين الأيديولوجيات والعقائد المنفصلة عن الواقع والتجاذب أو التناذب بين مفاهيم مجردة ترعرع طالب حسين الشبيب وتميز عن كثيرين من أقرانه بميله الشديد للقراءة والعقلانية، لكن شدة دورة دولا ب النار كانت أقوى من الإرادات، فجرفت الجميع لينخرطوا في صراعات مريرة تحت شعارات رومانسية كبرى، بررت للمناضل أن يسحق كل من يعتقد أنه يقف في وجه تحقيقها.

ونأمل هنا أن نعالج مقطعاً واحداً من واقع تلك الصراعات فنعطي صورة متميزة تضاف إلى ما كتب حول حركة ٨ شباط^(١) فنسهم في تراكم الصور والوقائع لعل ذلك يساعد مؤرخاً لبيباً أن يستكمل مستقبلاً صورة ما حدث في العراق في ١٤ رمضان ١٩٦٣ وبما يسهم مع جهود أخرى في تفسير سر ارتباك العراق منذ الاستقلال الوطني ١٩٢١ وحتى اليوم لنأخذ العبر ونتجنب الأسباب الحقيقية لذلك ولنحقق رجاءنا في منع المخطئين أياً كانوا من احتقار ضحاياهم والإفلات من عقاب التاريخ المعنوي.

ومبكراً أدرك طالب الشبيب أن السلطة في العراق لا تقوم بواجبها كحامية للقانون بل تستخدم، هي نفسها، وسائل غير مشروعة كالمعتقلات السرية والاغتيال والتعذيب، فحاول مرة من داخل المؤسسة وأخرى من خارجها الاختلاف والتصويت ضد القرارات الكيفية وطالب المجلس الوطني لقيادة الثورة بتطبيق القانون والخضوع له، والتوقف عن التدبير السري لشؤون الدولة، وجعل أحد أبنية الحكومة مقراً للقيادة القطرية الحاكمة، وبسبب معرفته عمق الأخطاء تقبل شبيب نقد المقربين ولوم غير المتفهمين وأولئك الذين لا يجيدون غير كيل التهم والشكوك.

الذاكرة

بعد انصرام ٣٥ عاماً على تجربة ٨ شباط ٦٣ توقعت منه أن يتحدث عنها ببرود خال من العواطف المشحونة. لكنه تكشف عن عاطفة مكنونة فيرتعش وتطفر دموعه وهو يستعيد المشهد ويكرر (قررت أن لا أقول ولا أفعل إلا ما أعتقد أنه صحيح وحقيقي فلا أكذب مهما كان الثمن والتبعات).

١ - من أجل تجاوز الجدل النظري والسياسي حول تسمية حركة أو ثورة أو انتفاضة، فسنطلق كما فعل أساتذنا الدكتور علي الوردي على ١٤ تموز اسم "ثورة" وعلى ما سواها "حركة"، لأن جميع العراقيين تقريباً، عرباً وكرداً، أحزاباً وجمعيات، ومذاهب وأديان، هبوا دون تردد لتأييدها، بدون انتظار، كما يفعل الرعاع الذين ينتظرون هبوب العاصفة فيركبون الموجة، في حين ينقسم الشعب وتنقسم الآراء حول بقية الحركات، ولا يعادل ثورة تموز في الإجماع عليها غير ثورة العشرين لكنها تقع خارج مجال بحثنا. كما أن ثوار ٨ شباط لم يطلقوا على تحركهم في البداية اسم ثورة بل أسموه "انتفاضة" هدفها استعادة روح ثورة ١٤ تموز. وفي كل الأحوال فإن المسميات مجرد اصطلاحات لا تنطبق بالضرورة على المفاهيم الحقيقية للأشياء، لأن المفاهيم السياسية غالباً ما تكتسب مضامينها من النسق الفكري والسياسي لمن يطلقها.

ومن الجدير ذكره إن صورة ٨ شباط لا تستكمل إذا لم تدون شهادة أربعة أشخاص: علي صالح السعدي أمين سر الحزب ونائب رئيس الوزراء ووزير الإرشاد، وحازم جواد وزير الداخلية ووزير الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية، وطالب شبيب وزير الخارجية وعضو القيادتين، واحمد حسن البكر رئيس الوزراء (رئيس الجمهورية لاحقاً)، لأن الأربعة المذكورين عاشوا أكثر من غيرهم مراحل وأعداد التجمع القومي المعارض الذي ضمّ البعث والحركة الناصرية وبقية حلفائهم المتضررين وتنفيذ الحركة التي انتهت بمقتل الزعيم عبد الكريم قاسم وعدد من أتباعه ومن كوادر الحزب الشيوعي، وتولوا أهم مناصب الدولة، ثم أسسوا بانقسامهم جناحي أزمة السلطة وعلى أيديهم تفجرت وتناثرت، ليتربع على أنقاضها الرئيس عبد السلام عارف الذي وفر لجميع أطراف الخلاف السياسي فرصة نادرة للمراجعة والتفكير داخل السجون.

وبعد غياب السعدي والبكر واعتزال حازم جواد بقي طالب شبيب وقد راقبته عن كثب في مناسبات وأوضاع مختلفة، فأدركت تدهور صحته وقرب رحيله، ففاجأته بقليل من الدبلوماسية وكثير من الجرأة قائلاً: ستموت وأنت مصنف في صف اليمين المتسلط أو الانتهازي، في وقت وجدتك متمرداً بجيوب خالية ورأس مليئة، متوقد الذكاء، طلق اليمين ونظيف السريرة وعشت أيامك الأخيرة على مساعدة ابنك وأقربائك، ولن يفيد المرء "أن يدلي بشهادته للدود". فلماذا لا تدافع عن نفسك؟

بدأنا التسجيل الصوتي ولم يكن الأمر سهلاً بسبب ظروفه النفسية والصحية ونوبات الشعور بعدم الجدوى التي تتناوب بين فينة وأخرى فاستفدنا من ذاكرته بعض ما علق بها على شكل فرص نقنتصها كلما كان ذلك ممكناً. تطلب الأمر وقتاً طويلاً وجهداً شاقاً لإنجاز هذا العمل الذي نضعه بين أيدي القراء والذي، كما سيشاهده القارئ مكون من قسمين:

أولاً: المتن ويحتوي ذاكرة الشبيب الشفهية المفرغة من آلة التسجيل ولم تدخل فيها إلا تصنيفاً وتحويل الجملة المحكية إلى مكتوبة مع المحافظة على أكثر ألفاظه كما وردت.

ثانياً: الهوامش وكتبتها جميعاً، استكمالاً وتوثيقاً وإضاءةً ونقداً فجاءت

كثيرة لان التسجيل الشفهي تفوته أشياء وتفاصيل عديدة، وتعمدنا الإقلال من التحليل في المتن والهوامش لنترك للقارئ أن يحلل ويركب بعيداً عن ميولنا وعواطفنا.

وفي كل الأحوال فان ما سنضعه بين يدي القارئ ليس مذكرات بل ذاكرة أخطر تسعة أشهر في تاريخ العراق السياسي الحديث والمعاصر لأنها سترسم الخط البياني الهابط على مدى عقود قادمة وتضع الملامح التمهيدية لصورة الهجوم المتواصل بلا رحمة ضد خميرة البلاد الكامنة في مدنيته.

والأستاذ شبيب الذي نعرض لذاكرته سيدافع بإصرار ودبلوماسية معقولة عن النية الحسنة للقيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٦٣، لكنه لا يدافع عن الفعل السياسي السيئ الذي رافق الصراع الداخلي. والذي كان البعث والناصريون والحركيون والشيوعيون أطرافاً أساسية فيه. ولن ننقل كل شيء تستعيده الذاكرة لكي لا يكون ما نكتبه تأريخاً للتشويه والقسوة، لكن الضمير يمنعنا أيضاً من التغليس عن كل شيء والمنطق يريد من التاريخ أن يكون عبرة الحاضر والمستقبل، فكيف نميز بين الخير والشر وكيف نعتبر إذا ما غلّسنا؟.

الوحدة الوطنية بين المثقف والسياسي

لعل أهم دافع لعرض وقائع ٨ شباط هو الرغبة في لفت النظر إلى وهمية وضيق مبررات النزاعات الوطنية (العراقية-العراقية) سياسياً واجتماعياً (بين أحزاب وأيديولوجيات). ومذهبياً (الطائفية). وقومياً (بين عرب وأكراد وأقليات).

فهذه وهمية: لتسرب مفاهيم أيديولوجية بمضامين مدرسية جاهزة إلى الحياة السياسية العراقية مما جعل الحوار يدور بين مفاهيم غير قادرة على استيعاب التناقض القائم بين شكل السلطة الذي صممه المستعمر ورغبة المجتمع في توسيع شراكتيه السياسية وتحقيق حاجاته الضرورية الملموسة، وبسبب تجاوب المستفيدين ومعارضة المتضررين صار التنوع انقساماً واخفق المثقفون في طرح مشروع طوعي للوحدة الوطنية فاستعان السياسيون بالقوة

لتأمين وحدة مرتبكة.

وهي ضيقة: لنجاح أهل الحكم دفاعاً عن مصالح ذاتية في ترسيخ واصطناع صراعات وهمية ما كان لها أن تكون، فمنذ الاستقلال الوطني حتى عام ١٩٥٨ تم توظيف آليات أيديولوجية لإدامة الهيمنة غير الشرعية وتبرير منع المجتمع من الارتقاء إلى الحياة البرلمانية الحرة بوصفها أرقى مرتبة في سلم المدنية السياسية بدلاً عن بدائية السلطة المطلقة المنحسرة. ومنذ ١٩٥٨ حتى ١٩٦٨ جاءت زعامات تسعى إلى إشراك الشعب ولكن بما يخدم أيديولوجياً مصالح السلطة التي رفعت عالياً شعار (وحدة الموقف والرأي) وهو شعار الديكتاتورية الأساسي في كل زمان ومكان، وقد استفادت السلطات المتعاقبة من مشاركة المعارضة غير المقصودة لها في تسفيه الديمقراطية البرلمانية. وتشجيع المواجهات العنيفة ضد التقاليد الاجتماعية المحلية والمشاريع الدينية. وفي تبني مفاهيم فلسفية حادة داخل مجتمع لا ينقسم أبناءه بشدة إلى فقراء وأغنياء، بل يعيش غالبيتهم فوق خط الفقر والمتوسط، ولم تصل حالتهم حدود الأزمة الثورية ليختاروا الاحتراق بالثورة على حياتهم القائمة. ولذلك كانت نزعة الوطنية والاستقلال والتضامن العربي عندهم أقوى من حاجات الغذاء والكساء والسكن، فلم يُسيّسوا في النصف الأول من القرن العشرين معاناتهم من المرض والقحط وكان ذلك قبل أن يصل تأثير الأيدلوجيات.

ومنذ عام ١٩٦٨ دشّن العراق لأول مرة في تاريخه الحديث والمعاصر سلطة الحزب الواحد، الذي يدعي تمثيل الشعب والذي توسعت عضويته من بضع مئات إلى مئات الآلاف، مسلحين ببنادق ومفاهيم منحرفة، وتسخيرهم كعيون وأزلام متحمسين، تكفي أعدادهم لحراسة هيمنة السلطة على كل شيء من زاخو إلى الفاو.

لكن كل تلك الإجراءات والاحتياطات لم تجعل العراقيين يتنازلون عن اعتدادهم الذي يستمدونه من حضارتهم العتيقة، ومن الأثر العظيم والمثير الذي تركه فيهم رموز الحضارة العربية والإسلامية. وفي مواجهة تلك الممانعة الشعبية العراقية التي تحولت إلى ميل عام مشترك، اتخذت السلطة

الشمولية القائمة دفاعاً عن مصالح ضيقة، من القتل والاستبداد وسيلة لحل مشكلاتها مع الناس، بل ونشرت الموت تحت شعارات ديماغوجية مثيرة لشغف الأنصار.

وعلى طول الخط الواهم، حاول زعماء وسياسيون صغار اكتساب شرعية القتل والتأديب الجماعي انطلاقاً من مقولات السيادة والوحدة والتقدمية والصالح العام... الخ، وصادروا الحريات وعاملوا شركاءهم في الوطن كأنهم مرتدين وكفرة، وشنوا حروباً عبثية داخلية وخارجية ولا ندري أية قضية مميزة تصدت لها أو حققتها الانقلابات العسكرية التالية لثورة ١٤ تموز حتى تجيز لنفسها القتل والتشريد وتهديم العمران وتجريم من يخالفها الرأي.

إن اتخاذ الموت وسيلة أولى للمعالجة آثار دهشة المهتمين الاجتماعيين في الوطن العربي وفي العالم وصار يحلو لهم وصم تاريخ العراق القديم والوسيط والحديث بالتعسف والدموية. ودفعهم إلى التنقيب المغرض في الماضي بحثاً عن أعمال وشؤون متفرقة مماثلة لقياسها على ما تقتضيه الزعامة السياسية المعاصرة التي لم تشوه الواقع الراهن فقط بل ألحقت الضرر بسمعة الماضي أيضاً، فإذا قلت عن فلان انه صنو سعد بن أبي وقاص، فلن ترسم لسعد غير صورة الوحش، وتشوه صورته الحقيقية كفاتح وهاد لدين جديد نشر الحضارة والتسامح بقوة العقيدة والقُدوة الحسنة قبل السيف.

الدافع الآخر لاهتمامنا بذاكرة ٨ شباط هو محاولة إصلاح الضرر التربوي الذي تركته في الأبناء الرواية المغرضة لأحداث التاريخ. وليس غريباً إذا قلت أن أكبر مكتبة في العراق كانت بحوزة مديرية التحريات الجنائية لطول قوائم المنوعات والممنوعين وكثرة الكتب المصادرة. ولا أبالغ إذا قلت أن أقسام التوجيه التابعة لأجهزة الأمن ومؤسسات الرقابة قد نجحت في كتابة جوانب من تاريخ العراق السياسي المعاصر مباشرة أو تحت ضغطها المتواصل. فاستمعنا إلى محاضرين وكتاب ومؤرخين وصحافيين من مواقع الهيمنة الحكومية، يجرمون ويغيرون الأوصاف ويلفقون ويستنتجون بسماجة ويتناولون الأحداث بالجملة، ويتجاوزون معاناة

الشعب العراقي والمنافي والمشائق وأدب السجون وأولئك الذين غيبوا عن الحياة وكانوا مازالوا يرفلون بها، وبعد ذلك فعلى الجميع التصديق والابتلاع.

فلم يبق أمام الكتاب الرافضين غير الانزواء وتغيير حرفتهم أو الكتابة بما لا يتعارض مع الخط الواحد، وعندما غادر بعضهم إلى الأقطار العربية المجاورة واجهوا وسطاً متأثراً بالإعلام الرسمي فترددت على مسامعهم ذات الاسطوانة التي تضع المخطئين محل حماة الوطنية والقومية وتضع الضحايا في موقع المشاكسين. ووصل الأمر حد تزوير الوثائق التاريخية فقد نشر د. فاضل البراك مدير المخابرات العامة السابق برقيتين قال أن السفارة البريطانية في بغداد أرسلتهما إلى لندن، وتؤكد صيغتهما على عمالة الزعيم بكر صدقي للمخابرات البريطانية. مدعيّاً من موقعه كمسؤول أن حكومته عثرت على البرقيتين بوسائلها الخاصة. وعند قراءتهما نجدتهما تخالفان أسلوب التخاطب المعروف، فالسفارات لا تكشف في مراسلاتها الخبرية العادية أسماء العملاء خصوصاً إذا كانوا رؤساء حكومات أو زعماء كما هو حال بكر صدقي الذي كان قد بادل الإنكليز الكراهية وقاد انقلاباً ضدهم وتحالف مع الزعيمين الوطنيين جعفر أبو التمن وكامل الجادرجي. لكن البراك من أجل تشويه امتداد خط بكر صدقي في الحاضر لم يتورع عن التلفيق والتزوير على الماضي مستغلاً منصبه الحكومي الخاص.

وكتابتنا ذاكرة ١٤ رمضان / ٨ شباط، نوع من كشف التجربة المرة ودعوة حيادية لصدق الرواية التاريخية. فقد عشنا تجربة الحكومات المتعاقبة في تزوير وقائع التاريخ الحديث والمعاصر، لكن ذلك أوصلها وأوصل العراق برمته إلى طريق مسدود، غير أن المقدمات المزيفة برهنت بأن ما يخفيه الساكتون في صدورهم سرعان ما يندفع إلى الخارج عشوائياً مدمراً عندما تحين أول فرصة للانفلات فيدور دولا ب الدم ليدمر ما تم بناءه خلال سنوات الاستقرار الشكلي الفاصلة بين انتفاضة وأخرى، فتتجدد الأوهام وتنتعش السجون وأرصعة المنافي وتتوسع المقابر.

القلق الواعي أم الترحال حتى الموت

وإذا كان لكل فرد شيء ما بداخله يميزه، ففي أعماق طالب الشبيب، اختلطت بقوة خصال التمرد بالعقلانية، تمرّد أحاطه بعقلانية مبكرة وبثوابت قومية. ورغم هيمنة أجواء الدبلوماسية الرتيبة الباردة على محيطه، حافظ بداخله على منظومة مزدهرة من القلق الواعي الذي يعود لإحساسه بفراغ يمسك بدواخل كل عراقي في المنفى. ذلك الفراغ الذي لا يمتلئ قبل عودتهم أعزاء إلى الوطن. ولذلك ظلت بغداد تئن وتخفق في أعماقه، فلا يكف عن ترديد قول الجواهري:

حييت سفحك عن بعد فحييني يا دجلة الخير يا أم البساتين

وقد أدى امتناع العيش الكريم داخل الوطن بأعداد كبيرة من العراقيين إلى الهجرة، لكن ترحال الشبيب استمر حتى الموت، عاكس به تيار الاستسلام ومنطق الرتابة. فلم يخضع، بل ظل ممسكاً بزمام نفسه، مستعداً للتضحية بكل شيء من أجل الخلاص الوطني الشامل، مانعاً فرديته أن تطغى، فوجد في تجنب الخلاص الشخصي الحل الأقل عاراً!! ورفض أن ينأى عن جفونه مسترخياً في غرف منافي بلاد الظلام البعيدة والباردة ورفض ترك الأشياء وراءه لدورة الزمن الطويلة. ولم يقدم نفسه كشكل أو دمية داخل بدلة غالية الثمن بل أراد أن يعرفه الناس من خلال آرائه وقدرته العقلية ليكتشفوا تدريجياً أنهم إزاء رجل ممتلئ، ومن جانبه اهتم بالأشخاص بالقياس إلى صدقهم وكيفية تفكيرهم، وليس مظهرهم أو مناصبهم وأرقام حساباتهم.

شيء واحد كان يسرق الشبيب من نسقه السياسي الإنساني، لصالح عقلانية باردة هو عندما يُحاط بشعارات مثيرة وبراقة يتغلب فيها العام على الخاص أو يتغلب فيها عقل الجماعة الذي يتميز بروح انفعالية، تتوتر بشدة وتوافق على قرارات قاسية عند الأزمات على حساسية العقل الفردي الحر المتنافس، ولذلك نجده عندما تتطلب السياسة يندفع متجاوزاً ومضحياً بكل ما يقف بوجه الخطة السياسية العامة. وكنت عندما تنتابه هذه المشاعر أحذره من وجود رواسب باقية عنده من الروح الشمولية العاصفة السابقة، فهي لا تضمحل في الذهن بسرعة اضمحلال آثارها المادية.

أحلام تسبق الرحيل

أسوأ معاناته كانت عندما فوجئ بتغيير اللعبة السياسية الدولية تجاه العراق والتي استهدفت إخراج القرار العراقي من أيدي أبنائه لصالح القوى العظمى بعد أن غامرت به الحكومة العراقية. فأصبحت المكانة السياسية لا تتحقق لأسباب منطقية أو نتيجة تاريخ وجهد مبذول، بل صناعة تخصصت بها المطابخ السياسية بين لندن وواشنطن. فيرتفع شأن هذا ويضغط ذاك بمساعدة المال والإعلام والهيمنة في حين يرزح الشعب المظلوم يائساً تسحقه أجهزة متخلفة ونتيجة لذلك اكتشف طالب أنه وشخصيات كثيرة غيره أصبحوا غير مطلوبين !!، فلم يعد يسعى إليه سوى نفر من بقايا المناضلين "اللاجئين". واكتفى بعض أصدقائه القدامى بالسؤال وإلقاء التحية كلما تجشم هو ومرّ بمنافهم البعيدة في حين قضى قبل ذلك حياة مترعة، سعى للقاءه خلالها المهتمون بالمنطقة من عراقيين وعرب وشخصيات إقليمية وعالمية، خصوصاً عند اشتداد الأزمات.... وكان شبيب يعرف ما يريدون!! وبكرم مقصود يعطي تصورات الغنية بالتنبؤات وسعة الإطلاع، وبالحرارة التي يستقيها عادة من حواراته في الظل مع أصدقائه المناضلين الميدانيين، لتمييزهم بالصدق، فيتزود من خارج الصالونات الكلاسيكية برأي واقعي يستعين به لليوم التالي.

ورغم ذلك التطور الداعي لليأس، عرف شبيب بخبرته كيف يصبر "ويكسر الاتجاه" ليتجاوز الإحباط بأقل قدر من الخسائر وما كانت سفرته الأخيرة إلا محاولة جديدة لكسر اليأس، حالماً بتحقيق هدفين أحدهما أربكه وأتعب روحه وهو سعيه لتأسيس حركة سياسية وسط بين تطرف آخر، ولكن برجال ليسوا وسطاً!! ولا يعتنون سوى بهمومهم الشخصية وليس بمصالح كل الشعب، فكان سعيًا عبثياً بل مستحيل.

وأما حلمه الثاني فكان تأسيس مركز عراقي للدراسات الإستراتيجية. بعد أن تخلت الحكومة والمعارضة عن إنشائه. المركز الذي سيقدم استشارة مدروسة للمعارضة العراقية والجمعيات الشعبية، وللدولة إذا رغبت إدارتها في الاستماع، في اختياراتهم المستقبلية. كانت رغبته عظيمة في إقامة

"رف ثالث" غير متأثر بالعصبية ففكر بالتفاصيل والأسماء والطريقة، ووضعنا معاً خريطة للاهتمامات الاستراتيجية للدولة العراقية، بدراسة القوى التي تحمي النظام القائم، ومعرفة مكان قوة المعارضة وعقلانياتها لإبرازها وبحث إمكانات التعايش السياسي والاجتماعي في العراق بدراسة تركيبة المجتمع وميوله التاريخية.

إرادة البيت المفتوح

تمتع الشبيب بأدب مدني جم، وكان سياسياً من الطراز الأول تجتمع فيه خصال كثيرة، ثائراً مأزوماً، غير هياب، شديد الذكاء، لا يعتني كثيراً بالمظاهر والمال، إلا بما يجعل حياته تستمر ويديم بيته المفتوح. قال عنه الدبلوماسي المعروف مشتاق طالب بمذكراته (عندما قابلته وجدته أحسن بعثي سلوكاً وأوفرهم أدباً وأكرمهم خلقاً) وكان عبد الناصر قد امتدحه وعبر عن إعجابه بحماسة وتفهمه في الرسالة التي بعث بها إلى المشير عامر في اليمن فوراً بعد حركة ٨ شباط، ونشرها هيكل في سنوات الغليان ويقول فيها: "وطالب شبيب وزير خارجية وذكي لبق متحدث وقد استرحت إليه".

غلب شبيب الشأن العام فلم يعط فرصة لكتابة مذكرات شخصية عن نفسه متروياً وعقلانياً في السياسة متطرفاً ومتمرداً في حياته الخاصة بل جبار على نفسه وصحته. حافظ الشبيب على تماسك عقلي فائق فلم يصب بعدمية أو مجانية سياسية وكان يقول أن من يريد أن يكون قائداً عليه أن يفتح داره ويتحمل مسؤولية ذلك. وبين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٣ تحولت داره الخاصة إلى ما يشبه مقراً للقيادة العراقية لحزب البعث العربي الاشتراكي واختفى بها علي صالح السعدي وحازم جواد وفيصل حبيب الخيزران لفترات طويلة واشتبه بعض المؤرخين بأنها كانت مركزاً حزبياً ولم تكن كذلك. كان في أواخر أيامه يعتقد أن صحته ستساعده فذهب معي إلى طبيبي الخاص وتحاور معه حول مشاكله التي تشبه مشاكله الصحية وبعد خروجنا قال لا تخف فنحن أقوىاء. لكنه بعد مغادرة دمشق اكتأب وتشاءم وتساءل أكثر من مرة "من أين يأتي الإنسان بملكة الموت؟ إنها شجاعة لا امتلاكها" ولم

يرتكب طالب المرارة لأسباب شخصية إنما فرضها عليه الهم العراقي العام وحاجته في شوط عمره الأخير إلى الاستقرار ولكن بكرامة. ولم يكن تفضيله للإقامة بدمشق خلال سنواته الأخيرة سوى اختيار لطريق الكفاح وعدم التورط باللعبة التي اكتظت بها الساحات الأخرى، رغم أن جميع فرسانها سعوا إليه وعرضوا عليه إقامة تجعله أوسع حالاً وأكثر ثراءً.

أقام شبيب أيامه الأخيرة بمنزلي في لايدن. كان عصياً ومحبطاً. أراد من الموت أن يأتي ولم يجد القوة في أن يذهب إليه بنفسه.

ودعته خائفاً، فأرسلت ولدي فراس لمرافقته في رحلته الأخيرة إلى لندن، وفي أيلول ١٩٧٧ جاء نبأ رحيله.

لم ابك الشبيب بل افتقده، لم ابكه لأنني حدثته طويلاً عن الموت وموتنا المحتمل، فكان يفهمه وينتظره، لكن ليس قبل العودة إلى العراق.

كنت أحاول تقديم هذا الكتاب قبل هذا الوقت، لكن مشاكل صحية عارضة حالت دون ذلك، وبعد انجاز مسودته الأصلية ساعدني على وضع اللمسات الفنية الأخيرة كل من الدكتور محمود أمين شمسة، محمد رشاد الشيخ راضي، أبو أيوب، الدكتور أحمد الموسوي، رضوان الكليدار، محمد مظلوم، طالب الداود وأخي فراس كريم سعيد، فلهم من الشكر والتقدير.

علي كريم سعيد

دمشق ١٩٩٨/٩/٢٢

محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في رأس القرية

في نهاية عام ١٩٥٨ قرر الأمين القطري لحزب البعث في العراق الأستاذ فؤاد الركابي تعويض نقص أعضاء القيادة القطرية المعتقلين والمهاجرين والمتوقفين عن العمل، وبعد الحصول على موافقة الأمين العام للحزب ميشيل عفلق تم إضافة كل من أياد سعيد ثات ومدحت إبراهيم جمعة وأنا (طالب شبيب) إلى عضوية القيادة القطرية. وكانت الاجتماعات تنعقد في دار فؤاد الركابي عندما كان وزيراً للإعمار. وحين ذاك علمنا إن العقيد عبد الوهاب الشواف يتهيأ للقيام بثورة انطلاقاً من الموصل، يؤازره فيها الضباط القوميون في بغداد وعلى رأسهم رفعت الحاج سري وعبد الكريم فرحان وناظم الطبقجلي وآخرين لم تعد الذاكرة تحصيهم.

آنذاك كنت تلميذاً في دورة ضباط الاحتياط ومسؤولاً عن تنظيمات البعث في الكلية، كما أصبحت ممثلاً للحزب في اجتماعات الجبهة القومية التي سميت "التجمع القومي" الذي تأسس مباشرة إثر طغيان الشيوعيين على الشارع العراقي بعد عزل عبد السلام محمد عارف وغلق صحيفة الجمهورية التي كانت قلماً للقوميين والبعثيين، وإثر اتساع موجة الاعتداءات العشوائية ضد منتسبي التيار القومي.

حصل ذلك تحت سمع وبصر حكومة عبد الكريم قاسم، مما دفع ممثلي الحركات القومية إلى عدم التفريق بين الشيوعيين وممثلي السلطة وعلى رأسهم رئيس الحكومة.

ووسط تلك الأجواء غير المؤاتية فرض حزب البعث العربي الاشتراكي نفسه كقوة مواجهة تتميز عن بقية القوى القومية بالحماس والانضباط التنظيمي والسياسي الشديد. في حين أخذت الأوضاع تميل تدريجياً نحو المواجهة المصيرية، خصوصاً بعد أن سيطر على القوميين والبعثيين شعور بعدم وجود مكان لهم في تلك المنافسة التي انحازت السلطة فيها إلى جانب التيار الشيوعي المعارض للوحدة وللسياسة القومية في العراق. ولذلك لجأ حزب البعث إلى سياسة تجميع القوى فنجح في إقناع الأطراف القومية الأخرى بتأسيس "التجمع القومي"، وكعضو في القيادة القطرية كلفني فؤاد الركابي تمثيل حزب البعث فيه، وكان يحضر اجتماعاته كل من :

الدكتور محمد صديق شنشل	عن حزب الاستقلال
الدكتور هشام الشاوي	عن الرابطة القومية
حامد الجبوري	عن حركة القوميين العرب
طالب حسين الشبيب	عن حزب البعث العربي الاشتراكي

شكري صالح زكي
الدكتور عزت مصطفى
الدكتور احمد عبد الستار الجواري
ناجي طالب
عدنان الراوي
عن المحامين
عن الأطباء
عن الأساتذة والمعلمين
عن الضباط القوميين المستقلين
يحضر أحياناً عن الرابطة القومية

وللأمانة هناك آخرون لا أتذكر أسماءهم ، وقد عقد التجمع ثلاثة اجتماعات بكامل أعضائه.

وبعد تزايد ضغط وإرهاب "المقاومة الشعبية" وهي ميليشيا شيوعية ، بدأ عدد المشاركين في اجتماعات "التجمع القومي" يتناقص. وتدرجياً تعذرت إمكانية عقدها دورياً ، لعدم وجود البيت الآمن وعدم استعداد ممثلي الحركات للمغامرة. وأستطيع القول إن التجمع القومي انتهى عملياً ككيان وكجبهة بعد شأته بأشهر واقتصر أعماله على لقاءات مختصرة أو ثنائية. وغالباً ما كان يلتقي فيها فؤاد الركابي وناجي طالب وشكري صالح زكي . وكان شكري على اتصال بنجيب الربيعي ومن خلاله بأحمد صالح العبدى الذي تميز بطاعة رئيسه رغم عدم مشاركته أفكاره . فلم يرغب العبدى بسياسة الاعتماد على الشيوعيين وكان يشارك القوميين في الخوف من تسلطهم ، لكنه لم يكن وحدوياً على طريقتنا : أي الوحدة الاندماجية الفورية مع مصر (الجمهورية العربية المتحدة) . وبالمقابل يتصل فؤاد الركابي بالضباط مثل صالح مهدي عماش وحسن مصطفى النقيب وآخرين.

وقد انحصر جهد التجمع القومي في المرحلة الأولى على إخراج استقالة الوزراء القوميين من حكومة عبد الكريم قاسم بصورة موحدة ومثيرة. وبالفعل نجحنا وأعلنت استقالة الوزراء محمد صديق شنشل وناجي طالب وفؤاد الركابي إضافة للوزير الكردي بابا علي ، كما استقال عضو مجلس السيادة خالد النقشبندى ، أما نجيب الربيعي فأبلغناه بالواسطة رغبتنا أن يستمر في منصبه حتى لا يحصل فراغ سياسي في حالة وقوع انقلاب مفاجئ أو اغتيال فردي ضد عبد الكريم قاسم ، إذ ستؤول السلطة دستورياً إلى نجيب الربيعي بسبب وجوده على رأس مجلس السيادة.

ثورة الشواف — ١٩٥٩

كنت قد أصبحت ضابطاً لركن القسم الفني للقاعدة الجوية في بغداد ، عندما حدثت الثورة في الموصل . وقد علمنا في القيادة القطرية أن عبد الوهاب الشواف سيتحرك بين لحظة وأخرى ، ولم نكن مهيين للقيام بأي عمل يفيد عند إعلان ثورته . وكان رد فعلنا الوحيد هو نقل إقامة فؤاد الركابي إلى وكر سري قريب من منطقة البتاوين في الرصافة . وأصدرنا بياناً نؤيد فيه

ثورة الشواف ووُزِعَ في بغداد وفي مناطق أخرى من البلاد وأشرف على التوزيع خالد علي الصالح باعتباره مسؤول العلاقات مع الألوية (المحافظات) .

حين ذاك كانت بغداد منطقة إرهاب لكل قومي وخصوصاً البعثيين، وتضج محكمة المهداوي كل ليلة بهتافات معادية لنا ، وبالشتيمة لجمال عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة . وترتفع الشعارات الشيوعية المطالبة بالسحل والإعدام ، وشعارات كثيرة أخرى مثل "اللي ما يصفق عفلقى" وغيرها . وكنا نعيش حالة من الذعر والخوف وأصبحت اجتماعاتنا الحزبية مخاطرة كبيرة، وتوزيع المنشور السياسي يجلب تهمة شتيعة للقارئ والموزع . ويستطيع كل من عاش تلك المرحلة أن يتصور الحالة النفسية المتوترة التي سادت الشارع السياسي العراقي حينذاك . وقد لعبت منظمات "صيانة الجمهورية" التي أسسها الحزب الشيوعي كمنظمات "أنصار السلام" و "الشبيبة الديمقراطية" و "المقاومة الشعبية" دوراً في تصعيد التوتر والخوف بإعطاء نفسها حق تفتيش الناس والبيوت واعتقال المواطنين بصورة كيفية وغير قانونية .

وخرم القوميون والبعثيون من السند القانوني لرد اعتداءات الشيوعيين عليهم . وكان التلفزيون العراقي منبراً ضد كل شأن قومي وبعثي ، بل ويغذي ويحرض على الإرهاب .

وبعد أيام قليلة من فشل الشواف بدأت محاكمة الضباط الطيارين الذين ساهموا بقصف وزارة الدفاع . وأذكر أن أوامر صدرت لجلب الضباط وبشكل خاص ذوي الميول القومية للتفرج على عملية الإعدام . وكانت تلك هي المرة الأولى في حياتي التي أشاهد فيها تنفيذ إعدام حقيقي ومباشر بضباط كنا نعرف أسماءهم عن بعد. لكننا الآن نشاهدهم بملابس حمراء خاصة، وقد انزلوا من سيارات الإسعاف محمولين لأن أحداً منهم لم يكن قادراً على السير ، فشدوا إلى الأعمدة ولم تكن أرجلهم تحملهم . وكنا وسط جمهرة كبيرة من الضباط والجنود يهتفون "إعدم، إعدم!!" وهو شعار رفعه الحزب الشيوعي مطالباً عبد الكريم قاسم بتصفية كل الرموز الباقية من التيار القومي في الجيش . وهكذا شاهدنا عملية الإعدام البشعة^(١).

خطة الاغتيال

كان شعورنا مزيجاً من الخوف والاشمئزاز ، وأصبحنا لا نفرق بين البقاء على قيد الحياة أو

١ — نفذت سلطات قاسم إثر محاولة الشواف، حكم الإعدام بكل من: العقيد عبد الله ناجي، النقيب قاسم العزاوي، الملازم أحمد عاشور، الملازم فاضل ناصر، المقدم علي توفيق، المقدم يوسف كشمولة، النقيب هاني الدبوني، النقيب محمد سعيد قاسم، النقيب صديق علي، الملازم حازم خطاب، المقدم إسماعيل هرمز، الرائد مجيد الجلي، فاضل الشكرية، نافع داوود، محمد أمين، سالم حسين، مظفر صالح، محسن إسماعيل، العميد الركن ناظم الطبقجلي، العقيد احتياط رفعت الحاج سري، الرائد داوود سيد خليل وعزيز شهاب.

وكان تنفيذ الحكم في ناظم ورفعت وداوود وعزيز في أم الطبول قد تم بقرار لم ينل إجماع القضاة.

الموت في مثل ذلك الجو من الخوف والإرهاب ، ولم تعد الحياة ثمينة ولذلك عندما دعا المرحوم فؤاد الركابي لاجتماع القيادة القطرية واقترح خطة لاغتيال عبد الكريم قاسم وافق عليها أكثرية أعضاء القيادة الحاضرين . وكنا خمسة : فؤاد الركابي وخالد علي الصالح وأياد سعيد ثابت ومدحت إبراهيم جمعة وأنا، وحضر معنا عبد الله الركابي . ولم اكن اعلم هل كان عبد الله على وجه التحديد مجرد مرافق لفؤاد بوصفه ابن خالته والأمين على أسراره وإقامته ومعيشته، أم كان عضواً في القيادة . فلم ارجب بالسؤال، إلا إن الأمر اتضح لي نسبياً عندما لاحظت عدم مشاركته بالتصويت ، فكنا اثنين رافضين (أنا ومدحت) مقابل ثلاثة موافقين على خطة الاغتيال فؤاد وخالد وأياد.

وقد اعتبر فؤاد الركابي ذلك التصويت كافياً لاكتساب خطته الشرعية الحزبية ، لأن القيادة القومية لم تكن حينذاك سوى ميشيل علق . ولذلك اعتقد فؤاد الركابي إن اخذ رأيها ليس له أهمية خصوصاً وإن الأمر يتعلق بسر خطير مثل محاولة اغتيال شخص سيؤدي موته إلى تقويض النظام القائم برمته . لقد ناقشنا أمر الاغتيال في بداية عام ١٩٥٩ أي بعيد فشل ثورة الشواف واشتداد المضايقات لمنتسبي التيار القومي^(١).

كانت خطة الركابي بسيطة وترتكز على ما يلي : أن يتم نصب كمين محكم لسيارة عبد الكريم قاسم في وسط شارع الرشيد وبالذات منطقة "رأس القرية" حيث يمكن الهرب من هناك بعد تنفيذ العملية عبر الأزقة إلى شارع الجمهورية . وفوراً بعد مقتله يتحرك بعض الضباط القوميين الموجودين في الخدمة وخصوصاً في مقر وزارة الدفاع لاحتلالها بعملية مباغتة وسريعة بعد تجريد بعض الضباط الأمراء من أسلحتهم ويتولى الفريق نجيب الربيعي رئيس مجلس

١ — كانت قيادة البعث القومية شبه غائبة بعد إقدام ميشيل على حل تنظيم الحزب في القطر العربي السوري وظل هو يدير أعمال القيادة القومية منفرداً . وكانت تلك فترة إحباط للتنظيم القومي بكامله . أما اجتماع القيادة القطرية الذي أُتخذ فيه القرار (محاولة الاغتيال) فقد تغيب عنه عضوا القيادة صالح شعبان وسعدون حمادي اللذان فرّا إلى سورية دون موافقة القطرية العراقية على سفرهما ومن هناك سافر حمادي إلى بيروت . كما كان علي صالح السعدي منذ عام ١٩٥٨ وكذلك حازم جواد مسجونين، واعتاد شمس الدين كاظم التغيب عن حضور اجتماعات القيادة ، ولم يبقَ عملياً غير فؤاد وخالد لذا جاء إلحاق طالب ومدحت وأياد كمحاولة لإعادة هيكلتها . وكان طالب حينذاك ضابط ركن الجناح الفني في قاعدة بغداد الجوية برتبة ملازم ثاني (ضابط احتياط) ، وقد حصل على ميزة البقاء في بغداد بفضل المقدم الطيار الركن خلف الجنابي آمر كلية الطيران العراقية. الذي تمكن من تربيته في ذلك المركز بفضل صداقته مع فاضل عباس حلمي آمر معسكر الرشيد . وعندما التحق وجد أمامه صديقي دراسته المهندس الملازم هشام صفوت وكان عضواً في الحزب الشيوعي ، وصباح محمد علي (بعثي) ، وكلاهما يعمل في الجناح الفني. وكان الثلاثة خريجي انكلترا ويعرفون هوية بعضهم السياسية. ويقول شبيب أن هشام صفوت الذي قتل في ١٥ رمضان ١٩٦٣ لم يش به رغم معرفته اليقينية بأن شبيب بعثي ومعارض لنظام قاسم ، وظل على صداقته معه حتى لحظة مغادرة شبيب المعسكر.

السيادة وحسب القانون (بصورة أوتوماتيكية) السلطة مؤقتاً ، بالتنسيق مع الحاكم العسكري العام اللواء الركن احمد صالح العبدى .

وأكد لنا فؤاد الركابي أنّ نجيب الربيعي مُطلع على خطتنا وسيشارك فيها، وأضاف أن هناك عدداً من الصباط الأصغر رتبة وسنا سيقودهم صالح مهدي عماش في محاولة للسيطرة على بعض معسكرات بغداد . وتكلفت أنا بإبلاغ محمد صديق شنشل بتفاصيل الخطة ، وبدوره ابلاغ حركة القوميين العرب كي يتأهبوا وقد ساهمت بالتحضيرات رغم تصويتي أنا ومدحت إبراهيم جمعة ضدها ، وحينها أكدنا للبقية بأن الحزب الشيوعي أوسع تنظيمياً وأكثر قدرةً واستعداداً، وسيكون أسرع ميّناً لاحتلال المواقع الهامة داخل وزارة الدفاع وفي قطعات الجيش^(١).

رأينا ذلك معرفتنا الجيدة بعمول الشارع العراقي المؤيد لعبد الكريم قاسم و حلفائه، و لم نكن حتى ذلك الحين مشبوهين من قبل أجهزة السلطة فامتلكنا القدرة على الاحتكاك بالناس دون

١ — كانت الخطة بسيطة ولكنها محكمة ، فقد تقرر أن يقف شابان في طرفي شارع الرشيد أحدهما مقابل وزارة الدفاع في باب المعظم والثاني في الباب الشرقي وكل منهما يعتبر نقطة إنذار مبكرة ، يُبسه تلفونياً عن مرور الزعيم إلى شارع الرشيد ، ويذهب الإتصال إلى شقة حارم البكري في رأس القرية . وحينها يستعد فريق الاغتيال المتكون من سليم عيسى الزبيقي وسمير النجم وحاتم حمدان الغزاوي وعبد الوهاب الغريزي وعبد الكريم الشيكلي واحمد طه العزور وصادم التكريتي إلى غلق الشارع وإمطار سيارة الزعيم بالرصاص والقنابل اليدوية ، ثم الاسحاب عبر الأزقة الضيقة (عكد النصارى) إلى شارع الجمهورية حيث تنتظرهم سيارة علي حسون لنقلهم إلى وكر حزبي في العلوية. وتسمّ فعلاً تنفيذ العملية في ٧ تشرين الأول أي بعد ثلاثة أسابيع من إعدام الضباط القوميين في أم الطبول . وقد حصل خطأ فني أدى إلى مقتل الغريزي وجرح النجم وصادم في حين قتل سائق الزعيم وجرح هو ومرافقه قاسم الجنيلي . ولم يكن عبد الكريم قاسم يتنقل بموكب من السيارات لحمايته . وبعد بضعة أيام أُلقي القبض على الموجودين في الوكر، في حين تمكن آخرون من العبور إلى سورية . وذكر د. تحسين معلة إن قيادة الحزب "ألغت منظمة الأطباء البعثيين أن تهيه فرقة للإسعافات لكن الأمر أُلغي بعد إلقاء قاسم خطابه في كنيسة مار يوسف . لكن العملية نفذت فحاة وفوراً بعد إعدام رفعت وناظم . وفي صباح اليوم التالي جاء أياد ثابت واصطحبني إلى وكر العلوية الذي أعرفه جيداً ، فقد بنى الدار المهندس فؤاد الركابي ، ومالكه الأسبق أخي فاضل معلة واستأجرها الحزب من مالكها الجديد" . وجد الدكتور معلة في الدار سمير النجم يعاني من بقية نزف خفيف من جرح في كتفه الأيسر واستقرت الرصاصة في الرئة فضلاً عن إصابته بخدوش عديدة من طلقات في الرقبة . وبعد تضميد النجم ، علّم معلة بوجود مصاب آخر ، ويقول "وجدت شاباً اصفر الوجه نحيف يرتدي دشداشة بيضاء فسألته ما بك ؟ قال : عندي طلقة في رجلي . وبعد فحصه وجدت جرحاً على الساق لم يصل إلى العظم ، واخبرني انه أخرجه بموسى الخلاقة في الليل وكان هذا الشاب هو صدام التكريتي ، فضمت جرحه وذهبت للجب لقاح وجراح" . وذهب د. تحسين معلة إلى د.خلدون درويش لطفي (بعثي) وكان رئيس الأطباء المقيمين وطلب منه اللقاح فتخوف وعاتنه ورفض المساعدة. فذهب معلة إلى د.عزت مصطفى وحصل منه على حقنتين ضد الكزاز حقنهما لسمير وصادم ثم انصرف باحثاً عن د.عبد اللطيف البدري (جراح بعثي) فوجده محتفياً في دار أخته في المأمون الذي رافقه إلى الوكر لكنه قرر صعوبة إجراء العملية . هنا ترك د.معلة المكان وكان فيه أياد وغانم عبد الجليل وحاتم حمدان والشيكلي والزبيقي وآخرين . وعندما أُلقي القبض على معلة أنكر كل شيء فأفُرج عنه بعد عشرة أيام بكفالة ، وبعد عشرة أخرى اعتقل لمواجهة سمير النجم الذي قد اعترف عليه[1].

معرفتهم بتوجهاتنا السياسية.

وفي هذه الأثناء جرى تسريحى من الجيش ، و استدعاني آمر الجناح الفني وقال لي: سيسحلونك إذا بقيت هنا والمحرضون كثيرون!! وفي اليوم التالي نشر أمر تسريحى وإلقاء القبض عليّ. وعندما ذهبت إلى الدار وجدتُها محاصرة وتعاني من مضايقة الشيوعيين المنتشرين في كل مكان.

آنذاك بدأنا نبحث جدياً في التنفيذ المستعمل لخطّة الاغتيال، ورغم معارضتنا فإن القرار الذي حصل علي أكثرية ثلاثة مقابل اثنين اكتسب الشرعية وأصبح علينا الالتزام والعمل بإخلاص لتنفيذه^(١).

١ — لم تكن محاولة اغتيال الزعيم في رأس القرية أول وآخر محاولة يتعرض لها وتستهدف حياته فقد سبقتها وتلتها محاولات ومشاريع محاولات كثيرة أهمها:
أولاً: مشروع لاغتياله عند زيارته مدينة كربلاء المقدسة بمناسبة إحتفالات ١٤ تموز، وتم بالتنسيق مع المكتب العسكري للبحث على أن تتحرك بعد اغتياله قوة لاحتلال وزارة الدفاع من الداخل، والاستيلاء على السلطة، وألغيت الخطّة لكثرة الجماهير التي أحاطت به خلال الزيارة.
ثانياً: محاولة اغتياله عند زيارته مدينة الصويرة خلال إفتتاحه مشاريع عمرانية وتعليمية فيها لكنها ألغيت لنفس السبب السابق.

ثالثاً: مشروع لاغتياله من قبل البعث في ٢٣/١١/١٩٦٢ عند إفتتاح سد دربندخان جنوب مدينة حلبجة، ينقله الطياران الملازم واثق عبد الله والملازم خالد محمد نوري بإشراف حردان التكريتي، ولم تنفذ لمصادفات غريبة تتعلق بصله القريب الوثيقة بين سائق طائرة قاسم والطيار المكلف بإسقاطها، في حين ذكر الفككي إن العملية لو تمت لأدت إلى تدمير سد دربندخان[2].

رابعاً: وضع حزب البعث خطة لاغتياله خلال لقائه بالرئيس السوري ناظم القدسي في منطقة (الرطبة) الحدودية، وأستهدف قصف طائرته عند هبوطها بمطار (ج3) قرب الحدود السورية، لكن العملية تأجلت بعد حسابات احتمالات النجاح والفشل. ويقول منذر الونداري انه كان صاحب الفكرة، وتكفل بتنفيذها بالتنسيق مع الضباط القوميين في قاعدة الحبانية الجوية وبينهم عارف عبد الرزاق الذي اشترط على منذر موافقة عبد الكريم فرحان وعند الاتصال بفرحان اشترط بالمقابل حضور عارف عبد الرزاق إلى داره وإعلان موافقته الشخصية. وحينذاك أدرك الونداري بأن كليهما لا يرغبان بالمساهمة أو التعاون ولذلك تحجج كل منهما بموافقة الآخر شرطاً لموافقته، فتأجلت العملية[3].

خامساً: محاولة اغتياله عند زيارته لمعمل الأحذية الشعبية في الكوفة، في سياق زيارته لمدينة النجف الأشرف في ١٦ تموز ١٩٦٢ ، على أن تتبعها تحركات في بغداد، ولم تنفذ لوصول معلومات عنها إلى أجهزة السلطة.
سادساً: مشاريع فردية كثيرة بينها مشروع لاغتياله من قبل مدحت الحاج سري، لكن الأخير هرب إلى سوريا بعد محاولة الاغتيال في رأس القرية وورود اسمه في التحقيقات وبعد سنتين من هربه كلف عبد الكريم قاسم أخيه اللواء فائق الحاج سري بالسفر إلى دمشق وإعادة مدحت، فسافر وعاد برفقته إلى بغداد. وهناك أعمال ومصادمات كثيرة جرت بينها أعمال فردية قامت بها منظمات البعث في بغداد وبعض المدن الرئيسية كالوصل والناصرية والحلة والنجف، إنتقم فيها بعثيون من شيوعيين بضربهم بأسلحة غير نارية، المهدف منها الردع والانتقام من التحريض والمحاصرة الاجتماعية[4].

وكان فؤاد الركابي رحمه الله صريحا وصادقا في كل شئ ولا يخفي عنا خططه، وأخبرنا بأدق تفاصيل الخطة التي اعتمدت على رصد عبد الكريم قاسم وحساب خروجه وعودته إلى الوزارة، وخاصة عند مغادرته إلى داره في الكرادة الشرقية بين الخامسة والسادسة عصرا. وعلى الطريق في منتصف شارع الرشيد كانت هناك شقة للمحامي حازم البكري استخدمها مركزا لمراقبة عبد الكريم قاسم ، ويتواجد فيها الفريق الذي سينفذ العملية، وتم اختيار أفرادهم وأعدادهم من قبل عضو القيادة القطرية خالد علي الصالح وساعده مدحت إبراهيم جمعة خصوصا في نقل السلاح إلى الشقة المذكورة .

التنفيذ بأسلحة مصرية

ناقشنا في القيادة القطرية أسماء مرشحي تنفيذ عملية اغتيال قاسم واحداً واحداً، وليس صحيحا إن فؤاد الركابي انفرد في اتخاذ القرارات . أما إذا قصد نفديته عدم إبلاغ القيادة القومية، فهي لم تكن موجودة عمليا . وقد قال لي حين سافرت إلى دمشق ثم بيروت ، قبيـل العملية بأيام: يا طالب أرجو أن لا تخبر أحدا ، آمرك أن لا تخبر أحدا ، فإذا نجحنا في التنفيذ والاغتيال فسيكون السر معك ، وإذا فشلنا فسيموت السر معك . وأضاف: انه لم يبلغ الجمهورية العربية المتحدة بموعد العملية رغم معرفتها بنيتنا القريبة . وحينذاك لم يكن مسموحا لأحد منا — أعضاء القيادة القطرية — الاتصال بمصر إلا عبر فؤاد الركابي.

وللأمانة أذكر إن بعض الأسلحة التي قدمتها مصر لعبد الوهاب الشواف ، استلمها حزب البعث بطريقة أو أخرى وأوصلها إلى بغداد . وكانت هي أسلحة التنفيذ في محاولة الاغتيال . وقد جاءت إلى الشواف ضمن أسلحة أخرى ومحطة إذاعة سرية من مصر عبر الأراضي السورية في بداية عام ١٩٥٩ بإشراف مباشر من عبد الحميد السراج وتم تنسيق الأمر مع السفارة المصرية من قبل فؤاد الركابي للحصول على بعض ذلك السلاح ، وكانت السفارة تعلم علم اليقين بما نخطط له .

كما علمت إن هناك مبلغ عشرين ألف دينار أو جنيه مصري قد استلمها الحزب لتمويل وإدامة نشاطه وأعمال التحضير للعملية ، خصوصا وإن حاصل جمع الاشتراكات الحزبية كان غير كاف ويتم بطريقة عسيرة في ذلك الجو الإرهابي الذي كنا نعيشه. فقد كان مجرد الاتصال أو عقد الاجتماعات الحزبية أمرا في منتهى الخطورة.

آثار المحاولة

وصلت بيروت وكنت اعلم علم اليقين أن المحاولة ستنفذ في رأس القرية بشارع الرشيد. وأن

عملية أخرى ستجري بعد اغتيال قاسم للسيطرة على وزارة الدفاع من الداخل، يتعاون فيها الضباط البعثيون المبلغون مع الضباط القوميين ويتحارب معهم الفريق نجيب الربيعي الذي سيحل مباشرة وبصورة روتينية محل عبد الكريم قاسم.

صممت أن لا اخبر القيادة القومية ولا المؤتمر القومي الثالث المنعقد في بيروت ولا حتى القيادات الجديدة التي سينتخبها المؤتمر بما يُحضر له الحزب في العراق. وقد انتخبني المؤتمر عضواً في القيادة القومية، مسؤولاً عن شؤون أمانة السر، وهو منصب يعني المسؤولية عن جميع صلات الحزب بفروعه في الأقطار العربية والأوربية، ويعادل ما اتفق على تسميته فيما بعد بمكتب التنظيم والاتصال القومي، وأصبح المرحوم خالد الإشرطي مسؤولاً مالياً. كما انتخب لعضوية القيادة القومية الجديدة مدحت إبراهيم جمعة وفؤاد الركابي وفيصل حبيب الخيزران. وبقينا أنا وفيصل في بيروت في حين سافر فؤاد ومدحت إلى القاهرة.

حينها بدأت تتسرب تفاصيل عن محاولة الاغتيال الفاشلة وورود اسمي في محكمة المهداوي فأصبرت القيادة القومية أن أبقى في بيروت ريثما تتكشف الأوضاع، ويتقرر ما يمكن فعله على المستوى التنظيمي في العراق. وكان فؤاد الركابي قد استقر في القاهرة في حين لجأ عدد كبير من قيادة الحزب إلى سورية بعد أن ساعد وجود جثة عبد الوهاب الغريري التي خلفها الهجوم ضد قاسم وراءه على كشف هوية الفاعلين^(١).

استدعاني ميشيل عفلق وكنت حينها معاونه الأول بوصفي مسؤولاً عن مكتب الأمانة

١- أحيل ٥٧ متهماً إلى محكمة المهداوي التي انعقدت في ١٩٥٩/١٢/٢٦، حوكم منهم ٢١ متهماً غيابياً وصدرت بحكمهم أحكام بالإعدام والسجن، وبينهم أياد سعيد ثابت وأحمد طه العزوز وسليم عيسى الزبيق وعبد الكريم الشيعلي وحاتم حمدان العزاوي وطه ياسين وصادم التكريتي وياسين عبد الجبار السامرائي وقاضل عبد الغفور وخالد علي الصالح وعلي حسون وتحسين معله وكريم شنتاف وحازم البكري وعبدالله الركابي وحاسم قره علي وأحمد مرعي ويسرى سعيد ثابت، وصدرت الأحكام بتاريخ ٣١ آذار ١٩٥٩. وتنازل عبد الكريم قاسم عن حقه في تنفيذ الأحكام الصادرة، فجاء بعده بسنوات صدام التكريتي لينفذ قرار الموت بشركائه فقتل قائد المحاولة فؤاد الركابي بعد اتهمه بالتجسس لصالح امريكا، وقتل سعدون البرماني في حادث سيارة أودى بحياة جميع افراد عائلته، ومات الزبيق بظروف غامضة، ويعتقد بالثاليوم، وأُغتيل عبد الكريم الشيعلي ونجا سمير عزيز النجم من محاولة قتل مؤكدة عندما أسقطت طائرته التي مات فيها عضو القيادة القومية السوداني محمد سليمان. وتمكن خالد علي الصالح من النفاذ بجلده والعيش بقية عمره متغرباً في القاهرة واقطار عربية أخرى. ونجا تحسين معلة من عملية تفجير سيارته في الكويت ويعيش الآن منفياً. وقضى أحمد طه العزوز جل سنوات عمره بين السجن والخوف من غضب رفيقه وقتل غانم عبد الجليل برصاص رفاقه واقاربته وقضى طالب الشبيب سنوات طويلة حتى الموت في الغرب، ويعيش عبد الله الركابي منذ أكثر من ربع قرن لاجئاً سياسياً. ويذكر ان صدام حسين ألحق متأخراً في العملية بسبب تغييب أحد المكلفين بالتنفيذ، وكان حينها نصيراً لم يكتسب عضوية الحزب العاملة.

وفي مقابل انتقام صدام من شركائه في العملية، كان عبد الكريم قاسم قد تنازل عن حقه وابقى عليهم الحق العام فقط متجاوزاً على نفسه وعلى سائقه المغدور، وعلى مرافقه قاسم الجنابي بعد ان قدم الاعتذار للجنابي ولعائلة السائق.

في الحزب، وسأل: هل تعلم شيئاً عن محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم؟ قلت: نعم، وأعلمته بالخطة كاملة وبأسماء المنفذين والمديرين ودور الضباط البعثيين والقوميين المحتمل في حالة نجاح المحاولة. وأبلغته بمشاركتي في بعض أعمال الأعداد للعملية رغم معارضي لها، وقلت له: إن احتفاظي بالسر كان بسبب تعليمات مشددة من القيادة القطرية العراقية، وقد كنا مقتنعين بضرورة عدم إبلاغ أحد لخطورة الأمر ولغياب وجود القيادة القومية عملياً.

لقد صدقت أسوأ ظنوني، فبعد ضرب عبد الكريم قاسم في رأس القرية، لم يذهب الضباط البعثيون والقوميون إلى وزارة الدفاع، بل ذهب إليها الشيوعيون والقاسميون وسيطروا على كل شيء. ولم يتحرك الفريق نجيب الربيعي ولا اللواء الركن أحمد صالح العبيدي وإنما ظهرت صورة عبد الكريم قاسم على شاشة التلفزيون من المستشفى وخطب مندداً بالمحاولة وأشعر العراقيين بأنه لو سقط لقاتل المتآمرون البلاد إلى دمار شامل وتحولت إلى "شاذر مذر"، وحيى الشعب وشكر الجماهير على ردة فعلها المؤيدة له. تلك الجماهير التي خرجت فغطت شوارع بغداد والأحياء والمدن، وتحول الأمر من نصر لنا إلى شكل احتفالي بالنسبة للنظام ومؤيديه، وفرصة للملاحقات والاعتقالات والتسريحات من الجيش ودوائر الدولة لكل المشتبه في تعاونهم مع حزب البعث، وإلقاء القبض على أكثرية كوادره في بغداد اثر اعترافات مجانية صدرت من "شاكر حليوة" الذي أطلق عليه العقيد فاضل عباس المهدي اسم "مستيقظ الضمير"^(١).

١ — انعكست محاولة اغتيال قاسم في ١٠/٧/١٩٥٩ على الشيوعيين أيضاً فوقفوا مذهوشين من إمكانية سقوط قاسم المفاجئة باغتيال أو انقلاب عسكري أو محاولة للسيطرة على السلطة من داخل المؤسسة الحكومية المعادية لهم. يقول ثابت حبيب العاني: "شعر المكتب السياسي بالحاجة إلى تنشيط اللجنة العسكرية واعاد الاتصال بنا بعد ان اهتمنا خلال الفترة السابقة، فقمنا بتطهير صفوف التنظيم العسكري (الشيوعي) من الانتهازيين والوصوليين والقاسميين من الضباط. ومع استمرار التداعيات الناجمة عن الحملة السياسية والإعلامية ضد الشيوعيين برزت فكرة السيطرة على السلطة"، وأضاف يقول "وكان من ابرز الداعين إلى ذلك الزعيم جلال الاوقاتي الذي قامت خطبته على فكرة الاستيلاء على وزارة الدفاع، فالذي يستولي عليها يستولي على السلطة"، وأضاف العاني ان جلال الاوقاتي قال: "لو أصبح عبد الكريم قاسم سكرتيراً للحزب الشيوعي العراقي، لازم نزيحه لانه سوف يدمرنا ويدمر نفسه" وقال الاوقاتي "لدينا القوة الجوية ويتطلب الامر لواء مشاة" فأجبت "لدينا لواء ٢٧ الموجود في الوشاش، وكان أمره الزعيم الركن حميد امين (شقيق المدعي العسكري العام ماجد محمد امين) وهو قاسمي، ولكن هناك رفاق على رأس الافواج مثل العقيد الركن عبد الرضا عبيد أمر الفوج الأول والعقيد إبراهيم الجبوري أمر الفوج الثاني والمقدم غازي دجيل أمر الفوج الثالث والمقدم الركن علي خالد ضابط ركن اللواء...". وعلق الاوقاتي "مطلوب حركة جماهيرية أو اضطرابات أو مسيرة نقوم خلالها باعتقال قاسم ونجبره على التوقيع على التنازل ثم نرسله إلى إحدى الدول الاشتراكية"^[5].

وحينها قدّم العاني تقريراً للمكتب السياسي للحزب الشيوعي قال فيه يوجد لدينا في الجيش العراقي "خمسة آلاف ضابط منهم خمسمائة ضابط بين ملازم وزعيم منتظم في الخلايا واللجان الحزبية، والف ومائتي ضابط اصدقاء يدفعون تبرعاً شهرياً" وتضمن التقرير وجود ثلاثة آلاف جندي أعضاء في الحزب الشيوعي^[6]. لكن المكتب السياسي انتقد تقرير اللجنة العسكرية لانها لم تُقدّر ان حكم عبد الكريم قاسم وطني ووصف التقرير للجنة العسكرية بالمغايرة التي تستهين بالجماهير.

تأثر جهازنا الحزبي بمحاولة الاغتيال سلباً وإيجاباً : سلباً على شكل اعتقالات وتسريحات وهرب إلى الخارج . ولم يكن الأثر الإيجابي محسوباً ، فقد فوجئنا بأن فشل العملية كان أكثر أهمية لنا من نجاحها ، لأنها لو نجحت لاستلم الشيوعيون السلطة بصورة تلقائية ، إذ لا يوجد بديل عنهم لكن الفشل أبقى على حياة عبد الكريم قاسم فترة من الزمن كانت كافية ليحصل تغير خلالها في مزاج الشارع العراقي ، وليستعيد القوميون نشاطهم ، تدفعهم في ذلك مشاعر الاستنفاز والتحدي خصوصاً بعد أن وقفت مجموعة من شباب البعث بصلاصة في قاعة محكمة الشعب مثل أياد سعيد ثابت وأخته يسرى وخالد علي الصالح وسليم عيسى الزبيقي ، مما استثار النخوة والشجاعة وروح التحدي لدى البعثيين وأدى إلى انعطافة لم يسبق لها مثيل بالنسبة إلى حركة سياسية صغيرة عددياً وعمرها قصير نسبياً كمنظمة البعث في العراق ، فازداد تعاطف التيار القومي واحترامه للبعث وقيادته ووثقوا بقدرته على المبادرة ومواجهة نظام قاسم^(١).

١ — استغل البعثيون شد الاعصاب فضربوا في رأس القرية قبل تسلل التراحي إلى جسد حزبهم . لكن المحاولة اتضح بعد فشلها انها كانت من نوع "اضرب واهرب" ولم تكن مشفوعة باعمال تهدف إلى السيطرة على السلطة . مما دعا القيادة القومية للحزب إلى ادانة قيادة (فؤاد الركابي-خالد علي الصالح) . وفي آب ١٩٦٠ انعقد المؤتمر القطري لحزب البعث وقرر بالإجماع ما يلي "ان المؤتمر القطري يعلن عن شجبه للاغتيال السياسي ويقر ان محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم من قبل القيادة القطرية السابقة ، انما هو خرق لعقيدة الحزب ، وانحراف عن اسلوبه الانقلابي الشعبي ، والمؤتمر يؤيد كل ما جاء في بيان القيادة القومية حول الموضوع".

لكن الجراءة التي اظهرها شباب البعث داخل محكمة الشعب اوضحت بصدق تمسكهم بعقيدتهم الحزبية السياسية ، وظهرت البعثيين أمام الرأي العام العراقي بمظهر الشبان الشجعان المخلصين لأفكارهم وشعاراتهم حول الوحدة العربية واستعادة اتحاد ومكانة الدولة العربية الاسلامية . وانهم طراز خاص من المنتمين الذين لم تعهدهم محكمة المهداوي ، لأن جميع من حاكمتهم سابقاً نفوا التهم الموجهة اليهم أو اعلنوا ندمهم على الانحراف في المؤامرات . لكن هؤلاء دافعوا بثقة عن عقيدتهم وانتمائهم ، وتحدث بعضهم عن واجبه القومي في توحيد الامة العربية ، وتحولت المحاكمة إلى نزاع استطاع من خلاله البعثيون ولأول مرة ان يعلنوا على الملأ آراءهم ، فلم يظهروا كطلاب سلطة بل اصحاب موقف ومبادئ . وقد عاملهم المهداوي باحترام وباسلوب مختلف عن طريقته المهينة التي تعامل بها مع رجال العهد الملكي أو المتأمرين على حكم قاسم أو أولئك الذين ارتكبوا جرائم ضد سجناء سياسيين . واستطاع البعثيون ان يتميزوا عن الشيوعيين باهتماماتهم القومية وبشعارات الامة الخالدة ، وعن القوميون العرب والناصرين بطرحهم فكرة التلازم بين الفكر القومي والاشتراكي ، واعطوا نظرياً ، حق المواطنة لكل ساكن على الارض العربية ومخلص لوحدة وقوتها . وربما يكون ظهورهم الشديد اكسبهم عداوة الملايين من محبي عبد الكريم قاسم لكنه اعطاهم مئات المعجبين الاشداء الذين انضموا للحزب وهم يعرفون انه مدرسة شجاعة ومقاتلة ، فكانوا القوة التي انتصروا بها فيما بعد . فقد كانوا فئة قليلة لكنها متماسكة وبأمكانها التغلب على كتل بشرية كبيرة فاقدة للاتجاه وبقيدة مرتبكة . لكن محاولة الاغتيال علمت البعث بأن القوة وحدها لا تكفي وان النصر يتطلب التخطيط والعمل داخل القوات المسلحة ، وهو ما ستركز عليه قيادة السعدي الجديدة . ويذكر ان القيادة القومية للبعث اصدرت بياناً في ١٣/١/١٩٦٠ ورد فيه "ان تمادي قاسم في اغتيال قادة الشعب والجيش والشباب العقائدي في العراق عن طريق السحل في الشوارع دون اتهام أو محاكمة . . . هو الذي دفع قسم من الشباب الوطني للدفاع عن النفس بهذا الاسلوب"^[7].

ورغم الشقوق التي ظهرت في الجدار القومي بسبب الخلاف بين عبد الناصر وحزب البعث فقد استعدت قوى التيار القومي في العراق لوضع البعث في طليعتها في المعركة المصيرية ضد النظام وضد الشيوعيين العراقيين في الشارع وفي قاعة محكمة الشعب علناً وبإرادة ذاتية عراقية لا تعتمد في اختياراتها الأساسية على أية جهة خارجية.

ومن حسن الحظ كان علي صالح السعدي وحازم جواد خلال الإعداد للمحاولة معتقلين، وقد أطلق سراحهما قبيل تنفيذها ، فلم يتمكن من الاشتراك بها أو حتى الاتصال بالحزب ، وبالتالي لم يرد إسمهما في التحقيقات والاعترافات الواسعة . فتمكنا من عبور الحدود إلى سوريا ثم العودة إلى العراق والانكباب على إعادة بناء تنظيم الحزب بعد أن تـهـدمت هيكلتيـه وتحول الجميع بين هارب أو معتقل أو مختفٍ.

لكن عبد الكريم قاسم قدّم إلينا بتراجعته عن تنفيذ أحكام الإعدام بالفريق الذي حاول اغتياله فرصة ذهبية جديدة. فقد فهم مؤيدو حزبنا تراجعهم ذلك ضعفاً له وقوة لنا ، وبدورنا استثمرنا تلك الفرصة إلى أبعد الحدود^(١).

١ — بعد منتصف ليلة ١٣/٣/١٩٦٠ التي قاسم خطاباً قال فيه: "ان تمسكنا بالوحدة الوطنية بخدم الجمهورية ويعزز مكانتها بين الدول ويجعلها سنداً للدول العربية" وقال " لايجب العرب والاكرد والتركمان الا بالتكاتف مع بعضهم وبالدفاع عن كيان الوحدة العراقية الصادقة . اتركوا الطيش ويجب ان تسيروا وراء التفكير العميق" وتساءل "ارأيتم أولئك الذين تصدوا لي في الطريق ؟ هل كانوا يسرون بأسس يقبلها ضميركم ؟" وذكر مرافقه : "ان الله حفظه فهو شاب اشترك معي بأخلاص ليلة الثورة" . واعتذر لعائلة سائقه المقتول كاظم عارف قائلاً "الله يرحمه ويقتص من اجله . . . لقد اعتدوا هؤلاء علينا بوابل من الرصاص والنيان وارادوا ان يجعلوا هذا الشعب يتقاتل مع بعضه فتسيل البرك من الدماء" وقال "ان القانون يحفظ مصلحة الجميع . . انكم عندي سواء . وان هؤلاء الذين إعتدوا عليّ ، ايها الاخوان ، قد اخبرت رئيس المحكمة العسكرية انني عفوت عن حقي الشخصي ، وليكن حسابهم عن الحق العام وعن قتلهم السائق، ولتكن الرحمة فوق العدل كما اخبرت . ولذلك صدر الامر الوزاري لتنفيذ الأحكام في الساعة الرابعة من هذا اليوم بحقهم وكانوا خمسة وهم: احمد طه العزوز وسليم عيسى وايداد سعيد وحמיד مرعي وشخص آخر وقد عفوت وخففت عن شخصين لندمهما ولأنني وجدت أسباباً تستدعي الرأفة وكان احدهما قد تصدى لي ورماني ، وربما كان سبباً في مقتل السائق وهو سمير ، قد خففت حكمه إلى خمس عشر سنة وخففت حكم الآخر إلى خمس سنوات بعد ان كان محكوماً بالمؤبد مرتين وهذا محكوماً عليه بالإعدام. كما صدر مرسوم جمهوري رقم ٢٠١ في يوم ٢٦ كذلك لتنفيذ حكم الإعدام بمجرم آخر هو منذر أبو العيس (شيعي) الذي اعتدى على أحد المواطنين وسبب قتله بصورة وحشية بين جمهرة من الناس" . وقال "بعد ساعتين ونصف تقريباً ستنفذ أحكام الإعدام وانني اقول : ان الشخص الصالح هو الذي لا يعتدي على الآخرين ولكني ايتها الاخوات وايها الاخوان وجدت أن هذه الحادثة كانت موجهة الي بللذات وانني فرد منكم واسعى من اجل مصلحةكم واعطف عليكم واعطف على جميع ابناء الشعب ووجدت ان هذا اليوم هو آخر يوم من ايام العيد، وهذا اليوم هو اليوم الذي يلي العيد وهو يوم الخميس ، وهذا اليوم هو ليلة الجمعة والايام لدينا مقدسة ، فعليه قررت في هذه اللحظة ان أأمر بأمر الباري عز وجل {اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون} فقررت تأجيل تنفيذ حكم الإعدام حتى اشعار آخر ، وقد تكون هذه عبرة لمن اعتبر والسلام عليكم ايها الاخوان وارجو الله ان يوفقكم ويكمل جمهوريتنا وينصرها بعز من عنده والله يوفق والسلام عليكم".

الركابي بين ناصر وعفلق

وقف الركابي حائراً بين عبد الناصر وميشيل عفلق ، لكن المسافة التي كانت تفصله عن ناصر اقرب بكثير منها بينه وبين عفلق . ورغم الظروف السيئة المحيطة بحزب البعث في العراق إلا أن الوجود العراقي في جسم الحزب القومي كان قوياً ومؤثراً خصوصاً وإن الحزب في سورية مازال منحللاً بإرادة عفلق وربما عبد الناصر . وكان ذلك في عام ١٩٥٩ وهو نفس عام محاولة اغتيال قاسم وكان اكرم الحوراني نائباً لرئيس الجمهورية العربية المتحدة ومصطفى حمدون وعبد الغني قنوت وصلاح الدين البيطار وزراء ، وكان الرئيس الأسد هناك في القاهرة ضمن القيادة العربية المشتركة، لكن حزب البعث (شريك عبد الناصر في الوحدة) ظل معزولاً عن اية ممارسة فعلية للسلطة وربما كان ذلك بسبب انعدام الود بين ناصر وعفلق ، واعتقد أن ناصر حرص لهذا السبب في مباحثات الوحدة أن يقول لعفلق : أنني لم أعرفك ولم أرك من قبل ولم أتعاط إلا مع اكرم الحوراني وصلاح الدين البيطار ، فأنت يا ميشيل أين كنت ؟

وعلى العكس من ذلك اندفع عبد الناصر متجاوباً مع البعث في العراق ، يعطيه كل دعم ومؤازرة ويظهر له الود التام . واعتقد أن ذلك كان السبب وراء النفور الذي سيطر على العلاقة بين الركابي وعفلق .

وفي ما يخص شخصية فؤاد الركابي الذي يعرف القارئ انه اغتيل فيما بعد في السجن بعد أن حكمت عليه سلطة (البكر-صدام) بثلاث سنوات حكماً جزافاً . وبعد أن قضاه وحاًن وقت إطلاق سراحه دسوا له شخصاً قاتلاً ليقطع وريده بسكين ويُترك ينزف بدون إسعاف لمدة نصف ساعة كانت كافية لكي يفارق الحياة .

كان الركابي، رحمه الله، دمثاً ودوداً صريحاً ومثالاً في رباطة الجأش وفي تشجيع المناضلين على مواصلة المسيرة مهما كانت الصعوبات.

وبغض النظر عن اختلاف مسيرتنا في ما يخص بقائي في حزب البعث في حين أسس هو تنظيمًا بديلاً بإسم الوجوديين الاشتراكيين ، فإني بقيت وما أزال أكن له محبة واحتراماً وأقرب أنه كان قدوة في الشجاعة بين قادة البعث ، وهذا الأمر يصدق على علي صالح السعدي وحازم جواد .

كان الركابي، كما علي وحازم، عقلاً ومؤمناً بالحزب ، يعتني ويدافع عن حياة كل عضو فيه ولم يطلب من أي حزبي القيام بعمل لا يكون هو مستعداً للقيام به . وهكذا كانت المسيرة البعثية التي تميز بها تنظيمنا في العراق .

وكان الركابي ضد قرار حل الحزب في سورية مثله في ذلك مثل ٩٩٪ من البعثيين العراقيين وفي ذلك يكمن سر عدم ودهم لميشيل عفلق . وتلك العداوة انعكست على واقع التنظيم الحزبي

في العراق ، وجعلت تدخلات عفلق فيه سلبية خصوصاً في تلك المرحلة التي لجأ فيها عدد كبير من البعثيين العراقيين إلى سورية، إثر محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في ١٩٥٩^(١). تلك التدخلات التي ستؤدي في النهاية إلى ميل عفلق وتشجيعه إلى نوع من البعثيين سيسلكون مستقبلاً مسيرة سوداء. مباركته وستكون نهايتها المنطقية والعملية أن يقع الحزب فريسة بين يدي صدام حسين ويضطر عفلق إلى الاستسلام له والعيش بكنفه والتخلي عن رغبة الهيمنة التي طالما حرص على التمسك بها.

١ — كان عضو القطرية مدحت إبراهيم جمعة، وهو مشارك ومُخطِّط للعملية ، أول الواصلين إلى سوريا [8] وبعده بأيام وصل عبد الكريم الشيخلي وكان تلميذاً في الكلية الطبية ومشاركاً في العملية ، ثم فيصل حبيب الخيزران وعباس الستار الدوري وشفيق الكمالي وفالح الجحول وفؤاد الركابي وعلي السعدي وحازم وجواد وعبد الله الركابي وشكري الحديشي وأحمد العزاوي وفاضل الشاهر وفاتك الصافي وصدام التكريتي وهاني الفكيكي ، وكان شبيب قد ذهب إلى دمشق قبل التنفيذ بأيام لحضور المؤتمر القومي الثالث . ورغم كل شيء لم تؤد محاولة الاغتيال إلى حملة شاملة تستهدف كل منتسبي البعث ، بل اقتصرت على المساهمين الفعليين وعلى من ترد اسمائهم في التحقيق سواء كانوا مشتركين أم غير مشتركين في المحاولة ، لكنها لم تتحول إلى ذريعة لتصفية حزب البعث أو إلى إعلان حله . ويذكر ان مكتباً بإسم "مكتب العراق" تأسس بدمشق برئاسة السعدي وعضوية شبيب والخيزران [9]. وقد سبق محاولة الاغتيال إرسال عدد من المنفذين إلى خارج العراق بينهم عبد الكريم الشيخلي لغرض التدريب على استخدام السلاح وتدريب آخرين في مكان ناءٍ من منطقة الفرات الأوسط.

مراجع:

- [1] د. تحسين معلية، مقابلة، دمشق ١٩٩٥.
- [2] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، تجرّبي في حزب البعث في العراق، دار الريس للنشر، لندن وقرص، ١٩٩٣، ص ٢١٥.
- [3] صالح الجبوري، ثورة رمضان ١٩٦٣ في العراق، صفحة ١٢٨. وعبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، دار البراق ١٩٩٣، لندن، ودمشق.
- [4] عارف عبد الرزاق، مقابلة، لندن ١٩٩٨.
- [5] طالب عيسى القابجي، مقابلة، ميونيخ، ١٩٩٠.
- [6] ثابت حبيب العاني، رسالة العراق، العدد الثامن سنة ١٩٩٥، ص ٢٠.
- [7] ثابت العاني، رسالة العراق، مصدر سابق، ص ٢٠.
- [8] صالح حسين الجبوري، ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ في العراق، ص ٣٦.
- [9] هاني الفكيكي، مصدر سابق، ص ١٤٠.
- [10] حنا بطاطو، العراق، الجزء الثالث — الشيوعيون والبعثيون، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٩٢، ص ٢٨١.

المؤتمر القومي الثالث

قدمت نفسي للآمر بعد أداء التحية العسكرية بكل النشاط المعهود لضباط الاحتياط ، فرد التحية العسكرية وطلب إليّ الجلوس قائلاً : انك ستكون مسؤولاً عن أربعين فنياً من براد إلى حداد وقادح ، وجميعهم درس في احسن الثكنات والمعاهد البريطانية ، وستستعرضهم صباح كل يوم بالإضافة إلى سرية جنود ومراتب ، ومسؤولي مخازن وستكون مسؤولاً عن صيانة وإدامة طائرات الفيوري Fury والسبايت فاير Spit Fire (قاذفات اللهب) . فارتبكت وقلت: لم أر في حياتي طائرات من هذا النوع ، وسألته : كم طائرة لدينا من الفيوري ؟ فأجاب : صفر . فسألته : وكم من السبايت فاير ؟ أجاب : صفر . فقلت : ماذا سأعمل إذن ؟ قال: سأعطيك عمل لثلاثة اشهر وبعدها تأتينا لعمل آخر ، فأذهب الآن لاستعراض جنود السرية والفنيين صباح كل يوم وقم بالإجراءات العسكرية الروتينية كالتيث من الحضور وأداء السلام العسكري وإبلاغ النائب الضابط المسؤول عن المستودعات ، وهي كثيرة ، أن يعيد جرد موجوداتها ويوزع السرية حسب ما هو موكل إليها في حالة إعادة الجرد الاعتيادية، وقم بجولة معهم ثم عُدْ إلى مكتبك لتستلم منهم تقريراً يومياً وأسبوعياً حول أعمال الجرد.

وهكذا بدأت دوامة العمل في المعسكر تدور. وعلى بعد ستمائة متر من مقرنا كان هناك حاجز وأسلاك شائكة تقف خلفها أول دفعة من طائرات الميغ الروسية التي كنا ننظر إليها من بعيد بإعجاب وفرح ولكن لم يكن لأحد منا حق الاقتراب منها، بما في ذلك الفنيون، وحينذاك فقط فهمت سر المسؤوليات الوهمية التمويهية التي أسندت إليّ.

الهرب سبباً لحضور المؤتمر

بعد حركة الشواف وأحداث الموصل نُصِّبْتُ عضواً في القيادة القطرية وأعطاني الحزب واحدة من السيارات الثلاثة التي كان يملكها للتنقل وأداء المهمات مستغلاً بدلتي العسكرية التي تمنح إلى حماية والصيانة.

ولم يمض وقت طويل حتى فوجئت باستدعائي من قبل الأمر الذي سألتني: هل لديك سيارة؟ قلت نعم قال خذها وغادر المعسكر حالاً فقد وصلنا أمراً بتسريحك وسيعلق بعد نصف ساعة على لوحة الإعلانات وسيقرأه الجنود ، قلت سيدي لدي راتب وملابس وإجراءات تسليم قال انج بنفسك وانس كل شيء قبل أن يستلموك ويسحلوك.

غادرت المكان فوراً إلى الدار وهناك غيرت ملابسني العسكرية وانطلقت إلى فؤاد الركابي الذي اخبرني بعدم وجود مكان آمن لحمايتي وان الحزب كله يتعرض بعد انهيار محاولة الشواف للمطاردة. وأشار عليّ بضرورة الخروج إلى سورية أو لبنان. وكان ذلك ممكناً بسهولة لحصولي في وقت سابق على ختم موافقة سفر عسكرية مع عائلتي إلى بيروت للدخول والخروج لمدة عام كامل، بسبب حالة زوجتي الصحية التي تتطلب علاجاً في الخارج وكانت تحمل جنسية بريطانية، وذلك يعفيني من مراجعة دائرة الجوازات، ولا تستدعي غير قطع تذكرة السفر والصعود إلى الطائرة، وحصل ذلك فعلاً ورافقني ثلاث ضباط من بينهم العقيد الجنابي لكي يجنبوني المضايقة والتفتيش.

قال لي فؤاد : ستكون فرصة لحضور المؤتمر القومي الثالث المزمع انعقاده في بيروت وليس لدينا القدرة المالية لإرسال مندوبين، وتستطيع الاحتفاظ بمبلغ الاشتراكات الموجودة لديك (وكانت ١٢٧ ديناراً) فهي كافية للنقل وتكاليف إقامة مؤقتة ورفاقنا في بيروت سيتولون أمرك بعد ذلك، وافضل أن تخرج بالطريقة التي تراها مناسبة، ولو كانت لدي مبالغ أكثر لأعطيتك.

وطلب مني عهداً أن لا اخبر أي شخص، مهما كان، بقرار الحزب اغتيال عبد الكريم قاسم. وقال سيكون مرشحي الحزب لعضوية القيادة القومية أنت ومن يختاره ويرشحه الآخرون، وإذا تمكنا من الحضور سنتفاهم حول كل الأمور.

وحينذاك علمت من أقاربي بصدور أمر الانضباط العسكري بإلقاء القبض عليّ بصفتي ضابطاً، ومرة أخرى استعنت بالمقدم خلف الجنابي وهو صديق لجلال الأوقاتي الذي أمّن لي خروجاً سليماً إذ نجح بتأخير وصول أمر القبض عليّ للمطار إلى ما بعد إقلاع الطائرة، وكان أمر إلقاء القبض مبرقاً إلى جميع الوحدات العسكرية بوصفي ضابطاً في الجيش.

انعقاد المؤتمر والاستقالة من الوحدة

انعقد المؤتمر القومي الثالث للبعث العربي الاشتراكي في بيروت في أجواء تتجاذبها قضيتان متعاندتان. الأولى الرغبة في إعادة الاعتبار التنظيمي للحزب عن طريق دعوة مندوبين من كافة فروع الحزب القطرية والشعب والفرق المنتشرة داخل وخارج الوطن العربي (عدا سورية)، والخروج بقيادة قومية قادرة على إقامة علاقات فعالة مع كافة فروع الحزب وقياداته. والثانية: الخروج بموقف يساعد على حفظ قدرة الحزب وبنفس الوقت لا يؤدي إلى إغضاب جمال عبد الناصر، فقد سجلت تلك المرحلة احتكاكاً شديداً بين عبد الناصر وقيادة البعث القومية خصوصاً حول المشكلة التنظيمية في سوريا. وكانت مباحث عبد الناصر قد حاولت كسب العديد من فروع الحزب ورجاله بوسائل مختلفة، وفي المقابل سجل اشتراك ميشيل عفلق في المؤتمر القومي استثناءً أو تحديداً لقرار حل الحزب في سوريا، وكان هناك عدة تيارات في

النظر لهذه المسألة داخل المؤتمر، الأول: يرى أن حل الحزب كان خطأ تاريخياً لأنه عمود الوحدة الفقري والفكري والتنظيمي وهذا ما كانت تميل إليه أكثرية قواعد الحزب في كل أنحاء الوطن العربي والمنظمات البعثية المقيمة في أوروبا. والغريب أن ميشيل عفلق الذي بدأ بقرار حل الحزب انتهى إلى الميل لهذا التيار وحرص على أهمية إعادة التنظيم بآية طريقة كانت. الاتجاه الثاني: ويقوده فؤاد الركابي وعبد الله الريمائي مسؤول الحزب في الأردن ويرى أن قيام الوحدة العربية تستدعي حل حزب البعث والأحزاب المماثلة في كل مكان من الوطن العربي يلتحق بالجمهورية العربية المتحدة.

وكان هناك اتجاه ثالث يقف رافضاً لكلا الاتجاهين وبين مريديه بهجة أبو غربية الذي قال: "ليس علينا حل الحزب ولا ندخل في خصام مع عبد الناصر" لكنه لم يقدم أية فكرة عن كيفية معالجة الموقف، ووقف منيف الرزاز مع بهجة أبو غربية في حين وقف العراقيون جميعهم عدا فؤاد الركابي ضد حل الحزب واكتسبنا في هذا المجال وضوحاً كاملاً وأطلق علينا اسم "الكتلة العراقية" رغم مساندة أردنيين وفلسطينيين ولبنانيين لنا^(١).

وأرى أن المشكلة برمتها كانت مفتعلة من قبل ميشيل عفلق لأنه اتضح فيما بعد بأنه كان صاحب فكرة حل الحزب أو منفعدها المقتنع بها. ولو لم يكن مقتنعاً بإمكان التوصل مع عبد الناصر إلى حل وسط لهذه المسألة يضمن قيام الوحدة وبقاء الهيكل التنظيمي للحزب بشكل من الأشكال بعد الاتفاق عليه. وكانت تلك الأفكار والأطروحات التي قسمت البعثيين إلى أجنحة غير واضحة ولم يكن حاملها متأكدين أو واثقين من نهاياتها. ولكن المؤتمر وبسبب تلك الاختلافات وحفاظاً على رضى عبد الناصر وجد في عدم إعادة بناء التنظيم في سوريا بادرةً للتخفيف من أزمة الحزب المتصاعدة معه رغم رغبة أكثرية كوادره في استعادة التنظيم.

١ — تميز فؤاد الركابي بنفوذ ممتاز وسمعة طيبة وكان أول قائد للبعث في العراق وأول وزير بعثي فيه لكنه مال إلى جمال عبد الناصر فنسق مع الريمائي واختلف مع ميشيل عفلق حول طبيعة العلاقات مع العربية المتحدة. وكانت لغة الركابي قومية عامة بطابع عراقي في حين سادت بعد رحيله لغة ومفردات أخرى سيطرت عليها نكهة أيديولوجية تستند تحليلاتها ومفاهيمها النظرية من شموليات قومية متمرسه منشأها الأيديولوجيا القومية السائدة بين مفكرين سوريا ولبنان. وكان الركابي قد جرّ الحزب إلى محاولة اغتيال قاسم متناغماً مع إرادة الإدارة والمباحث المصرية، وليس معروفاً لحد الآن بدقة دور العسكريين البعثيين والقوميين في تشجيعه لتنفيذ تلك العملية. ومهما يكن فإن حزب البعث اتخذ بعد فترة من المناقشات موقفاً واصدر بياناً يحرم فيه الاغتيال السياسي ويؤكد سعيه لتحقيق أهدافه بالنشاط بين الجماهير. لكن خطوة الركابي المرفوضة مبدئياً وبغض النظر عن مضمونها، أدت إلى توسع غير معهود في قاعدة الحزب. وربما كان ذلك بسبب المحاكمات العلنية التي أتاحها محكمة المهداوي وظهر فيها البعثيون وهم يدافعون عن أنفسهم بأسلوب سياسي جماعي متكافئ، وتحدثوا بعض الشيء عن مبادئهم في تحقيق الوحدة العربية ورفضوا إدانة أهدافهم حتى عندما اعترفوا بفعلتهم أو ندمهم على سلوكهم اسلوب الاغتيال.

لكن إجراءنا لم يوقف الاتصالات والمشاورات الجانبية بين البعثين السوريين بشأن اختيار انسب الطرق لاستعادة الهيكل التنظيمي للحزب وقد كسب هؤلاء الرأي العام البعثي داخل سوريا وخارجها، رغم وجود بعض الكوادر المؤيدة للانضواء تحت القيادة الكاملة لجمال عبد الناصر.

وإلى حد ذلك التاريخ لم يحتفظ حزب البعث بآية تنظيمات مدنية داخل سوريا عدا المنظمات الحزبية الوافدة والتي تكونت من اللاجئيين والطلبة العرب الدارسين في جامعة دمشق ومعاهدها وبينهم عراقيون كثيرون. ورغم عدم خرق البعثيين للشرط الناصري فإن الخوف لازمهم من احتمال أن تعتبر أجهزة عبد الناصر الأمنية وجود التنظيمات الحزبية اللاجئة والوافدة إخلالاً أو تأمراً لإسقاط الوحدة. . . وقد تحلى البعثيون، رغم عدم قناعتهم بمبدأ حل الحزب، بضبط النفس والصبر حتى لا يقال عنهم انهم أثاروا الصعوبات بوجه نظام الوحدة العربية. ولم يقرروا العمل المباشر لإعادة بناء الحزب في سوريا إلا بعد حلول الانفصال وسقوط الشرط الأول لحل التنظيم. ولم ينفع صبر البعث في سوريا من عدم إلحاق الضرر بالعلاقة مع ناصر وذلك بسبب توقيع الأستاذين أكرم الحوراني وصالح الدين البيطار على ما سمي فيما بعد بوثيقة الانفصال، تلك الوثيقة التي كان لها وقع صاعق على كل مواطن عربي وعراقي وبشكل خاص البعثيين، وأدت إلى خلافات وانشقاقات في صفوف الحزب فخرج فؤاد الركابي وشكل تنظيمًا ناصرياً بإسم "الوحدويين الاشتراكيين". في حين وقف الريماعي وكان لاجئاً في القاهرة ضد إعادة التنظيم في سوريا ضد استقالة الحوراني (نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة) والوزراء البعثيين الثلاثة.

وفسر حزب البعث استقالة وزرائه بأنها كانت أشبه بصافرة إنذار للحكم الوحدوي الذي ضم مصر وسوريا كي ينتبه إلى خطر السقوط ويصحح مسيرته، وساعده في ذلك أن بعض القوى القومية كحركة القوميين العرب قد اتخذت موقفاً مماثلاً، وعلى سبيل المثال: أذكر أن الأستاذين جورج حبش وهاني الهندي جاءا إلى بيروت للاجتماع بالقيادة القومية لحزب البعث وخلال اللقاء فوجئنا أن موقفهم اشد حدة من موقفنا. وقد اعتقدنا حينها أن موقف الحركيين يعود إلى معارضتهم لسلوك المباحث المصرية وللبرنامج الناصري للتطبيقات الاشتراكية في مصر ثم نسخة على علاته وتطبيقه في سوريا. وفي حقيقة الأمر لم تكن تلك التطبيقات "الاشتراكية" سوى تعزيز لرأسمالية الدولة بمعزل عن تفاعل الفئات الشعبية والمنظمات السياسية.

ولا ادري من كان صحيحاً بطرحه النظري ؟ ولكن المؤكد انه لا يمكن تحقيق الاشتراكية ولا تحقيق الوحدة بغير الوحدويين، وان تسلط المباحث المصرية والمكتب الثاني السوري الذي أصبح عبد الحميد السراج رمزاً له، لا يصلح درباً لوحدة عربية راسخة.

استبعاد الضباط البعثيين

كان إرسال الضباط البعثيين القادة وبينهم الرئيس السوري حافظ الأسد في مهمات شكلية بمثابة إبعاد قسري أثر بشدة على تماسك سلطة الوحدة وعلى مشاعر أعضاء حزب البعث وسبب لهم خيبة أمل كبيرة.

وقد علمنا فيما بعد أن الضباط البعثيين المبعدين إلى القاهرة كانوا يعقدون اجتماعات وينظمون أنفسهم ومناصريهم خارج وداخل سوريا. ووضعوا لأنفسهم هدفاً رئيسياً هو الدفاع عن الوحدة كلما تسنى لهم ذلك، خصوصاً إثر تحسّسهم بوجود تحركات ومشاورات بين بعض ضباط الجيش السوري للقيام بحركة انقلابية انفصالية، فقرروا تأسيس "اللجنة العسكرية" لتكون أداة التصدي القادرة على إسقاط وقلب أية حركة انقلابية ضد نظام الوحدة العربية.

ونأى الضباط (مؤسسو اللجنة العسكرية) بها عن إشراف وأساليب القيادة القومية التي رأوا أنها مسؤولة عن تردي مشروع الوحدة بسبب إذعانها لفكرة حل الحزب في سوريا. لقد أصبحت القيادة بالنسبة لهم مسؤولة عن إظهار الحزب والوحدة كأنهما نقيضان لا يمكن أن يعيش أحدهما بوجود الآخر.

وكان هذا في نظرهم خطأ تاريخياً كبيراً وغير ضروري لكي يضطر الحزب إلى التورط به وتحمل مسؤوليته. بل أن ما جرى يؤكد أن المتفاوضين من أجل إقامة الوحدة لم يعطوا أهمية كبيرة إلى مبدأ توفير مستلزمات البقاء لها بعد قيامها، وذلك عزز فقدان الثقة في إمكانية ميشيل عفلق وطاقمه على تجاوز أزمة الحزب المفتعلة، في وقت أثارت استقالة الوزراء البعثيين من حكومة الوحدة نوبة شك جديدة بين الطرفين.

ولم يقتصر الشعور بالإحباط من إدارة ميشيل عفلق لقيادة الحزب على العسكريين وحدهم بل هناك المئات من المدنيين الناقمين على قرار حل التنظيم، لكن ما كان يعرفه السوريون لم تطلع عليه جيداً منظمات الحزب في الأقطار العربية الأخرى التي تمسكت بأسماء بعض رموز القيادة التاريخية وتم رفع بعضهم عند كثيرين إلى مستوى القديسين، رغم تخلفهم وبطلانهم في التعامل مع المتغيرات.

وفعلاً فقد كنا نحن العراقيين نحتاج إلى بعض الوقت لكي نفهم أن القوة الضاربة في الحزب وهم الضباط، ويتعاطف معهم مدنيون كثيرون، لم يكونوا مقتنعين بإدارة ميشيل أو بخطه ومسيرته.

وأساء للوضع أكثر إقدام أكرم الخوراني على دعم الحركة الانفصالية وجرّ معه صلاح الدين البيطار ليقع على وثيقة سيئة مع زعماء الانفصال، تلك الوثيقة التي كادت أن تلحق بسبب توقيعها بالغ الضرر بسمعة البعث، لولا ردة الفعل السريعة من قبل منظمات الحزب

وإصدارها بيانات ضد حركة الانفصال وتأييداً لجمال عبد الناصر وقد فعلت قيادة قطر العراق ذلك فوراً^(١).

ولم ينفك أكرم الحوراني بعد يوم واحد من وضع توقيعه على الوثيقة حينما اخذ يبكي بكاء النساء في مأتم. وقد أطلق عبد الناصر عليها اسم "وثيقة الانفصال عن الوحدة".

إن عملية الاستقالة من الوزارة ومن منصب نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة كانت بمثابة المسمار الذي دق في نعش الوحدة. وعندما قابلنا جمال عبد الناصر أنا وميشيل عفلق في وقت مبكر من شهر نيسان ١٩٦٣ قبيل محادثات الوحدة الثلاثية قال لنا بصراحة: لا اعتبر أنكم استقلت من الوزارة بل استقلت من الوحدة.

أجواء المؤتمر وبعض نتائجه

كان المؤتمر الثالث وكذلك الرابع قريين زمنياً من بعضهما وبخلاف نفس القضايا ويعتبران مرحلة فاصلة في تاريخ حزب البعث وفي علاقته بعبد الناصر. وكان ميشيل عفلق هو السوري الوحيد الذي حضر المؤتمرين متحدياً بذلك قرار حل الحزب في القطر العربي السوري. ومن جانب آخر فقد انعقد المؤتمران في ظل أجواء غاية في الأهمية للمنطقة والعالم، تميزت بحساسية العلاقة بين عبد الناصر والاتحاد السوفيتي والأحزاب الشيوعية العربية خصوصاً في أعقاب حركة الشواف والمد الأحمر المدعوم من قبل قاسم والسوفيت. وكان جمال عبد الناصر قد خطب في دمشق وتحدى خروتشيف قائلاً: نحن في العالم العربي لا نخضع للقرار السوفيتي. وأطلق مقولته الشهيرة في وصف عبد الكريم "بقاسم العراق". فقابل قاسم ذلك بتوجيه

١ — أصدرت قيادة قطر العراق لحزب البعث في ١٩٦٢/٩/٢٩ بياناً تحت عنوان "الترفع عالياً راية الجمهورية العربية المتحدة ولتقبر مؤامرات الانفصاليين عملاء الاستعمار والرجعية"، ونصه: "كشف التمرد العسكري في الإقليم الشمالي عن هويته الرجعية الانفصالية وارتباطاته بمخططات مشبوهة هي أوسع من واقع الإقليم الشمالي الداخلي ومن طبيعة الحكم في الجمهورية العربية المتحدة. فبالرغم من تشبث بيانات الانقلاب بأن التمرد جاء انتفاضة على الأوضاع الدكتاتورية وسياسة التسلط في الجمهورية العربية المتحدة وبالرغم من تلويح بيانات الانقلاب للشعب بالحرية والديمقراطية فإن العناصر العربية المؤمنة وعلى رأسها حزبنا المناضل تعي أن أخطاء الحكم ونقائصه لا يمكن اصلاحها بما يحقق مصلحة الشعب إلا ضمن الإلتزام بالمفهوم القومي الاشتراكي الديمقراطي التقدمي الذي يضع صيانة وحدة إقليمي الجمهورية العربية المتحدة والدفاع عنها ضد المؤامرات الرجعية والاستعمارية والشعبوية في أولويات مهامه النضالية. إن معالجة أخطاء الحكم في الجمهورية العربية المتحدة لا تتم إلا ضمن الوحدة نفسها وضمن مسؤولية الدفاع عن كيان هذه الوحدة. لقد عبر الشعب العربي في سوريا عام ١٩٥٨ بإجماع تاريخي عن رغبته العارمة بالوحدة وعن إيمانه بها واستعداده للنضال في سبيلها. وإن ما حدث من أخطاء اقترفها حكام الجمهورية العربية المتحدة خلال حكم الوحدة لم يغير من إيمان الشعب العربي بالوحدة وتمسكه بها بل انبعاثت عجز حكام الجمهورية العربية المتحدة عن استيعاب المضمون التقدمي للوحدة وعن حقيقة القوى الشعبية المؤمنة بها.."

المهداوي وماجد أمين بكيل النعوت إلى مصر بدءاً من "المشير الفطير، والحشاشين" ثم مهاجمة عبد الناصر ومعاونيه بأسمائهم. هذا وسادت الأجواء العربية كلها شيء من الغموض وفقدان الاتجاه فالجميع يستعد للصراع دون أن يمتلك خطة أو هدفاً محدداً.

وحيثذاك كان البعث مثقناً بالجراح بعد فشل الشواف ، وسادت أجواء من عدم الثقة بينه وبين القوميين بسبب تصرفات غير مسؤولة، في وقت كان في أمس الحاجة إلى علاقات طيبة معهم، وليس من شك أن ذلك يعود إلى تعثر العلاقة بين ممثلي البعث في حكومة الوحدة والأجهزة المصرية خصوصاً رجلها المعتمد في سوريا عبد الحميد السراج الذي كان يشرف بنفس الوقت على سياسة عبد الناصر "العراقية" وعلى العلاقة بين مصر والأحزاب القومية في العراق. بما في ذلك مع البعث رغم الخصومة بينهما. وزرع ذلك عدم الثقة رغم الاحترام الذي نكسه لعبد الناصر فقد كنا نذهب إلى السجن ونحن نهتف بحياته.

في مثل هذه الأجواء التقيت بميشيل عفلق وكنت مثل كل بعثي في الوطن العربي احمل له في قلبي إعجاباً كبيراً فيه نوع من التأليه، لكن لِقائي الأول معه حمل نوعاً من خيبة الأمل فلم يتمكن من بعث النار في صدري ولم يحرّض في ما جئت احمله من آمال وآلام ثورية إلا إننا كنا مدربين على انتظار النبوءة فاعتقدت مؤقتاً أن في صمته شيء من الحكمة.

لقد نجحنا نحن العراقيين في إقناع المؤتمر القومي الثالث بأن نجاح البعث في العراق في استلام السلطة سيساهم في إنقاذ الوحدة واستعادة التوازن العقائدي والجغرافي إليها، ذلك التوازن الذي كان مفقوداً بين سوريا ومصر ، فلم يكن رجال سوريا في وحدة ١٩٥٨ شركاء في القرار السياسي الذي هيمن عليه المصريون تماماً. وبهذا يكون المؤتمر الثالث قد مهد للقرار التاريخي الذي اقره المؤتمر الرابع والذي شكل الأساس الشرعي للاستعداد لإقامة دولة البعث في سوريا والعراق والاستقلال حزب البعث عن خط عبد الناصر مع استمرار الارتباط بالعربية المتحدة باعتبارها الأداة الوحيدة القائمة والمتاحة لتحقيق الوحدة العربية المنشودة ولتحقيق التقدم السياسي العربي^(١).

١ — لم يستطع عفلق خلال المؤتمر القومي الثالث التغلب على الركابي فخطط لإضعافه بفصل حليفه عبد الله الريمائي بحجة ابتعاده عن الحزب واقتربه الشديد من عبد الناصر وقد نجح في ذلك. وكمقدمة لحشد القوى للمؤتمر الرابع الذي انعقد في صيف ١٩٦٠ هياً لإحضار الوفود من الأقطار العربية ومن المنظمات الحزبية الرافدة، وجاء من العراق علي السعدي وعبد الستار الدوري وتحسين معلقة وحازم جواد وطالب شبيب وحبيب الدوري وهاني الفكيكي وحبيب الحيزران وسعدون حمادي وحسن وادي، وغيرهم ، وجاء من بريطانيا عبد الجبار الشطب وعضو احتياط (بهاء شبيب) وحضر من لبنان جبران مجدلاوي وعبد الوهاب شميطي وخالد يشرطي ومن الأردن سليمان حديدي وبهجة أبو غريبة وكمال ناصر وغيرهم كثيرون . وكان المؤتمر على درجة كبيرة من التنظيم والتعبئة وبسببه تمكن عفلق من تجميد فؤاد الركابي الذي ترك وراءه فراغاً قيادياً رغم عدم تمكنه من كسب البعثيين بعد خروجه من الحزب. ولم يتمكن عفلق من هزيمة الركابي إلا بعد فشل محاولة اغتيال قاسم التي أظهرت الركابي مرتكباً، وبعد تمكنه من فصل

وكان من نتائج المؤتمر الثالث أيضاً انتخاب قيادة قومية جديدة وجعل بيروت مقراً لها، بعيداً عن تسلط رجال المكتب الثاني في دمشق. وأصبحت، لأول مرة، عضواً في القيادة القومية مع كل من فؤاد الركابي ومدحت إبراهيم جمعة وفيصل حبيب الخيزران. ولم يكن اختيارهم لي بسبب مواهب الشخصية وإنما بحكم عضويتي في القيادة القطرية العراقية، ولأن القيادة القومية الجديدة أجمعت على إن مفتاح البعث هو العراق، ولم يكن شأني سيرتفع بهذه السرعة لولا اختيار فؤاد الركابي لي لتمثيل العراق في المؤتمر الذي انعقد في تموز أو حزيران ١٩٥٩ في بيروت. وهكذا وجدت نفسي فجأة مسؤولاً عن تنظيمات الأقطار العربية والمنظمات الحزبية في أوروبا وأصبحت صليتي بميشيل عفلق يومية بوصفه أمين السر العام.

حليفه الرماوي. وكان البعثيون قد انشغلوا في المؤتمر في البحث عن طريق خاص بهم للوحدة العربية، يتميز عن أسلوب وسياسة جمال عبد الناصر، وكان ظاهراً تأثير حوار البعثيين داخل المؤتمر بمثقتي سوريا ولبنان الذين تميزت ثقافتهم عن الثقافة الناصرية لكنهم لم يتناقضوا معها. وخلال انعقاد المؤتمر الرابع حضر صلاح الدين البيطار إلى بيروت وأقام دعوة لأعضائه في بمحمدون دون أن يجرؤ على حضوره، وحذر أعضائه من رغبة عفلق بفصل فؤاد الركابي ولم يعتبر أن السير في ركاب عبد الناصر جريمة تستحق الفصل من الحزب وقال ليس إعداد الكوادر أمراً سهلاً ليجري فصلهم بسهولة. وتحدث عن أهمية المحافظة على الديمقراطية داخل الحزب. لكن عفلق كان قد احكم خطته ونفذ ما عقد العزم عليه. وكنا نحن الدماء الجديدة التي صوتت وحقت له رغباته.

التهية لثورة رمضان صوت صادق ويد قوية

ازدادت قوة البعث في العراق بعد محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في رأس القرية بشارع الرشيد في بغداد عام ١٩٥٩. واقتنعت قيادة حزب البعث المدنية أن العسكريين القوميين والبعثيين، سيستمرون في ترددهم وتذبذبهم السياسي إذا هي لم تبادر بوضع خطة إسقاط النظام وتنفيذها. ورغم الوعي بضرورة تجنب المحاولات الفردية، فقد بحثنا عدة مشروعات للتخلص من قاسم بينها إسقاط الطائرة التي سيستقلها لافتتاح سد دربندخان أو إلى الرطبة، أو اغتياله في كربلاء خلال حضوره احتفال ديني، ويكون مقدمة لتدبير عسكري في بغداد.

أفترحت المشاريع كلها من قبل عبد الستار عبد اللطيف وصالح مهدي عمّاش في المكتب العسكري وكان السعدي يأتي بها إلى القيادة القطرية، نحللها ونناقش احتمالات النجاح والفشل بما في ذلك الجوانب العسكرية الفنية، فنرفض أو نوافق. ولكي يكون عملنا أكثر نضجاً، قال السعدي: أنا لا أستطيع إقناع العسكر بأن رفاقهم المدنيين قادرون على معالجة كل الجوانب الفنية المطروحة. فلم لا نضيف نصف المكتب السياسي إلى عضوية المكتب العسكري لتوسيعه وجعله مؤسسة عسكرية وسياسية وكانت تلك نقلة ذكية وحضارية في عملنا. وهكذا أبلغ المكتب العسكري بإضافة حازم جواد وأنا إلى عضويته بالإضافة إلى رئيسه السعدي. كما أبلغ بموافقة القيادتين القطرية والقومية على القيام بثورة بشرط موافقتها على الشكل النهائي للعمل. وبذلك لم يعد قرار الثورة فنياً مرهوناً بإرادة العسكريين بل أصبح مديناً ثم عسكرياً. ورغم أن المدنيين لم تكن لديهم معرفة بوسائل القتال العسكرية لكن إرادتهم كفيلة بإيجاد الدور والوسائل المفيدة والرافدة للعمل العسكري. فقيادة الحزب المدنية هي التي قررت أن تكون كتيبة الدبابات الرابعة نقطة انطلاق حركتها القادمة.

كل شيء في سبيل الأعداد للثورة

وعلى مدى سنتين بُذلت جهود كثيرة لنقل ضباط الدروع البعثيين الشباب إلى الكتيبة الرابعة. وجاء اختيارها دون غيرها بسبب قربها من مراسلات البث الإذاعي ومن مخازن العتاد

والوقود، ولان قائدها المقدم خالد مكّي الهاشمي ضابط بعثي^(١).

ولقلة عدد ضباط الصف والجنود المنتظمين في صفوف حزب البعث، كان يجب حشد أكبر عدد من الضباط الموالين، المتقاعدين والعاملين في قطعات أخرى يوم إعلان الثورة إلى مقر الكتبية الرابعة، ليصبح عددهم كافياً للقيادة والرمية والسياقة داخل الدبابات . وكان استبعاد ضباط الصف عن قيادة الدبابات أكثر ضماناً لنا.

وكانت القيادة القطرية وحدها التي تعين الضباط أو تضيفهم إلى مجلس الثورة المزمع إعلانه، ولم يكن ذياب العلكاوي عضواً في مجلس الثورة إلا بعد نجاحها ، وربما يكون قد حضر بعض اللقاءات هنا أو هناك ، لكن ما كتبه برسالته إلى العميد خليل إبراهيم ليس كله صحيحاً^(٢). فمن الناحية العملية لم يكن هناك أي مجلس لقيادة الثورة بل كان مجرد فكرة في أذهاننا، وأولئك الذين حضروا معنا اجتماعاً واحداً أو اجتماعين قبل ٨ شباط رشحوا لعضوية المجلس فيما بعد . وكل شيء كان تحت إمرة القيادة القطرية، بشكل خاص علي صالح السعدي وحازم جواد وطالب شبيب وكريم شنتاف. وكان حمدي عبد المجيد منتدباً للعمل في سوريا ، ومحسن الشيخ راضي معتقلاً منذ فترة طويلة ، وحميد خلخال استبعدناه لكي يقوم ببناء وتجهيز نشاط الحزب في حال فشل الثورة. وصباح يوم الثورة وبينما كان الجميع يتصورون أشخاصاً كثيرين في عضوية مجلس قيادة الثورة ، في حين كنا أنا وحازم جواد عضوي القيادة القطرية الوحيدين الموجودين عملياً في قيادة الثورة ، وعندما نذيع التعليمات والتوجيهات من مراسلات البث الإذاعي تأخذ طريقها للتنفيذ بلا نقاش ، لأنه لم يكن هناك أحد يشاركنا القرار السياسي قبل إطلاق سراح علي ومحسن وكريم والتحاقهم بنا . أما الآخرون بمن فيهم احمد حسن البكر فكانوا قادة تنفيذيين . وحتى في داخل المكتب العسكري للبعث فقد كنا نحن الثلاثة علي وحازم وأنا أعضاء فيه وقيادة له في نفس الوقت ، لنا أن نوافق أو نرفض اقتراحاته. وفي المجال السياسي كان لابد أن نقوم بخطوة تعبوية إلى جانب التعبئة العسكرية ، فقد لعبت قيادة حزب البعث الدور الحاسم في إقامة نوع من الجبهة القومية أو "التجمع القومي"^(٣) وحضرت اجتماعاته ممثلاً للبعث وحضر عن القوميين محمد صديق شنشل الذي

١ — ضباط كتبية الدبابات الرابعة البعثيون غداة الحركة هم: صلاح الطبقجلي (رائد) والملازمون سعدون فليح العاني ، وجدي ناجي، هاشم عبد الجبار، سعدي طعمة الجبوري، عدنان دحام العزاوي، طارق صادق، كامل نعمة، هاشم إسماعيل، رياض قدو، نعمة فارس، محمد الويس وغيرهم.

٢ — ذياب العلكاوي . رسالة شخصية إلى العميد خليل إبراهيم حسين . موسوعة ١٤ تموز - عبد الكريم قاسم ، السقوط.

٣ — سماها الشيوعيون بـ "جبهة أعداء الشيوعية" وقال عنها سلام عادل السكرتير الأول للحزب الشيوعي قبل عام ١٩٦٣ متوهاً أنها ضعيفة : "ان الوضع العام يتميز بتفكك جبهة أعداء الشيوعية التي قامت من أكثر من ثلاث سنوات . . . ويذكر ان هذه الجبهة كانت نظرية ولم يرافقها على الأرض أعمال مشتركة بقيادتها ، لكنها

رابطني به علاقة صداقة خاصة ، واستمعت باستمرار إلى نصائحه الصادقة الصادرة عن دراية وحصافة.

المدني يقود العسكري !

أكدت نجاحاتنا في إقامة "التجمع القومي" كخطأ سياسي ، وفي تشكيلة المكتب العسكري الجديدة وفي قيادة إضراب السيارات وتعطيل حركة المرور ثم تعطيل الدراسة رغم اعتقال العشرات من الطلبة البعثيين ومؤيديهم وغيرها من النشاطات ، بأن المدني يقود العسكري وأصبحت قيادة حزب البعث المدنية قوة يخشاها ويحترمها قادة الوحدات العسكرية بل ويوافقون على الخضوع لها^(١).

كانت ضرورية لتوحيد رأي وكلمة القوميين مختلف اتجاهاتهم ضد الشيوعيين وضد عبد الكريم قاسم. واستمرت الجبهة قائمة شكلياً حتى ٨ شباط ، رغم حروح حركة القوميين العرب منها بسبب استقالة الوزراء البعثيين السوريين من وزارة دولة الوحدة وغضب عبد الناصر منهم.

١ - تكونت تشكيلة المكتب العسكري الجديدة من علي السعدي رئيساً وعضوية حازم جواد وطالب شبيب ، أحمد حسن البكر ، صالح مهدي عماش ، عبد الستار عبد اللطيف ، وخالد مكي الهاشمي ومنذر الوندائي وحردان التكريتي. وفي نهاية عام ١٩٦٢ أضيف العقيد عبد الكريم مصطفى نصرت والعقيد ذياب العلكاوي لتعزيز المكتب برتب كبيرة ، وأيضاً بسبب تغيب حردان لوجوده في كركوك وخالد الهاشمي الذي انهار أمام عبد الكريم قاسم . واستحول تشكيلة المكتب الأخيرة بعد نجاح الثورة إلى المجلس الوطني لقيادة الثورة بعد إضافة هاني الفكيكي ومحسن الشيخ راضي وعبد السلام عارف وسعدون حمادي وعبد الغني الراوي وطاهر يحيى التكريتي وكريم شنتاف وحمدي عبد المجيد ، وبحق حضور اثنين من أعضاء قيادة فرع بغداد بحسب الحاجة والاختصاص فضلاً عن الرئيس الأول أنسور عبد القادر الحديشي بصفته سكرتير المجلس . أما المكتب العسكري الأصلي السابق على التشكيلة الجديدة فاعضأه هم علي السعدي رئيساً وعضوية صالح مهدي عماش وعلاء الدين الجنابي ومنذر الوندائي. ودخل سامي سلطان محل محمد علي السباهي الذي خرج بسبب ميله لفؤاد الركابي وجمال عبد الناصر ، وفي الغالب كان الفكيكي يحضر الاجتماعات معاوناً لعلّي السعدي . واتبع هذا المكتب طرقاً تنظيمية وأخلاقية شديدة الانضباط ، وهو القائد الحقيقي للتنظيم العسكري البعثي. وجاء المكتب الجديد كخطوة تنفيذية متقدمة كانت بمثابة لجة تنفيذ التحرك العسكري والسياسي وقد وضعت تحت تصرفها كل إمكانيات الحزب العسكرية والسياسية. ويرى طالب الشبيب[١]: إن هناك قيادة واحدة للثورة تعمل سراً وتتكون من علي وحازم وطالب يقودون الحزب المدني والعسكري ويتعاونون مع البكر لإقامة علاقات طيبة من ضباط برتب عالية وتحضيرهم للمساهمة بالثورة عندما يتطلب الأمر كالعقيد طاهر يحيى التكريتي والعقيد عبد الغني الراوي والعقيد رشيد مصلح والمقدم الجوي عارف عبد الرزاق والمقدم عبد اللطيف الحديشي والمقدم سعيد صليبي والمقدم حسن النقيب والعقيد عبد الكريم نصرت والمقدم خالد الهاشمي والمقدم عبد الستار عبد اللطيف وأنور عبد القادر الحديشي . وكان حزب البعث منذ المؤتمر القومي الثالث قد ركز نشاطه اللاحق كله ليقدم هدفاً واحداً فقط هو إسقاط واستلام السلطة ، وحتى لا يحصل ما حصل أثناء محاولة اغتيال قاسم من تناقض بين القطرية والقومية فقد حرص البعثيون في العراق على عرض مشروعهم على المؤتمر القومي الرابع الذي انتخب مندوبيه للمؤتمر الخامس وكانوا : علي وحازم وطالب ومحسن وحمدي وشنتاف والخيزران والفكيكي وخلخال وصدقي أبو طيخ وحسن ذهب وبهاء شبيب وحسن وادي وهؤلاء عرضوا مشروعهم للاستيلاء على السلطة فوافق عليه المؤتمر.

إن أهم ما أعطته تلك النجاحات للعسكريين هو الاطمئنان إلى قدرة وإمكانية المدنيين البعثيين في مواجهة وعرقلة تنظيمات الحزب الشيوعي التي يحتمل أن تتصدى للثورة دفاعاً عن نظام قاسم . كما أكدت أن البعثيين ليسوا مجرد فرق اغتيال وإنما هم مؤسسة قوية عسكرية ومدنية فعالة ومبادرة.

وفي أول اجتماع للمكتب العسكري بتشكيلته التنفيذية نوقشت أفكار اشمل من الاغتيال الفردي لشخص الزعيم عبد الكريم. وقد فرض وجود المدنيين فيه بحث الشأن السياسي فيه أيضاً. فتسائل عبد الستار عبد اللطيف : لماذا لا نغتناله بدبابة بدلاً من بندقيّة؟ وتأسيساً على هذه الملاحظة توسعنا بأفكارنا وتحضيراتنا لنصل إلى الشكل النهائي الذي وصلنا إليه .

وفي أجواء التحضير للثورة جاءني الأستاذ محمد صديق شنشل وسيطاً وقال: اقترحوا لنا ثلاثة وزراء بعثيين وسيعينهم عبد الكريم قاسم فوراً. ورجاني ان اخبر قيادة الحزب ان الاقتراح صادر عن قاسم مباشرة، فأجبناه : يا أستاذ صديق ان هذا الاقتراح لم يحصل إلا تحت ضغط إضراب الطلبة المخرج للحكومة. ثم إن بياناتنا وصحافتنا الحزبية السرية تدعو بشكل متواصل إلى إسقاط حكومة قاسم ، فكيف تطلب ان ندخل الوزارة ونحن على أبواب ثورة . نرجو منك ومن كل أعضاء التيار القومي ان تعلموا إننا صوت صادق ويد قوية. وسنطرح بالنظام وليس بيننا وبينه أي حوار . ونرجو أن لا ندع مثل هذه المبادرات تنسينا أمرنا وأنفسنا فقد حكمنا على نظام قاسم بالانتهاء^(١).

كنا نثق تماماً بإرادتنا على إزاحة عبد الكريم قاسم . وكان يهمننا جداً ان لا تعاون معه اية جهة قومية ، خوفاً من تميع المعركة ، ومن حرماننا من مساعدة القوميين عند إعلان الثورة . فقد كنا في معركة مصيرية ولا بدليل عن الذهاب في الصراع حتى نهايته.

وكان إبرام أول قرار حزبي قطري لبدء العمل على إسقاط الحكومة القاسمية قد حصل في اجتماع القيادة القطرية بشباط ١٩٦٢ . وتقرر فيه ان يكون البكر رئيساً للوزراء وصالح مهدي عمّاش وزيراً للدفاع والإبقاء على مجلس السيادة (نجيب الربيعة ومحمد مهدي كبة ، وخالد

١ - تركزت خلافات الضباط القوميين مع قاسم حول الشعور بالغين فيما يتعلق بمحاصرتهم من المناصب الحكومية السامية . في حين ميّز البعثيون أنفسهم عن بقية القوميين كدعاة فكرة اجتماعية ، ووحديون عرب يتحدثون عن الاشتراكية والمساواة ، فكسبوا للتيار القومي شباباً ووجوهاً لم تكن من حصته الكلاسيكية . وبلغ إيمان البعثيين بأفكارهم حد الرومانسية وذروة التحدي إلى الدرجة التي لم تستطع فيها محكمة المهدي وجلّاس قاعتها ان يفرضوا عليهم جو السخرية المعتاد . ففرضوا أنفسهم كمتهمين سياسيين وأصحاب رأي . وباستثناء سعيد قزاز لم تواجه محكمة الشعب ، قبل البعثيين ، غير متهمين متملقين وناديين بما في ذلك عبد السلام ورشيد عالي وغيرهم . فقد مزج البعثيون بين المنظمة السرية ورومانسية الفكرة القومية الشاملة ليضفوا على أفكارهم نوع من القدسية والالتزام وعلى أنفسهم شعوراً بامتلاك القوة التاريخية الغاية المندفعة نحو تحقيق "الرسالة الخالدة" .

النقشبندي) ، وان لا تشترك قيادة الحزب القطرية في الوزارة عدا حميد خلخال وذلك تعبيراً عن رغبة البعث في قيادة السلطة دون الغوص في تفاصيل مشاكلها، وكى لا تنحرف تحت ضغط مغريات الكثرة . وتقرر الاعتماد في التغيير على ضباط البعث الموجودين في وحدات فعالة قرب بغداد، وعلى القادرين على الالتحاق بوحدات قريبة . وأوصى الاجتماع ان تعتمد القيادة في التنفيذ بالدرجة الأولى على البعثيين بجناحيهم المدني والعسكري.

وسأقول لك بأني اشعر بالسخرية من أولئك الذين ينسبون قرار الثورة إلى هذه الجهة أو تلك . واعلم ان القرار اتخذته قيادة البعث القطرية العراقية ووافق عليه المؤتمر القطري الثالث ثم المؤتمر القومي الخامس . ولم يعلم عبد الناصر ولا القيادة القومية بتفاصيل أو موعد إعلان الثورة. وان أهم رجال الخطة قراراً وتحضيراً وتنفيذاً هم علي وحازم وطالب والبكر وعمّاش وعبد اللطيف والونداري وقيادة فرع بغداد . وكما قلت سابقاً كان محسن مسجوناً وحمدي بسوريا وحميد مستبعداً وحردان بعيداً والهاشمي منهجاً .

وفي مرحلة من مراحل الصراع والتحضير فوجئنا بمحاولات للتطبيع من قبل مصر مع حكومة عبد الكريم قاسم تحت شعار التضامن العربي وأدركنا أن ذلك سيكون على حساب التيار القومي في العراق وذلك يعني أيضاً أن عبد الناصر قد بدأ يقتنع بنهاية الجمهورية العربية المتحدة كأداة للوحدة ويتقبل قاسماً حاكماً للعراق.

ورغم تمكن عبد الكريم قاسم من تحقيق اجتماع في الرطبة مع الرئيس السوري ناظم القدسي، وانعقاد الاجتماع الوزاري لجامعة الدول العربية ببغداد بدعوة من وزير الخارجية هاشم جواد ومشاركة مصر فيه، فقد دفعت مشاعر التحدي أغلبنا إلى نقيض ما كان يسير عليه التيار الحكومي العربي.

وفي ذلك الطرف تجاذبنا خطان: أن نمضي قدماً في الهجوم أو نأخذ دور المدافع، فقررنا المبادرة والهجوم، وجاءت الفرصة عند زيارة أحمد بن بيلا لبغداد، وكان قاسم يرغب عن طريقه في التقرب للحصول على دعم وفك الحصار العربي عنه، واعتقد أن عبد الناصر شجع بن بيلا على زيارة العراق. وتصرفت قيادة قطر العراق دون العودة إلى القيادة القومية، وقلت السحر على الساحر، وأحبطت أشياء كثيرة في آن واحد، وذلك بعد أن تمكنت من قيادة التظاهرة الكبرى التي خرجت برغبة شعبية عامة وتهيئة بعثية منضبطة، فغطت مظاهر الاستقبال التي حملت شعارات معارضة للحكومة على الزيارة الرسمية وكان أهم شعار مطروح فيها هو "بن بيلا أهلاً بيك حزب البعث يحبك" ورفع فيها علم حزب البعث الذي هو علم فلسطين المحتلة.

وحينها لم يمتلك الحزب الشيوعي الشجاعة للتصدي للمظاهرة العفوية التي تمكّنا من قيادتها وكتبت صحيفة Economist عن تلك المظاهرة قائلة "رايات البعث تغطي استقبال بن بيلا" وأشرفنا كقيادة قطرية على المظاهرة عن كتب (من الرصيف) واعتبرناها تمريناً على

قدرتنا في الحشد والاندفاع، وامتحاناً لقدرة خصومنا في مواجهة إصرارنا، وقد تأكدنا من ضعف أجهزة الدولة في حالة مبادرتنا بعمل مفاجئ ضد الحكومة.

وعندما اقتربنا من إعداد قوانا واشتد نشاطنا، وشى بنا الشيوعيون وأشاروا بصحافتهم إلى قلب قوتنا "كتيبة الدبابات الرابعة"، باعتبارها مركز التحرك "المعادي"، وكان ما كان من إرسال قاسم على أمر الكتيبة خالد الهاشمي وتحذيره، وبدوره اعترف لقاسم بوجود ثلاثة آلاف قطعة سلاح خفيفة من رشاش ومسدس وقنابل يدوية، كانت الكتيبة تحتفظ بها وأعادها فوراً إلى مخازن وزارة الدفاع (ولم يكن قاسم يعلم بوجودها)، ووعده بإفراغ الدبابات من الماء والوقود^(١).

من نكسة الهاشمي إلى اعتقال السعدي

قطعنا شوطاً كبيراً في التهيؤ لمعركة فاصلة، وكنا كلما اقتربنا من التنفيذ نشعر أننا مقبلون على مواجهة ضميرية قاطعة. فإما ان يكون انقلاباً بعثياً أو لا نكون. وبدأنا نتجاوز كبوة الهاشمي بالاتصال الجاني بضباط كتيبته. وقام علي صالح السعدي بتلك المهمة وكان يعرفهم جميعاً، ولم يمر وقت طويل حتى أقتنعهم بالارتباط به، وكان أدائه متميزاً وشجاعاً، ومفخرة

١ — هناك أدلة كثيرة على ضعف خالد مكي الهاشمي وبينها، أولاً: ان الضابط عبد الجبار السعدي أخبر حزب البعث ان الهاشمي إنهار عند مقابلته قاسم، ووعده بتغييرات داخل الكتيبة وسلمه قائمة بأسماء ضباط بعثيين، وعلى ضوءها أعتقل عماش، وبدأ قاسم يتهيأ ويجمع معلومات لإحالة عدد كبير من الضباط على التقاعد لكنه فوجئ بالحركة. ورغم ذلك لم يعاقب البعث الهاشمي بسبب علاقته الطيبة بالسعدي وقربه من عماش. لكن السعدي ظل أرقاً وسأل الزعيم قاسم قبل إعدامه فيما إذا كان الذي أخبره بالحركة موجوداً بين القادة البعثيين داخل القاعة؟ وكان واضحاً شك السعدي بأن المخبر هو أحد قيادي الصف الأول. ولو استعرضنا أسماءهم لما عثرنا على شخص آخر غير الهاشمي تدور حوله الشبهة. ثانياً: لم يلتحق الهاشمي بالحركة بعد إعلانها إلا بعد الساعة الثانية عشرة ظهراً، أي بعد انضاح حظوظ نجاحها، رغم ان عبد الستار عبد اللطيف بلغه في يوم ٧ شباط بموعدها، وقد فسّر تأخره بالغضب من عدم إبلاغه سكرراً. ثالثاً: يقول عبد الكريم فرحان: "زارني في داري خالد مكي الهاشمي وكانت زيارته مفاجئة لم أتوقعها وجرت في معرفة أهدافها، لكنني قررت التزام الحذر، وبعد حديث قصير أبدى استعداده للعمل معنا. قلت: أنت تعرف شروطنا، فهل أنت موافق عليها؟ أجاب بالإيجاب ثم أقسم على القرآن وبعد قليل خرج. عجبت للأمر إذ كان بعثياً متحمساً خصوصاً بعد ان أصبح مرشحاً لتولي منصب رئيس أركان الجيش. ومهما يكن فلاني لم أره مرة ثانية ولم يسع إلى لقائي وظهر لي بعد ذلك عدم جديته أو التزامه ولعله أتى لمعرفة أي الفريقين أقوى وأهم وأقرب للوصول إلى الهدف"^[2]. أما خالد مكي نفسه فيبرر ذلك بقوله "كنت آنذاك أمر كتيبة الدبابات الرابعة وقد استدعيت من قبل عبد الكريم قاسم لمقابلته، حيث وردت إليه معلومات تفيد بأن هناك تحركاً لحزب البعث العربي الاشتراكي في الكتيبة وإشرافي، وأخذ يهددني ويتوعدني وحذرتني من إقامة أي نشاط حزبي داخل الكتيبة. ولهذا لم استطع إقامة أي اتصال مع الحزب، وكان أمر عبد الكريم يقضي بتفريغ دبابات الكتيبة من الماء والكانزولين بعد انتهاء كل تدريب"^[3]. ولذلك لم يشارك الهاشمي في اجتماعات المكتب العسكري الجديد ولا تلك التي سبقت ٨ شباط بأيام.

للجناح المدني الذي أثبت قدرته على إنجاز المهمات الاقتصادية. وعن طريق السعدي تأكد الضباط ان البعثيين المدنيين ليسوا اقل كفاءة من إخوانهم العسكريين، فزاد ذلك من ثقة قيادة الحزب بقدرتها على التحدي والإنجاز^(١).

بدأنا أول تمرينات الخطة بترتيبات للتغلب على مشكلة مياه الدبابات التي اتفق قاسم مع الهاشمي على إفراغها منه بعد كل تدريب. فنحننا، اعتماداً على ولاء البعثيين والقوميين من ضباط وضباط صف، بتفريغ جزء من مياهها على الرمل، وبمجرد مغادرة المفتش، يتم إغلاق الصنبور وبهذا يصبح بمقدورهم الاعتذار في حالة التفتيش بأنهم تصوروا إنها فرغت. وكان علينا في يوم الثورة ان نتوقع فراغ راديترات بعض الدبابات من الماء وعدم قدرتها على الوصول إلى مخازن العتاد، إذ لم يكن ممكناً إبلاغ جميع المشرفين على الدبابات بخطتنا.

المهم كنا نجرب كل جزء من الخطة عملياً وبطريقة من الطرق ، وعملنا بلا كلل ألحقنا الليل بالنهار ، لنفاجئ قاسم بالثورة عليه . ومن جانبه اجتهد ونشط ليضع يده على مؤامرة ،

١ — تعددت نشاطات الجناح المدني للبعث وتمكن من إحراج حكومة عبد الكريم قاسم وفضح عدم قدرتها على إنهاء إضراب الطلبة الذي بدأ في ١٩٦٢/١٢/٢٩ واستمر حتى ٨ شباط ١٩٦٣. لكن قاسم لم يستخدم أساليب تعسفية مماثل ما أصبحت تفعله الحكومات اللاحقة . غير ان الشيوعيين أدرکوا ان الإضراب سيلحق الضرر بمعنويات أنصارهم وأنصار قاسم فشكّلوا لجنة عليا لكسره أو التفاهم مع المشرفين عليه ، ورعى اجتماعها الأول سلام عادل شخصياً عندما اجتمع بطلاب شيوعيين جاءوا من مختلف مدارس ومعاهد وكليات بغداد في بيت حزبي ظاهره محلج كبير للقطن ، وتحدث فيه عن ضرورة كسر الإضراب أو إقناع البعثيين ان يتعاونوا مع الشيوعيين على تطويره والاتفاق على أهدافه وحدوده السياسية[4]. وفي نفس الإطار التقى مظفر النواب (شيوعي) مع يحيى الخطيب (بعثي) وطرح عليه إعلان إضراب مشترك في الكاظمية وهي المدينة التي لم ينجح فيها إضراب الطلبة البعثيين ، والاتفاق على شعارات مثل تعميم الديمقراطية والانتخابات الحرة وتشكيل حكومة [تلافية][5]. لكن حزب البعث كان حين ذاك قد أصبح في مدى المعركة ويسابق الزمن لمفاجأة الجميع ، ومقابل التنسيق مع الشيوعيين على خطوات جزئية ، ثكف أعضائه بأن الإضراب يجب ان يصمد لأنه حلقة في سلسلة من النشاطات التحضيرية لإسقاط الحكومة. ومن اجل عدم تسلل التردد إلى صفوفهم كتبت جريدة الاشتراكي السرية الناطقة بلسان البعث مقالاً أكد على ان اليد التي تتعامل مع الشيوعيين تقطع!! وكان البعث، تمهيداً للتعينة المستمرة المتصاعدة، قد نجح في توسيع نشاطه في أوساط العمال ودفعهم لدعم الطلبة واصدر جريدة بإسم "وعي العمال" وخاض بنجاح انتخابات نقابات المعلمين والاقتصاديين والمهندسين واشرك القوميين في كل نشاطاته الشعبية وخسر وإياهم في سبيل ذلك عدداً من الشهداء والسجناء . ولأهمية إضراب الطلبة أشرفت القطرية مباشرة على توجيهه فقد كان المشرف على الإضراب ومسؤول مكتب الطلبة عبد الستار الدوري يزور يومياً دار طالب الشبيب لبحث الأمر مع القيادة[6] وأهم ما حققه الإضراب هو ان منظمات الحزب تمكنت من اختيار النشيطين لتشكيل "لجان الإنذار" وتدريبها على السلاح نظرياً وعملياً ، وعلى سبيل المثال اتفد بعضهم من خان الحاج محسن بمنطقة الصرافية بعد الجسر الحديد ، مركزاً للتدريب العملي وتدرت فيه عدة مجموعات من شباب البعث بينها مجموعة إبراهيم غانم وأياد علاوي وفوزي الراوي وطارق الراوي، وتم تقسيم اللجان إلى مجموعات صغيرة كل واحدة أربعة أو خمسة ، وهؤلاء نزلوا إلى شوارع بغداد ونفذوا مهماتهم وأصبح اسمهم قوات الحرس القومي .

يملك مؤشرات كافية عن وجودها ، لكنه لا يعرف بالضبط أين يضرب ؟ لتكون ضربته حاسمة . وكان سباقاً لم تكن مرئيين فيه ، وكان قاسم مكشوفاً يقود دولة بلا أسرار ، ويعمل في مؤسساته الحساسة المدنية والعسكرية موظفون وضباط ينتمون إلى مختلف الاتجاهات السياسية في البلاد .

وفي ٤ شباط ١٩٦٣ اجتمع المكتب السياسي للبعث ، علي السعدي وحازم جواد وأنا وكریم شنتاف في داري فوضعنا اللمسات النهائية للخطة وإقراراً أخيراً للتشكيلات التنفيذية كالمجلس الوطني لقيادة الثورة ، ومجلس الوزراء والقيادة العامة لقوات الحرس القومي وغيرها . وبعد إتمام الخطة والمصادقة عليها ، ودراسة كافة التعديلات المقترحة من المكتب العسكري وقيادة فرع بغداد ، وتثبيت يوم ٨ شباط موعداً لإعلان الثورة ، شعرنا بالرغبة للاحتفال ، فذهبت بسيارتي لشراء الويسكي وبعض اللوازم ، وذهب حازم إلى حيث تنتظره قيادة فرع بغداد بناءً على موعد سابق لإبلاغهم بأخر نسخة من واجباتهم المتسقة مع حركة الوحدات العسكرية . ولم يكن معنا في ذلك الاجتماع أي ضابط ، لكن اجتماعاً آخر تقرر في اليوم التالي ٥ شباط في منزلي أيضاً وسيحضره كل أعضاء المكتب العسكري بمن فيهم الضباط المقترحوں لعضوية المجلس الوطني كالعكاوي ونصرت . وكنت انتظر مساء اليوم نفسه عودة بهاء من اجتماع لجان الإنذار في الأعظمية وأخي الملازم عماد الشبيب .

وعند عودتي بلوازم الاحتفال وبعد عبور جسر العظيمة ، رأيت سلام خشبية موضوعة على جدران منزلنا المحاط بعدد من الانضباط العسكري . وبتلقائية بادرت لإطفاء محرك سيارتي ونورها وصففتها وراء السيارات الواقفة على الجانب الآخر من الشارع ، فأشعل الأمر علي اثنين من الانضباط العسكري الذين تابعا بدراجتهما الناريّتين سيارة أخرى سبقتني في الدخول إلى الشارع . وللتجربة اتصلت من تلفون خارجي ، قلت للمتحدث أريد ان أتكلّم مع (طالب الشبيب) فأجابني انه موجود في الحمام وسيكلمك . وحينذاك أدركت استيلاءهم على الدار (الرجال والسلاح) . فقلت يا ابن الـ (...). أنا طالب شبيب وأنت "قواد" ، واعلم إذا أنت أو غيرك مسستم شعرة واحدة من المعتقلين فسنعاقبكم انتم وعوائلكم وأطفالكم وأنت شخصياً تحت مراقبتنا ، نحن نعرفكم جميعاً ، ثم أغلقت السماعة^(١) . وأظنهم استجابوا للتهديد ولم

١ — يقول بهاء الشبيب : عدت في مساء ٤ شباط إلى دارنا بعد اجتماع مطول في الأعظمية لترتيب مهمات الإنذار التي شكّلت قبل ٨ شباط بثمانية اشهر وضمت العشرات من أعضاء وانصار الحزب وعسكريين متقاعدین توزعت مهماتهم بين السيطرة على الجسور ومداهمة بيوت الضباط القادة واعتقال الضباط غير المبلغين بكلمة السر ، وابغنا الجميع ان يتأهبوا وحملت معي ورقة تضم الاسم الأول لكل عضو والمهمات والسلاح المطلوب . وما إن دخلت حديقة دارنا حتى هب بوجهي حوالي عشرين رجل أمن من الجانبين وقادوني للدخول . ففوجئت بعلي السعدي وشنتاف معتقلين ، وفوراً اختلقت شجاراً مع أحد الضباط ومنعته من تفتيشي لاني ضابط فأشار إلى وجود انضباط عسكري معهم وهم بضري فهاجمته أخي (أديبة) التي فهّمت ما اقصده وتشاجرنا أنا وهي معهم بالأيدي ، وتظاهرت بالإغماء

يمسوا أحداً بسوء . وقد تملكني وأنا أتحدث على الهاتف مع رجل الأمن شعور المقاتل وسط الميدان بل وحضر في أعماقي الجواهري الكبير :

أنا حتفهم ألج البيوت عليهم أغري الوليد بشتهم والحاجبا

تركز هدي علي إنقاذ حازم جواد والاتصال بأحمد حسن البكر لمنع أعضاء المكتب العسكري من الحضور غداً إلى داري . . . كان حازم جواد مسؤول فرع بغداد ويجمع بقيادته الآن ولم أكن أعلم أين يجتمعون لكي أعلم أنه لم يذهب بعيداً وسعود قريباً لأن سيارته مازالت واقفة أمام منزلي . وفجأة وقع نظري على سعد قاسم حمودي ماشياً صوب داري التي لم تكن كراً حزيناً سرياً ، ولم نتفق على إشارة خاصة مع أكثر القادمين إليها ، بل كانت منزلاً عائلياً وكنا نفترض بكل القادمين إليها الاعتماد على حسهم الأمني وحذرهم الخاص ، وكانت أشبه بمضافة مفتوحة للبعثيين القياديين ، وللأقارب القادمين من الفرات الأوسط الذين طالما أنقلوا ميزانيتي الشحيحة أصلاً .

أخبرت سعد بما حصل وسألته فأشار إلى بيت قريب هو بيت صباح محمد علي (عضو قيادة فرع بغداد) وقال ان حازم موجود هناك . طرقت الباب فخرج صباح وأنكر معرفته بحازم جواد . قلت : أنا طالب شبيب عضو القيادة القطرية وحازم جواد مسؤولكم ، وقد داهم

فدفعني إلى الحمام فابتلعت نصف الورقة ورمت هي النصف الآخر في المرحاض . وكانت (أديبة) قد فعلت الأمر نفسه مع السعدي وعاونته في التخلص من أوراق خطيرة فيها أسماء مجلس الوزراء ومجلس الثورة والتعيينات العسكرية في اليوم الأول للثورة والقيادة العامة للحرس القومي . وحينها قام السعدي وقال يا رجال الأمن والاستخبارات بإسم قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي أحذركم من الإساءة والاعتداء ومن يسيء سيحاسب هو وعائلته حساباً عسيراً إلا إننا سنتسامح مع من ينفذ واجبه حسب الأصول وبأدب . فهذا الضابط المسؤول . وإنشاء الانتظار رن التلفون وطلب المتحدث طالب شبيب فقالوا له انتظر ان طالب شبيب في الحمام . وحينها سمعنا بوضوح صوت طالب يهددهم من الاعتداء على عائلته ورفاقه ، فارتحنا واطمأن علي السعدي . ثم نقلونا مع عشرات من صناديق الأسلحة والقنابل والمنشورات التي عثروا عليها في بيتنا إلى مديرية أمن الكرخ للتحقيق الأولي وهناك فوجئنا بدخول أخي عماد معتقلاً وهو ضابط في القوة الجوية وقع في الكمين المنصوب بدارنا . والحقوه بنا بملابسه العسكرية . وفي منتصف الليل نقلونا إلى مديرية الأمن العامة في السعدون وتبادلنا النظرات متعاهدين على الصمود . وكأخ أكبر شعرت بمسؤولية تجاه عماد فحدثته عن الصمود . وفي الصباح نُقلنا وقابلنا في وزارة الدفاع أمر الانضباط العسكري عبد الكريم الجدة فحدثنا عن وساطة قريبنا العقيد المتقاعد خلف الجنابي وقال نحن نعرف انكم بريئون من التآمر على سيادة الزعيم ونطلب مساعدتكم بتزويدنا بالمكان المحتمل لاختيكم المجرم طالب الشبيب وأسماء قادة المؤامرة العسكريين وساعة التنفيذ . فأجبت به بأن طالب سافر لعلاج زوجته في الخارج والضباط كلهم يحبون سيادة الزعيم ولا يعتقد بوجود مؤامرة . فأنهال علينا بسيل من الشتائم وأخذنا مساعدته وأوسعونا ركلاً وضرباً . وفي صباح اليوم التالي أخذونا إلى عبد الكريم الجدة ثانية فسألني فأنكرت فضربني بالعصا التي يحملها الضباط الأمراء ، فنزفت عيني ونقلت إلى الطابة ثم إلى السجن رقم واحد بمعسكر الرشيد وكانت قاعته تعج بالمعتقلين القوميين والبعثيين والإسلاميين ، وبآلاف من الشيوعيين والأكراد وقابلت هناك عادل عبد المهدي المنتفحي ود . مسارح الراوي ود . عبد العزيز الدوري .

الأمن الآن داري وجئت لأحذر حازم من العودة إليها ، فخرج حازم .

اعتُقل في تلك العملية علي السعدي وكرم شنتاف وعماد شبيب وبهاء شبيب ، وتمكن السعدي ببراعته المعروفة من التخلص من ورقة سجل عليها بعض الأسماء بينها ضباط "الصدمة الأولى" الذين سيقودون أرتال الدبابات إلى الدفاع والإذاعة والمرسلات ومعسكر الرشيد ، وفعل ذلك أخي بهاء . لكن السعدي اخذ معه إلى المعتقل "كلمة السر" التي تربط القيادة بكتيبة الدبابات الرابعة ، ولم يكن أحد غيره يعرفها وذلك توخياً للسرية المطلقة ، وهذه الكتيبة تمثل مركز وقلب الحركة وبدونها لا يكون هناك عمل . وشر البلية ما يضحك ، فقد همست حينذاك لنفسي قائلاً : لقد عدنا بالويسكي وفقدنا كلمة السر وأمين السر^(١) . وكنا بدون كلمة السر عاجزين عن الاتصال بضباط الحركة والمنفذين الأساسيين . ولم يبق من القيادة القطرية غير اثنين فقط ، حازم جواد وأنا ، ولا يفصلنا عن موعد إعلان الثورة غير ثلاثة أيام . ووسط ذلك الحرج ومشاعر اليأس تذكرنا اسم أحد الضباط وأظنه "قاسم" ويسكن الجعيفر ، وبعد بحث واستفسارات مضيئة وصلنا له . قال : انه لم يسمع بشخص اسمه علي السعدي ولا يدري عن ماذا نتكلم . فطلبنا إليه مرافقتنا إلى مركز شرطة الجعيفر القريب ليرى بنفسه سيارة السعدي تقف هناك ويتأكد انه معتقل . جاء وشاهد واقتنع ، وسلّمنا كلمة السر فانتقلتُ صلاحيات ومهام علي التنفيذية إلى حازم جواد .

وقد كنت ، وأنا أحوم حول داري وقبل ان أرى سعد قاسم حمودي وأصبل إلى حازم ، قد تمكنت من الاتصال هاتفياً بأحمد حسن البكر وعبد الستار عبد اللطيف وأخبرتهما بما حدث وبأهمية ان لا يناما بمنزلهما لأن رقمي هاتفيهما موجودان في منزلي تحت اسمي "هيثم" و"أبو صلاح" . وقلت لهما : سأتصل بكما في وقت متأخر من هذه الليلة لتتفق على موعد ومكان آخر لاجتماع يوم الغد . وكانت ملاحظتي الأخيرة توحى بنوع من الإرادة والعزم اللاشعوري على الاستمرار في تنفيذ الخطة.

وفي اليوم التالي ٥ شباط اجتمعنا وقررنا مواصلة العمل ، لأن الأمن بدأ جدياً بملاحقتنا وستابع ذلك وستكون النتيجة واحدة إذا أقدمنا أو امسكنا . كما قررنا مواصلة الاجتماعات

١ - حار البعثيون وتساءلوا في سرهم : مَنْ يا ترى اخبر جهاز الأمن ؟ وهل كانت الدار مراقبة منذ فترة ؟ لكنهم علموا فيما بعد ان مهندساً اسمه "عدنان البدرائي" صديق بهاء الشبيب وجارهم هو الواسي . واراد مقابل ذلك ان يحصل على قرار بنقله من البصرة إلى بغداد ليكون قريباً من خطيبته . وعُثر على وشائته في دفتر صغير داخل مفكرة الحاكم العسكري العام احمد صالح العبدوي عند إلقاء القبض عليه وقتلته ، وورد فيها ان البدرائي اخبر عبد الجبار حمزة صديق عبد الكريم قاسم قائلاً : إذا أردتم مسك قيادة البعث فأذهبوا إلى بيت طالب شبيب . وبعد نجاح الحركة جيء به إلى مكتب حازم جواد الذي اقترح إعدامه . ثم تقرر الإعفاء عنه لان أخواته الثلاث بعثيات ومن عائلة صديقة للحزب ، وقد تزوج منلر الوندائي من احداهن . فيما بعد .

كل يوم حتى التنفيذ . وكنا نثق ان علي السعدي لن يعترف ولا الآخرين فاستمرت الخطة وكأنه لم يعتقل ، ورغم عدم الخوف قمنا ببعض الترتيبات توجهاً للحذر والاحتياط ، فطلبنا من كل الضباط الذين لهم اتصال مباشر بعلي السعدي تغيير محلات إقامتهم مؤقتاً ، ومن جانب آخر كنا مقتنعين ان جهاز الأمن الذي حصل من داري على آلاف الأوراق والبيانات والوثائق، لن يفلح في جردها وقراءتها وتصنيفها وفك رموزها قبل مرور أسابيع ، خصوصاً وأنه جهاز بيروقراطي غير متحمس ولا تربط بين أعضائه وقيادة الدولة رابطة الحزب الواحد أو الأيديولوجيا الواحدة ، فضلاً عن عدم امتلاكه الصلاحية والحرية التامة ليفعل ما يراه مناسباً. لذا لم نعتبر عامل الزمن خطراً فوراً داهماً ضدننا ولم نرتبك بل كنا نعرف إننا سنفاجئهم قبل ان يتمكنوا من معرفة أي شيء . انهم جاءوا الاثنين وسند عليهم الجمعة وسيكون هدفنا النظام بكامله.

سؤال : كيف لم يؤدِ اعتقال نصف القيادة إلى تأجيل الحركة ؟

طالب شبيب : أول شيء ، لم نعتبر اعتقال صالح مهدي عماش نكسة بل استفدنا منه بتخويف احمد حسن البكر بأن اعتراف عماش المحتمل سيعني إعدامنا جميعاً . وكان البكر يخضع للتخويف ولهذا فقد أدى اعتقال عماش إلى غياب الأفكار المترددة والمثبطة عن اجتماعاتنا . وكان عماش قد نجح أكثر من مرة، بسبب تردده، بتأجيل إعلان الثورة .

أما علي السعدي فكان اعتقاله ضربة على الرأس ، بقينا تحت تأثيرها حتى الساعة الثانية عشرة والنصف ليلاً ، أي حتى تحقيق الاتصال بضباط الكتبية الرابعة والاتفاق معهم على كلمة سر جديدة وموعد للاجتماع يوم ٥ شباط وإبلاغهم بضرورة عدم مبيت المكلفين بقيادة الدبابات الأولى في منازلهم أو مراكزهم ، وان لا يغادروا مكانهم الجديدة إلا يوم ٨ شباط صباحاً إلى مقر الكتبية ، وبهذا تكون قوتنا الضاربة بين أيدينا وفي منأى عن عيون السلطة . كما تمكنا من إعادة الاتصال بلجان الإنذار في منطقة الأعظمية وبفرقتها الحزبية ، وكان مسؤولها بهاء شبيب وهي مكلفة بمهام خطيرة كاغتيال المهدي وجلال جعفر الأوقاني وسعيد مطر عند خروجهم من منازلهم^(١) . وحققنا الاتصال بجميع المنظمات التي كانت مرتبطة

١ — كان تنظيم الاعظمية بمستوى شعبة حزبية وقيادتها: حازم سعيد ، بهاء الشبيب ، ضياء الفلكي ، يعقوب الحمداني ونجاد الصافي . وتتكون من فرقتين الأولى: فرقة الأعظمية ومسؤولها بهاء الشبيب وأعضاء قيادتها : صلاح صالح وسعد قاسم حمودي ووليد الغزالي وزهير الدوري و (..... التكريتي) وضياء الحلبي . والثانية فرقة راغبة خاتون ومسؤولها ضياء الفلكي وأعضاء قيادتها : أديب خليل وسعاد أديب ووازن المفتي وغسان مرهون ، وكل واحد من هؤلاء يرتبط بخلية أعضاء . وعلى سبيل المثال يستذكر المفتي حلقتة المتكونة من مظهر حبيب الخيزران ومسلم الجبوري وسعدون شاكر . وتنشط في منطقة الفحامة والكريعات[7]. أما فرق الإنذار فكانت كثيرة بينها على سبيل المثال زمرة بقيادة صلاح صالح مهمتها مهاجمة دار عبد الكريم الجدة . وزمرة أخرى مهمتها مهاجمة دار

بالمعتقلين ووضعنا آلية جديدة لتحركها، وحددنا موعداً للاجتماع بمسؤولي لجنان الإنذار في الساعة الثامنة من صباح ٥ شباط . ورغم ثقتنا بأن بهاء لن يعترف فقد طلبنا منهم تغيير محلات إقامتهم ما أمكن ذلك مع اخذ الحذر والترقب . وكان على تلك اللجان ان تقوم بأعمال كبيرة واحتلال مآثر المساجد على الطريق الرابطة بين الدفاع وأبو غريب واحتلال ناصي الأولمبي ومفارق الطرق والجسور المؤدية لوزارة الدفاع وإلى معسكر الرشيد لمنع الضباط من الالتحاق بوحداتهم وعدم السماح لأحد بالمرور إلا بتعليمات وموافقات خاصة ، وعرقلة محاولات محتملة سيقوم بها الشيوعيون والقاسميون للتظاهر. وفعلاً تمكنوا صباح ٨ شباط من إرباك الدولة وتفكيك تماسكها واعتقال عشرات الضباط، وإعطاء القيادات العسكرية والمدنية الحكومية انطباعاً بأن ما يجري على الأرض هو عمل كبير وشامل يحسب لكل شيء حسابه.

وبعد ان قمنا بكل ذلك ذهبنا إلى دار حازم جواد في حي المعلمين بكرخ بغداد ، ويقع في منطقة خلفية من كراة مريم وهو حي جديد بني بعد ثورة ١٤ تموز لنتراخ قليلاً استعداداً لغد متوتر مليء بالمواعيد من الفجر حتى منتصف الليل .

وفي آخر اجتماع مهم للمكتب السياسي مع المكتب العسكري وبعض الضباط المنفيين في بيت المقدم عبد اللطيف الحديشي ، تم توزيع الواجبات والضباط المساهمين على زمر صغيرة ، حوالي خمسة ضباط في كل زمرة ، تنام كل واحدة في بيت أحد أعضائها . ثم يخرجون في الموعد المحدد صباحاً بملابسهم المدنية وأسلحتهم البسيطة بسياراتهم الخاصة إلى مركز

سعيد مطر بمنطقة الفحامة . وكلف نجاد الصافي وهاشم قدوري وسعدون العزاوي وبهاء شبيب بمهمات أخرى . وكان هاني الفكيكي قد تكلف بتنظيم الاعظمية لفترة من الزمن . وهناك في مناطق أخرى من بغداد مجموعات من فرق الإنذار تقوم بأعمال مماثلة كالمجموعة التي احتلت مركز شرطة المأمون وحولته إلى مقر للحرس القومي وسمحت بإذاعة بيان الحركة قبل اعلانها بدقائق وتشكلت من: قحطان السامرائي وحمود العزاوي وحاسم قره علي وعصام الراوي وفائز ضياء وفرات الزهاوي وحاتم قدوري وأكرم العاني . ومجموعة أخرى أدارتها سعاد أديب، وتكونت من صلاح مكي وحسن غافل ومهدي نجم، بلغت يوم ١٣ رمضان بضرورة حضور اجتماع حزبي في الساعة من صباح ١٤ رمضان في دار طارق عزيز في الكراة خارج فوجدوا هناك آخرين مثل أحمد كرتينة وعباس أحمد، وصار العدد حوالي خمسة عشر شخصاً، فوجئوا في الساعة الثامنة والنصف بأحمد العزاوي يطرح أمامهم كيساً كبيراً من السلاح ثم يخرج مسرعاً، وحينها وقف أحدهم وصاح: يا رفاق اليوم هو يوم الثورة، ثورة الحزب، فقبلوا بعضهم وتعانقوا وبعد سماع البيان رقم ١ خرجوا على شكل مجموعات، كل مجموعة من أربعة أشخاص، وكان طارق عزيز دليل المجموعة التي تضم صلاح مكي وحسن غافل وحسين علي ومهدي نجم إلى دار العقيد فاضل عباس المهدي حيث حصلت مواجهة مع حراسة فاضطرت المجموعة إلى اللجوء إلى حديقة الدار المجاورة واستطاع المهدي الخروج والذهاب إلى وزارة الدفاع، فانسحبت المجموعة لتأمين مهام أخرى في ساحة التحرير[8]. وفي الكرخ حيث توجد الفرقة الحزبية الأولى المتكونة من قحطان العاني ومحمود ناصر تركي ومهدي العبيدي وخلف عبد الأخوة وسامي مهدي ودرع ظاهر السعد، ومسؤولها صباح المدني، وقد أبلغها بضرورة إخفاء المستندات من البيوت والبقاء في يوم الجمعة ٨ شباط قرب الراديو وكان قحطان العاني يعرف أن الحزب سيستلم السلطة لأنه كان عضواً في قيادة الاضراب الطلابي.

انطلاق العملية العسكرية وكانت كلمة السر قد وضعت في اجتماع ٤ شباط بحضور السعدي وهي "رمضان" وجوابها "مبارك". وحضر الاجتماع الأخير: حازم جواد، طالب شبيب، احمد حسن البكر، عبد الستار عبد اللطيف، منذر الوندائي، عبد الكريم مصطفى نصرت، ذياب العلكاوي، أنور عبد القادر الحديشي وآخرون، وتقرر ان يكون أنور سكرتيراً للمجلس الوطني لقيادة الثورة وتكون وظيفته بمثابة عضوية في المجلس المذكور. وحينما هم عبد اللطيف الحديشي بالخروج سمح له البكر بالبقاء والحضور بشرط عدم المشاركة في الحديث لأنه ضابط منفذ وليس قيادياً.

وفي ٧ شباط اجتمعنا لإنجاز آخر المهام وكانت: إبلاغ التنظيمات الحزبية في بعض المحافظات بكلمة السر ويوم الثورة، كما وزعت المهام داخل بغداد وتجهئة الأسلحة لتوزيعها من قبل قيادة فرع بغداد على المدنيين وعلى الضباط المتقاعدين الذين سينطلقون إلى مقر كتبية الدبابات الرابعة. ومن اجل الحفاظ على السرية جرى إهمال تبليغ عدد كبير من البعثيين وجميع القوميين عدا عبد الغني الراوي وفهد السعدون وقلة قليلة منهم، كما تكلف حامد جواد إبلاغ عارف عبد الرزاق بنبأ الثورة فوراً بعد إعلانها ومرافقته إلى قاعدة الحباينة. واتفقنا على استنفار المدنيين ليستمعوا للإذاعة ويتصدوا الأجواء كل يوم جمعة ليهبوا فور سماع البيان رقم واحد أو مشاهدة طائرة مندر تحلق في الجو، وحينها يقومون بإبلاغ غيرهم ممن كانوا في حالة إنذار واستعداد للطوارئ لكنهم لم يبلغوا أساساً بالثورة. كما يذهب المهندس عدنان القصاب فوراً بعد إعلان الثورة إلى دار عبد السلام عارف لإبلاغه ومرافقته إلى معسكر أبو غريب.

وناقشنا في ذلك الاجتماع مرة أخرى إمكانية التأجيل أو المضي قدماً. وكان الجواب الحاسم على هذا الاختيار الخطير يتوقف على سؤال حاسم وجهه احمد حسن البكر إلى رائد الجو منذر الوندائي، قائلاً: ترى إذا كان الجو غير ملائم، هل سنتفد واجبك؟

أجاب منذر: "ان الرعد والزوابع لن تثنييني عن التنفيذ، أبو هيثم كن على يقين أني سأكون في تمام التاسعة في الجو وعندما تنظر إلى الساعة ستجدني في تلك اللحظة قد انطلقت."

ووقع عليّ وعلى حازم جواد دور احتلال مراسلات أبو غريب ويكون الملازم رياض القسود مرافقاً لنا، وسترافقنا ثلاث دبابات للحماية والاصطدام (لأنها غير مسلحة) ويقودها عبد الستار عبد اللطيف ومحمد المهدي وجميل صبري. وفي نهاية الاجتماع قال لطيف الحديشي بعد ان سلمني بدلتته العسكرية:

أجمعوا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

اثر فينا هذا البيت فتصافحنا وتعانقنا وتعاهدنا ان نموت أو نتنصر.

سؤال : ما زلت انظر باستغراب إلى عدم تأجيل الحركة ، ما الذي
شجعكم على الاستمرار ؟

طالب شبيب : كانت خطة الثورة قد وضعت بشكلها الكامل عام ١٩٦٢ ومنذ ذلك الحين
أجرينا إنذارات أسبوعية للجهازين المدني والعسكري للتدريب على الخطة ككل وعلى
جزئياتها ، فضلاً عن تعيين مواعيد حقيقية لإعلان الثورة وتأجيلها أكثر من مرة . وكانت
الإنذارات والتهيئة بمثابة تمرين نادر وتدقيق وتقويم للخطة . فبعد كل إنذار تصلنا اقتراحات
وتعديلات من الجهازين العسكري والمدني فنناقشها ونصوب ما نراه مناسباً . وفي كل مرة
يتحسن الأداء . وفي الحقيقة كان كل إنذار يمكن ان يكون يوماً للتنفيذ أي إنها لم تكن
إنذارات تطبيقية "مدرسية" ، وإنما كان كل بعثي ومنذ مدة طويلة يجلس كل يوم جمعة قريباً من
المذيع متأهباً ، ينتظر سماع البيان الأول للثورة وأعصابه مشدودة ، يراجع ما يجب عليه
القيام به^(١).

كما درسنا مع المكتب العسكري عدة مرات كل الإمكانيات العسكرية المحيطة بمدينة بغداد .
وتأكدنا من قدرتنا في كل الأحوال على هزيمة النظام وحسبنا كل شيء بدقة . وكمثال على
تدريباتنا ابلغ علي السعدي أحد الضباط بأن بعض الرفاق سيزورونه أثناء إشرافه على تدريب
وحدثه ليتأكدوا من إمكانيته على ضبطها وتحريكها كما يشاء وكان الضابط هو حميد

١ — تكررت إنذارات البعث ومواعيد قيامه بحركة ، وتكرر معها إنذار الشيوعيين لمنظمتهم، الأول يستنفر استعداداً
للتغيير والثاني لمقاومة التغيير . البعث يوجل ويكتشف في كل مرة ضعفاً في خطته فيقومها والشيوعي يشعر بحرج أمام
عبد الكريم قاسم وأجهزته لأنه اعتاد تحذيرهم من خطر بدا وهماً . ومع تكرر الأمر وعدم حصوله فقد قاسم
ثقتهم بمصادر المعلومات ، وربما فقد ثقتهم أيضاً بخصومه البعثيين الذين يقولون ما لا يفعلون . فلم يكثر كثير
خصوصاً وهو يلمس ويرى كل يوم التأييد الشعبي الثابت له عندما يمر بشوارع بغداد أو يزور إحدى المدن والأحياء
البغدادية باستثناء القليل منها ، فيزداد ثقة بنفسه . تلك الثقة التي استمد الكثير منها في حياته المهنية المترعة
بالتجارات والتي توجت بوصوله إلى حكم العراق . فتوقع الشعب لكنه لم يتوقع نجاح عمل يؤدي إلى إسقاطه .
وربما استناداً إلى الوقائع التي فكر بها عبد الكريم قاسم كان صالح مهدي عماش متحوقاً من إمكانيات النجاح ،
وكان عبد الستار الدوري يرى ان الظروف الذاتية للعراق والبعث غير ناضجة لتسمح بقيام ثورة أو إدارة السلطة،
ووقف مثل هذا الموقف عدد قليل من البعثيين بينهم قحطان العاني[9].

واعتقد ان تسامح قاسم وعدم استخدامه التعذيب الوحشي والقسوة ومعاقبة الزوجة والأطفال والأخوان ... الخ مما
مارسته الحكومات التالية ، ساعد البعثيين في تنفيذ خطتهم ضده . فلم يكن قاسم وحده يعرف بوجود حركة
يخطط لها ضد نظامه بل علم بذلك مجلس الوزراء بكامله وعدد من المهتمين . فقد حدثني الدكتورة مي الاوقاتي ان
خالتها هاشم جواد (وزير خارجية قاسم) اخبرهم ان مجلس الوزراء بحضور قاسم أعظم أكثر من مرة بمحاولة سيقوم
بها البعثيون[10]. ولم يكن صعباً على السلطة جمع مائة بعثي في بغداد وتعذيبهم وقتل ما لا يعترف منهم لتصل
إلى النتائج التي تريدها . لكن حكومة قاسم لم تكن تفكر بمثل تلك الأعمال تحت اية ظروف أو ضغوط ، لأن أكثر
أعضائها سياسيون أحرار غير مقيدون بأيديولوجيا تقول لهم : ان إرادة الكون والتاريخ تقف معهم ، وان عليهم من
اجل سعادة الملايين التضحية بمئات الأشخاص .

عبد الله التكريتي ، فذهبنا لنفاجاً انه قام بإخراج وحدته إلى شارع فرعي وجعلها تروح وتجيء بما في ذلك الدبابات التي صعدت أثناء حركتها قليلاً إلى الشارع العام . وكان بتصرفه يرغب ان يقول لنا انه يثق بجنوده وضباط صفه ويستطيع ان يحركهم كما يرغب . ومن جانبنا أرضينا رغبتنا في التأكد من قدرة ضباطنا وإمكانيتهم .

مراجع:

- [1] طالب شبيب، مقابلة، دمشق، ١٩٩٥.
- [2] عبد الكريم فرحان . حصاد ثورة ، مرجع سابق، صفحة ٦١.
- [3] مقابلة مع خالد مكّي الهاشمي في ٨٥/٣/٥ ، راجع صالح الجبوري ثورة ٨ شباط ١٩٦٣. ص ١٧٤
- [4] مقابلة مع هاشم المشاط في ألمانيا ١٩٩٧
- [5] مقابلة مع مظفر النواب ١٩٩٨ - لايدن هولندا
- [6] رسالة من بهاء شبيب بتاريخ ٩٨/٣/٢٩
- [7] رسالة من بهاء شبيب . م . س .
- [8] مقابلة مع د. مي الأوقاتي ود. جميل منير العاني ، فيردن ، هولندا ١٩٩٦. البحث عن مجموعة اغتيال الأوقاتي.
- [9] عبد الستار الدوري، مقابلة، لندن، ١٩٩٨.

الاغتيال بالدبابة

لم يكن في صباح ٨ شباط عام ١٩٦٣ ما يميزه عن بقية أيام ذلك الشهر في بغداد. أشعة الشمس هادئة، والرياح نسيمات تطوف الأجواء. كان يوم الجمعة (العطلة الأسبوعية) حيث حركة العربات والبشر بطيئة مقارنة مع بقية أيام الأسبوع، فضلاً عن مصادفته في شهر رمضان (١٤ منه). ومعظم أهالي بغداد الصائمون وغير الصائمين يسهرون الليالي ويتأخرون في الاستيقاظ صباحاً، ووسط ذلك الهدوء كانت أعداد السيارات المتجهة إلى "أبو غريب" المنطلقة من عند معسكر الوشاش (الزوراء حالياً) أكثر نسبياً من أي يوم جمعة رمضاني آخر. وبحكم العادة فإن الناظر يتصور إنها متجهة إلى الحبانية لقضاء العطلة والتمتع بالسماء الصافية على ضفاف البحيرة. غير أن بعض السيارات وعلى غير العادة كانت تتوقف عند منعطف إلى يمين الطريق العام لتدخله إلى موقع عسكري هو كتيبة الدبابات الرابعة في معسكر "أبو غريب" وكانت سيارتنا إحدى تلك السيارات المنعطفة إلى تلك الطريق الفرعية بنفس الوقت الذي دخلته سيارات خاصة تقل حوالي ثلاثين من رفاقنا المكلفين. وهناك على باب الكتيبة وقف أربعة ضباط يفسحون المجال للسيارات بالدخول بعد الاستماع إلى كلمة السر "رمضان مبارك"، وكنت أقود سيارة فيات وعلى يميني جلس الملازم رياض قدو وفي يده "غدارة" وفي الخلف حازم جواد مسلحاً بمسدس وحملت على جانبي مسدساً فضياً نوع "برنو" لم استلمه إلا ذلك الصباح. ووصلنا إلى المعسكر في التاسعة صباحاً بالضبط، ولم نكن أول الواصلين ولا آخرهم^(١).

١ - في نفس وقت انطلاق سيارة طالب إلى مقر الكتيبة، انطلقت من امكنة مختلفة سيارات أخرى قاصدة مقر الكتيبة، بينها سيارة المقدم عبد اللطيف الحديثي انطلاقاً من دار العقيد ذياب العلكاوي في حي دراغ، وجلس إلى جانب الحديثي العقيد طاهر يحيى التكريتي والعقيد العلكاوي، وفي المقعد الخلفي جلس العقيد رشيد مصلح التكريتي وإبراهيم عباس الدليمي ويتوسطهم العقيد أحمد حسن البكر، كما جاء سامي سلطان ونصيف جاسم العائلي ومجموعتهم بسيارة سامي. وانور عبد القادر الحديثي بسيارته يصحبه عدنان الزاوي والملازم وجدي ناجي والملازم سعدي طعمة الجبوري والمقدم علي عريم. وجاء بسيارته كل من العقيد عبد الكريم مصطفى نصرت والمقدم سعيد صليبي والمقدم عبد الستار عبد اللطيف والمقدم محمد المهدي والرئيس أول جميل صبري البياتي والنقيب الركن سعد وهيب السامرائي والنقيب أحمد عبد الجبار الجبوري وعلاء الدين الجنابي والملازمين عدنان خير الله طلفاح وعدنان شريف التكريتي وصلاح الطبقجلي وعدنان دحام الجبوري وطارق صادق وكامل نعمة وحيد عبد الله التكريتي ومظفر يونس الدبوني ومحمد إسماعيل الويس وفليح عبد الجبار الخريبط ووليد محمود سيرت وفارس حسين وجاسم شبوط وفاضل جاسم وعزيز الخطيب العائلي وسليم الإمامي ونعمة فارس وسعدون فليح العائلي وهاشم إسماعيل. ونام بعض

بدأنا في السابعة من صباح ذلك اليوم ١٩٦٣/٢/٨ (١٤ رمضان) بتناول فطور بسيط أعدته الحاجة والددة حازم جواد ثم ارتدى كل منا بدلة عسكرية للضباط وكانت بدليتي مستعارة من المقدم عبد اللطيف الحديثي وهو أطول مني ببضع سنتيمترات مما جعلني لا أبدو بالقيافة العسكرية المطلوبة من الضباط داخل الجيش العراقي، وما أفلقني قليلاً هو الخرق الذي حصل فيها عندما نزعنا عنها التاج وأبقيت نجمة واحدة لكي تتلاءم مع عمري ووضعني الذي لم يكن مناسباً لرتبة المقدم، إذ لم أتجاوز حينذاك الثامنة والعشرين. أما بدلة حازم جواد فكانت مناسبة ومزينة بنجمتين. وعلى أية حال لم يكن أمر القيافة أهم ما يعني بل السلاح حيث لم تكن لدينا سوى غدارة لم نجربها ومسدس حمله حازم جواد وأصبحت الرشاشة من نصيبي. وفي تمام الساعة الثامنة وحسب موعد مسبق جاء إلى الدار الملازم الأول رياض قدو ومعه مسدسه الفضي الذي أشرت إليه وأصبح من نصيبي فيما بعد. وكان الملازم قدو يظن إنه سيصبح حازم جواد في جولة يزورون خلالها رفاقهم في أبو غريب والكتيبة الرابعة. تلك الكتيبة التي تقرر منذ زمن طويل أن تكون نقطة انطلاق الثورة التي قرر حزب البعث العربي الاشتراكي - قيادة قطر العراق - القيام بها ضد حكومة عبد الكريم قاسم.

سأل رياض قدو، حازم جواد بعد تناول الشاي : ما هو برنامج اليوم ؟ وأي الوحدات ترغب أن ترى وتزور ؟.. فسمع الأستاذ حازم يقول له بنبرة مختلفة : "يا رياض اليوم هو يوم

الضباط الشباب في الكتيبة لتسهيل الوضع لرفاقهم في صباح اليوم التالي، كما جاء بقية الضباط من وحدات أخرى وكذلك آخرون متقاعدون، حيث جاء أكثرهم بملابسهم المدنية لكي لا يلفتوا النظر واستبدلوها بملابس عسكرية فور وصولهم وبعضهم غيرها داخل السيارة ثم اندفعوا فوراً نحو الدبابات. وفي الحياينة تمكن ضباط بعثيون، على رأسهم المقدم داوود الجنابي من الاستيلاء على اللواء الثامن إنتظاراً لوصول العقيد عبد الغني الراوي لاستلام قيادته.

وعلى مستوى القوة الجوية ذهب رائد الجو منذر الوندائي إلى قاعدة الحياينة في ٧ شباط مساءً بعد منتصف الليل للسيطرة عليها يعاونها ضباط بعثيون : حامد جواد وعبد اللطيف عبد الرزاق ووائل عبد الله ويونس صالح وعمانوئيل سليمان وصباح سالم واسامة وهي وفهد السعدون (ليس بعثياً)، وقد عمل الوندائي منذ ١٩٦١، انطلاقاً من قاعدة الحياينة والسرب السادس بالذات، على بناء منظمة حزبية متميزة في القاعدة.

ومن قيادة الحزب وصل إلى أبو غريب حازم وطالب وهاني والدوري للإشراف على الإذاعة وإصدار التعليمات الحزبية وإذاعة إشارات متفق عليها سلفاً مع البعثيين إلى جميع أنحاء القطر. كما وصل عدنان القصاب وعبد السلام عارف. وهؤلاء جميعاً إضافة إلى قيادة فرع بغداد وبعض كوادره كانوا المساهمين المبلغين الأوائل. ويستثنى حردان التكريتي الذي فضل ان تكون مساهمته كدفعة ثانية وخالد الهاشمي المبلغ لكنه تأخر حتى منتصف النهار، وضباط آخرون في وحدات معسكر الرشيد مثل محمد علي سعيد وفليح الساعدي وجبار السوداني وطه الشكرجي وظاهر التكريتي وثامر الوندائي، فضلاً عن المخطط والمدير رقم واحد: علي صالح السعدي وكذلك كريم شتاف وصالح عمّاش وبهاء وعماد الشيبب. ولم يتم تبليغ القوميين لأن البعث وحده ان جناحيه المدني والعسكري يكفيا وكذلك حرصاً على السرية. ولم يُبلغ بعض البعثيين لعدم وجودهم بمراكز قريبة أو لأن ظروفهم لا تسمح باشتراكهم. وبلغ بعض الضباط صباح يوم الحركة كطاهر يحيى ورياض القدو، وكان عدد الضباط المبلغين قبل صباح ٨ شباط ٢٦ ضابطاً فقط.

الجد". وبعد أن أستوعب المفاجأة، رد رياض بشيء من الدهشة والاستغراب وربما بقليل من الاستنكار قائلاً: "كيف لم تبلغني بذلك؟ فأنا الآن لا أحمل من السلاح إلا هذا المسدس". .. وأستمر متسائلاً.. ماذا لديكم من أسلحة؟ واتجهت عيناه صوب غدارتي .

الغدارة بيدي أنفع

كان هذا اللقاء هو الأول بيننا (أنا ورياض) لكن الألفة تمت في نفس لحظة التعارف، وسارت الأمور بيننا فيما بعد وكأننا زملاء عمل وسلاح منذ زمن طويل. فقال لي : يا طالب هل جربت استعمال الغدارة؟ أجبتُه بالنفي، فأضاف : "أني طبعاً سأكون مكلفاً بمهماتكم ومرافقتكم ولذلك أرجو أن تأخذ مسدسي وتعطيني الغدارة لأنها بيدي أنفع، خصوصاً وأن مهمتكم ستكون بالتأكيد أعمالاً أخرى". وافقت على كلامه فوراً وحصل ارتياح لأنني كنت قد تدرّبت على استعمال المسدس في مناسبات اجتماعية عديدة، بينما لم أستعمل الغدارة طوال حياتي، ولم أكن أعرف على وجه التحديد كيف سيكون أداؤها لو احتجت إلى استعمالها. أبلغنا رياض قدو إن مهمتنا ستبدأ بعد زمن يكفي لأن نصل في تمام الساعة التاسعة من صباح هذا اليوم إلى مقر كتيبة الدبابات الرابعة . وكانت المسافة محسوبة بدقة بحيث نصل في الوقت المحدد. وحسبناها بسياسة السيارة بسرعة معقولة تجنباً للإثارة ولفت الأنظار. ومن هناك ستنتجه بسيارتنا ومعنا جهاز تسجيل وأشرطة وأناشيد وطنية إلى مراسلات البث الإذاعي المباشر في أبو غريب. ولا تبتعد المراسلات عن الكتيبة سوى مائتي متر. وتقع في طريقنا إلى الكتيبة. وإن الأمور مرتبة بشكل دقيق وسيكون باستقبالنا أمر سرية المراسلات وهو ضابط بعثي مبلغ بسلعة الصفر، ليرشدنا فوراً إلى أستوديو احتياطي معد أساساً من قبل إدارة عبد الكريم قاسم لاستخدامه في التسجيل والإذاعة الاضطرارية فيما لو حصل طارئ أو أي خلل آخر. وكان أعداد هذا الأستوديو قد تم منذ إنشاء المراسلات ولم يستخدم إلا نادراً، كما وستصبحنا إلى محطة البث ثلاث دبابات من الكتيبة الرابعة يقودها كل من المقدم عبد الستار عبد اللطيف والمقدم محمد المهداوي والرئيس أول جميل صبري، ولكن لن يكون في هذه الدبابات أي عتاد - خفيف أو ثقيل - كما إنها معرضة للعطل: لأن واحدة منها أو جميعها ربما تكون مفرغة من ماء التبريد فقد تصل أو لاتصل. لكننا نحن الثلاثة أنا وحازم ورياض يجب أن نصل للمراسلات حتى لو سرنا على الأقدام، مهما كانت الظروف لنذيع البيان الأول وما يتبعه من بيانات وتوجيهات أخرى لإذاعتها إلى أن يتم الاستيلاء على إذاعة بغداد الرئيسية في الصالحية. وأنداك تعود مراسلات أبو غريب إلى واجباتها الأصلية وهي استلام الإشارات من إذاعة بغداد وبثها إلى كافة أنحاء العراق.

ولم تدم احتجاجات رياض قدو طويلاً بعد أن علم أن الأمر قد حزم بصورة لا عودة فيها، وإن كل المكلفين بمهمات سينطلقون لتنفيذها في الساعة التاسعة صباح هذا اليوم دون مراجعة

القيادة، وليس هناك وسيلة اتصال بين أطراف العمل للمراجعة أو التوقف عن التنفيذ المتشعب والمعقد والمتباعد. وليس بالوسع الآن غير الإلزام والتنفيذ حرفياً بما متفق عليه، وفي الحقيقة فإن القُدو استدرك وركز اعتراضه بأنه لو ابلغ مسبقاً لاستطاع ان يجلب أسلحة أكثر كفاءة وهي متوفرة لديه. وهكذا عندما أزف الوقت خرجنا نحن الثلاثة من دار حازم جواد ، وكانت الحاجة والدته تقف على باب الدار رافعة المصحف ، مررنا من تحته وقبلناه. وطلب مني الأستاذ حازم قيادة السيارة بالسرعة المتفق عليها. وفي ذات الوقت كان يفترض برفاقنا الذين ناموا داخل الكتيبة ان يكونوا قد رصدوا بعيون مفتوحة أي طارئ، وقام واحد منهم على الأقل منذ الساعة السادسة صباحاً باستطلاع مستمر لمعسكر أبو غريب لملاحظة ما إذا كان هناك أمر غير عادي، كما يقومون مبكراً باعتقال الموالين للحزب الشيوعي ولقاسم ليصبح أمر الكتيبة مأموناً.

وفور وصولنا مقر الكتيبة ترجلنا فوجدنا رئيس عرفاء طويل القامة (وكنيت على معرفة سابقة به) بيده رشاشة ينتصب أمامنا واقفاً برجولة وهمة تبعث على الثقة أطلق صفارة إنذار أدت حالاً إلى انتعاش غريب في نفوسنا . فما أن انطلقت الصفارة حتى فتحت أبواب الردهات وخرج الضباط والجنود وضباط الصف ، وركض كل منهم نحو دبابته يزيح عنها الغطاء، وساهمنا معهم بأيدينا بسحب تلك الأغشية تشجيعاً لهم ، وبعد لحظات كانت الدبابات جاهزة للتحرك. بمن فيها الثلاث الأولى الأقرب إلى الباب والتي سترافقنا بقيادة عبيد الستار والمهداوي وصبري ، وبالفعل كانت هي وسيارتنا القيات أول الآليات التي تحركت إلى يسار الطريق نحو أبو غريب .

أما بقية الدبابات فتحركت على يمين الطريق باتجاه الحبانية وهدفها السيطرة على مخازن العتاد لأن جميع الدبابات، كما أشرنا، بلا سلاح ولا يستطيع قادتها إطلاق النار سوى من أسلحتهم الشخصية. وكان على رأسها دبابة يمتطيها احمد حسن البكر، تتبعه عن قرب دبابة فيها العقيد طاهر يحيى التكريتي ودبابات أخرى يقودها ضباط معظمهم متقاعدون أو ممن مازالوا في الخدمة بكتائب أخرى، لكنهم مبلغون بساعة الصفر ومكان الانطلاق^(١).

١ — سميت الدبابات الأولى التي توجهت لتنفيذ مهماتها بارتال (الصدمة الأولى) وكانت على الشكل التالي : رتل الإذاعة : ثلاث دبابات يقودها : العقيد ذياب العلكاوي، الرائد عبد اللطيف الحديشي، والنقيب احمد عبد الجبار الجبوري والملازم حميد عبد الله التكريتي والملازم إبراهيم عباس الدليمي. ورتل المرسلات بقيادة حازم وطالب : ثلاث دبابات يقودها عبد الستار عبد اللطيف ومحمد المهداوي وجميل صبري والنقيب سعد وهيب السامرائي والملازم رياض القُدو. ورتل وزارة الدفاع: بقيادة العقيد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت والملازم وحدي ناجي والملازم شبوط جاسم والملازم طارق صادق والرائد سعيد صليبي وعدنان شريف التكريتي وغيرهم وتكونت من ثماني دبابات على دفتين. ورتل معسكر الرشيد : العقيد طاهر يحيى والمقدم انور الحديشي والمقدم رشيد مصلح التكريتي والملازم عدنان خير الله وغيرهم وتكونت من ثلاث دبابات.

يُروْنَ صَورتَه في السَما :

وما كادت سيارتنا مع الدبابات الثلاث تقطع نصف المسافة أي حوالي مائة متر حتى شاهدنا الدخان يتصاعد من ماكينة دبابة محمد المهداوي، ولم نفاحاً بذلك إذ علمنا مسبقاً ان بعضها حال من ماء التبريد، وظل أملنا ان تصل الدبابتان الأخريتان إلى باب مرسلات الإذاعة سالمة لتتمكننا من أداء دورهما وهو قطع الطريق والتصادم دونما عتاد مع اية مدرعة قد تأتي لمهاجمتنا، وحرفها عن الطريق ثم استخدام الرشاشات الشخصية لمقاومة من هم على ظهرها. ومهما يكن فقد كنا مصممين بما معنا من وسائل أن نصل ونتمم واجبنا بتشغيل الإذاعة. كما كانت ثقتنا غير محدودة بقدرة الرتل الذي يقوده البكر على النجاح في التزود بالعتاد والعودة إلى بغداد، وربما يعود إلى تلك الثقة وإلى ذلك التصميم عدم التفكير بوضع خطة طوارئ للهرب في حالة الفشل.

وصلنا إلى باب المرسلات وترجل كل من ستار وصبري من دبابتهما وجاء محمد المهداوي ماشياً على قدميه، وكان هناك عدد من جنود الحراسة يقفون على الباب الرئيسي. نظرنا حولنا فلم نر صاحبنا أمر السرية الضابط البعثي المبلغ بالحركة والذي وعد باستقبالنا وإرشادنا فوراً للاستوديو الخاص الاحتياطي. إلا ان بدلاتنا العسكرية، رغم بدليتي غير المناسبة، جعلت الجنود يقابلوننا بالتحية العسكرية. وقد ساعدنا كثيراً استرشادنا بنصيحة المقدم الركن عبد الستار عبد اللطيف الذي قال لنا قبل الوصول للمرسلات: يجب ان نحافظوا على صور عبد الكريم قاسم وعلى شعارات حكومته مرفوعة خارج البناء (في البداية على الأقل) لأن الجنود يحبونه ويرون صورته في السماء. أما الضابط البعثي أمر سرية المرسلات فقد اعتذر فيما بعد عن تأخره في المساهمة بالثورة بإصابته بإسهال شديد، ولم يكن ذلك المرض الشائع عند العراقيين يمنعه عن أعمالهم الاعتيادية فكيف في مثل هذا الأمر الهام؟

دخلنا أنا وحازم ورياض شاهرين مسدساتنا وبنديقية يتيمة، وفوراً صرّخنا نحن الثلاثة بصوت واحد "أوقفوا الإرسال حالاً" وفوجئنا بوجود ما يقرب من عشرين فنيا يعملون في القاعة أمام أجهزتهم المختلفة، ويضع بعضهم السماعات على آذانه. نظروا إلينا بدهشة وكأننا أناس نزلوا من القمر، لكنهم وبجربة سريعة وعفوية لا تصدر إلا عن موظفين لم يتعودوا على الحرية والممانعة، ذهبوا إلى حيث توجد أجهزة الإيقاف الكهربائي-السويجات- فأوقفوا البث ورأينا المؤشرات التي تدل على الإرسال تتحرك وتبيل إلى الصفر. حصل ذلك في التاسعة وبضع دقائق. وحينها طلبنا إلى الفنيين إرشادنا إلى استوديو الإذاعة الاحتياطي الخاص، فأنبرى أحدهم قائلاً بلهجة الصادق الوائلي "يا أستاذ لقد سَجِبَ الاستوديو قبل أسبوع واحد، ان معلوماتكم عن وجود استوديو - إذاعة مؤقتة- دقيقة، لكنه سَجِبَ!

وقع حديثه علينا وقع الصاعقة، فلو صح ما يقول فانه سيعني إصابة الحركة بكاملها بمقتل،

إذ ان بث البيان الأول يُعد أهم جانب في العملية الثورية، وبمناخ إشارة لكل الطيارين ان يطيروا ويأشروا قصف وحماية مواقع محددة ومرسومة، وإلى أعداد هائلة من البعثين ممن تم تبليغهم ان يستمعوا لإذاعة بغداد كل يوم جمعة ليكونوا جاهزين للانطلاق لتنفيذ واجباتهم المرسومة سلفاً. بمجرد سماع البيان الأول، فضلاً عن توقع التحاق أعداد هائلة من الأنصار ومن الضباط القوميين بالحركة. وإذا لم ندع البيان الأول فستكون العواقب وخيمة وسيؤدي الأمر إلى ارتباك خطير جداً.

تملكني أنا وحازم هدوء غريب. وهناك مقولة تقول : عندما يقابل الإنسان الموت سيكون ذهنه أكثر صفاءً من أي وقت مضى في حياته. وفي تلك اللحظات شعرت بهدوء وبصفاء وتركيز، وأهم من ذلك تملكني استعداد للقيام بأي شيء يمكن ان يؤدي إلى إنقاذ الموقف. صحيح أني لم أتذكر حينها هذه المقولة، لكنني تأكدت من صحتها وانطباقها على موقفنا أنا وحازم، فيما بعد، عندما راجعت في ذهني تلك اللحظات الحرجة. إلا أن الملائم رياض توتر وسحب أقسام رشاشته مهدداً، وحدث ما لم يكن في الحسبان إذ انخرطت الرصاصات وبدلاً من ان تستقر في سبطانة رشاشته، انزلت ساقطة على الأرض الواحدة تلو الأخرى، فاكشفنا باهتين بأن الأسلحة التي خبأها الحزب لمدة تصل إلى ثلاث سنوات هي أسلحة غير مجربة، وتمنينا ان يكون حظ الآخرين ممن يحملوا مثل أسلحتنا أفضل من حظنا. ولم تترتب على ذلك اية نتائج سلبية لأننا لم نواجه أي نوع من المقاومة وان المسدسين كانا كافيين للتهديد وتنفيذ المهمة.

وهنا تطوع أحد الفنيين مخاطباً " أستاذ ليس هناك من فائدة لتخويف الفنيين لأن الاستوديو قد سحب من قبل مجموعة من ضباط الانضباط العسكري قبل أسبوع واحد، وفي يوم الجمعة الماضي على وجه التحديد، صُعبنا أكثر وأصبنا بوجوم غريب . لكننا تصرفنا بهدوء لإدراكنا بان احتلال المرسلات والبث منها هو اخطر فصل في الحركة، ولا بد ان يكون تصرفنا متناسباً مع أهمية الهدف رغم إحاطة أسباب الإحباط من كل جانب . فدبابتنا بلا سلاح وأمر سرية الحراسة لم يكن موجودا والإذاعة غير موجودة والأسوأ من ذلك ان الدبابات التي ستتوجه إلى بغداد تحتاج لحماية الطائرات وهي لن تطير قبل ان يستمع طياروها للبيان الأول للثورة، كما ان هناك سرباً من طائرات الميغ ١٧ موحود في معسكر الرشيد ومهيأ للإقلاع. بمجرد صدور الأوامر من عبد الكريم قاسم أو من قيادة القوة الجوية أو حتى بمبادرة من الضباط الشيوعيين، وكنا نعلم ان معظم الضباط في ذلك السرب شيوعيون ومؤيدون لقاسم وسينفذون دون تردد فيما لو صدرت إليهم الأوامر. وعلى اية حال فقد وضع المكتب العسكري خططاً لعرقلة تحرك اللواء التاسع عشر وطائرات الرشيد بإبلاغ ضباطنا الطيارين وغيرهم بالبقاء أيام الجمع داخل المعسكر، ولكننا نشك بأنهم سيتصرفون جيداً قبل الإستماع إلى بيان الثورة الأول، ولم يدر

بحسباننا إطلاقاً إننا سنصل للرسلات ولا نجد الإذاعة خصوصاً وإن المعلومات التي وردتنا حتى أيام تؤكد وجود وجاهزية جهاز الإذاعة الخاص.

مرت علينا هواجس ثقيلة وشريط رهيب من التوقعات قبل ان يواصل المهندس الفني حديثه ليفاجئنا بما يشبه البشارة التي تسبب الصدمة قائلاً: " ليس هناك ستوديو ولكن بإمكانكم ان تضيعوا ما تريدون إذاعته دون ان تتوفر لكم الأمور الفنية للبت الموسيقي الأوتوماتيكي ، ولا محسنات الأداء وذلك بربط ميكروفونا على البث مباشرة بحيث يمكنك الكلام في هذا الميكروفون ، أما الأناشيد أو الموسيقى فيإمكانكم استخدام جهاز التسجيل الذي يجوز تكلم" وأضاف "لكن الوضع لن يكون بالشكل الكامل المطلوب، إلا ان الناس سيسمعون!!".

كانت تلك كلمات سحرية وقعت منا موقع الإنباء بمعجزة . وفعلنا انطلق المهندس المذكور وحلب ميكروفونا وربطه في أرضية إحدى الغرف ، وأتم كل شئ بسرعة فائقة واستعد حازم أمام اللاقطة، ووقفت عند الباب شاهراً مسدسي حماية له، ووقف رياض في القاعة لمراقبة الفنانين الذين أمرتهم أن يبدأوا البث. وفوراً انطلق صوت حازم بقراءة البيان^(١)!

١ — نص البيان رقم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الشعب العراقي الكريم،

لقد تم بعون الله القضاء على حكم عدو الشعب عبد الكريم قاسم وزمرته المستهتره التي سخرت موارد البلاد لتطمين شهواتها وتأمين مصالحها ، فصادرت الحريات وداست الكرامات وخانت الأمانة وعطلت واضطهدت المواطنين.

أبناء الشعب الكرام

قامت ثورة الرابع عشر تموز لتحرير وطننا من الأوضاع الاستعمارية المتمثلة بالحكم الملكي وسيطرة الإقطاع وسياسة التبعية ولتحقيق أوضاع ديمقراطية ينعم فيها الشعب بحياة كريمة، ولكن عدو الله وعدوكم المجرم الخداع استغل منصبه واندفع بكل الوسائل الدنيئة والأساليب الإجرامية لإقامة حكمه الأسود الذي أفقر البلاد وصعد الوحدة الوطنية وعزل العراق عن ركب العروبة المتحررة وطعن أمان شعبنا القومية.

أيها المواطنون

إن حرصنا على سلامة وطننا ووحدة شعبنا ومستقبل أجيالنا وإيماننا بأهداف ثورة تموز العظيمة وقد حملنا مسؤولية القضاء على الطغمة الفاسدة التي تسلطت على ثورة الشعب والجيش فأوقفت مسيرتها وعطلت انطلاقها وقد تم ذلك بموازنة كافة القوات المسلحة الوطنية، وتأييد جماهير الشعب.

أبناء الشعب الكرام

إن هذه الانتفاضة التي قام بها الشعب والجيش من أجل مواصلة المسيرة الطافرة لثورة تموز المجيدة لا بد، من إنجاز هدفين: الأول تحقيق وحدة الشعب الوطنية، والثاني تحقيق المشاركة الجماهيرية في توجيه الحكم وإدارته ولا بد لإنجاز هذين الهدفين من إطلاق الحريات، وتعزيز مبدأ سيادة القانون. إن قيادة الثورة المتمثلة بالجلس الوطني لقيادة الثورة إذ تؤمن بهذا وتعمل على تحقيقه تؤمن كذلك بما يزرع به هذا الشعب من روح وطنية وثابة وما يتجلى فيه من عزم ثوري وما يتصف به من وعي عميق، لهذا نأمل أن يترفع المواطنون في هذا اليوم المبارك عن الضغائن والأحقاد وأن

←

وفي الوقت الذي كان البيان يث حلقط طائرة من نوع هوكر هنتر البريطانية الصنع من مطار الحبانية العسكري يقودها الرائد منذر الوندائي. واقلعت بعدها بدقائق طائرتان من نوع ميغ ١٧ يقودها الملازمان فهد السعدون وواتق عبد الله، ومرتا فوق المرسلات واحتتا جناحيهما مرتين تحية لنا^(١).

يعملوا جميعاً على ترسيخ وحدتهم الوطنية وتقوية التفاهم حول أهداف ثورة تمور المجيدة، وأن لا يدعوا منفذاً لعمل أو مضر أو مأجور يسعى فيه بالنفرة.

أيها المواطنون

إن المجلس الوطني لقيادة الثورة يعمل على إقامة حكومة وطنية من المخلصين من أبناء الشعب ومن المخلصين من أبناء هذا الوطن، وستكون سياسة حكومة الثورة وفقاً لأهداف ثورة تمور المجيدة، لذا فإن الحكومة ستعمل على إطلاق الحريات الديمقراطية وتعزيز مبدأ سيادة القانون، وتحقيق وحدة الشعب الوطنية لما يتطلب لها من تعزيز الأخوة العربية الكردية بما يضمن مصالحها ويقي نضالها المشترك ضد الاستعمار واحترام حقوق الأقليات وتمكينها من المساهمة في الحياة الوطنية، كما أنها تتمسك بمبدأ الأمم المتحدة، والالتزام بالعهد والمواثيق والمساهمة لتدعيم السلام العالمي ومكافحة الاستعمار لانتهاج سياسة عدم الانحياز، والالتزام بمقررات مؤتمر باندونغ وتشجيع الحركات الوطنية المعادية للاستعمار وتأييدها، كما أن قيادة الثورة تعاهد الشعب على العمل نحو استكمال الوحدة العربية وتحقيق وحدة كفاح عربي ضد الاستعمار والأوضاع الاستعمارية في الوطن العربي والعمل على استرجاع فلسطين المحتلة، وستحافظ على المكتسبات التقدمية للجمهورية وفي مقدمتها الإصلاح الزراعي وتطويره لمصلحة الشعب وإقامة اقتصاد وطني يهدف إلى تصنيع البلد وزيادة إمكانياته المادية والثقافية، كما سيؤمن تدفق البترول إلى الخارج.

١ — يصير البغداديون وخاصة أبناء حي الكرمات، عند تذكرهم القصف الجوي صباح يوم ٨ شباط إن منذر الوندائي أقدم في طريق عودته السريعة إلى الحبانية للترود بالوقود والعتاد لمعاودة القصف، على إطلاق رصاص رشاش طائرته على بعض أبناء الكرمات الذين تسلقوا تلة صغيرة من احجار البناء المتراكمة والمغطاة بغرين نهر دجلة المترسب لتنابعة مايجصل عبر النهر في وزارة الدفاع، بعد سماعهم اصوات القصف ولم يكونوا في حالة تظاهر، وأدى القصف إلى وفاة "احمد عليوي الناصر-١٨ سنة" وجرح احمد بن شوقي وفاضل محمود المعموري "نجار". والكريمات حي شعبي في كرخ بغداد يقابل رأس القرية من الرصافة وسيطر على ابنائه توجه اجتماعي يساري ويميلون لقاسم الذي قدم لهم بعض المكتسبات ووعدهم "بمستقبل زاهر" وكان النجار الجريح المعموري موعوداً من قبل قاسم بتطوير مشغله إلى مصنع عند زيارة الأخير للحي، والمعموري هو الفنان الذي نفذ خشبيات دار توفيق السويدي التي حولتها الدولة عام ١٩٨٢ إلى دار الكتب، وهدمت الحي كله ماعدا بيته وبيت المسز بل الذي يستخدم الآن مقرا لحراسة الاذاعة، وبيت الظاهر الذي تحول إلى متحف ودار احمد الجليلي(عضو جبهة الاتحاد الوطني) وبيت الملك فيصل الأول الذي هدم فيما بعد ليتحول إلى فندق ميديا المنصور. وفي الكرمات تداخلت شعبية قاسم مع شعبية الشيوعيين رغم محاولات قاسم في مناسبات عديدة تمييز نفسه ونظامه عن الشيوعية. وربما تكون ضربة الحي المذكور بالطائرة هي المرة الأولى التي يستخدم فيها الجيش العراقي في العهد الجمهوري وسلاح استراتيجي (الطائرة) لضرب منطقة مدنية. وحملت الضربة في طياتها آثار الايديولوجيا السياسية لتؤسس مكاناً وسيعاً للشحناء والقطيعة، رغم ان منفذها وطنيون يدفعهم الحماس لقناعتهم وآرائهم. ولم يكن بالإمكان حينذاك تفسير ما أقدم عليه الوندائي وهو الضابط الحر، اليساري الهوى والإنتماء، فإذا كان قصفه لمعسكر الرشيد ومدرجات قاعدته الاخوية دون موافقة حزبه مفهوماً، فلم يكن رشه لمتفرجين مدنيين برصاص قاتل دون توجيه سابق من قيادته الحزبية بمفهوم إطلاقاً.

وقد استفاد الشيوعيون منها وضخموها فأقتنعت جماهير واسعة بأن السلطة الجديدة قاسية ومستعدة لاستخدام الجيش

←

وحينذاك كان رتل من اربعين دبابة تقريباً يقترب من معسكرات العتاد، ولكنه ظل الطريق ولم يتوقف عندها، فوقعت مشادة بين احمد حسن البكر (قائد الرتل) وطاهر يحيى التكريتي، فقال طاهر للبكر : "ان الجنون هو الذي يتبعك في ثورة، قل أين وجهتنا؟" والحسن

ضد الشعب، مما اضعف الحكم الجديد سياسياً، حتى ان جرحى القصف هربوا فوراً بعد حصولهم على الاسعافات الأولية من المستشفى، خوفاً من ان تتحول جروحهم إلى دليل إتهام ضدهم. ويذكر ان هذا الحى نفسه تعرض في عام ١٩٩١ إلى قصف امريكي بسبب وجود منشآت عسكرية حكومية قريبة منه وليست فيه. ولكن وبعد التحقيق والتدقيق تبين ان إتهام الوندواي بذلك العمل لايقوم على أساس من الصحة، لأن البغداديين يؤكدون ان الطائرة القاصفة كانت روسية من نوع ميغ، في حين طار منذر بهوكرونتر، وذلك يعني ان واحداً من اثنين قصف الحى الشعبي، إما واثق عبد الله أو فهد السعدون. وإذا علمنا ان فهد قد صرح أكثر من مرة بأنه شارك في الحركة لكسي ينتقم من الشيوعيين!! فسرح ان الذي فعلها هو فهد السعدون والله أعلم.

وعلمنا ايضاً ان قصفاً مماثلاً لحى شعبي في الزعفرانية المجاورة لمعهد التكنولوجيا (جامعة الحكمة سابقاً) ولمخيمين فلسطينيين بنهما قاسم، وتوفيت في ذلك القصف فتاة عمرها ١٧ سنة وطفل عمره ٩ سنين. وعندما سألتنا مصدر الخبر أحيات ان الطائرة القاصفة كانت من نوع ميغ ايضاً وان القصف قد حصل قبل الظهر أي قبل تدخل طائرات كثيرة أخرى بإدارة أمر القاعدة عارف عبد الرزاق، ويذكر ان منذر واثق وفهد جاؤوا من خارج قاعدة الحباية ولم يطر كل منهم غير مرتين فقط[1] ويجري هذا الحديث المؤلم إلى المرات التي استخدم فيها الجيش العراقي منذ تأسيسه في معارك مدنية داخلية. وفي هذا الشأن يقول د. حسان عاكف حمودي أن الجيش العراقي استخدم منذ تأسيسه حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ضد المدنيين حوالي ٤٥ مرة ، في مواجهة مظاهرات جماهيرية وتحركات فلاحية وعشائرية واضرابات عمالية وانتفاضات وحركات كردية، واستعان احياناً بسلح الجو البريطاني[2].

ومن امثلة استخدام الجيش :

١٩٢١ استخدم برسي كوكس الجيش العراقي لأول مرة ضد الاكراد العراقيين. وكان ذلك قبل التتويج. فالجيش العراقي تأسس قبل تأسيس الدولة العراقية بقليل ، من قبل مؤتمر المستعمرات البريطاني المنعقد في القاهرة .

١٩٣٣ استخدم الجيش ضد الاثوريين بقيادة بكر صدقي وأوامر حكمت سليمان ورشيد عالي الكيلاني[3].

١٩٣٥ بامر من ياسين الهاشمي (رئيس الحكومة) ضرب الجيش مدن وقصبات الفرات الاوسط. وفي نفس العام اعاد الجيش ضرب الرميثة بقسوة بأمر من رشيد عالي الكيلاني، وبعد اتمام الضربة قال رشيد عالي " الآن أقدر ان افخر بالجيش العراقي ". فأجابته بكر صدقي الذي نفذ الضربة والأوامر : " على العكس أنا لا أفخر بجيش قتل ابناء شعبه "[4].

١٩٥٢ بقيادة نور الدين محمود ضرب الجيش المحتجين في بغداد والنجف و كربلاء والحلة والديوانية والناصرية والبصرة وعموم ارياف الفرات الاوسط وقصباتها، على سلوك السلطة وتفريطها بالسيادة الوطنية، وحينها وقف الشعب مهموما ومستغرباً ومستاء من غرابة وقسوة حيشه الوطني.

١٩٥٨ قتل الرتل المدني الذي خرج مع الملك فيصل الثاني مستسلماً للثورة.

١٩٧٦ ضرب المسيرة السنوية التقليدية في اربعينية الحسين بن علي (ع) واعتقال وإعدام المساهمين، وكان تصرف الوحدات العسكرية أسوأ من الشرطة السيارة.

١٩٨٠-١٩٩٠ استخدم الجيش ضد الشعب في الاهوار وكردستان، فتحول الجيش إلى آلة طيعة وفقد حياديته.

١٩٩١ ضرب انتفاضة آذار/شعبان مستخدماً كلمة الاعداء ضد سكان المدن العراقية.

وهكذا نجد ان اتجاهين تجاه الجيش منذ تأسيسه، أحدهما ما انفك يزرجه بحروب داخلية لا تنتهي، وآخر يراه وطنياً ويأمل بابعاده عن التكتلات السياسية ويريده حامياً للحدود والدستور.

الحظ اكتشفوا الخطأ بسرعة وعادت الدبابات إلى المخارن، وكان أمر سرية الحراسة ذلك اليوم ملازم مهندس (بعثي) وقد نجح في استبدال خفارتة التي كانت يوم الاربعاء إلى يوم الجمعة مع ضابط آخر، وهو امر ممكن ومعتاد حينذاك، حيث يتعاون الضباط بينهم في تبادل الخفارات حسب ظروفهم وحاجاتهم. فكان الامر سهلاً على الضابط الخفر، لكنه شديد الخطورة بالنسبة لخطوة الثورة بكاملها. إذ بدونهم لن ننجح في الحصول على العتاد، وهو عنصر حيوي واساسي في عملنا ذلك اليوم.

بين الزعيم والعقيد!

ومن أبواب المرسلات تطلعننا إلى عودة الدبابات بعد أن تزودت بالعتاد وتجاوزت الوقت المقرر، وكنا قد وضعنا ٤٥ دقيقة لذهابها وعودتها، لكنها تأخرت ساعة ونصف . ولم نعرف سبب التأخر ولكننا لم نقلق خصوصاً بعد بدء الطائرات بالعمل ونجاح مهمتنا في إذاعة البيان الأول بصوت حازم مرة وبصوتي أخرى واستمرارنا بإذاعة البيانات بصورة حققت أثراً سلبياً على قادة الجيش الذين تصوروا أن الأمر استتب لنا فاستسلم أكثرهم للأمر الواقع وتصرفوا بسلبية ولازموا بيوتهم وتهربوا من الأوامر التي وصلتهم من قاسم شخصياً بواسطة الهاتف . ولم يستفد الشيوعيون من توجيهاتنا العلنية لأنهم كانوا مباحثين . وأستطيع القول بأننا حتى تلك اللحظة كنا قد أنجزنا المرحلة الأولى والهامة من الخطوة .

وفي الساعة العاشرة والنصف بدأت الدبابات العائدة من مخازن الذخيرة تظهر في الأفق وقدرنا أنها أصبحت محملة بالعتاد، وتبادلنا التحية بالإشارات مع ضباط الدبابات الأربع الأولى ، وكنا نعرفهم وهم ضباط الكتيبة الشباب الذين كان ينتظرهم مصير مأساوي عند بوابة الدفاع بعد اقل من ساعة . وتنازلت الدبابات بنفس الاتجاه ، وكنا نراقب بالتناوب الطريق العام لمعرفة ما يجري على الأرض . وحينها اخبرونا أن الدبابات الثلاث المرافقة لنا أصبحت مسلحة بالكامل وان قدرة الدفاع أصبحت جاهزة . وفي المقابل بدأنا ببيت الموسيقى والمارشات العسكرية وبعض الأناشيد القومية المصرية ونشيد "الله اكبر".

وفي غرفة مجاورة لنا، غرفة الضابط المتغيب المسؤول عن الحراسة، كان يوجد خط تلفوني سري (خاص)، ولم نكن نعرف بوجوده. وفجأة رن الجرس فيه فتقدمت إلى تلك الغرفة وكان الجهاز موضوعاً على مكتب آمر السرية ، رفعت سماعة الهاتف ليأتي من الطرف الآخر صوت عبد الكريم قاسم قال: أنا الزعيم عبد الكريم!! من المتكلم؟ ماذا يحدث؟ وكنت اغلق الجهاز فوراً، لكنه يبدأ بالرنين بعد اقل من دقيقة واحدة، وبعد مكالمات عديدة دون أن أرد عليه قررت قطع الخط بسحب أشرطة من الحائط وذلك بعد ما يزيد على نصف ساعة من الرنين المستمر. فانقطعت صلاته بنا. أقدمت على ذلك تقديراً مني بأننا ابغنا عبد الكريم قاسم

برسالتنا بإعلان الثورة عليه بواسطة المذيع، ولم يكن لدينا ما نقوله، ولا نحن على استعداد لسماع ما يمكن أن يقوله.

وفي الساعة الحادية عشرة تقريباً وصلت سيارة مدنية فسمح لها بالمرور وكان يقودها المهندس عدنان القصاب وإلى جانبه يجلس العقيد الركن عبد السلام عارف بدلته العسكرية الكاملة القيافة، واتجهت به السيارة بعد أن تبادلنا التحية (وكنا نعرف بعضنا)، إلى مقر الكتيبة الرابعة. وبعد دقائق توجهت ماشياً إلى هناك فوجدت أحمد حسن البكر فتمشينا وسط عاصفة ترابية أثارتها خمس دبابات كانت تلف وتدور حوله والغبار يعلو وجهه وهو يتحدث مع عبد السلام عارف.

عبد السلام يشارك في التوجيه

سألت أحمد البكر: أبا هيثم ما شأن هذه الدبابات؟ أجاب: أن الخطة تقتضي أن نرسل ثمان دبابات إلى بغداد وقد أرسلت الثمانية. وهنا تدخل عبد السلام قائلاً: يجب تعزيز كل دبابة أرسلت بأعداد تتناسب مع المهمة الموهدة إليها، فلا بأس من إرسال أربع أخرى إلى وزارة الدفاع حيث عبد الكريم قاسم، ودبابة أخرى إلى الصالحية لأهمية الإذاعة. وتعزيز دبابات معسكر الرشيد التي يقودها طاهر يحيى وانور عبد القادر. وكان هذا أول تدخل ومساهمة من عبد السلام في تنفيذ خطة الثورة التي لم يكن يعلم عنها شيئاً إلا بعد أن وصل المهندس القصاب إلى داره وبلغه أن يرتدي بدلته العسكرية ومرافقته إلى معسكر "أبو غريب"، فالثورة اندلعت منذ عشر دقائق فقط !! وكان القصاب قد وصل إلى دار عارف في التاسعة وعشر دقائق ولم يكن يعرف أننا تأخرنا قليلاً في إذاعة البيان.

وصل مباشرة بعد عارف والقصاب كل من الأستاذين هاني الفكيكي وعبد الستار الدوري عضوا قيادة فرع بغداد لحزب البعث واستقبلناهما أنا وحازم على الباب وتعانقنا وقلنا لهما أن يستلما مهمة إدارة الإذاعة والبت ريثما يتم تشغيل الإذاعة في الصالحية وأرشدناهما إلى الغرفة التي استخدمناها للبت ثم توجهنا حازم وأنا إلى مقر الكتيبة حيث تم تجهيز ناقلة جنود تسلك إلى ظهرها كل من أحمد حسن البكر وعبد السلام عارف وحازم وأنا. ورافقتنا ثلة من الجنود الذين أتى بهم أحمد حسن البكر لحراستنا. واتجهت ناقلتنا نحو دار الإذاعة في الصالحية.

وعلى الطريق بالقرب من معسكر الوشاش "الزوراء" رأينا شخصاً يكال له الضرب، فأوقفنا الناقلة وسألنا عن السبب فقليل أنه كان يهتف بحياة الزعيم عبد الكريم قاسم فأمرنا بتركه وشأنه، وواصلنا السير ولم نصادف في بقية الطريق سوى عدد قليل من الناس المتفرجين الذين قابلونا بالتصفيق، وأظن أنهم قدروا أو عرفوا أن ركاب الناقلة هم -قيادة الثورة-. وإلى حد

تلك اللحظة لم يكن هناك أي تظاهر أو تجمع مؤيد أو مناهض للثورة في منطقة الكرخ بكاملها. وعند اقترابنا من مدخل الإذاعة (إذاعة الصالحية) ترحلنا وكان في استقبالنا المقدم عبد اللطيف الحديثي حاملاً غدارته التي أطلقها في الهواء تحية، وقادنا إلى دار الإذاعة التي سيصبح مكتب مديرها العام مقراً لقيادة الثورة^(١).

ولم يكن الأمر حتى تلك اللحظة قد سار بلا حوادث مثيرة . فعندما كنا أمام كتيبة الدبابات الرابعة نهم بالسير مجموعتين واحدة نحو مخازن الأسلحة وأخرى إلى المرسلات صادفنا على جانبي الطريق العام رتلا من الفوج الآلي الثاني وكان متجها إلى شمال العراق للاشتراك في العمليات العسكرية ضد الثوار الأكراد . وكانت السيارة الأولى التي تتقدم الفوج تقل أمره المقدم داود مجيد ، فأشار له أحمد حسن البكر ومجموعة الضباط المتحلقين حوله بالوقوف وأمره بالنزول ، وخاطبه البكر " ولدي لقد قررنا القيام بثورة وأمامك حلال، إما أن تنضم إلينا وإما أن تعقل". وبعد برهة قليلة من التفكير أجاب المقدم داود أنني على استعداد يا سيدي أن اشارككم بالثورة، وأعلن قراره ذلك لضباط الفوج . ولاحظنا الفرع العارم الذي اجتاحت جنود ومراتب الفوج بعد أن عرفوا أن مساهمتهم ستكون بمثابة العدول عن إرسالهم إلى شمال البلاد والقتال ضد أبناء وطنهم، وتعريض حياتهم للخطر. فانضموا لصفوف الثورة حيث لا خيار، ولكنهم فرحوا لأنهم اختزلوا شعارها إلى إسقاط الدكتاتور الذي أراد دفعهم إلى الموت في جبال كردستان. وكان هذا في الواقع نصرا معنويا لنا، إذا أن خطوة الثورة لم تكن تمتلك على الأرض غير الدبابات، وعملية الاستيلاء على بغداد تحتاج أيضا إلى مشاة^(٢). ولم يكن في بغداد قوة مشاة غير اللواء العشرين-لواء عبد الكريم قاسم- الذي دخل به إليها عام ١٩٥٨ بعد أن أكمل عبد السلام مهمته في الاستيلاء على الإذاعة وقصر الرحاب ومقتل العائلة المالكة. وكان هذا اللواء مدلا من قبل الزعيم عبد الكريم ، يتبع به

١ — ليس ما يقوله شبيب من أن الكرخ كله حتى وصولهم للإذاعة لم تكن قد حصلت فيه مقاومة تذكر، ربما الصحيح هو أن الطريق بين الإذاعة وأبو غريب قد أصبحت سالكة. لأن ذياب العلكاوي والحديثي وحيد التكريتي وجدوا قرب الإذاعة مظاهرات وتجمعات معارضة، وحصل بينهم ما يشبه الاشتباك إذ أطلق حميد عبد الله التكريتي من دبابته التي شاركه فيها العلكاوي رصاصا إلى الأعلى لتفريقهم .

٢ — يقول العقيد ذياب العلكاوي في رسالة إلى خليل إبراهيم حسين: "أتذكر أن المرحوم البكر كان قد وجه قبل ليلة من التنفيذ سؤالا إلى حازم جواد قائلا "ترى من سيرافق أبي قيس (العلكاوي) مثلاً وهو ذاهب للإذاعة من المشاة؟" فأجابته حازم جواد: " ليصطحب معه سيارتين لوري فارغتين وشبابنا المنتشرون بدءاً من جامع السيموك إلى مخفر شرطة المأمون، شبابنا الذين يرتدون بزة الحرس القومي هم مشاة أبي قيس".

لكن التحاق الفوج الآلي الثاني سمح للدبابات بالمرافقة من قبل مصفحتين من الفوج المذكور، حملتا حوالي ثلاثين جندياً، وواجهت القوة فعلاً في ساحة كراة مرم على بعد أمتار من مدخل الإذاعة مظاهرة شارك فيها شيوعيون وقاسميون جاءوا من الشاكرية والشواكة يهتفون بتضامن الجيش مع الشعب ، وأحاطوا بالدبابات ولما فتحت الدبابات النار فوق الرؤوس تمكنت من المرور رغم استمرار التظاهر[5].

دائماً ويغدق عليه بكثير من وسائل العناية والترفيه والرواتب الإضافية. ورغم وجود عدد من الضباط البعثيين والقوميين فيه إلا إن إمكانية السيطرة عليه معدومة إطلاقاً، وما كنا نأمل من ضباطنا الموجودين فيه أن يجندوا إخوانهم من القوميين والمناصرين لعرقلة ومنع اللواء المذكور من التحرك ، وقد وضعنا خطة لذلك^(١).

الاستفادة من عبد الغني الراوي بعد دراسة شخصيته :

وبعد الفوج الآلي الثاني توجهت أنظارنا إلى الحباينة حيث كان لدينا أمل غير مؤكد في السيطرة على اللواء التامن الموجود في الحباينة ، وكنا قد اتفقنا مع ضباطه البعثيين وعلى رأسهم المقدم داود الجنابي أن يرتبوا أمرهم على استلام الخفارات في صباح يوم ٨ شباط ، وبالفعل نجحوا بذلك ، ولكن قيادة اللواء بالكامل كانت تتطلب قائدا عسكريا برتبة أعلى .

ودبرّت قيادة الحزب الأمر مع البكر للاستفادة من عبد الغني الراوي الذي كان من أكثر الضباط الأحرار حماساً للقيام بعمل فوري في فترة التحضير ووضع الخطط للإطاحة بالنظام الملكي، ورغم حماسه واستعداده للمغامرة، وعمله المستمر على شحذ هم الآخرين ضد نظام قاسم ، لكن مخاوفنا منه تأتي من زاوية أخرى . فقد كنا نحذر منه لصراحته في الحديث بصورة تؤدي للكشف عن نواياه وخططه، ولأنه يأمن الكثيرين ممن لا يجب أن يكونوا موضع الاهتمام والائتمان على الأسرار، فضلاً عن تسرعه المعروف في وضع الخطط وتنفيذها دون دراستها ودون أداء وإتقان كامل أو مشورة في وقت يكون فيه التشاور والنقاش العميق

١ — دخل عامل جديد ، غير متوقع ، لصالح خطة الحركة في السيطرة على معسكر الرشيد. فقد تمكن بعض الضباط من إطلاق سراح السجناء البعثيين في السجن رقم ١ وبينهم بهاء الشيب وعماد الشيب وصالح مهدي عمّاش و د. مسارع الراوي وعبد العزيز الدوري وعادل عبد المهدي المتفكي وآخرون. وهؤلاء نجحوا الأمر واتفقوا على فتح أبواب السجن كلها وإطلاق جميع السجناء وجرهم إلى مسيرة على شكل تظاهره كبيرة تدخل إلى مقر اللواء التاسع عشر، وحصل ذلك بالفعل فدخل عمّاش ومعه عدد من الضباط مقر اللواء قبل وصول دبابات بجي وانور، وتم تحرير ضباطه من أسلحتهم، وأخبر طه الشكرجي عبد الكريم قاسم تلفونياً بأن لواءه قد انضم إلى الثورة. ثم ذهب بهاء الشيب والملازم عماد الشيب والطيار جبار السوداني بدبابه خالية من العتاد إلى القاعدة الجوية، وأدى وصول الدبابه ووقوفها في مدخل القاعدة إلى رفع معنويات شباب البعث جنوداً وضباطاً فأستولوا على مدخل القاعدة واعتقلوا جميع الضباط الطيارين المنتهقين بالقاعدة من الخارج. وكان بين ضباط القاعدة البعثيين طاهر التكريتي وثامر الوندائي. ومن أجل السيطرة على القاعدة الجوية وبهر الضباط فيها، ذهب طاهر التكريتي وبهاء الشيب إلى الضباط المسؤولين عن كلية ضباط الاحتياط الذي منحهم السلاح، والتحق بهم بعض طلبتها من القوميين والبعثيين. فتمكنوا من تطويق بهو الضباط وأحبطوا مساعدة الضابط البعثي فليح الساعدي بمحاولة أحد الضباط الشيوعيين (خيري حميد) الإقلاع بطائرة ميغ ثم استقبلهم المقدم عزيز أمين أمر القاعدة الجوية معلناً عدم تصديه للثوار[6]. وفي هذه الأجواء دخل رتل طاهر بجي وانور الحديثي ليسيئ السيطرة التامة على المعسكر، ولابد من الإشارة إلى أن هذه النتيجة لم تكن لتتحقق لولا القصف الجوي الذي قام به مندر الوندائي.

ضرورياً لمعرفة نقاط الضعف وحقيقة الموقف، وتأكيد نقاط القوة واستخدامها. وقد أحيل عبد الغني الراوي على التقاعد كغيره من الضباط القوميين، لكنه ظل على صلة بحزب البعث عن طريق احمد حسن البكر وعلى صلة بتنظيمات الضباط القوميين الذين كنا نأمل التحاقهم فور إعلان الثورة.

استغل البكر عفويته وتدينه فكون معه علاقة صداقة وثيقة، وهو يعلم انه ضابط جريء، يستطيع إنجاز المهمة التي سيكلف بها مهما كانت التضحية المطلوبة منه. وأقام البكر صلة فردية معه بناء على توصية بشأن حدود التعامل معه صادرة من المكتب العسكري للحزب للاستفادة منه في ساعة الصفر فقط، وعدم إخباره بالخطة إلا في اللحظة الأخيرة. وان لا يبلغ إلا بالمهمة المعهودة إليه، وهذا ما حصل فعلاً. ففي مساء السابع من شباط ١٩٦٣ حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، أي قبيل السحور توجه البكر والعكاوي إلى دار عبد الغني الراوي، بعد أن تأكدوا من وجوده فيها. وهناك قضوا وقتاً كافياً لإبلاغه بأن صباح الغد سيكون موعد اندلاع الثورة، وطلبوا إليه تهئية نفسه للانطلاق بسيارته إلى الحبانية وهناك سيوجد ضباط خفر اللواء الثامن بانتظاره على باب المعسكر. وأعطى كلمة السر للمرور، وتكلف باستلام قيادة اللواء والزحف به نحو بغداد، كما اعلموه ان داود الجنابي وبقية الضباط سيكونون عند وصوله قد اعتقلوا أمر اللواء، وذلك رغم معرفة البكر ان أمر اللواء المذكور وبقية الضباط سيكونون في إجازة وغير موجودين (في الجمعة). لأن الضباط غير المبلغين والذين ليست لديهم خفارة يفضلون المبيت في منازلهم أيام الجمع، عندما تكون وحداتهم قرية كالحبانية والمحاويل والرشد وأبو غريب، مما يعني إن أكثر الضباط الشيوعيون والمؤيدين لقاسم ستصطادهم سيطرات الحرس القومي عند التحاقهم صباحاً بوحداتهم. وأغلب الظن ان البكر اخبر الراوي باعتقال أمر اللواء لتشجيعه على الالتزام والذهاب والإبقاء بان كل شيء يجري بدقة محسوبة. وكانت آخر توصية ابلاغها البكر للراوي هي التزام الحذر كل الحذر وان لا يتصل بأي شخص حتى لحظة وصوله الحبانية.

ولأهمية اللواء الثامن أردنا التأكيد من ان الراوي سينفذ تلك المهمة، وانه سيحرص على سرية الحركة، فلا يلجأ على سبيل المثال إلى كتابة وصية يوثقها من قبل رجل دين أو شاهد عدل!! ولذلك اخترنا وقتاً متأخراً جداً لإبلاغه، ولم يتركه البكر إلا بعد تناول السحور معه واقترب الوقت من الثالثة صباحاً. وزيادة على ذلك كلفنا أحد الشباب البعثيين ان يكون موجوداً في الساحة القريبة من متنزه الزوراء (معسكر الوشاش) لمراقبة السيارات القادمة من الجسر والمتجهة إلى أبو غريب للتعرف على سيارة الراوي بعد ان وصفنا له لونها ونوعها وشكل سائقها الذي سيكون ضابطاً بيزته العسكرية.

وعاد الشخص ليخبرنا انه شاهد في الساعة الثامنة وعشرين دقيقة سيارة بنفس المواصفات

تسير بسرعة مذهلة لدرجة ان سائقها لم يستطع الاستدارة إلى طريق الحبانية، فأضطر ان يلف الساحة دورة أخرى ثم انطلق باتجاه الفلوجة (فالحبانية). وعلمنا فيما بعد انه وصل واستتب له الأمر بمعية الضباط البعثيين، وباشروا فوراً باستدعاء من يعتمدون عليهم ويثقون بهم من الضباط للالتحاق بهم ولاستكمال أعمال إعداد اللواء وتجهيزه للزحف على مدينة بغداد، فوصلوا إليها في الساعة الثانية والنصف عصر يوم ٨ شباط، وبذلك أصبح لدينا قوة أرضية لا يستهان بها، تتكون من دبابات الكتيبة الرابعة والفوج الآلي الثاني واللواء الثامن وقوات صغيرة أخرى إضافة إلى قوات الحرس القومي^(١).

الحدث الآخر الذي سبب لنا إرباكاً في لحظات عملنا الأولى تمثل في انقطاع التيار الكهربائي المفاجئ عن منطقة أبو غريب، بينما كنا نبث بيانات الثورة الأولى ونتيجة لذلك انقطع البث خمس دقائق عانينا خلالها الكثير من القلق لما يمكن ان يجلبه أمر انقطاع البث للقوات المسلحة العراقية بكاملها وإلى الوحدات العسكرية المتحركة نحو بغداد، وإلى جماهير الحزب والقوميين وأنصارهم من تصور بأن الثورة قد انهارت، وفي الحقيقة لم تكن نخشى شيئاً في بغداد بعد تأمين العتاد واقتراب الدبابات من قلب المدينة فضلاً عن قوات الفوج الثاني الذي بدأت فسوراً بممارسة أعمال المرافقة والحماية وحراسة مراكز القيادات، كما ان القوة الجوية تسيطر على أجواء بغداد انطلاقاً من الحبانية بصورة كاملة بعد قيام منذر خلافاً لخطة الحزب بضرب قاعدة الرشيد الجوية. وكان البكر قد أصر على عدم تدمير الطائرات الجاثمة لما يسببه ذلك من خسارة للجيش والبلاد. ولكن الوندائي أدرك ان الهوكر هنتر لا تصمد بوجه طائرات الميغ ١٧ و ١٩ التي يقودها طيارون شيوعيون أو موالون لقاسم وهي فوق ذلك تفوق طائرات الحبانية عدداً وتسليحاً. وعلى الرغم من أننا حشدنا وأنذرنا ضباطنا العاملين في معسكر الرشيد بالتواجد هناك يوم الجمعة لمنع الضباط الشيوعيين من الإقلاع بطائراتهم، لكن الوندائي (وكان محقاً) عندما وجد ان ذلك ليس بكاف، بل رآها مقامرة لا يستطيع هو ان يقبل بها، وصدق ظنه إذ خف الطيارون الشيوعيون والقاسميون فور سماعهم البيان رقم واحد إلى ارتداء

١ — في هذا السياق يقول عارف عبد الرزاق في لقاء خاص مع د. علي عبد الكريم في لندن عام ١٩٩٨ بأنه مع داوود الجنابي وبقية الضباط البعثيين والقوميين قد هياؤوا اللواء الثامن قبل وصول عبد الغني الراوي. وان الطيار حامد الضاحي أبلغه بأن قائد الفرقة الرابعة المدرعة عبد الجبار السعدي يبحث عنه فكلّمه هاتفياً وقال له "ان أمن مكان له أن يأتي عنده" فجاء وطلب إليه ان يأمر بفتح المخازن، وقد فعل فحصلنا على أسلحة. واذف عارف عبد الرزاق: "أمرت داوود الجنابي بغلق الباب وخط الهاتف وان لايفتح إلا بأمره. وطلبت من منذر ان يذهب مؤقتاً ليشغل وظيفة آمر الانضباط العسكري لكي يمكننا التحكم بكل شيء. وبوجودي وقبل وصول غني الراوي أعلنّا تعيين محمد يوسف طه وأمين شاهين وعبد الجبار علي الحسين أمراء لأفواج اللواء الثامن، وعندما لم يحضر أمين شاهين (غير مبلغ) أترنا الرائد مزهر جواد الذي جاء بملابسه المدنية. رتبنا كل شيء بحماس ولم يكن أحد منا يستهدف عبد الكريم قاسم شخصياً فلم يكن هو خصمنا بل الحزب الشيوعي كان هدفنا.

قبعاتهم وبدلات الطيران استعداداً للإقلاع. إلا انهم وقبل ان يصبحوا جاهزين فوجئوا بطائرة منذر الوندائي تقصف المدرج والطائرات ليتعطل السرب بكامله ويصبح المدرج غير صالح للإقلاع والهبوط. واسترجاعاً لما حصل حينذاك أرى ان ما قام به منذر كان درساً عسكرياً ممتازاً لو ترجم على المستوى الفني الاستراتيجي العربي والاستفادة منه في المواجهة مع إسرائيل حيث حصل العكس إذ قامت الطائرات الإسرائيلية بتوجيه الضربة الأولى للطائرات العربية وهي جائئة على مدارجها. وكان منذر الوندائي في آخر اجتماع للمكتب العسكري قبل الثورة قد قال لنا: دعوا القوة الجوية عليّ، وفعلاً تسابق مع الزمن لضمان وجود الضباط في القاعدة يوم الثورة، ورتب دخول الطيارين غير المنتسبين لقاعدة الحبانية إليها ودخل معهم بعد منتصف ليلة ٨/٧ شباط ٦٣، لأن منذر نفسه كان منقولاً منها.

وبمساعدة الضباط وضباط الصف البعثيين مثل حامد جواد وعبد اللطيف عبد الرزاق الاعظمي ويونس العاني ووائل عبد الله وتحسين محمد علي وأسامة أيوب صبري ومحمد علي حمزة وفهد السعدون وكلهم ملازمين عدا الرائد يونس محمد صالح وهو آمر سرب، سيطر الوندائي على القاعدة دون علم أمرها المقدم عارف عبد الرزاق ليس لعدم الثقة به، بل لضمان السرية التامة. وكانت طائرة منذر الهوكر هنتر أول طائرة تحلق فوق رؤوسنا في أبو غريب ثم تلتها طائرتا الميغ يقودهما فهد السعدون ووائل عبد الله^(١).

١ — استطلع الضباط المشاركون في حركة ٨ شباط أدوارهم على الأرض ومن السماء كلما أتحت لهم الفرصة منذ عام ١٩٦٢. وحفظوا عن ظهر قلب واجباتهم، وتحسّسوا إمكانيات الخطأ، وبادروا إلى تقييم خططهم. وفعل ذلك منذر الوندائي بطائرتيه أكثر من مرة خلال التدريب محققاً فوق الدفاع ومعسكر الرشيد. ولذلك ذهب إلى أهدافه مباشرة. وكان الخطر عمل قام به هو قصف قاعدة الرشيد وتمكنه من منع الطيارين فيها من الإقلاع وكان الطيار خالد سارة وخيري حميد قد امتطيا طائرتيهما استعداداً للإقلاع وقد استفادت الخطأ من ضعف أمر القاعدة الضابط عزيز أمين الذي انتهز أول فرصة للاتصال بالوندائي وإبلاغه استعداداته للتعاون، فطلب إليه منذر غلق المدرجات بعجلات الرقود الضخمة وقد فعل. وفي ذلك اليوم تلقى عبد الكريم قاسم أكثر من أربعين طلعة جوية تركزت أكثرها على مقره وعلى ارتال الانضباط العسكري والآليات الملحقه بوزارة الدفاع. ولم تسقط غير طائرة واحدة، يقول قائدها فهد السعدون انه سقط على أرضية إسطبلات المنصور بعد انفصاله عن كرسي الطائرة وفتح المظلة التي أعاققتها أسلاك التليفون، وبعد استعادته لوعيه الذي فقده لثوان انتبه إلى "أصوات صراخ وعويل من مجموعة من الناس تعدوا بالآلاف يصرخون اقتلوا المجرم". فأطلق ثلاث رصاصات لإيقافهم، وفي تلك اللحظة انتشلت سيارته أوبل ونقلته إلى جامع دراغ وبعد تفتيشه وجدوا في جيبه ورقة وزعها عليهم منذر الوندائي كتب عليها كلمة السر "رمضان مبارك" وكانت كافية للوثوق به. ويذكر أن المسؤول المباشر عن أسر السعدون كان صباح عبد القادر وهو الذي أعاده إلى الحبانية. ويضيف: "وعندما عدت إلى الحبانية وجدت ان عدد المشاركين قد ازداد وكان الجميع يتصوروني ميتاً، إما بسبب سقوط طائرتي أو بتصفيتي من قبل الأحياء الشعبية (الغوغاء)". وحينذاك أشرف المقدم عارف عبد الرزاق على العمليات وارسل برقيتين الأولى تأييداً لمجلس قيادة الثورة والثانية إلى كافة القواعد الجوية بأمرهم بمنع الطيران مهما كانت الأسباب، والمخالف يعاقب بالإعدام.

ويذكر ان طائرات الحبانية تكونت من سربين أحدهما من ١٥ طائرة هنتر والثاني من ١٤ طائرة ميغ ١٧، اما قاعدة

←

دام انقطاع التيار الكهربائي خمس دقائق، وكنا نخشى ان تكون قوة الانضباط التي تمتلئك حوالي ٤٠ عربة مدرعة وألفي عسكري بقيادة العميد عبد الكريم الجدة ومقرها وزارة الدفاع وهي القوة الوحيدة المتبقية بين يدي عبد الكريم قاسم، قد بادرت إلى السيطرة على محطة كهرباء الدورة وقطعت التيار الكهربائي والبت عنا.

وكانت خطة الثورة قد تحسبت لمثل هذا الأمر فعهدت إلى الملازم بهاء شبيب ومعه عدد من المهندسين والفنيين البعثيين في محطة كهرباء الدورة السيطرة عليها ومقاومة أية محاولة لقطع التيار الكهربائي عن منطقة أبو غريب حيث المرسلات، إلا ان اعتقال بهاء الشبيب مع علي السعدي وشتتاف وعماد الشبيب قبل أربعة أيام جعلنا عاجزين عن الاتصال بمجموعته وعن ملء الفراغ واخذ الاحتياطات اللازمة. فلم تتمكن من إبلاغ المكلفين^(١).

فوجدنا بعد خمس دقائق بعودة التيار الكهربائي، وكانت المفاجأة أكثر طرافة عندما علمنا ان أوامر روتينية سابقة صادرة عن السلطة إلى جنود ومراتب سرية الحراسة ان يبادروا أوتوماتيكياً وفوراً ودون انتظار أية أوامر إلى تشغيل المولد الكهربائي الاحتياطي الموجود في قبو المبنى. بمجرد انقطاع التيار الكهربائي، وهو أمر يحصل عادة في بغداد، وبادر الجنود فعلاً دون ان يدركوا أهمية مايقومون به بالنسبة لنا، إلى تشغيل المولد الاحتياطي الذي لم نكن نعلم بوجوده، فعاد التيار وعدنا للبت. وأخبرونا فيما بعد ان الدبابة التي يقودها سعيد صليبي اصطدمت بأحد أعمدة الكهرباء في طريقها نحو وزارة الدفاع، فأدى الاصطدام إلى قطع التيار عن اجزاء من الصاحلية وجانب من منطقة أبو غريب.

الرشيد فتضم طائرات ميغ ١٧ و ١٩ وطائرات اليوشن. ومنذ الساعة الثانية عشرة ظهراً بدأت مساهمة حردان التكريتي الذي أرسل خمس طائرات من قاعدة كركوك الجوية، وارسل معها طائرة شحن محملة بصواريخ لدعم تسليح الطائرات القاصفة. وحول مساهمة عارف عبد الرزاق سألته بواسطة الأستاذ احمد الحبوبى في القاهرة، فأجاب " ساهمت في أحداث ١٤ رمضان ٦٣، وكنت آمراً لقاعدة الحباينة ورغم عدم تبليغي لكنني كنت اعلم بنية الانقلاب، فتواحدت في القاعدة وطيرت ٤٤ طلعة لقصف مقر قاسم بوزارة الدفاع" ويقول الأستاذ الحبوبى : " ان البعثيين لم يستثنوا فقط عارف عبد الرزاق من التبليغ وإنما كل القوميين، حتى ينفردوا بالسلطة. وكان تبليغ الراوي بسبب حاجتهم المناسبة للواء الثامن. " ويضيف " إن القائمين على ١٤ رمضان لم يبلغوا القوميين لارادتهم في الانفراد بالسلطة، وقد وشى عماش قبل ذلك إلى قاسم عن نية القوميين بالقيام بانقلاب، وكان هدفه ان لايسبق القوميون البعثيين بحركتهم، وقد رأس البعثيون عبد السلام لكسب تأييد عبد الناصر والضباط القوميين[7].

١ — كان ضابط الاحتياط بهاء الشبيب منسب كمهندس مناوب في مصلحة الكهرباء فتكلف بمتابعة ومسؤولية إدامة محطات الكهرباء، وعلى سبيل المثال تم تكليفه مع هاشم قدوري واثنين من رفاقهما من شعبة الكرادة بواجب السيطرة على محطة كهرباء بغداد في معسكر الرشيد، وكانت مهمة بهاء تسهيل مهمة دخول رفاقه إلى المحطة للسيطرة عليها وعلى مركز الشرطة، والاستيلاء على السلاح وتوزيعه على بعض عمال الكهرباء البعثيين والقوميين، ثم الانطلاق إلى دار الحاكم العسكري العام احمد صالح العبدى لاعتقاله أو قتله، وتقع في منطقة المعسكر خلف محطة الكهرباء[8].

إذاعة الصالحية مقراً جديداً لقيادة الثورة

قادنا المقدم عبد اللطيف الحديثي بعد استقباله لنا عند مدخل الإذاعة بالصالحية، إلى غرفة المدير العام للإذاعة والتلفزيون التي أصبحت مقراً للحركات ولقيادة الثورة. وكنا أمرنا بنشر عربات وجنود من الفوج الآلي الثاني حول المنطقة. كما وصلت دبابات أخرى إلينا للدفاع عن هذه المؤسسة الحساسة. وأخبرنا عبد اللطيف الحديثي أن عبد الكريم قاسم كان قد أعد شريطاً مسجلاً جاء به للإذاعة جاسم العزاوي، وحاول إجبار الموظفين على بثه، وبينما كان يتجادل معهم وصل الحديثي إلى مشارف مبنى الإذاعة فأخبره أحد الشباب البعثيين المتواجدين هناك بوجود شخص من قبل قاسم معه الشريط الذي يحمل نداء قاسم إلى الشعب. فأطلق الحديثي إطلاقاً من دبابته في الهواء، سمعها الجميع بما في ذلك مندوب قاسم، فغادر فوراً ووقع الشريط بحوزتنا، وسمعنا نصه بعد نجاح الثورة.

وفي الحقيقة لم اسمع نداءً دموياً يدعو ويحرض على القتل الشامل والمحق والإهلاك مثلما دعا إليه صوت قاسم في ذلك الشريط^(١). واعتقد أن النسخة الأصلية مازالت محفوظة في دار

١ — أرسل عبد الكريم قاسم كاسيتين سجل عليهما ندائين موجهين إلى الشعب العراقي، أحدهما بيد المقدم جاسم العزاوي (أو ربما بيد مراقبه حافظ علوان) لإذاعته من إذاعة بغداد في الصالحية ونصه: "السلام عليكم أيها الضباط، السلام عليكم يا أبناء الشعب. أيها الضباط يا أبناء الشعب، إن نغراً من أذئاب الاستعمار وبعض الخونة والغادرين والعسكريين من أذنايه يحاولون الانقضاض على جمهوريتنا ولكن شعبنا المظفر، شعب ١٤ تموز، واقف لإنزال الضربات الخاطفة بهم، بأذئاب العهد المباد والخونة. أبناء الشعب، إن النصر معنا وإننا صممنا على سحق الاستعمار وأعوانه فلا تلتفتوا إلى الخونة الغادرين، فإن الله معكم، وسيعلم الدسائس، سوف يعلمون عندما نوحه لهم الضربات الخاطفة اليهم وقد بادروا لتوجيهها اليهم. . . إن الله ينصركم أبناء الخير الغيارى. أيها الضباط، اسحقوا الخونة والغادرين، اسحقوهم، انني الزعيم عبد الكريم قاسم أقوى وأشد عزمًا في سبيل الفقراء والنصر لشعب العراق المظفر."

أما النداء الثاني فقد سجله الزعيم وسلمه، كما أخبرنا يونس الطائي [9] إلى الرائد سعيد الدوري كاتب خطباته، لإذاعته من مرسلات الحرية في سلمان باك. وهذا النص مأخوذ مباشرة من صوت الزعيم على الكاسيت: "من الزعيم عبد الكريم قاسم إلى أبناء الشعب الكرام وإلى أبناء الجيش المظفر، إن أذئاب الاستعمار وبعض الخونة والغادرين والمفسدون الذين يحركهم الاستعمار لسحق جمهوريتنا، الذين يحاولون بحركات طائشة النيل من جمهوريتنا ولتقويض كيانها. إن الجمهورية العراقية الخالدة وليدة ثورة ١٤ تموز الخالدة لاتسحق وإنها تسحق الاستعمار وتسحق كل عميل خائن، نحن نعمل في سبيل الشعب وفي سبيل الفقراء بصورة خاصة. وتقوية كيان البلاد. فنحن لانقهر وإن الله معنا. أبناء الجيش في مختلف القطعات والكتائب والأفراد، أيها الجنود البررة مزقوا الخونة اقتلوهم، اسحقوهم انهم يتآمرون على جمهوريتنا ليحطموا مكاسب ثورتنا هذه الثورة التي حطمت الاستعمار وانطلقت في طريق الحرية والبصر. وإنما النصر من عند الله وإن الله معنا. كونوا أشداء اسقطوا الخونة والغادرين. أبناء الشعب في كل مكان، اسقطوا الخونة والغادرين وقاتلوهم في كل منعطف وفي كل زاوية. انهم خونة، انهم أذئاب الاستعمار، والله ينصرنا على الغادرين. والله ينصرنا على الاستعمار وعلى أذنايه وأعوانه. (الساعة الثانية بعد الظهر يوم ١٩٦٣/٢/٨)".

واختلفت الآراء حول مصير الكاسيتين، ولكن كما يبدو أن الأول تركه حامله في إذاعة الصالحية، والثاني لم يصل إلى

الاذاعة. وارى ان مجادلة موظفي الاذاعة وعدم استجابتهم لجاسم العزاوي أو ربما (حافظ علوان) لبث نداء قاسم كان سببه النداء الذي اذعناه من مراسلات أبو غريب، وطلبنا من المشرفين على اذاعة وتلفزيون بغداد عدم بث أي شيء قبل وصول أوامر الثورة الجديدة اليهم، وذلك لان تلفزيون بغداد استمر ببرامجه الاعتيادية صباح يوم الجمعة رغم ايقافنا للبث الاذاعي من الصالحية^(١).

وفي طريقنا إلى الصالحية على ظهر الناقلة اقترحت على حازم جواد ان نستدعي مديعين محترفين، اصواتهم معروفة وأليفة للناس، إلى مقر الاذاعة لياشروا بأنفسهم اذاعة الأوامر والبيانات الصادرة عن "المجلس الوطني لقيادة الثورة"، والذي بدأت البيانات تذاع باسمه. وكان مبرر الاقتراح هو ان استخدام مديعين رسميين سيُطمئن المواطنين ويحسّسهم بامتلاكنا زمام الامور بأقتدار تام، وان مقاليد السلطة بأيدينا فعلاً.

وحينذاك كانت تصلنا آلاف البرقيات على شكل رزم فعهدنا إلى احد الضباط مسؤولية استلامها وقراءتها. وان لايسمح ببث أي منها قبل ان يعرضها علي شخصياً، أي عدم اذاعة البرقيات كما تأتي والهدف هو اخراج صوت الثورة أكثر اتزاناً وتوازناً والتزاماً. وفي حينه دبجنا برقيات كثيرة بأنفسنا واذعناها من مراسلات أبو غريب واذاعة الصالحية بدعوى انها وصلت من قادة وأمرأه الوحدات العسكرية. لكن الامر تغير بعد انصرام ساعات النهار الأولى حيث بدأت تصل برقيات حقيقية من شباب بعثيين وقوميين من مختلف أحياء بغداد ومدن العراق. وكان شعار الوحدة والحرية والاشتراكية وأمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة، هي العلامة المميزة لأكثر البرقيات الواصلة. ولذلك اتفقنا ان نجري عليها تعديلات بسيطة لكنها ضرورية لابرار الطابع الوطني وغير الحزبي للثورة، وتجنبنا انفراد المنحى العربي الذي قد يثير حساسية الاخوة الاكراد.

أكدنا استمرار اهداف ثورة ١٤ تموز لصيانة الوحدة الوطنية ودعم الاخوة العربية الكردية واحترام حقوق الأقليات والتقييد بسياسة عدم الانحياز. وقد راعينا هذه الامور ايضاً في نص البيان الأول الذي كتب في البداية على صورة معينة ثم عدل من قبل فيصل حبيب الخيزران عندما كان مازال عضواً في القيادة القطرية، لجعل طابعه وطنياً وقومياً شاملاً، والابتعاد عن

سلمان باك، لكنه ظهر لدى الثوار فيما بعد مما يؤكد ان الدوري لم يكن بدرجة المسؤولية التي تصورها قاسم، فقرر عدم المغادرة". .. اما سكرتير قاسم (جاسم العزاوي) فقد اتصل الزعيم بمنزله، وبعد محادثة قصيرة اغلق قاسم السماعة بوجه العزاوي، واستندار قائلاً: "ان جاسم خائن"[10]. وقد سمعت من اناء المهداوي منور وفراس بأن والدهم حذر قاسم مراراً منه وكان يراه خائناً.

١ نص نداء التحذير هو " إلى جميع موظفي ومستخدمي اذاعة البث بتلفزيون بغداد، اقطعوا البث حالاً بأمر من هذه القيادة وسيحاسب المسؤولون عن مخالفة هذا الامر".

التركيز على بعثية السلطة، لئلا تنحس أي من الجهات المكونة للموزائيك الوطني والقومي والاجتماعي العراقي. لهذا اخذ الضابط المكلف يعرض عليّ البرقيات قبل اذاعتها، فأستبعدُ الكلمات المثيرة للحساسيات، فحذفت كلمة الوحدة من بعضها والاشتراكية من اخرى، وابقيت بعضها على حالها كما جاءت، واحياناً حذفنا " امة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة". اما البرقيات الواصلة من الشباب الناصري القومي فكنا نذيعها مباشرة.

انههر سيل البرقيات بلا انقطاع ذلك اليوم، وفي الساعات الاخيرة منه، وصلت برقيات حقيقية ومباشرة من أمراء الوحدات العسكرية ومن ضباط متقاعدين عرف عن الكثير منهم ولاؤهم لعبد الكريم قاسم أو حيادهم. ومن البرقيات التي وردت وأثارت ضحكاً كثيراً وابتسامات ذات دلالة على وجوه الحاضرين، برقية من اللواء صالح زكي توفيق الذي عرف بتزلفه وتشيعه لقاسم وللحزب الشيوعي، وترديده فيما يكتب ويقول للشعارات السياسية الشيوعية واشادته بلاحدود لعبد الكريم قاسم زعيماً أو حاداً عبقرياً على رأس جمهورية عراقية خالدة.

قيادة الجيش والسلطة بيد البعث

توافد على مبنى الإذاعة ذلك النهار عدد كبير من الضباط حضروا ببدلاتهم العسكرية مستعدين تماماً للقيام باية مهمة تعهد إليهم. وكان أغلبهم من البعثيين والقوميين الذين لم يبلغوا بساعة الصفر. ولم تكن لدينا خطة متكاملة لاستيعاب هذا العدد الكبير من الضباط والاستفادة منهم، مع إننا قمنا بتكليف وإسناد مهام قيادية، كل حسب اختصاصه، لجميع الضباط الذين التحقوا بنا صباحاً في أبو غريب. لكن الوضع هنا مختلف فقد غصت دار الإذاعة وضائق بأعدادهم الكبيرة^(١). وكنا مجتمعين في غرفة القيادة عبد السلام والبكر وحازم وأناء،

١ — بعد ساعات من انتقال القيادة إلى الإذاعة واتخاذها مقراً لقيادة الثورة، اكتظ المبنى بالضباط الملتحقين بملابسهم العسكرية رغم أن بعضهم متقاعدين وجميعهم غير مبلغين. ووصل عددهم حوالي ٩٠ ضابطاً بينهم عشرين بعثياً، وتجتمع بين الآخرين الميول القومية على اختلافها.

واخبرنا الأستاذ علاء الحيدري^[11] بأن العدد الأكبر من الضباط القوميين الشباب كانوا منظمين في كتلة العميد عبد الهادي الراوي^[12] الذي حافظ حتى ما بعد ثورة ١٤ تموز على نشاطه الكتلي مع ضباط ارتبطوا بتوجهاته القومية الإسلامية. وقد أثار كثرة عدد الضباط القوميين في دار الإذاعة بعض الاحلام والأفكار لدى أنصار الراوي، اتصلوا به قائلين مادمننا الأكثرية، فلماذا لا تعتقل البعثيين بمن فيهم البكر وعبد السلام وحازم وطالب والآخرين ونستولي على السلطة ونعلن الوحدة مع العربية المتحدة.

لكن الراوي رفض قائللاً: لقد زارني البكر قبل أسبوعين وكان معي العميد عبد المنعم المصروف والمقدم جابر حسن حداد ومعه عمال وعبد الستار عبد اللطيف، وأكد لي ما نصه: "سيعمل كل منا على دعم الطرف الآخر إذا ما قام بحركة"

←

وكان الحديثي يدخل علينا بين حين وآخر لإبلاغنا ما يدور حولنا وما يصله من أخبار الوحدات المتحركة. وفي مواجهة كثرة الضباط الملتحقين تحرك عبد السلام ليقوم بأول دور له بعد إعلانه رئيساً للجمهورية. فقال والابتسامة تعلو وجهه: اتركوا لي الأمر وسأقوم بتوزيع الضباط على القطعات.

وما كان غير معروف لعبد السلام هو ان خطة حزب البعث لأحكام سيطرته المطلقة على السلطة اقتضت إبلاغ الضباط البعثيين الذين سيسيطرون على الوحدات بصورة سرية ان يلتزم كل منهم بدوره المناط به، وينفذه بحذافيره. ولا يستمع لاية أوامر مهما كان مصدرها، الا إذا جاءت من احمد حسن البكر أو من القيادة القطرية. وحصل ذلك فعلاً، ولم تغلق تدخلات عبد السلام الذي اقترح توزيع بعض قطعات اللواء الثامن وسرايا وفصائل من الفوج الآلي الثاني على مواقع مختلفة من حيث درجة أهميتها، وتكليف بعض الضباط القوميين الذين حضروا مبنى الإذاعة بالتوجه لإمرتها. وبرر اقتراحه لضمان ان تكون جميع الوحدات الموجودة في بغداد موالية تماماً^(١). فوافقنا على اقتراحه وأذيعت أسماء الضباط المعيّنين من الإذاعة مباشرة وتفرقوا لاستلام مناصبهم.

وأضاف " وستكون علاقتنا كعلاقة الشيخين أبو بكر وعمر." ويقصد بذلك ما حصل في سقيفة بني ساعدة من موازنة عمر لأبي بكر، ووفاء أبا بكر بتوريثها لعمر وتسميته خليفة قبل موته.

ويُعتقد ان العهد البكري كان مجرد مخدر، اقتنع به الراوي فأمر ضباطه بالانتظار وقال لهم: "يجب إعطاء البعثيين الفرصة لتحقيق الأهداف القومية المشتركة". وبعد ثلاثة اشهر وجد الراوي نفسه معتقلاً بقصر النهاية ومحاصراً بلوم أنصاره الذين مانفكوا يذكرونه بموقفه الأخلاقي غير المناسب 11 وكان معتقلاً معه سبعين من القوميين بينهم ٥ مدنيين منهم عبد الله الركابي وعلاء الحيدري (اصولهما بعثية) ومن الضباط العميد عبد المنعم المصروف وجابر حسن حداد وجميل السعودي ومبدر الويس (الذي فر من قصر النهاية) وعامر خالد حمدان وعماد نعمة عزيز. ويذكر ان البكر كرر إعطاء العهود وخانها عشرات المرات كوعده للنأي والسادود وخيانتهم، ثم لحدردان التكريتي وسكوته عن مقتله، ومع نعمة كاظم الرماحي وهو بعثي من الفرات الأوسط نقض عهده معه عندما أراد إضعافه، ووعده مكرم الطالباني قبل ١٧ تموز بمشاركة الحزب الشيوعي بكل شيء إذا وصل إلى القصر الجمهوري وبعد استلامه السلطة حُمل المشاركة شرطاً تعجيزياً، وبه تهرب من الالتزام.

ورغم احتياطات البعثيين فقد حصل القوميين يوم ٨ شباط على مراكز مهمة فأصبح عارف عبد الرزاق قائداً للقوة الجوية ثم استقال لعدم تنصيبه عضواً في مجلس الثورة. وصار صبحي عبد الحميد مديراً للحركات العسكرية، ومحمد مجيد معاوناً لرئيس أركان الجيش وعبد الكريم فرحان قائداً لموقع بغداد ثم للفرقة الأولى، وشكري صالح زكي وناجي طالب وزيرين وغيرهم.

١ — توزعت أفواج اللواء الثامن على الشكل التالي: الأول إلى وزارة الدفاع بقيادة محمد يوسف طه لمساندة قوة الدبابات التي تحاصر الوزارة. والفوج الثاني بقيادة عبد الجبار علي الحسين. والثالث بقيادة الرائد الركن مزهر جواد، إلى الكاظمية، ويقود اللواء المذكور العقيد عبد الغني الراوي. وتوزعت سرايا الفوج الآلي الثاني بين مفاصل حيوية عديدة في بغداد، كما زودت قيادة الثورة بالخراسات الخاصة، أي انها لعبت دور المشاة وبعض المهمات الضرورية.

لكننا كنا نعرف ان ذلك لن يحصل، وما جرى على ارض الواقع هو غير ما أراده عبد السلام. فقد استمرت الوحدات مرتبطة بأمريها الذين عينتهم قيادة الحزب قبل تنفيذ الثورة، ولم يكونوا ليستقبلوا أي قائد جديد إلا إذا صدرت لهم أوامر موثقة من قيادة الحزب أو من احمد حسن البكر مباشرة، ولذلك لم يستلم أي من الضباط الذين عينهم عبد السلام عارف إمرة الوحدات الجديدة. وحينذاك وصلتنا أنباء جديدة طيبة تؤكد ان طاهر يحيى وانور عبد القادر دخلا معسكر الرشيد واستوليا عليه بالكامل. وقبلها سمعنا بتحجيد قاعدة الرشيد الجوية إثر ضربها من قبل طائرة الوندائي. وأصبحت بعد دخول يحيى وانور تحت سيطرة الضباط البعثيين والقوميين المنتسبين إليها. أما اللواء التاسع عشر، وهو لواء عبد الكريم قاسم، فقد أمر أفرادها بإيداع أسلحتهم إلى المشاجب، وقد عمل الضباط البعثيون والمعتقلون الذين خرجوا من سجن رقم واحد على إرباك الأجواء داخل مقر قيادة اللواء قبل وصول يحيى وانور، وكان بينهم الضابطان محمد علي السباهي وحميد السراج اللذان سعيا تدريجيا للسيطرة على اللواء.

الرعب في خدمة الثورة

وعلى المدخل الرئيسي للمعسكر قام انور عبد القادر الحديثي بعمل مرعب، لا أعرف ماذا ستكون نتائجه علينا، لكنه اثر كثيراً على معنويات الجنود والضباط داخل المعسكر. فقد تجهمر أمام بوابة معسكر الرشيد الرئيسية حشد من الجنود وضباط الصف وبعض الضباط والمدنيين يهتفون "ماكو زعيم إلا كريم" و "عاشت الجمهورية العراقية الخالدة"، وأنداك نادى انور الحديثي على أحد المقاتلين وطلب منه إعادة هتافه، ولما أعاده أطلق عليه انور من مسدسه الذي صوبه نحو رأس الجندي مباشرة فسقط على الفور ميتاً. وفرغت الساحة من كل المتظاهرين بسبب ما سببته العملية من رعب وذعر^(١).

علمنا كل ذلك من طاهر يحيى الذي كلمنا تلفونيا وأبلغنا بنجاحه، وقال ان عبد الكريم قاسم كلمه بالتلفون من وزارة الدفاع متسائلاً عن مطالب الثوار، فأجابه يحيى إننا نريد رأسك في حين يظل قاسم يلح على المفاوضة والتفاهم، وقال في إحدى مكالماته. . . "أرجو معاملتي

١ — تعاون البعثيون من منظمة الكرامة مع الدبابات الذاهبة إلى معسكر الرشيد، فحاصروا مداخل المعسكر، واحتلوا محطة الكهرباء ومنعوا الضباط القاسميين المتحقيقين من دخوله، وجاءت الدبابات لتستغل حالة الصدمة والفوضى التي تنشط فيها قوات وصنوف المعسكر. فدخل يحيى ومرافقيه مقر اللواء ١٩ وسيطروا عليه مستغلين ضعف أمره فاضل عباس حلمي الذي حضر متخاذلاً مسالماً. وتعاون معهم الضباط طه الشكرحي والملازم عزيز الخطيب، وقاد الأخير إحدى الدبابات وتوجه للسجن رقم واحد، وساهم بإخراج المعتقلين الذين ساهموا في السيطرة على القاعدة الجوية ومفاجأتهم النقيب الخفر عبد القادر الشكاكي، فسلمهم مفاتيح المشاجب وقادهم إلى حيث بهو الطيارين فتم اعتقالهم، وعرقلة الضباط الذين حاولوا امتطاء طائراتهم. وبعدها قطعوا اتصالات المعسكر بالعالم الخارجي ماعدا خط واحد استخدمه يحيى وانور وانتهت العملية.

كما عاملت سوريا النحلاوي عندما أطيح به في انقلاب، وامنح طائرة اذهب فيها إلى بلد اختاره، أو أي بلد تختارونه انتم"... وكان يحیی يكرر عليه ان رأسه هو المطلوب.

ماكو زعيم الا كرم

نعود لوزارة الدفاع حيث تقدمت الدبابات الأربع الأولى بقيادة ضباط الكتيبة الرابعة الشبان فعبرت في حوالي الساعة الحادية عشرة نهر دجلة من الغرب باتجاه وزارة الدفاع، لتجد نفسها وسط تظاهرة كبيرة أعدها الحزب الشيوعي بعد صدور بيان الثورة الأول. وكانت لدى القيادة الشيوعية الميدانية فترة لا تزيد على الساعة والنصف بين إذاعة البيان ووصول الدبابات إلى الدفاع. وكما يبدو كان هذا وقتاً كافياً لتعبئة مجموعة كبيرة للتجمع والتظاهر. وزاد في حماس المتظاهرين واستعدادهم للحضور ان إنذاراً جزئياً كان الحزب الشيوعي قد وجهه لأعضائه ليلة السابع من شباط، كما ان خروج قاسم من داره متجهاً لمقره تحف به الجماهير هاتفة "ماكو زعيم إلا كرم" فوصل الوزارة محبباً الناس وهو بكامل صحته وعافيته.

كان ذلك بعد إذاعتنا انه قتل على أيدي بعض الضباط القوميين، وهذا كله ألهب حماس مؤيديه وتفاؤلهم وعلى رأسهم الشيوعيون الذين تصوروا ان ما يحدث لا يتعدى حركة تمرد صغيرة في معسكر من المعسكرات، وان الزعيم حي يرزق محاط بالانضباط العسكري وبمعاونيه المقربين الذين يأتمنهم^(١).

كان شعور المتظاهرين حول مبنى الدفاع، حسب ما أرى، مزيجاً من النشوة بنصر قادم وتطلع من قبل الشيوعيين بالذات لاسترداد واستعادة ما أخذ منهم على مستوى السنة الماضية من مواقع ونفوذ في السلطة. وأعتقد وحسب ما سمعت من كثيرين ان تصرف المتظاهرين أوحى وعبر عن وحشية ما سيعقب هزيمة الحركة الجديدة.

أحاط المتظاهرون بالدبابات الأربع الأولى وصعدوا فوقها، وفتحوا أغطيها وخرجوا قادتها من الضباط وقتلوهم بالخنجر والسكاكين وسحبوا جثثهم وقطعوها إرباً. ولم يكن ممكناً فيما بعد جمع الجثث إلا قطعاً في توابيت مغلقة كشهداء اغتسلوا بدمائهم^(٢).

١ — في الساعة التاسعة وخمس وأربعين دقيقة صباح ٨ شباط أذيع ما يلي : يا أبناء شعبنا البواسل يا قطعات جيشنا الباسلة، إليكم هذا النبأ السار: بعد ان دك أبطالنا نسور الجو وكر المجرم الخائن، وبعد ان تحركت جميع قطعنا العسكرية، معلنة الثورة ضده، عازمة على ان تدك صرحه، وان تقضي على كل مفاسده، وخياناته، هب إخواننا جنود وضباط وزارة الدفاع، وأردوا المجرم العميل قتلاً، فسقط صريع جرمه وخياناته وتكره لهذا الشعب ولهذا الجيش البطل. انتهى".

٢ — هاجمت الدبابات الاربعة الأولى فور وصولها مدخل وزارة الدفاع، فتمكن الجنود والجماهير من حرق دبابتين، قتل فيها الملازم وحدي ناجي والملازم طارق صادق والملازم شبوط جاسم واصيب آخرين، وكان الأخير أول ضابط بعثي يقتل في ٨ شباط ١٩٦٣.

بعد تلك الحادثة وصل رتل آخر من الدبابات يقوده العقيد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت، الذي اخبرني قائلاً: "أدخلت دبائتي وسط جموع تهتف بحياة عبد الكريم قاسم، ورغم ان واجبي هو مهاجمة وزارة الدفاع، الا اني وجدت نفسي ودبائتي وكل الرتل اسرى وسط تلك الجموع، وسيكون مصيري القتل إذا ما وجهت مدفعي لمهاجمة وزارة الدفاع ولذلك فتحت بوابة الدبابة وخرجت محيياً الجماهير ورددت معهم نداؤهم المعروف " مـاكو زعيم الاكرم" وبذلك مررت بدبائتي، تتبعني دبابات أخرى كرر قاداتها ما فعلته. وما ان وصلنا على مقربة من النادي الأولمبي حتى استدرنا ثانية بصورة مفاجئة نحو مبنى وزارة الدفاع. وبدأنا حالماً اقتربنا من المتظاهرين بإطلاق النار فوق الرؤوس".

وكان ذلك بطبيعة الحال كفيلاً بتفريقهم خصوصاً وان أوامر منع التجول باستثناء افراد الحرس القومي - الذي اعلن تشكيله توا - كانت تتكرر وتمتص أعداد الناس من الشوارع ليقطص عددهم ويختفي مع مرور الوقت أي اثر لهم، بينما استمرت الدبابات بالوصول فضلاً عن وصول طلائع اللواء الثامن وسرايا من الفوج الآلي الثاني لتضرب طوقاً كاملاً حول وزارة الدفاع.

قتال شديد والضحايا أقل من التوقعات

دار داخل الدفاع قتال عنيف وشرس بين القوات المهاجمة والمدافعين من قوات الانضباط العسكري. وعلمنا ان كلاً من أمر الانضباط العسكري العميد عبد الكريم الجدة والمرافق الاقدم لعبد الكريم قاسم العقيد وصفي طاهر، قد ابديا بسالة كبيرة للتصدي للهجوم. وبقي عبد الكريم الجدة يقاتل خلف النافورة الامامية أمام البوابة الداخلية للوزارة حتى اصيب بطلق ناري. وجيء صباح اليوم التالي بجثته وجثة وصفي طاهر إلى دار الاذاعة ووضعتا في الحديقة الامامية.

أصاب وصفي طاهر رصاصتان بصدرة، واحدة اخترقت القلب تماماً. وبسبب شدة المعارك وارتفاع صوت النار كانت تقديراتنا للقتلى والدمار تفوق الواقع، لان ضحايا الجانبين بعد

يقتل في ٨ شباط ١٩٦٣.

أما أول ضابط قتل في ٨ شباط فكان عميد الجو الركن جلال جعفر الأوقاتي في حوالي الساعة الثامنة والنصف (وحسب الوثائق البريطانية السرية ان القتل تم في الثامنة وعشر دقائق). ونفذ عملية قتل الأوقاتي كل من : ماهر الجعفري وغسان عبد القادر وعدنان داود القيسي واكرم عبد الكريم اسود ومجيد رجب حمدان. ويقول أقرباء جلال الأوقاتي ان محمد ثامر (لاعب كرة القدم وحامي هدف فريق المصلحة ومنتخب العراق) كان شريكهم ودليلهم إلى بيت جاره جلال جعفر الأوقاتي[13].

انفضاض المعركة كانت قليلة جداً^(١). ويذكر ان أعداداً كبيرة من افراد الانضباط العسكري قد استسلمت لنا في الحادية عشرة مساء يوم ثمانية شباط، ويبدو ان قائدها عبد الكريم الجدة قد قتل قبل ذلك بقليل فأصبحت بلا قائد فأستسلم أكثريتها واقتيدت إلى معسكر خارج بغداد بعد تجريد افرادها من اسلحتهم، ولم يحصل لأحدهم بعد ذلك أي أذى.

الهاتف يرن مرة أخرى

تلك الليلة كانت حافلة بال telefونات من قاسم، وكان قادراً ان يتصل بنا في أي مكان يشاء، لأننا لم نقرر ضمن الخطة الرئيسية السيطرة على شبكة الهاتف لسبب بسيط هو ان قاسم كان في كل الاحوال سيظل قادراً على الاتصال بأمرأه الوحدات والضباط والقادة والمعسكرات ومقرات القوات باللاسلكي أو telefونات السرية الخاصة. وكنا بحاجة ماسة لقواتنا القليلة في مكانات أكثر أهمية، ولذلك اهلنا هذا الموضوع وبقي عبد الكريم حراً يتصل بمن يشاء. اتصل بالمرسلات ثم بمعسكر الرشيد وغيره من معسكرات بغداد ومحيطها ودار الاذاعة وإستتجد بكافة الوحدات البعيدة عن العاصمة بعد ان يس من استثارة أو تحريك اية قوة داخل بغداد. وكان جواب القادة الاعتذار لعدم القدرة على القيام باية مهمة أو تحرك، وبعضهم امروا بدالة وحداتهم الاعتذار وإبلاغ قاسم بعدم وجودهم. وهكذا انصرم النهار وحل المساء وادرك قاسم يقيناً انه فقد الامل في استلام نجدة أو ناجد، بعد ان اتصل بالمرسلات ثم بمعسكر الرشيد وغيره من معسكرات بغداد ومحيطها، وكان قاسم حينها مضطراً إلى التنقل بين سراديب وزارة الدفاع وبين محكمة الشعب الملاصقة لوزارة الدفاع، بعد ان ترك مكتبه في الطابق الاعلى الذي اصيب اصابة مباشرة بصاروخ.

لا أريدها حرباً أهلية

اعاب كثيرون على قاسم عدم استغلال القوة التي كانت معه في وزارة الدفاع والمؤلفة من ٤٥ مدرعة وألفي جندي، ليخرج بها ويفاجئ الثوار مهاجماً. لكننا حسبنا حساب ذلك، فكانت مهمة الدبابات الثلاثة التي رافقتنا إلى المرسلات ان تسد الطريق بوجه أي هجوم عسكري سيستغل فراغ ذهاب الدبابات إلى مخازن الاسلحة وعودتها. كما ان شبابتنا المزروعين على طول الطريق الضروري التي ستقطعه مدرعات قاسم إلى معسكر أبو غريب

١ — نضع مجموع اسماء قتلى صبيحة ٨ شباط

— يقول عارف عبد الرزاق ان الضابط الطيار محمد جسام الجبوري تمكن بضربة واحدة من قتل جميع جنود رتل من السيارات وخلف وراءه ١٩٨ جثة من جنود الانضباط العسكري بوزارة الدفاع.

سيهاجمونها انطلاقاً من الجوامع والمباني التي احتلوها^(١). يضاف إلى ذلك القوة الجوية التي ستضرب اية قوة أو رتل يتحرك بأبجائها.

وتلك كانت ضمانات كافية لعرقلة القوة التي يفترض خروجها من الدفاع، وحينها سنكسب الوقت الكافي لعودة الدبابات التي يقودها البكر مزودة بالعتاد والوقود والماء. ولذلك لم نشعر بالخوف رغم ان عماش حاول زرعه فينا، وكان يتوقع ان يخرج في مواجهتنا عشرون الف شيوعي مسلح، وستكون مقاومتهم ضارية. وكان يرى ان الدبابات غير قادرة على دحر الجماهير الذين سيقتلون ضباطها. ولكن الواقع ان الشيوعيين لم يتمكنوا من حشد أكثر من خمسمائة شخص، ولم يحملوا غير عدد قليل من الاسلحة الخفيفة نصف الآلية وكانت معنوياتهم متدنية، لان عدداً كبيراً منهم انتمى في فترة المد الشيوعي، ولن يصمد في مثل المعركة التي فرضناها عليهم غير العقائدين، ولان قاسم تخلّى ورفض تسليمهم السلاح للمقاومة^(٢).

بقي مع عبد الكريم قاسم حتى ذلك الحين كل من العميد طه الشيخ احمد مدير الحركات العسكرية بوزارة الدفاع والعقيد فاضل عباس المهداوي رئيس المحكمة العسكرية العليا الخاصة التي عرفت بمحكمة الشعب والمقدم قاسم الجنابي والنيقيب كنعان خليل. اما بقية الضباط فقد انسحب أكثرهم وتسلموا تحت جنح الليل هرباً عبر نهر دجلة، بينهم اللواء احمد صالح العبيدي الحاكم العسكري العام والعميد سعدون المدفعي ورئيس الاستخبارات العسكرية العميد محسن الرفيعي وسكرتير قاسم المقدم جاسم العزاوي وغيرهم، وبقي عدد آخر من الضباط داخل الوزارة متخفين وغير متحمسين للقتال، وإنما انصب جهدهم على حماية انفسهم^(٣).

١ — يذكر ان بعض المدنيين البعثيين اعلنوا عن الحركة من مكبرات صوت الجوامع، قبل اذاعتها من مراسلات الاذاعة في أبو غريب [14].

٢ — يقول قاسم الجنابي " اقولها للتاريخ، تجمع الناس في باب وزارة الدفاع وكان هناك مخزن في الوزارة للأسلحة، وطالبوا بالسلح ولكن عبد الكريم قاسم رفض توزيع السلاح وقال: "انا لا اريدها حرباً أهلية سنعالجها". [15]. كما اتصل معي الشيخ (ع م س للحزب الشيوعي) من ساحة التحرير بوزارة الدفاع وتحدث مع وصفي طاهر، وكان حاضراً معه رشدي العامل والشاعر مظفر النواب، اتصل معي من بناية مرجان وقال: " نحن موجودون بساحة التحرير نحتاج إلى سلاح واثين من الضباط لقيادتنا إلى معسكر الرشيد." واكد له امكانية ضبط معسكر الرشيد وكان معهم جنود كثيرون في الساحة لكن وصفي طاهر اكد ان الزعيم لا يوافق ويرى ان الحركة ستفشل [16]. وقال يونس الطائي: " ان العميد سعيد مطر بقي في ٨ شباط في وزارة الدفاع حتى الساعة الرابعة عصراً، وبعده لم أره، وكان منزعاً من عبد الكريم قاسم. وقل ان يختفي أو يغادر الوزارة متسللاً، قال لي: "لا يعطي السلاح للشعب، مشيراً لعبد الكريم قاسم" وأضاف الطائي " أظن ان وصفي طاهر كان يعاني مثل سعيد مطر، لكنهما لم يرغباً معارضته أو تكديده مباشرة". ويذكر ان سعيد مطر كان قد تسلل متخفياً إلى كردستان العراق ليبدأ من هناك تأسيس مقاومة شيوعية.

٣ — ما تقدم في الصفحات الماضية يمثل شرحاً لخطوة الحركة التي يمكن ان نعطيها عنوان (عضة السم) الذي يباغت ضحية اكبر منه حجماً بجراً وسرعة مستغلاً استرخائها، فيعض اضعف واخطر منطقة في جسمها (حوزة الرقبة) ←

مطبقاً فكيه دون فكاك ومهما حصل. هي عضة تجعل رأس الضحية وبقية جسمها محايدين في معركة تخصهما أساساً فيتركز جهد الضحية في سباق عثي عموم للخلاص من الفكين المطبقين، وتدريباً تفقد المبادرة وترتبط أسيرة بالعضة وبالفكين المطبقين. ويصبح حالها حال من يدور حول نفسه عثاً ليرى حلمة أذنه.

وهكذا تعجز الضحية عن استخدام قواها الأخرى، ويخرج جسمها الكبير من الصراع، بل ويعجز بقية النوع (القطيع) المراكب لها عن المعاونة والاقتراب حيث فكاً السبع المنطبقان بإرادة وقوة على عضو رهيف، يتضرر بسرعة وتتوقف عليه الحياة.

وهكذا كانت خطة البعث، فقبيل دخول قاسم مبنى وزارة الدفاع (القفص، المصيدة)، تمكن المدنيون البعثيون في يوم عطلة رمضاني من مفاجأة وإعاقة عدد هائل من الضباط على مداخل الجسور ومفارق الطرق المؤدية إلى وزارة الدفاع وأبو غريب، ومعسكر الرشيد ومدخل مدينة الضباط. ومنع الضباط الشيوعيون والقاسميون من الالتحاق بوحداتهم بعد سماع بيان الحركة الأول، واحتحارهم داخل الجوامع وفي مكانات أخرى، وإعادة الضباط غير المسيسين إلى بيوتهم. ففقد عبد الكريم قاسم المئات من مناصريه ضباطاً ومواطنين. وتمكن عدد قليل جداً من الشبان من حاملي البنادق والمسدسات التمرکز في مناطق استراتيجية من منع مؤيدي قاسم من أبناء الثورة والكاظمية والشعلة والقاهرة والحرية والزعفرانية الكرادة والبياع ومناطق الإسكان الشعبي الجديدة وغيرها من الوصول حيث يحاصر الزعيم لمد يد العون له. وجميع هؤلاء تفرجوا من بعيد على الطائرات القاصفة تذهب وتعود واستمعوا لأصوات المدفعية والراماية، مجردين من السلاح لا يملكون غير العواطف التي لا يمكن توظيفها لمصلحة المحاصرين الذين يضيق حولهم الخناق ويتعزز الحصار بمدركات ودبابات وطائرات تحوم وتضرب، وملتحقين جدد فيكسب المحاصرون قوة وزمناً ضرورياً، في حين يخسر المحاصرون وتضعف معنويات الجنود والضباط داخل المعسكرات الأخرى فيلتزمون الحياة أو يبحثون عن الخلاص بتأييد الحركة. ولم يقدم العون غير سكان الأحياء المحيطة بوزارة الدفاع على شكل مظاهرات في شارع الرشيد وباب المعظم، وهؤلاء امتصها نظام منع التجول، ورماية الدبابات والمدركات ونشاط الحرس القومي، ليتلاشى وجودهم بعد فترة قصيرة خصوصاً بعد ان رفض عبد الكريم قاسم تزويدهم بالسلاح لكي لا يتسبب بحرب أهلية أو لكي لا تتكرر أعمال شبيهة بأحداث الموصل. وهكذا كانت وزارة الدفاع تماثل رأس الضحية، ومعسكرات الجيش القريبة والبعيدة وسكان المناطق والأحياء والمدن تمثل أطراف وجسد الضحية. والطرق الرابطة بينها وبين وزارة الدفاع تماثل الرقبة الواصلة بين الرأس والجسد، وهي التي أطبق عليها وامسك بها المهاجمون بقوة. وكلما مر الوقت كانت نيران الطائرات ومدافع الدبابات تاكل الرأس المحاصر في مبنى الدفاع في حين تبقى الوحدات والأحياء الأخرى مرتبكة وبلا قيادة.

ولابد ان عوامل كثيرة تدخلت وساعدت على إنجاح خطة المهاجمين وكانت: أولاً: بقاء الشيوعيين وحدهم تقريباً في ميدان الدفاع عن النظام، بسبب طريقتهم الاستفزازية السابقة في النشاط السياسي التي تدفع عن الميدان اية قوة أو هيئة تؤيد نظام قاسم ومستقلة عنهم. ثانياً: امتناع قاسم عن تشكيل الحزب السياسي الوسط ليقف بين الحركات المتطرفة، وليدافع أعضاؤه عنه بمسؤولية والتزام وعصبية، كما يفعل منتسبو الأحزاب دفاعاً عن سلامة سياسة أحزابهم وقادتها. وكما اخبرني يونس الطائي انه وآخرون اقترحوا على قاسم أكثر من مرة تأسيس ذلك الحزب، فكان رده: "الشعب كله حزبي، وإذا أسست حزباً ستتحول إلى دكتاتورية"[17] ومعلوم ان هناك فرقاً جوهرياً بين ديكتاتور وديكتاتورية.

ثالثاً: افقد التصادم بين قاسم والشيوعيين رغبة الآخرين وحاسمهم له، وكسر التحالف الاضطراري بينه وبينهم، فقاسم أراد تمييز نفسه والاستقلال عنهم. والشيوعيون أرادوا المحافظة على نفوذهم ودفع الخطر الداهم عن أنفسهم. رابعاً: فقدان بعض قادة القوات المسلحة معنوياتهم ورغبوا في عدم التورط بسبب توسع حركات الشمال. خامساً: فقدان المرجعيتين الإسلاميتين الشيعية والسنية لحماسهما للسلطة، بل وإعلان عداوة المرجعية السنية علناً للنظام بسبب التعديلات التي أدخلت على قانون الأحوال الشخصية[18].

أما النقيب كنعان خليل حداد فأمر انضمامه إلى عبد الكريم قاسم والبقاء معه حتى الموت فيه شيء من الغرابة، فلم يعرف لحد الآن ماذا كان يربطه بقاسم؟ فقد كان كما دلت محتويات جيبه بعد استسلامه وتفتيشه على أنه كان ذاهباً إلى موعد غرامي، يقضيه في يوم عطلة. وخلال سيره على الطريق بسيارة مكشوفة سمع نبأ الحركة فقرر تحويل وجهته إلى وزارة الدفاع، لكنه اصطدم بالضابط إبراهيم التكريتي فقتله برشاش كان معه في السيارة، ثم التقى بحاملة جنود تابعة للفوج الآلي الثاني وكان ركابها يهتفون بسقوط قاسم، فأوقفهم وأطلق عليهم فقتل وجرح الجنود التسعة الذين كانوا فوقها. ولم يكن هناك أي دليل على أن ما قام به كان دفاعاً عن النفس، كما لم يكن عملاً حاسماً في مسيرة ما كان يجري في بغداد واجوائها يومذاك، وربما كان احساسه بالتورط جعله يقاتل حتى الموت ودون تردد^(١).

سادساً: سن القانون رقم ٨٠ وتأسيس شركة النفط الوطنية. وبشكل عام كانت خطة ٨ شباط ١٩٦٣ ذكية استثمرت بنجاح عدداً قليلاً من الضباط وبضع مئات من المدنيين البعثيين لتتمكن بسرعة خاطفة من إطاحة نظام شعبي بكل مقاييس العالم الثالث والشرق الأوسط، فأنصرت على قوة تملك أعداداً من الضباط والموالين تفوق عشرات المرات ما لديها. وقد وضع الخطة عبد الستار عبد اللطيف وعمساش بتكليف من السعدي ودرسها وأقرها المكتب السياسي المؤلف من علي وحازم وطالب وكريم. ولم يحضر محسن وحديد وحدي.

١ - أخبرني هاشم الياسري أن كنعان خليل حداد كان شيوعياً غير مكشوف، وابن آخت العميد عبد الكريم الجدة قائد الانضباط العسكري والمريد المخلص لعبد الكريم. ويرى الياسري أن هذه أسباب كافية لحماس كنعان حداد لعبد الكريم قاسم ووقوفه معه ضد نوار رمضان[19].

ملحق رقم ١

المرات التي استخدم فيها الجيش العراقي ضد الشعب

تجاذب الجيش، منذ تأسيسه خطان، أحدهما يراه وطنياً يمثل وحدة البلاد، ويسأل بابتعاده عن التكتلات السياسية الداخلية ليظل حامياً للحدود وللدستور. وآخر ما انفك يزجه بحروب داخلية "واستخدم الجيش العراقي قرابة ٤٥ مرة ضد المظاهرات الجماهيرية والتحركات الفلاحية والعشائرية وإضرابات العمال والثورات الكردية وغيرها. وفي مناسبات عدة جرى الاستعانة بسلاح الجو البريطاني...»^(١).

ومنذ ما بعد ثورة العشرين وحتى الآن يحاول الجيش دون جدوى، السيطرة على الأوضاع الأمنية الداخلية، وربما يعود السبب إلى تركيبة الجيش الغريبة عن نسيج المجتمع في بدايته تأسيسه، ثم إلى القيادات السياسية والعسكرية التي امتلكت طموحات مناقضة لطموحات أغلبية المجتمع بعد الثورة.

ويمكن بسهولة ملاحظة أن العراق لم يستطع طوال عشرات السنين من الاستقلال الوطني الحصول على خمس سنين متواصلة ومستقرة. وما يؤسف له أن أكثر المهتمين بخشون من وقفة نقدية ومن إعطاء رأي شجاع يساهم في حل الأزمة جذرياً وإراحة النفس والمجتمع من أزمة دورية تقضي على الاستقرار السياسي والاجتماعي. وبسبب عجز الجيش من امتلاك حريته والتوافق مع تنوع المجتمع، عجز المجتمع كله من التمتع بثروات العراق الكبيرة، وذلك يفرض أهمية دراسة الظاهرة دراسة معمقة. ونأخذ هنا نماذج لاستخدامات الجيش في شؤون داخلية:

أولاً: على الجبهة الكردية زجت الحكومة المركزية الجيش بصورة مستمرة، خلق قاعدة مؤسفة وثابتة في ذهن الكرد، وهي أن عليهم قبل المطالبة بشيء ما لأنفسهم، أعداد العدة العسكرية والتفكير حتماً بالتمرد وتناجيه مثل الصعود للجليل. فلم يُبقِ السلطات لهم سوى أحد خيارين، إما التمرد أو الطاعة الدليلة الثابتة. وكان أول استخدام للجيش العراقي ضدهم حصل في ٣١ آب ١٩٢١ بأمر من برسي كوكس، لإخماد بعض مظاهر الرفض وكان ذلك قبل تنويع الملك فيصل الأول، لأن الجيش العراقي تأسس بقرار من مؤتمر المستعمرات المنعقد في القاهرة قبل تأسيس الدولة العراقية الحديثة بقليل. ثانياً: في ١٩٣٣ لإخماد حركة النساطرة تنفيذاً لقرار حكومة ياسين الهاشمي ذات التوجه "القومي" وكان عبد القادر الكيلاني وزيراً للدفاع واتخذ قراره بالتنسيق مع رئيس الوزراء ياسين الهاشمي ووزير الداخلية حكمت سليمان، ونفذه القائد العسكري بكر صدقي، وتمت الضربة على مرحلتين. الأولى في

١ — د. حسان عاكف حمودي — واقع النظام الملكي وثورة ١٤ تموز، الثقافة الجديدة، عدد ٢٧٤ شاط ١٩٩٧ .

١٩٣٣/٨/١١ وقتل فيها أكثر من ستمائة شخص. وفي المرة الثانية زحف الجيش وحصد منهم المئات بعد تجريدهم من أسلحتهم الشخصية، فقتلوا عَزْلاً^(١) وسُميت العملية بـ "عين الأرناب".

وفي الحقيقة لم تكن حركة الآشوريين تمثل خطراً يتطلب قراراً بالإبادة، فهي تمثل أقلية لم تتجاوز حينذاك الآلاف، ويجدر ملاحظة أنه رغم عمق المأساة، فقد مجد الشعب بأغليته خطوة الجيش، ربما لاختزانه ذكرى مؤلمة عن استخدام الإنكليز للآشوريين جنوداً في قمع الثورات العراقية، خصوصاً ثورة العشرين. وأغلب الظن أن شعوراً هستيرياً بوحدة الوطن وضد تقسيمه قد اجتاحت العراقيين بعد أن رفع الآشوريين شعارات تطالب بوطن مستقل.

ثالثاً: في عام ١٩٣٥ وبقرار من ياسين الهاشمي تدخل الجيش ضد سكان الفرات الأوسط لقمع انتفاضتهم، وبدأت العمليات في ١١ أيار حتى ٩ تموز ١٩٣٥، بمساندة طائرات القوى الجوية التي أسقطت القنابل على رؤوس الفلاحين وأحرقت القرى في مناطق العشائر في الدغارة والرمثية والحمزة وغماس وعفك وكذلك عشائر سوق الشيوخ، وبعد انتصاره على الانتفاضة فرض الغرامات عليها.

وفي نفس العام أمر وزير الدفاع رشيد عالي الكيلاني القائد العسكري بكر صدقي بضرب وإخضاع مدينة الرميثة وبعد إخماد ثورتها، قال الكيلاني لصدقي "الآن أقدر أن أفخر بالجيش العراقي". فأجابته صدقي "على العكس أنا لا أفخر بجيش يقتل أبناء شعبه"، ويروي ذلك الزعيم فؤاد عارف الذي رافق الاثنين في جولتهما الحربية إلى الرميثة^(٢) ويذكر أن انتفاضة الرميثة وسوق الشيوخ وغيرها من مدن الوسط والجنوب لم تكن حينذاك موجهة ضد وزارة ياسين الهاشمي أو الكيلاني، بل ضد السياسة الإنكليزية في العراق.

رابعاً: وفي ١٩٥٢/١١/٢٣ شكل الفريق الركن نور الدين محمود وزارة عسكرية، شغل فيها هو منصب رئيس الوزراء ووزير الدفاع والداخلية، فضلاً عن رئاسته لأركان الجيش. وبأمر مباشر منحه إلى قائد موقع بغداد "طلب تفريق كافة الاجتماعات والمظاهرات بعد إنذارهم بالرمي" وعمم قائد الموقع ذلك الأمر على الوحدات بعد أن ذيله بتوقيعه: الزعيم الركن عبد المطلب أمين قائد القوات في ١٩٥٢/١١/٢٤. وبذلك اتجهت القوات لضرب انتفاضة تشرين الثاني في بغداد والنجف وكربلاء والحلة والديوانية والبصرة... الخ، وفيها وقف العراقيون مدهوشين لا يجدون تفسيراً لتصرف دولتهم المشين.

ويذكر أن نور الدين محمود كان قائداً للقوات العراقية عندما وقع الجيش المصري في حصار القالوجة، فأحجم عن مساعدته مستخدماً شقي الذرائع، وكان عبد الكريم قاسم أحد أمراء الأولوية الذين أصروا على التدخل لفلح الحصار عن الجيش المصري، وبعد رفض نور الدين محمود، رتب قاسم أمره وأعد لوائحه سراً للتحرك ليلاً لمساعدة الجيش المصري خلافاً لأوامر قيادته العسكرية، لكنه فوجئ عشية التحرك

١ — ستافورد، مأساة الآشوريين، ص ١٧٤ - ١٧٥ عن سمير خليل (كنعان مكية) جمهورية الخوف، بالعربية، ص ٢٦٤.

٢ — حامد سالم الزبادي: التوجيه المعنوي في الجيش العراقي، مصدر سابق. عن كتاب عبد الغني الملاح — تطور الحركة الديمقراطية في العراق، ص ١٣٤.

بتحقيق اتفاق بين القيادتين العربية والإسرائيلية لفك الحصار^(١).

خامساً: في عام ١٩٥٦ أرسل نوري السعيد فوجاً عسكرياً بقيادة عبد الوهاب الشواف لمساندة شرطة " القوة السيارة" لإخماد انتفاضة النجف التي أعلنت ضد الإنكليز بسبب تحالفهم مع فرنسا وإسرائيل وعملائهم لضرب مصر ونظام جمال عبد الناصر، فيما سمي بالعدوان الثلاثي. ومن حسن الحظ أن المقدم عبد الوهاب الشواف كان وطنياً وتصرف بود ولم ينجر لضرب المواطنين، بل وقف بوجه الاعيب الأمن والشرطة ومنع تطور الاضطرابات، وأوقف أعمال القتل والتأثر بين الشرطة السيارة وأبناء المدينة، وذلك أكسبه سمعة طيبة وكانت تلك واحدة من الأسباب التي رفعت اسم وسمعة الجيش في نظر الشعب، بل ساعد في تحول الجيش إلى ملاذ يلجأ إليه الشعب من عدوان حكومة نوري السعيد وذراعها "القوة السيارة" وارتفعت شعبيته أكثر بإعلان ثورة ١٤ تموز.

سادساً: في عام ١٩٥٨ قتل ضباط برتب عالية العائلة المالكة ومرافقيها، كما تلقت العائلة المذكورة حماية من مدرعة تابعة إلى رتل يقوده عبد الرحمن عارف (رئيس الجمهوري لاحقاً) رغم تلويح الرتل الملكي براءة بضاء واتفاقه على التسليم قبل الخروج من مخبئه، تلك المأساة سجلت تحولاً وبداية لتسليق ضباط شباب "مترفين" انفتحت شهيتهم للسلطة السياسية، فحرفوا الجيش العراقي وحولوه من قوة تقليدية تستخدم في توطين الأمن الداخلي إلى قوة تقوم بحماية مشاريع سياسية وأيديولوجية يقودها زعماء من الدرجة الثانية، ويحكمون مستندين إلى شرعية القوة بعد سيطرتهم على الجيش العراقي بمؤامرة عسكرية لعب فيها بعض الضباط دوراً يؤكد استعدادهم للخروج على القانون. وعندما استتب لهم الأمر نقلوا الجيش من قوة لكل الشعب، تقف " فوق الميول والاتجاهات" إلى قوة فرض عليها الالتزام بإرادة معينة ضد بقية الإرادات المتضمنة في التنوع العراقي الكبير. وأصبح ذلك الوضع المستحدث أشد خطورة منذ عام ١٩٦٨ .

سابعاً: في حزيران ١٩٦٣ قام الزعيم صديق مصطفى بضرِب المدنيين في مركز مدينة السليمانية وقد قتل العشرات من المواطنين الأكراد العزل، وحصلت أعمال مماثلة بنفس التوقيت في مدينة كركوك، وقبلها استخدم الطيار فهد السعدون طائرته في قصف تجمعات مدنية في حي الكريعات والزعفرانية ومخيمين فلسطينيين (بناها قاسم) في مدينة بغداد، وحملت تلك الضربة في طياتها آثار السياسة والإيديولوجيا، واستعمل الجيش مرة أخرى في ١٨ تشرين الثاني عندما أمر عبد السلام عارف القوات المسلحة بضرب قوات الحرس القومي ومكاتب حزب البعث ومنظماته الشعبية خصوصاً في بغداد والموصل والرمادي ومناطق أخرى، ومهما يكن فقد كان الحرس القومي قوة محلية بأسلحة شخصية يدوية، ولم يكن هناك مبرر لاستخدام الدبابات والأسلحة العسكرية الاستراتيجية ضده. غير أن استخدام الجيش أصبح أمراً يسيراً لدى قياداته السياسية والعسكرية وأصبح الحاكم لا يتجمل من احتمائه به من الشعب.

ثامناً: في عام ١٩٦٤ استخدم الجيش ضد منتسبي الحركة الكردية قنابل حارقة محرمة دولياً وقد لقى ذلك احتجاجات الشعب العراقي بأكمله.

١ — راجع خليل إبراهيم، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم.

تاسعاً: في عام ١٩٧٧ بأمر من قيادة — البكر، صدام — استخدم الجيش في ضرب المسيرة الدينية السنوية الراجلة من النجف إلى كربلاء بمناسبة أربعينية الإمام الحسين (ع) بما فيها من تحدٍ للتقاليد والمشاعر. وأمرت بإيقاف المسيرة التي تشكل جزءاً هاماً من الحياة الروحية للمجتمع. وبسبب إصرار السلطة، تظاهر المشاة في الصحراء رافضين العودة قبل إتمام مسيرتهم المسالمة، ففوجئوا باللواء المدرع السادس من الفرقة الثالثة المدرعة ومقره المسيب واللواء الثامن الآلي من الرمادي يطوقان تجمع (الزوار - المشاة) الاعتيادي في منطقة خان النص لبياشرا القمع والتفريق وإلقاء القبض على العشرات منهم، وعقدت محكمة خاصة، حكمت بالإعدام على مجموعة منهم بعد اتهامهم بالعمالة والجاسوسية!!

عاشراً: ومنذ عام ١٩٦٤ حتى ١٩٨٠ أصبحت مهمة الجيش داخلية فقط عدا محاولات اضطرابية فجائية باهتة.

حادي عشر: السنوات اللاحقة منذ عام ١٩٨٠ وحتى الآن تحول الجيش العراقي إلى وسيلة بيد نظام عدو للشعب، وتغيرت تركيبته القيادية، ليفسح الفتيون والمتفوقون إلى ضباط يتمتعون بميزة التبعية للسلطة مهما كانت نوع الأوامر التي تصدرها، ومهما كانت رغباتها وأوامرها. فنفلت أبشع الجرائم كحليجة والأطفال ومذابح الأهوار.

ثاني عشر: إدخاله في لعبة دولية لا تخدم مصلحة العراق والأمة العربية.

ثالث عشر: ١٩٩١ ضرب انتفاضة آذار / شعبان إثر فشل السلطة والجيش في مواجهة خططها بعد احتلال الكويت، فاستدار على الشعب وقصف المدن بصواريخ بعيدة المدى، واستخدم ضد المواطنين مصطلح "الأعداء"^(١) وخاض ضدهم حرباً بكل معنى الكلمة.

هذا فضلاً عن بناء السلطات العراقية المتعاقبة، منذ أكثر من ٧٥ عاماً، أجهزة أمنية واستخبارية مهمتها الدائمة كبح الشعب والوطنيين بشكل خاص، موفرة كل وسائل المراقبة والتعذيب بلا حدود.

كما جرت محاولات استخدام الجيش في الصراعات بين البلدان العربية كسوريا ولبنان بدفع من رجال العهد الملكي في عهد نوري السعيد وتوفيق السويدي الذي كتب إلى سفير بريطانيا ببغداد في ٥ حزيران ١٩٥٨ متحججاً لضرب سوريا والكويت يقول: "إن الخطر الشيوعي أصبح يهدد الحكومة العراقية من سوريا والكويت"^(٢).

وراضح أن السياسيين وقفوا دائماً وراء زج الجيش في أعمال الشغب وتلاعبوا بأمزجة وتوجهات ضباطه، فلم يخضع الجيش يوماً لرغبة ضباطه بل كانت تدخلاته العنيفة في كثير من الأحيان مثار استياء بين الضباط. ولذلك من الخطأ نسب عملية ضرب منطقة الفرات الأوسط إلى بكر صدقي كضابط بل يتحملها ياسين الهاشمي رئيس الوزراء ووزير دفاعه الذي اتخذ القرار وأمله على صدقي.

ومن غير المستبعد أن تكون تلك الأوامر وغيرها سبباً في الانقلاب العسكري الذي قاده بكر صدقي بمساندة أبو التمن والجادرجي. ولأن الحس الشعبي الفطري من الصعوبة أن يخطئ، نرى المواطنين رغم

١ — حسن العلوي — دولة الاستعارة القومية، ص ١٨٤ .

٢ — د. حسان عاكف حمودي — ثقافة حديدة — مصدر سابق

تدخلات الجيش ظلوا ينظرون إليه حتى نهاية الستينات نظرة احترام، ولكنهم لم يكونوا ودًا للقيادات السياسية الحاكمة ولا حتى لقيادات الجيش المسيسة أو المؤدجلة أو المتعصبة.

ويمكننا أن نستنتج من الأرقام أن الجيش لم يستخدم ضد الشعب في فترتين فقط. أولاً: عهد الملك فيصل الأول منذ ١٩٢١ حتى ١٩٣٣ ، وعهد عبد الكريم قاسم من ١٩٥٨ حتى ١٩٦٣.

لقد انبهر العسكريون بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فسعوا جميعاً إلى تكرارها رغم أن الأولى جاءت من أجل الاستقلال وتحويل الإنكليز عن البلاد، وكانت الانقلابات الأخرى مجرد خروج على القانون وتوظيف القوات المسلحة لمصالح حزبية سياسية وأحياناً من أجل مكاسب شخصية، وأدى ذلك إلى جرجرة الجيش واجتماع على مدى أكثر من ربع قرن إلى مآزق وحروب أوصلت البلاد إلى الحضيض.

فقد تحولت مهمة الجيش داخلية فقط ، عدا محاولات اضطرارية باهتة وفجائية، ليس مخططاً لها. أما مهمته الأساسية فحُصرت في حماية النظام وقتال الكرد في شمال العراق. ولم تكن مساهمته في حرب تشرين تتناسب مع قدرته أو عقيدته التي يدرسها الضابط في الكلية العسكرية، حيث يدرس المواجهة مع العدو الصهيوني والجغرافية الواصلة بين فلسطين وبغداد ... الخ. وعندما حصلت الحرب في عام ١٩٧٣، وجد العسكريون العراقيون أنفسهم بلا ناقلات دبابات ولا أية وسائل سريعة ومتطورة تمكنهم من الانتقال لمواجهة عدوان إسرائيل ضد سوريا ومصر أو نصرة شعب فلسطين، وهذا ما حصل في أيلول عام ١٩٧٠، فمجرد اشتعال المعركة وجد الجيش العراقي نفسه غير قادر على تنفيذ وعده بنصرة الفلسطينيين أو على الأقل حمايتهم بسبب عدم صدور الأوامر من القيادة السياسية^(١).

١ — حسن النقيب مقابلة، كردستان العراق ١٩٨٢ .

مراجع:

- [1] خليل إبراهيم حسين - موسوعة ١٤ تموز صفحة ٣٤٢، وصالح حسين الجبوري صفحة ١٧٥. ومقابله مع عارف عبد الرزاق لندن في ١٧/٥/٩٨ .
- [2] د. حسان عاكف حمودي - واقع النظام الملكي وثورة ١٤ تموز - الثقافة الجديدة شباط - العدد ٢٧٤ - ١٩٩٧.
- [3] د. سمير الخليل (كنعان مكية) - جمهورية الخوف، دار الزوراء، بيروت، صفحة ٢٤٦
- [4] عبد الغني الملاح - تطور الحركة الديمقراطية في العراق صفحة ١٣٤ - وراجع العقيد الركن حامد سالم الزيايدي أو أحمد الزيايدي) - البناء المعنوي للقوات المسلحة العراقية، دار الروضة، بيروت، ١٩٩٠
- [5] صالح حسين الجبوري - ثورة ٨ شباط صفحة ١٤٩ - وراجع خليل إبراهيم حسين - موسوعة ١٤ تموز، السقوط. رسالة من ذياب العلكاوي لخليل إبراهيم صفحة ٣٤٤.
- [6] رسالة من بهاء الشبيب في ١٠-٤-١٩٩٨.
- [7] رسالة من أحمد الجبوري في ٥/٣/١٩٩٦.
- [8] رسالة من بهاء الشبيب في ١٠/٤/١٩٩٨.
- [9] يونس الطائي مقابلة ١٩٩٥.
- [10] يونس الطائي مقابلة ١٩٩٥.
- [11] علاء الحيدري من التيار القومي العربي (عضو مكتب سياسي) مقابلة عام ١٩٩٤.
- [12] ضابط حر، عضو هيئة محكمة الشعب، رفض توقيع وثيقة إعدام رفعت وناظم ولم تكن كتلتها تنتمي لحركة القوميين العرب أو للعربي الاشتراكي لكنها تتفق معهم، وقرية من قيادة الحركة
- [13] مقابلة مي الاوقاتي وجميل منير، فيردن - هولندا، ١٩٩٦.
- [14] فتي الاعظمية - دار الطليعة بيروت ١٩٧٩.
- [15] عبد الكريم قاسم، موسوعة ١٤ تموز، - السقوط، صفحة ٤٠٢.
- [16] مقابلة مع مظفر النواب، برلين، ١٩٩٤.
- [17] مقابلة يونس الطائي - دمشق ١٩٩٥.
- [18] موقف الشيخ عبد العزيز البدر، والشيخ الزهاوي وتحالفاتهم وتدخلاتهم السياسية ضد السلطة بعد ان اشتهروا بعدم التدخل.
- [19] لقاء مع هاشم الياسري، دمشق، تموز ١٩٩٧.

استسلام عبد الكريم قاسم وإعدامه

بدأ التلفون الموجود في غرفة أمر سرية حراسة مرسلات "أبو غريب" يرن بصورة مستمرة مباشرة بعد إذاعة بيان الثورة الأول. وتناوبت وحازم جواد على رفع السماعه، وكان المتكلم يصيح بصوت عال: أنا الزعيم عبد الكريم قاسم. من المتكلم؟ فنغلق السماعه دون إجابته. تكررت اتصالاته عده مرات بينما نواصل بث ما بحوزتنا من بيانات وتوجيهات وكنا نخشى أن يرفع السماعه أحد الإداريين أو الفنيين أو الجنود خلال انشغالنا ليفاجأ بصوت عبد الكريم قاسم حيا، وقد أذعنا قبلها بقليل خبر مقتله في وزاره الدفاع على أيدي ضباط مؤيدين للثورة. ولو حصل ذلك فسنواجه مشكلة جديدة، إذ ربما يصدق العاملون هناك بأنه مازال حيا وقادرا، وعلى الجميع طاعته، مما سينفي مصداقية بياناتنا وادعاءاتنا. فلم يكن من بد غير قطع الاتصال نهائيا. فقطعته بنفسه باقتلاع الأسلاك من الجدار مباشرة. وفي واقع الحال لم تكن لدينا نية للاتصال بعبد الكريم قاسم تلفونيا. ولم نكن بحاجة ماسة إلى التلفون كوسيلة للاتصال. وتعمدنا عدم وضع مركز تلفونات بغداد ضمن قائمة الأهداف الأولى التي يجب السيطرة عليها، اقتصادا للجهد والقوة. وهو ما جعل قاسم قادراً على الاتصال برجالنا في أي مكان يشاء، مستخدما التلفونات العامة والسرية، واستمر على ذلك الحال حتى استسلامه.

سبق قاسم دبابتنا في الوصول إلى وزارة الدفاع^(١)، بعد أن مر بشوارع بغداد محيياً الجمهور الذي بدا يحتشد هناك. وقد تألف القسم الأكبر من التجمع الشعبي أمام وزارة الدفاع من أعضاء الحزب الشيوعي ومؤيديه الذين تصرفوا مقتنعين بأن الحركة ليست سوى تمرد عسكري بسيط على الرغم من مباشرة الطائرات قصف مقر قاسم.

حصل الاتصال الثاني بيننا وبين عبد الكريم قاسم حينما هاتفنا في محطة إذاعة بغداد محاولا التحدث مباشرة إلى المجلس الوطني لقيادة الثورة، الذي انتقل إلى هناك، وبعد فشله سعى

١ — خرج قاسم من داره متجها إلى معسكر الرشيد حيث القوة الأرضية الضاربة ولواؤه التاسع عشر وقاعدة الرشيد الجوية ومركز أنصاره ضباطا وجنودا. فاستوقفه العميد طه الشيخ احمد ونصحه بالذهاب إلى وزارة الدفاع لقيادة المعركة من هناك فدخل الاثنان معهم رئيس الأركان احمد صالح العبدى والعميد عبد الكريم الجدة والعقيد وصفي طاهر في المصيدة، ثم التحق بهم الزعيم فاضل عباس المهداوي وعدد كبير من الضباط القادة، ليضعوا أنفسهم تحت حصار لا فكاك منه[1].

للاتصال بمعسكر الرشيد الذي سيطر عليه الثوار وعلى قاعدتي بغداد وكركوك الجويتين^(١). فتحدث إلى العقيد الركن طاهر يحيى التكريتي طالباً السماح له بترك بغداد والاتفاق على المكان الذي يرغب أو يرغب أن يسافر إليه مع معاونيه. وكان جواب طاهر يحيى باستمرار هو: إننا غير مستعدين للتفاوض. ويجب عليك أن تستسلم دون قيد أو شرط، وإننا نريد رأسك. وكرر يحيى ذلك على مسامع عبد الكريم قاسم في جميع مكالماته^(٢).

يونس الطائي وسيطاً

وفي الساعة الثانية ليلاً أرسل عبد الكريم قاسم يونس الطائي للتفاوض. وكان رئيساً لتحرير جريدة الثورة، وصديقاً شخصياً مقرباً منه. فجلبته إحدى المدرعات إلى دار الإذاعة بعد أن أعطينه الأمان. ومازلت أتذكر يونس الطائي لحظة دخوله علينا بوجهه الشاحب المضطرب غاية الاضطراب وقد غطي شعر رأسه وبدلته تراب ابيض نتيجة لاحتكاكه "ببياض" الجدران، مما يعطي انطباعاً عن حالة عبد الكريم قاسم وجماعته المحاصرين في سرداب الوزارة تحت الرماية والقصف المستمرين. فتساءلت مع نفسي: إذا كانت حالة من قضى في السرداب ساعة واحدة بهذا الشكل، فكيف ستكون حالة الآخرين؟ وأيقنت ان القضية برمتها قد

١ — في كركوك قام حردان التكريتي وهو عضو في المجلس الوطني لقيادة الثورة والمكتب العسكري للبعث، باعتقال قائد الفرقة الثانية، ومباغطة الضباط الشيوعيين واعتقالهم، والسيطرة على المواقع المهمة وعلى القاعدة الجوية. ثم ابرق في حدود الساعة الثانية عشرة ظهر ٨ شباط يحجز القيادة بسيطرته على كركوك ويعلن تأييده لها.

٢ — يقول طاهر يحيى: اخبرني يونس الطائي ان عبد الكريم قاسم سيصل في. وعندما رن جرس التلفون قال عند الكريم قاسم: لا أريد مساعدة من غيرك، أرجو أن تحاول مساعدتي للخروج من العراق مع جماعتي الذين هم معي في وزارة الدفاع. فقلت: وكيف يكون ذلك؟ أجاب: " أن تكلم الجماعة وأنا واثق من انك ستؤثر عليهم وتحصل الموافقة." فقلت له: على ما يظهر انك لا تدري ماذا عملت بتصرفاتك، أنا حاضر لمساعدتك وأنا واثق من ان الجماعة الآخرين سيوافقون على مساعدتك أيضاً، لكن علي شرط ان تجلب معك رفعت الحاج سري وناظم الطبقجلي. فقال: هذا طلب مستحيل فأجبتته طلبك مستحيل أيضاً. وهناك محكمة عادلة على ما أظن ستشكل لمحاكمتك. فقال شكراً ومع السلامة وهكذا انتهت المكالمة".

أما يونس الطائي الذي نقله من وزارة الدفاع إلى معسكر الرشيد النقيب الركن احمد الحديثي فيرى ان من المستحيل ان يجرؤ طاهر يحيى التحدث مع قاسم تلفونياً أو مباشرة كما ادعى ذلك أمام شبيب ومجلس الثورة. لأن يحيى قضى درس الكلية العسكرية تحت إمرة قاسم وقضى نقيه حياته المهنية كضابط تلميذاً ومريداً له وعضواً في منظمته للضباط الأحرار. ولا يمكن ان يتصرف مثل هذا التصرف خصوصاً وأنه يمتلك بعض الأصول والحدود. كما أني قابلته في معسكر الرشيد في نفس اليوم ولم افهم منه ما يؤكد ادعائه أمام قيادة الثورة، أمام علي وحازم وطالب والبكر وعبد السلام ومحسن وعماش، بل سمح لي ان أعاتب ضباط قاسم المعتقلين عنده، عندما قلت لهم أمامه: خنتم زعيمكم الذي أحببتموه. ولم أتصرف كذلك إلا لمعرفتي بما يكنه طاهر يحيى لعبد الكريم قاسم من احترام. أما ما قاله للمجلس فيأتي في سياق الردح بعد إسدال الستارة وغياب عبد الكريم قاسم نهائياً.

انتهت، سواء بقي قاسم على وجه الحياة أم انتحر.

كانت مطالب يونس الطائي هي نفسها مطالب عبد الكريم التي ردها على أسماعنا بواسطة الهاتف. والفارق الوحيد هو محاولة الطائي استدراج عطفنا وبشكل خاص عطف عبد السلام عارف حين خاطبه قائلاً: ان الرجل انتهى وبالإمكان إبداء الرحمة والعطف والسماح له بالخروج بالطريقة التي تترأونها، وإلى المكان الذي تريدون^(١). ولم يكن يونس الطائي يعرف ان قرارا بالتصفية الجسدية قد اتخذ فعلاً. إذ لم يدر بخاطرنا ان ندعه يترك العراق بأي شكل من الأشكال وذلك لأسباب كثيرة منها ما هو سياسي وعدي، ومنها ما هو احترازي وأمني. لأن خروجه سيثير إذا ما أقام في إحدى الدول الاشتراكية مشاكل نحن في غنى عنها.

وفي الحقيقة لم نحسب إننا سنقع في مثل هذا الإشكال أو هذه المساومة والمفاوضات، لاعتقادنا السابق بأن قاسم لن يستسلم، وسيقتل إما بالمحرم أو بالانتحار. خصوصاً وأنه قاتل حتى آخر لحظة، وقَتَلَ وهو يقاتل من داخل وزارة الدفاع فلأبد وأنه يعرف نهايته ويقتدي بالتقليد العسكري ويضع حداً لحياته بدلاً من الاستسلام. وكنا نتصور ان الرجل لديه من الشجاعة ما يدفعه لذلك. ومن الإدراك بان ما فعله بالعراق وبثورة ١٤ تموز بالذات، وإعدامه لرفاقه وزملائه، وما سببه من مذابح في الموصل وكركوك لا يمكن ان يسمح له بالخروج سالماً.

١ — يقول يونس الطائي[3]: إن أهم ما كان يشغل بال الزعيم بعد بأسه من النجدة هو مصير مناصريه الذين بقوا معه في وزارة الدفاع، وكان يعتقد ان الانفلايين يريدونه هو دون غيره، وربما سيكون استسلامه فدية لهم أو على الأقل يضمن فيه عدم قتلهم.

وهناك أكثر من شاهد يؤكد ما ذهب إليه يونس الطائي في إن قاسم أراد حقن الدماء بعد قناعته بنهاية سلطته. منها انه رفض تسليم الجماهير المؤيدة له سلاحاً تدافع به عنه، خصوصاً وإنها تمكنت بسلاحها الخاص الخفيف من تدمير دبابات الدفعة الأولى. وكان واضحاً إنهما إذا امتلكت سلاح البازوكا والمضادات الأخرى ستخلق أزمة كبيرة للنوار. ثانياً: طالب في تلفوناته مع الإذاعة ومعسكر الرشيد وعبر يونس الطائي بحماية أصحابه وعاتب عبد السلام عارف قبل دقائق من إعدامه على عدم التزامه بوعده بعدم إيذاء جماعته مشيراً إلى المهادوي المدعى. ثالثاً: لم يمنع زملاءه من التسرب هرباً واحداً بعد الآخر بل نصح بعضهم باستغلال الظلام وذلك يشمل رئيس الأركان أحمد صالح العبدى الذي خرج بعد أن نصحه قاسم بذلك، فتسلل عبر نهر دجلة إلى جهة الكرخ رغباً في الوصول إلى بستانه على طريق بعقوبة، وكان العبدى عندما سمع بخبر الحركة قد سارع ملتحقاً بزعيمة في وزارة الدفاع، وكان الأفضل لو ذهب قبل التحاقه إلى بغداد الجديدة لاستخدام كتيبي الدبابات الموجودتين هناك، ولم ينسحب العبدى من وزارة الدفاع بإرادته بل نصحه عبد الكريم قاسم. رابعاً: ويمكن أن يكون قاسم قد طمع بمحاكمة علنية يكسبها من الثوار خصوصاً بعد ان وعدوه "بمحكمة عادلة ستشكل وتنتظر بأمره". تلك مؤشرات تؤكد ان رغبة قاسم في الاستسلام لم تكن ضعفاً صدر عنه في اللحظات الأخيرة، بل تؤكد انه سعى لإنقاذ جماعته وهو أمر اقرب لشخصيته التي لم يعرف عنها غير الشجاعة والإقدام كما أشارت كل تقارير رؤسائه وبمحادثاته الحربية العريضة في كل المهمات التي كلف بها، فلا يعقل ان حالماً مثله يوافق ان يضرب أمام جنوده أو يصبق على وجهه.

لذلك كله ابلاغنا يونس الطائي قرارنا بالرفض، واعدناه إلى وزارة الدفاع حيث عبد الكريم قاسم وجماعته. لكن الطائي عاد إلينا ثانية بعد مقابلته لقاسم، ليواصل المفاوضات دون ان يكون لديه شيء جديد. ولم يكن لدينا نحن أيضاً أي شيء نعطيه له. كما لم نتدب شخصاً بعينه لإدارة تلك المفاوضات. بل كان الطائي يأتي ليجلس بيننا وكأنه أحدنا فتحدث إليه بصورة جماعية، ولم نعتبرها مفاوضات. لقد أدرنا الأمور وتعاملنا مع القضايا بصورة جماعية، وحسمنا أموراً كثيرة بصورة مباشرة وفورية ولذلك قلنا للطائي ان مهمته انتهت^(١).

١ — قال يونس الطائي[4]: "بدأت رحلتي كوسيط بين قاسم ومجلس الثورة عندما تحدثت هاتفياً مع طاهر يحيى في معسكر الرشيد. وكنت في قاعة الشعب مع الزعيم والعبدى وكنعان حداد. فقال يحيى تعال إلى معسكر الرشيد وأهلاً وسهلاً، وأرسل سيارة لتأخذني. قابلت يحيى وكان أنور عبد القادر الحديدي يلازمه ولا يتركنا لوحدها. قال يحيى: سأرسلك إلى الإذاعة ولكن قبل ذلك أريدك ان ترى الضباط الذين اعتمد عليهم الزعيم وهم أسرى خائفون. فبصقت وقلت لهم ألستم عسكرياً فلماذا لم تدافعوا عن زعيمكم؟". وقال وصلت للإذاعة مفاوضاً. وفي مدخلها امسكتني عماش قائلاً: حجي الخزينة فارغة؟ وأعادها ثلاث مرات. . . تأسفت لذلك لأنني شعرت بأن أول عمل قام به عماش هو تفتيش الخزينة والبحث عن المال. استقبلني عبد السلام يحيط به حازم جواد وطالب شبيب اللذان منعاني من الانفراد بعارف وكانت علاقتي به طيبة. قلت: ان إيقاف القتال سينقذ خمسمائة شخص على الأقل. رد عارف: يروحوا ألف شخص. وأستدرك: ان قاسم سيخرج بعد فترة ومن اجل خاطرك سوف لا نعتدي عليه. قلت لعبد السلام: طلبت مني يعرفات وأنا وعدتك، ان أتوسط بينك وبين قاسم لتصفية القلوب، فرفعت يديك أمام حشد من الناس كانوا يفرجون دعيماً إلى مساندة الثورة والزعيم. لكنني أدركت ان الآخرين لن يمكنوني من الانفراد بعارف بل تأكد لي من تصرفات السعدي وحازم وطالب ان عبد السلام لم يكن مؤثراً. وعند توديعهم لي أمر السعدي بتفتيشي فوجدوا مسدسي الذهبي فأخذه مني وأعطاه لعبد السلام. وعند البوابة اتفقنا على الاستسلام لكن السعدي أضاف شرطاً: ان ينزع الزعيم نجماسته وحاكيتته ويضعها على متنه، فاتفقنا. ركب مع عبد الكريم نصرت إلى الدفاع وكانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، على ان يتم الاستسلام في الساعة صباحاً يوم ٩ شباط: اخرج أنا أولاً ماشياً أمام رتل فيه قاسم والآخرون. مقابل ذلك وعدوني بالالتزام بشرط قاسم بعدم قتل أي من رجاله وبالموافقة على تسفير الزعيم للخارج بعد مرور فترة، أي عندما تهدأ الأمور. وكنت قد طلبت مغادرته فوراً لكن عارف طمأنني. عدت إلى الزعيم عبر سراج الوزارة الحديدي راكباً على متن سيارة كنعان حداد وقلت للزعيم بحضور العبدى وآخرين: وافقوا على وقف النار والتسليم بشرط نزع النجمات. فلم يوافق، فرفعت السماعة على عبد السلام، فقال له الزعيم لماذا نزع النجمات؟ لكن قاسم اقتنع بعد فترة فذهبت قبل الساعة إلى موقع بغداد حيث عبد الكريم فرحان للإشراف على التنفيذ وكمي بلغهم بموافقة الزعيم حتى لا ينفذوا تهديدتهم بتدمير بناء محكمة الشعب. ويقول الطائي لم اكن مترباً عندما وصلت للإذاعة بل كنت بكامل قيافتي. ولم يكن الزعيم في السرداب بل كنا بقاعة محكمة الشعب المفروشة جيداً. ولم ينزل للسرداب غير مرة واحدة في نهار ١٩٦٣/٢/٨ لفترة قصيرة حين ألقى آخر خطاب له على الموجودين فيه. ويذكر قاسم الجنابي[5] ان قاسم لم يكن في الملجأ وإنما في اللوج بقاعة الشعب ومنها استسلم. وحسب الرائد الركن عبد اللطيف عبد الرضا وهو شاهد عيان ان قاسم انتقل إلى أمرية الانضباط في مدخل الوزارة وبقي هناك حتى استسلامه[6] في حين تركز القصف على المبنى الرئيسي للوزارة. ويقول الطائي: اثر شتم طه الشكرجي لقاسم على الهاتف أمر قاسم بإحضار سيارته ركبناها أنا وهو للذهاب لمعسكر الرشيد وفي باب الوزارة ترجل ثم دخل غرفة أمر الانضباط ووضع صوبة (مدفأة) علاء الدين أمامه جالساً على كرسيه ومسنداً رأسه، ونام من الساعة الواحدة حتى الثانية والنصف بعد الظهر وكان شيئاً لم يكن ثم عاد إلى قاعة المحكمة.

الخطأ القاتل

انقطعت المفاوضات بالواسطة بيننا، فلجأ قاسم مرة أخرى إلى التلفون وكان يجيبه ضابط أوكلنا إليه الرد على مكالماته، فيقول له : ان الوضع قد تغير وعليه الاستسلام دون قيد أو شرط.

وفي الساعة الثالثة بعد منتصف تلك الليلة اخذ مني الإغواء مأخذه لأنني لم اتم خلال ليلتين ويومين سوى ثلاث ساعات. فذهبت إلى غرفة كبيرة، وكانت اكبر غرف الإذاعة وتوسطها طاولة جلس حولها عدد من الضباط القوميين وغيرهم من ذوي الرتب والنياشين الكبيرة، كل أتى بقيافته كاملة ليحصل على شرف المساهمة ويضمن وظيفة افضل في الحكومة الجديدة القادمة التي ستكون لديها مئات الوظائف الكبيرة الشاغرة بعد تغيير الطاقم القاسمي.

طلبت منهم ترك الطاولة ونمت فوقها حتى الخامسة صباحاً. وحينما استيقظت لم ألحظ ان شيئاً قد حصل غير ورود أنباء عن تعزيز السيطرة على بغداد ومواقعها العسكرية، خصوصاً وان كئائب الدبابات الأربعة الوحيدة الموجودة في بغداد قد أعلن أمرتها لضباط بعثيين موثوق بجرأتهم وإخلاصهم، وكذلك السيطرة على المرافق الحيوية كمحطات توليد الطاقة الكهربائية والاتصالات الهاتفية. وبدأت القيادة تشعر بارتياح اكبر وتهتم ببعض الأمور العامة كالطلب من الحبازين وأصحاب الأفران الالتحاق بمصالحهم والجنود والضباط لثكناتهم واستثناءهم من قرار منع التجول العام، والنظر في الطلبات الواردة للسماح للفنيين والعمال المشرفين على بعض المرافق الحيوية لاستمرار الحياة في مدينة بغداد.

كان إطلاق الرصاص حتى صباح ٩ شباط مستمراً بين القوة الكبيرة التي تحاصر وزارة الدفاع والقبو الذي تحصن فيه عبد الكريم قاسم مع بعض ضباطه. وفي الحادية عشرة من صباح نفس اليوم اتصل قاسم وقال : نريد الاستسلام!! ولم يذكر أي شرط عدا ما اتفقنا عليه ووعدنا به يونس الطائي سابقاً.

سرى في أجواء مجلسنا شعور غريب. وعن نفسي فقد شعرت بمزيج من الغرابة والحيرة. إذ كنت أعرف بالضبط ما ينتظر هذا الرجل إذا ما وافق ان يأتي مستسلماً. ولا بد ان يكون قد قرر مصيره النهائي وما قد يتعرض له من إذلال وتعذيب. وفكرت بأني لو كنت بمحله، وقد وضعت نفسي بنفس الموضع عندما ذهبت للاستيلاء على المرسلات فتعاهدت مع حازم جواد بأن لا نستسلم إذا ما تعرضنا لهجوم في أي حال من الأحوال، وسبقي كل منا رصاصة واحدة في مسدسه ليطلقها على نفسه، وإن ضُغفَ أحد منا عن فعل ذلك يقوم رفيقه بتنفيذ الأمر ليتولى بعدها مصير نفسه.

فعلنا ذلك لأننا نعرف يقيناً ما سنلاقيه في حالة الفشل من إهانات وتعذيب وما سنجر عليه من اعترافات. وإن مصيرنا سيكون الموت في كل الأحوال ودون أدنى شك. ولم استطع أن أفهم كيف يسلم الرجل نفسه. فهل هو حب الإنسان للحياة؟ أم أملاً في شفاة عبد السلام عارف؟ أم توقع نجدة في آخر لحظة تنقذ الموقف؟ ولم تكن الهواجس أن وجدت سوى تعبير عن شدة تمسك الإنسان بالحياة عندما تحين لحظاته الأخيرة.

واستجابة لطلب الاستسلام أعلننا تعيين الرائد محمد علوان، الذي كانت هناك نية لتعيينه معاوناً لرئيس الاستخبارات العسكرية، ليذهب ويشرف على عملية الاستسلام. وابلغنا عبد الكريم قاسم تلفونيا بأن الضابط المذكور سيتقدم نحوه، غير مسلح ويحمل علماً أبيض. وطلبنا منه التهيؤ لاستقباله خلال خمس دقائق. وفعلاً دخل الرائد علوان المبنى وتوجه نحو البناء الداخلي وحينما صار على بعد أقل من عشرة أمتار عن المدخل أطلقت عليه عدة رصاصات من أحد الموجودين في الداخل فسقط قتيلًا.

أثرت تلك الحادثة على نفوسنا، فأصدرنا أمراً فورياً إلى القوات وهي كثيرة لتقتحم المكان، وتجلب قاسم بالقوة لأنه خان العهد الذي قطعه بالاستسلام دون مقاومة، وقتل ضابطاً غير مسلح. وعلمنا بأن أحواء الضباط المحيطين بالدفاع أصبحت مشحونة واستيقظت فيهم الأحقاد والحميات، والكل يرغب في الانتقام من تلك المجموعة التي لم نستطع حتى بعد استسلامها أن نعرف منها هل كان قاتل الضابط المغدور هو عبد الكريم قاسم أم المهدي أم طه الشيخ أحمد. وأغلب الظن أنه كنعان خليل حداد لأنه يعرف أن مصيره الموت حتماً، بسبب تورطه بقتل ثمانية جنود وضابط هو الرائد إبراهيم التكريتي وهو في طريقه للانتحار بوزارة الدفاع. كما اعتقد أن كنعان كان ارعن.

ومن ناحيتنا فلم تلعب الأسباب الشخصية للنار دوراً في تقرير مصير قاسم وجماعته ولا عند عبد السلام عارف أو البكر. ولكن حادث الضابط المغدور حسم الأمر ورجح قرار التصفية. وكان ذلك الضابط مؤمناً وساهم في الثورة منذ بدايتها، ونفذ جميع المهمات التي كلف بها، ووافق على المغامرة والذهاب إلى حيث يتحصن المحاصرون. فكان شجاعاً ومضحياً وأخاً لزملائه الضباط. وفي الواقع أن كل واحد منا اعتبر في تلك اللحظة نفسه أخاً للآخر. وتلك الرابطة تعززت أكثر برابطة الكفاح والقتال المشترك التي تنغرس عادة عند رفاق الثورات والحروب^(١).

١ — أفادت الرسائل والملاحظات الكثيرة التي تركها أو كتبها الضباط الذين ظلوا حتى آخر لحظة في وزارة الدفاع أن حرس وزارة الدفاع هم الذين أطلقوا النار على الرائد محمد علوان وأردوه قتيلًا. وكان السبب هو عدم إبلاغهم بصيغة الاتفاق، ولم يصدر لهم أي أمر بالرمي.

ويقول بونس الطائي: بعد الاتفاق على التسليم جاء فاضل عباس المهدي وطه الشيخ أحمد، فآخروهم الزعيم عبد

المهجوم الأخير: الاستسلام

هاجمت القوات الكبيرة قبو وزارة الدفاع بنار كثيفة من الرشاشات، وبعد فترة قصيرة ظهرت يد تلوح بمنديل ابيض. فتقدمت نحوها قوة قادرة على ابادة أي شيء يتحرك، في حالة انطلاق اية إشارة بعدم الالتزام^(١). ولم يحصل شيء من ذلك، وتمت عملية الاستسلام وأخيرتنا القوة المهاجمة بأن عبد الكريم قاسم وطه الشيخ احمد والمهداوي وغيرهم أصبحوا بين يديها. فطلبنا تأمين سلامتهم وجلبهم إلى الإذاعة دون تعريضهم لأية إهانات أو إصابات من أي كان. وتم نقلهم بسيارات مدرعة إلى الصالحية حيث مقر القيادة المؤقت الذي كان يغص بالرجال العاملين وبحشد من الضباط القوميين وبعض البعثيين واغلبهم كانوا ما يزالون دون تكليف عسكري، فسعى أكثرهم من اجل الحصول على منصب مناسب إلى المبالغة بالتودد وإلفات النظر. ورغم التصرفات المتملقة الممجوجة، لم نجد المبرر المقبول والمعقول لخدلان هؤلاء الضباط بصرفهم إلى بيوتهم، كما لم تكن لدينا مهمات محددة لتكليفهم بها، لانشغالنا بأمر أهم وأدق.

مرت لحظة تقرب غريبة ومشحونة بانتظار وصول الأسرى. وقد ضاعف مقتل الضابط محمد علوان غدراً من مشاعر الانتقام والحبّ الأجواء بنيران من الحقد والكراهية، واخرج روح الرعاع عند بعضهم من مكنسها. وكنت اقف في مدخل الإذاعة ومعني عدد من الأشخاص بينهم صبحي عبد الحميد (أصبح وزيراً للخارجية)، عندما وقفت المدرعة الأولى أمام الباب الخارجي فترجل منها راكبوها. وكان أول من تبرع بالضرب والشتيم على عبد الكريم قاسم ومن معه هم الجنود وضباط الصف وبعض الضباط، فتدخلنا لحمايتهم، وتحملنا أنا وصبحي ضربات كثيرة وبصاق من أشخاص عديدين. وتمادى بعضهم محاولاً إلحاق الأذى الشديد بهم^(٢).

خاطبتهم بصوت عال قائلاً: أيها الجبناء، قبل يوم واحد كان سيدكم، تبوسون يديه

الكريم بأنه أرسلني لوضع ترتيبات التسليم، فعارضوا ذلك قائلين: كيف ذلك، انهم سيعدمونا في كل الأحوال؟ قال قاسم: إذا كانوا سيعدمونا لا نستسلم. واستمر الجدل بينهم حتى آخر لحظة حول التسليم أو عدمه. وسبب عدم قناعة ضباط الحرس بفكرة التسليم أهملوا، وربما دون قصد القتل، إبلاغ الجنود عن حضور ضابط للإشراف على عملية التسليم، وليس هناك من مبرر لدى قاسم أو المهداوي والشيخ احمد لقتل الرائد علوان.

١ — بدأت عملية تطهير وزارة الدفاع بتحاشي المهجوم من الباب الرئيسي لتفادي الخسائر. وتسلمت القوات من الباب الجنوبي أي من نهاية الحسابات العسكرية. وكانت القوات قد هاجمت هذا المدخل في الليل الماضي، فتقابل الجنود وتقاتلوا تحت ظلام دامس، رافقتهم نداءات تحرض جنود الحرس على التسليم ووعدهم بحفظ حياتهم. وكانت تخرج بين حين وآخر من نفس الباب مجموعات من الجنود تحمل (شراشف) بيضاء علامة على الاستسلام، لكن القتال الشديد استمر طوال الليل من غرفة لأخرى.

٢ — قال المقدم عبد المنعم حميد وهو شاهد عيان ان الضابط عزيز شهاب لطم عبد الكريم قاسم في باب الإذاعة فوقعت سدارته، مما حدا بالرائد صبحي عبد الحميد منعه من الاستمرار بعمله وناول قاسم سدارته^[8].

وأرجله والآن تريدون إهانته بعد ان انهزم في معركة لم يكن فيها متخاذلاً، عيب عليكم!! ووضعتنا أنا وصبحي عبد الحميد أيدينا وأجسادنا لتغطية مرورهم ودخولهم إلى المبنى، وساعدنا في ذلك آخرون.

اقتيد عبد الكريم ورفاقه إلى إحدى غرف الإذاعة، وأظنها غرفة الموسيقى الشرقية حيث وقف قاسم وإلى جانبه كنعان وطه ثم المهداوي. كانوا أربعة. ووقفنا نحن بمواجهتهم علي السعدي وحازم جواد وأنا (طالب شبيب) وعبد الستار عبد اللطيف واحمد حسن البكر وعبد السلام عارف وعبد الستار الدوري وصالح مهدي عماش، ولا أتذكر وجود محسن وهاني وشتتاف.

دار بيننا حديث غير منظم، سادته حالة من التوتر. ولم يكن هناك أي شيء يمكن تسميته بمحاكمة. وكل كلام قيل أو يقال عن إنشاء هيئة حاكمتهم إنما هو نوع من "التسفيط" والتخيل (الخيال)!! ومن الممكن ان يكون قد تدخل علينا رجال يثبون على موقف معين مثل خالد مكي الهاشمي، وكلهم يثبون على الإعدام أو الإسراع به. لكننا لم نستمع إلى أي من هؤلاء، ولم يكن لديهم علينا حق التقرير أو الاقتراح، بل الطاعة والتنفيذ، إذا لم تنسجم توراتهم ومطالباتهم مع ما كنا قد قررناه أصلاً، أو مع ما سنقرره.

تصرف علي صالح السعدي مع عبد الكريم قاسم والآخرين بحدة، وساق له الإهانات وشتمه وسأله عن اسم الشخص الذي ابلغه بسر ثورة رمضان. فرفض قاسم الإجابة، فكرر السعدي متسائلاً: فيما إذا كان الواشي موجوداً الآن بيننا في هذه القاعة؟ فرد قاسم بالنفي.

وفي تلك المواجهة الخطيرة كان كل ما يهم عبد السلام عارف هو استغلال ظرف قاسم للحصول منه على اعتراف بدوره في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. إذ أخرج مصحفاً صغيراً من جيبه وظل يلح طوال الوقت القصير محلفاً قاسم ليعترف بان عارف وليس قاسم هو كاتب البيان الأول لثورة ١٤ تموز وهو واضع خطة الثورة ومنفذها.

كان عارف يتوقع ان يفوز باعتراف مناسب يصدر عن عبد الكريم قاسم في لحظة ضعف أخيرة، ليوظفه فيما بعد تاريخياً. ولكنه لم يحصل على شيء وظل قاسم صامتاً أو يطالب بمحاكمة كالتى أجراها لعارف وغيره. وفي النهاية تدخلت جزراً وقلت لعبد السلام: لقد كان بيان ١٤ تموز رقم واحد بسيطاً، ويستطيع أي شخص ان يكتب مثله، فلماذا أنت مشغول بالأمر وما هي قيمة وعبقريّة ذلك البيان؟ دعنا من هذا كله!

وما ان اضطر عبد السلام للسكوت حتى انهالت على قاسم أسئلة كثيرة مثل: لماذا أعلنت ضم الكويت دون تنفيذ الأمر أو الاستعداد العملي له؟ ولماذا لم تستعد القوات وتتحرك فعلياً لاحتلالها واكتفيت فقط بالإلذار، في حين أمرت القوات ان تأخذ مواقع دفاعية؟ ولماذا لم يطلع

وزير خارجيتك (هاشم جواد) على الأمر، وتركته يفاجأ بسماع الخبر من الإذاعة؟ بل ان الحاضرين حاسبوا قاسم عن تفاصيل شخصية غير هامة وعيَّره عبد الستار عبد اللطيف بهزيمته أمام الدبابات رغم شعبيته^(١).

كنا نتكلم جميعاً في آن واحد وبصورة متوترة. وتختلط الأسئلة مع بعضها ومع همهمات وإجابات أسرانا. ولم يرد قاسم إلا بأني أريد محاكمة.

١ — وفيما يتعلق بالسخرية من شعبية قاسم، يقول المقدم قاسم الجنائي (المرافق الأقدم لعبد الكريم) وهو شاهد عيان داخل الدفاع وخلال حوار الإذاعة الذي وجه فيه عبد الستار عبد اللطيف كلامه إلى عبد الكريم قاسم قائلاً: "إنك مسيطر والشعب معك، دبابة واحدة أسقطتك"^[9]. (راجع في نهاية الفصل الملحق رقم واحد تحت عنوان قاسم الجنائي يتكلم).

ان السخرية من قاسم بسبب شعبيته يجدها البعض نقطة لمصلحة قاسم. ويراها آخرون دليلاً على مسيرته للفتات البسيطة الجاهلة أو غير المتعلمة التي تتأثر بالمظاهر، وتشكل سمة عالية منها رعا تصفق وتترأص دون تفكير أو تعقل. ورغم ذلك لاند ان نشير إلى ظاهرة تستحق النظر وهي ان الجمهور العراقي العريض ظل منذ رحيل قاسم ولحد اللحظة الراهنة حذر من تأييد كل الحكومات التالية. وظلت ذاكرة عهد عبد الكريم قاسم مثيرة للاهتمام أكثر من غيرها، وطيبة في أذهان كثيرين. بل ان قاسم ظل يضيق على كل الحكام اللاحقين بسبب إدمان الشعب على مقارنتهم به.

وبعد قاسم لم تأت سلطة تمتلك نفس الشعبية والبساطة، بل عاشت السلطات اللاحقة عزلة حقيقية خصوصاً بين أبناء الأحياء الفقيرة وفي أوساط الفئة المثقفة والمدنية من بغداد وحواضر وأرياف العراق الأخرى. وان العدل يفرض ملاحظة اضطراب الحكومات المتعاقبة وأبرزها الحالية، إلى اللجوء لوسائل قهرية قاسية لتنظيم الشباب والناس في مؤسساتها، والاختفاء وراء شعاري الوحدة العربية والقضية الفلسطينية، وكأنها تسعى لبث الحذر من هذين الشعارين بين أوساط الفئات الاجتماعية المتضررة من الممارسات الحكومية القاسية.

وبسبب شعبيته حرصت القيادة الجديدة، بعد مقتله وجماعته، على عرض جثته على شاشة تلفزيون بغداد كي تتيح لكل مواطن ان يتحقق من وفاته. لعل ذلك يساهم في ان يفقد مؤيديه بعض وساوسهم وآمالهم، ويتوقفون عن مقاومة لا طائل منها. لكن ما رافق العرض التلفزيوني كان أمراً مؤسفاً، المحفر في ذاكرة الغالبية الساحقة من العراقيين عندما نفذ أحد الجنود أوامر صدرت إليه من القيادة بشد شعر الزعيم عبد الكريم قاسم "الميت" ورفع ثم البصق بفمهم، ثملى في وسط وجهه أمام شعب جلس كله متسماً يشاهد تلك الشاشة البائسة. ولم يعرف القادة الجدد انهم بما فعله الجندي، قد ظهروا وكأنهم يرسلون رسالة رعب لشعب ادعوا أنهم ثاروا من اجله. فجاءت تلك، رسالة استفزاز همجية لا تنتمي إلى حضارة إنسانية عمرها سبعة آلاف عام. وكأنها رسالة تقول: ان الحكومة الجديدة قاسية. كما إلها تعني بأن الثوار أذعنوا لفكرة: ان لهم الدبابة ولخصمهم التعاطف الشعبي.

كان ذلك المشهد التلفزيوني أسوأ اللقطات المسجلة في تاريخ العراق المعاصر، فلم يكن قاسم أسوأ العراقيين حتى يُميز بهذه المعاملة عن غيره؟ بل ربما كان صراعاً لعب فيه قاسم دور أكثر المتصارعين وداعة وتساعاً واقلهم همجية، واقلهم أدلية وتشريعاً للقتل، فقد سن عملياً قاعدة "عفا الله عما سلف" وكان فيها اقرب إلى عقلية العراقيين البسطاء قبل عصبية الأيديولوجيا الواردة. وقال عنه محمد حديد انه كان اقرب أقرانه العسكريين إلى روح التسامح وفكرة الديمقراطية، فقد ظلت مناصب الدولة في عهده موزعة على الجميع وليس على تيار سياسي واحد^[10].

سألناه لماذا قتلت زملاءك في الثورة مثل رفعت الحاج سري وناظم الطبقجلي وآخرين، وقد ساهموا معك في التنظيم والثورة؟ رد : أنا حاكمتهم علناً واطلب لنفسى محاكمة.

وعندما استمعت إلى الندوة التي نظمها وأذاعها د. نجم عبد الكريم، لم استطع سوى تشخيص صوتي في حالات نادرة. ولم يكن هناك شيء مفهوم، ولا أريد أن أؤكد أو أنفي أيضاً من الأشياء التي لم اعد أتذكرها، أما ما سجلته هنا فمازلت أتذكره شاخصاً أمامي.

شهادة مختلفة ومهداوي آخر

كان قاسم مصفراً ومشدوهاً، عيونه زائغة ورأسه وبدلته مكسوة بالغبار. واعتقد ان صورته تلك كانت طبيعية لأي شخص يوضع في مكانه. فقد انقلب المشهد في كل شيء، الوجوه والأحداث. لكنني لم الحظ اية حركة أو بادرة قد صدرت عنه تؤكد على تصرف متخاذل أو مهين رغم ان أكثر كلامنا وأنظارنا كانت مركزة وموجهة إليه، ورغم انه أحس بنيتنا على قتله فوراً.

أما طه الشيخ احمد فتصرف هو الآخر بذهول واندهاش. وعندما سألناه عن دوره كان يرد: أنا ضابط وعبد الكريم قاسم هو قائدي المباشر، وامرني أن أبقى معه في وزارة الدفاع، فبقيت معه ونفذت أوامره بحكم كونه القائد. وربما كان طه الشيخ احمد احسن الأربعة حالاً.

وكان فاضل عباس المهداوي رابط الجأش رغم الاعتداء عليه ونزيفه الغزير، ورغم محاولة عبد الستار الدوري وهو أحد القادة الكبار التحرش به وتذكيره بمحكمة الشعب ممراً نطاقاً عسكرياً على وجهه (خده)، لكن المهداوي لم يتحرك ولم يقل شيئاً. فسحبت الدوري وقلت له: عيب، إذا كانوا قد مارسوا التعذيب فلا يجب أن نفعل مثلهم^(١).

رفض الرجال الأربعة أن تعصب أعينهم عندما أعلمناهم بقرار الإعدام. وخرجنا جميعاً من القاعة وبقي الرماة، وتم الرمي وحينها علمت من الرماة فور خروجهم، إن قاسم هتف بشيء لم يميزوه لكن الوحيد الذي ميزوا ما قاله هو المهداوي الذي هتف بصوت عال : "عاش

١ — سألت الأستاذ عبد الستار الدوري، فتردد، ثم كتب لي رسالة فيها جملة واحدة بخط يده قال فيها : "أنا شاهد ما شافش حاجة!!".

لكن الدوري عاد في لقاء شخصي بلندن عام ١٩٩٨ فأكد لي على صحة ما قاله طالب شبيب حول موقف المهداوي المتناسك في الإذاعة كما أكد حصول سوء فهم والتباس بينه وبين شبيب ففي حين اعتقد شبيب ان الدوري أساء إلى المهداوي، يقول الدوري انه كان يمسح الدم عن وجه المهداوي مستخدماً سدارته وليس نطاقه"، ولم يحصل شيء غير هذا[11].

الشَّعْـ. . ؟" ولم يكملها^(١). (حول المهداوي يمكن مراجعة الملحق رقم اثنين في نهاية هذا الفصل).

لقد تحدث كثيرون حول مشهد محاكمة ومقتل قاسم. والحقيقة فان أياً من القادة السياسيين والعسكريين (عدا الرماة) لم يكن موجوداً داخل القاعة عند تنفيذ القرار. ولم يكن معنا خلال الحوار الذي أسميناه (محاكمة) غير الرماة. وكانت الغرفة صغيرة جداً والبقاء فيها أثناء التنفيذ ضرب من الجنون، ويشكل خطورة كبيرة بسبب احتمال ارتداد الرصاص. غير ان حازم جواد احتفظ بالشريط الذي سجل الحدث بكامله، فاستمعت إليه واستنسخته، وهو يختلف تماماً عن الكاسيت الذي تملكه السيدة التي أهده لإذاعة نجم عبد الكريم.

وان كل من يدعي غير ما قلت إنما يبالغ أو يروي ما سمع به من آخرين، علماً إنه لم تكن هناك أية فرصة للتفرج على ما جرى في تلك الغرفة من "محاكمة" وتنفيذ، لعدم وجود شبائيك زجاجية تطل على ما بداخلها.

أما التركيز على عبد الغني الراوي باعتباره رئيساً للمحكمة واتهامه أو تسجيل ملاحظات عليه، فهو أمر ليس بدقيق. لأن المحكمة التي رئيسها الراوي لم تكن موجودة عندما اعدم قاسم، بل تشكلت على الورق لإخراج أمر إعدامهم قانونياً^(٢). ولم تكن المحاكمة غير الحوار الذي

١ — أشرف على تنفيذ الإعدام بقاسم ورفاقه النقيب المظلي منعم حميد والملازم نعمة فارس المحياوي، وعرضت الجثث بالتلفزيون بهدف تدمير معنويات المقاومة التي كانت مازالت بعض فلولها مستمرة ببعض أحياء بغداد والكاظمة. وعندما كان طالب شبيب يحدثني في هذا الأمر تدخل حسن الحاج وداي العطية (وكان جالساً وهو من الجيل الأول للبعثيين العراقيين) قائلاً: "مساء نفس يوم إعدام عبد الكريم قاسم. ذهبت للإذاعة فوجدت احمد حسن البكر ومعه عبد الستار عبد اللطيف. فوجدته مهموماً، ولا يتوقف عن لف السجائر وتدخينها. قال لي عبد الستار عبد اللطيف: تعال أريك أين قتلنا عبد الكريم قاسم. فصاح به البكر: ألا تتحمل؟ فرد لطيف: لا، لا أتحمل. فدخلنا إلى غرفة تقع مباشرة بعد مدخل مبنى الإذاعة على اليسار وكانت صغيرة وفيها طاولة صغيرة عليها بعض "السفراطسات". فرأينا آثار دماء في الزاوية وعلى الحائط. قال: لطيف هنا قتلنا قاسم وكنا نريد محاكمته، وتأخذ منه اعترافاً بأنه لم يكن المخطط الوحيد لثورة ١٤ تموز، ولم يكن كل شيء فيها، وتأخذ منه اعترافاً بدور وحقوق الآخرين، كي نذيعه على الملأ. لكن علي السعدي جاء وقطع علينا رغبتنا، وقال لعبد الكريم قاسم: "أنا كنت اعمل تحت السرداب (تنظيم سري)، ولكني الآن نصف الدولة" .. وتابع عبد الستار عبد اللطيف معلقاً على كلام السعدي بانفعال وكأنه يؤسس للخلاف الذي عصفت بحكومة حزب البعث بسرعة فيما بعد، قال بانفعال: لقد إحنا اللي طلعناهم من السجن وسويناهم نص دولة، إحنا شنو كرخنجية؟"

ويقول وداي العطية: كان عبد اللطيف منفعلاً ولم ينم منذ ثلاثة أيام.

٢ — نص البيان الذي أذاعته إذاعة بغداد يوم ٩ شباط ١٩٦٣: "لقد تم الفاء القبض على عدو الشعب عبد الكريم قاسم، ومعه فاضل عباس المهداوي وطه الشيخ احمد وكنعان خليل حداد من قبل القوات المسلحة وقد تشكل مجلس عرقي عسكري لمحاكمتهم، وقد اصدر المجلس العرقي العسكري الحكم عليهم بالإعدام رمياً بالرصاص، ونفذ فيهم

←

أجرتَه قيادة الثورة لبضع دقائق معهم. فضلاً عن إن العقيد عبد الغني الراوي لم يكن شخصاً هاماً ولا عضواً في مجلس قيادة الثورة حتى تلك اللحظة ليجري تحميله تلك المسؤولية. بل كان ضابطاً ينفذ ما تراءى به القيادة القطرية. وكلف برئاسة محكمة لم تنعقد ولم تحاكم الرجال الذين تشكلت من أجلهم، ولم يحضر أي من زملائه أعضاء الهيئة أي اجتماع. ولم يشمل ذلك الراوي فقط، بل لم يستطع أي من المساهمين معنا أن يتدخل في القرارات التي كانت تتخذها جهة واحدة فقط هي القيادة القطرية التي كانت تجتمع في الأيام الثلاثة الأولى اجتماعات "طيارة" داخل مبنى الإذاعة في وسط الاكتظاظ، فيتفق أعضاؤها بسرعة ويعلن علي السعدي، رأي القيادة فينفذه الجميع إلى درجة صار معها مفهوماً بالنسبة للآخرين بأن أي رأي يقوله علي السعدي أو حازم جواد إنما يمثل رأي قيادة الحزب، وكان المتواجدين من القيادة حينذاك علي وينسقون مع احمد حسن البكر الذي يحضر معهم أحياناً ليس كعضو في القطرية وإنما كضابط بعثي معتمد ممثل للمكتب العسكري.

القيادة القطرية فقط كانت تمسك بيدها كل الخيوط، خصوصاً بعد تعيين ضباط بعثيين على رأس الوحدات الفعالة في بغداد ومحيطها، وهؤلاء لا يمتثلون إلا بتعليماتهم المباشرة أو بواسطة احمد حسن البكر وهو أمر قررناه قبل الثورة.

ولم نكن حتى ذلك الوقت قد شكلنا قيادة عسكرية، وشارك العسكريون في الحدث السياسي من خلال وجود البكر وعماش وعبد الستار عبد اللطيف وحردان التكريتي ومنذر الوندائي في المجلس الوطني لقيادة الثورة والمكتب العسكري.

ولابد من الإشارة إلى أن سيارة أخرى جاءت مع المدرعتين وضمت اثنتين من معاوي عبد الكريم قاسم العسكريين وقد حوصرا في مكان آخر من وزارة الدفاع. وهذان بالإضافة إلى قاسم الجنابي جيء بهم مع عبد الكريم قاسم إلى نفس الغرفة وكانوا مترين مغربين، يرتعدون من الخوف، وسرعان ما تم نقلهم إلى غرفة مقابلة في حركة اعتبرت إنقاذاً لهم من الإعدام وفعلاً تم فيما بعد صرفهم إلى بيوتهم^(١). ولم يكونوا ليصدقوا ذلك خصوصاً بعد سماعهم بنياً إعدام

الحكم رمية بالرصاص في الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر اليوم. "

التوقيع :

رشيد مصلح التكريتي
الحاكم العسكري العام

ويذكر ان رشيد مصلح نفذ به حكم الإعدام بعد اقل من عشرين عاماً من قبل حكومة البكر - صدام باعتباره جاسوساً أمريكياً.

١ — يقول يونس الطائي: إن قاسم الجنابي اخبره بعد انصرام فترة قصيرة عن ٨ شباط بأن الذي أنقذه من الإعدام ونقله من الغرفة التي كان فيها عبد الكريم قاسم هو المقدم عرفان عبد القادر وجدي (ضابط ناصري يعيش الآن لاجئاً

←

عبد الكريم ورفاقه^(١١). فضلاً عن عرض تلفزيون بغداد لجثثهم.

في تلك الفترة كانت تجري في بغداد تحركات عسكرية مكثفة، بينما استمر إطلاق النار على القطاعات المتحركة، والتظاهرات المعادية كما في الكاظمية والشيخ عمر والكريمات والشوكة وأحياء أخرى. مما اضطرنا إلى إصدار البيان الشهير والحازم الذي أخذ اسم (رقم ١٣)، وسمى الشيوعيين لأول مرة بالمقاومين للثورة والمدافعين عن الفردية والديكتاتورية العسكرية، وتوعد من سيتعرض إلى أفراد القوات المسلحة بأشد العقوبات، وتنفيذها فوراً ودون رحمة.

ولم يصدر البيان المذكور، ولا صدر لغرض إباحة الدماء وسفكها، وإنما سعيًا لإيقاف الاقتتال وحقن دماء أفراد لا ضرورة لهدرها، سواء من الشيوعيين أو من القوات المسلحة. فقد كانت مقاومتهم انطلاقاً من بنايات مدنية وحارات شعبية ضيقة في الجمهورية والكفاح والكاظمية، غير مجدية، وكان بإمكاننا إصدار أوامر فورية للمدركات بتدمير المقاومة وإسكات نيرانها. لكن ذلك كان سيتسبب بكارثة لسكان تلك المناطق. خصوصاً وأن المشاة يصعب عليهم دون المدرعات احتلالها. وكان الرمي يأتي من الأسطح والنوافذ العلوية الصغيرة، وسيؤدي استخدام القوة والسلاح الثقيل إلى هدم البيوت على ساكنيها وموت العشرات. وهذا ما كنا في غنى عنه. فكل شيء انتهى والمقاومة الباقية لا تستحق أي بطش^(١٢).

من الغرفة التي كان فيها عبد الكريم قاسم هو المقدم عرفان عبد القادر وجدي (ضابط ناصري يعيش الآن لاجئاً سياسياً في القاهرة)، وغير معروف بدقة مع من من أعضاء مجلس الثورة تحدث لكنه ساعدني وانتشليني لما كان فيه عبد الكريم قاسم وأصحابه.

١ — سأل الأستاذ عبد المنعم الخطيب وهو دبلوماسي عراقي يقيم حالياً في لندن الرئيس العراقي الأسبق عبد السلام محمد عارف في الطائرة التي نقلتهما معا إلى نيودلهي لمقابلة جواهر لال نهرو. وكان الخطيب مترجماً لعبد السلام، سأله: "هل كان ضرورياً عرض جثة الزعيم عبد الكريم قاسم على شاشة التلفزيون العراقي. وأي مكسب حققتة الثورة من ذلك سوى استياء الناس واشمئزازهم؟" . . .
أجاب عبد السلام عارف: " لو لم نعرض الجثة هذه في التلفزيون لما صدّقنا الشعب بأننا انتصرنا، وإن قاسم لم يعد حياً." [12].

٢ — كان الشيوعيون نصف مستعدين لاستقبال ٨ شباط، لكنهم فوجئوا بدقته، وتراءى لهم أن حجمه أكبر من حقيقته بكثير. ولأنهم كانوا يتوقعون انقلاباً عسكرياً، حذر مكتبهم السياسي في أواخر عام ١٩٦٢ فرع حزبهم بكردستان وطلب منه تنظيم فرق مسلحة في الريف والمدن وقيادتها بالتعاون مع المكتب العسكري الذي يقوده تلو ويشرف عليه سلام عادل، استعداداً لمقاومة أية محاولة انقلابية. وسعى بمختلف الطرق إلى تحذير قاسم من البعثيين.

وعندما اقتنع قاسم بوجهة نظرهم لم يسمح بضربة شاملة لتنظيم البعث، بل بادر بضربات استكشافية كاعتقال عمال وجابر حسن حداد ومداومة بيت طالب شبيب واعتقال السعدي وبعض الضباط، بهدف معرفة حقيقة ما كان يجري، لتوجيه ضربة رئيسية واعتقال المدبرين. وكان ما يجري سباقاً مع الزمن، الشيوعيون وقاسم يرغبون معرفة أين يضربون؟ والبعثيون يستعدون استعداداتهم لضربوا قبل قوات الأوان. واستجابة لتحذير الشيوعيين استدعى عبد الكريم، خالد مكي الهاشمي أمر كتيبة الدبابات الرابعة وصارحه بالأمر، فأنهار الأخير وقرر تسليم السلاح الخفيف

←

ذلك دون غيره كان السبب وراء إصدار بيان رقم (١٣) الذي آثرنا إذاعته في ساعة متأخرة من الليل، بعد الإعلان عن تشكيل الحكومة ووصول اعترافات الدول بها، وبشكل خاص برقية الرئيس جمال عبد الناصر القوية والمشجعة والمباركة.

ورغم ان ما ذكرته يمثل حقيقة وسبب صدور بيان رقم ١٣ إلا ان الشيوعيين اعتبروه بياناً مشتملاً أباح سفك الدماء. وأستطيع التأكيد ان أحداً من الجنود المنتشرين في بغداد لم يقتل بعد إذاعة هذا البيان الرادع، وسكت الرصاص الذي كان يطلق عشوائياً على الجنود بعد اقل من ساعة من إذاعته.

ومن ناحية أخرى فإن قيادة الثورة لم تكن هي المبادرة في إصدار بيان رقم ١٣، بل جاء

وتفريغ مياه الدبابات حتى لا يمكن استخدامها. ولأن الشيوعيين نصف مستعدين فقد جاءت مقاومتهم غير منظمة وعلى شكل محاولات جزئية لا صلة أو ترابط بينها، فقد احتلوا مدينة الكاظمية ولم يفعلوا بعد احتلالها شيئاً، ولم يقدموا أي جهد للمحاصرين في الدفاع والمناطق الأخرى. كما تظاهر مئات منهم أمام وزارة الدفاع وفي الرشيد وساحة التحرير بلا خطة أو نظام، ورغم تمكنهم من تدمير دبابتين من الدبابات الأربعة التي شكلت الصدمة الأولى كما سيطروا على الشوكة وبعض المناطق والطرق، لكنهم لم يحضروا لذلك ولم يتفقوا مع قاسم لتزويدهم بالسلاح، فكانوا عندما يريدون مطالبته بشيء، يعبرون عنه بالمظاهرات ويضعونه على شكل شعارات حمائية فوضوية تتحدى الدولة التي يدافعون عنها. ولذلك ما ان حضر ذياب العلكاري ولطيف الخديشي إلى الصالحية حتى أمرا جنودهما بالرمي للأعلى، وضرب الملازم حميد التكريتي إطلاقاً من دبابته فتفرق الجمع أو لجأ إلى حارات الشوكة الضيقة، وذلك لم يزعم مؤقتاً قيادة الحركة ولم يعقها عن تنفيذ خطتها. وقاموا بمظاهرات كبيرة في مدينة الثورة التي بناها قاسم وسكنها قادمون من جنوب البلاد باحثين عن عمل في العاصمة. لكنها كانت تظاهرات فقط وليست فعلاً منظماً ضد حركة قائمة وتتقدم بتنفيذ خطتها. واستمرت المظاهرات انتظاراً للسلطة الجديدة كي تردعها كما هي العادة، وفعلاً ذهب الرائد سعدون غيدان (أصبح نائب رئيس وزراء ووزير داخلية) انطلاقاً من معسكر الرشيد على رأس مجموعة من الدبابات لتفريقهم وقد نجح.

وعلى مستوى المعسكرات قام الشيوعيون بمحاولات فردية، رغم كثرة عددهم، ولم ينجحوا في إثارة مقاومة جادة تستطيع ان تصمد زمناً كافياً لتصل إلى قادة الوحدات الأخرى لعلها تمنعهم من التسليم بالوضع الجديد. فتحرك بمعسكر الوشاش بعض الضباط والجنود وقامت مجموعة منهم بمهاجمة مقر كتيبة الدبابات الرابعة التي انطلقت منها دبابات الحركة الأولى، وكانوا يتصورون ان قيادة الحركة ومركز اتصالاتها كان ما يزال موجوداً في تلك الكتيبة. وثاروا في مناطق كثيرة، لكن جميع محاولاتهم ظلت غير مترابطة ببعضها، وعندما تفشل تنتهي وتسحق، وعندما تنجح فنجاحها يبقى محلياً ومقطوعاً ولا يعني شيئاً مهماً. (حول المقاومة في بغداد وبعض المعسكرات يمكن مراجعة ملحق رقم ثلاثة في نهاية هذا الفصل).

أما البيان رقم ١٣ فكان نصه هو: "نظراً لقيام الشيوعيين العملاء شركاء عبد الكريم قاسم في جرائمه ومحاولات يائسة لإحداث البلبلة بين صفوف الشعب وعدم الانصياع إلى الأوامر والتعليمات الرسمية، فعليه يؤول أمرو القطعات العسكرية وقوات الشرطة والحرس القومي بإبادة كل من يتصدى للإخلال بالأمن. وإننا ندعو جميع أبناء الشعب المخلصين للتعاون مع السلطة الوطنية بالإخبار عن هؤلاء المجرمين والقضاء عليهم" [13].

وبعد صدور بيان رقم ١٣ خفت صوت النار وكان ظهر يوم ١٠ شباط هو آخر يوم تسمع فيه إطلاقات رصاص متفرقة في بغداد، ويعتقد أن تلك كانت آخر جيوب المقاومة.

تلبية للطلبات الملحة التي تلقتها من قادة الوحدات العسكرية التي كانت تقوم بالحراسة والحماية وأعمال الدورية لحفظ قرار منع التجول، وقد استأذنوا القيادة باستخدام الأسلحة الثقيلة لهدم الأماكن التي تصدر عنها إطلاقات نارية معادية وقاتلة أحيانا. ولم نكن لنسمح بذلك، بل أذعنا بدلا منه البيان الشديد الشهير، تخويفا وردعا لمن يريد ان يستمر بمقاومة لا طائل من ورائها.

مصير شعبية عبد الكريم قاسم

سؤال : عندما قررتم تصفية قاسم جسدياً، هل أخذتم بنظر الاعتبار شعبيته خارج مؤسسات الدولة؟ ألم تشعرُوا ان قتله سيعزز دورة دوLAB الدم الذي سيسيل لمدة طويلة في وداي الرافدين؟

طالب الشبيب: قرنا ان كريم قاسم لديه تعاطف من بعض الأوساط الشعبية، في المناطق الأكثر جهلاً والأقل تماساً بالتيارات السياسية العامة. وكانت تلك الأوساط تصدق ما يدعيه من انه أبو الفقراء . . . الخ، وهذا بالضبط كان السبب الذي جعلنا نمهد لثورتنا بعمل شعبي معارض للنظام هو أوسع ما مر على الساحة العراقية. فقمنا بإضراب طلابي دام أكثر من أسبوعين (أي حتى سقوط النظام) وأغلقتنا نتيجته جامعة بغداد وعدد كبير من ثانوياتها ومتوسطاتها. كما قمنا بتظاهرتين كبيرتين الأولى دعت لتأميم حصّة فرنسا من البترول العراقي نصرة للثورة الجزائرية وحكومتها الفتية الثورية الجديدة وكانت المظاهرة بعثية مائة بالمائة، وشهدت انطلاقها بعيني رغم عدم السماح لي بالمشاركة فيها باعتباري عضواً في القيادة القطرية. لذا سرت على الرصيف متفرجاً، راغباً ان أرى مباشرة مدى دقة التقارير الحزبية التي كانت تؤكد قدرة الحزب على تجنيد أعداد كبيرة وتسييرها، وتوفير المستلزمات من شعارات ولافتات وحماية . وقمنا بتظاهرة شعبية حاشدة ساهم فيها حوالي مائة ألف نسمة جاءوا لاستقبال احمد بن بيلا والوفد المرافق له في الساحة المقابلة للمطار القديم (المثني)، ولم يجرؤ الحزب الشيوعي على منعنا أو التحرش بنا، ولم تجرؤ قوات الأمن ولا الشرطة ولا الانضباط العسكري على منعنا.

لقد تمكنا من تحويل مظاهرة عفوية عظيمة فضلاً عن استقبال قيادة الثورة الجزائرية، إلى التأثير على معنويات خصومنا السياسيين. فتصرّفنا بنجاح وذكاء واستثمرنا تعاطف الجمهور المحتشد في المطار مع ثورة الجزائر فارتفعت شعاراتنا مع إننا حزب سري. وقد عني ذلك لنا وجود إمكانية واقعية لتحجيم شعبية عبد الكريم قاسم بعد إسقاطه عسكرياً، خصوصاً إذا أمكننا تحييد قوة الحزب الشيوعي المنظمة والكبيرة. وفي حال نجاح ذلك سيبقى تأثير قاسم محصوراً بين أوساط شعبية غير منظمة وغير قادرة على الارتداد العفوي المعاكس. ولم تكن لدينا

خشية من أي حي من أحياء بغداد لأننا لم نتوقع ان يبرز الشيوعيون بهذه الحدة والحماسة للدفاع عن عبد الكريم قاسم بالسلاح والأرواح مما سبب ردود فعل انتقامية لم تكن موضوعة ضمن خطة الثورة. لم نكن راغبين بالانتقام، فقد أطلقنا سراح الجميع حتى مرافقي عبد الكريم قاسم، وأطلقنا سراح من حمل بيان قاسم الذي طالب بقتلنا وسحلنا إلى الإذاعة. لكن قتل الزعيم عبد الكريم قاسم كان قراراً ضمناً سابقاً إذ كنا نتصوره ميتاً إما في الهجوم أو ان ينتحر.

لم نكن نرغب بإقامة عهد من الدماء، وحتى الأربعة لم نكن راغبين في إعدامهم جميعاً، فما عدا قاسم والمهداوي كان يمكن ان يخرج منها سالماً كل من طه الشيخ احمد وكنعان خليل حداد، لكن الأخير تورط وقتل عدد من الجنود والضباط دون مبرر، والأربعة قتلوا الضباط الذي سار باتجاههم رافعاً يافطة بيضاء.

يرتبط اسم المهداوي بثرات وأحقاد، وإذا لم نقتله فليس هناك سجن يحمله من طالي الثأر منه. وعبد الكريم قاسم أنهى نفسه كلياً بإعدام ناظم ورفعت في لحظة غير موفقة إذ لم يكن لعمله اية ضرورة، فقد تم التنفيذ بعد مضي أكثر من سنة على اتهامهما. كما حاكم ٣٩ شخصاً وحكم عليهم بالإعدام وأكثرهم ضباط من مدينتي الموصل وكركوك.

ورغم ان قاسم بدأ بعد ذلك بتخفيف هجومه ضد القوميين ومنع اعتداءات الشيوعيين ضدهم. لكن ذلك كله لم ينفع أو يفيد في غفران دم هؤلاء. فقد كنا لا نجد ما نقوله لعوائلهم إذا تركناه يغادر العراق بطائرة إلى اية منطقة في العالم حياً يرزق.

والحقيقة ان الثورات العراقية كلها اصطبغت بالدم، بكر صدقي صفى غيره وتمت تصفيته، وجماعة صلاح الدين الصباغ حاولوا تصفية غيرهم فتمكن الوصي من تصفيتهم. وقاسم صفى العائلة المالكة وقتل قزاز وبهجت العطية ثم قتل داخل قاعة صغيرة في إذاعة بغداد بعد حوار مرتبك حضره علي السعدي وحازم جواد وطالب شبيب وعبد الستار عبد اللطيف وصالح عماش واحمد حسن البكر وعبد السلام عارف وعبد الغني الراوي وستار الدوري وخالد مكي الهاشمي.

وأذكر إنني قلت: إذا حاكمنا قاسم كما يطلب، فلن تكون محكمة منتظمة وربما تصبح مهزلة كمحاكمات المهداوي. وليس لائقاً تعذيبهم أو إذلالهم ولذلك افترض تنفيذ امرنا بإعدامهم بسرعة رحمة بهم.

ورغم انه لم يصدر من عبد الكريم قاسم ما يدل على انه تصرف مهين، فقد كان شعوري شخصياً اتجاهه هو الاحتقار لأنه سلم نفسه ولم ينتحراً!!.

عبد الكريم قاسم، ماله وما عليه

كان قاسم وطنياً وراعياً لمصالح الفقراء. ولم تكن مشاريعه لمصلحتهم بهدف الدعاية والادعاء، وإنما آمن بها ونفذها بحماس. لكنه كان دكتاتوراً فردياً، ظلت البلاد طيلة فترة حكمه تحت دستور مؤقت. فنظر للسياسة نظرة عسكري محترف، فأساء لعلاقته مع جميع الأحزاب، اصطدم بالقوميين وانتهى بعلاقة ليست طيبة مع الشيوعيين والوطنيين الديمقراطيين، بعد أن ترك للشيوعيين فرصة الهيمنة على الشارع السياسي العراقي والإساءة حتى لأقرب أنصاره وحلفاءه^(١).

١ — وعلى سبيل المثال معاملتهم لكل من صديقي قاسم وعضوي الوطني الديمقراطي محمد حديد وهديب الحاج حمود. يقول محمد حديد: كان الشيوعيون يتظاهرون بين فترة وأخرى أمام وزارتي اعتقاداً منهم بأن الثورة ما زالت لم تصل إليها بعد، فقد احتجوا على وزارة المالية دون أن يكون لهم اهتمام بشؤون المال والأعمال. وقال: أرى أن عبد الكريم قاسم قرب الشيوعيين بسبب ضغط القوميين عليه رغم أنه كان وحدوياً بلا اندفاع [14]. أما هديب الحاج حمود فتصدوا له خلال وجوده في الوزارة وخارجها ورفعوا ضده شعارات مثل: "هديب إقطاعي شلون تأمن بيه اسمع يا كريم!!"

وحاولوا الإيحاء بأن الإصلاح الزراعي في خطر بسبب وجود هديب على رأس الوزارة، رغم أنه كان رمزاً لجماعتهم (قبل الثورة) في الشامية، أخذوا منه تبرعات ووضعوا له موقعا خاص بينهم وكان سلام عادل يزوره ويلجأ إليه أيام العهد الملكي عندما كان أحد قادة تنظيم الفرات الأوسط. لكنهم نسوا بسرعة أن هديب جلب للمنطقة أول مضخة ماء وأول حاصدة شلب وأسس مدرسة بجانب مضيف آل الحاج حمود، وأوقف (في العهد الملكي) سياسة ضرب الفلاحين عند تقصيرهم ومقابل ذلك سن نظام الغرامة على المقصرين بحيث تذهب لمنفعة الفلاحين المجتهدين، لأنه كان يرى أن الفلاح حتى ينتج يجب أن لا يهان. ومنع العطاء على "الأخضر" حيث أمكن ذلك وقام بإعطاء الفلاحين ٦٠% من إنتاج الأرض وتسليم موارد الفلاحين لهم على دفعات حتى لا يصرف الفلاح كل موارده في الأشهر الأولى ويلجأ بعدها للمرابين، وفكر بإقامة مشروع بسيط للإسالة يدفع هو ثلثي تكاليفه والفلاح الثلث الآخر. وكان يساعد الشيوعيين فيلجئون إلى مضيفه في الإيشان فيحيمهم من الشرطة التي لا تذهب لاعتقال أحد قبل أن يأذن لها صاحب المضيف وفي إحدى المرات تَدَخَّل قائد الفرقة مزهر الشاوي والمتصرف عباس البلداوي لدى هديب من أجل تسليم بعض المطلوبين لاشتراكهم بمظاهرة سياسية وبينهم إنعام العياشي ومدحت إبراهيم جمعة وصالح العبيدي ومجدد الحاج حمود، واتفق الجانبان على التسليم مساء وإطلاق سراحهم صباح اليوم التالي. ومرة قامت سلطة نوري السعيد بإيقاف هديب بتهمة غريبة هي "العيش بدون مكسب واضح" فتحول السراي إلى مضافة له، ودافع عنه حين ذاك توفيق منير وناجي يوسف وعدد من المحامين الوطنيين. فكان معارضاً لحكومة نوري السعيد واستقطب أبناء المنطقة إلى الدرجة التي جعلت الحاج رايح العطية يتضايق من شعبيته فأرسل من يقول له: أن الوصي يعرض عليك النيابة أو يجعلك عيناً إذا أردت ذلك. فرفض هديب العرض بأدب لاحترامه الكبير للحاج رايح. واستمر في التحدي مشاركاً في الانتخابات مثلاً للحبيشة الوطنية في الفرات الأوسط فاضطرت السلطة للتزوير خصوصاً بعدما انسحب منافسه عبد الشهيد الياسري [15]. وفي عهد الثورة عندما تم تعيينه وزيراً للمعارف بالوكالة أصدر قراراً بإعطاء الذين كانوا مطاردتين في عهد حكومة نوري السعيد حق الأولوية في القبول بمن فيهم خريجي السنوات السابقة واستفاد من ذلك الشيوعيون أكثر من غيرهم.

كل ذلك التاريخ والود مع الشيوعيين لم تجعل هديب ينحس من العصبية التي تغلب بسببها رعايهم على عقلائهم ويذكر أن هديب الذي كان تلميذاً وصديقاً لعبد الكريم قاسم منذ أن كان الأخير معلماً في مدينة الشامية كان قد

←

كان عليه ان يستفتي الشعب على دستور دائم وان يفسح المجال لحرية الأحزاب، ولانتخابات ديمقراطية حقيقية. وأنا واثق انه كان سيفوز رئيساً للجمهورية دون منازع لو قام بتلك الخطوات، فشعبيته كانت عظيمة، ولم يكن بحاجة للديكتاتورية مع الشعبية التي حظي به .

الخطأ الثاني هو اصطدامه بشعار الوحدة العربية الاندماجية الفورية. وكان بإمكانه ان يترك حماس أنصارها واختلافهم حول أشكالها للبرلمان أو الاستفتاء عليها وتركها للمؤسسات الديمقراطية حيث سيتحمل داخلها كل طرف سياسي أمام المجتمع نتائج موقفه. ومن يدري لو ان قاسم فعل ذلك، لربما يكون قد ساهم في تطوير الوحدة المصرية السورية التي كانت تعاني من هيمنة طرف على آخر ومن ممارسات جهاز حكومي غير ديمقراطي، فيساعد على تغيير شكل إدارتها مع بقائها، أي بتحويلها إلى كونفيدرالية أو فيدرالية، وحينذاك لا أحد يستطيع وضعه في خانة أعداء الوحدة أو يحمله مسؤولية عدم تحققها.

بين مسيلمة وأبو رغال !!

لم التقى بعبد الكريم قاسم قبل جلبه إلى محطة الإذاعة وإعدامه غير مرة واحدة، فلم اكن في مركز وظيفي أو شعبي يسمح بمقابلته. وقد نظرت إليه إما سجاناً أو شخصاً معادياً، شذ عن الخط القومي وانحرف بثورة ١٤ تموز. وعند تخرجي من كلية ضباط الاحتياط، وقف قاسم خطيباً لمدة ساعة ونصف، وصف خلالها عبد الناصر بمتآمر وسماء "بمسيلمة الكذاب"^(١)، فأثر

استقال من حكومة قاسم تنفيذاً لرغبة الجادرجي الذي اختاره للوزارة ممثلاً للحزب الوطني الديمقراطي ، في حين استمر محمد حديد رغم رغبة الجادرجي باستقالته.

١ — كانت هناك في بغداد ساحة رئيسية اسمها ساحة جمال عبد الناصر (كرادة مرم، قرب الإذاعة) فعُدل نظام (البكر - صدام - عماش) اسم الساحة فأصبح ساحة جمال عبد الناصر (أبو رغال) . وأثار ذلك استنزاز كل العراقيين رغم ان بعضهم يشعر بأسف شديد من تدخلات عبد الناصر غير الموقفة في الشأن العراقي. ولا نبالغ إذا قلنا ان عبد الناصر خلال سنوات حكمه الأولى كان سريع التدخل والتورط بمشكلات خارج الأراضي المصرية، مستنداً إلى مصدر وحيد هو تقارير المباحث المصرية. وفي العراق استعجل العداء مع عبد الكريم قاسم فيبحث مع عبد السلام عارف بدمشق مصير عبد الكريم قاسم، ولم تكن ثورة تموز قد مضى على قيامها خمسة أيام فقط. وسمع قاسم بذلك ولم يضرها، بل عاتب عارف ونصحه بعدم تكرار الأمر، لكنه لم ينس ونظر لذلك على انه استعداد للغدر والتآمر وضرب تحت الحزام. كما ان ناصر أرسل إلى ضباط الموصل وعلى رأسهم الشواف إذاعة سرية وسلاحاً تم تهريبه عن طريق الأراضي السورية، وجاء إلى دمشق زائراً وأطال سفرته انتظاراً للعملية الميَّنة، ولم يكن قد فات على الثورة عام واحد. ورغم ان قاسم قام اتجاه مصر بخطوات إيجابية وودية لم تقم بمثلها جميع الأنظمة العربية تجاه بعضها لحسد الآن. تلك السياسة الناصرية المتسارعة في التدخل حذرت قاسم من تسليم العراق لناصر، بل ان البعثيين في سوريا كانوا نادمين لأنهم شاركوا بتسليم سوريا لناصر الذي منح إدارتها للمباحث. هذا ولم تكن الشعارات المرفوعة ضد قاسم تحمل مصداقية منطقية كافية. فلم تكن مصر نفسها أقامت أي نوع من الانتخابات ولا ادعت إنها تؤمن بها، بل ان

←

ذلك المشهد في نفسي وتميزت غيظاً وشاركني عدد من الضباط الاحتياط البعثيين لأن وصفه المذكور سيعطي للشيوخيين مادة جديدة للهرج والسخرية. وبالنسبة لي كان وصفه ذاك لعبد الناصر نقطة افتراق لم أر قاسم بعدها قبل حضوره للإذاعة معتقلاً.

ولم امتلك الفرصة لفحص الرجل ودراسة شخصيته. وقد قال لي السفير الهندي وكان صديقاً لقاسم ويزوره بمقره: ان ثورتكم خلصتني من ليالي السهر الطويلة وغير المجدية لان قاسم كان يدعوني باستمرار لزيارته بعد الساعة الثانية عشر ليلاً، واضطر للبقاء معه حتى الثالثة بعد منتصف الليل ويقرأ لي أحياناً خطاباتة بالعربية وأنا لا افهمها جيداً، وأحياناً يقدمها لي هدية.

وكان قاسم يأمل في بناء علاقات طيبة مع الهند وبعض الدول البارزة في كتلة عدم الانحياز ليحتل مكاناً مناسباً فيها، في حين كان لعبد الناصر يداً بارعة فيها، وطريق قاسم إليها مسدودة، لأن حركة القومية العربية خارج العراق كانت في عنفوانها والعالم كله ينظر إلى عبد الناصر ممثلاً لها وناطقاً باسمها. ولم يكن حتى حزب البعث قادراً على الخروج على عبد الناصر في هذا المجال، بل كان يمكن له العمل بجانبه أو التحالف معه باعتباره شخصية مثيرة عربياً وعالمياً.

وفي الأخير فقد كان من الصعب علينا وصف قاسم بأوصاف تدينه غير الفردية والديكتاتورية، لأننا وبعد هزيمته وجدنا ان ركنه الخاص في وزارة الدفاع يتكون من غرفة نوم واحدة. وحمام جيد بمستوى أوروبي، وغرفة جلوس صغيرة جداً، وكان عفيف اليد وليس عفيف اللسان. وكانت عينه شبعانة فلم يطمع وهو حاكم العراق الوحيد ببستان أو قطعة ارض، في حين سعي كل حكام العراق الذين سبقوه والذين خلفوه للكسب والاستيلاء وسرقة المال العام، خصوصاً كتلة صدام حسين وخير الله طلفاح والحيتان من أنجلاهم وأصدقاء أنجلاهم الذين امتصوا العراق ثراءً وثروة حتى وهو يرزح تحت حصار مزدوج ظالم، واتجهت عيونهم باستمرار إلى بيوت الآخرين وبساتينهم، يطمعون بكل شيء وأي شيء رغم عظيم ثروتهم!!

وفي كل الأحوال فقد كان قاسم لا يستحق المصير الذي آل إليه ولا ندرى بأي شيء تأمل

ناصر سخر في محادثات الوحدة من البرلمان ومن مبدأ الديمقراطية وفصل السلطات، لكنه طالب قاسم بمنح العراق الديمقراطية رغم ان الثورة العراقية كسرت سابقتها ولما يمر عليها غير اشهر ولا بد من وقت لترتيب وبناء مؤسساتها الجديدة. لكن ناصر لم يكف منذ البداية عن إرسال السلاح والقنابل ووسائل الدعاية السرية وكل شيء يستلجب العداوة عن بعد. فلم يلق الرجز إلا حتى يختصم، ولا بد ان الوسطاء لعبوا دوراً في تأجيج الصراع وكان ناصر أسرع في الاستجابة حتى من محكمة المهداوي، فقد سبقها إلى الهجوم ورفع شعارات عجز نظامه ومجموع الأنظمة العربية حتى الآن عن تحقيقها. ولا بد انه لو اختار طريق المصالحة بدلا من الاستجابة لطرف دون آخر لوفر للعراق فرصة ذهبية للاندماج مع جيرانه العرب بصورة إيجابية ومفيدة.

أو فُكّر وهو يستعد لتلقي رصاصات سيطلقها تلاميذ مدرسته الوطنية العسكرية^(١)، الذين تمثّلوا فوراً بعد قتله بطريقته في الحكم، لكنهم فشلوا أن يصيبوا ما أصاب من عفوية وشعبية.

سؤال: ما نوع المقاومة المدنية التي واجهتكم في بغداد، وهل قسمتم المدينة إلى أحياء مؤيدة وأخرى معادية؟

طالب شبيب: لم نعتبر أن هناك مناطق عدوة لنا في بغداد، ولم نتصور أن الشيوعيين

١ — لا بد أن أسئلة وتوقعات كثيرة جداً مرت بذهن قاسم وهو يتربّع خروج الطلقات من فوهات البنادق الموجهة إلى صدره. وربما تساءل: هل يستحق ما اقترفه أو ما قام به من أعمال أن يقتل بهذه الطريقة؟ ولا بد أن شريف قد مر بذهنه وأمام مخيلته منذ أن كان ملازماً، عندما فاجأ تلاميذه بالكلية العسكرية وكان بينهم عبد السلام عارف والبيكر وعبد الرحمن عارف وطاهر يحيى ومحيي محمود والدراجي وطاهر وفاضل عباس المهدي وغيرهم، فاحأهم بحديث ولغة غير معهودة داخل الجيش، وكان أول ضابط يقوم بذلك، حدثهم عن الوطنية والاستعمار البريطاني ووعدهم بيوم يتمكنون فيه من طرد العسكريين الأحناء من البلاد.

لا بد أن يكون قد تذكر إضافة لذلك معارك كردستان ثم حرب فلسطين وتحريره لقلعة كيش والبيارات وإبداءه في نقل القوات خلال المواجهة مع الإسرائيليين، ومخالفته للقيادة العسكرية العربية عندما خطط سرا لفك الحصار عن الجيش المصري المحاصر بالقلاوكة، وتنسيقه مع عفيف البزري رئيس أركان الجيش السوري وعبد الحميد السراج في (المفرق) على مساعدة سوريا في حال تعرضها للاحتلال من قبل الجيش العراقي الذي كان بإمرة الإنكليز، وإنقاذه لبغداد من الفيضان ١٩٥٤ وتأسيسه لحركة الضباط الأحرار التي وصل عدد منتسبيها إلى حوالي مائتي ضابط مختلفي الاتجاهات، بما في ذلك خلية بغداد المهمة التي قادها رفيق دربه رفعت الحاج سري، ثم قيادته ثورة تموز، ومشاريه في خدمة الفقراء التي تركزت على بناء المدارس وإيصال الكهرباء للريف والأحياء الفقيرة وبناء المساكن الشعبية والمعامل وإيجاد مناصب العمل ومشاريع الري وتوزيع الأراضي على مئات الآلاف من الفلاحين وتعويض صرافات بغداد بمساكن شعبية، وتوسيع الجامعة والمعاهد وصار الدخول لها بواسطة الاجتهاد والعلامات وليس المحسوبية والقبول الخاص أو الاستثنائي). وسن قانون رقم ٨٠ الذي أمم أكثر من ٩٩,٥٪ من الأراضي العراقية وجلب أساتذة مصريين لسد نقص المعلمين بعد توسيع المقبولين في المدارس. وسلم مصر جميع الوثائق التي عُثِر عليها في الخارجية العراقية وتخص مصر سورية خصوصاً التي تتعلق بحلف بغداد والقواعد الصاروخية النووية في باكستان وتركيا. وأسس جيش التحرير الفلسطيني. وبقترح من حكومته تأسست منظمة الأوبك. وأسس صناعة الصلب والأسمت والكيماوية. وتضاعف دخل العراق واشتدت حركة السوق والبيع والشراء. وابتدع الطابع الأسري والطائفي، الذي اعتمدته الإنكليز، عن السلطة. وأخرج العراق من منطقة الإستراتيجي محراً الاقتصاد العراقي من التبعية والهيمنة وبدلاً من ذلك جعل غطاء العملة العراقية ذهباً يعادها تماماً، فلم يطبع أوراقاً ولم ينتفع ولم يدع غيره ينتفع بصورة غير مشروعة من أموال الوطن. ولم يخض حروباً بالنيابة، وغير ذلك كثير وكثير. بما يؤكد أن خصومه لم يعترضوا عليه لأسباب تتعلق بالسلوك بقدر ما كان صراعاً على توزيع المراكز في السلطة، فاستعانوا بجهات إقليمية ودولية لها مصالح في العراق لإسقاطه، فتالت عليه الضربات والمشكلات المرتبة والتي انتهت بسقوطه، إلى درجة أن السفير البريطاني في العراق وصف حالة عبد الكريم قاسم بذلك قائلاً عنه أنه "فقد القابلية للتغلب على مشاكله"^[16].

ويذكر أن وزراء عبد الكريم قاسم أودعوا معتقل معسكر الرشيد وتم التحقيق معهم فوراً، فبين انهم لم يرتكبوا أية مخالفات شخصية، دخلوا وزاراتهم وخرجوا منها دون أية مكاسب شخصية أو تجاوزات قانونية.

سيدافعون بشدة عن نظام قاسم خصوصاً بعد أن وجه لهم ضربة قاسية، وبعد خروجهم من معركتهم مع السيد محسن الحكيم متعبين، وتأثير ذلك على مؤيديهم في الأوساط الشعبية حيث تقلصت قدرتهم في الحديث عن أحياء أو مدن شيوعية، وكان الشيوعيون قد ارتكبوا خطأ جسيماً عندما لم يتوقفوا عن معركتهم ضد المرجعية بل تصرفوا باستعلاء وعجرفة معتقدين أن من يختلف معهم في العراق سيخسر حتماً وبذلك خسروا أصدقاء مقربين لهم.

وأعتقد أن قسوة قوات المشاة وخصوصاً خلال عملها في مدينة الكاظمية يعود إلى شدة قائدها عبد الغني الراوي وبعض التصرفات الفردية لضباطها، ولا أعتقد أن عبد الغني الراوي يتحمل كل ما حصل، وفي كل الأحوال فلم يقتل في الكاظمية أكثر من ستة أشخاص، وفي المواجهة في وزارة الدفاع لم يتجاوز العدد عشرين قتيلاً، وعدد آخر في مناطق متفرقة أخرى.

ملحق رقم ١

قاسم الجنابي .. يتكلم !

[كان المقدم الركن قاسم أمين الجنابي قد كتب تقريراً في ٥ / ٤ / ١٩٦٥ (في عهد عبد السلام محمد عارف) رفعه إلى الجهات الرسمية]

أنهى مجلس الوزراء جلسته المنعقدة في ٧ شباط الموافق لـ ١٣ رمضان في الساعة الثانية والنصف عند منتصف الليل، وبعدها رافقت عبد الكريم قاسم في جولاته العادية الليلية التي كان يكررها كل ليلة تقريباً. وفي هذه الليلة اتجهنا إلى بيت يحيى الجدة في الأعظمية والذي كان صديقه وكثيراً ما كان يزوره ويتصل به هاتفياً. كانت دار يحيى الجدة تقع مقابل دار عبد السلام ولكننا لم نرأى حركة تلفت النظر. طلب مني عبد الكريم أن أذهب إلى دار مصطفى علي وزير العدل السابق في بغداد الجديدة، ولم أكن أعرف موقعه ولكنه رسم لي مخططاً ودلّني على بيته وكانت الساعة تشير إلى الثالثة والنصف بعد منتصف الليل.

أخذت سيارة الحرس المرافقة التي كان فيها ٣ - ٤ حراس بعد أن طلبت منهم ترك السيارة والبقاء لحراسة عبد الكريم قاسم، وصلت الدار وبلغته برغبة الزعيم بمقابلته ولكنه قال أنه سيأتي إلى دار الزعيم عبد الكريم في السعدون، وعدت راجعاً إلى دار يحيى الجدة وأبلغت الزعيم النتيجة. بلغت الساعة الثالثة والنصف ولما سمع عبد الكريم قاسم ما قلته له غادر الدار وذهب إلى داره في السعدون. دخل الزعيم داره، أما أنا فبقيت في الدار المجاورة والمستأجرة لمبيت فصيل الحماية وهو نفسه فصيل الدفاع والواجبات للواء (١٩) قديماً والذي دخل بغداد مع اللواء صبيحة ١٤ تموز وكان يقوده النقيب حافظ علوان الذي تعين بعد الثورة مرافقاً للقائد العام للقوات المسلحة، وكان الفصيل يقسم إلى وجتين نصف يرتاح ونصف آخر يقوم بالحراسة. كنت نائماً عندما أيقظني العريف قائلاً: سيدي الإذاعة تذيع بيانات خلي لحضر الفصيل للدفاع. ذهبت إلى دار الزعيم ووجدته لا زال يفطر وهو يعلم بما حدث وقال لي: سنذهب إلى معسكر الرشيد وطلب مني أن أتصل باللواء التاسع عشر الذي يقوده العميد الركن فاضل عباس حلمي. اتصلت هاتفياً حسب الأمر، وكان المتكلم مقدم اللواء الرائد الركن عزيز جعفر الصندوق، الذي طلب منه عبد الكريم قاسم بعد أن عرفه بنفسه تهيئة سرية في باب المعسكر وكرر عليه أنا جاي أنا جاي.

وبينما كان الزعيم يهيم بمغادرة داره وإذا بالزعيم الركن طه الشيخ أحمد يصل، حيث كانت داره قريبة من دار الزعيم لا تبعد سوى حوالي ٥٠٠ متر (حوالي أربعة بيوت) فاقترح علي الزعيم أن نذهب إلى وزارة الدفاع، وقال هؤلاء قلة بعثيين، ولم يرد عليه عبد الكريم قاسم، والتحق كذلك النقيب حافظ

علوان لتبديلي إذ أن خفاري قد انتهت.

خرج عبد الكريم قاسم وسار بسيارته وتبعته سيارة الحرس باتجاه وزارة الدفاع عبر الباب الشرقي ووصلنا شارع الجمهورية وكان الوضع عادياً وكان يحيط الناس والناس تحييه ودخلنا وزارة الدفاع وصعد عبد الكريم قاسم إلى مقره، وفي هذه الأثناء التحق عبد الكريم الجدة بنا.

اقترح طه الشيخ أحمد تطبيق خطة أمن بغداد لإنهاء الحركة. أخذ مقر عبد الكريم قاسم يتصل بآمري الوحدات ويعطي الأوامر الشفهية لتطبيق الخطة. وكان الجواب أنهم مستعدون وسينفذون الأوامر ولكن أحداً لم يتحرك ولم ينفذ أي أمر انتظاراً لتطور الموقف.

كان هناك كتبية دبابات في ملعب الشعب اتصلوا بها هاتفياً وبُلت وتبلغت وكان الجواب: نعم، ولكن لم تتحرك. أقولها للتاريخ. تجمع الناس في باب وزارة الدفاع وكان هناك في الوزارة مخزن للأسلحة، وطالبوا بالسلح، ولكن عبد الكريم قاسم رفض توزيع السلاح وقال: أنا لا أريدها حرباً أهلية، سنعالجها.

اتصل عبد الكريم قاسم هاتفياً باللواء التاسع عشر وكان المتكلم المقدم الركن طه الشكرجي الذي شتم عبد الكريم قاسم، فالتقى عبد الكريم قاسم بسماعة الهاتف قائلاً: اصبر أنا جايك. وركب سيارته واتجه إلى باب وزارة الدفاع ولحقناه أنا وحافظ والطائرات تقصف الوزارة، وعند وصوله باب الوزارة أوقفه عبد الكريم الجدة وأمسك بسيارته وأصر على عدم خروجه من الوزارة.

اتصل عبد الكريم قاسم بالإذاعة وكان التلفزيون يشتغل فقط، وظهرت صورته بالتلفزيون وقال أنه سيأتي لإذاعة بيان، وهم بالخروج ولكن طه الشيخ أحمد منعه من الذهاب واقترح أن يسجل خطاباً ويورسله مع السكرتير الشخصي. وكان مسؤولو الإذاعة يعتقدون أن عبد الكريم مقتول حسب إذاعة الثوار من أبي غريب، واصطدموا بالواقع وأخرجوا صورة الزعيم بالتلفزيون. كان في وزارة الدفاع فسوج واجبه الدفاع عنها وعن عبد الكريم قاسم، أرسل عبد الكريم قاسم حافظ علوان ليلج أمره بإعطائه الأوامر لفك الحصار عن وزارة الدفاع وقتال المحاصرين ولكنه لم ينفذ. وأرسله ثانية لتبليغه بالحضور لمقابلته ولكنه لم ينفذ.

لقد قاتل الجنود وضباط الصف بدون قيادة ضابط. لم تطوق وزارة الدفاع في الساعات الأولى ولكن مع مرور الوقت كلما أرسلت مفرزة من الانضباط العسكري لمنع وصول الثوار لتطويق وزارة الدفاع لم تعد المفرزة.. وتذوب كالملح، وما أن خيم الظلام إلا وكان صوت الثورة هو الأقوى ومركزها الأيمن وأخذ المترددون ينضمون إلى الثوار.

وكان عبد الكريم قاسم يعتقد أن الضباط سينفذون أوامره، وكان كلما تكلم مع ضابطاً على انفراد أبدى استعداداً وقال نعم، سنخرج وسنفذ الأمر، ولكن ما أن يقفل عبد الكريم سماعة الهاتف، فإن أوامره لم تنفذ.

جاء تبديل الموقف، ووضع عبد الكريم قاسم بموقف حرج، عندما خرج الرائد عبد الله مريوش أحد آمري سرايا الدفاع بحجة تخليص الزعيم (الحرب خدعة) من وزارة الدفاع غير أنه طوق الوزارة ووجه بنادق سريته نحو الوزارة. بدأ الثوار يتوافدون ويحيطون بهم، والقطعات التي كان يقاتل بها عبد الكريم قاسم أخذت تخرج دون عودة أو تصوب أسلحتها ضده أو انهزمت تاركة وحداتها

لدرجة أننا لم نتمكن من الوصول إلى مكتب وزير الدفاع (مقر عبد الكريم قاسم) بعد أن طوقنا الشوار في بناية الانضباط العسكري التي كانت قرب الباب الرئيسي للوزارة، وخيم الظلام وأرسل فصيل ضد الدرع بقيادة الملازم أبن أخ عبد المجيد جليل مدير الأمن العام، وقد سحب هذا الفصيل من الفرقة الخامسة قبل فترة قصيرة وأضيف إلى فوج الدفاع ولم يكن ملاكه كاملاً. وبما أن يوم الثورة كان يوم جمعة وهو عطلة، فإن أكثر مراتبه كانوا عند أهاليهم.

وصلت قطعات المظليين وقطعات من الفوج الآلي وقوات أخرى وتمكنوا من احتلال باب وزارة الدفاع ومنطقة فوج الدفاع، حيث تمكنت وحدات الفوج الآلي الذي يقوده المقدم داود عبد المجيد أن تدخل منطقة الهندسة وتتقدم إلى الطريق الرئيسي، ويفصل بين الانضباط ومقر الوزارة، ولم يبق إلا الطريق. في هذه الأثناء اقترح أحدهم أن تنتقل إلى قاعة الشعب التي كان موقعها في ظهر الوزارة لأن المنطقة طوقت بأجمعها واقترحت أن نخرج على طريق المستشفى علناً نصل إلى منطقة الثورة أو نموت.

أخذ الرصاص ينهمر بغزارة وأخذت المقاومة تنهار، وساحة المناورة تضيق، ولم يعد هناك أمل، وعندها اقترح عبد الكريم قاسم على اللواء أحمد صالح العبدى الحاكم العسكري العام أن يخرج بنفسه إلى الطريق حتى ينجو من الموت الختم من جراء شدة النيران، وفعلاً خرج وسلم نفسه إلى الثوار.

أجرى عبد الكريم قاسم عدة مكالمات هاتفية مع عبد السلام عارف وطاهر يحيى، كما أجرى مكالمات هاتفية معهما السيد يونس الطائي صديق عبد الكريم قاسم وصاحب جريدة الثورة الذي جاء إلى وزارة الدفاع متطوعاً. قال الطائي لعبد الكريم قاسم: الثوار إخوانك وأنا سأفاوضهم، رفع راية بيضاء وخرج من الدفاع وذهب إلى دار الإذاعة.

وفي صبيحة اليوم الثاني حلق عبد الكريم قاسم ذنقه وكان صائماً.. وليس هناك أي أمل، ومع هذا قرر أن يقاوم حتى يموت ولن يستسلم. حاول الطائي إقناعه بعد أن عاد من مفاوضات الثوار، وقال: حقناً للدماء عليه أن يسلم. وأنه وعد أن محاكمة عادلة ستجرى له، ولم يرد عبد الكريم قاسم.

وضع عبد الكريم قاسم كميناً من الرشاشات في قاعة الشعب، فلما دخل المهاجمون القاعة لم يطلب فتح النار على المهاجمين وقرر التسليم. استلمنا العقيد الركن محمد مجيد، ولما كان النقيب حافظ قد أرسله عبد الكريم قاسم لاستصحاب أمر فوج الدفاع الذي رفض الهجاء وبذلك تأخر عن الالتحاق لشدة الرمي، وركب الزعيم مدرعة ومعه طه الشيخ أحمد وأنا والمهداوي، ركبنا مدرعة ثانية واستلمنا هادي خماس، واعتذر لي شخصياً وقال: أنا متأسف، أنا قمت بواجبي لأنه صديقي، كان الحديث في أثناء الطريق، ولكنني قلت له: أنك أدبت واجبك.. فرد قائلاً: إن عرفان وجدي في دار الإذاعة وأنا كلمته هاتفياً وقال أن قاسم لا يمسه أذى أو سوء وعلاقتي معه منذ الطفولة حيث كان صديقي وكنا في محبة واحدة ومدرسة واحدة. نسيت أن أقول أنه في وزارة الدفاع جردونا من الرتب العسكرية.

وصلنا دار الإذاعة وترجلنا من المدرعات وضرب المهداوي ضرباً مبرحاً وحتى بالأحذية منذ نزوله من المدرعة حتى دخوله القاعة، وعندما دخل عبد الكريم قاسم الباب خيم على الجنود السكون وحاول رفع يده، ولكنه منع من بقية الضباط ولما تقابل مع صالح عماش في الممر هنأه بالثورة وأدخلنا في قاعة من القاعات ودخل علينا كل من السادة: أحمد حسن البكر وعبد السلام عارف وعبد الستار عبد اللطيف وعلي صالح السعدي وعدد من الضباط الآخرين، وحدثت مشادة كلامية بين علي صالح السعدي والمهداوي. قال علي صالح السعدي إلى المهداوي: ولك ماذا فعلت بالبلد.. (إش سويت بالبلد).

فرد عليه المهداوي: إطلع .. أنا أحكي مع عبد السلام. فرد علي صالح السعدي: أنجب وإلا قتلتك.
قال أحمد حسن البكر بعد أن وقف بجانبني: إشجيت بهذا الشخص (يقصد عبد الكريم قاسم) وأنت شخص ممتاز وطيب. فقلت له: أنا خدمت بلدي ولم أخدم شخصاً، وعندئذ قال عبد السلام إلى عبد الكريم قاسم: كيف تخلي قاسم الجنابي يفتح باب ويسد باب وهو الرجل الناصر الشجاع؟
وجه عبد الستار عبد اللطيف كلمات قاسية إلى طه الشيخ أحمد، فرد عليه طه الشيخ أحمد: أنا أستاذك، لا تنسى كنت تلميذي.

وجه علي صالح السعدي سؤالاً إلى الزعيم عبد الكريم قائلًا: حاولنا أن نقوم بمحاولة انقلاب قبل ١٤ رمضان وانكشف من قبلك، فمن الذي أخبرك بها؟ لا بد وأنه أخبرك بها شخص يشك بوجوده هنا. فأقسم عبد الكريم قاسم، ولأول مرة أسمع يقسم بشرفه، قائلًا: إن الذي أخبرنا غير موجود الآن في القاعة، فرد أحدهم قائلًا: هذا من أين له الشرف؟.. فرد قاسم: لك شرفك، ولي شرف أعتر به. وقال عبد السلام: أخوان هذه الأسلحة التي اشتريت يجب أن لا توجه لبعضنا البعض، ولكنها يجب أن توجه لصدور الأعداء.

صف جماعة عبد الكريم قاسم بصف واحد، وأنا اصطفت معهم، فاتبه عبد السلام وقال: قاسم أنت وين؟ أخرج من الصف، وفي هذه الأثناء دخل علي عرفان وجدي وعبد المنعم حميد وغيرهم من الضباط وأخذوني إلى خارج القاعة.

جاء علي صالح السعدي وأوصى بي خيراً لعلاقتي العائلية وعيشنا منذ الطفولة فقال: أكيد أنت ما متريك (لم تتناول فطورك) وطلب لي ماعون تشريب فأكلته.

دخل عبد الستار عبد اللطيف وقال لي: قاسم أنت رجل شهيم، بس أريد أن أفهم، أنا في إنكلترا حكيت حكاية أمام الملحق العسكري وعادل جلال، فمن الذي وشى بها وأوصلها إلى الزعيم كريم، فقلت له أن هذه الحكاية لم تصل من شخص وإنما وصلت من مصادر عديدة أخرى.

وفي هذه الأثناء دخل حازم جواد أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة (وزير الداخلية) وقال لي: إني أنقل لك رأي الحزب بك وهو رأي جيد وممتاز ولذلك عفا عنك الحزب وعفونا عنك، فقلت له شكرًا وهذا دين في رقبتي لا أنساه.. ثم دخل حردان وقال أنا سأرسلك إلى ثكنة الخيالة ستبقى كم يوم والأمور تهدأ وتذهب إلى البيت، وأخذني ضابط إلى الثكنة مقابل البلاط القديم وبقيت ثلاثة أشهر وبعدها انتقلت إلى سجن رقم (١) وأحلت إلى المحكمة العسكرية التي يتولى رئاستها المقدم (اللواء) السيد هاشم السامرائي وأفرج عني. (انتهى تقرير قاسم الجنابي).

ملحق رقم ٢ مهداوي آخر

تشرط الريادة، شجاعة مستقرة، وقدرة على استيعاب حذر الآخرين من الجديد الذي يخترق حكم العادة المفروضة. ويبدو ان الدفاع عن شخصية فاضل عباس المهداوي يتطلب تحقق هذين الشرطين. فقد استحل كثير من المهجوم عليه دون تدقيق. وكتبوا عنه تحت سقف سلطات تعاقب حتى الموت من ينصفه. وطالب الشبيب يخرج عن هذه القاعدة ويروي بعيدا عن ضغط ذلك السقف، ودون قلق أو خوف من "العادة"، موقف المهداوي في لحظاته الأخيرة.

اشترك المهداوي في حركة رشيد عالي الكيلاني وأسرته الإنكليزي في الحبانية. ومنذ حرب فلسطين ١٩٤٨ التي شارك فيها، ظل موقفه السياسي محسوما ضد النظام القديم، وارتبط مبكرا بفكرة عبد الكريم قاسم الانقلابية للتخلص من الوجود الإنكليزي وتعزيز الاستقلال الوطني، والتحق بحركة الضباط الأحرار التي تأسست بقيادة عبد الكريم قاسم في نهاية الأربعينات على أرض فلسطين من طه الشيخ احمد ورفعت الحاج سري وفاضل عباس المهداوي ووصفي طاهر وطاهر يحيى ومحيي عبد الحميد والدراجي وخليل إبراهيم والرفيعي وآخرين.

وتمكن المهداوي مع رفاقه صباح ١٤ تموز من تنفيذ واحدة من أهم وأخطر أجزاء خطة الثورة بالسيطرة على اللواء الأول (لواء الأمن) واعتقال العميد الركن وفلق عارف (أخو رئيس الأركان رفيق عارف) وكانت مهمة لواء الأمن حماية بغداد ومواجهة أي تمرد قد يقع ضد حكومة نوري السعيد. وعينت الثورة المهداوي أمرا للواء لدوره ومكانته في الحركة وليس لأقدميته كما يقرر جزافاً صبحي عبد الحميد [17] لأنه لم يكن أقدم ضباط اللواء، ولان قيادة الثورة وعبد الكريم قاسم بنفسه أرسل في ليلة ١٣ تموز ١٩٥٨ المقدم احمد حسن البكر وعبد الرحيم الراوي إلى المسيب لإبلاغ المهداوي وليس غيره بساعة التنفيذ كي يقوم بتنظيم أمر السيطرة على اللواء صباح اليوم التالي. وقال له العميد الركن وفلق عارف عند اعتقاله: "يا فاضل أنت ذهبت بدرب المؤامرة، وعين الإنكليز ليست غافلة والمشتنقة ستلتف حول عنقك وليس عنقي..." [18].

وفي ١٨ تموز عين رئيسا للمحكمة العسكرية العليا الخاصة التي أطلق عليها الناس اسم "محكمة الشعب"، تلك المحكمة الفوضوية التي اعتادت ان تقوم بكل أعمالها في جلسات علنية منقولة بالث مباشر على شاشة التلفزيون. فتستجوب المتهمين وتسخر منهم وتعبر عن ما تتصوره بطريقة بالنسة ومقرفة أحياناً، ولكنها تترك للمتهمين هامشا واسعاً للرد والمناقشة والتعبير. وتستخدم مستشارين قانونيين ويتطرح بداخلها الادعاء العام ومحامو الدفاع، وتُبرئ وتدين وتحكم بعقوبات مختلفة مرصودة من قبل صحافة تمتلك حرية نسبية وتمتلكها أحزاب وتيارات. وتعبر المجموعات السياسية والشعبية عن موقفها

من القضايا التي تعالجها المحكمة على شكل تظاهرات وشعارات مرفوعة حتى قبل ان تصدر المحكمة احكامها. وتقتل قاعتها بمفرجين ومهرجين وأهازيج وأشعار . . . الخ.

لكن تلك المحكمة الفوضوية ظلت حتى هذه اللحظة تتحدى كل السلطات التالية في ان تقيم مثلها أو افضل أو أكثر حرية منها. فلقد أحلوا محلها الاغتيال السياسي، وبدلاً من العلنية المهداوية الساخرة، نشأت المحاكم السرية والقتل السري والتعذيب وتهديد الشرف بصورة تتجاوز وتفوق ما سمع به الإنسان منذ تأسيس حضاراته الأولى ولحد الآن. ولم يستطع نقاد المهداوي التمثل بقول الشاعر:

إذا عبت أمراً فلا تأتبه فذو اللب محتنب ما يعيب

وإذا أوردنا إحصاءات حقيقية فسنجد ان محكمة الشعب كانت اقل المحاكم السياسية العراقية قسوة، فلم تصدر فيها احكام سوى بحق رجال حملوا السلاح بوجه السلطة القائمة (بغض النظر عن صحة أو عدم صحة مواقفهم). وربما تكون أخطأت بحق ناظم ورفعت وعدد آخر لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة من زملائهم (رغم ان رفعت احتفظ بجهاز إرسال يربط مديرية الاستخبارات العسكرية العراقية بالسفارة المصرية ورغم اعترافات صريحة عن اتفاقه مع ناظم والشواف)، لكن الاثنين كانا يستحقان العفو لتاريخهما، فرفعت الحاج سري الذي رافق قاسم في حرب فلسطين وكان أحد مساعديه الذين يثق بهم، وواحد من أهم الناشطين في حركة الضباط الأحرار خصوصاً مسؤوليته الأولى عن منظمة بغداد العسكرية، كان يجب معاملته على أنه رجل مبادئ، والشواف لم يكن يستحق السب أبداً.

لكن المحاكم التالية لمحكمة الشعب أصدرت ودون ان يرف لرؤسائها جفن عشرات الآلاف من احكام الإعدام والمؤبد ضد العراقيين، وصادقت على عشرات قوائم القتل التي تسبق المحاكمة، وعلى الآلاف من قتلى التعذيب فتركت آثاراً غائرة في كل بيت، تلك الآثار التي تعكس نفسها بفوضوية نادرة كلما تضعف السلطة أو يحصل فلتان أمني في البلاد. بل ان قاعة الشعب التابعة للمحكمة تحولت بعد سقوط قاسم إلى مسلخ بشري، قتل فيها خلال شهر واحد أضعاف ما حكمت به محكمة المهداوي خلال أربع سنوات ونصف تشكل عمر حكومة قاسم. وما يؤسف له ان بعض السياسيين مازالوا يحصرون الاستبداد والكيفية والديكتاتورية بعهد قاسم وبمحكمة المهداوي دون غيرهما، ويرون العدالة في أشكال الحكومات الأخرى التي سمعنا قضائتها يحكمون بالشكل التالي: " وزعوا خمسمائة عام على هؤلاء!! " في إشارة إلى حشد من المتهمين السياسيين داخل قفص الاتهام.

وفي هذا السياق يقول الشاعر العراقي كاظم السماوي: " حاكم المهداوي أساطين العهد المباد على جرائم محددة ارتكبوها، وسخر منهم، ولم يحصل في محكمته ما يخدش كبرياء القوميين، لكن الحزب الشيوعي، والأجواء الحماسية الرعاعية أحياناً، شجعت في تحويل المحكمة إلى (هوسه)، واعتقد ان المهداوي كان يتصور بأن الجمهور الذي يحضر قاعة المحكمة يمثل التنوع الشعبي كاملاً، لذلك حاول إشراكهم في المحاكمة والقرار، وهو ما جعل المحكمة تقفز فوق الأصول القانونية أثناء جريان جلساتها، لكن تلك المظاهر لم تؤثر على الصيغة القانونية لأحكامها" [19].

وكانت الصدمة الأولى التي وجهت للمحكمة وأشعرتها بالخروج والحذر، عندما استضافت نوعاً جديداً من المتهمين، كانوا شباب حزب البعث اثر محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم، فاستمعت لأول مرة إلى رجال غير آسفين على ما قاموا به، بل أكدوا ان عملهم لم يكن شخصياً أو لمنفعة خاصة. بل هم أعضاء في تيار يناضل من اجل توحيد الأمة العربية في دولة واحدة قوية. وحولوا المحاكمة إلى مناسبة

للتعريف بحزبهم وبصورة غير مباشرة بأفكارهم، كما تركوا انطباعاً عند أنصارهم وأعدائهم على حد سواء بأنهم شجعان ولا يتلقون الضربات بل ويردونها. وهناك أدلة كثيرة بأن المهدياوي عامل البعثين كمتهمين (وطنيين) فلم يصفهم بالعمالة واحترمهم بل زار أكثر من مرة عائلة سليم عيسى الزبيق وقدم لها مساعدة [20].

وفي كل الأحوال فقد شكلت محكمة المهدياوي رغم سخريتها وتقلقها، تحدياً صريحاً، وما زالت تتحدى كل الحكام التي أنشأتها الحكومات والأحزاب منذ سقوطها حتى الآن، بعنيتها وبحرية المتهم في ان يقول شيئاً في بث تلفزيوني مباشر [21].

ويشهد متهمون كالذكور تحسين معلة وغيرهم بأن التحقيق الذي سبق المحاكمة جرى دون ضغط أو تعذيب جسدي لكن السلطات بعد محكمة الشعب قتلت عشرات آلاف السياسيين بسبب الرأي واشتغلت بالتهريب والقتل والسموم وتدريب رجال الفكر والإعلام والسياسة بأحواض الأسيد.

في وزارة الدفاع

ويشهد كل شهود العيان الذين وردت شهاداتهم في رسائل ومذكرات منشورة داخل وخارج العراق ان المهدياوي وقف في ٨ شباط داخل وزارة الدفاع ضد الاستسلام، ومع القتال حتى الموت. وبأنه كان حراً بداره عندما اتصل به ممثلو الحزب الديمقراطي الكردستاني في بغداد طالبين إليه مرافقتهم إلى كردستان للخلاص بنفسه وبعائلته، وكان حينها قد سمع البيان رقم ٥ الذي يطالبه بالتسليم. "عفت" وقال: "ستفوق المقاومة" فردت زوجته "ان الأكراد سيغادرون إلى الشمال فلماذا لا نذهب معهم". فنهرها قائلاً: "لن اهرب ولن يقول أحد عني جبان"، واتجه صوب الدفاع مع ابنه النائب ضابط صادق وأخيه النائب ضابط عبد الجبار إلى حيث يحاصر قاسم، فدخل الحصار بإرادته، وقتل وقتل هو وابنه وأخوه في معركة كان بإمكانه الانسحاب أو الهرب منها كأحد صالح العبيدي وسعيد مطر ومحسن الرفيعي والعزاوي وعشرات غيرهم ويقول يونس الطائي "لم تكن معنويات المهدياوي خلال حصار وزارة الدفاع ضعيفة وكان قاسم قد صالحنا أنا وهو وكانت بيننا خصومة، كما لم تبدُ على عبد الكريم قاسم ولا على أي من رجاله مظاهر الخوف". ويقول ابنه منور المهدياوي ان والده كان يعرف انه مقتول وانه سيرك عائلته بلا معيل وان "دار سكنا لم تكن ملك لوالدي بل ورثتها أُمي عن زوجها السابق. ولم نرث منه غير مكتبة كبيرة متميزة ومتنوعة فكان محباً للأدب وصديقاً للجواهري الكبير ولعبد الوهاب البياتي وبلند الحيدري وكاظم السماوي". وقال "أذكر ان محمود البريكاني جاءنا بعد مقتل والدي وطلب إعارته بعض الكتب النادرة" [22].

وأكد الشاعران كاظم السماوي ومظفر النواب ان المهدياوي كان ابن بلد يعكس بتصرفاته روح ابن الخلة أكثر مما يعكس روح المسؤول العسكري.

ورغم ذلك لقبه غونتر في كتابه (العرب) قائلاً "لقد استحق المهدياوي لقب جزار بغداد" وسمّاه آخر بالغبى الجبان وكرر أباد ثابت وغيره نفس الأوصاف، في حين وصف أباد ثابت صداماً بمناسبة قمعه الانتفاضة آذار/شعبان ١٩٩١ بأنه "عادل وديمقراطي".

أما موقفه في الإذاعة فيضيف المقدم قاسم الجنابي الذي اقتيد معه في مدرعة هادي خماس إلى الإذاعة وحضر معه الحوار الذي سمّي محاكمة قائلاً: "دخل علينا السادة احمد حسن البكر وعبد السلام عارف

وعبد الستار عبد اللطيف وعلي السعدي وعدد من الضباط (بينهم حازم وطالب بزي الضباط) وحدثت مشادة كلامية بين السعدي والمهداوي، قال السعدي للمهداوي: ولك اشسويت بالبلد. أجابه المهداوي: إطلع.. آني احكي مع عبد السلام. فرد السعدي: إنجب (إخرس) والا قتلتك [23]. وكانت تلك كما هو واضح مشادة وليس تخضعا.

وبعد كل ذلك كتب كثيرون عن مقتل قاسم وسيرة سلطنته تحت سقف سلطة معادية لنظامه، فحاضوا في تفاصيل ليس لها وجود، وأضاف بعضهم مشاهد درامية انفردوا بها دون غيرهم، وسعوا في رواياتهم لاستكمال التشويق لعلمهم انهم يتحدثون عن شخصيات مثيرة سيتوارث الناس ذكراها لفترة طويلة. وبلغت الجراءة عند بعضهم مثل محمود شيت خطاب الذي لم يكن موجودا في مشهد الحوار الأخير ان يدعي كذبا انه شاهد عيان وينفرد بتفاصيل مسينة وغير صحيحة وهو يعرف إنما غير صحيحة!! وفعل مثله كثيرون من المتعلقين والضعفاء. وقد تأكدت بعد تنقيب وبحث أن جميع الذين كتبوا لحد الآن عن مشهد محاكمة قاسم وجماعته الأخير، لم يكونوا حاضرين في ذلك المشهد، بل نقل أحدهم عن الآخر دون تدقيق وقال عن نفسه أنه شاهد عيان. لكن التاريخ كعادته دار دورته وبدأ التنقيب الحامد. وأستطيع ان أؤكد ان الكتاب في هذه القضية كانوا حتى فترة قصيرة شهود اتهم متحيزون، عدا حسن العلوي من العراقيين، ونسباً حنا بطاطو من خارجهم.

ملحق رقم ٣

المقاومة المدنية والعسكرية

يبدو أن الأرقام التي يعطيها شبيب تخص فقط معركة وزارة الدفاع لأن استعراضاً بسيطاً للأسماء والصدمات التي دارت في بغداد وضواحيها تؤكد سقوط ضحايا من الطرفين أكثر بكثير. وإذا أخذنا "الكاظمية" نموذجاً، واستناداً إلى ستار الباير وعمرو آل ياسين وإبراهيم الموسوي وهاشم الياسري وعدد من الشيوعيين الذين عاشوا تجربتها سنجد بأن النتائج مختلفة... .

فاليوم قرر قبل ٨ شباط تنشيط تنظيماته بأعمال الإضراب وتوزيع البيانات وغيرها من النشاطات لإجراج وإرباك نظام قاسم وإظهاره غير قادر على ضبط الوضع، وأيضاً لإبقاء تنظيمه في حالة تأهب وجاهزية يقظة استعداداً للمساهمة بخطة إسقاط النظام. وقد غذت جريدة الحزب السرية "وعي الطلبة" المعنويات وحثت على تحضير المستلزمات كالسيارات والدراجات والأسلحة الخفيفة. وتبلغ الأعضاء الحزبيين بالتواجد كل يوم جمعة قرب المديع أو في أمكنة محددة تسمح بمساهمتهم الفعالة حال سماع نبأ هام، وكانت ساحة الزهراء التي تعتبر مفتاح المدينة أحد أمكنة التجمع التي يحضر إليها بعض البعثيين صباح كل جمعة.

ولم يكن تنظيم حزب البعث في "الكاظمية" ضعيفاً، بل ضم حوالي ٦٠ عضواً ونصيراً، يحف بهم عدد كبير من المؤيدين، ويقف على رأسه حمزة الباهلي الذي منحه الحركة رتبة ملازم، لكنه جرح صباح ٨ شباط ونقل إلى البيت في العطفية لعلاج، لعله بيت صباح محمد علي أو بيت هاشم زيدان. وكان من بين أعضاء الحزب الذين حضروا: مدحت محمد جميل ومعز الخطيب وعبد الرزاق لفته ومحيي الخطيب وإبراهيم الموسوي وسهيل السهيل وعمرو آل ياسين وعبد الحسين مسلم وهاادي الرياحي وستار الباير وسعدي أصلان وأحمد شبوط وزهير الدوري وهاشم الياسري وحسين ونوري الزكهم وإبراهيم التميمي ورياض القيسي وهاشم زيدان وسيمير الكتي ووليد الخشالي وحكمت الطائي وعدنان الإدلسي وسعيد العبد الله وسعدي طعمة الجبوري (ملازم متقاعد) وعبدو الخالصي وصباح رحيم وقاسم حسن وعبد الرضا القصاب. ومع توسط النهار تزايد عدد المتحقيقين والمستعدين لحمل السلاح.

ورغم ذلك كله كان عدد الشيوعيين أكبر بما لا يقاس، إذ طبعوا المدينة بطابعهم إلى درجة أن مفارزهم في مناطق أخرى من بغداد كانت تطلق سراح المشتبه بهم إذا صرحوا أنهم من أبناء "الكاظمية"، فكل "كظماوي وطني أو ديمقراطي!!". ولم تكن حركة ٨ شباط مفاجئة جداً للشيوعيين لذلك تمكنوا من تنظيم صفوفهم بسرعة بقيادة عضو سكرتارية الحزب هادي هاشم الأعظمي والمقدم المتقاعد عضو اللجنة العسكرية خزعل علي السعدي وحدي أيوب العاني عضو منظمة بغداد، فبسطوا سيطرتهم على مركز القضاء بكاملة وأغلقت مداخل المدينة ومخارجها القريبة والبعيدة كجهة مفرق معسكر الوشاش عند منطقة مطار المنفى المدني، بعد أن احتلوا مديرية الشرطة والقائمقامية وشرطة النجدة وأمانة العاصمة وكافة

المؤسسات، حتى المساجد اتخذت كمراكز لبلاغاتهم وندائاتهم، ووزعوا الأسلحة الخفيفة، وظهر رجالهم يربطون على أذرعهم قطعة قماش بيضاء كتب عليها (م ش - أي مقاومة شعبية) ومسلحين ببنادق ومحاريب وحديد وخشب وسكاكين وبينهم نساء عرفن بحماسهن مثل بنات الجرجفجي وزهرة الوردية التي صعدت إلى منارة جامع " الدروازة " وأخذت تعرض الجمهور وتدعو للمقاومة، وغيرهن. ودارت بينهم وبين الشرطة معارك أهمها معركة النجدة التي استمرت أربع ساعات وانتهت بقتلى بينهم ثلاثة شرطة وأربعين جريحاً واحتراق جميع مكاتب وآليات المركز، لذلك كافأت قيادة الحركة قائد شرطة الكاظمية محمد أمين محمود على مقاومته بترقيعه إلى رتبة عميد وتعيينه مديراً عاماً لشرطة العراق.

أما البعثيون فقد احتلوا مركز شرطة الباغيات في العطيفية والذي تحول إلى مقر للحرس القومي، ومنه سبّروا دوريات للرصد وحراسة الجسر الحديدي الرابط بين كرخ وورصافة بغداد. كما رافقوا القطعات العسكرية كأدلاء هدفهم التقليل من خسائر الجيش والمدنيين واضطروا أكثر من مرة إلى إفهام الضباط المغيرين بأن "الكاظمية مدينة عربية مقدسة، فيها شيوعيون كثيرون وبعثيون وقوميون وإسلاميون من جماعة الخالصي وغيرهم ولذلك يجب التمييز بين المعادين للثورة وبين المواطنين الآخرين".

ومنذ فجر ٩ شباط توجه الرتل العسكري المؤلف من دبابات ومدركات من اللواء الثامن بقيادة داود الجنابي وتآلف من الكتيبتين الأولى والثانية عدا سرية واحدة ذهبت للمساهمة في حراسة الإذاعة في الصالحية (مقر قيادة الثورة)، والكتيبة الثالثة التي بقيت مع القوات التي تحاصر وزارة الدفاع. توجه الرتل إلى ساحة عبد الحسن الكاظمي فوجدها خالية يتصاعد الدخان من أبينتها لا سيما مركز النجدة ولم تكن هناك مقاومة غير إطلاقات متفرقة صدرت عن بعض المنازل. بعدها تحرك إلى ساحة الزهراء فكانت خالية أيضاً إلا من إطلاقات متفرقة تصدر عن مقاومين من بعض أسطح المنازل، فالتحذات القوات مواقعها ووجهت مدافعها باتجاه مداخل أحياء المدينة السكنية وانتشر الجنود المدججون بالسلاح على أسطح الأبنية للساحة الرئيسية، في حين انسحب الشيوعيون ليتحصنوا في الأعدادية وفي مركز الشرطة، وقد قرروا القتال رغم التحذيرات المتكررة الصادرة عن أمر القوة العسكرية بواسطة المايكروفون، تلك التحذيرات التي اختلطت مع نداءات إذاعة بغداد وأصوات القصف المدفعي والجوي الآتية من وزارة الدفاع القريبة.

وقد أثبتت التحقيقات فيما بعد أن عدداً من المقاومين انسحبوا إلى حيث يأمنون، لكن الأكثرية دخلوا في مواجهة غير متكافئة كان مسرحها مدرسة الأعدادية ومركز الشرطة، ومسلحة بنقل الركاب (الأمانة) وتقابل المتقاتلين أحياناً وجهاً لوجه، وسرعان ما فرضت نوعية الأسلحة والدبابات نفسها لتنتهي المعركة بمقتل أكثر من عشرة شيوعيين عند " تانكي " الماء كما سقط من القوة المهاجمة داخل ساحة المدرسة رئيس عرفاء وعدد من الجرحى بينهم الملازم " ثابت الألوسي " فضلاً عن قتلى مدنيين محايدين مثل الحاج صادق القهوجي وإمرأة عمياء لم تكن قادرة على تصور طبيعة ما يحدث.

وعلى إثر ذلك انسحب الشيوعيون إلى الأحياء الشعبية القديمة كالفضوة والبحة والقطانة والحيط وأم النومي التي كانت أساساً معقل قوية لهم. وبالمقابل تقدم الجيش إلى "باب الدروازة" ليقترب منهم ويوجه

مدافعه وهاوناته إلى معاقلهم، وقد ردّ فعلاً على إطلاقات الكلاشنكوف بقذائف من مدافعه مما أدى إلى سقوط قتلى وخسائر أخرى، وذلك أدى إلى اعتراض البعثيين المرافقين على ضرب الأحياء لاحتمال سقوط أبرياء.

وكان رد الضباط : " والله نحن عسكريين وننفذ الأوامر بحذافيرها " . وفي هذا السياق حصلت مشادة كلامية حادة بين مدحت محمد جميل وأحد الضباط (وربما كان المقدم صديق عبد العزيز) عندما أبلغه قائلاً: "نحن مبلغون بالرد على الكلاشنكوف بقذائف المدفعية". فأصر مدحت على موقفه وأقنع قائد القوة بأهمية عدم تعريض المدنيين للإصابة ، فأمر بوقف قصف المناطق الشعبية المكتظة.

وفي اليوم التالي توغلت القوات داخل الأحياء الشعبية حيث رفعت الأعلام البيضاء، وجرت اعتقالات غير منظمة للمواطنين أثبت التحقيق عدم صلتهم بالمقاومة وأطلق سراحهم ولكن بعد قضاء فترة طويلة ينتظرون دورهم في التحقيق، كما ارتكبت القوة خطأ كبيراً عندما أقامت محاكمات صورية فورية فحكمت بالموت على عدد من المقاومين بينهم أحد الزعماء الشعبيين " سعيد متروك " الذي نفذ به الحكم عند سيج أعدادية الشعب في المحيط، وكان هذا الرجل يمتلك جاذبية وشعبية وشجاعة اضطّر بسببها إلى المساهمة في المقاومة متصوراً أنه يدافع عن أهله ومدينته ولم يكن شيوعياً بل قاسمياً متعاطفاً.

سقط في تلك المعارك عدد من الشيوعيين الخليين مثل عبد الأمير الخالك وإبراهيم الحكاك وناظم جودي وعلي عبد الله الذي كان قائداً لفيلق المقاومة الشعبية، ومحمد الورددي، وقتل رئيس نقابة المعلمين في باب مركز الباغات بإطلاق الرصاص عليه ودامت المقاومة ثلاثة أيام وثلاث ليال ولم يهدأ الوضع حتى صباح ١١ شباط ، لكن الاعتقالات استمرت وتحول نادي قريش إلى مركز مشهور للتحقيق يشير اسمه الرعب في قلوب الناس.

وعندما انصرمت الأيام الأولى العصبية عاد الشبان البعثيون مرهقين من السهر والتوتر إلى منازلهم ليواجهوا عبثاً مريراً من أولياء أمورهم الذين ينظرون إلى تلك المصادمات على أنها ستؤدي إلى إضعاف المجتمع المدني العراقي. أما الشيوعيون فقد قاتلوا خلالها وكأنهم يدافعون عن مطلق وجودهم وعن آخر أيامهم!!

وفي هذا السياق اتهم الشيوعيون والقاسميون جماعة الخالصي بالتعاون مع السلطة الجديدة ضد أهالي المدينة، فرد الشيخ مهدي الخالصي قائلاً: " في ٨ شباط ركز الشيوعيون على الكاظمية لمنع حركة القوات القادمة من التاجي تجاه وزارة الدفاع " وقال " قتل الشيوعيون من جماعتنا بينهم عباس حاج حنظل وحسن السعدي، مما اضطّر الشيخ محمد الخالصي إلى الخروج إلى الصحن الشريف واحتلاله".

مراجع :

- [1] مقابلة مع يونس الطائي ١٩٩٥ دمشق- السيدة زيب، بحضور الدكتور أحمد الموسوي.
- [2] رسالة من طاهر يحيى التكريتي إلى خليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، السقوط.
- [3] يونس الطائي، مقابلة، ١٩٩٥، دمشق، بحضور الدكتور أحمد الموسوي.
- [4] يونس الطائي، مقابلة، مصدر سابق .
- [5] قاسم الجنائي رسالة لخليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، مصدر سابق، ص ٤٠٦.
- [6] رسالة من الرائد الركن عبد اللطيف عبد الرضا إلى خليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، (السقوط) ص ٤١١.
- [7] مقابلة مع يونس الطائي دمشق ١٩٩٥.
- [8] خليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، السقوط، ص ٤١٤.
- [9] خليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز للغز المحير، السقوط ص ٤٠٨.
- [10] محمد حديد، مقابلة، ١٩٩٨، بريطانيا.
- [11] عبد الستار الدوري، مقابلة، لندن، ١٩٩٨، في دار الأستاذ نوري الحراقي.
- [12] أورد الأستاذ عبد المنعم الخطيب هذه المحادثة ليدلل على قلة ثقة الشعب العراقي بحكوماته وبياناتها، وقد أجرى الحوار بينه وبين عبد السلام عارف خلال زيارة الأخير رسمياً إلى الهند.
- [13] جريدة الوقائع العراقية ١٥ شباط ١٩٦٣.
- [14] محمد حديد، مقابلة، لندن، ١٩٩٨.
- [15] مقابلة مع مجيد الحاج حمود في لندن ١٩٩٨.
- [16] د. حامد البياتي، أسرار انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، الوثائق السرية البريطانية، مؤسسة الرافسد، لندن، ١٩٩٦.
- [17] صبحي عبد الحميد، ص ١٩١.
- [18] منور المهداوي، مقابلة، ١٩٩٣، برلين.
- [19] كاظم السماوي، مدير الإذاعة والتلفزيون في عهد قاسم، مقابلة بدمشق ١٩٩٥.
- [20] منور المهداوي، مقابلة، برلين ١٩٩٣.
- [21] مقابلة مع تحسين معة دمشق ١٩٩٥.
- [22] مقابلة مع منور المهداوي، برلين، ١٩٩٣ .
- [23] قاسم الجنائي، رسالة إلى خليل إبراهيم حسين - موسوعة ١٤ تموز - عبد الكريم قاسم، السقوط ص ٤٠٦.

بين رغبة التعددية وسلطة الحزب الواحد

سؤال : ما هو شكل نظام الحكم البديل، أو شكل الممارسة السياسية الذي كنتم قد هيأتم لبنائه بعد وصولكم إلى السلطة؟

طالب الشبيب: لم يتبادر إلى ذهن قيادة حزب البعث في العراق، قبل استلام السلطة، أن نفرد في الحكم. بل اتجه التفكير باستمرار إلى أهمية مشاركة القوى الوطنية التي لم تدخل معنا صراع جذري في الإدارة والحكم. وأعطينا الموافقة مباشرة فور الفوز بالسلطة لكل صحفي تيار سياسي تقدم بطلب نظامي لإصدار جريدة. فقد جاءنا في اليوم الثالث للثورة وزير إرشاد الدكتور مسارع الراوي يحمل ثلاثين طلباً لإصدار صحف، فناقشنا الأمر في مجلس قيادة الثورة وقررنا أن كل صحيفة لا تعادي الثورة تجاز. فصدرت ثلاثين صحيفة متعددة لتوجهات والانتماءات في بغداد.

ومنذ البداية حاولنا إشراك جميع الأحزاب السياسية في كافة المجالات، فتمثل في الوزارة لحزب الوطني الديمقراطي بشخص الأستاذ حسين جميل، وعن الحزب الديمقراطي الكردستاني أبا علي وفؤاد عارف، ومن القوميين شكري صالح زكي وناجي طالب.

وجميع هؤلاء تعاونوا معنا، وصاغ حسين جميل بقلمه وبتكليف من حازم جواد قانون المجلس الوطني لقيادة الثورة بعد أن وضعنا خطوطه العامة وقرره المجلس الوطني بعد خمسة أيام من الثورة، وساعدنا حسين جميل في المفاوضات مع الملا مصطفى البرزاني. كما أشركنا ممثلي الأحزاب المذكورين حتى قبل المفاوضات مع الهيئات التي يمثلونها. وتم تعيين شخصيات كثيرة غير بعثية في أخطر مناصب الدولة. وتقدمت شخصياً باقتراح تأسيس أحزاب للمعارضة تجاز علناً، وأيدني كثيرون وكانت حجتنا هي ضرورة إخراج الأحزاب من حياتها السياسية السرية إلى العلنية والانفتاح للتخلص من أمراض العمل السري الذي غالباً ما يشكل غطاءً لارتكاب المعاصي والأخطاء ويجعل نمو الشخصيات ممتنعاً.

ومنذ البداية حرصنا على ضم الأشخاص المنتمين لجمعيات وأحزاب أخرى إلى التشكيلات الحكومية، وضمهم للوفود الرسمية والشعبية، وبين أولئك ممثلي الحزب الديمقراطي الكردستاني

وحزب الاستقلال وحركة القوميين العرب والنقائيين المعروفين بغض النظر عن انتماءاتهم، وكان الأمل يحدونا لإقامة جبهة داخلية متينة وعريضة.

وفي الشهر الأول للثورة ظهرت فكرة ممتازة كادت أن تؤدي إلى إعلان تأسيس مجلس استشاري لعموم البلاد، يكون فيه لحزب البعث دور مميز، دون الحاجة لجعل البعثيين أغلبية مطلقة فيه. ويساهم في المجلس جميع شرائح المجتمع، المثقفون والعلماء والفنيون وممثلو المنظمات الشعبية والمهنية. وان تعرض على أعضائه الذين يجتمعون دورياً مشاريع القوانين والميزانية قبل تحويلها إلى المجلس الوطني لإقرارها.

وفعلاً وضعنا قوائم بأسماء ٢٠٠ شخصية معروفة، تضمنت أبرز الأشخاص وأكثرهم شهرة في مجالاتهم الخاصة وبين الأوساط الاجتماعية والثقافية.

إن الدافع الحقيقي وراء فكرة توسيع المشاركة السياسية، هو مبدأ سابق اتفقنا عليه قبل الثورة وهو تجنب خطأ السلطة القاتل في اللجوء إلى الفردية. وبدلاً منه العودة إلى المجتمع بطريقة مناسبة لظروفنا واستشارته في نوع وطريقة إنجاز المشاريع الوطنية والقومية. لكن هذه الفكرة لم ترَ النور بسبب ترجيح أصحاب الجملة الثورية المزايدة لفكرة الانفراد الكلي بالسلطة بحجة الحاجة إلى وقت يكفي لتسيئة البلاد للدخول بمشاريع توسيع المشاركة السياسية سواء كان مجلساً استشارياً مدنياً أم برلمانياً.

وقد أدى قرار الانفراد بالسلطة إلى تأخر حزب البعث قومياً عن القيام بأية تجربة ائتلافية أو ديمقراطية دستورية حتى قيام حركة ١٦ تشرين الثاني بسوريا حينما تأسست جبهة وطنية ومجلساً للشعب وشكل من أشكال المجالس المحلية أو البلدية.

لكنني أؤكد إننا كبعثيين لم نفكر منذ البداية بإقامة حكم الحزب الواحد أو بجرمان الناس حرياتهم، ولا بفكرة مسبقة معادية لبقية الحركات أو لإلغائها، لكن ذلك لم يمنع التأثير الكبير الزاحف إلى جسد الحزب من الموجة الاشتراكية العالمية على شكل إجراءات ظهرت لأول مرة عملياً داخل الحزب والدولة العراقية بعد تغيير منصب علي صالح السعدي من وزارة الداخلية إلى وزارة الإرشاد، فقرر بصورة مفاجئة ودون إخطار القيادة تقليص حرية الصحافة، وطلب من جميع أصحاب الصحف تقديم طلبات جديدة لإصدار صحفهم، ولم يوافق إلا على ثلاث منها، اثنتين حكوميتين وواحدة مدعومة من الحكومة وهي جريدة العراق ويصدرها

(الفكيكي). ومنذ تلك اللحظة بدأت المسيرة الرسمية للدكتاتورية وحاول كثيرون الترويج لها^(١). وأذكر مرة طرحت على مجلس قيادة الثورة أهمية خروج الحزب للعلن، خصوصاً وأن كوادره وقادته يمارسون السلطة ويتقلدون المناصب الرسمية. فعارضني الجميع ما عدا حازم جواد، ولا ادري إذا كان حازم جواد قد فعل ذلك مداراة أم بقناعة.

قلت حينها ان العراق يحكمه تشريعياً مجلس قيادة الثورة وهو مؤسسة سرية أعضاؤها غير معلنين وغير منتخبين، وتوجهه قيادة حزبية أعضاؤها أيضاً غير معلنين ويقودون حزباً سرياً، كما ان بعض كوادرننا يطالبون مجلس الثورة بسن قوانين سرية خاصة. ولم يبق سوى ان نصب خيمة نغطي بها العراق كله ونعتبره بلداً سرياً بكل معالمه^(٢).

١ — يأتي حديث شبيب هذا صحيحاً من الناحية النظرية، وربما يعكس في بعض جوانبه رغبة السيد شبيب الشخصية في إقامة نظام مدني. لكننا لا نملك دليلاً على أن أعضاء الكتلة المنافسة لعلي صالح السعدي، عسكريين ومدنيين، كانت تزعمهم فكرة الانفراد بالسلطة. فلم تكن أحزاب البعث والشيوعي أو الحركة تعطي للبرلمان أهمية. فجميع القوى كانت حينذاك ترى انها قادرة على إنجاز آمال الأمة العربية والعراق دون الحاجة إلى البرلمان. ورغم انها كانت تدفع رجالها للمساهمة في الانتخابات البرلمانية أينما أتاحت الفرصة، لكنها لم تفكر إطلاقاً في تنفيذ خططها الكبرى بواسطة البرلمان، وإنما بحسم معركتهم بانقلاب يتم بسرعة ووضع السلطة تحت تصرفهم لتحقيق أمانهم الثورية. أما رغبة شبيب في التعددية فتعود لرأيه الشخصي، وقد عبر عنها السفير البريطاني في بغداد في برقية أرسلها إلى دولته بعد أيام من ٨ شباط ٦٣ يقول فيها: "وزير الشؤون الخارجية (طالب شبيب)، رجل شاب في حوالي الثلاثين، ويتكلم إنكليزية رائعة، حصل على شهادة الهندسة من جامعة لندن، واخبرني انه متزوج من زوجة إنكليزية. وكان مضطرباً ولكن ودياً. في جوابه على أسئلتي أوضح ان الوزارة ورئيس الجمهورية كليهما مسؤولان أمام المجلس الوطني لقيادة الثورة. وان هذا المجلس يتكون من مجموعة من الضباط والمدنيين، وسوف يكون موجوداً إلى أن يستبدل بأسرع ما يمكن بمجموعة تشريعية منتخبة كما ينبغي. وقد أكد على انها ليس (أكرر ليس) مجلساً عسكرياً . . . وان أهمية كلمة مؤقت في عنوان رئيس الجمهورية، لإظهار انه لن تكون هناك دكتاتورية رجل واحد، ومن المقترض انه عني بأن تعيين عارف رهن بتأكيد نهائي. . . [1]".

٢ — كان البعثيون في العراق وهم على رأس السلطة في ١٩٦٣، ثواراً يحكمون، وليسوا حكاماً ثائرين، وفي ذلك يكمن سر توترهم، وسير شدة ردود أفعالهم وعدم رويتهم حتى في تناول خلافاتهم. وكل واحد منهم نار ثائرة يتصور ان العالم سيتغير على يديه. ولذلك طرح محمد زكي يونس رئيس مكتب العمال القطري وهو من فلسطيني العراق اقتراحاً للمؤتمر القطري الرابع المنعقد بأيلول ٦٣ فكرة تبني قانون سري يمنح العمال والفلاحين حصانة ضد القوانين المرعية. فوقف حسن الحاج وادي العطية وهو حقوقي وقال: ان أحد أركان القانون هو نشره حتى يصبح حجة على المخالف[2].

وعندما طالب أحدهم مناقشة الاقتراح أو الاقتراع عليه، رد عليه آخرون بأن العمال والفلاحين هم أكثرية أبناء الشعب وإذا اكتسبوا حصانة فلماذا نحتاج إلى قوانين. ورغم ان اقتراح سن قوانين سرية في ١٩٦٣ يعدّ أمراً شاذاً، لكنه لم يطر إلى الأبد، بل يعرف كل المطلعين ان الحكومة العراقية الحاضرة يجري تسييرها بقوانين علنية وأخرى سرية تسوزع على مستوى معين من المسؤولين على شكل "تعليمات" لا يعرفها الا الأتباع والمقربون، لتجعل تصرف مستوى معين من الموظفين الحزبيين متماثلاً إلى درجة مخيفة بالنسبة لكل شخص موجود خارج منظمة السلطة السرية. ويجدنا كنعان

←

وكانت لرغبة السرية أسباب كثيرة منها حاجة الأقلية السياسية للاستمرار في الحكم. ولابد إذن من علل وأسباب تساعدها في تبرير استمرارها على رأس السلطة، منها التعليل بوجود أعداء داخليين وخارجيين يتآمرون على سلامة الثورة، وأخرى تتعلق بسريق الموجة الثورية اليسارية العالمية التي بدأت تزحف على المنطقة وهي بدورها تنظر إلى البرلمان على أنه أسلوب غير ثوري في ممارسة الحرية والتقدم.

وفي وسط تلك الدوامة والقصور الشديد واجهت قيادة الحزب مهمات خطيرة مثل محادثات الوحدة الثلاثية، وظهور خلافات غير متوقعة مع قيادة جمال عبد الناصر الذي رفع شعارات ثورية مستمدة من طريقة الحكم الديكتاتورية التي تمارسها مجموعة الدول الاشتراكية. فتصاعد الجدل النظري بين البعث وعبد الناصر حول شكل الممارسة الديمقراطية للبلاد في المستقبل، ثم الحوارات البعثية - البعثية بين سوريا والعراق.

تلك المشاكل أبرزت صعوبات كبيرة، تضخمت أكثر خلال ممارسة السلطة، وترتبت عليها انقسامات داخلية وأشكال التحالفات القادمة. ولأسباب كثيرة تمكن أحد طرفي النزاع من كسب الصراع داخل المؤتمر القطري وانتخاب ممثلين يؤيدون تيار علي صالح السعدي إلى المؤتمر القومي السادس الذي سيعقد قريباً. وعند انعقاد المؤتمر التقى العراقيون بمجموعة سورية على رأسها صلاح جديد فتعاونوا على دفع المؤتمر لتبني أفكار جديدة لم تنص عليها لوائح الحزب ودستوره السابق.

خرج المؤتمر بصيغة فكرية جديدة تختلف تماماً عن الأفكار التي نشأنا عليها. فقد ائتمينا إلى حزب يأمل في إقامة حياة سياسية برلمانية حرة، ويؤمن بحق الملكية الخاصة وبحرية التجمع والرأي والنشر وتعدد الأحزاب. ففوجئنا بتغيير دستور الحزب في ظرف أيام وبدون مقدمات.

استيقظنا فجأة لنجد أنفسنا أمام مهمة جديدة هي تثقيف الجهاز الحزبي فوراً لنظرية حكم الحزب الواحد ولكن تحت شعار مستعار من الأدب السياسي السوفييتي هو (الديمقراطية الشعبية). وخطورة الأمر أنه لم يكن تنظيراً جديداً وتغييراً على مستوى الأفكار وحسب، بل أفكار للتطبيق لأن الحزب كان حاكماً في اخطر بلدين عربيين هما سوريا والعراق. وبسبب

مكية[3] في جمهورية الخوف بأن "قيادة الحزب الحاكم في العراق أصدرت عام ١٩٧٧ قانوناً يعطيها الحق في إصدار قوانين سرية. ويمكن في هذا الشأن العودة للقانون ٧٨ سنة ١٩٧٧ رقم ٢٧ الصادر في ٦ تموز بجريدة الوقائع العراقية العدد ١٩٧٩/١٤. لكن مكية يقول: ان هذا العدد من الوقائع لا يمكن الحصول عليه للأشخاص العاديين بسبب سرية القرارات المنشورة فيه، إذ ظل مقتصرًا على الإدارات الخاصة.

ذلك دخلنا في خلافات حول مسائل لم نكن قد هيأنا أنفسنا وجهازنا لها، ولم نخطط أو ننفذ أي شيء عملي في سبيلها.

كان عبد الناصر أيضاً يقول ويتبنى نفس الأفكار التي أقرها المؤتمر السادس. وكان الأجدر ان نطور مفاهيمنا الخاصة للديمقراطية والمشاركة السياسية ونقدم نموذجاً مفيداً لنا وملفتاً لنظر عبد الناصر لكي لا يذهب بعيداً في فرديته المتنامية. وهكذا عكسنا الأمر وبدلاً من الديمقراطية ظهرنا وكأننا نخطط للديكتاتورية رغم أننا كنا خارجين توأ من صراع دموي ضد نظام اتهمناه بالديكتاتورية، وملأنا الدنيا صراخاً حول حرية الرأي وحرية الصحافة والأحزاب. وكان من السهل على المواطن البسيط ان يقارن بين فعلنا الحاضر، وما كنا نتحدث به قبل اشهر أو أسابيع، أيام عبد الكريم قاسم.

لقد تنبهنا لخطورة هذا الأمر، رغم ان موجة الرفض اليساري العاصفة اجتاحت حينذاك كل شيء، وتحولت بتشجيع من بعض القادة إلى مجرد مزيدة فوضوية ومضرة. فبقلم ياسين الحافظ كتب دستور جديد اقره المؤتمر وكان دستوراً للمعارضة وليس للحكم والقيادة والتنمية والبناء، وشكل غطاءاً للسرية وللشخصيات القاصرة التي لا تمتلك مؤهلات للتعامل المباشر مع الجماهير. وتلك الغوامض لعبت دوراً أكثر سلبية وأكثر سوء مع نظام (البكر - صدام) منذ عام ١٩٦٨ والتي تجسدت بوجود منظمات سرية يقودها قادة الدولة ووزراؤها لقتل وملاحقة الخصوم السياسيين في الحارات والطرقاات وليس داخل المؤسسات الشرعية والمحاكم، فحكموا بلاداً لم يعرف شعبها لحد الآن آلية تكوين القرار السياسي في بلادهم، رغم معرفتهم بالآلية تطبيقه التي غالباً ما تتم سراً بكواتم الصوت والاغتيال والغدر المتنوع الأشكال.

وهكذا وبين ليلة وضحاها أصبح دستور الحزب يقنن عقائدياً لسلطة الحزب الواحد. وبدأنا نسمع حرفياً الصيغة الستالينية الواردة من الاتحاد السوفيتي، وهي صيغة سياسية تخفي نزوعاً شديداً للديكتاتورية والفردية. وحينذاك كان الجميع، بعثيون وشيوعيون وناصريون مأخوذون بالشعارات المتطرفة وبدعاية النجاحات المظهرية السوفيتية المزعومة. فكانت موجة متحمسة لم تعط لنفسها الفرصة لرؤية وتقدير قوة الرأسمالية العالمية كنظام اقتصادي قوي ومتجدد.

لقد لعب ياسين الحافظ وعلي صالح السعدي وصلاح جديد وآخرون، كل بطريقته الخاصة، دوراً في بث تطرف وحماس غامض، وأرادوا تلقين القواعد الحزبية مفاهيم جديدة لم يسبق ان تعرفوا عليها، فكانوا يقرأون الشيء ويحاولون تقنينه وتطبيقه بواسطة السلطة التي يمسكون بها في اليوم التالي، فوصلت الهواجس اليسارية عند بعضهم ان فسروا الانقلابية الواردة بدستور الحزب بأنها دعوة للانقلاب السياسي العنيف وغير التدريجي، رغم انه يعني

الانقلاب على الذات من اجل خلق إنسان جديد قادر على تحمل مسؤوليات التغيير الواقعي الذي سيحقق عبر المؤسسات الشعبية والدستورية الشرعية^(١).

١ — هذا الأمر الذي يتحدث عنه شبيب لم يدم طويلاً إذ حصل انشقاق أساسي في الحزب مباشرة بعد المؤتمر القومي السادس ، وتم إخراج طرقي التطرف من الحزب اليمين واليسار، وبعد ذلك استعاض الحزب عن التدخل في الدستور وتغييره كلما تطلبت السياسة، بجعل مقررات الحزب القومية تلعب دوراً نظيرياً بنفس درجة أهمية دستور الحزب، وقد لبي ذلك وبطريقة أكثر نجاعة الحاجات الفكرية لمواجهة التغيرات المتسارعة بصورة افضل من الحالات السابقة وصار بإمكان البعثيين وبطريقة أكثر واقعية مراعاة أفكارهم بين مؤتمر وآخر. فما يبقى منها غير مراجعة يعدّ تراثاً ومرحعية، وما يجري أضافته وتعديله يُعدّ حياة وحيوية جديدة مضافة. وبهذه الصورة تم إيجاد نهج يختلف عن العقلية التي تخندقت وراء الدستور القديم مرعوبة من رياح التغيير، كما تم تجاوز الأفكار غير الناضجة للمعجبين باليسارية اللفظية.

هذا ولم تكن الخلافات داخل البعث في العراق تنظيمية وشكلية فقط، بل وحصلت مشاكل ذات طابع فكري أيضاً، لكن المواجهة بين الحرس القومي والحيش كانت قد غطت على صراعات كثيرة أخرى، وعلى سبيل المثال فقد عانى الحزب منذ نهاية ١٩٦١ من خلاف تجسد في تبلور خط يساري متطرف تحت اسم "الكادحين العرب" وذلك نتيجة لفصل عبد الإله البياتي وصفاء صادق وعبد الأمير الشريفي ومحمد الزبيدي من الحزب وتمديد ١١ عضواً وفصل عدد من الأنصار ومعاقبة قحطان خلف الذي أظهر تأييداً لهذه المجموعة، بتهم مختلفة مثل: تحبّطات ماركسية، ويسارية لفظية.

وكان قرار الفصل وراء تشكل مجموعات ليست قليلة من كوادر الحزب التي أخذت تتداول بطريقة سرية أفكاراً متطرفة قياساً بأطروحات البعث والحركات القومية الأخرى. ثم تدريجياً تطور أمرها ليصبح بعد استلام الحزب للسلطة في ٨ شباط ١٩٦٣ شكلاً تنظيمياً سرياً وقف على رأسه قيس السامرائي ووثاب السعدي ومحمد حسين رؤوف وحيث الدوري وسعيد الرهيمي وطارق الدليمي (أبو زياد) وعبد الإله البياتي ومحي جاسم السامرائي وهناء الشيباني وعبد الجبار محسن وفالح عبد الجبار. وشت حملة اعتقالات ضده في أيار ١٩٦٣ إثر اعتقال فالح عبد الجبار وجبار محسن ومعهما نشرة للتنظيم موقعة باسم "لغيف من اليسارين" وأدى ذلك إلى اعتقال قيس ووثاب ورؤوف والدوري والبياتي ومحي السامرائي من قبل قيادة الحرس القومي. وتضمنت النشرة نقد النظام فيما يتعلق بسياسة الملاحقة والتعذيب والسياسة الخارجية المتصادمة مع المعسكر الاشتراكي ونقد برنامج العمل الشعبي الذي ورد فيه "إن العمال والفلاحين حلفاء للثورة" فاعتبروا ذلك دليل على أن سلطة ٨ شباط ليست للعمال والفلاحين.

واستمرت فترة إنشاء تنظيم مستقل عن البعث حتى بعد سقوط سلطته في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وحينذاك تحول "الكادحين العرب" إلى "المنظمة العمالية الثورية" وانتمى إليها ونهض بها إضافة للسابقين: درع ظاهر السعد ومحمد عبد الطائي (الشهيد أبو يوسف) وعبد الحمداي (مسؤول البصرة، وقتل في عهد صدام حسين) ومحمود حياوي ومجيد السعيد وكامل مدحت وعبد الأمير ملة.

بعدها ذابت المنظمة العمالية تدريجياً في صفوف الحزب الشيوعي العراقي بصورة مقصودة واستوعبت القيادة المركزية أكثريتهم وبينهم فالح ووثاب وحازم النعيمي وصباح نعمو وحيد جمعة وسعيد الرهيمي، وتركهم محمد عبد الطائي إلى حزب البعث الذي لم يكن قد ابتعد عنه أساساً، بل كانت المرحلة نفسها قلقة بحث خلالها البعثيون عن سبيل لاستعادة رص صفوفهم بعد شعورهم بخيانة البكر وعماش وبعض كبار القادة العسكريين لمصلحة عبد السلام عارف.

وكان أكثر جماعة الكادحين قد جاؤوا من تنظيمات بغداد وتأثروا بقراءات ماركسية وتروتسكية، وبشكل خاص بآراء ميشيل بابلو الذي زار العراق وكان سكرتيراً للأمية الرابعة ومقرها في باريس .

مراجع:

- [1] د. حامد البياتي، الوثائق السرية البريطانية، مرجع سابق.
- [2] حسن وداي، مقابلة دمشق، صيف ١٩٩٥ .
- [3] د. سمير الخليل (كنعان مكية)، جمهورية الخوف، بيروت لبنان ١٩٩٠.

من الداخلية إلى الإرشاد

تخلّى علي صالح السعدي عن وزارة الداخلية فأضاف أعباؤها إلى جملة المهام الحكومية والحزبية التي اضطلع بها حازم جواد. وكان لذلك نتائج إيجابية محدودة، وأخرى سلبية كثيرة، كنا غافلين عنها، ولم ننتبه لها إلا بعد وقوعها.

واهم الجوانب الإيجابية كانت إيقاف منهج السعدي في إدارة متصرفيات الألوية، وتمكين حازم جواد الذي حل محله وزيراً للداخلية، من تعيين متصرفين جدد، تميزوا بقدرتهم على ضبط الشؤون الإدارية وإقامة علاقات معقولة بين السلطة والشعب.

أما الجوانب السلبية فكثيرة أهمها: إشغال حازم بمهام الداخلية، مما قلل من تركيزه على وزارته الأخرى، الأكثر خطورة "وزارة شؤون رئاسة الجمهورية" والتي كان يرصد ويوجه ويضبط من خلالها تصرفات وقرارات الرئيس عبد السلام محمد عارف، والحد من طموحه في مجالات كثيرة. كما اشغله عن دوره كأمين سر للحزب، ولم يكن أكثر البعثيين يعرفون حتى ذلك الحين أن حازم كان يدير إضافة لمهامه الوزارية، أمانة سر الحزب^(١).

والسلبية الثانية: هي حصول السعدي بخروجه من الداخلية إلى وزارة الإرشاد على فرصة وفراغ أكبر خصصه للحرس القومي، لتمكينه من أن يحل بصورة شبه تامة محل منظمات الحزب.

والسلبية الثالثة: وتعلق بتصورنا الخاطئ عن هامشية وزارة الإرشاد، فقدردنا أن إعطاءها للسعدي إضعافاً له. لكنه اخذ الفرصة ليفعل ما يشاء. ولم نتابع ما كان يجري في وزارته من ترتيبات وتدابير، ولا إلى ما يقوله ويفعله مع خاصته. وأصبحنا نسمع من الإذاعة والصحف أخبار زياراته للمحافظات وتصريحاته المثيرة، بعد أن يكون الأذى قد حصل

١ — كان هناك اتفاق داخل القيادة القطرية قبل حركة ٨ شباط ١٩٦٣ وهو إن كل قائد حزبي بدرجة عضو قيادة قطرية أو قومية، يتسلم منصباً وزارياً أو إدارياً رئيسياً في الدولة، عليه أن يتخلّى عن مسؤولياته الحزبية الرئيسية، دون أن يتخلّى عن عضويته في القيادة. وبما إن أمانة سر الحزب أعباؤها كثيرة، وإن علي السعدي أصبح نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للداخلية، فقد تخلّى عنها إلى حازم جواد لقربه منه، وباعتباره العقل التنظيمي الثاني في مسيرة الحزب التنظيمية بعد سجن محسن الشبيح راضي، وبسبب ظروف ما بعد محاولة اغتيال قاسم في رأس القرية. لكن علي السعدي ظل يتصرف بل ويمارس دور أمين سر الحزب. ولم يكن حازم عندما أسندت إليه سوى واحد من أهم أذرع علي صالح السعدي.

وبلغ مداه. وكنت كوزير للخارجية ألتقي شكاوي من دول عديدة بسبب تصريحاته العدائية غير المسؤولة ضدها. وذروة السوء حصلت عندما أطلق جمال عبد الناصر في خطابه بمناسبة ٢٣ تموز ١٩٦٣ "عيد الوحدة المصرية السورية" علي صالح السعدي اسم (رحل الملذات)^(١).

حينها حاولنا التخفيف من غضب المصريين وغلواء علي السعدي، فطلبنا عن طريق السفارة المصرية تخفيف الهجوم الإعلامي ضده. وانبريت أنا، بتشجيع من حازم جواد للدفاع عنه. فأرسلت علي طارق عزيز الذي بدأ يكتب في جريدة الجمهورية مقالاً أسبوعياً بصفحة كاملة بإسم حديث الأربعاء، يحاكي فيه مقالة هيكل الأسبوعية الشهيرة (بصراحة) في الأهرام، ويعكس فيها وجهة نظر قيادة حزب البعث والحكومة العراقية في أحداث الساعة، وأملت عليه مقالة بصفحة كاملة دفاعاً عن السعدي، ونفي ما أشيع أو نسب إليه من سلوك مبتذل والإشادة بتاريخه القيادي ودوره النضالي.

نشر المقال في اليوم التالي وأذيع نصه بالراديو، ولم يعلم السعدي إلا بعد أن قرأه، وقيل له إن طالب شبيب أملاه علي طارق عزيز، فأتصل تلفونياً شاكرًا وممتنًا. ولا بد أن أذكر إن ما دفعني لكتابة المقال هو الرغبة في منع السعدي من الدفاع عن نفسه بنفسه، لأن دفاعه حينذاك سيتحول إلى هجوم، وسيذهب فيه بعيداً إلى عداوة اشد واكبر. ولكل فعل رد فعل اشد منه،

١ - قيل الكثير عن تصرفات علي السعدي خلال زيارته مع عمّاش وطالب إلى القاهرة وزيارته الأخرى خلال مباحثات الوحدة، وفي الحقيقة، لم يكن في تصرفاته ما يستدعي مثل ذلك النقد. فقد كرر في القاهرة ما كان يقوم بمثله في بغداد. فيستغل كل الفرص الممكنة ليتخلص من الالتزامات الرسمية ويذهب للاجتماع بأصدقائه من الطلبة العراقيين والعرب الدارسين في جامعة القاهرة ومجالستهم في أماكنهم ومرافقتهم أحياناً إلى الملتون أو الشفيلد، ويدخل معهم في مناقشات مكشوفة يدعي خلالها ما يعتز به البعض أسراراً حكومية، ويستشهد بأراء عبد الناصر الواردة في المفاوضات المغلقة. خصوصاً آراءه المتعلقة بسياسته تجاه الاتحاد السوفيتي وحركة القوميين العرب والشيوعيين ومستقبل العلاقات العراقية المصرية. وكانت المباحث المصرية تنقل لعبد الناصر يومياً آراء ومناقشات السعدي. لكن ذلك لم يكن شائئاً أو مجالاً للابتزاز، ولا يصح بسببه وصف السعدي بالتهاك والزفافية. واعتقد بأن وصف ناصر له برجل الملذات استهدف حرقه سياسياً بين صفوف البعثيين والقوميين العرب، وكان بمثابة إشارة حضراء لمن يرغب استبعاده عن السلطة. واعتقد إن معركة سوريا والعراق بالنسبة لعبد الناصر تميز له استخدام تلك الوسائل، لأنها معركة لا حدود لخطرها، فأجاز استخدام وسائل غير مقبولة في معركة ليست عادية. أما علي السعدي نفسه فلم يكن رجل ملذات، بل شاب حيوي لا يجد حرجاً في ارتياد أماكن لم يعتد ارتيادها المسؤولون الحكوميون. وعندما تعرفت شخصياً على الشبيب والفكيكي والعزاوي والشيخ راضي والدوري وغيرهم، لم أجدهم يختلفون عن السعدي كثيراً. وفوق ذلك فقد تميز بحس اجتماعي طبقي خاص، دفعه إلى الظهور بمظهر "ابن البلد البسيط والشجاع، الذي يتصرف بلا عقد"^[1].

ويذكر إن ناصر قال عنه قبل الخلافات في رسالة كتبها إلى المشير عامر في اليمن ويقول فيها: "السعدي أمين علم حزب البعث ونائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وهو صريح ومغرور، كان في السجن وقت قيام الثورة، وأظن أنك لاحظت أنه لم يذكر في خطابه اسم عبد السلام عارف بل تجاهله كلياً، كما تجاهله في المحادثات، ولكن انطباعي عنه أنه وطني مخلص"^[2].

وهكذا سنضع مسيرة النضال العربية في مهبط رياح التصريحات المصرية وردود علي الفوضوية. السلبية الرابعة: وكانت خسارة الدولة للجهاز الإعلامي بكامله بسبب إهمال علي التام لوزارته.

وعلى سبيل المثال: في أحد الأيام وقبل ذهابي لاجتماع مجلس قيادة الثورة شاهدت التلفزيون يعرض فيلماً عن الحرب الكورية ويعكس وجهة النظر الأمريكية. وعند الاستعلام فهمت انه واحد من سلسلة أفلام تصل إلى المديرية العامة للإذاعة والتلفزيون كهدية من مصلحة الاستعلامات الأمريكية ويثبها تلفزيون بغداد بصورة منتظمة دون تدقيق أو رقابة.

وحسب تقديري فإن أحداً لم ير تلك الأفلام، لا الوزير ولا المدير العام للإذاعة والتلفزيون. وعند التثام مجلس قيادة الثورة في نفس اليوم، وكان السعدي حاضراً، سألته عما إذا كان مطلعاً على ما يثبها تلفزيون بغداد؟ وما إذا كنا نقبض ثمناً مقابل ما نذيعه من دعاية لمصلحة مكتب الاستعلامات الأمريكي؟ فسألني باستغراب: وماذا رأيت؟ قلت: دعاية أمريكية رسمية تبرر حربها ضد كوريا، وتهاجم الصين التي أيدت نظامنا الجديد. كما ليس لدينا أية مشاكل مع كوريا الشمالية التي لديها تمثيل قنصلي في العراق، ولنا بحاجة لمشكلات.

فقال السعدي: لا علم لي بذلك. فأجبت: إذا كنت وزيراً للإرشاد ومدير العام عبد الستار الدوري وهو من قيادي الصف الأول في الحزب وعضو قيادة فرع بغداد، ومرت عليكم هذه الأمور الخطيرة، فذلك يعني أننا فاقدين لجهاز الإعلام وهو اخطر أجهزة الدولة. وتمثلت بقول الشاعر:

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة اعظم

لذلك اكرر إن نقل علي من الداخلية ضيع علينا الإعلام، وأعطاه الحرية الكاملة، وحرره من الواجهات الرسمية. ولم يكن يرغب بأكثر من ذلك^(١).

كان يقضي نصف وقته في سوريا، والنصف الآخر في العراق، وقلما تجده في وزارته عندما تسعى إليه. ولا يمكن إن تلتقيه إلا محاطاً بثلة من زملاء الصف، يترددون عليه ويقضي وقته معهم في المجالس والأمكنة العامة، يتناقشون بأصوات عالية في شؤون الدولة في مجالس مفتوحة يستطيع كل شخص أن يلتحق بها ليستمع إلى أدق الأسرار.

١ — وفي لندن عام ١٩٩٨ عندما سألت الأستاذ عبد الستار الدوري الذي كان حينها مديراً عاماً للإذاعة والتلفزيون عن الأمر. أجاب: بأن عرض تلك الأفلام في تلفزيون بغداد كان قصيراً وإهمالاً، وإذا كنا نبحت عن المسؤول فإن وزير الخارجية طالب شبيب هو أول من يتحمل تلك المسؤولية، لأن السفارات لا ترسل كما هو معروف هداياها أو إرسالياتها إلى دوائر الدولة إلا عبر وزارة الخارجية، التي تطلع عليها ثم تأمر بتوزيعها على الدوائر المحلية كل بحسب اختصاصه^[3].

طريقة خذ ولا تسأل !!

وكما قلنا ينشغل السعدي بخاصته أكثر من اجتماعات القيادة القطرية للحزب ومجلس الثورة. أما اجتماعات مجلس الوزراء فكان إذا حضر يتدخل بشؤون الوزارات، ويعطي رأيه بما يعنيه وبما لا يعنيه. وبما يعرف وما لا يعرف عنه شيئاً، إلى درجة أن الوزراء بدأوا يتساءلون بعد كل جلسة، فيما إذا كان ما يقوله السعدي هو أوامر وقرارات صادرة عن القيادة القطرية أم هو رأيه الشخصي؟ ويلحون بأسئلتهم أكثر عندما يكون حديثه أو تدخله أكثر بعداً عن الواقع والمنطق وعن قابلية التنفيذ.

ولذلك لم تكن المشكلة التي عانينا منها في ١٩٦٣ تعبيراً عن خلافات رأي بين مجموعة "حازم وطالب" من جهة، وعلي السعدي ومن إلتف حوله فيما بعد من جهة أخرى، ولم تكن تلك صورة حقيقية لما حصل في أروقة السلطة.

المشكلة كانت باختصار أزمة علي في السلطة !! وظهرت منذ الأيام الأولى لنجاح الثورة عندما تصور كثيرون أنه الرجل الوحيد القوي في الدولة والسلطة، مما عزز شعوره بالقوة ودفعه إلى التصرف بعدم تحرز، وعدم التشاور عندما يتخذ قرارات مهمة، رغم إن المكتب السياسي للحزب كان يجتمع كل يوم في مقر المجلس الوطني لقيادة الثورة الذي كان سابقاً مقراً لمجلس السيادة و (قصر الرحاب) أو القصر الملكي.

وكنا بين حين وآخر نسمع من الإذاعة أو من آخرين صدور أوامر منه، تتعلق بإطلاق سراح أو اعتقالات وتعيينات هامة جداً في وزارته، دون عرضها على القيادة أو مجلس الوزراء، وعموماً فقد كان ما يقوم به خارج دوايمه الرسمي لا يبعث على الرضا ولا يليق بمكانته الحزبية والحكومية، ولم يكن تصرفه يمت إلى فكر سياسي معين أو إيديولوجيا خاصة، وإنما سلوك خاص وتصرفات أثبتت لكل الذين شاركوا في السلطة، بعثيين وغير بعثيين، فوضويته غير المحدودة. حتى الأستاذ ناجي طالب وكان إنساناً مطلعاً، دمثاً وحريصاً، قد تحسس من حالته ونصحنا أن لا تكون هذه هي الطريقة التي سيستقر الحزب على انتهاجها مستقبلاً في حكمه. لأنها ستهدد البلاد والحزب بنتائج خطيرة جداً ومن الواجب الحد من التصرفات الشخصية. ولم يكن ناجي طالب متحاملاً ضد علي السعدي، كما لم يعرف عنه التحامل على أحد.

ربما يعتقد من يسمعي : اني متحامل، ورغم ذلك لا أستطيع أن امنع نفسي من القول إن علي تمتع بسمات انفعالية وعاطفية حادة تجعله لا يصلح للسلطة ولا يحترمها ولا يقدر المسؤوليات التي تنجم عن كل تصرف أو تصريح يصدر عن المسؤول. فكان وهو في السلطة اقل إلتزاماً ومسؤولية منه قبل استلامها. وهذه كانت مفاجأة مأساوية ستؤدي إلى نهاية ثورة رمضان.

فوق ذلك لم يكف عن توجيه الإهانات المباشرة وغير المباشرة لبعض المسؤولين وكبار العسكريين، كوزير الدفاع صالح مهدي عماش الذي يصفه بالجبان المثير للإحباط، ويقول له بوجهه: "أن الثورة ما كانت ستنجح لولا دخولك السجن". وقد حصلت يوماً مشادة شخصية بين علي وعماش في مكتب حازم جواد كادت أن تصل إلى الضرب بالأيدي عندما قال علي لصالح عماش: أنت جبان ومتقاعس وإن الثورة أنعمت عليك بمنصب وزير للدفاع ورتبة فريق بعد أن كنت مقدماً، وأنت لا تستحق ذلك.

كان يوجه الإهانات بدرجة أقل إلى رئيس الجمهورية عبد السلام محمد عارف، ويقول أنه شخص ليس بذئبي قيمة، وأنه (أي السعدي) الذي اختاره وفضله على ناجي طالب رئيساً شكلياً للجمهورية. ويظل يردد: إن عبد الكريم قاسم سرق من عبد السلام ثورته ولن نسمح له بسرقة ثورتنا. وذلك كله يصل إلى أسماع المسؤولين وعبد السلام عارف نفسه.

أوجدت تصرفاته حاجزاً بيننا. ودون اتفاق مسبق جمع بيننا أنا وحازم نفس الرأي في سلوك علي الذي لا يليق بمسؤول حكومي كبير. ولم يتدخل في وحدة موقفنا أي شأن شخصي. فقد كنت أكين للسعدي حباً واحتراماً كبيراً، ونظر إليه حازم نفس النظرة. وحاولنا نصحه لكنه لم يتوقف، وظل يسافر إلى الأتولية دون إخطار القيادة. فبث خطاباتته ونفاجاً بها من الإذاعة. وأذكر مرة في خطاب ألقاه في مدينة الموصل أنه طالب الجماهير أن تزحف لسحق ذوي الكروش المنتفخة والوجوه الحمراء. وغير تلك من الصيحات الغوغائية التي تنطلق عادة من أشخاص لا يريدون إقامة الدولة، وإنما من معارضة تريد إسقاطها.

ومن مكتب حازم جواد اتصلنا به فوراً بالموصل. وتحدث إليه حازم وبعد أخذ ورد أخذت السماعه وقلت له: يا علي إذا أردت أن تبطش بذوي الكروش المنتفخة والوجوه الحمراء فعليك أن تبدأ بنفسك، لأنك الوحيد في قيادة البعث وجهك احمر وكركشك منتفخ ما شاء الله. يا علي أنت نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وعضو بارز في قيادة الحزب ومجلس قيادة الثورة. وبإمكانك إصدار الأوامر إلى الأجهزة المختصة لاتخاذ إجراءات بتجدها مناسبة وضرورية دون الحاجة إلى تكليف الجماهير وتحريضها لتحقيق لك رغباتك. وانتبه إلى أنك جزء من قيادة الثورة، ولست قائدها. وكررت عليه: أنك جزء من قيادة الثورة ولست المسؤول الوحيد فيها، ولم تعد أميناً للسرا. وقلت: إذا كنت ترى أهمية أي أمر فعليك أن تحضر الاجتماعات لتتشار وتنفق وتتصرف بعدها حسب خطة مدروسة وليست فوضوية. وسألته: من هم أصحاب الكروش المنتفخة والوجوه الحمراء الذين تود القضاء عليهم؟ حدد أسماءهم وأماكنهم وأخطارهم لنتفتح لائحة بهم ونقرر رسمياً شيئاً بحقهم حسب القوانين، لأننا لسنا معارضة، بل حكام للدولة. وختمت حديثي قائلاً له: أنك تبوات منصباً لا تستحقه

وان تصرفك هو تصرف غوغائي. فأجاب بصوت هادئ : أرجوك يا طالب لا تكن قاسياً عليّ، فهذه تجربة جديدة علينا جميعاً، وكل إنسان يخطئ^(١).

وترادف خطاب السعدي في الموصل مع استفهامات وردتنا من معظم متصرفي الألوية (المحافظات) حول برقية أرسلها كوزير للداخلية يطلب فيها من جميع المتصرفين عدم استقبال الوجهاء في مكاتبهم، وحثهم على وضعهم بالسجون والمواقف بدلاً من معاملتهم باحترام.

وشكا المتصرفون بأن تلك التعليمات ستدفع العامة والعمال والفلاحين إلى الاعتداء على الناس. وقالوا بأنهم يشعرون بالحيرة عندما يأتيهم شخص معتدى عليه مشتكياً، فهل يسعفونه وينصفونه أم يضعونه بالسجن لأنه وجيه ؟. واستفهم آخرون بسخرية مريرة: كيف سنميز بين الوجهيه وغيره ؟ . وكان جميع المتصرفين بعثيين معروفين ويتصلون بحازم جواد باعتباره أميناً للسرا.

أما أحمد حسن البكر فقد شعر أن علي السعدي رفعه ووضعه على الرف، فقد كان رئيساً للوزراء في حين يصرح السعدي بأسم الحكومة ويقرر أشياء كثيرة دون علمه ومعرفته، لذلك فقد هدد بالاستقالة مرات عديدة مبرراً ذلك بأنه لا يستطيع تحمل مسؤولية الفوضى والتجاوزات أمام ضميره وأمام الناس. وقد قال مرةً وبالحرف الواحد، وسمعت ذلك منه مباشرة : في الأيام الأولى للثورة كان الناس يحبون بما فيهم جلاس المقاهي والمارة. أما الآن فإنهم ينظرون إلي بكراهية وتجهم حيث صرت أنفادي نظراتهم واکره الخروج بسيارة رئاسة مجلس الوزراء المعروفة من رقمها الخاص.

مشاكل خارج البعث

لم نكن وحدنا نشتكى من السعدي، بل اشتكى منه عضوا القيادة محسن الشيخ راضي وحدي عبد المجيد، فضلاً عن أعضاء في القيادة القومية عند زيارتهم للعراق. فقد نصحونا بعدم التصرف كمعارضة، بل كرجال دولة، وبالاتعاد - جهد الإمكان - عن المنتديات الصاخبة.

١ - أكد ذلك أيضاً اللواء الركن عبد الكريم فرحان في كتابه حصاد ثورة قائلاً ما معناه إن علي صالح السعدي بعد استقباله في مطار الموصل من قبله وبقية المسؤولين ورؤساء الدوائر والزعماء الأكراد والشيوخ والوجهاء، تركهم وذهب إلى حيث حَمَلَهُ أفراد الحرس القومي على أكتافهم وانطلقوا به باتجاه المدينة. وكان السرور بادياً على وجهه وهو يردد معهم شعارات حزب البعث. وأضاف عبد الكريم فرحان في نفس الصفحة من كتابه : " وقد علمت باللقاء الوزير (السعدي) كلمة مرتجلة في الجماهير هاجم فيها الرجعية والإقطاع وأعداء الثورة، وطالب بسحقهم حتى العظام "[4].

وبدلاً من ان يلتزم السعدي بذلك فقد تجاوز في إهاناته حدود البعث إلى ممثلي الفئات السياسية الأخرى، لاسيما القوميين الذين اتهمهم بالجن، في الوقت الذي كنا فيه نبذل جهوداً لجمعهم حولنا في إطار سياسي أوسع من إطار الحزب، مثلما كنا قد جمعناهم بنجاح في فترة سابقة قبل الثورة في (التجمع القومي) الذي ضم حزب البعث وحزب الاستقلال وحركة القوميين العرب وغيرهم. لكن السعدي لم يحسب للقوميين حساباً ولم يعطهم اعتباراً، واعتقد بعدم إمكانية جمعهم على منافسة البعث.

وفي الحقيقة فقد كان لجميع البعثيين وهم خارج السلطة أسلوب يتسم بالتعبير عن الثقة بالنفس والاستعداد للمنافسة. غير ان هناك فارقاً كبيراً بين طريقة تفكير الحزب وهو في المعارضة وطريقة تفكيره وهو على رأس هرم السلطة وقيادتها. لذلك فقد كان تسفيه أعضاء أساسيين في التيار القومي ليس في مصلحة الحزب. واعتقد انه كان من الأفضل للسعدي أن يُقصر نقده للقوميين على موقفهم التأمري ضد سلطة البعث بدلاً من الشتيمة والاستخفاف، خصوصاً انه كان يقود حزباً حاكماً يأمل في توحيد القوى القومية وبناء تيارها القوي القادر على إقامة الوحدة المنشودة.

لم يقتصر الأمر على التدخلات الإدارية ومشاكسة القوميين، بل لجأ السعدي إلى الصحافة فقد كان يملأها بتصريحات حول الشؤون السياسية الدولية. ويحاور من خلالها الماركسية والشيوعية المحلية والعالمية. كما كان يتكلم عن كمال جنبلاط وأمور أخرى كثيرة بطريقة (خذ ولا تسأل!!)، وكأنني الآن أنخيله قد قضى حياته في نضال سري بين الأوكار والمعتقلات صامتاً وفمه مغلقاً، وفجأة وجد نفسه حراً وقد زالت كل القيود، فتحول مثل طفل صغير وسط مخزن ألعاب كبير، لا يدرى اية لعبة يختار ويلعب! .

كما أثار إشكاليات كثيرة منها أنه أعاب على الوزراء لأنهم كانوا قد سمحوا لسائقهم أن يفتحوا لهم أبواب سياراتهم. حيث كانت العادة الرسمية أن يجري إبلاغ السائق والبواب بخروج الوزير ليكون متأهباً وباب سيارته مفتوحاً استعداداً للانطلاق. أما السعدي فكان يهين السائق ويشتمه إذا ما همّ وفتح له الباب. وكان يعتبر ذلك غير داخل ضمن وظيفة السائق. وكان يرى ان منع السائق من ذلك العمل هو سمة من سمات تواضع المسؤولين وثورتهم وشعبيتهم. وقد أثار ذلك سواق السيارات أنفسهم، فاشتكوا لأنهم ما عادوا يعرفون ما هو واجبهم.

ولذلك اكرر ان الأزمة كانت أزمة علي في السلطة. ولم يكن خلافنا معه عقائدياً، بل كان أزمة أسلوب وسلوك يتنافس فيهما العقلاني مع العاطفي. ولم يكن بين حازم وعلي أي تنافس على مستوى الخصال وتبادل الأدوار. وكل ما في الأمر ان حازم جواد كان يعرف جيداً ويفهم

دوافع ونقائص السعدي، ولم يشأ ان يأخذ أيًا منها له فقد كان يبذل جهداً كبيراً لبناء علي وجعله متماسكاً. وكنا جميعاً نفعل ذلك ونقوم بالتعويض عنه وبناء دوره طوال فترة العمل السري. وكل من يعرف الأوضاع الداخلية لقيادة الحزب وأعمالها يعرف ان علي صالح السعدي تغيب طوال الأشهر الثلاثة التي سبقت الثورة، ولم يبق إلا بتلك الأعمال التي طلب منه القيام بها بسبب انشغاله بشؤون خطبته وزواجه^(١).

سؤال: زار السعدي النجف وكربلاء والكاظمية ومناطق عراقية كثيرة ولم يصدر عنه ما يوحي بعصبية مرضية أو مذهبية معينة. ولم يظهر منه ما يدل على موقف منحاز من المظاهر الاجتماعية أو الدينية لأسباب تتعلق بمصالح سياسية ضيقة. فلماذا فجرتم بوجهه ما أوحى برغبته في منع طقوس إسلامية شعبية؟

طالب شبيب: ان اخطر مبادرات علي السعدي الفردية كان عقده مؤتمراً لمتصرفي الألوية المختصة وإبلاغهم أوامره بمنع الطقوس الإسلامية السنوية التي يمارسها المواطنون في عاشوراء، مناسبة مقتل الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أو مناسبات دينية أخرى. وإجازته استخدام القوة ضد ما اسماه (بالرجعية). فقد كان ذلك قراراً غير مدروس وغير مستوعب ويضر بالتقاليد كما يضر بعلاقة السلطة بالمجتمع، إضافة إلى انه أمر لا يدخل ضمن اختصاصات وزارته.

١ — ربما يحق لشبيب ان يقول ذلك عن الأيام القليلة السابقة لحركة ٨ شباط، أي المرحلة التنفيذية الأخيرة من الحركة. غير ان السعدي كان قد ساهم في بناء تلك القوة والروح العالية التي خططت ونفذت ١٤ رمضان، حيث انه لم يكن كأى عضو في القيادة بل كان رائداً ومبادراً وقائداً أولاً ومباشراً في كل شيء. فقد أعطى بطريقته الحبية شبه الفوضوية شعوراً بالثقة والقوة، وامتلك أسلوباً خاصاً في كسب الأصدقاء وإدخالهم في الحزب، ولاشك ان شجاعته كانت أول خصاله. وبشيء من التدقيق نجد انه قد استلم أمانة سر الحزب بعد تمزقه شبه التام الذي تلا محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم، فقد كان الحزب موزعاً بين سجين ومختفٍ وهارب إلى سوريا، فقد أعاد هولاء بناء الحزب وحازم ومحسن وطالب وكريم والخيزران وحيد، ولم يكن في تلك القيادة الشابة منافس له. فقد أعاد هولاء بناء الحزب وبنوا أقدامه عسكرياً ومدنياً وفاجأوا العراقيين والعرب بنجاحهم.

كان السعدي هو البادئ في بناء نواة المكتب العسكري، وهو الذي أوعز لعلاء الدين الجنابي بالمشاركة في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ تحت قيادة عبد الكريم قاسم. ثم طور المكتب العسكري وأصبح مسؤوله المباشر حتى إسقاط النظام. وهو الذي اقترح حضور طالب وحازم اجتماعاته ليعطيه الصفة السياسية والعسكرية. وهو الذي قام بكسب أهم الضباط مثل البكر عندما أمضى معه فترة في السجن ومعلوم انه لا يمكن تخيل نجاح الحلف الذي اسقط قاسم بدون شخصية البكر. وكان السعدي حتى يوم ٤ شباط (حينما اعتقل) المسؤول المباشر عن كتيبة الدبابات الرابعة وتنظيم القوة الجوية، وهو الذي خطط لاختراق الكتيبة الرابعة واقترحها مركزاً لعملية الحزب العسكرية. وكان القائد الفعلي (الرمز) لفرع بغداد الذي قاد إضراب البنزين والطلبية ومسيرة استقبال بن بلة. وظلت قيادة الفرع مخلصه له حتى بعد تفجر الخلاف البعثي — البعثي.

وأستطيع التأكيد ان السعدي لم يكن يقصد بموقفه هذا الإساءة إلى طائفة أو مذهب إسلامي بعينه، ولم يصدر عن خلفية طائفية، بل كان قد فكر بطريقة (ثورية) متسعة. ولم يكن السعدي وحده يفكر حينذاك بهذه الطريقة، بل يجاريه أكثر السياسيين العراقيين المتأثرين بموجة (ثورية) عالمية طاغية.

لكن ذلك لا يبرر موقفه في أمر يُعدُّ من أخطر شؤون الدولة العليا، ولا يحق لوزير أو أية وزارة معينة التصرف به، بل لا يحق ذلك لأي مسؤول بمفرده، مهما كان مركزه. وقد فوجئنا بذلك وتوترت أعصابنا خصوصاً وأنا اكتشفنا الأمر بمحض الصدفة^(١). ولم يكن ذلك من الأمور التي يمكن السكوت عليها أو التي نستطيع التسامح فيها. لان اللعب بمثل هذه القضية يعادل التآمر على وحدة الشعب كله.

ولو كنا متأمرين على السعدي وجماعته، كما يرى البعض، لتركناهم ينفذون قراراته الميسية واللامبالية التي كانت ستسبب حتماً أحداثاً ومذابح يعلم الله وحده نتائجها، ولأعطى ذلك الفرصة الأكيدة لإقصائه نهائياً بحيث لا تقوم له قائمة. وفي الحقيقة فقد كنا قادرين بكل بساطة حتى بدون ذلك ان نعالج أمر طرده من كل مناصبه الحكومية بدلاً من إبعاده عن وزارة الداخلية فقط. لكننا لم نكن نرغب في التسامح معه لان تعليماته بشأن عاشوراء كانت (القشة التي قصمت ظهر البعير) والتي نَفَذَ معها صبرنا وصبر الكثير من القيادات العسكرية وقيادات الحركات السياسية المشاركة لنا في المسؤولية. وكان إصرارنا على معاقبته يتأكد

١ — لواء كربلاء يضم كلاً من مدينة كربلاء والنجف والكوفة وفيها مراقد الإمام الحسين والإمام علي ومسلم بن عقيل عليهم السلام. وقد روى لي حسن وداي متصرف (محافظ) اللواء المذكور انه ذهب بعد انفضاض الاجتماع إلى مكتب حازم جواد بمقره القديم كوزير دولة لشؤون الرئاسة في قصر الرحاب لإخباره برغبته بالسفر إلى لبنان. وعندما قال له حازم: كيف ذلك وشهر محرم على الأبواب؟ ولا يمكن ترك لواء كربلاء في مثل هذه الأيام، أجاب: ان أيام النضال انتهت، وأشعر بالتعب.

اتصل حازم بطالب فحضر، وتحدثنا مع وداي الذي اعترف بما دار في اجتماع متصرفي الألوية مع وزير الداخلية (السعدي). وقال وداي: بدلاً من عودتي لكربلاء لتنفيذ التعليمات الجديدة، قررت عدم العودة والاستقالة لعدم قدرتي على تنفيذ ما تقرر بحضور السعدي ومدير الأمن العام جميل صبري البياتي ومدير الشرطة العام أحمد أمين محمود (وكان ضابط شرطة صغيراً رفع إلى رتبة زعيم) ومدير الداخلية العام علاء الدين البكري (وكان محققاً عدلياً بسيطاً). وهؤلاء هم الذين قرروا منع ممارسة الطقوس الدينية المعتادة في عاشوراء ومنع العزوات، وقد أبلغونا ان نقوم بإخبار علماء الدين والخطباء ان يقوموا بمدح الدولة كلما صعدوا المنابر الحسينية والقوا خطباً. وبدوري أرى ان هذا مستحيل ولا أستطيع تنفيذه. فوقف شبيب وقال سأذهب للبكر للتداول، ثم انتقل الثلاثة حيث البكر. وبعد التداول اتفق حازم والبكر وطالب على ان قرار المنع هذا ليس من صلاحية وزارة الداخلية ولا بيت فيه إلا من قبل مجلس قيادة الثورة. ثم اخبروا حسن وداي ان ينتظر في بغداد إلى اليوم التالي. ومساء نفس اليوم تم إقصاء السعدي من وزارة الداخلية. وأخبر وداي تلفونيا من قبل طالب بأنه يستطيع الآن السفر إلى كربلاء[5].

بشكل خاص عندما نتخيل الهيجان الشعبي الذي لم نكن مهئين لمواجهة !!.

ان أمر تنظيم الطقوس وممارستها يحتاج إلى هيئة اكبر بكثير من ان يذهب علي صالح السعدي إلى بيت صديقه علاء الدين البكري المعين مديراً عاماً لديوان وزارة الداخلية، فيخرج منه بأمر لا يعرف نتائجه، في حالة تطبيقه، إلا مَنْ عاش في مدن النجف و كربلاء والحلة والديوانية والناصرية والبصرة والعمارة وسائر مدن وقصبات وسط العراق وجنوبه.

سؤال : هل كان علي السعدي متأثراً بموجة اليسار التي اكتسحت العالم، فسعى منسجماً معها ومع ميوله الخاصة المتطرفة ليقبل من التزامه بطقوس الدولة الرسمية وشكلياتها ؟ وهل كان ذلك سبباً لعدم هضمه أو تمثله لشخصية وهندام الموظف الحكومي التي لم يرغب بها، وفي قضائه أوقاتاً طويلة مع أصدقائه في الأحياء الشعبية حيث كان يجالس أصنافاً ومستويات من الناس مختلفة وأحياناً ارتياد المطاعم الشعبية الليلية ؟ رغم إني، كمتتبع لحياة السعدي، لا أرى ان سلوكه كان مبتدلاً، بل انه كان قد أنجز أعمالاً مهمة باستمرار بما في ذلك الجوانب الأساسية من عناصر خطة رمضان ١٩٦٣ .

طالب شبيب : ربما ولكن ليس إلى الحد الذي ذهب هو إليه. فقد كان كاسترو يخطب بالجماهير ست ساعات ويجبر مواطنيه على سماعه، كما يقوم بأشياء كثيرة متطرفة أخرى، غير انه لا يذهب إلى خمارات هافانا ليقضي فيها ليليه، بل يركز اهتمامه على قضايا وشؤون دولته.

لذلك أقول اعطني أي مسؤول آخر غير علي صالح السعدي تقع السلطة كلها بين يديه، لكنه يخرج منها ويحاول قيادتها من خارجها. فليس هناك أسوأ من سلوك خروتشيف عندما ضرب بجذائه منصب الأمم المتحدة. وقد أخرجه ذاك من قيادة دولته لعدم لياقته. وصارت تلك الحادثة أمثلة، بل أضحكة !! . فلماذا أساساً نحتذي بما هو سلي وفوضوي من تصرفات القادة المتمردين ؟ .

سؤال : هل كان ميشيل عفلق يفضل سقوط حكم الحزب في العراق على ان يستمر علي صالح السعدي على رأسه ؟

طالب شبيب : لا أظن ذلك، أو لم يرد ذلك ولم يبحث. وحسب ما أرى فانه لم يرد في ذهن عفلق مثل هذا الأمر. حتى ان تغيير أمانة السر من علي إلى حازم لم تُستشر به القيادة

القومية، بل كان تدبيراً حزبياً داخلياً، اتفقنا عليه قبل سنتين من الثورة. وكانت خلفيته تستند إلى تجربة فؤاد الركابي الذي كان انشط أمين للسر، لكنه فقد فعاليتيه عندما عيّن وزيراً في حكومة عبد الكريم قاسم الأولى اثر ثورة تموز ١٩٥٨، فأنشغل وقصر في أدائه الحزبي، فقررنا تجنب تكرار تلك التجربة.

مراجع:

- [1] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مرجع سابق، صفحة ١٠٨.
- [2] محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٨.
- [3] مقابلة مع عبد الستار الدوري في لندن ١٩٩٨.
- [4] عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مرجع سابق، صفحة ٨٣.
- [5] مقابلة مع حسن الحاج وداي، دمشق، ١٩٩٥.

الخلاف ينتقل داخل الحزب

لم تكن الخلافات بحد ذاتها أمراً خطيراً. إذ غالباً ما يحصل تباين في آراء السياسيين، حتى داخل الحزب أو الهيئة الواحدة. لكن انخطر ظاهرة واجهتنا هي وجود جيشين متقابلين في دولة واحدة، هما قوات الحرس القومي والجيش النظامي وكل طرف يقف بمجاهزية مادية واستعداد نفسي تام، ضد الطرف الآخر.

وفي سياق البحث عن حل يمنع حصول أزمة أو مواجهة، اعتقدنا أن بقاء بعض أعضاء القيادة القطرية والملحقين بها دون مناصب حكومية هو الذي يقف وراء التجاوزات المعرّقة لاعمال الدولة والتي بدأت منذ اليوم الأول للثورة. فاقترحنا تسمية جميع أعضاء القطرية أعضاء في المجلس الوطني لقيادة الثورة، رغم معارضة عبد السلام عارف وأحمد حسن البكر وعبد الستار عبد اللطيف وصالح مهدي عماش الشديدة، لكن معارضتهم لم تكن لها أهمية أمام رأي الحزب. فدخل المجلس محسن الشيخ راضي وحمد عبد الحميد وكريم شنتاف وهاني الفكيكي وسعدون حمادي، مع حق استدعاء من نشاء من قيادة فرع بغداد حسب الحاجة والاختصاص، واتذكر ان بينهم كان د. فائق البزاز. لكن هذا الاجراء لم يغير واقع الحال.

سهولة ادارة الفوضى

أدت الفوضى إلى انشقاق في القوة . فوجدنا انفسنا أنا وحازم جواد وسط مركز ومحور يلتف حوله الضباط البعثيون تعبيراً عن استيائهم وفقدان ثقتهم بعلي صالح السعدي الذي سبق وان كانت لهم علاقة طيبة به. وقد تسرب فقدان الثقة حتى إلى الضباط المحبين له، الذين رأوا فيه بطلهم.

قام هذا التكتل وصار واقعياً دون رغبتنا ليقف مقابل الكتلة الأخرى التي تكونت منذ اشهر. وانظم إلينا فضلاً عن الضباط، كوادر حزيون مدنيون، وموظفون كبار في الدولة، تمحوروا حولنا بصورة تلقائية ودون اتفاق مسبق، تعبيراً عن ردة فعلهم على التحريض الذي يقوم به علي السعدي ضد مؤسسات الدولة والسلطة. وكان ذلك مبرراً كافياً لقيام اتحاد عريض غير

معلن، يرفض الممارسات الفوضوية. وعندما فوجئ السعدي بوجود جبهة قوية تصدى لنزعاته، لا سيما في صفوف الجيش والشرطة، لم يرعو بل استمر يهاجم القادة الحكوميين ويهدد النظام من جذوره.

وأخذت جماعة السعدي تضم إلى صفوفها كل الحزبيين الراغبين في الحصول على مراكز في السلطة. في حين إختار هو مؤسسة الحرس القومي لتكون اداته لتحقيق توزيع السلطة الجديد. وحلت اللقاءات في مقرات الحرس القومي محل الاجتماعات والندوات الحزبية الرسمية.

وقبل هذا التطور، كنا على درجة من الثقة بالنفس تكفي لأن نتجاهل الدعوات الصريحة للتكتل والتحريض، ولنستبعد فكرة تشكيل تكتل مضاد آخر. لكن تكرر التجاوزات والفضائح جعلنا محوراً يلتف حوله أكثر الكوادر العقلانية وجميع المتضررين من الممارسات العشوائية.

وبعد اتضاح ملامح الانشقاق، عُقدَ في داري اجتماع للقيادة القطرية حضره علي السعدي وحازم جواد ومحسن الشيخ راضي وحמיד خلخال وكرم شنتاف وأنا. وكان العضو الوحيد المتغيب هو حمدي عبد المجيد المنتدب إلى العمل الحزبي في سوريا. ولم يكن احمد حسن البكر حتى ذلك الوقت عضواً في القيادة القطرية للبعث.

في ذلك الاجتماع قلنا : ان مصدر جميع الخلافات يعود إلى ازدواجية السلطة. وهو امر يمكن دراسته، ووضع الحلول القانونية له. خصوصاً وان السلطة بكاملها بين ايدينا، ولا ينازعنا فيها احد. فسيطرتنا على مجلس قيادة الثورة وهو السلطة التشريعية كاملة، لا يقرر مجلس الوزراء شيئاً قبل ان يأخذ رأي قيادة الحزب وهو سلطة البلاد التنفيذية. اما الجيش فما زال لا يأخذ أوامره من غير قياداته الحزبية، حتى لو كانت صادرة من مجلس الثورة أو رئاسة الجمهورية. فالقوات المسلحة (جيش وسلطة واستخبارات) ملتزمة ومنضبطة، ويسيطر ضباط بعثيون على كل مرافقها العامة. فضلاً عن وجود جهاز شعبي شبه عسكري ينضوي بكامله في مؤسسة الحرس القومي وكل المؤسسات التي ذكرناها مطيعة بصورة مطلقة، فيما لو كانت القيادة القطرية متفقة.

وقلنا ان سيطرة الحزب مطلقة ولا توجد قيادة للحزب غيرنا فلماذا لانقضي على الازدواجية الخطيرة بجعل جيش البلاد واحداً، ونمنع الحرس القومي من القيام بدور الشرطة. وإذا نجحنا في ذلك فستكون لدينا سياسة واحدة ورأي واحد، يصدر عن القيادة الحزبية ويشعره مجلس الثورة، وينفذه مجلس الوزراء ومتصرفو الألوية. وبذلك تنتهي الفوضى والفوضوية التي تشل الآن مرافق الدولة.

ومنذ البداية تحدث علي صالح السعدي قائلاً : قبل الثورة كنا نلتقي هنا في بيت طالب

شبيب كل امسية تقريباً، نقرر كل شيء ونحل كل المشاكل، ومنذ وصولنا للسلطة أصبحت لقاءاتنا الشخصية قليلة وأصبحنا لا نلتقي إلا في اجتماعات نصطدم فيها أحياناً بسبب تناقض آرائنا الشخصية حول بعض القرارات، وأرى ان نعيد الحياة إلى تلك اللقاءات.

اجبته: اننا الآن على رأس دولة مهمة، ولها متطلبات كثيرة وخطيرة. وان المشكلة اكبر بكثير، وتوجد خطوط من الخلاف، ويجب علينا القيام بإجراءات متوازنة، تتناسب مع الرغبة في إزالة عوامل التناقض. فالقضية ليست محبة وود شخصي ومزاج وجلسات ولقاءات بل شيء آخر أكثر أهمية رغم إقرارنا بأهمية الصداقة والمحبة التي ما زالت تملأ قلبي ولا اعتقد انها زالت من قلوب الآخرين.

وقلت : إذا لم نتمكن من القضاء على الإزدواجية، فالامر الوحيد المتبقي هو الاحتكام ديمقراطياً إلى رأي الحزب بدعوة مؤتمره القطري قبل موعده. وطالبت بدعوة المؤتمر القطري للإجتماع في مدة اقصاها شهر واحد فوافق الجميع على الاقتراح.

تغيير الامين القطري للحزب

وقبل نهاية الاجتماع إلتفت علي صالح السعدي وقال : يا طالب، قبل الثورة كنت انت من المصيرين على أن أمين السر يجب ان لايتولى وزارة تنفيذية هامة. وبحكم الواقع يقوم حازم جواد بمهام وزارتين هما الداخلية ووزارة الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية وكلاهما وزارة مهمة وخطيرة . وهناك تناقض في موقفك عندما يحتفظ حازم بأمانة السر والوزارتين. فأجبته : أنت على حق ويجب ان نختار أميناً قوطرياً جديداً للفترة المتبقية، حتى إنعقاد المؤتمر . ولم يكن بيننا عضواً بلا وزارة أو غير متفرغ لأعمال مهمة غير حمدي عبد المجيد، فوافقنا عليه واستدعيناه من سوريا ليشغل منصبه الجديد.

وفي الواقع لم يقم حمدي بأي دور ، ولم ينعقد في فترة أمانته للسر التي دامت شهراً واحداً أي إجتماع . أما بيانه أمام المؤتمر القطري فلم يتعد نصف صفحة. قال فيه : انه لم يستلم أمانة سر الحزب إلا إسماء، ولم يفعل ولم يعلم شيئاً عن ما كان يجري فعلياً داخل الحزب، لانه كان متفرغاً لشؤون الحزب في القطر العربي السوري .

ولم يكن حازم جواد راضياً على تلك النتيجة، فعاتبني إلى حد التأنيب بعد نهاية الاجتماع . فقلت : لم يكن بإمكانني أن أكون بمنطقتين .

سؤال : لكن الأغلبية الساحقة من كوادِر وقواعد حزب البعث مالت مع خط علي السعدي، وأهتمتكم بالتواطؤ مع كبار الضباط والموظفين ضد التوجه اليساري، وقد كنت واحداً من أولئك الشباب المتحمسين، فهل كان ذلك بسبب تركيزكم أنت وحازم والبكر على العلاقات الفوقية، أي على كل ما يتعلق بالدولة وشؤونها الأمنية وتحالفاتها.. الخ في حين ركز علي السعدي ورفاقه على البناء التحقي أو على الشارع والمنظمات الشعبية والحزبية القاعدية والحرس القومي؟ فمن كان منكم أكثر نضجاً، وأكثر وعياً لخطورة ما يجري ويهوي أو يُحضّر لمستقبل العراق؟

طالب الشبيب: بإمكانك أن تلاحظ إن إدارة السلطة السياسية في بلد غني ومهم مثل العراق، وإدارته بصورة فوضوية من قبل سلطة حزبية غير مستقرة وغير خاضعة لبرلمان سيودي إلى صراع شديد حول مكاسبها. وهذا الأمر برز في أوضح صورة في عام ١٩٦٣ عندما أضحت أجهزة الدولة العراقية بين يدي مجموعات تقرر ما تشاء بصورة غير منضبطة. وأصبح كل واحد يتمسك بسلطوته ومكاسبه وطموحاته التي أعطتها له السلطة. ولم يكن بقدرة أية جهة، ومهما بلغت إمكانياتها القيادية والعقلية، بل حتى لو امتلكت عقل نبي عقائدي مقدس، من إيقاف تلك الموجة المتطلعة والمتحدية. فلقد وجد البسطاء المحرومون المنتمين إلى الحزب والحرس القومي سهولة في إدارة الفوضى والتحلل من المسؤوليات في وقت كانت الدولة تحتاج إلى الانضباط والمسؤولية واحترام القوانين والاعراف والمؤسسات، وإرضاء الشعب وتوسيع قاعدة مشاركته بحيث لا يبقى في السلطة أي شيء غير خاضع للقانون.

وعلى نفس المنوال تصور السعدي وهو في أعلى مراكز السلطة، أنه يقود جناحاً معارضاً وقد ساعده على ذلك نشأة الجهاز الحزبي ذاته الذي تربى على عقلية المعارضة، فلم تتوفر الفرصة الكافية لتوعيته على أسس تناسب الوضع الجديد حيث الحزب يقود السلطة، أو تدريسه على آليات إدارة الدولة. بل كانت ثقافة الحزب وأدبياته بما فيها تلك التي كتبها ميشيل عفلق ممتلئة بدم السلطة والحكم وتناهى بالبعثيين عن شؤون السلطة.. لكنهم فوجئوا بتربيعهم على رأس حكومة العراق المتعدد الأديان والقوميات والمذاهب والثروات والمتنوع بتياراته السياسية، بل أن الموجة الفوضوية جادلت في كل شيء ماعدا تطوير جهاز الدولة والتخطيط الاقتصادي^(١).

١- ليس صحيحاً أن الحرس القومي وجهاز حزب البعث كان وحده مقصراً فيما يتعلق بالتخطيط الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، بل إن أية دراسة متأنية ستؤكد إن أياً من جناحي السلطة لم يفكر قبل الوصول إليها برنامج للتطبيق.

واعتقد أن نجد الأفضل هو الاعتراف بذلك النقص بدلاً من تعليقه على الآخرين. لاننا نستطيع دائماً أن نجد لكل فشل تبرير ولذلك تفرض سنة الحياة على الفاشلين أن يفسحوا الطريق لغيرهم بأرادتهم أم بغيرها، وتستمر الحياة ويزول الافراد، مهما كانت مشاعرهم ومبرراتهم؟ ولن يُخلد أحداً إذا لم يترك أثراً مادية أو معنوية بين الناس، لتستقر مرمزة في التراث وتتناقلها الاجيال .

وعند التحري نجد أن حكومة ٨ شباط، لم تقدم ولم يكن بين يديها أي برنامج مؤقت أو ثابت لتقدمه. ولم تعلن اية آلية تطبيقية متميزة، لكي يقال، في حال الاخفاق ، إن الظروف كانت أقوى من إمكانية التطبيق . فلم تفعل سوى تسيير المؤسسات الموروثة من العهد القاسمي، أو ربما قامت أحياناً بردود فعل طارئة ومفروضة. علماً بأن من يأتي إلى السلطة بلا خطط سياسية واقتصادية واجتماعية مسبقة، يجب أن يكون قد فكرَ بتسليم السلطة إلى برلمان حر، كي توضع تلك الخطط تحت سقفه. أما إذا كان الطاقم الحاكم يفكر بشمولية سياسية تتطلب بقاءه منفرداً في السلطة فستره طويلة، فمن الخطر أن يأتيها صفر اليدين، فيبدأ بوضع خطته وهو مترع على عرشها، لانه سيواجه ضغط أحداث متسارعة تأخذ منه المبادرة، وتجعل كل أفعاله ردوداً على أفعال الآخرين وهو ما حصل عام ١٩٦٣.

وماثير العجب أن جميع قادة تلك المرحلة أخبرونا، مباشرة أو عبر قنوات مختلفة، انهم لم يفكروا بغير اسقاط نظام قاسم. ولم تكن لديهم اية فكرة عن شكل البناء السياسي الاقتصادي القادم ولا عن شكل التعاون العربي، أهو وحيدة إندماجية شاملة وفورية كما تحدثت شعاراتهم المرفوعة بوجه قاسم، أم إتحاد فيدرالي عربي كما أراده الشيوعيون، أم تضامن وتنسيق عربي يسبق الوحدة كما أراد عبد الكريم قاسم وكثيرون غيره.

حتى بيان حكومة البكر ١٩٦٣ كتبته مثقفون بعثيون لم يعيشوا بالعراق كمنيف الرزاز وعبد الله عبد الدائم، وكان اقرب إلى الانشاء السياسي المدرسي، ويحتوي شعارات عامة، دون آلية تنفيذية[1] وسيكون مفيداً مقارنة بحكومة ٨ شباط بحكومة ١٤ تموز ١٩٥٨، لان الأولى جاءت رداً على الثانية، ولان كلتا الحكومتين عانتا من ضغوط متماثلة لاهوادة فيها ومن متأمرين من داخل البلاد وخارجها. فلقد تعهدت حكومة قاسم في بيانها أن تعطي الأولوية للتنمية ورفع مستوى الفقراء وتعزيز الاستقلال. وأرجعت إخفاق الملكية إلى عدم التخطيط والمحسوبية وعبت الاقطاع. فأعلنت إلغاء الامتيازات الاقطاعية وألغت قانون العشائر وحررت الاقتصاد من الاسترليني وتدخلت مالياً لمصلحة الفقراء فبنت المساكن الشعبية والمشافي والمدارس ووفرت المواد الضرورية ووزعت الاراضي على الفلاحين دون المساس قانونياً بحق الملكية الخاصة والشخصية وساعدت بكرم حركات التحرر العربية وأسست لأول مرة جيش التحرير الفلسطيني، وبأقتراح منها قامت منظمة الاوبك، وسنت قانون رقم ٨٠ وأنشأت شركة النفط الوطنية، ووضعت ميزانية لثلاث سنوات (٣٩٢ مليون ديناراً) خصصت ٤٩٪ منها للمباني العامة والاسكان الشعبي و ٢٦٪ للنقل العام والمواصلات وحصة كبيرة للصناعة على حساب الزراعة[2]. وبذلك تكون قد برزت بوعودها، وميزت نفسها عن سلفها التي ثارت عليها. ويمكن لكل من عاش تلك المرحلة أن يشهد بأن مشاريع حكومة قاسم كانت وعوداً تتحقق .

أما حكومة شباط فلم تعط الجوانب الفنية والاقتصادية أهمية وإهتماماً. بل جاءت مثقلة بهجوم قومية رومانسية كبرى، فقد دخلت في صراعات جانبية وانهارت حتى قبل أن تلامس أياً من أحلامها القومية والتنمية. فخاضت صراعاً ضد الشيوعيين والقاسميين ومع عبد الناصر والناصرية المحلية، ثم اشتد الصراع البعثي- البعثي . وبعد هدنة مؤقتة اشتعلت حرب ضروس ضد الاكراد التي احتلت الأولوية في الاتفاق الحكومي. هذا فضلاً عن نشر القلق بسبب وجود ميليشيا تجوب الشوارع وتفتش مفارق الطرق على مدار الساعة فيتحول البعثيون بسببها من مناضلين أشداء إلى شرطة مراقبة ومراقبي ثموين .. الخ.

ولم تنجح السلطة سوى بتغيير بعض الموظفين القاسميين وبعض الهياكل الادارية، وتغيير بنية الجيش (الضباط) حيث تم طرد أكثر من ألفي ضابط منه، خلال أقل من ثلاثة أشهر ثم تابعها عبد السلام فطرد ما يقارب ٥٠٠ ضابط آخر من

←

وأعطيك مثلاً: أرادت مديرية الأمن العامة العراقية توظيف عدد من البعثيين برتبة معلون أو موظف أمن . وصدر تعميم حزبي يشجع على التقدم للحصول على تلك الوظيفة . وكانت النتيجة أن أياً من البعثيين لم يتقدم للعمل في أمن الدولة رغم أن الوظائف المعروضة كانت توفر رواتب ومكانة مغرية . وهكذا كان الحزبيون ينظرون إلى جهاز الأمن باعتباره مؤسسة دنيئة ومعادية، رغم أن حزبهم هو قائد الدولة، وذلك صعب عملية الانتقال من المعارضة إلى السلطة. وكان علي السعدي من هذا النوع من البعثيين، لم تتغير عقليته واستمر بنفس المنهج، بل حاول هو وعدد كبير من المتطرفين عدم استلام مناصب حكومية ذات طبيعة إدارية، رغم اجتهداتهم للاحتفاظ بمكانة سياسية وحزبية قيادية. فكانوا مرتاحين إلى عقلهم المعارض لدولتهم. أما أنا وحازم جواد وعدد من أعضاء مجلس الثورة، يساندنا عدد غير قليل من كوادر الصف الأول الذين تسلموا مناصب حكومية رفيعة وأدركوا معنى المسؤولية والتضحيات المطلوبة جراء حملها، فقد تولينا مهمة قيادة الحزب قبل الثورة، ونفذنا خططها وعملياتها مباشرة، وتقلدنا مناصب حكومية خطيرة أبعدتنا عن العمل الحزبي التنظيمي والقاعدي المباشر. وينطبق هذا الأمر علي بصورة خاصة لان منصب وزير الخارجية وعضوية القيادة القومية يجعل أكثر وقتي ينقضي خارج البلاد.

تلك المسؤوليات أبعدتنا وربما أضعفتنا شعبياً وسياسياً بين الأوساط الحزبية البسيطة والشابة التي تصرفت على أساس تقسيم الحزب إلى حكام ومعارضين. وكنا نرى ونلمس هذه الظاهرة. ونحث على تغيير العقلية التي تؤدي إليها. لكن الأمر يحتاج إلى تعاون بين المكلفين بمسؤولية الدولة وأولئك المكلفين بإدارة الحزب والمنظمات، وليس التنافس بينهم^(١).

البعثيين والمعارضين الآخرين. وبهذا تكون سمة السلطة العامة في ٨ شباط هي فقدان الاتجاه. وعلى سبيل المثال فقد بلغت الأراضي المزروعة حنطة وشعير ٨،٢ مليون هكتار وتعطي ٥،٢ مليون طن، في حين تم في ١٩٦٣ زراعة ٣ ملايين هكتار أعطت ٤،١ مليون طن. كما انخفضت قيمة الانتاج الزراعي الاجمالي في عام ١٩٦٣ بالقياس للاعوام ١٩٥٣، ١٩٥٩، ١٩٦٠، ١٩٦١، ١٩٦٢ [3].

١- سألت نفسي وعدداً غير قليل من أعضاء حزب البعث ممن شهدوا تلك المرحلة، وخصوصاً كوادره الوسطية، عن سر شعبية حط السعدي، فحصلت على اجابات متباينة من حيث الشكل ومتفقة من حيث الجوهر. وكانت اجابة محمد رشاد الشيخ راضي مختصرة وجامعة لاغلب تلك الاراء حينما قال: " إن تنظيم الحزب أصبح عملياً بعد ٨ شباط بإدارة محسن الشيخ راضي، وهو أحد رواد الجناح اليساري . وكما تعلم فإن من بيده التنظيم يستطيع إبراز اسماء معينة وانزال اخرى، والتسهيقة لمن يشاء ولاية فكرة خصوصاً بين المنظمات القاعدية. وكانت آراء محسن مخالفة بشدة لانكار عبد السلام وظاهر يحيى ورشيد مصلح. ومن ناحية أخرى كان حط السعدي موجوداً بقوة داخل السلطة ويستطيع ان يقدم خدمات كبيرة لانصاره من خلال قيادته مباشرة لأطرافها، لكنه أيضاً موجود خارج السلطة عبر منظمات الحزب والحرس القومي والمنظمات الشعبية. اضافة إلى ذلك ان شخصية السعدي الواضحة والصريحة بذاتها كانت مقبولة ومثيرة وميالة بطبيعتها للسلوك المنفتح العريض، في حين إتسمت شخصية حازم جواد بالحدة والجدية، فضلاً عن تركيزه على إدارة الدولة ومراقبة الرئاسة وكافة الجوانب التنظيمية.

ان ضعف الشعبية بين الحزبين لم يطلني وحدي كوزير للخارجية، بل تأثر به كل من إستلم منصباً حكومياً مهماً، وأدرك خطورة وظيفته. لكننا وبمرارة وجدنا أنفسنا، بعد حين تحت ضغط لا يرحم من رفاقنا، فلم تسلم اية خطوة نخطوها من نقد العقل المعارض. وذلك وضعنا في منتصف الطريق بين السلطة وأهميتها ومتطلباتها، وبين تنظيم الحزب الذي تمأهى كلية في الحرس القومي، معارضا السلطة بتشجيع من علي صالح السعدي الذي تقلد أهم المناصب الحكومية.

إنعقاد المؤتمر القطري

في آخر إجتماع للقطرية قررنا تقديم موعد عقد المؤتمر القطري لمناقشة إختلاف مفاهيمنا حول كيفية ممارسة السلطة. وأعطينا الضوء الأخضر للبدء مباشرة بعقد المؤتمرات القاعدية التمهيدية للفرق والشعب والفروع لانتخاب قياداتها المحلية ومندوبيها للمؤتمرات الأعلى، ولم نفكر إطلاقاً بأن رفاقنا الذين إختلفنا معهم في الرأي والأسلوب، سيستغلون تلك التحضيرات لاستمالة القاعدة الحزبية ضدنا.

وكان بإمكان أي مراقب أن يلاحظ السرعة العجيبة التي وصلنا بها إلى حدود التصادم، وإلى سيطرة الشعور بعجز محاولات الإصلاح، وإلى شلل أجهزة الدولة التي يتوقف عليها تلبية حاجات المجتمع. كما وشاعت بين قواعد الحزب وقياداته الوسيطة أنباء الخلافات، وذلك سيؤدي تدريجياً إلى انقسام مندوبي المؤتمر القطري الاعتيادي المزمع عقده في ١٣ أيلول ١٩٦٣ انقساماً عمودياً.

وسط تلك الاجواء الداخلية المتوترة والحرجة، اضطررنا إلى تلبية دعوة وجهها لنا جمال عبد الناصر لزيارة القاهرة من اجل تنقية العلاقات العراقية المصرية. وقد لبيناها — عبد السلام عارف وحازم جواد وأنا — واستغرقت الزيارة عشرة ايام. وبعد عودتنا بيومين أو ثلاثة، انعقد المؤتمر القطري الذي جرى اعتماد مندوبيه في غيابنا. وقد سمعنا فور وصولنا شكاوى عن حالات تزوير وتجاوزات قد حصلت^(١)، وأخبرني أخي بهاء شبيب الذي فاز بعضوية المؤتمر القطري

وقد ساعد على اندفاع السعدي نحو القاعدة الحزبية، مشاعر الكراهية التي كان يلحظها على وجوه بعض رجال السلطة بسبب اقترابه من بسطاء الناس، فأخذ يجذر افكاره وسلوكه إلى الحد الذي أثار مخاوف البعض بإمكانيته قلب السلطة وتغيير نمطها، وفي ذلك تكمن دوافع الخوف التي أصابت اصداقائه من الضباط منه، فاحذوا يبعثون عن محور آخر يضمن عدم التغيير الجذري للسلطة، خصوصاً وان شبح المخاوف التي أثارها فيهم عبد الكريم قاسم وانصاره مازالت ماثلة.. [4].

١- انعقد المؤتمر القطري الاعتيادي بعد عقد مؤتمرات الفرق التي يحضرها الاعضاء العاملون وقيادة الفرقة، فينتخبون

←

رغم محاولة اسقاطه، بأن ادارة المؤتمرات الفرعية كانت منحازة، واستحدثت شيئاً جديداً سميَّ — المؤتمر العام — ، كما جرت تنقلات وانتدابات بين الفرق قبيل انعقاد مؤتمراتها وذلك مخالف للنظام الداخلي. اضافة إلى عدم اجراء انتخابات بين صفوف العسكريين البعثيين بالرغم من كثرة عددهم واهمية دورهم في انجاح الثورة و حماية السلطة. ولم يكن ذلك قراراً صحيحاً، لا من الناحية المبدئية ولا من الناحية التكتيكية. اذ ليس عدلاً إعطاء العسكريين مناصب قيادية حساسة في الدولة والجيش دون ان يكون لهم رأي في السياسة.

وكان أوضح مثال على التلاعب هو حرمان عزت مصطفى (وزير الصحة) ومسارع الراوي (وزير دولة ورئيس مكتب المعلمين القطري) وأحمد عبد الستار الجوارى (وزير) من حضور المؤتمر، رغم مسؤوليتهم عن مكاتب ونقابات قطرية، وهم جميعاً يؤيدون خطنا "أنا وحازم"، في حين دعي للحضور محمد زكي يونس "رئيس مكتب العمال القطري" وصادم التكريتي عن مكتب الفلاحين القطري، دون تقديم أي مبرر منطقي. علماً بأن مكتب المعلمين القطري هو أهم مكاتب الحزب المهنية، ويعرف جميع البعثيين الدور القيادي والنضالي الذي لعبه المعلمون في حياة ومسيرة الحزب، وفي وقت لم يعمل في مكتب الفلاحين القطري الذي تأسس بعد الثورة غير صدام التكريتي واربعة فلاحين جاءوا بهم من تكريت لضمان عضوية صدام حسين الموالي لكتلة البكر التكريتية داخل المؤتمر.

والمظهر الآخر المفضوح للتلاعب، كان في احضار نجاد الصافي مندوباً اصيلاً، دون مبرر أو سبب، وأذكر إن أحد المندوبين وقف وإتهم المشرفين على الانتخابات الفرعية بسوء الادارة والتزوير. وفي الحقيقة فإن التزوير دبر ليلاً وفي غياب ممثلي تيار حزبي بكامله، مما أدى إلى فوز هاني الفكيكي بعضوية القيادة القطرية بدلاً مني بفارق صوت واحد. فقد حصل الفكيكي على عشرين صوتاً، وحصلت أنا ٢٢ صوتاً، وكان الحد الأدنى للفوز على ٢٣ صوتاً، أي نصف

قيادة جديدة للفرقة ومندوبين لمؤتمر الشعبة الذي يتكون منهم ومن مندوبي بقية الفرق ومن قيادة الشعبة لانتخاب قيادة جديدة ومندوبين لمؤتمر الفرع الذي يتعقد بمندوبي الشعب واعضاء قيادة الفرع، لانتخاب قيادة فرع جديدة ومندوبين للمؤتمر القطري وهكذا بقية الفروع. أما الذي جرى وسميَّ مؤتمراً عاماً أو "تأسيسياً" فقد انتخب مندوبوه مباشرة من مؤتمرات الفرق القاعدية، ظناً من المشرفين انهم يتجاوزون بذلك القيادات الاعلى ويمنعونها من حجز مقاعد مضمونة في المؤتمرات الاعلى. فالكل يعود إلى مؤتمر الفرقة وينتخب، ومن يسقط في انتخاباتها لا يبقى له حظ آخر. واعتقد ان فكرة المؤتمر العام جاءت للتدليل على "شعبوية ديمقراطية زائدة" باجبار القيادات على النزول للقواعد والخضوع لأسئلة الحزبيين الشباب، وربما اراد "خط السعدي" بذلك التدليل على شعبيته الحزبية واستغلال تلك الشعبية لانتخاب مندوبين مواليين له. ولم يكن في ذلك خيانة للنظام الداخلي بل هو لائحة داخلية جديدة وافقت عليها القيادة القطرية، بغياب حازم وطالب، وأخذتها على مسؤوليتها أمام المؤتمر القطري ثم القيادة القومية وقد أقر المؤتمر والقيادة القومية تلك اللائحة لمرة واحدة، وأصبحت شرعية.

اعضاء المؤتمر البالغ عددهم ٤٥ مندوباً. ولذلك أعيد التصويت على اسمينا أنا وهاني، فحصل هاني على ٢٣ صوتاً.

وقد رأيت بنفسي علي صالح السعدي ينتقل ويمارس الضغط على اثنين من الاعضاء الذين لم يصوتا لهاني في الجولة الأولى، ثم انتقل ليجلس بجوار خالد مكّي الهاشمي (معاون رئيس اركان الجيش) وقد علّم أنه انتخبني في المرة الأولى واجبره على انتخاب الفكيكي بعد ان بدأ بكتابة الحرف الأول من أسمي على ورقته الانتخابية ، فمسك بيد الهاشمي المسكة بالقلم وبشيء من القوة والميانة الودودة والمزاح، أدار علي السعدي يد الرجل المسكة بالقلم قائلاً بصوت مسموع "هاني!" ليتحول حرف الطاء إلى هاء ويكمل بقية الاسم. وبذلك أمنّ لهاني ثلاثة اصوات كانت كافية لفوزه. لكنه يعني ايضاً بان المؤتمر بقيّ رغم التلاعب والتحريض نصفه معنا.

ومن جانبه اعترف المرحوم علي السعدي لي بما جرى داخل المؤتمر القطري قبل وفاته عندما التقينا وتذاكرنا بعد سنين، حول تأريخ تقريظنا بسلطة الحزب بسبب خلافات ليست جوهرية. ويستطيع كل من يشك برواييتي ان يستوضح الامر من خالد مكّي الهاشمي وهو حي يرزق وبإمكانه وحده ان ينفي أو يؤكد هذه الحادثة. فلقد استغل علي السعدي موقعه وهيبته الحزبية وقوة تأثيره، ثم استغل ان صديقه خالد مكّي الهاشمي كان متهماً بالتضامن معنا ضده أو ضد محسن وهاني وحمدي، فاحرجه وجعله يرضخ لضغطه عليه. ولم يكن الهاشمي يتوقع ان جرة القلم تلك ستؤدي بمسار الازمة إلى الاسوأ^(١).

١ — الشخص المقصود الذي اعترض على طريقة إدارة المؤتمر هو حسن الحاج وادي العطية، الذي وقف وسط القاعة وقال: "ان الحزب الذي لايعطي لاعضائه الديمقراطية، لايمكنه إعطائها للشعب، فضحت القاعة. وفي عام ١٩٩٥ التقيت بالسيد وادي العطية بدمشق فقال: كنا نناقش مع بدء إنعقاد المؤتمر إحدى النقاط التي لم تعجب رئيس المؤتمر (هاني الفكيكي) فأحال النقطة فوراً على التصويت وأقبل المناقشة. فطلبت نقطة نظام، فلم يوافق بحجة انتهاء المذاكرة. فوقفت قائلاً: أتعرفون أين يجلس الان؟ فالتفت الجميع مذهولين. قلت: نحن في مبنى المجلس الوطني الذي بنسائه نوري السعيد ولم يستطع الجلوس فيه، وهذه الثريا الجميلة التي "تدندل" فوق رؤوسنا، لسنا نحن الذين آتينا بها، بل هي من مخلفات العهدين السعدي والقاسمي. ولازم تعرفون ان سبب سقوط الحكم الملكي هو عدم إعطائه الحرية الكاملة للشعب، ولان مجلس النواب لم يكن يمارس حرية حقيقية وكان جلاوزة نوري يضيقون ذرعاً بالنواب الوطنيين على قلائهم، ويلجأون من أجل سد الطريق عليهم إلى غلق باب النقاش، ونحن إذا سلطنا نفس السلوك سيكون مصيرنا اسود. فهاج أكثر المندوبين بوجهي مستنكرين تشبيههم بنواب نوري السعيد وطالبني محسن الشيخ راضي بسحب كلامي فقلت لافعل" [5].

وحول عدم شرعية حضور بعض المندوبين للمؤتمر القطري قال الدكتور تحسين معلقة: "ان شيين غير شرعيين حصلوا، الأول مخالفة النظام الداخلي في طريقة عقد المؤتمر وفي اختيار ممثليه، استحداث (المؤتمر العام)، وقد اعترضت شخصياً على ذلك، فرد عليّ حسن العامري (وزير في حكومة البكر وصادم) قائلاً: هذه قضية تعب عليها الجماعة كثيراً، فكيف تعترض عليها؟ والنقطة الثانية هي عدم تقديم القيادة القطرية تقريراً موحداً عن اعمالها كما هي العادة، بل وقف بعض اعضائها وقدموا تقارير شخصية، وكان اثنان من اعضاء القيادة الحاضرين غير منتخبتين هما هاني الفكيكي

←

سؤال: هل صحيح أنّ ميشيل عفلق ومحمد عمران وصلاحي جديد
وامين الحافظ الذين شكلوا وفد الوساطة السوري لحل الازمة قد
همسوا في آذان طرفي النزاع الحزبي العراقي، كل على حدة، قبل
انفجار الازمة بأشهر، بأن الامن السوري لديه معلومات بوجود مؤامرة
امريكية للاستيلاء على السلطة بالتعاون مع احد الطرفين المختلفين ضد
الآخر. مما ادى إلى زرع الشك والقطيعة بينكما، وإلى قطع اية امكانية
في حل الخلاف؟

طالب شبيب: لم يحصل ذلك إطلاقاً. ولكنني اذكر ان الاستاذ ميشيل الذي كان يزور
العراق ويقيم فيه فترات طويلة بوصفه الامين القومي للحزب آنذاك. وكانت صلاتي وحازم
جواد به وثيقة. وهو يعرف بدقة حقيقة الانقسام، وظروف وتطورات الوضع السياسي
العراقي. وكان يطلق على علي السعدي وجماعته اسم (العصابة الغيبة)، وقالها مرة في داري
بمحضور عدد كبير من كوادر الحزب، قال: "ان هؤلاء عصابة تنوي الاستيلاء على السلطة،
ولكنها عصابة غيبة ستفقد السلطة حالاً بعد استلامها، ولو كانت عصابة ذكية لرما قبلنا
بها".

ولا أكتمك فقد انزعجت من المسحة الانتهازية التي تحدث بها ميشيل عفلق امامنا،
لكنني لم أعترض عليه لقناعتي بأن كلامه لم يكن كله خطأ. اما القول الذي أورده الفكيكي في
كتابه حول إبلاغ القيادة السورية لطرفي النزاع العراقي، كل على حدة، بأن الطرف الآخر
يتآمر عليه بمساعدة المخابرات المركزية الامريكية فهو عار عن الصحة. فلقد زارنا من سوريا
رفاق عديدون، بينهم من ذكرهم الفكيكي، حضروا معنا اجتماعات حزبية وحكومية كثيرة،
شارك في بعضها عبد السلام عارف. ولا أتذكر انه قد ورد في تدخلاتهم اية تحذيرات من

وسعدون حمادي، بل جرى تعيينهم بعد ٨ شباط ولا يحق لهم حضور المؤتمر أوتوماتيكياً كباقي اعضاء القيادة
المنتخبين" [6].

وفي الحقيقة وبعد تحرر وجدت: أولاً: إن الحاضرين عن المكاتب القطرية هما فقط د. تحسين معله ويعقوب الحميداني
كعضوين منتخبين. اما محمد زكي يونس وصادق التكريتي فلم يحضرا ممثلين لمكاتبهم كما قال طالب وإنما عن طريق
المؤتمرات الفرعية وبالتحديد عن فرقة الكرخ وكان حضورهما شرعياً. اما مسارع الراوي والجواري وعزت مصطفى فقد
فشلوا في انتخابات المكاتب القطرية، وحصلوا على حظ آخر في المؤتمرات الفرعية لكنهم فشلوا فسقط حظهم في
الحضور. ثانياً: ان عضوية هاني الفكيكي وسعدون حمادي في القطرية شرعية لأنهما صعدا للقطرية بواسطة مجلس
قطري عقد بين ١٥ إلى ١٨ شباط في دار جعفر قاسم حمودي ووافق المجلس عليهما بعد ترشيح السعدي وحازم
واعلان حاجة القطرية لهما، وذلك يعني ان عضويتهم شرعية، لكنه لا يعني ان محسن الشيخ راضي والفكيكي لم
يثقوا وبعملاً لصالح خططهما خلال التحضيرات التي سبقت المؤتمر القطري.

أي نوع كان، ولاعتقد إن مثل هذه التحذيرات قد حصلت مع علي السعدي. فهذه حادثة ليس لها وجود في ذهني. وحارم جواد حي يرزق ويمكن سؤاله وسيؤكد أو يدحض ذلك.

إن خلافاتنا كانت ظاهرة إلى كل من يريد أن يراها. ولم تكن بحاجة إلى مَنْ ينكوها ويثيرها. كانت معروفة للحزب القومي الذي إنقسم من خلال نظريته إلى طرفي النزاع العراقي. فمنهم من رغب في تفادي المشكلة والسير مباشرة نحو وحدة الحزب، ومنهم من تحزب وناصر هذا ضد ذاك.

ومن ناحية أخرى استطيع ان اجزم بعدم صحة ماجاء بكتاب الفكيكي من أن لواء العقيد فهد الشاعر"قد جاء إلى العراق لمساعدة جناح معين في السلطة العراقية ضد آخر. بل أن اللواء المدرع المذكور جاء بمهمة رسمية محددة ومعلنة من قبل الحكومة السورية لمساعدة الجيش العراقي في حركات الشمال. واعتقد ان سلوك القوات العربية السورية الموجودة في العراق خلال أحداث ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وموقفها المحايد، ورفضها مجرد التفكير بالتدخل، رغم وجود ميشيل عفلق وامين الحافظ وصلاح جديد وحمودي الشوفي وجبران مجد لاني ضمن الوفد السوري الذي تعرّض إلى إهانات مزعجة وجهت إليه من قبل بعض ضباط الجيش العراقي، وقد أكد الشوفي لنا ذلك. ولهذا فحديث الفكيكي عن وجود مهمة أخرى موكلة إلى اللواء السوري المدرع ليس صحيحاً ومحض هراء.

قرارات التأميم الاشتراكية بين عبد السلام وحسيب

والان وبعد أكثر من ثلاثين عاماً، برهنت الحياة اننا كنا على حق، واستطيع ان اقول ليساري ذلك الزمان وبكل بساطة: أنا كنت يمينياً، بل وأود ان اكون أكثر يمينية إذا كان كبت الحريات وتخريب بنية الدولة والتدخلات غير القانونية، وممارسات الحرس القومي الفوضوية هي يسارية. أما إذا كان الهدف هو العمل على توجيه الدولة باتجاه يساري اشتراكي وحدوي ملتزم ومسؤول فهذا ماحاولنا القيام به فعلاً، بدون ضجيج ودون علم الكتلة الحزبية المخالفة لنا. وأعطيكم مثلاً شاهده حي يرزق، فقد استدعيت إلى مكتبي في وزارة الخارجية الدكتور خيرالدين حسيب، وأرجو أن يكون شاهد حق على ماأقول، استدعيتيه وكلفته أن يعد لنا لائحة قوانين للتأميم. فاستشار كبار موظفيه مستفيداً من التجربة المصرية ومن تجارب عالمية أخرى، وبدأ فعلاً بإعداد تلك الدراسة.

وكنت ابلغته بضرورة أن يبقى الامر سراً بيننا لأن القوانين ستفقد فعاليتها وغايتها إذا فقدت عنصر المفاجأة. وقلت له: لأحد يعرف بالامر غيرأنا وحازم جواد وأنت.

واعتقد ان اللائحة التي أعدت حينذاك هي نفسها التي وضعت قيد التنفيذ في ١٤ تموز ١٩٦٤ في عهد عبد السلام عارف وسميت (القرارات الاشتراكية)^(١).

أما إطلاق صفة اليسار على جماعة السعدي فهو أمر ليس دقيقاً أو واقعياً. لان تلك الجماعة لم يكن لديها اية فكرة حول التطبيق الاشتراكي. ولم تطرح اية أفكار اشتراكية للتطبيق. ولم تطلب من أحد إعداد دراسة حول الأمر، لا في اجتماعات القيادة القطرية ولا المجلس الوطني أو في أي مكان آخر، رغم قيادتهم للسلطة والحزب الذي يضع الاشتراكية في مقدمة أهدافه. واعتقد انني وحازم جواد كنا سباقين في هذا المجال. وكان خير الدين حسيب موضع ثقتنا، ومن اقدر المتخصصين العراقيين في مجال الاقتصاد السياسي، لكن القوانين الاشتراكية لم تر النور قبل تموز ١٩٦٤^(٢).

١- اكد المؤلف محمد جمال ناروت ما ذهب إليه شبيب في كتابه (حركة القوميين العرب) فقال: "عهد شكل سري إلى فريق من الخبراء الاقتصاديين برئاسة الدكتور خير الدين حسيب محافظ البنك المركزي العراقي بأعداد مشروع القرارات الاشتراكية". ويرى ناروت ان الأعداد للإجراءات الاشتراكية كان هدفه اقامة تكتل اقتصادي متناغم يضم اقتصادات الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق لتنفيذ الوحدة الاقتصادية التي اتفقت عليها الدول الثلاث خلال محادثات الوحدة التي جرت بين شباط ونيسان ١٩٦٣، اذ اعلن وزير التجارة العراقي في اوائل آذار ١٩٦٣: "ان خطة العراق الاقتصادية ستودي خلال زمن قصير إلى تحقيق التكامل الاقتصادي والوحدة الاقتصادية بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق"^[7].

ويبدو ان الدكتور خير الدين حسيب شرع منذ تلك اللحظة يعد مشروعه، غير ان فشل ميثاق ١٧ نيسان الوندوي، دفعه إلى انتظار ظروف جديدة مؤاتية. وليس هناك ادلة تؤكد بأن دوافع المشروع (التأميم) كانت اقتصادية بحتة، بل سياسية بخبرة الاقتصاد المصري. لان جمال عبد الناصر بعد فشل التجربة الوندوية المصرية أخذ يتناول مشاريع الوحدة وشعاراتها وتطبيقاتها المعروضة عليه بحذر شديد. ولان الطريقة التي طبقت فيها القوانين الاشتراكية أيام الوحدة على الاقليم الشمالي (سوريا) قد جلبت استياء شعبياً كبيراً، وانحى كثيرون باللائمة على الوحدة والاعداء الخارجيين، وليس على التصرفات البوليسية للإدارة الوندوية الناصرية والمشاكل الاقتصادية.

ولذلك وخوفاً من تكرار التجربة وإلحاق الأذى بفكرة الوحدة اعلن جمال عبد الناصر انه يتعين على كل بلد عربي يريد الانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة ان يطبق المبادئ والقوانين الاشتراكية العربية. واعتقد ان خير الدين حسيب، وباعتباره ناصرياً، نشط على هذا الأساس لتقريب النظام الاقتصادي العراقي من المصري، فتمكن من اقناع عبد السلام عارف وظاهر يحيى باجرائه كخطوة نحو الوحدة العربية المنشودة والتي تكفل تنمية فعالة وسريعة. واعتقد ان كثيرين من منتسبي التيار القومي العربي في العراق وعدداً من ضباط الجيش ذوي الرتب الكبيرة قد ساءلوا مؤقتاً قوانين التأميم ليس إيماناً بالاشتراكية ومبدأ المساواة، بل لانها كانت موضوعة تلك الايام، ويؤدي عدم التظاهر بتأييدها ربما إلى إبعاد صاحبه عن السلطة السياسية.

٢- كانت اسواق العراق قبل قرارات التأميم الاشتراكية في تموز ١٩٦٤ المفاجئة التي اصدرتها حكومة عبد السلام عارف وظاهر يحيى التكريتي، تعيش حالة من الانعاش والنهضة الاقتصادية الصناعية والتجارية. فقامت الدولة بتأميم ٣٠ مؤسسة صناعية خاصة وجميع البنوك وشركات التأمين. وحتى تأخذ القوانين الاشتراكية صفة اجتماعية، تقرر تمثيل العمال في ادارة عجلة الدولة الاقتصادية. وحل اسم (المؤسسة الاقتصادية) محل اسماء شركات عراقية خاصة كانت قد

←

سؤال: وهل صحيح انك وراء تعيينه محافظاً للبنك المركزي؟

طالب شبيب: نعم كان خير الدين حسيب صديقي ويزورني في مكنتي بعد نجاح ثورة ٨

بدأت للتو تلمع في عالم التجارة والصناعة. وعلى سبيل المثال: كان هناك شخص يدعى "كافل حسين" يمتلك معملًا لإنتاج صابون محلي ناجح لغسل الملابس، وتطوير أنواع أخرى من المنظفات، وتمكنت ماركته "صابون كافل حسين" من اكتساب شهرة عظيمة في كامل الأراضي العراقية، وألذرت بنشوء صناعة صابون محلية قادرة على المنافسة محلياً، وربما سيكون بإمكانها الانتقال إلى الجوار العربي والإسلامي، لكن الدولة امتت العمل وتوقفت الإنتاج وانتهى كافل حسين الذي اغتسل أغلب العراقيين بصابونه رغم المنافسة الحادة من صابون لو كس ولايف بوي والزنايبي السوري، ورغم الاستيراد المفتوح لبقية الماركات العالمية. فماذا جنت الحكومة؟ وماذا حتى العراق مقابل خسارة تلك الماركة الرائجة وتلك البداية الواعدة؟

وعندما ذهب موظفو الاستيلاء المتخصصون لاستلام معمل كافل حسين من صاحبه، وجدوا عدداً من (القدور الكبيرة وبابورات "بريمرات")، وقدرًا نحاسياً كبيراً (صفريه) وحاجات أخرى بسيطة للقطع وللشغيل لا يبلغ ثمنها لو بيعت في المزاد أكثر من ألف دينار عراقي. ولم يكن لدى المؤمنين (الغزاة) أية فكرة أو دراسة عن مصير المعمل أو تلك الأشياء البسيطة الموثمة. وبعد التأميم حاولت الدولة أن تنشئ عمالين الدنانير مصانع حديثة ومجدية اقتصادياً بديلة لتلك الموثمة ففشلت. وربما أدرك بعض المتخصصين بعد فوات الأوان، أن المهم ليس المال الثابت وإنما الفكرة الصحيحة والإداء الصحيح والملائم للمحيط السكاني مع رأس المال المتحرك. فماذا يضرهم لو تركوا كافل حسين وامثاله يطورون مشاغلهم الفتية الناجحة في تلبية حاجات السوق المحلية والاجتهاد في توظيف أرباحهم لتوسيع دورة رأس المال والإنتاج والشراء التدريجي المحسوب للتكنولوجيا لتطوير الإنتاج كلما تراكت الخبرة المحلية. لكن ذلك لم يحصل لأن الدولة لم تكن تعرف وظيفتها الأساسية ومبرر وجودها، ولأن إدارة السلطة كانت مفرضة وبعيدة تماماً عن مبدأ المساواة السياسية والاقتصادية بين المواطنين. بل إن التاريخ اللاحق للسلطة سجل عليها كل أنواع الاضطهاد الطبقي والطائفي والعنصري. ولم تكن تلك الإجراءات بالنسبة للحاكم غير محاولة لاستكمال استحواذ الدولة على القوة والمال. فلم يهنا لها بال وهي تتفرج على رجال بسطاء من وسط المجتمع العراقي يحرقون ويجوزون النجاش في عالم الشغل والمال والاختصاص، ولذلك قضت على كافل حسين الذي ربما سيكون اسماً عظيماً في عالم الاقتصاد العراقي الحر وقضت على غيره وعلى بوارق أمل كانت تلوح في الأفق.

وبعد أن أمسكت السلطة بالبلاد وبكامل اقتصادها بقوة، تندررت بخير الدين حسيب وأهانت إجراءاته، وصار هو وقوانينه الاشتراكية النكتة رقم واحد في مجالس عبد السلام عارف، في حين أطلق الشعب على طاهر يحيى اسم (حرامي بغداد)، رغم أن الرجل كان نزيهاً من الناحية المادية.

وسواء كانت الإجراءات الاشتراكية قد حصلت بإرادة حازم جواد وطالب شبيب وارشادهما، أو من بنات أفكار الدكتور حسيب واللجنة المكلفة أم هي نقل مباشر للتجربة المصرية. فهي لم تنطلق من دراسة عميقة للواقع العراقي، ولم تصب في مصلحته الاقتصادية، بل تدهور معها اقتصاده بشكل سريع، ومنذ إعلانها بدأت الأسواق العراقية تفتقد بصورة دائمة للمواد الأساسية وتعاني من الاختناقات، لأن الذي تحكم بالعملية ودورة المال هم الموظفون الحكوميون وليس العرض والطلب. ولم يحتفظ حكام العراق بعد تلك التجربة من الاشتراكية بغير ملكيتهم الخاصة للدولة ذاتها وملكيتها الدولة للاقتصاد الوطني بكامله. ولم تنفع فيما بعد محاولات رئيس الوزراء الجديد عبد الرحمن البزاز عندما غيّرهما من الاشتراكية العربية إلى الاشتراكية الرشيده، فظلت نسخة ناقصة أو نسخة مشوهة من أنظمة رأسمالية الدولة الديكتاتورية التي قامت في دول أوروبا الشرقية.

شباط، ولم تجر مناقشة أمر تعيينه حتى ذلك الوقت في اجتماعات القيادة القطرية أو في المجلس الوطني. فاقترحت في القيادة والمجلس تعيينه بمركز سام هو محافظ البنك المركزي العراقي، وهو من اخطر مناصب الدولة واهم من وظيفة وزير. لان الرجل قدّم لنا مساعدات وافضالا كثيرة في زمن عبد الكريم قاسم عندما كان رئيساً لاتحاد الصناعات العراقي اذ عيّن كثيراً من البعثيين في دائرته، فصدر امر بتعيينه في المنصب الجديد.

أما أديب الجادر فقد عرضتُ عليه سفارة العراق بلبنان، وكان قبل إعلان الثورة مقترحاً وزيراً للنفط، لكنه خسر ذلك المنصب الوزاري قبل ان يتقلده وقبل إعلان الثورة، لأنه عندما فاز برئاسة نقابة المهندسين في زمن عبد الكريم قاسم بمساعدة البعثيين والقوميين، أرسل برقية شكر موقعة باسمه إلى عبد الكريم قاسم، وعندما زار قاسم مقر النقابة ألقى الجادر كلمة منقولة بواسطة الإذاعة والتلفزيون، وقال في كلمته واصفاً قاسماً بالزعيم الأوحّد، وكان علي السعدي موجوداً في داري عندما تلفظ الجادر بها، فأشار قائلاً: "هذا لن يكون وزيراً في حكومتنا، وأفعل ما شئت يا طالب الشبيب، لكنه لن يكون في الوزارة"، واستتت أنا أيضاً منه فشطبنا اسمه، ولكن عرضت عليه بعد إسقاط قاسم سفارتنا في لبنان بحكم صلاته هناك وزوجته اللبنانية. وكان الجادر صديقاً عزيزاً وأشركناه بأعمالنا السياسية خلال فترة حكمنا.

المراجع:

- [1] كان البيان اقرب إلى الانشاء السياسي المدرسي، واحتوى على شعارات عامة. كتبه على الاغلب منيف الرزاز وعبدالله وعبدالدام. وجاء به ميشيل عفلق واذيع في ١٥ آذار ١٩٦٣، وورد فيه ان ثورة رمضان جاءت لتنفيذ أهداف ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. لكن ذلك البيان لم يكن برنامجاً واقعياً لافتقاده إلى الآلية التطبيقية. وعكس ذلك انعدام خبرة أهل الحكم وتطير افكارهم بعيداً عن الواقع، فلجأوا إلى الوعود العريضة. لكن البيان أفصح بأن الاشتراكية لا يمكن تطبيقها قبل إقامة الوحدة العربية.
- [2] عباس النصراوي، الاقتصاد العراقي، دار الكنوز الادبية، بيروت، ١٩٥٥، ص ٥٧-٥٨-٥٩.
- [3] عباس النصراوي، الاقتصاد العراقي، نفس المصدر ونفس الصفحات.
- [4] رشاد الشيخ راضي، مقابلة في دمشق ١٩٩٥.
- [5] حسن وداي العطية، مقابلة في دمشق ١٩٩٥.
- [6] مقابلة مع د. تسحين معله، دمشق، ١٩٩٥.
- [7] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق، ١٩٩٧، ص ٢٤٥.

الحرس القومي

حقق الحرس القومي في الايام الأولى للثورة مكاسب كبيرة على حساب مؤسسات الدولة الشرعية، وتمكن بسرعة من ابتلاع جميع منظمات الحزب المحلية وأخذ دورها وحل محلها تدريجياً، ولا يستثنى من ذلك غير التنظيم المرتبط بالمكتب العسكري للبعث. وقد إنتقل البعثيون إلى مقرات الحرس وتواجدوا فيها. وصار كل بعثي تقريباً حارساً قومياً، رغم ان قانون تأسيسه لم يشترط على كل حارس قومي ان يكون بعثياً^(١).

١ — تشكلت القيادة العامة لقوات الحرس القومي من العقيد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت رئيساً. وبسبب اصطدامه بعض أعضاء قيادة الحرس القومي بقيادة الحرس الاقدم منه حزبياً تم استبداله أو قدم استقالته ليحل محله مقدم الجو منذر الوندائي.
اما اعضاء القيادة العامة فهم :

نجاد الصافي الذي منح رتبة رئيس.

ابوطالب عبد المطلب الهاشمي ومنح رتبة رئيس.

احمد العزاوي الذي منح رتبة ملازم .

صباح المدني الذي منح رتبة ملازم.

حازم سعيد الذي منح رتبة ملازم.

عطا محي الدين الذي منح رتبة ملازم.

اما مكتب التحقيق فتكون من عمار علوش وناظم كزار وعبد الكريم الشينجلي وصادام التكريتي وغيرهم. تأسس الحرس القومي بقرار رقم ٣٥ في ٢٨ / ٢ / ١٩٦٣ . ونص القرار على أن " الغاية من تشكيله هي أعداد قوة من الشباب القومي العربي، تتدرب على استعمال السلاح لغرض معاونة القوات المسلحة للدفاع عن الوطن العربي وصيانة الامن الداخلي بموجب تعليمات خاصة تصدرها وزارة الدفاع "، وترتبط برئاسة أركان الجيش. وتفصيل واجباتها هي التعاون مع الجيش في صيانة الامن الداخلي وحماية المنشآت الحيوية وتعقب المجرمين والمعادين للجمهورية ومكافحة الدعايات المغرضة وتوجيه أبناء الشعب إلى مبادئ الثورة فضلاً عن مهمات الدفاع المدني ومكافحة الحريق وغيرها. ولم تشكل قوات الحرس يوم ٨ شباط، بل هي إمتداد للجان الإنذار التي شكلها حزب البعث عام ١٩٦٢ ، لاستخدامها في الطوارئ والمهام الخاصة. وبعد دقائق من إعلان حركة ٨ شباط أعلنت "لجان الإنذار" حرساً قومياً. ونزل أفرادها قبل اذاعة البيان الأول للحركة واحتلوا بأسلحتهم مراكز الشرطة ومنازل الجوامع التي استخدمت مكبراتها في التوجيه وإصدار الأوامر، وسيطروا على مفارق الطرق التي ستمر منها الحركة، وربطوا على أذرعهم قطع قماش كتب عليها(ح — ق). وقاموا باغتيال عدد من القادة استناداً إلى قائمة وضعت سلفاً وضبطوا الحركة فوق الجسور الحيوية، ولعبوا دور المشاة والأدلاء للدبابات. وتمكن حراس قوميون تساندتهم آليات الفوج الآلي الثاني وأحياناً كتيبة الدبابات الرابعة من إيقاف تدفق الناس والجنود والضباط من الأحياء البغدادية نحو مراكزهم أو نحو وزارة الدفاع. فلم يبق لعبد الكريم قاسم نصيراً غير انناء المناطق الملاصقة لوزارة الدفاع وشارع الرشيد وشارع الكفاح والجمهورية.

←

ولم يتحول الحارس القومي رديفاً للبعثي اذ لم تشغل قيادة الحزب القطرية بمهمات حكومية ليست ضرورية كثيرة، أثقلت اعضاءها باعباء يومية لأخطر وظائف الدولة خصوصاً علي السعدي وحازم جواد اللذين صار عليهما إدارة الحزب والإشراف على رئاسة الجمهورية ووزارة الداخلية والارشاد ونيابة رئاسة الوزراء وشؤون مجلس الثورة وقيادة البلد سياسياً... الخ.

ولم تمض اسابيع حتى صارت مؤسسة الحرس القومي في بغداد جيشاً يضاهي عدده جميع القوات العسكرية الموجودة في معسكرات العاصمة. ومن أجل جعله قادراً على الوقوف بوجه الجيش، إقترح محسن الشيخ راضي برنامجاً لتدريب اعضاءه على استخدام الدبابات، وتم ذلك وتخرجت دفعات قتالية كثيرة. لكن غياب الانضباط وغياب الواجبات المحددة بقوانين، فضلاً عن إنتشار مشاعر التفوق الحزبي بين اعضاءه على آمريهم، جعل روح الالتزام والربط العسكري مفقودة، واشاع التسبب والتصرفات الكيفية.

ولذلك لم يستطع جهاز الحرس في اعماله، مضاهاة الادارة الحكومية والعسكرية، بل تحول بسرعة ودون رغبة منا إلى مجموعات لاتربطها رابطة مركزية مسؤولة واحدة. وتحولت تدريجياً من حماية الامن السياسي والاجتماعي إلى إزعاج الناس بالتدخل المباشر في شؤونهم وفي شؤون الادارة والتسيير الحكومي الذي سبب كثيراً من الارتباك والاحتكاك مع السلطات الحكومية. وتعرضوا للهيئات الدبلوماسية واحضعوا سيارات السفراء للتفتيش، كما لو كانت تعود لمواطنين عاديين، واجبروهم على النزول من سياراتهم وتفتيش جيوبهم واجسامهم. وكانت تصل إلى مقري كوزير للخارجية يومياً عشرات الشكاوي. وأسوأ ما في هذه الصفحة هو تبرعهم، دون تكليف رسمي، بمحاصرة ومراقبة بعض السفارات كالسوفيتية. علماً ان الاجهزة الامنية المختصة موجودة وتقوم باعمالها.

تضاعف حجم الحرس القومي خلال ايام إلى ارقام لم تكن بحاجة إليها ولايمكن ضبطها. وأصبحوا يرون في علي صالح السعدي مثلهم الاعلى. في حين كان جهاز الحرس عندما انشئ

في حين تدفق من حي الاعظمية أنصار الحركة نحو وزارة الدفاع وتسلم كل منهم واجبه المكلف به. وقتلت مجموعة اغتيال خاصة زعيم الجو جلال جعفر الأوقاتي. وكان أهم واجباتهم هو القيام باعمال متفرقة يشعر بسببها جميع المترددين بأنهم إزاء حركة واسعة ومدروسة (عسكرية ومدنية). فقد اثار الرجال المسلحون، بملاسمهم المدنية، رعباً بين صفوف خصومهم، أكثر مما أثارته البزات الرسمية والعجلات العسكرية. ولم تكن الحركة تحتاج أكثر من اشاعة الارتباك بين صفوف الشيوعيين والعسكريين لتتمكن من أحكام سيطرتها. ويقول ذياب العلكاوي: "ان احمد حسن البكر كان قد وجه في آخر اجتماع قبل التنفيذ سؤالاً إلى حازم جواد قائلاً: ترى من من المشاة سيراقت أبا قيس (العلكاوي) وهو يقود الدبابات الثلاثة إلى الاذاعة؟" فأجاب حازم بثقة: "ليصطحب معه سيارتين لوري فارغتين وشبابنا المنتشرون بدءاً من جامع اليرموك إلى مخفر شرطة المأمون، شبابنا الذين يرتدون بزة الحرس القومي هم مشاة أبي قيس"[1].

محدود العدد ومحدد المهمات، وسليم القيادة. ثم فتحت ابوابه لمن " هب ودب ". فأصبح حارساً قومياً عقائدياً كل من لبس البدلة وحمل السلاح، حتى لو لم تكن لديه مؤهلات أو أدنى فكرة عن أهداف مؤسسته وصلاحياتها. وكان علي السعدي يتردد على مقرات الحرس القومي ليلاً، وأحياناً يجالسهم ويتناول معهم الشراب، ويعتبر ذلك مظهرًا شعبيًا. وينتهي الأمر بهم في "توالي" الليل إلى مطعم "الحاتي للباجة". وهناك تدور النقاشات بصوت عالٍ بما في ذلك أسرار الدولة وأشخاصها وما لها وما عليها. ويصبح كل شيء في أفواه عامة الناس، ويتحول الذين كانوا يأكلون "الباجة" بعد منتصف الليل إلى مصدر للخبر.

كان علينا ان نعترف بقيادة لحزب البعث — قطر العراق — بأننا لم نضع للحرس القومي خطة مدروسة جيداً، تتعلق بمهامته ومبصره بعد نجاح الثورة. وما فكرنا به بدقة هو فقط المهمات المستعجلة خلال عملية الإمساك بالسلطة، ليكون مفيداً ورديفاً للجيش، ويساعده في المحافظة على الأمن. وقد أدت مؤسسة الحرس مهامها تلك بكفاءة مشهودة. لكن بعض رجاله أعجبهم حالة الثورة والفوضى المرافقة لها، فأرادوا المحافظة على أجوائها.

لم تقتصر ممارسات الحرس القومي على بغداد وحدها، بل تجاوزتها إلى مدن البلاد الأخرى، وكانت تصلنا أخبار ممارسات أفراد الفوضوية المضحكة المبكية بصورة متأخرة، أي بعد خراب البصرة. وقد روى رفاق لنا بعد فقدان السلطة عن ممارسات "قراقوشية" لم نتصور أنها يمكن أن تحصل في الواقع. وسأروي نماذج من حكايات كنت شاهداً عليها، ليس لأساهم في الفضح وإنما لأدافع عن العقلانية التي بسبب فقدانها عانت بلادنا ووصلت إلى حالتها الحاضرة المؤسفة.

رؤوساء بلديات رؤوسهم معصوبة

تمّ تعيين محمود شيت خطاب وزيراً للشؤون البلدية باقتراح من علي صالح السعدي وكان يميل إليه ويعرفه من فترة سابقة. وخطاب بدوره يعتبر السعدي أحد أصدقائه. وكان خطاب قومياً إسلامياً ذا سمعة طيبة وحميدة وعرف كضابط بكفاءته وأمانته وصراحته، وقدّم لنا مؤازرة مخلص في ساعات حالكة خلال عهد عبد الكريم قاسم. وعندما عزم على تعيين رؤساء بلديات جدد في نواحي مختلفة من البلاد، قدّم أسماء المرشحين إلى القيادة القطرية قبل عرضها على مجلس الوزراء، فأقرتها القطرية بعد إجراء تعديلات مناسبة ثم عرضها على الحكومة التي وافقت عليها بالإجماع. وبدأت وزارة البلديات في تنفيذها. وقد اعتنينا بأمر التعيينات البلدية لأنها ستكون واحدة من النواذف التي نطل منها على المجتمع بعد قسوة ممارسات الأيام الأولى الاضطرابية للثورة. وفي أحد الأيام وبعد إكمال إجراءات التعيين والتحاقهم بمناصب عملهم الجديدة، جاء شيت خطاب إلى مقر حازم جواد، وكنت موجوداً هناك أيضاً، ومع خطاب ستة أشخاص كأنهم خارجون تواً من غرفة إسعاف وتضميد، يحملون رؤوساً

معصوبة وأيدي وأرجلاً وأقداماً بحجرة. وكان منظرهم أشبه بتظاهرة أثارت استغرابنا. فسألنا الوزير: "من هؤلاء يا حاج محمود؟". فقال إنهم رؤساء البلديات الذين وافقتم على تعيينهم، قام رجال الحرس القومي بضربهم تأديباً لهم، وطلبوا منهم أن لا يعودوا مرة أخرى إلى مراكز عملهم، لأن قيادات الحرس المحلية قد إختارت بنفسها رؤساء بلديات آخرين، وهم الآن يمارسون وظائفهم دون الرجوع إلى وزير البلديات.

مع العميد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت^(١)

قدم عبد الكريم مصطفى نصرت إستقالته من قيادة الحرس القومي معللاً: إنه لا يستطيع ضبط تصرفات أفرادهِ. لأن كل واحد منهم يعتقد أن درجته الحزبية تؤهله لأن يكون أعلم من أصحاب الشأن وذوي الاختصاص فيما يجب عمله. ويكون ذلك أسوأ إذا كان مركز الحارس القومي الحزبي أعلى من أمره العسكري. فلم يحترموا الانضباط والتسلسل الإداري ولا الرتب العسكرية. وإنه، أي مصطفى نصرت، لم يعد يطبق تحمل ضغط الأعصاب ولا حجم شكاوى الناس ومؤسسات الدولة والجيش. كما إنه غير قادر على تنفيذ العقوبات أو تأمين سلامة تنفيذ الأوامر لعدم وجود الأداة بين يديه.

وقد أخبرني نصرت: "إن جولات علي السعدي على مقرات الحرس القومي وتصرفاته أمامهم وتحذره عن المسؤولين الآخرين وعن السفارات الأجنبية التي تتجسس على العراق!! وغير ذلك من الكلام الذي يشجع الحراس القوميين على تقمص شخصيته وعلى قلّة الالتزام، خصوصاً وإن ما يسمعونهُ صادر من أعلى جهة في الحزب والدولة. وإنه، أي نصرت، يستقيل لعدم قدرته على أداء مهمته.

وعلى ضوء الاستقالة الآتية تم تعيين ضابط حزبي قديم، يحترمه البعثيون، هو منذر الوندلوي الذي وعد بضبط الحرس القومي، لكنه إضطر مجبراً على مسايرتهم بدلاً من كبح جماحهم. فاستمرت ممارساتهم المثيرة وتبادلهم إطلاق الناريومياً في بغداد مع قوة الحراسة المرافقة لعبد الكريم مصطفى نصرت الذي أصبح بعد إستقالته قائداً للفرقة الرابعة المدرعة، وهي الفرقة

١- العميد الركن المظلي عبد الكريم نصرت أضيف عضواً في المجلس الوطني لقيادة الثورة والمكتب العسكري قبيل شباط ٦٣ بأيام بهدف زيادة عدد الضباط من ذوي الرتب الكبيرة، ثم عين أول رئيس للحرس القومي، وقائداً للفرقة الرابعة المدرعة، ثم قائداً حزبياً في التنظيم العسكري للبعث بعد ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣. قتلته نظام صدام حسين غدرًا، ولفق تمثيلية سخيفة عن مقتله وعرضها في تلفزيون بغداد. وتمكن تنظيم يسار البعث من الحصول على النسخة الخاصة بالتحقيق السري الذي أجرته شرطة الكرخ العسكرية، وجاء التقرير الطبي مخالفاً لنتائج التحقيق التي أذاعتها سلطة ١٧/ ٣٠ تموز ١٩٦٨ عبر الراديو والتلفزيون، فقامت بطبعها بمطابع حزب البعث السرية (اليسار) على شكل منشور وتوزيع عشرات الآلاف منه في كافة أنحاء العراق. وعلى أثره قامت حكومة بغداد بتغيير إدارة الشرطة العسكرية ونقل الأطباء الثلاثة الموقعين على نتائج التحقيقات الطبية إلى مناطق نائية.

العسكرية الوحيدة الموجودة في بغداد، بمعنى إنه يقود قوة النظام وحماته من الضباط البعثيين الذين نفذوا ثورته. أما سبب إطلاق النار بين حراس قائد الفرقة ومسلحي الحرس القومي فمصدره إصرار عبد الكريم نصرت على عدم الامتثال للتفتيش عند الذهاب والعودة يومياً من وإلى منزله.

دولتان ومرجعتان

أصبح روتينياً أن يدخل الحارس القومي إلى المحكمة، ويمد يده إلى قفص الاتهام ليخرج منه من يشاء من المتهمين، ويترك خلفه القاضي مندهشاً، خجلاً وخائفاً. لكن القاضي تجنبا للإحراج يضطر في النهاية إلى الخضوع والتظاهر بالموافقة، فيصادق على الفوضى. ويحصل مثل هذا الامر بصورة أكثر صراحة وإزعاجاً خارج مدينة بغداد، بعيداً عن مركز قوة الدولة حيث تفقد المحاكم هيبتها ويحل الخوف محل الأمن والطمأنينة، بصورة تظهر فيها أجهزة الدولة الرسمية هزيلة وعاجزة أمام رأي عام صامت وربما شامت.

وهكذا بدانا نشعر بأن الدولة التي نقودها أخذت تتفكك بفعل الأضرار التي يلحقها بها جهاز محسوب عليها وعلى الحزب الحاكم نفسه. فكانت هناك دولتان ومرجعتان، يقع في الإحراج أمامهما حتى الحكام الفعليون.

ظواهر لا يمكن السكوت عليها

في أحد الايام، بينما كنت عائداً إلى منزلي بعد انتهاء اجتماع المجلس الوطني لقيادة الثورة، أوقفني على الطريق رجال الحرس القومي، رغم ان سيارتي معروفة لديهم وتحمل نمره (الخارجية ١)، فسألت أحدهم: لماذا أوقفتم السيارة؟ قال: لدينا إنذار. قلت: ومن أصدره؟ أجاب: القيادة.

وعندما وصلت الدار اتصلت بقيادة الحرس مستفسراً، فأجابني نائب القائد العام نجاد الصافي قائلاً: والله ليس لديهم ما يعملونه فأصدرنا لهم إنذاراً!! فقلت: وهل إزعاج بغداد كلها وإثارة قلق المواطنين وبث حالة من الرعب يجلب لكم الطمأنينة والأمن؟ إنكم تجعلون المواطن يعتقد ان الحزب والدولة مرتبكان وخائفان من عدو يترصدهما. وأضفت: ان عدم وجود أعمال لدى الحرس القومي لا يبرر ما تفعلون، فلماذا لا يذهبون إلى ثكناتهم أو تسرحون من ليس لكم حاجة بهم، وتكفونوا وتكفوا عن الناس شرهم؟

وكل ذلك كان يمكن معالجته بشيء من الحوار وببذل جهود استثنائية، دون الحاجة إلى استخدام السلاح. لكن شيئاً اخطر وأكثر صبيانية وفوضوية يحصل كل يوم وهو إقدام أفراد الحرس، دون أسباب موجبة ودون خطة محسوبة، على مضايقة وتفتيش ضباط الجيش وقادته،

وهم قوة مدججة بالسلاح واغوى وأكثر تنظيمًا من الحرس القومي. ومن غير الممكن وليس معقولاً ان يوافق الضباط على خضوعهم للتفتيش اربع مرات باليوم عند ذهابهم وعودتهم، بمن فيهم الضباط البعثيون الذين يسكون اهم المراكز والوحدات العسكرية والامنية.

ولذلك وكإنداز أولي أمطروا مكاتب وزير الدفاع صالح مهدي عماش، ورئيس أركان الجيش طاهر يحيى التكريتي ومعاونيه خالد مكي الهاشمي، ومدير الاستخبارات محيي محمود، وقيادة المكتب العسكري للبعث بشكواهم وتظلمهم. وكان ذا مغزى ان الضباط لم يلحظوا خلال محتتهم مع الحرس أي تعاطف من قبل علي صالح السعدي أو جماعته ولا من قبل قيادة فرع بغداد للحزب، بما يخفف عنهم ويشعرهم بوجود رغبة في تسوية الامر.

وعلى ضوء ما عرضت ولأسباب أخرى كثيرة، تحركنا مرات عديدة بهدف إيقاف تدهور الوضع وكان بين تلك التحركات، عقد اجتماع للقيادة القطرية في مكتب حازم جواد (بعد فترة قصيرة من الثورة)، ولم يكن علي السعدي موجوداً، وبعد التداول حضر السعدي فابلغته حازم جواد بقرار تنحيته عن وزارة الداخلية. فقال السعدي: ارفض ذلك وانا خارج من هذه الجلسة. فاجابه حازم اخرج واعتبر نفسك مفصولاً من الحزب منذ هذه اللحظة. وباليتمها حصلت ...

لكن السعدي استدار فجأة وجلس هادئاً كالتلميذ في كرسيه، قائلاً: ولكن أرجو ان تسمحوا لي باختيار الوزارة البديلة. فاختار وزارة الارشاد. وفي الواقع لم تكن نكير هذه الوزارة أهمية كبيرة، بل اعتبرناها خاضعة في أي وقت لتوجيهنا، مادنا في السلطة، فهي تنطق باسم الحكومة ولن تتحول مركزاً للاستقطاب.

انتهت الجلسة بخروج علي من الداخلية إلى الارشاد. في حين نقل مسارح الراوي من الارشاد إلى وزير دولة بلا وزارة وبلا مكتب. ولم يكن قرار القطرية حاسماً كفاية لكي يفهم الحراس القوميون انهم أخضعوا وعوقب رمز تسيبهم وفوضيتهم. كما ان التجربة العملية أثبتت ان وزارة الارشاد هي اهم مما تصورنا، خصوصاً إذا ما انتقلت من يدي مسارح الراوي وهو بعثي غير قيادي إلى يدي شخصية مثيرة مثل علي السعدي الذي جعلها مركزاً للاستقطاب ومركزاً ومقرراً للتأثير على الرأي العام البعثي وغير البعثي.

ولا بد لي هنا من التأكيد بان أحداً منا لم يفكر في تعيين هاني الفكيكي وزيراً للداخلية بدلاً من السعدي. وان عبد الستار عبد اللطيف لم يكن في موقع يسمح له بعرض وزارة الداخلية على الفكيكي أو حجبه عنها. فلم يحضر هاني اجتماعها عندما قررت تنحية السعدي وتعيين حازم في محله. فالقرار اتخذته المكتب السياسي الذي يتكون مني (طالب شبيب) وحازم جواد وعلي السعدي ومحسن الشيخ راضي وكرم شنتاف وحيد خلخال، بغياب حمدي عبد

الجيد، ولم يكن الفكيكي حاضراً في ذلك الاجتماع، رغم استدعائنا عضوين من قيادة فرع بغداد لأسباب تتعلق بالاختصاص والاستشارة، وكان أحدهم كما أتذكر د. فائق البراز (يعيش بأمريكا حالياً)، وأذكر أنه تحدث قائلاً: إذا خرج علي من الداخلية فلا يجب أن يحل محله غير حازم جواد. واعتذر حازم في البداية، ولكن لم يكن هناك بداً من قبولها. لأنه لم يكن بيننا من هو مرشح لها، ولم أكن أنا شخصياً أستطيع الجمع بين الخارجية والداخلية. ولم يفتح أي شخص آخر بمن فيهم الفكيكي، لا بأمر إخراج علي السعدي، ولا بتوزيع الحقائق الوزارية. وليس صحيحاً ما جاء بكتاب "أوكار الهزيمة" بأننا أنا وحازم جواد وعبد الستار عبد اللطيف عرضنا على الفكيكي وزارة الداخلية، ولم يقف أحد ضد تسلمه الداخلية أو غيرها. وارى ان ما كتبه لا يعبر إلا عن بواطن حلمه في ان يكون وزيراً، ولو كنا نعرف ذلك لأعطيناه وزارة!^(١).

مواجهة بين الجيش والحرس القومي

في تلك الفترة وبينما كانت الأمور تتفاعل، دخلت مكتب رئيس الجمهورية عبد السلام عارف في القصر الجمهوري لقضاء حاجات تتعلق بوزارتي، فوجدت عبد السلام يتحاور مع وزير الدفاع في موضوع التجاوزات اليومية على مؤسسات الدولة والجيش. وكنت في عجلة فاستأذنتهما علي ان أعود مرة أخرى. لكنهما أصراً على ان استمع إليهما. فتحدث صالح مهدي عماش قائلاً:

أنا لست عضواً في القيادة القطرية، وأريدك ان تستمع ليصل ما أقوله إلى أعضائها. وأضاف: انه يشعر بوجود تدمير بين قادة الجيش بسبب إهانات الحرس القومي لهم وإيقاف سياراتهم العسكرية على الحواجز، وتفتيش ركابها من الضباط ومعاملتهم بطريقة غير لائقة. وغالباً ما تأتي الشكاوى من ضباط بعثيين، شاركوا في الثورة. وتستطيعون الآن الاستفسار من وكيل وزير الداخلية ومدير الشرطة العام عن عدد الإصابات اليومية بين أفراد الحرس القومي بسبب سوء استخدام رشاشات بور سعيد المصرية الصنع، وهي ليست حسنة التأمين " وتثور " وتقتل الأفراد عندما يتمازحون أو يهدد بعضهم بعضاً لهواً ومزاحاً. وأحياناً

١ — بعد التدهور السريع الذي أصاب علاقة علي السعدي بالعسكريين، بعثيين وغير بعثيين، عقد اجتماع ضم الفكيكي والبكر وطالب وحردان وطاهر يحيى التكريتي وعبد الستار عبد اللطيف، واجمع الحاضرون على ضرورة إخراج علي السعدي من الحكم وتحذيره بأن الجيش مستعد لفرض ذلك الأمر. وبعد مداولات وتهديدات من البكر بالاستقالة تقرر تغيير وزارة السعدي من الداخلية للارشاد.

ويقول الفكيكي انه في مساء ذلك اليوم وقيل اجتماع المكتب السياسي لاقرار ماتم الاتفاق عليه، اتصل به طالب شبيب وعبد الستار عبد اللطيف وحاولا اقناعه باستلام وزارة الداخلية خلفاً للسعدي. ورفض الفكيكي ذلك الاقتراح، واقترح بالمقابل تعيين حازم جواد وزيراً للداخلية لانه الوحيد المعادل للسعدي في قيادة الحزب والدولة[2].

تنطلق عند سقوطها من ايديهم ارضاً. وحسب علمي ان هناك ست حوادث قتل أو موت تحصل يومياً للأسباب المذكورة. كما ويرتاد عدد كبير من افراد الحرس القومي الملاهي والحانات البغدادية الليلية، فيفرضون على اصحابها ما يشاؤون، وعلى الفنانين والفنانات من طلبات الاغاني إلى طلبات "المضاجعة". وستجدون كلما تعمقتم في البحث ما يصم الآذان ويزكم الانوف. وازف: ان كل ذلك مقبول ويمكن معالجته. ولكن الخطر الحقيقي سيكون في حالة دفع الامور إلى الاصطدام المسلح بين الجيش والحرس. ولن اسمح بذلك، بوصفي وزيراً للدفاع. وارجو ايقاف تلك الاستفزازات وإيقاف التشجيع الذي يلقيه الحرس القومي من علي صالح السعدي... انتهى كلام عماش.

اشرت وفكرت ملياً بما قاله عماش ، وحاولت أن أجد أسباباً لما يحصل. وكنت قبل ذلك قد قدّرت بأن بعض الفوضى ربما تعود إلى شعور عدم الرضى لدى بعض اعضاء القيادة القطرية من مؤيدي علي السعدي الذي بات لا يحترم احداً ويتغيب عن حضور اجتماعات مجلس الوزراء، بسبب عدم مشاركتهم في ادارة السلطة، فقررنا إلحاقهم بعضوية المجلس الوطني لضمان مساهمتهم في مناقشة وإقرار الاعمال الحكومية. لكن ذلك لم يخفف من الفوضى السائدة.

وحينها تذكرت وادركت بأن العقيد الركن عبد الكريم نصرت وهو أول قائد عام للحرس القومي، لم يقدم إستقالته لعدم كفاءته وإنما لعدم تمكنه من ضبط الفوضى. وان منذر الوندائي رغم شجاعته المعروفة، لم يكن أقوى ولا أشجع ولا أرجل من كريم نصرت، بل وجد نفسه غير قادر على السباحة ضد التيار، فسبح معه. وشكل التوافق بين القائد العسكري الجديد والقيادة العامة للحرس القومي كارثة لمسيرتنا وتجربتنا في السلطة^(١).

نقلت تحذير صالح مهدي عماش والقيادة العسكرية البعثية إلى القيادة القطرية للحزب، فتذمر علي السعدي وجماعته تدمراً سيتطور إلى خلاف شديد بيننا، بدلاً من استغلالها فرصة للمصارحة وإعادة التفكير والتقويم والعودة بالأمور إلى نصابها.

١ — من اكبر أخطاء القيادة العامة للحرس القومي هو استمراره بتأدية نفس المهمات التي قام بها في الايام الأولى لحركة ٨ شباط [3]. وبذلك أخذوا تدريجياً دور الشرطي ومراقب التموين والمخاتير ورؤساء البلديات. في حين كان البعثيون قبل السلطة يحملون بأفكار أكثر خطورة كالوحدة وتحرير الاراضي المحتلة ومكافحة التبعية الاقتصادية والثقافية والثورة على الاساليب القديمة والبحث عن مكان بين الحضارات المعاصرة. لكن تدخلهم بشؤون الدولة وضعها في خطر وأظهرها راكعة خاضعة وخائفة واخذت تكتسب احترامها الضروري من خوف المجتمع من الحرس القومي. اما الشعب فشعر بخوف لم يحس به من قبل بسبب وجود دولة أخرى غير نظامية وغير ملتزمة بحدود قانونية تتحكم بعلاقته بالشؤون العامة، مما صادر من المجتمع حياته المدنية وخلق عزلة وحذراً بين المؤسسة والمواطنين الذين يحملون إلى الحياة العلنية الأمانة ويفضلون التعامل مع القوانين الرسمية.

لجنة تحقيق برئاسة احمد العزاوي

وعلى ضوء التطورات الخطيرة وبعد حادث رؤساء البلديات شكلنا لجنة تحقيق حزبية على مستوى عال برئاسة المرحوم احمد العزاوي^(١) وقامت بجولة على كافة ألوية وأقضية العراق، وأعدت تقريراً ضخماً حول نوع الممارسات والتجاوزات على المواطنين وضد أجهزة الدولة.

وبعد إتمام عملها حصل اجتماع في وزارة الداخلية حضره حازم جواد ومحسن الشيخ راضي وأحمد العزاوي وأنا. وعندما سألنا عن النتائج أجاب العزاوي ضاحكاً: لو عرفتم ما فيه لحمدتم الله على ما تعلمون. قلنا: نريد نسخة من هذا التقرير، قال: لا نستطيع إعطائه الآن، لأننا لم نستكمل صياغته النهائية، ولم نتوصل بعد إلى توصيات واقتراحات محددة، وأضاف مازحاً: "قد لا نسلّمه لكم لأننا نعرف موقفكم من الحرس القومي، وبالتأكيد ستستخدمونه لمزيد من الدعوة إلى وقفه والتضييق عليه".

وفي الحقيقة لم نكن قد فكرنا حتى اللحظة الأخيرة في حل الحرس القومي لأننا ايضاً نظرنا إليه كاحتياط مسلح يحمي الحزب، بشرط أن لا يوضع في مواجهة القوات المسلحة التي يسيطر على وحداتها الرئيسية ضباط بعثيون سيطرة تامة.

أردنا للحرس القومي أن يكون عوناً لحفظ الامن الداخلي، لأن جهاز الشرطة فاسد ولا يعتمد عليه، ولم نرغب في أن نزج الجيش في مهمات الأمن الداخلي التي ستشوه سمعته وتبعده عن وظيفته الاساسية وهي الدفاع عن ارض الوطن ضد اي عدوان خارجي محتمل، وتأدية دوره الموعود في مهمات التحرير القومي.

لكن النتائج لم تأت مطابقة للآمال، لذلك فكرنا بحل تبقى معه قيادات الحرس القومي وقواته الرئيسية موزعة على مراكز اساسية على رأس عدد محدود من الحراس المرموقين والمؤمنين، في حين يذهب البقية منهم إلى أسرهم واعمالهم مع الاحتفاظ بالملابس والسلاح في بيوتهم أو في اماكن امينة يتفق عليها. ويرافق ذلك تنقية الجهاز من العناصر الضارة والانتهازية، مع تشكيل جهاز خاص كفوء للانذار السريع بامكانه الإشراف على نظام

١ — احمد العزاوي: عضو قيادة فرع بغداد وعضو القيادة العامة للحرس القومي وعضو القيادتين القطرية والقومية للبعث، ومسؤول مكتبه العسكري منذ عام ١٩٧١ اثر الحركة التصحيحية التي قادها الرئيس السوري حافظ الأسد. وقد تم اغتياله بعد محاولات عديدة فاشلة من قبل جهاز المخابرات العراقية وعمالته في عام ١٩٧٥. وكان شخصية حزبية مرموقة وخطيرة وشهد وقائع البعث العربي الاشتراكي وتنبأ بخطر الدكتاتورية منذ ١٩٦٣ [4] وتنبأ بمستقبل مظلم للعراق تحت سلطة (البكر — صدام) لذلك استعجل رفاقه واطراف المعارضة للقيام بعمل جاد، فسأهم في تأسيس التجمع الوطني العراقي الذي ضم الحزب الشيوعي (ق . م) والبعث (اليسار) وحركة القوميين العرب والحركة الكردية واطراف معارضة اخرى. ومنذ استشهاده لم تستطع المعارضة انشاء تجمع بنفس الفعالية والرسوخ رغم اتساع رقعة المعارضين وأعدادهم.

مدرّوس للتعبئة. ومن أجل تحقيق ذلك اقترحنا، مباشرةً قبيل انعقاد المؤتمر القطري الاستثنائي لحزب البعث، اخراج منذر الوندائي من قيادة الحرس القومي وتسليمها إلى ضابط غير سياسي هو المقدم عبد الستار رشيد لكي يقوده استناداً إلى قواعد عسكرية فنية، فيخضع للأوامر الرسمية القانونية. وجاء الاقتراح بعد مداولات بين حازم جواد والبكر وعماش وجهيل صبري ومحمد المهداوي وعبد الستار عبد اللطيف وآخرين، لكنه فشل لان منذر رفضه بشدة^(١).

أما فكرة حل الحرس القومي فلم تدرس ولم تطرح بيننا، ولم تدر في خلد أحد من البعثيين بإستثناء عبد السلام عارف وأولئك الذين إلتحقوا بالثورة قبيل وبعد إعلانها. وطرح عارف فكرة حل الحرس على هامش انعقاد المؤتمر الاستثنائي في ١١ تشرين الثاني ١٩٦٣، إلا إنسا (حازم وطالب) أبلغناه بصراحة ان حله غير ممكن، ولكن ضبطه بصورة معقولة سيعيد الأمور إلى وضعها الطبيعي، وأفضل ما نقوم به الآن هو تشكيل قيادة كفوءة جديدة له، تحترم القوانين وتتدبر أمر منع افراده من الخروج على الواجبات المقررة، وبذلك يتحول إلى احتياطي مفيد ومكمل للجيش والشرطة والأمن.

وعند انعقاد المؤتمر الاستثنائي لم يطرح أحد في المؤتمر أية ملاحظة حول مستقبل الحرس القومي. ولو كنا نرغب بحله لأذعناه مباشرةً خصوصاً بعد أن أعلنت وحداته التمرد علينا. وعلى أية حال فلم نحصل على الفرصة لتنفيذ ما فكرنا به من أجل تأهيل الحرس بسبب قيام عبد السلام عارف بانقلابه العسكري في ١٨ تشرين الثاني ٦٣ وإعلان حله وانتهاء حكم حزب البعث.

ان ما يؤكد صحة ماذهبت إليه من اننا لم نضمّر العداوة للحرس القومي، ولم نرغب بغير الإصلاح هو ان أياً من قادة الحرس الحاضرين في المؤتمر القطري الاستثنائي، الذي انتهى بتسفير علي السعدي وإركانه، لم يوقف أو يعتقل أو يجرد من مهنته ورتبته الحزبية. وكان يحضر المؤتمر كل من نجاد الصافي نائب القائد العام للحرس القومي وأحمد العزاوي عضو قيادته العامة فضلاً عن الوندائي وغيرهم، وقد خرجوا من المؤتمر سالمين وعادوا إلى

١ — يذكر ان المؤتمر القومي السادس الذي انعقد بدمشق، خلال الازمة الداخلية العراقية، بين ٥ — ٢٣ تشرين أول (أكتوبر) ١٩٦٣ قد اشار إلى تمسكه بالحرس القومي رغم تحذيره من الاخطاء التي يرتكبها اعضاؤه. وأكد ان الحرس القومي هو حصن الثورة، ويجب توسيع تجربته ليصبح قادراً على تأدية مهام ثورية في ميدان البناء الاشتراكي، وفي توعية الجماهير الشعبية، والوقوف بحزم ضد اي خطأ يقع فيه بعض افراده.

وواضح تأثير خط السعدي والمتحالفين معه من السوريين على اعمال المؤتمر القومي السادس الذي استخدم مصطلحات الاشتراكية الديمقراطية والعلمية وتسليم السلطة للعمال والفلاحين. فضلاً عن الموافقة على قيام وحدة ثنائية عراقية — سورية، يبقى فيها الباب مفتوحاً أمام مصر. وضرورة اقامة علاقات وطيدة مع الدول الاشتراكية. كما نجح السعدي في ابعاد طالب شبيب وحازم جواد من عضوية القيادة القومية.

مقراتهم ليقودوا التمرد والثورة علينا. فلم تكن لدينا خطة ضدهم، بل كان هدفنا استعادة هيبة الدولة والقانون بحيث يأخذ الحرس مكانه فيها، وليس ليكون بديلاً عن كل شيء. بما في ذلك الدولة والحزب، ولا أن يصبح جهازاً عسكرياً محضاً موازياً للجيش النظامي، لأن أي بلد لا يهتم وجود جيشين. ومن الطبيعي أن تكون التجاوزات ضد القانون غير مقبولة حتى في أكثر البلدان تخلفاً وفوضوية.

سؤال: هل تعتقد أن القارئ سيكتفي، إذا تحدثنا عن الحرس القومي دون بحث الاتهامات الموجهة إلى بعض لجان التحقيق في بغداد وخارجها؟

طالب شبيب: في الأسبوع الأول للثورة، قرر المجلس الوطني لقيادة الثورة تشكيل لجنة عليا من مسؤولين في الحزب، لديهم معرفة تنظيمية وسياسية بتركيبة الحزب الشيوعي واساليب العمل السري المعتمدة. وذلك بعد تكاثر عدد المعتقلين الشيوعيين ولعدم وجود لجان متخصصة تكفي للنظر في قضاياهم. وايضاً بسبب عدم الثقة بالاجهزة التقليدية الموروثة من عهد عبد الكريم قاسم. وكان بين المكلفين بهذه اللجنة اعضاء من قيادة فرع بغداد وشعبها كنجاد الصافي وابو طالب الهاشمي ومدحت إبراهيم جمعة واحمد العزاوي وبهاء شبيب وعمار علوش ثم التحق بهم ناظم كزار وصادق التكريتي وعبد الكريم الشيكلي (قبل تعيينه معاوناً للملحق العسكري في بيروت).

واستطاعت هذه اللجنة في فترة قصيرة كشف الحجم الحقيقي للتنظيم العسكري للحزب الشيوعي، ولو كنا عرفنا مدى سعتة وامتداده قبل الثورة، لفكرنا ألف مرة قبل الاقدام عليها. إذ بلغ عدد منتسبيه بين القادة والضباط ونواب الضباط وضباط الصف ما يتجاوز الألفين^(١).

١ - حتى ١٩٦١ وصل اعضاء الحزب الشيوعي في الجيش إلى ٥٠٠ ضابط، وثلاثة آلاف من الجنود وضباط الصف من اصل خمسة الاف ضابط (مجموع ضباط الجيش العراقي) و مائة وعشرة الاف عسكري، وهو مجموع افراد الجيش العراقي[5]. وبلغ عدد الضباط الذين يدفعون تبرعاً شهرياً للحزب الشيوعي حوالي ١٢٠٠ ضابط وآلاف من الجنود والمتعاطفين[6]. ويلي الشيوعيين من حيث عدد المنتسبين من افراد القوات المسلحة تنظيم اخوان المسلمين ثم البعثيين والقاسميين[7]. وبسبب قوة الحزب الشيوعي ومعاملة قاسم القاسية للشيوعيين، فكر عدد من قادتهم العسكريين باستلام السلطة وكان أولهم الرئيس المتقاعد فاتح الجباري، تلاه في المطالبة بعد فترة (عام ١٩٥٩) خزعل السعدي وحليل إبراهيم. ثم الخطة التي قدمها قائد القوة الجوية جلال الاوقاتي للاطاحة بقاسم، والتي تضمنت الاستعانة بوحدة موجودة في بغداد للاستيلاء على وزارة الدفاع وتسفير قاسم إلى احدى الدول الاشتراكية. لكن المكسب السياسي للحزب الشيوعي رفض التغيير ضد قاسم في اجتماع حضره كل من سلام عادل وزكي نخري وعامر عبد الله وعبد السلام الناصري ومرشح المكتب السياسي عزيز الشيخ. وكان هؤلاء جميعاً يضاف لهم بهاء الدين نوري وثابت حبيب العاني يقفون ضد مبدأ استلام السلطة، ويستثنى منهم فقط سلام عادل الذي كان مع فكرة استلام السلطة،

←

مقارنة بتنظيمات القوميين بمن فيهم منتسبو حزب البعث والتي لا يزيد أعضاؤها عن ٤٠٠ عسكري.

أما التنظيم الشيوعي المدني، فقد تمكنت لجنة التحقيق الخاصة من كشفه بسرعة، ونجحت باعتقال قيادة الحزب وسكرتيه العام وداهمت كل مراكزه وأوكاره السرية ومخابئ أسلحته خلال أيام. وتمكنت من تجنيد عدد من قيادي الصف الثاني المتعاونين مع لجان التحقيق، في المطاردات إذ سمح لهؤلاء الخروج والعودة إلى المعتقلات لجمع معلومات عن كواد الحزب الذين مازالوا أحراراً. وكانت تلك النجاحات سبباً في إطلاق سراح الكثير من المعتقلين عشوائياً أو المعترفين وغير المفيد للتحقيق.

وزير الدفاع عماش يأمر بقتل شيوعيين متعاونين

لعب عدد من الشيوعيين المتعاونين مع لجان التحقيق دور العميل المزدوج لحزبهم وهيئات التحقيق. فيخبرون سكان الأوكار قبل مدهمتها بقليل ليتمكنوا من الفرار. لكن نجاح الحرس القومي في إلقاء القبض على بعض الهاربين من أوكارهم، كشف ازدواجية وتواطؤ أولئك الأدلاء، فعملوا بسرعة على سد الثغرة ومعاقبة المسؤولين عنها.

وأشهد أن الحرس القومي والجهاز الحزبي كانا ديناميكين وقاما بدورهما في التعقب والحماية والتحقيق بكفاءة عالية وحذافة تعادل أو تفوق حذافة الشيوعيين واجهزتهم الخاصة التي ساندت "محكمة الشعب" ضد القوميين أيام المد الشيوعي والمقاومة الشعبية.

وأرى ان اجهزة صدام حسين قد استفادت كثيراً من تراكم الخبرة، فتعلمت كيف يمكن حكم شعب غصباً عنه بواسطة ايجاد جهاز خاص منظم، يفهم آلية المعارضة، ويعيش افراده داخل المجتمع، يخدم الدولة وهو منفصل عنها بنفس الوقت. وبذلك يمكن الاحاطة بالخصم وتقليص مدى حركته وتدميره.

استغل صالح مهدي عماش (وزير الدفاع) فرصة غيابنا، أنا والسعدي، في القاهرة للتحضير لمحادثات الوحدة، فذهب إلى "قصر النهاية" ومعتقل "ابو غريب" ومعتقلات التحقيق الاخرى وطلب تسليمه حوالي عشرين شيوعياً معتقلاً بينهم ١٨ من المتعاونين المزدوجي الولاء وأمر بإعدامهم، وبعد تنفيذ الإعدام ذهب إلى مجلس قيادة الثورة وحصل على قرار للمصادقة على قتلهم، رغم معارضة حازم جواد ومحسن الشيخ راضي وهاني الفكيكي وحيد خلخال وآخرين،

وهذه الجماعة بالإضافة إلى مجموعة خط آب ١٩٦٤، حطمت معنويات الشيوعيين وألحقت بها هزيمة أكبر من الهزيمة المادية التي لحقت بهم عام ١٩٦٣.

لان غيابنا رجع كفة العسكريين داخل مجلس قيادة الثورة^(١)، ولم تكن ازدواجية ولاء بعض المغدورين سبباً كافياً لقتل جميع المتعاونين، بل كان لبعضهم دور هام في إلحاق أكبر الضرر بتنظيمات الحزب الشيوعي العسكرية.

وعلى اثر مجزرة عماش المذكورة تقرر عدم تسليم المعتقلين إلى أي شخص مهما كانت صفته أو مركزه، خصوصاً أن عدد من أعضاء اللجنة الخاصة قدموا استقالاتهم وأبلغوني قراراتهم (وبينهم أخي بهاء شبيب)، فقدمت لهم الدعم والتأييد وطلبت منهم عدم الاشتراك بأي نشاط، قبل إيقاف الأعمال الكيفية الحقود. وأخبرنا أعضاء اللجنة التحقيقية الرئيسية أن القتل في هيئات التحقيق أصبح نهجاً وثأراً من الماضي، أكثر منه عملاً أمنياً يستهدف حماية الحاضر، وبأن استمرار هذا النهج سيؤدي إلى قطع الأمل بالعفو والمصالحة.

منذ تلك الحادثة قررت القيادة القطرية ربط هيئة التحقيق كلها بمكتب جديد سمي بالمكتب الخاص ورئيسه عضو قيادة قطر العراق لحزب البعث هو محسن الشيخ راضي، وتم بوجود المكتب الجديد قطع صلة هيئات التحقيق بوزارة الداخلية ووزيها حازم جواد وبمدير الأمن العام جميل صبري البياتي. و بصراحة لا يمكن توجيه اية تهمة لمحسن الشيخ راضي الذي تسلم مكتبه بعد حوالي شهرين من الثورة، أي بعد تدمير البنية الأساسية للحزب الشيوعي.

أما قبل وجود المكتب الخاص فكانت هناك لجان مكلفة من القيادة القطرية ومجلس قيادة

١ - يتكون مجلس قيادة الثورة من المدنيين : علي صالح السعدي، حازم جواد، طالب شبيب، محسن الشيخ راضي، حمدي عبد المجيد، كريم شنتاف، حميد خلخال، هاني الفكيكي، سعدون حمادي، ويصوت معهم من العسكريين عندما يتعلق الامر بالإعدامات كل من منذر الوندائي، عبد الكريم مصطفى نصرت، انور عبد القادر الحديشي، وأحياناً خالد مكي الهاشمي. أما اعضاؤه العسكريون فهم: عبد السلام عارف، احمد حسن البكر، صالح مهدي عماش، عبد الستار عبد اللطيف، طاهر يحيى التكريتي، ذياب العلكاوي، خالد مكي الهاشمي، كريم نصرت، عبد الغني السراوي، حردان التكريتي، منذر الوندائي وانور عبد القادر.

أما الشيوعيون الذين تعاونوا مع لجان التحقيق أو عملوا خطأ ما نالاً بين الطرفين فمن بينهم: عباس خضير الخفاجي، عبد الوهاب عبد الرزاق (مرشح لجنة مركزية في فترة سابقة وأصبح وكيلًا مندساً على الحزب الشيوعي منذ ١٩٤٧)، حسين طه (عضو لجنة مركزية في مرحلة سابقة ايضاً واستدعي لمعاونة لجان التحقيق)، رسمي العامل (الذي تعامل مع بهجت العطية مدير التحقيقات الجنائية الملكية، ولم يحاسبه عبد الكريم قاسم)، وهاشم حسين (مسؤول الموصل).

و يعتقد الفكيكي إن عملية القتل تمت بسبب تسرب دعاية حول إمكانية أن يبدأ البعثيون والشيوعيون حواراً للتفاهم خصوصاً مع قادة الحزب الشيوعي المعتقلين، فجرى تدبير المجزرة المذكورة لقطع الحوار [8] وكان أحد أهم أبطال مجزرة عماش ضد الشيوعيين المتعاونين عبد الكريم الشيعلي الذي كوفي، بدلاً من معاقبته، بتعيينه معاوناً للملحق العسكري ببغروت.

الثورة، ومزودة بتعليمات خاصة لا تتضمن اية موافقات بالقتل. فلم نعط اية جهة، بعد اليوم الأول للثورة، صلاحيات بالقتل. وإن جميع الأحكام التي صادق عليها المجلس الوطني لقيادة الثورة قد جاءت بعد التنفيذ، أي بعد أن صارت أمراً واقعاً مفروضاً.

لم تكن اللجان المذكورة وحدها مسؤولة عن التصفية الجسدية للخصوم السياسيين، إنما حصلت أعمال فردية كثيرة خصوصاً في الأيام الأولى. و لم نكن نعرف بها، وساهم فيها طلاب ثار أو أشخاص ينتمون لحركات قومية وناصرية^(١) وكان أسوأها المجزرة التي نفذها عماس ضد الضباط في معسكر الرشيد، وأعمال قتل قيادة الحزب الشيوعي التي لم نكن بحاجة اليها.

ويجدر بنا الاعتراف بأن الخمسة ايام الأولى قد مرت بلا تخطيط وبلا قرار قيادي واضح ونافذ، فحصل خلالها جل اعمال التعذيب والقتل. وكانت عشوائية قبلناها من اجل شل الجهاز العسكري الشيوعي.

١ — أصبح قصر النهاية مقراً للمكتب الجديد "المكتب الخاص" الذي تتبعه جميع هيئات التحقيق وفي مقدمتها مقر محكمة الشعب (سابقاً) ومركز تحقيق المأمون والنادي الأولمبي ونادي النهضة وكان تعيين محسن الشيخ راضي محاولة لتفادي الاعمال الكيفية في تلك المراكز. لان الشيخ راضي كان اعلى مرتبة حزبية من صالح مهدي عماس واحمد حسن البكر وطاهر يحيى ورشيد مصلح التكريتي الذين اعتادوا تغذية مراكز التحقيق التي مارست القتل ورمسى الجثث في مكانات مختلفة لاسيما نهر دجلة. وهذه الحقيقة هي عكس ما تنص عليه الشيوعيون بأن رئيس المكتب الخاص يصبح مسؤولاً عن كل المجازر. ورغم أن الشيخ راضي لم يكن متعاطفاً مع الشيوعيين، لكنه كان واحداً من القادة المدنيين الذين لم يتبنوا اعمال القتل غير المبررة، ولم ينظروا للامر بصورة ثارية، بل ادى تشكيل المكتب الخاص بداية الاحتكاك والاختلاف بين قيادة البعث المدنية من جهة وبين عبد السلام عارف وعماس والبكر وعبد الغني الراوي وغيرهم من جهة اخرى.

مراجع:

- [1] خليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم (السقوط) ص٣٤٤ رسالة ارسلها ذياب العلكاوي إلى خليل إبراهيم.
- [2] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة ، مرجع سابق، ص ٣١٢ .
- [3] احمد العزاوي، لقاء بدمشق عام ١٩٧١ .
- [4] راجع كتاب هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مصدر سابق.
- [5] ثابت حبيب العاني، رسالة العراق، مصدر سابق، ص ٢٠ .
- [6] باقر إبراهيم، مقابلة بدمشق عام ١٩٩٤ .
- [7] ثابت حبيب العاني، مرجع سابق، ص ٢٠ .
- [8] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مصدر سابق ص٧٦ و ص٣٥٤ .
- [9] نشرة الطليعة، لسان حال حركة القوميين العرب ، صادرة في ١٣ شباط ١٩٦٣ ، مأخوذة من جمال باروت، حركة القوميين العرب ، مصدر سابق، ص١٨٠ .

شيوعيون وبعثيون

حظ الانتساب : من حوار المفاهيم إلى حوار الدم

سؤال : كان الشيوعيون بنصف سلطة وحكم البعثيون مرتين ، فهل حان الوقت لحساب الفوائد والأضرار التي لحقت بالمجتمع العراقي جراء احتراهما ؟ وهل من دروس مستفادة وجذرية ؟

طالب شبيب : ليس من اليسير الإجابة على هذا السؤال. فما حصل في الماضي تحكمت به عوامل متشابكة كثيرة داخلية وخارجية، كالإيديولوجيات والمناهج الوافدة من الخارج والمفاهيم والظروف المحلية الراسية والإلحاح في أدلة المفاهيم القومية البسيطة أصلاً وتحميلها مضامين معقدة ومتطرفة أو غير واقعية، أضرت بمسيرة الشعب العراقي ورجحت كفة الصراع والتصادم على كفة الوفاق والتكامل، وتركت آثاراً خطيرة على كلا الحزبين في نشأتها وتطورهما وحاضرهما، وربما ستؤثر على مستقبلهما.

اتسمت العلاقة بين الحزبين على طول الخط بالمنافسة الحادة بسبب تبنيهما شعارات واهدافاً متقاربة وتستهدف نفس الميدان، فكلاهما رأى في الاشتراكية ومعسكرها وحركات التحرر الوطني العالمية عوناً ونصيراً، وكلاهما طالب بالعدالة الاجتماعية وإعطاء الحريات وتطبيق الديمقراطية البرلمانية وضمان حرية التعبير والتجمع وحقوق الإنسان . . الخ لكنهما تنكرا لكل ذلك بمجرد إمساكهما بالسلطة.

لكن التنافس بينهما اتخذ أسوأ أشكاله بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ عندما حاول الحزب الشيوعي استثمار الواقع الجديد والمد الثوري الذي اكتسح العالم واستفاد من تعاطف حكومة عبد الكريم قاسم، للهيمنة الكاملة على الشارع العراقي والوقوف ضد شعار الوحدة العربية ومناهضة نظام جمال عبد الناصر واضطهاد الأحزاب التي لا تسير بركابه، فألغى وهو ما زال خارج السلطة كل مقومات الديمقراطية التي ظل يدعو إليها منذ ما قبل ثورة ١٤ تموز بفترة طويلة. والأسوأ من هذا كله كان عدم تخلي الحزب الشيوعي عن ممارساته السلطوية وعن طريقته في فهم الأمور حتى بعد ان تخلى عبد الكريم قاسم عن دعمه له ووقوفه ضد تجاوزاته، بل انه هبّ في ١٤ رمضان ١٩٦٣ حاملاً السلاح بوجه حزب البعث دفاعاً عن ديمقراطية قاسم رغم أنه كان حينذاك حزباً مضطهداً، تكتظ المعتقلات بمئات من أنصاره،

ورغم ذلك فقد جاءت البيانات التي أصدرها الحزب الشيوعي صباح ١٤ رمضان غاية في السوء والتحريض على القتل والإبادة. ولو شاء لثورة رمضان ان تفشل لخاض العراق في حمام دم تصبح معه قصص وحوادث الموصل وكركوك أحداثاً بسيطة^(١).

وقد لاحظت القيادة القطرية للبعث خطر تفاقم الصراع بين الحزبين على وحدة المجتمع، فطلبت إليّ في عام ١٩٦١ إجراء اتصال مع الحزب الشيوعي لمعرفة إمكانية التعاون بيننا أو على الأقل التفاهم لكي لا نتحارب خلال سعي كل منا لاستلام السلطة، فأوصلت تلك الرغبة إلى نوري عبد الرزاق حسين وهو صديق العمر وطلبت ان التقى به لكن هذا اللقاء، مع الأسف، لم يتم^(٢).

١ — غير معروف بالضبط عدد البيانات التي أصدرها الشيوعيون خلال الأيام الأولى من ١٤ رمضان، ولكن ما يعتقد انه البيان الأول تضمن الدعوة إلى حمل السلاح وصدر بعد حوالي ساعة ونصف من إعلان الحركة على شكل نداء جاء فيه "قامت عصاة حقيرة من الضباط الرجعيين والمتآمرين بمحاولة يائسة للاستيلاء على السلطة استعداداً لاعادة بلدنا إلى قبضة الإمبريالية والرجعية. وبعد ان سيطروا على محطة البث الإذاعي وانكبوا على إنجاز غرضهم الخسيس، فانهم يحاولون الآن تنفيذ مجزرة بحق أبناء جيشنا الشجاع. يا جماهير شعبنا المناضل الفخور ا إلى الشوارع ا طهروا بلدنا من الخونة! إلى السلاح دفاعاً عن استقلال شعبنا ومكتسباته. شكلوا لجان دفاع عن كل ثكنة عسكرية وكل مؤسسة وكل حي وكل قرية. سيلحق الشعب بقيادة قواه الديمقراطية الخزي والهزيمة بهذه المؤامرة الجبانة كما فعل بمؤامرة الكيلاني والشواف وآخرين، اننا نطالب الحكومة بالسلاح ا إلى الأمام ا إلى الشوارع ا اسحقوا المؤامرة والمتآمرين"[1].

وصدر بيان آخر جاء فيه "الخونة والمتآمرين محصورين في أبو غريب، ان بعض الزمر تحاول توسيع عملياتها في بعض أنحاء الكرخ. الجماهير تسيطر في جميع أنحاء بغداد وسائر بقاع البلاد. اننا ندعو الجماهير لمهاجمة الجيوب الرجعية وسحقها دون رحمة وعدم الانتظار. ان استقلالنا الوطني أمام خطر مؤكد اسحقوا المتآمرين . استولوا على السلاح من مراكز الشرطة ومن أي مكان وجد فيه وهاجموا المتآمرين عملاء الاستعمار. ان الخونة يحاولون من الجو قصف معسكر الرشيد ووزارة الدفاع وسائر المعسكرات التي تسيطر عليها جماهير الجنود والضباط المخلصين. ان الزعيم عبد الكريم قاسم والعبد والمهداوي وسائر الضباط المدافعين عن استقلالنا الوطني بمسكون الآن بقوة قيادة الجيش. ان دحر وسحق المتآمرين هي المهمة العاجلة من اجل صيانة الاستقلال ومن اجل الديمقراطية. مارسوا حقوقكم الديمقراطية كاملة . ان تقليص حقوق الشعب الديمقراطية هي التي أعطت للخونة مجال التآمر. إلى السلاح إلى الهجوم في كل أنحاء بغداد والعراق لسحق جيوب عملاء الاستعمار والمتآمرين" ٨ شباط ٦٣ الحزب الشيوعي العراقي[2]

ولا يخفى ما في البيان الثاني من ندم على عدم المبادرة لاستلام السلطة، ومن العتاب والغمز لعبد الكريم قاسم بسبب منعه السلاح عن جماهير الشيوعيين ولعدم تصديقه لتحذيراتهم كما يتضمن دعوة خفية للاستيلاء هذه المرة على السلطة كاملة. لكن الجماهير التي خرجت إلى الشارع لم تمتلك خطة معينة فخاضت مواجهات متفرقة في أنحاء بغداد ومعسكر سعد والوشاش وأبو غريب. وقد أشار بيان للقيادة المركزية للحزب الشيوعي المنشقة إلى مثل ذلك حينما قال "لقد خسرن معركة ٨ شباط منذ العام ١٩٥٩" ويقصد التخلف عن القفز إلى السلطة التي كانت بين أيديهم تقريباً.

٢ — درس طالب الشبيب الثانوية في "كلية الملك فيصل" بعد ان جاء الأول على تلاميذ متوسطة محافظة الديوانية، ودخل قسمها الداخلي وبعد سنتين أغلقت المدرسة لأسباب سياسية. وقد أسس الحكم الملكي هذه المدرسة لتهيئة

←

وعلى عكس ما رغبت استمرت سمة التصادم غالبية وكانت مبادرات العداء تأتي باستمرار من طرف الحزب الشيوعي الذي لم يتوقف إطلاقاً عن تحريض قاسم ضدنا والإشارة إلى كتيبة الدبابات الرابعة محذراً بأنها ستقوم بمحاولة انقلابية ضد النظام^(١). وتكرر التحريض عندما دعونا للإضراب الطلابي الكبير قبيل ثورة ٨ شباط. فقد قاومه الشيوعيون رغم عدالة مطالبه ومقاصده ونجاحه في اغلب مدارس ومعاهد وجامعة بغداد. واخيراً توجهوا مواقفهم العدائية باصطدامهم الخطير بنا يوم ٨ شباط وما تلاه من أحداث مؤسفة من قبلنا حطمت أوهام الوفاق والتفاهم.

ولم يكن ما حصل من تطورات سيئة بين الحزبين سوى انعكاس عملي عن الاختلاف النظري بين المنحى القومي والاممي وبين منظومتين مفاهيمهما. فلم يستطع الحزب الشيوعي العراقي تقدير أهمية الحركة القومية الجديدة وتأثيرها المتصاعد بل لم يستوعب ان ذلك المد القومي الذي بدأ يمتاح المنطقة في الخمسينات والستينات لم يكن "تقليعة" عابرة أو موجة طارئة. في حين ظن ان التبعية للمعسكر الاشتراكي ستحقق الانتصارات في المجالين الوطني والقومي والاممي، إذ فسر الشعار السوفييتي القائل ان "سمة العصر هي الصراع بين المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفييتي والمعسكر الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية". على انه لا نصر محلياً قبل حسم الصراع العالمي الكوني وبالتالي فلا أهمية للصراعات

أبناء الذوات والمتفوقين ككواثر للعمل في إدارة الدولة، لكن الحركة الوطنية المعارضة تمكنت من تحويل طلابها إلى بؤرة للمعارضة والتمرد. وبين طلابها طالب شبيب وعامر عبد الله ونوري عبد الرزاق وباقر إبراهيم الموسوي وموفق مصطفى العمري وهشام صفوت وغيرهم. وكانت القيادة القومية قد وجهت طالب شبيب للاتفاق مع الحزب الشيوعي على هدنة تقوم على قاعدة "لا تلاقي ولا تصادم". ويدعي الشيوعيون انه هم حاولوا طيلة عهد قاسم الاتفاق مع البعثيين. وبتكليف شخصي اتصل د. عبد الحسين شعبان بنوري عبد الرزاق وسأله حول حقيقة اتصال الشبيب به ؟ فأجاب "ان احداً من أقارب الشبيب اتصل بي عام ١٩٦٠ وأبلغني تحيات طالب واستفساره عني... ولأن طالب كان صديقاً وزميل دراسة، اعتبرت الأمر مجرد تحية من صديق" وذلك يعني أن الرسالة لم تصل إلى الحزب الشيوعي العراقي كما يجب بل انها لم تصل، وربما كانت الظروف الاستثنائية هي السبب الذي حال دون ذلك اللقاء. وكان نوري عبد الرزاق قد كتب في عام ١٩٦٠ موضوعاً في جريدة الشبيبة تحت عنوان "ينبغي استعادة التيار القومي"، وكان أشبه بدعوة للقاء[3].

١ - لم تصل إلى عبد الكريم قاسم تحذيرات عن الكتيبة الرابعة وعن انقلاب بعثي محتمل من الشيوعيين فقط بل فعلها آخرون أيضاً، فإذا عدنا إلى محاضر محادثات الوحدة لرياض طه سنقرأ فيها ان علي السعدي اخبر عبد الناصر بان جماعة اكرم الحوراني في سوريا عليموا بطريقة أو أخرى خطط البعث لاستلام السلطة في بغداد، فاجبروا قاسم بواسطة "شريف الراس" وكان ناطقاً بإسم الحوراني ويعمل في الصحافة العلنية فنشر فيها يقول "ان هناك مؤامرة في العراق". واذاف السعدي ان هذا يعني انهم تأمروا ضدنا وذكروا الأسماء "ووصل الخبر إلى بغداد ولسو لم... الله يحميننا!![4]. اما الشيوعيون فلم يعتبروا أنفسهم وشاة بل مدافعون عن أنفسهم فقد قال عضو لجنتهم المركزية حامد ايوب: "لم تكن مجرد وشاة كما قد تتصورون ولكن كنا ندافع عن أنفسنا فقد تنبأنا لما سيحصل لنا والمجتمع إذا ما نجح خصوصنا، وقد تحقق ما تنبأنا به فعلاً بعد سقوط حكومة قاسم التي لم تستمع جيداً إلى تحذيراتنا".

والاهتمامات القومية والإقليمية، حتى بالنسبة لسكان الأقاليم التي تعاني مباشرة من مشاكل خاصة، إذا لم تنخرط في سياق النضال السوفيتي ضد أمريكا.

وكان ذلك تقييداً وإهمالاً مفضوحاً للمشكلات القومية الواقعية الضاغطة التي لن يتسنى لاية أمة ان تمتلك قدرة المساهمة بأي جهد عالمي قبل حلها. وبالمقابل أراد الشيوعيون فرض مفهوم غير واقعي لفكرة الأمية بدلاً من توظيفها بشكل عملي ومفيد يمكن من خلاله لعب دور أممي إيجابي في سياق تحقيق الأمان القومي والوطنية، من خلال التصدي للاستعمار ومنعه من التدخل في شؤون بلداننا وإقامة تضامن فعال بين الكتل الإقليمية كمجموعة الدول العربية أو الإسلامية أو العالم الثالثية. لذا فان ما طرحناه على الشيوعيين لم يكن أمراً غريباً، فقد حصل ان تحقق ذلك في بلدان أوروبا الغربية التي لم تستطع ان تنطلق أممياً لتحقيق أهداف ومصالح ذات بعد دولي إلا بعد ان اخذت قضايا أممها القومية مدياتها كاملة وبعد نضوج تجاربها الديمقراطية الداخلية تمهيداً للتعاون الإقليمي بين أمم القارة الأوربية لتوحيد النظم ومعالجة الوسائل المشتركة بصورة يُتوقع ان تؤدي تدريجياً إلى اضمحلال الكيانات الصغيرة ضمن كيان أوربي ديمقراطي واسع ومتقارب اجتماعياً. فكيف الامر إذن مع أمة عربية واحدة بلغة وتاريخ وارض وديانة وثقافة وميول وأحلام مشتركة.

إذا عدنا لموضوعنا، سنجد الحزب الشيوعي في الوقت الذي أهمل فيه كل هذه الجوانب أراد بمختلف الوسائل منع القوى الأخرى من تبني أفكار مختلفة عن أفكاره، مما أدى إلى اصطدامه بالقوميين والبعثيين وكان الاصطدام برأبي حتمياً^(١)، لأننا لم نختلف بالفكرة فقط بل

١ — في تلك المرحلة كان كلا الطرفين (الشيوعي والبعثي) يعيش حالة من الازدهار والعنفوان مدفوعاً بقناعة مطلقة بأهدافه وباعتقاد راسخ بأن حياة ومستقبل الأمة أو المجتمع متوقفة على نجاحه. فالفشل غير ممكن والنصر حتمي بإرادة من التاريخ !! تلك الإرادة الضرورية التي ستصل حتماً إلى غاياتها !! لكن دور الحزب سيدفع الأمور بسرعة أكبر بكثير. وكان كل طرف يعتقد جازماً انه يعرف خطة "التاريخ" ومن هذه المعرفة يستمد حقه الشرعي (الرسالي)، رسالة التاريخ أو الرسالة الخالدة في تصفية وإزاحة العوائق التي تقف في طريقه الذي أصبح طريق الأمة الوحيد، الأمر الذي جعل العقل ينزوي جانباً والتفاهم غير ممكن والتصادم حتمياً، وتطلب جولة طويلة ومفرغة من الالام والدماء والاحباطات لكي يصل كل منهما إلى قناعة أخرى. وكما تقدمه للدم المسال تحاور الجانبان عبر صحافتهما السرية فكتب الشيوعيون محذرين ومنهممين، فيما ختمت صحيفة البعث الداخلية (الاشتراكي) ذلك الحوار بمقال بعنوان "تقطع اليد التي تمتد إلى الشيوعية". ويذكر زكي خيري في مذكراته [5] ان حزب البعث ابلغ كامل الجادرجي رده النهائي، ونقله الجادرجي إلى عامر عبد الله وقال فيه اننا "عازمون على هدم مقر قاسم على رأسه وان نصيحتهم الوحيدة للشيوعيين هي ان يتخلوا عن الدفاع عن قاسم نهائياً ويلتزموا الحياد!!". . . . ومن يعرف الوضع جيداً حينذاك يعرف جيداً انه كان طلباً مستحيلاً.

أما خلفية امتلاك الأحزاب السرية للقوة في العراق فرمما جاءت من انعطافة سياسية حكومت نوري السعيد عام ١٩٥٤ نحو العنف، ومصادرتها للحريات وحل البرلمان مما أدى إلى إضعاف الأحزاب الليبرالية العلنية المسالمة وتجميد نشاط بعضها الآخر، فخلت الساحة للأحزاب السياسية السرية المتناسكة ليرث البعث والقوميون حزب الاستقلال، ويعتمد

تبنى كل منا عقيدة ثابتة هي مقاومة أي تغيير لا يكون هو طرفاً أساسياً فيه، خاصةً وأن الشيوعيين كانوا سيقاومون أي تغيير ليس شيوعياً.

وكان البعثيون يعرفون ذلك ويهيئون أنفسهم لرد فعل عنيف إذا ما حصل التعرض الشيوعي المحتم والأكيد، رغم أن البعث لم يكن يعتبر الشيوعية فكرة عدوة له ولم يرَ الاصطدام بها أمراً مرغوباً أو مفيداً للامة والوطن. لكنه وفي كل مرة حاول فيها طرح شعاراته الخاصة على الجماهير، وجد نفسه في مواجهة الشيوعيين الذين لم يعطوا للسلام السياسي والاجتماعي اية فرصة بل صعدوا التحريض ضدنا من خلال مجريات المحكمة العسكرية الخاصة وأحداث الموصل وكر كوك عام ١٩٥٩، التي كانت أمثلة صريحة على منهج الهيمنة المطلقة وعلى رغبة التصادم مع القوى التي تنوي الدخول بشعارات أخرى إلى الساحة السياسية العراقية . وكان الاجدر ان يعير الشيوعيون انتباهاً لما سيعكسه سلوكهم من أخطار على مستقبل العلاقات والتعاون بين القوى الوطنية. وشملت رغبة الهيمنة عندهم ليس فقط ساحة عمل الأحزاب القومية العربية بل تعدتها إلى الحزب القومي الكردي الرئيسي (البارتي) والحزب الوطني الديمقراطي ومضائقه زعمائه الكبار امثال كامل الجادرجي ومحمد حديد وحسين جميل وهديب الحاج حمود^(١).

نشاط الحزب الشيوعي أكثر ولباحاً إليه شباب الوطني الديمقراطي، فبنفرد الشيوعيون والبعثيون والقوميون العرب وحزب العربي الاشتراكي بالمعارضة السياسية، وتحل الايديولوجيات الشمولية محل المطالبة البرلمانية التي أفسدها نظام نوري السعيد وتدخلات السفارة البريطانية. وهكذا تنازعت إرادات متماثلة كل منها يهدف إلى الانفراد بالسلطة لبناء نموذج سياسي، فوق العراق ضحية تلك الخلافات.

١ - هاجمت جريدة اتحاد الشعب بصورة منتظمة، مباشرة وغير مباشرة سياسة كامل الجادرجي ووصفت الديمقراطية البرلمانية التي يطالب بها بالديمقراطية الصالونات. وردت صحيفة الأهالي وهاجمت محكمة الشعب والأحكام الصادرة بحق البعثيين والقوميين. من فيهم المساهمون بمحاولة اغتيال عبد الكريم قاسم فحصلت بينهما مجادلة سياسية شقت صفوف التيار الوطني المحلي فذهب الشباب نحو الحزب الشيوعي والكحول إلى الحياض أو إلى الوطني الديمقراطي السذي اختلف زعماءه مع الشيوعيين حول بعض الأسس النظرية والطريقة الفورية العنيفة في معالجة القضايا والعلاقات السياسية. وكان غريباً أن الشيوعيين الذين وقعوا باستمرار ضحايا العنف السياسي غير القانوني، لم يرفضوا ذلك الأسلوب في معاملة خصومهم السياسيين كلما أتيت لهم الفرصة. وقد أدى تضيقهم على الوطنيين الديمقراطيين في بغداد والمحافظات الأخرى إلى عقد اجتماع كبير بين ٥/١١ و ١٩٥٩/٥/١٣ قرروا فيه تجميد نشاطهم الحزبي خلال الفترة الانتقالية. وهو يماثل قرارهم وقرار حزب الاستقلال عام ١٩٥٤ عندما حل نوري السعيد البرلمان وحكم البلاد بصيغة استثنائية ليست دستورية . . . مما دفع عبد الكريم قاسم في ٥٩/٥/٢٢ إلى انتقاد الممارسات الحزبية في خطاب علني. وكان حزبا الاستقلال والبعث قد سبقا الوطني الديمقراطي الانسحاب من جبهة "الاتحاد الوطني" لنفس الأسباب.

وقد اخبرني يونس الطائي قائلاً: عندما حصلت المظاهرة الكبرى بعيد العمال العالمي عام ١٩٥٩، جاء بعض أعضاء الحزب الوطني الديمقراطي إلى عبد الكريم قاسم، وكنت حاضراً، فاشتكوا إليه ضرب الشيوعيين لهم، وكان يرافقهم الأستاذ محمد حديد (وزير المالية)، وأجهش بعضهم بالبكاء، فما كان من الزعيم عبد الكريم إلا أن أخرج مندبله وشاركهم البكاء بعد أن جلس مثل جلستهم ثم قال لهم " أنا مظلوم مثلكم واحتاج للبكاء، ولكن يجب ان ننتظر [6].

كان الشيوعيون أول من ادخل مفاهيم نظرية تتسم بالحدة، وتتعلق بجعل اضطهاد الخصوم السياسيين بمختلف الوسائل أمراً مقبولاً، فعرضوا منافسهم للملاحقات ومنعهم من وسائل التعبير وعابوا عليهم انتماءاتهم السياسية وحرصوا المحاكم والهيئات الحكومية التنفيذية على الإسراع في تنفيذ أحكام الإعدام الصادرة بحقهم من المحكمة العسكرية الخاصة، لكن عبد الكريم قاسم اعتاد الاحتفاظ بتلك الأحكام وعدم تنفيذها. كما قاموا بتشجيع أعمال مرفوضة من الأساس كفكرة سحل الخصوم في الشوارع، رغم ما فيها من ترويع وإرهاب نفسي وكبت يقتل في الإنسان اية رغبة في العمل والإبداع الذي لا يحصل إلا في أجواء التنافس الحر. وذلك ما أدى إلى وضع حزبهم في موضع انعزالي أبعد عن فئات اجتماعية ذات تأثير كبير في الدولة ومؤسساتها وأشعروا فئات كثيرة بخطورهم على مستقبلها^(١).

١ - ابعد الشيوعيون أنفسهم تدريجياً عن مراكز التأثير داخل السلطة العراقية حينما وضعوا قيوداً فكرية وسلوكية على أعضائهم وهيئاتهم تمنعهم من استثمار وكسب موظفين حكوميين من الفئة العليا المؤثرة، باعتبارهم رجعيين وبرجوازيين، فحرموا أنفسهم من إمكانية مجارة الشخصيات الهامة من الناحية التكتيكية على الأقل ودفعوا بنشاطهم لينحصر في حدود الأحياء الشعبية وأسواق مصلحي السيارات وعمال الخدمات ومصانع الدولة القليلة، إذ لم يكن العراق دولة صناعية. وقد نجحوا في الوصول إلى أعماق الريف العراقي، وأكثر من ذلك فقد "جرحوا" عدداً كبيراً من الضباط والجنود (الذين انضم أكثرهم للحزب الشيوعي بعد ١٤ تموز ١٩٥٨) إلى مواقع التفكير المدني لأبناء الأحياء الفقيرة التي هي في واقع الحال غير داخلية في ميزان القوة الذي يحدد اتجاهات الدولة ومتغيراتها. وكان لذلك نتائج أهمها: اشغال الشيوعيون بمشكلات صغيرة ومطالب فقراء الأحياء التفصيلية، دون محاولة امتلاك وسيلة تحقيق تلك المطالب، في الوقت الذي كان عليهم استناداً لجدرية أهدافهم الأساسية ان يتجهوا مباشرة إلى السلطة لامتلاكها فهم ليسوا بالضرورة الفقراء والكادحين بل هم الطليعة التي تناضل من اجل رفع شأن الفقراء والصعود بهم إلى الأعلى. ويمكننا القول ان الأيديولوجيا السوفيتية الكونية أوحى بهذا التوجه بسبب تحقيصها للمراحل التاريخية استناداً إلى الدور التاريخي لكل طبقة اجتماعية مما رسخ في ذهن الشيوعيين العراقيين بأن المرحلة تلك هي للبرجوازية، وان دورهم ربما لم يحن بعد فاشتغلوا لغيرهم كعنصر ثانوي ولم يدركوا ان السلطة هي السلطة !! يسعى إليها كل من يجد في نفسه القدرة على الحصول عليها بغض النظر عن اية نظرية يصدرن. وقد تنبه الشيوعيون إلى خطئهم بعد "خراب البصرة" فقلّم عامر عبد الله عام ١٩٦٥ رسالة للحزب يقترح فيها تجميع ضباطه وحنوده وأصدقائهم للقيام بانقلاب عسكري فوري. ولذلك لم يكن الشيوعيون مافسين جديين في هذا الحال بالنسبة للبعث الذي وضع السلطة وادواتها هدفاً له وعمل بجهد للإقتراب منها ثم الإمساك بها. في حين اكتفى الشيوعيون بالشارع وبرعوا بشكل عيب في تنظيم السيطرة عليه. ونتيجة لوضوح البعث في تحديد وسائله وحاجته لسلطة الدولة، تمكن من أن يكون أكثر وضوحاً بشعاراته فطالب بالسلطة أولاً والوحدة ثانياً ثم يأتي دور مشاريع التقدم والتنمية، فيما تاه الشيوعيون رغم جسدتهم الكبير وسط شعارات احتفالية عامة مليئة بالتعهد والوعيد دون التفكير بألية تحقيقها، بل نجد انهم قد ساندوا حكومة ومؤسسات ليس لهم فيها صديق سوى عبد الكريم قاسم وبضعة ضباط وعدد اقل من المسؤولين المدنيين في حين كان غالبية موظفيها وكل أمنها وشرطتها واداريها وقادة فرقها أعداء حقيقيين لهم، فظهروا بالضبط وكأنهم لا يعرفون ما يريدون، بل ان عزيز محمد اقترح عام ١٩٦٠ حل التنظيم العسكري الشيوعي بهدف طمأننة عبد الكريم قاسم لكي يستعيد ثقته بهم ويقتنع ان الحزب الشيوعي لا يضر نوايا انقلابية ضده[7].

والأخطر من كل ما تقدم ان الشيوعيين قاموا بتقديم أنفسهم للمؤسسات والهيئات العراقية العريقة كالحوزة الإسلامية

طلبنا من التحقيق نتائج سريعة فحصلنا عليها!

في هذا السياق أود ان أذكر أيضاً بأن أمر الشيوعيين ومستقبل علاقتنا بهم كان قد بحث في اجتماع ضم القيادة القطرية والمكتب العسكري للبعث قبل ثورة رمضان. وكان صالح مهدي عماش عضو المكتب العسكري يقود حملة التسهيل من خطر الشيوعيين على اية محاولة سيقوم بها حزب البعث للوصول إلى السلطة، ويرى ان ٢٠ ألف شيوعي مسلح سيتصدون لنا بشوارع بغداد، ويجب اخذ ذلك بالحسبان عند التفكير بأي عمل ثوري.

ومن الطبيعي فإن موقفنا نحن المدنيين لم يصل إلى نفس الدرجة من الحشية، بل توقع بعضنا عدم خروج الشيوعيين إلى الشوارع دفاعاً عن قاسم بعد ان وجه إليهم ضربات قاسية ومريرة وقام بمنع صحافتهم من التوزيع. فأعتبرنا دوافعه التسهيلية تعود إلى الصفة العدائية التي اتسم بها جميع العسكريين القوميين ضد الشيوعية والشيوعيين.

وقد كنا نحن -المدنيين في قيادة حزب البعث قيادة قطر العراق- بحكم عملنا في نفس ميدان عمل الشيوعيين اقل حدة وعداء واقل تهويلاً لما يمكن ان ينجم عن وجود تنظيمات شيوعية واسعة من أخطار على مشرونا للوصول إلى السلطة. ورغم ذلك فقد بحثنا الأمر في القيادة القطرية وبيننا كأعضاء لمكتبها السياسي وقدرنا الأمر على الشكل التالي : أولاً ان هناك أسباباً كثيرة للتصادم مع الشيوعيين وقد أصبحت لها جذور وتاريخ واقعي مشير، وهناك

والعشيرة أو التنظيم الأسري واصحاب الاملاك ومراكز أخرى كثيرة، على انهم أعداء أشداء للثقاليد، ووعدوا الجميع بثورة تمزق كياناتهم. وبسذاجة أحلوا محل طمأنينة العقائد الدينية التي استسلم منذ مئات السنين لها جميع المحتاجين إليها في مجتمعات الأرض وعاشوا معها في سلام كوني، عقيدة أخرى عقلية مسيحية بنسب من المفاهيم والمنوعات والمواقف والغوامض والمعميات، لأن الهدف هنا ليس الحقيقة الخالدة المتصورة، بل انتصار الجماعة المعينة، وليس العقل والمنطق معيار الحقيقة بل ادعاء العقل بعد جلبه داخل منظومة المفاهيم المرتبة بذكاء وعمق، لكنه ليس بالضرورة منزه عن الخطأ.

في حين قدّم البعثيون أنفسهم، كما الشيوعيين، انهم ممثلين لكل فئات المجتمع العراقي وطوائفه، لكنهم وحدويون وغير معادين للدين ويشيدون بالتقاليد وغير خاضعين مثل الشيوعيين لاستراتيجية دولة كبرى. وكان خضوع الحزب الشيوعي في حال استلام السلطة لحاجات وتكتيكات الدولة السوفيتية قد أدى إلى تعطيل حزبهم القوي القادر على قلب السلطة. ويعتقد البعض أن اتفاقاً سوفيتياً بريطانياً قد أخرّ حظوظهم في الاستيلاء عليها[8]. وهذه التبعية أبعّدت عن الحزب الشيوعي أكثر السياسيين الفعّالين الذين يفكرون بطريقة عملية، فلم يجدوا جدوى في الالتحاق أو البقاء في حزب لا يريد ان يقطع الشجرة بعد انضاجها.

ويذكر ان الحزب الشيوعي وضع في تموز ١٩٥٩ تقريراً يعترف فيه بالتجاوزات وبوجوب الوقوف ضدها، بما فيها التي لا تصدر عن الحزب، ووجه نقداً للمحكمة الفوضوية التي شكلها الشيوعيون في الموصل، فهم ليسوا دولة 11 وكان هذا التقرير انتصاراً للتيار الذي وقف ضد استلام السلطة. وحينذاك كان سلام عادل يقود الرأي المؤيد لإسلامها ولكن نجاح التيار المضاد شجع فكرة : "ان دور الشيوعيين لم يحن بعد" وتسمية تلك المرحلة بمرحلة البرجوازية الوطنية أو الديمقراطية الوطنية. وقد لعب بهاء الدين نوري دوراً خاصاً في هذا الاتجاه.

أشخاص سجنوا وعذبوا في هيئات التحقيق التابعة لمحكمة الشعب ولوزارة الدفاع. إضافة إلى بقايا وذبول أحداث الموصل وكركوك والمشاعر الثأرية لعوائل الشهداء وغيرها^(١).

ثانياً : وجود شيوعيين في سجون قاسم وستكون حياتهم في خطر منذ اللحظات الأولى لاستلامنا السلطة إذ سيحاول البعض قتلهم. واستناداً لذلك وضعنا في اذهاننا تكليف الحكومة القادمة بالاتصال فوراً مع إحدى الدول الاشتراكية في أوروبا الشرقية لبحث امكانية قبول اقامة عدد من الشيوعيين ربما يصل إلى المائة فيها، وبضمنهم القياديون الراجيون في ترك العراق حماية لانفسهم، والمحكومون أو الذين ارتبطت اسمائهم بأحداث دموية وجرمية ولم يعترض احد في القيادة على هذه الفكرة^(٢).

لكن النزاع الدموي الذي رافق انطلاق ثورة ١٤ رمضان قضى عليها بل وتراكمت أسباب أخرى عند الطرفين للتصادم. ومن جانبنا علمنا من التحقيقات الأولى التي تمت يومي ٨

١ — لم يتقدم أي شخص لحد الآن بشهادة أو دليل على ان عبد الكريم قاسم أو أيًا من قادة حكومته قد وافق أو اطلع على تعذيب جسدي وسكت عنه. لكن ذلك لم يمنع ممارسته من قبل اعضاء لجان التحقيق في مناطق مختلفة وقد اعترف ثابت حبيب العاني (مسؤول في التنظيم العسكري الشيوعي حينذاك) بحصول تعذيب كفي قاتلاً "وقعت بعض العناصر في تنظيماتنا العسكرية في خطأ آخر هو مساهمتها في تعذيب بعض المعتقلين بعد حركة الشواف، رغم انهم غير مخولين لا من الحزب ولا من جهات رسمية في القيام بذلك، واقصد ما جرى في هيئة التحقيق الخاصة المشكلة رسمياً من قبل عبد الكريم قاسم برئاسة العقيد هاشم عبد الجبار وكان شيوعياً، وآخرين. وقد ساهم عضو اللجنة العسكرية للحزب عطشان ضيئول الازيرجاوي في التبرع بحضور التحقيق والقيام بتعذيب المعتقلين ولدى اطلاعي على الامر قمت بمحاسبته وابعاده عن اللجنة العسكرية وأرسل إلى الخارج"^[9]. وإذا عدنا إلى الذاكرة سنجد ان بعض افراد المقاومة الشعبية ولفترة قصيرة من عام ١٩٥٩ اعطوا لانفسهم في بعض المناطق حق التفتيش واحياناً الاحتجاز الموقت الذي لا يتجاوز ٢٤ ساعة. واخبرني الأستاذ يونس الطائي انه يعرف بأن "عطشان ضيئول لعب دوراً ليس في لجنة التحقيق الخاصة فقط، بل وفي محاكمات الدملحاجة الميدانية ايضاً. كما ان الضابط مثنى الراوي عذب الأستاذ عبد الستار الدوري" وقال الطائي ايضاً "اخبرت عبد الكريم قاسم عن تعرض الدكتور راجي التكريتي للتعذيب من قبل لجنة هاشم عبد الجبار، فأندش ووقف اعمال تلك اللجنة فوراً."^[10] . . ويذكر ان قاسم بعد ان وصلته شكاوى عديدة أمر باعتقال كل المشتبه بهم بالقيام باعمال قتل أو تعذيب في الموصل وكركوك وغيرها واحالهم إلى محاكم عرفية حكمت على عدد كبير منهم بالإعدام، لكن الزعيم كعادته لم ينفذها، فنفذتها حكومة ٨ شباط باغليبيتهم دون تدقيق، هذا ولم تكن لجنة التحقيق الخاصة مشكلة من عسكريين فقط العقيد هاشم عبد الجبار والعقيد حسين خضر الدوري والعقيد حسن عبود، بل كان فيها اعضاء مدنيون بينهم المرحوم المحامي عبد الستار ناجي والمقدم الحقوقي نوري الوثبة (توفي في سجن نقرة السلطان) والحاكم شهاب أحمد الشبيب.

٢ — وعبر عن ذلك ميشيل عفلق قائلاً "ان الحزب الشيوعي، نتيجة لمواقفه قد حكم على نفسه بأن لا يكون في عداد الهيئات السياسية المعترف بها، أنا أعرف بان حزب البعث العربي الاشتراكي تناول منذ سنتين أو أكثر في اجتماعات قيادته العليا أمر حماية الشيوعيين من غضب الشعب، إذ لا إن سقط حكم قاسم حتى تقرر ان يحال المجرمون منهم إلى القضاء ولو لم يتخذ الحزب المسيطر الآن تدابير منسجمة مع مبادئه وعقيدته لكان مصير الشيوعيين مفجعاً للغاية"^[11].

و ٩ شباط بوجود فرق اغتيال شكلها الحزب الشيوعي هدفها قتل قادة وكوادر حزب البعث ويرأسها حسن عويّنة.

ولم يتسن لي الاطلاع على نتائج التحقيقات للتأكد فيما إذا كانت مجرد اختراعات لتبرير الامعان في سياسة تصفية واضطهاد الشيوعيين ام انه حقيقة. غير ان مجرد تداوله بيننا يعكس مدى عمق المخاوف التي اوجدتها مسيرة العلاقة بيننا وبينهم منذ ١٩٥٨ حتى ١٩٦٣^(١).

وفي ٨ شباط ٦٣ وفي ظل الفوضى والخلافات حول الاسلوب والدوافع ، لم نكن قادرين على التفرغ لمراقبة الوضع أو لاقامة الدليل على التصرفات الثأرية والعدائية الصادرة من بين صفوفنا أو من حلفائنا القوميين، خصوصاً العسكريين الذين تحصنوا وراء حجج اهمها مبادرة الحزب الشيوعي للمواجهة صباح ١٤ رمضان وإرادته الاكيدة ضدنا . وقد جَـرَّتْ تلك المبادرة والحجج إلى اشتباكات واعمال عدائية كثيرة لم يكن لها اية ضرورة واعطت مبرراً لكل الراغبين بالتأجيج وضرب الحركة الشيوعية.

لذا وبعد مرور كل تلك العقود ارى ان على الشيوعيين ان يعيدوا تقييم تلك المرحلة من تاريخ العراق السياسي بصورة أكثر جدية وعقلانية للوصول إلى فهم عميق لا يكون هدفه القاء اللوم فقط وإنما اخذ العبرة والاستفادة منها في معالجة المرحلة القاسية التي يمر بها وطننا في الحاضر. وليست صراحتي هنا سوى محاولة للتقييم الشجاع ، رغم شعوري ان بعضه مؤلم بسبب ما رافقه من اساءات وآلام ودماء.

اما إذا تناولنا رد الفعل البعثي فسنجد له ليس اقل قسوة ودموية عن ما كان يقوم به الشيوعيون، بل كان في احيان كثيرة اشد وأكثر دموية. واعتقد ان جميع القادة الأحياء من

١ - الشيء المؤكد ان لجنة للطوارئ وليس للاغتيالات كانت قد تشكلت برئاسة حسن عويّنة، اما ماسمي بفرق الاغتيال فليس هناك دليل على وجودها. وقد وجهنا سؤالاً إلى أعضاء في قيادة الحزب الشيوعي بينهم عبد الرزاق الصافي وليد عباوي وحامد ايوب وكان جوابهم النفي المطلق. وسألت عامر عبد الله بواسطة د. جميل منير العاني [12] فنفي وجود مثل تلك الفرق. اما عضو اللجنة المركزية والمكتب السياسي الذي كان موجوداً في العراق وظل على رأس عمله قبل وبعد ٨ شباط الأستاذ باقر إبراهيم الموسوي فلم ينفي وجود مثل تلك الفرق فقط بل ونفي وجود اية نية لتأسيسها [13]. وقد اثبتت الاحداث التي تلت ٨ شباط عدم وجودها، اذ لم تحصل اية محاولة ناجحة أو فاشلة لاغتيال أي من قادة حزب البعث في العراق فضلاً عن ان الحزب الشيوعي لم يقر ولم يلجأ في أي من مراحل تاريخه السياسي إلى نهج الاغتيال. لكن الشيوعيين ومنذ محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم طرحوا على انفسهم سؤالاً مثيراً هو: ماذا لو نجح خصوم عبد الكريم قاسم في اغتياله أو في انقلاب عسكري مفاجئ ؟ ولجأ على هذا السؤال وضعوا خطة طوارئ في عام ١٩٦٠ تضمنت شقين، الأول: وضع ترتيبات للتنظيم العسكري داخل القوات المسلحة والثاني: البدء فوراً بتوفير الاسلحة وتشكيل فرق مدنية صدامية صغيرة أطلق على منسوبها "خط حسين" أو "لجان الطوارئ". وكانت خططهم بمحملها سلبية لانها تقوم على انتظار مبادرة الخصم ليضرب أولاً، فيقومون بالتصدي له. وكان المفروض إما ان يبادروا أو يخففوا من أسباب العداوة مع الآخرين.

البعثيين والشيوعيين الذين اشتركوا في الصراع السياسي بين ١٩٥٨ و ١٩٦٣ يشعرون الآن بالندم من بعض ردود أفعالهم في مجالات الصراع الداخلي بين الاحزاب والحركات الوطنية التي توالى بسبب خلافات ثانوية والتي تتعلق بطريقة العمل وليس الجوهر^(١).

الشوط الثاني من حكم "البعث" في العراق

اما الفترة الثانية من حكم "البعث" قيادة (البكر - صدام) فلا يمكن ارجاع قسوتها ضد الاحزاب الوطنية والقومية والاسلامية المعارضة إلى افعال سابقة أرتكبت ضد انصار الحكومة الحاضرة التي انتهجت منذ العام ١٩٦٨ وحتى الآن نهجاً ثابتاً يؤكد وجود سياسة تصفية ارايية معدة سلفاً ليس فقط ضد الشيوعيين بل وضد وجود كل فكر وتنظيم في المجتمع العراقي. فلا شيء يُسمح به إذا لم يكن تحت مظلة أو من تدبير السلطة التي ربطت بين الانتماء للوطن والولاء لها ولحزبها. وكما نعلم فان احداً لم ينبج من الارهاب الدموي حتى البعثيون انفسهم. اما صدام حسين فقد خطط شخصياً ونفذ نظرية حكم الحزب الواحد، الحزب الخاضع لهيمنة فردية مطلقة ووسيلته لتحقيق خططه هي الارهاب المطلق والظلم المطلق وخنق الرأي الآخر تماماً.

ورغم اني اشك في صحة نسب المذكرات التي قيل ان حردان التكريتي قد كتبها أو املاها على احد اقاربه لانه حسب علمي لم يكن يهتم بالكتابة أو بتدوين التاريخ، وسواء فعل ام لم يفعل فإن الواقع العملي الذي تحقق فيما بعد على ما جاء في تلك المذكرات. بل ذهب النظام

١ - تلاشى الاحساس بالنصر لدى قادة البعث المدنيين بعد ٨ شباط باسابيع، واهتزت الافكار السياسية والآمال الوحودية التي حملوها في رؤوسهم وثاروا من اجل تحقيقها، فحصدوا المرات وتورطوا باعمال لم يكونوا ليتورطوا بها لو لا خجلهم من حلفائهم العسكريين الكبار. ولو جلس بعثيو وشيوعيو تلك المرحلة لشكروا لبعضهم قلة الخبرة، ولوجدوا ان عداوتهم لم تكن حقيقية بل ان فهماً مغلوفاً دفع كل طرف إلى التصادم والبحث عن حلفاء من خلع نسيجه، ففوجئوا بعد حين بأن رجالاً ليسوا على شاكلتهم ولا يشاطرونهم مبادئهم يعيشون في صفوفهم. وحصل ذلك أكثر مع البعث لمغريات السلطة وملاحقها الكثيرة. كما لعبت الايديولوجيا غير الواقعية عند الشيوعيين والعواطف والآمال غير العملية عند البعثيين، دوراً خطيراً أدى إلى عدم تمكن الشيوعيين من استثمار الظلم الذي تعرضوا له في ٦٣، وعدم استفادة البعثيين من نصرهم الدموي. وكان اسوأ ما في هذه الصفحة ان الشيوعيين تصرفوا صباح ٨ شباط وكأنه آخر ايام حياتهم وحياة حزبهم. ويمكن الآن ولو بصورة متأخرة، مع الاسف، استعادة صورة ذلك العدد الهائل من الشباب العراقي النبيل الواعد يتسابق في صراع داخلي عبثي للدخول إلى السجون بحثاً عن حرية مفقودة ادعوا انها حرية حقيقية وليست شكلية ١ ولكنهم جميعاً حملوا فكراً يختزل الحرية التي يطالبون بها، إلى حرية الدولة التي زعمت عند استلامهم لسلطنتها تمثيل الشعب بكامله غصباً عنه ١١ فلم تكن حرية ترفع قيود الدولة عن الفكر والممارسة لافراد المجتمع بل كانت تعني تجدييد العقل الجماعي المُقيد لحرية الافراد. واحياناً اعتروا حرية الاختيار والتعبير الفردية نوع من الترف البرجوازي المعرقل للمسيرة "التاريخية" الهادرة لتحقيق "المصالح الثورية" والوحدة . . . الخ.

إلى ابعاد من ذلك شراسة وتآمراً على الشعب العراقي والامة العربية وضد الاخوة الاكراد^(١). وإذا كان لتلك المذكرات من فضل فانها قد حذرت منذ وقت مبكر بما قامت السلطة بتنفيذه بعد سنوات على شكل جرائم يندى لها الجبين بما في ذلك تشجيع امراض اجتماعية وتفرقية كثيرة فضلاً عن التآمر على كل محاولات التضامن العربي واحباط التقارب السوري العراقي الذي سعى إليه أكثر من مرة الرئيس السوري حافظ الأسد لتدعيم الموقف العربي، رغم تجاربه المرة مع نظام بغداد الذي انتحل وشوه اسم ومفهوم البعث العربي.

سؤال : تحدثت عن ردود فعل سلطة ١٩٦٣ ضد الشيوعيين، فإذا كان الامر كذلك فلماذا إذا لم تتخذوا قراراً بوقف اعمال الاعتقال العشوائي والتعذيب والإعدام ، بعد انصرام الايام الأولى ؟ ومن كان في تقديركم وراء استمرار دوران عجلة القسوة طوال الاشهر التسعة التالية ؟ ومن يتحمل مسؤولية القتل بلا محاكمة، كمقتل العقيد عبد المجيد جليل والعقيد حسين خضر الدوري والزعيم الركن داود الجنابي والمقدم إبراهيم كاظم الموسوي وآخرين ؟ وهل يعود بعض ذلك الاندفاع القاسي إلى ايمانكم الشديد بدوركم في تحقيق اهداف وآمال الامة العربية التاريخية كالوحدة ؟ ام عائد إلى متوسط اعمالكم الصغيرة نسبياً ولخبرتكم المتواضعة في ادارة الدولة ؟

طالب الشبيب : هناك نقطة أولى يجب التوقف عندها وربطها بمجرى الاحداث. . . فعند اندلاع ٨ شباط، واجهنا مقاومة شديدة، وانكشف لنا وجود تنظيم شيوعي واسع داخل الجيش وخارجة، يمتلك الاسلحة وجميع أسباب المقاومة الدموية، فكان همّ الحزب الأول هو تأمين السلطة والقضاء على اية مقاومة مسلحة بكل الوسائل الممكنة، لذلك كانت اجهزة التحقيق مجازة في اعمالها من اجل تحقيق ما اردنا الوصول اليه: وهو النتائج السريعة وقد حصلنا عليها فعلاً.

١ - قال حردان التكريتي[14] "كنا عصابة من اللصوص والقتلة تسير خلف ميليشيات صدام للإعدام! فقد كنا نفرج عن المعتقلين السياسيين لتقتلهم "ميليشيا القداء" التي يشرف عليها صدام شخصياً" وكانت خطة احمد حسن البكر تدور حول إضعاف عبد الناصر والدور المصري والتآمر على سوريا لاسقاط نظامها السياسي . وفي الداخل ضرب وتدمير الحوزتين الاسلاميتين الشيعية والسنية، والتركيز على شخصية السيد محسن الحكيم ومحاربتها بكل الوسائل المتاحة، واختلاق الصراعات الموقوتة مع ايران للايحاء بارتباطها بالمسلمين الشيعة في العراق تمهيداً لاضعاف وضرب المرجعية في النجف رغم ما يجره ذلك على العراق من خسارة لمركزه القيادي المهم. والانتصار على الحركة الكردية. والقضاء على القيادة البارزانية كمقدمة لتدمير بقية الكيانات الكردية. وتصفية الحركة الشيوعية العراقية. ويتحدث حردان عن صرف مبالغ طائلة شهرياً في لبنان لشراء الصحف، وفي سوريا للتآمر، وفي الاردن لبناء قاعدة انطلاق، والقاهرة لاضعاف دورها، واليمن كمنطقة نفوذ.

وما جرى في مقرات الحرس القومي فيما بعد من فضائع في بغداد تحت سمعنا وبصرنا، أو في انحاء مختلفة من العراق بعيداً عن رقابة قيادة الحزب التي فقدت تدريجياً السيطرة على مؤسسة الحرس القومي، قد ادى إلى استقالة العقيد الركن المظلي عبد الكريم نصرت محتجاً، غير ان دعماً متعدد الاشكال قدمه بعض كبار العسكريين أدى إلى استمرار الفوضى والنهج الفوضوي وشكل غطاء لاعمال تصفية الشيوعيين الجارية حين ذاك بكل قسوة ممكنة .

ورغم عدم تحويل اية جهة أو أي شخص بحق الإعدام والقتل بعد انصرام اليوم الأول ، حيث انتهت فرق الانذار مهماتها في الساعات الأولى كقتل جلال الاوقاتي ومحاولات قتل فاشلة ضد سعيد مطر والمهداوي وماجد امين وعبد الكريم قاسم وغيرهم ، الا ان استمرار هذا النهج بعد ذلك يُعدّ مخالفة . اما الإعدامات التي كانت تصدر بقرار مجلس قيادة الثورة فقد اوقفت نهائياً ولم نوافق بعد مرور الاسابيع الأولى على اقتراحات الإعدام من اية جهة جاءت. غير ان أمراً موازياً حل محل تلك القرارات وبدأ يجري في الاقضية والمعتقلات السرية بإدارة رجال معوجين امثال عمار علوش وناظم كزاز وعبد الكريم الشихلي وصادم التكريتي وسعدون شاكر وخالد طيرة وأسماء أخرى معروفة ، وبدأ الارهاب يمارس بطرق أخرى دون علم وتوجيه القيادة القطرية . وحقيقة فانا لا ادري لحد الان هل كان علي صالح السعدي ومحسن الشيخ راضي يعلمان بما يجري. ولكننا كنا نسمع عن جثث تطفو على سطح دجلة . ونسأل عمن يقوم بذلك ؟ ولم تكن اجهزة التعذيب قادرة على الاستمرار لولا الخلافات التي بدأت تتفاقم ، وتحطم وحدة الموقف داخل قيادة الحزب ، وتجعلها غير قادرة على ردع تلك العناصر الدموية التي اعتادت ان تحصل على دعم واسناد بعض الضباط وأهمهم من حيث المركز والفعالية صالح مهدي عماش وطاهر يحيى التكريتي ورشيد مصلح التكريتي وبدرجة اقل احمد حسن البكر وهؤلاء وغيرهم جهزوا مراكز التعذيب الرئيسية في بغداد بالمال والسلاح دون علمنا وكنا نسمع بين حين وآخر ولكن دون ان يقدم احد وثائق وادلة رسمية وكان صالح مهدي عماش (وزير الدفاع) يستغل الفرصة في كل مرة يسافر فيها إلى خارج البلاد فيقوم بإعدام مجموعة جديدة من الشيوعيين، ولم يسلم منه حتى النادمون والمعتقون والمتعاونون مع اجهزة التحقيق، ويقوم بعد ذلك باحراج مجلس الثورة للمصادقة على اعماله. وقد شكلت تصرفاته تلك بداية خلافاتنا أنا وحازم معه ووقف علي السعدي وجماعته معنا.

ومن جانبي ومنذ البداية لم اساهم بالقتل أو التعذيب وصرحت بضرورة التمييز بين الفكر والممارسة أي اننا لسنا ضد الحزب الشيوعي الذي ناضل ضد الاستعمار ولم نكن نريد منع الفكرة الشيوعية بل ضد أولئك الذين يمنعون غيرهم من ممارسة حقوقهم، فقد صوت باستمرار وبلا تردد ضد قرارات الإعدام وكان ذلك موقفاً مبدئياً ألزمت نفسي به رغم اني كنت

الداعي بالاسراع في تنفيذ أول إعدام رسمي بأمرته السلطة الجديدة للقادة الاربعة قاسم والمهداوي وطه وكنعان احتراماً لهم وتقليلاً من اعمال الاذلال ضدهم، خصوصاً وان قرار إعدامهم كان قد تقرر سلفاً قبل وصولهم للاذاعة. وربما يعود موقفني من عقوبة الإعدام إلى تجربتي الطويلة في اوربا التي كانت حينذاك تضح نقاشاً حول الغائها. وان كثيرين لم يتفهموا موقفني من هذه العقوبة بانه موقفاً ضميرياً خاصاً فذهبوا في تفسيره مذاهب شتى حتى ان علي السعدي قال لي مرة "انت وقفت ضد إعدام أي شيوعي بمن فيهم من قاموا باعمال دموية، فهل لماضيك تأثير عليك؟"، وانا اشهد ان علي السعدي وجميع اعضاء القطرية (وكلهم مدنيون) وقفوا باخلاص ضد اصدار قرارات الإعدام وتميزنا أنا وحازم جواد بموقف حازم ضد التعذيب وضد الفوضوية وطالبنا بالحد من حرية الحرس القومي في التحقيق والملاحقة وتجاوز القانون وبعودة الحياة العامة الاجتماعية والحكومية إلى سابق عهدها. اما الجناح اليساري الذي يتقول بمصطلحات ماركسية مبهمه فقد كان أكثر تورطاً في تشجيع الوسط الفوضوي الذي انتعش واختبأ بداخله اشخاص مجرمون لا ينتمون لأي من اتجاهي الحزب، اشخاص كثيرون غريبو الاطوار، ساعدتهم الخلافات وتعدد مراكز النفوذ على نشر الفساد والجريمة، فشكّلوا ما يشبه الاجهزة السرية التي كانت تعمل لمصلحة وزير الدفاع والحاكم العسكري العام وغيرهم، ولم نشعر يوماً انهم كانوا ملتزمين بقراراتنا.

اما حوادث الإعدام الفوضوية وبشكل خاص مجزرة معسكر الرشيد ضد ضباط لم تكن سمعتهم سيئة فقد تمت بأمر من صالح مهدي عماش وبحضور السعدي، اذ جيء بهؤلاء في الليلة الثانية للثورة وجرى ضربهم واهانتهم وادانتهم باعمال مختلفة ثم قتلهم. ولم نكن حينذاك في حالة اجتماع لنقرر أو نصادق على تلك الأحكام التي نفذت ولكننا عندما سمعنا بما حصل لم نعلق ولم نعترض واكتفيت شخصياً بعدم التصويت، وأسّلد الستار على هذه القضية بعد ان اصدرنا في اليوم التالي أحكاماً رسمية بإعدام أولئك القتلى وغيرهم وبررنا قرارنا استناداً إلى مسؤولياتهم في جوانب من القمع خلال عهد عبد الكريم قاسم، فصادقنا على ما اقدم عليه عماش وسكت عنه السعدي واذيع القرار على لسان رشيد مصلح التكريتي وكان حاكماً عسكرياً عاماً.

ولم يكن هناك داخل القيادة في تلك الايام الحاسمة أي ميل لاعتبار مثل هذه الاعمال غير قانونية أو جرمية فقد كان هناك استياء من هذا أو رضا من ذاك ولكننا لم نكن لنختلف إطلاقاً على مثل هذا الامر. وكان سبب استياء بعضنا يعود إلى الشعور بالاحراج السياسي الاقليمي والدولي مع المعسكر الاشتراكي ومنظمات حقوق الإنسان وضغط وسائل الاعلام الاقليمية.

ولم يكن بالوسع تجاهل ذلك ف شعرنا اننا محاطون وان الامور بدأت تغلت من ايدينا وربما تنقلب علينا اذ لم تكن القضية مجرد قتل اشخاص^(١).

صراع مكشوف ضد الاتحاد السوفيتي

اما احتمال وقوف قوة خارجية وراء ارتكاب الجرائم واعمال القتل، وهدفها جر حزب البعث إلى صراع مكشوف ضد الاتحاد السوفيتي فهو ما لا يستطيع الجزم به. وما اعلمه بالتأكيد هو ان بعضهم كان متطوعاً في الإشراف على تنفيذ القتل خصوصاً في الليلة الثانية والثالثة والرابعة بعد اعلان الثورة. وهؤلاء لم يكونوا بحاجة إلى تحريض، وحسب علمي انهم قاموا باعمالهم دون العودة لاحد ودون علم القيادة وارتكبوا ما ارتكبوه لأسباب ودوافع كثيرة ومختلفة.

ولا اكشف سراً إذا قلت ان عبد السلام عارف كان واحداً منهم، اراد الحاق الاذى باكثر عدد ممكن من الشيوعيين ولكن بإسم حزب البعث. وعلى سبيل المثال : كانت محاكم عبد الكريم قاسم قد حكمت على ٣٧ شيوعياً بالإعدام بسبب تورطهم باعمال قتل في الموصل وكركوك، لكن قاسم يضع كعادته تلك الأحكام في الدرج ولا ينفذها، على قاعدة "عفا الله عما سلف" التي اشتهر بها ليس مع الشيوعيين فقط بل ومع كل الذين صدرت بحقهم أحكام بالموت. بمن فيهم الذين حاولوا اغتياله ورجال العهد الملكي. لكن عبد السلام وبعد استلامنا السلطة نبش الامر وجاء. علفهم إلى مجلس الثورة وطلب الاذن بتنفيذ الحكم بهم قائلاً : هذه الأحكام لم تصدر عنكم.

وللمرة الأولى وقفنا جميعاً موقفاً موحداً علي السعدي وحازم وانا وبقية قيادة البعث ورفضنا ذلك تماماً ووضحنا ان تنفيذها ليس ضرورياً لنا الآن وان سمعة الحزب ومكانته وكافة الظروف السياسية الداخلية والعربية والدولية لا تسمح بذلك. وامام هذا الواقع الخطير جرت مراجعة المشاكل الناجمة عن التحقيق في اجتماع مشترك بين مجلس الثورة والقيادة القطرية، اعلنا فيه عن استنكارنا لاعمال الإعدام (القتل) وذكرنا عماش بوجبات القتل التي ساقها في غيابنا^(٢)، وادت تلك المصارحة إلى الاصطدام بعبد السلام عارف الذي ردد "انكم البعثيون تريدون

١ — تصفحت الوثائق البريطانية حول حركة ٨ شباط فوجدتها تشمل المراسلات الانكليزية مع الحكومات الاقليمية ومراسلات مع قادة عرب، بصفحات تتجاوز المئين، وقد لفت نظري عدم ورود اية اشارة فيها عن اعمال القتل والتعذيب ومصير الوف المعتقلين في جميع انحاء العراق. مما يؤكد ان الغرب كان يبحث في مصالحه السياسية بعيداً عن حقوق الإنسان .

٢ — نفذ عماش وغيره أعمال الإعدام بحق المتهمين بأحداث الموصل مثل ساطع إسماعيل وشاكر لبيي ومحمد عبد اللطيف وغيرهم كثيرون.

الاتفاق مع الشيوعيين"، وتحدث بعدم الرضا عن حوار قال انه جرى بين بعثيين وشيوعيين داخل قصر النهاية^(١)، وعلن بصراحة رغبته في ان يستمر نهج تصفية وإعدام الشيوعيين بنفس الوتيرة وهدد بان أي توان سيؤدي إلى استقالته من رئاسة الجمهورية.

كان عبد السلام عارف حاقداً ويطلب ثأراً شخصياً واعتقد انه اخذ شتائم الشيوعيين له في عهد قاسم على محمل شخصي ولم يستوعب الصفة السياسية للامر، في حين كان عماش في تعامله دموياً معهم. وفي المقابل كانت لدينا، كقيادة للحزب، أسباباً كثيرة في عدم الاستسلام لإرادة عارف وعماش ويحيى ورشيد مصلح وحياناً البكر وغيرهم ومن تلك الأسباب :

أولاً : لم نكن راغبين في بقاء حالة الصدام مع الشيوعيين لان ما قمنا به لم يكن ثورة ضد الشيوعية، وإنما اردناه انقلاباً ضد الديكتاتورية.

ثانياً : لم يكن لدينا قرار بان نبني حكم الحزب الواحد ولذلك لم نتخذ قراراً بحل الحزب الشيوعي رغم قسوة ردة فعلنا عليه. ولهذا اردنا إيقاف الإعدامات وقررنا ذلك رسمياً وكنا مقتنعين بان الحياة السياسية العراقية ستصبح يوماً ما برلمانية، يتنافس الجميع فيها وبذلك نكون قد عدنا إلى الرغبة في اسقاط الاستعمار وتسليم السلطة للشعب التي رافقت النواة الأولى لحركة الضباط الاحرار، تلك المؤسسة التي اجتمع فيها الضباط من جميع الاتجاهات السياسية^(٢).

ثالثاً : من الجانب القومي، كنا محرجين مع رفاقنا في سوريا الذين طالبوا بايقاف حمام الدم

١ — ويقصد بهذا ما أشيع حول حوار تم بين سلام عادل ورفاقه المعتقلين من جهة وعلي صالح السعدي وحازم جواد ومحسن الشيخ راضي وهاني الفكيكي من جهة اخرى. وقد أكد زكي خيري في "مذكرات سياسي عراقي مخضرم" ان هيئة التحقيق الخاصة وقيادة حزب البعث رفضت التفاوض مع حسين احمد الرضي (سلام عادل) بعد اعتقاله عام ١٩٦٣، في حين يؤكد هاني الفكيكي في "اوكر الهزيمة" ان التفاوض قد حصل على شكل حوار داخل المعتقل. ويرى شبيب انه لم يكن حواراً بمعنى الكلمة بل كان تحقيقاً.

٢ — كان للحزبين عدد كبير من الضباط داخل مؤسسة الضباط الاحرار التي تأسست بداياتها على ارض فلسطين خلال حرب ١٩٤٨ وقادها منذ البداية المقدم الركن عبد الكريم قاسم وضمت رفعت الحاج سري وطاهر يحيى والمهداوي ووصفي طاهر وشفيق الدراجي وطه الشيخ احمد وعبد الوهاب الأمين وخليل إبراهيم حسين ومحي الدين عبد الحميد ومحسن الرفيعي وعبد الكريم الجدة وغيرهم. وساهم ضباط شيوعيون وبعثيون في هذه الحركة قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

من البعثيين : طاهر يحيى واحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش ومنذر الوندائي ومحمد علي سعيد ومحمد علي السباهي وخالد مكي الهاشمي وعبد الستار عبد اللطيف وعبد الكريم مصطفى نصرت وحرثان التكريتي وحسن مصطفى النقيب وعلاء الدين الجنابي وغيرهم.

ومن الشيوعيين : حسن عبود وعبد الرضا عبود وجلال جعفر الاوقاتي وسعيد مطر وطه سلطان وسلمان الحصان وماجد امين وحسين خضر الدوري وخليل إبراهيم وخزعل علي السعدي وعلي شريف وعبد الرزاق غصيبة وإبراهيم كاظم الموسوي وداود الجنابي وغضبان السعد وكاظم عبد الكريم وعباس الدجيلي وهاشم عبد الجبار ومهدي حميد وجبار خضير وفاتح الجباري واحسان البياتي ومصطفى عبد الله ورشاد سعيد وعبد الرزاق الزبيدي وغيرهم.

وحقق الدماء. وكانوا بدورهم محررين أمام الدولة السوفيتية باعتبارها المصدر الأول لتسليح جيشهم المربط في جبهة المواجهة مع اسرائيل.

رابعاً : إذا كان لدينا في البداية عذراً أقنعنا انفسنا به وقلنا للآخرين ان ما فعلناه كان دفاعاً عن النفس، فلم يعد لدينا في الواقع أي مبرر في ملاحقة الشيوعيين. ولهذا ايدنا الموقف القومي لحزب البعث وحاولنا ان نجعل منه سياسة، ففشلنا في حالات ونجحنا في أخرى.

ومن اجل ايجاد حل شامل لأزمة لجان التحقيق وايقاف التجاوزات شكلنا لجنة عليا للتحقيق في ممارسات الحرس القومي في عموم البلاد برئاسة المرحوم احمد العزاوي، لكن هذه اللجنة التي نجحت في جمع معلومات كثيرة عن بغداد والالوية لم تطلعنا على تقريرها النهائي وقد بينا أسباب ذلك في مكان آخر من هذه الذاكرة.

ولذلك واجابةً على سؤالك يجب التنبيه إلى موقفين اثرا وعمقاً نهج التصادم بيننا، الأول : هو "الشرعية الثورية" التي اعطاها كل منا لنفسه، واندفاعه الايمان التي احسنا بها. الثاني : نهج العداوة المزروعة في اعماق بعض الضباط والسياسيين، وربما المغرضين، للحركة الشيوعية. ففي الحالة الأولى استمددنا موقفنا من الشرعية الثورية وشرعية الدفاع عن النفس، اذ كان أول من قتل صبيحة ٨ شباط هم ضباط الدبابات البعثيون الثلاثة قرب بوابة وزارة الدفاع على ايدي شيوعيين ووجدت جثثهم مقطعة وموزرة من السحل والطعن فجمعت جميعاً وكان ذلك امراً مؤلماً. وإذا ما ربطنا الامر ببيان الحزب الشيوعي الذي اعطى لاعضائه ومناصريه حق قتل البعثيين والثوار، فسيكون البعث قد وجد نفسه في موقف الدفاع عن النفس المشروع^(١)، فضلاً عن المشروعية التي يعطيها الثوار لانفسهم في ارتكاب التجاوزات المؤقتة اثناء وقوع

١ — يتفق مع هذا الرأي قادة وكوادر شيوعيون. فقد وصف عامر عبد الله وبهاء الدين نوري المقاومة المسلحة التي ابداهها الشيوعيون صباح ٨ شباط بانها مغامرة لم تؤد إلا إلى مجزرة لا لزوم لها، كما قال : لا يمكن تبرئة الشيوعيون من مسؤولية ادخال وسائل العنف لحل الخلافات السياسية[15]. ويقول بهاء الدين نوري : "اصبحنا مؤيدين لحكم قاسم ومجدنا السياسة التي رسمناها خلال الفترة الأولى للثورة، في وقت كان قاسم قد غير سياسته جذرياً من نهج التعاون معنا إلى نهج محاربتنا بشق الاساليب"[16]. وقد اكد مثل هذا الموقف صالح دكلكة في ندوة سياسية في (لايدن)[17]. وكذلك اكد الدكتور عبد الحسين شعبان في كتابات متفرقة على امكانية تلافي ذلك التصادم. وثابت حبيب العاني الذي قال : ان مجزرة الدملمجة من قبل رفاقنا في الموصل كانت جريمة ارتكبت لالزوم لها[18]. ويصر الشيوعيون انفسهم ابرياء من مجزرة كركوك باعتبار ان ما حصل هناك لم يكن مسألة حزبية بل معركة بين اكياد وتركان. وقد شهد قائد الفرقة الثانية المستقرة في كركوك على ذلك، ويقولون انهم حققوا في تلك المجزرة ولم يساهموا فيها[19].

ويعتمد شيوعيون آخرون (القيادة المركزية) على تحليل مختلف يؤكد على ان البعثيين وبسبب معرفتهم الجيدة بقوة الحزب الشيوعي الكبيرة والتي كانت ستشكل خطراً كبيراً عليهم إذا ما ثركت لنفسها، كانوا قد اتخذوا قراراً بالتصفية الشاملة بغض النظر عن الموقف الذي سيتنازه الحزب الشيوعي صباح ٨ شباط / ١٤ رمضان، مع ملاحظة أن أول من قُتل صبيحة ٨ شباط كان زعيم الجو جلال جعفر الأوقاتي.

الثورة، وكانت هذه من البديهيات وجزء من المنطق الثوري السائد بين جميع ثوار العالم. وإذا ما قرأت ادبيات الحركة الشيوعية انذاك ستجدها تؤكد على مشروعية مبدأ ازالة معرقلي "المسيرة الثورية". وتؤكد على ذلك ايضاً كل احزاب العالم الثالث ذات التوجه الراديكالي، ولم يتخلف عنه الحزبان العراقيان الشيوعي والبعثي. ولذلك اعطى الشيوعيون لانفسهم حق المبادأة بقتل ثوارنا صبيحة ٨ شباط، وحق رفع شعارات القتل والابادة حتى قبل ان تصل دباباتنا إلى محيط وزارة الدفاع. فتجاوب معهم البعثيون عملاً بنفس القاعدة خصوصاً وانهم يحملون السلاح ثائرين وحاملين رؤوسهم على اكفهم، بل وادركوا ان فشلهم في ما أقدموا عليه يعني الموت الاكيد بل والموت الشنيع وكان هذا الشعور دافعاً آخر وراء تشدهم وقسوتهم يضاف إلى دافع الحماس والايمان المطلق بشعارات الحزب وقيادته للبعث القومي العربي من المحيط إلى الخليج وكانت تلك الاحلام مستقرة في ضمير البعثيين وتدفعهم وتشجع روح القتال فيهم ضد من يتصورون انه يريد ان يعيق تحقيق مبادئهم المقدسة بل اعتقدنا ان خصومنا هم اعداء القومية والوحدة العربية والقضية الفلسطينية^(١).

١ — تورط الشيوعيون في موقفهم من القضية الفلسطينية وقرار التقسيم مما شجع تكوين صورة غير مقبولة عنهم لدى القوميين والبعثيين، وسوّغ الاصطدام بهم. ورغم مواقفهم النضالية الكثيرة ضد الحركة الصهيونية لكن ارتباطهم بالموقف السوفييتي ادى إلى اغفال أهمية الشأن القومي في سياق الاحلام والمشاريع الاممية. وانكشف ذلك بوضوح في تأييدهم التقسيم، فاستفزوا مشاعر الشباب العربي المثقف الناشيء. وكان تحسّ أوضاع العراقيين المادي والاجتماعي في النصف الثاني من هذا القرن قد زاد وشجع اهتمامهم بشؤون عربية وعالمية تقع خارج حدود بلادهم وبشكل خاص القضية الفلسطينية التي اضعوا عليها (البعثيون والقوميون خصوصاً) مشاعر ملتزمة اساسها الخوف من فقدان اجزاء عربية أخرى تلحق بالاسكندرونة وعربستان وفلسطين. ولذلك لا بد من دولة قومية واحدة قادرة على الدفاع عن كيان الامم. وفي المقابل كتب يوسف إسماعيل البستاني وزكي خيري (شيوعيان) في عام ١٩٤٨ مقالات ودراسات ردوا فيها على عزيز شريف، فقال خيري: "ان اسرائيل ليست حكومة فقط، بل شعب وارض، وقد تكون حكومتها رجعية شأنها شأن الحكومات العربية التي تحاربها، والحقيقة انها اقل رجعية من هذه. لكن هذا لا يعني ان دولة اسرائيل دولة رجعية كدولة اسانبا الفرانكية مثلاً، ففي دولة اسرائيل احزاب ونقابات...". وقال "لوان قرار هيئة الامم المتحدة نفذ باحلاص باقامة دولتين مستقلتين، لما تعرضت فلسطين للحرب، ولما وجد اليهود حاجة لامتناع الحسام، وهم المديون بكيانهم السياسي الراهن إلى قرار هيئة الامم المتحدة التي اتخذتها تحت ضغط الرأي العام الديمقراطي العالمي وصلابة موقف الاتحاد السوفييتي"^[20].

وفي آذار ١٩٥٢ قالت نشرة للحزب الشيوعي ان حرب ١٩٤٨ "كانت حرباً رجعية استعمارية بالنسبة للبلدان العربية، وذات طبيعة تحررية بالنسبة للشعب الاسرائيلي"^[21].

وفي الحقيقة لا يمكن الاستدلال على صحة الموقف السابق لزكي خيري استناداً إلى ما وصلت إليه القضية الفلسطينية حالياً، بحيث يأتي من يقول لو سمعنا كلام زكي خيري أو بورقية مثلاً لكننا قد حصلنا على حقوق أكثر مما يطالب به الآن!! وحقيقة الامر غير ذلك تماماً لأن ما حصل كان نتيجة ليزان القوة ولم يكن قدراً حائماً، ولا استناداً إلى شرعية أو حق معين. فإسرائيل ومن ورائها يهود العالم عرفوا هذه الحقيقة فعملوا واجتهدوا وتكتلوا ورفعوا شعارات ابعاد "من الفرات إلى النيل"، وقاتلوا بل واصطنعوا الحروب واقاموا الاحلاف مع الدول الاقوى مستندين إلى قاعدة "التخادم"، ومستخدمين مختلف الوسائل بلا حدود أو رحمة ليجعلوا ميزان القوة يميل لمصلحتهم. فحققوا ما حققوه

←

واذا اضفنا إلى ما تقدم من دوافع حماسية فإن متوسط اعمارنا التي لم تتجاوز العشرينات، وانعدام الخبرة الادارية والحكومية السابقة، سوي ما خاضه فؤاد الركابي في وزارة عبد الكريم قاسم الأولى وكانت فترة قصيرة، سيكون سهلاً عليك ان تفهم مدى التسرع والنزق وقلّة الصبر وقلّة التأمل والتفكير في القرارات المتخذة وفي عدم السماح للوقت الكافي ان يمر لانضاج الامور، وإلى الاستعجال في كل الاعمال سواء على صعيد التعامل مع الخصوم الوطنيين أو في مفاوضات الوحدة أو التفاوض السلمي مع الاكراد.

كل شيء اتسم بطابع الانفعال الشديد والاستعجال الذي يؤدي في احيان كثيرة إلى الانجرار وراء الرعاع والابتعاد عن العقل والاتزان وإلى التعصب الحزبي والادجلة للقسوة على انها حزم وشجاعة.

سؤال : هل سمعت حينذاك عن حوار دار مع قيادة الحزب الشيوعي المعتقلة من قبل حازم جواد أو علي صالح السعدي؟ وكيف مات اعضاؤها داخل السجن ؟

طالب شبيب : يقيناً ان حازم جواد لم يجر أي حوار مع سلام عادل. ولم يكن حازم جواد يملك متسعاً من الوقت ليقوم بذلك لانه انشغل بمهام كبيرة. اما الذين انشغلوا بمسائل التحقيق فهم اعضاء القيادة المتفرغين الذين كانوا بدون مهمات حكومية مباشرة كمحسن الشيخ راضي وهاني الفكيكي وقيادة الحرس القومي وهيئة التحقيق الخاصة، وعلى حد علمي لم يلتق أي عضو قيادة بعثي بهم غير من ذكرتهم.

اما عبد الكريم نصرت فلم يلتق بالسجناء فقد كان أمراً عسكرياً وليس محققاً. كما لم يكن منذر الوندائي في الايام الأولى على صلة بالحرس القومي أو بالتحقيق وبالتالي فليس له اية صلة

استناداً إلى قوتهم وضعفنا. ولو تكتل العرب حتى اللحظة الاخيرة لكانت حظوظهم افضل، لكن دعوات المزعمة كانت قد بدأت عندنا منذ ١٩٤٨ وحتى هذه اللحظة عندما سالت منظمة التحرير اسرائيل شكلياً في وقت ما زالت فيه القدس وارض فلسطينية وعربية عزيزة تحت الاحتلال. ويذكر ان زكي خيري اعترف بخطأ افكاره بعد ٥٠ عاماً في مذكراته. ولم يكن الموقف عند الشيوعيين من اغتصاب فلسطين موحداً، فقبل الاغتصاب تحدث محمد حسين الشبيبي عن مؤامرات كان يدبرها الاستعمار والصهيونية ضد الاماني العربية في فلسطين[22]. كما كتب فهد رسالة من السجن مالمك سيف يأمره باتخاذ موقف مبدئي من التقسيم وعدم الاعتراف بقومية يهودية وعدم مسايرة موقف الاتحاد السوفيتي المحكوم بظروف دولية ومحلية، ويأمره بالوقوف ضد المشاريع الاستعمارية والصهيونية[23]. لكن قيادة الحزب خارج السجن خدلت فهد. وكان موقف سلام عادل ممثلاً لموقف فهد. وفي موقف الشيوعيين ما زال هناك أمر غير مفهوم هو كيف استطاع الشيوعيون المطالبة بحق تقرير المصير للأكراد، ولكنهم رفضوا بطرق مختلفة حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني!

بالجرائم التي ارتكبت. واطن ان منذر كانت لديه الرغبة في ضبط الحرس القومي لانه كان بعثياً قبل دخول الكلية الجوية وتربى بمدرسة الحزب السياسية، فضلاً عن عامل السن والنضج فكانت سنه قريبة من سن اعضاء القيادة. لكن الظروف تشابكت ودفعت شباب الحرس القومي بعيداً عن امكانية الضبط فتغلبوا على إرادة منذر وجرحوه إلى حيث مواقعهم.

ولم اعد اذكر ماكنت قد سمعته في احد اجتماعات القيادة عن حديث دار بين هاني ومحسن من جهة وقيادة الحزب الشيوعي من جهة اخرى. وبالتأكيد ان حواراً ما قد تم بيننا وبين المعتقلين، اذ لايمكن ان يكون كل شيء قد دار في فراغ. ولا اذكر الآن بعد أكثر من ثلاثين عاماً مانقل إليها ، واسمح لي ان اقول لك : ما قيمة الحوار الذي دار، إذا كان الامر قد انتهى بموت هؤلاء "خطأً وجهاً" .. فقد أبلغنا صباح احد الايام ان قادة الحزب الشيوعي قد ماتوا!! فغطينا نحن، مع الاسف، ذلك بقرارات رسمية. اذ قال تقرير الطبيب الشرعي وهو بعثي اسمه ".....علوش" بانهم ماتوا بالسكتة القلبية، لانهم ظلوا حتى الصباح معلقين وارجلهم مرتفعة قليلاً عن الارض، وذلك يؤدي بعد فترة من الزمن إلى السكتة القلبية.

وكنت قبل السفر للقاهرة، أي بعد الثورة بايام، قد زرت "قصر النهاية" (وهو اسم اطلقه عبد الكريم قاسم على هذا القصر الملكي الذي تحول إلى موقع عسكري -معتقل- وقد تمسك الناس بعد ذلك بهذا الاسم)، فرأيت حسن عويضة بحالة يرثى لها. وامرت بالكف عن التحقيق معه ومعالجته حتى عودتنا من السفر كي تتاح فرصة محاورته حول ما قيل عن ترؤسه لفرق الاغتيال التي زعمَ انها تستهدف قيادة حزب البعث.

جلست امامه وكان بعض اعضاء قيادة الحرس وفرع بغداد ما زالوا يحققون معه. قلت له: لماذا لا تعترف؟ اجاب: أنا عقائدي ومقتنع بمبادئ، ولا يمكن ان أخون رفاقي ومبادئ. قلت: ان هؤلاء سيلحقون بك الاذى وربما تقتل. فقام من مجلسه وكان يرتدي ملابسه الداخلية فقط، وسحب لباسه الداخلي وأراني ظهره وقفاه الممزقين وقال : ماذا سيفعلون أكثر من ذلك فانا أصبحت لا اشعر بقسوة التعذيب مهما كان نوعه^(١).

١ — اعتقد ان الطبيب الشرعي كان "صادق حميد علوش"، سكن بغداد وهو من من ابناء مدينة الخلة. درس الطب في بريطانيا ومارس المهنة في بغداد عام ١٩٦٣، وأصبح بين ١٩٧٥ - ١٩٧٩ رئيساً لدائرة مدينة الطب ورئيس الجمعية الطبية ورئيس نقابة الاطباء في العراق. ومن ١٩٨٢ حتى ١٩٩٠ وزيراً للصحة. وبعد ١٩٩٠ عُزل وعين مستشاراً علمياً، ويعمل الآن في فرع بغداد للحزب الحاكم. وعرف عنه التزلف للاقوياء والاساءة للآخرين. ويعتقد زملاؤه انه تسبب في مقتل خلفه وزير الصحة السابق الدكتور رياض الحاج حسين، بالكتابة عنه إلى مكتب صدام حسين الذي قتله بطريقة بشعة. كان تقريره الطبي عن موت القيادة الشيوعية يمكن ان يكون صحيحاً من الناحية النظرية، فالوفاة لا تحصل عادةً بسبب "التعليق"، ولكن التعليق يجلب الخوف والقلق وربما اليأس من النجاة، والخوف مع الارهاق

يؤدي إلى صدمة، والصدمة مع الخوف يؤديان إلى الوفاة. لكن التعليق بذاته لا يسبب الوفاة حتماً. وإن استعراضاً لبعض مصائر أعضاء اللجنة المركزية والمكتب السياسي للحزب الشيوعي سيؤكد أن ليس جميعهم قتلوا بطريق الخطأ، ومن أمثلة ذلك:

أولاً: روى خالد طبرة للأستاذ صفاء الفلكي (سفير في أكثر من بلد، ويعني مساهم بكل المراحل السابقة) قائلاً له: حقراً أنا وسعدون شاكر (وزير داخلية ومدير أمن عام بعد ناظم) قيراً لـ محمد صالح العلي وحسناً به واستزناؤه إلى القبر (الحفرة) وبعد مدّه بداخله، طالبه سعدون شاكر بالاعتراف أو الموت؟ فرد العلي بشجاعة واتهما بخيانة الوطن. فأطلق عليه سعدون شاكر فمات فوراً دون أن يعترف أو يتنازل، وحصل الأمر مع مهدي حميد.

ثانياً: الحامي حمزة سلمان الجبوري عضو لجنة مركزية جيء به مع الضابط الشيوعي مهدي حميد من بقرة السلمان إلى بغداد (مركز تحقيق المأمون) وطالبوه أمام حشد من المعتقلين بالاعتراف ثم طلبوا إليه أن يعد من الواحد إلى العشرة وقبل أن تنتهي أطلق عليه فمات. ثم جيء بمحيي الشيخ بعده مباشرة فرفض الاعتراف فقتل بنفس الطريقة.

ثالثاً: قتل عضو المكتب السياسي جمال الحيدري والصحفي عبد الجبار وهي بعد اعتقالهما مع العلي في دار فاضل الخطيب والد الدكتور عطا الخطيب والدكتور عطية الخطيب، فوراً بعد رفضهما الاعتراف، وقتل معهما ابن جمال الحيدري ونرحس الصفار الصبي فاضل الحيدري، وعمره ١٤ سنة، وكان يقوم بنقل البريد أحياناً.

رابعاً: مقتل توفيق منير العاني بدار هاشم عبد القادر المملوكة لعزیز شريف، مقابل السفارة المصرية والمجاور لدار عز الدين الراوي (اخو عبد الهادي الراوي). وتمت العملية بعد أن ابلغ أحد عناصر الامن بوجوده فنزل عليه الحرس القومي من سطح الدار، وعلى عكس ما اشيع من أنه قاتلهم فقتل، لم يكن الرجل يحمل سلاحاً بل بادروه بالرمي بصليبات كثيرة فتناثرت دماؤه في كل مكان. ويذكر أن نوري السعيد كان قد سحب جنسيته العراقية مع كامل القرائني (من قادة الوطني الديمقراطي) وآخرين عام ١٩٥٤ وسفّره إلى خارج البلاد. وكان توفيق منير حائزاً على جائزة جوليو كوري للسلام [24].

خامساً: اعتقل مني الشيخ مع الدكتور محمد الجلي في دار الأخير، ونقل إلى مركز المأمون، فقتل مني الشيخ مع عضو اللجنة المركزية الآخر حمزة سلمان الجبوري، ومهدي حميد، في حين نقل الجلي إلى قصر النهاية، ووضع في السرداب مع سلام عادل والآخرين، ثم نقل مع عضو اللجنة المركزية نافع يونس إلى بناية محكمة الشعب، وقتل هناك في تمسوز ١٩٦٣، أي بعد أشهر من تقرير د. علوش.

وفي هذا الشأن قال د. تحسين معلقة: "بعد اعتقال قيادة الحزب الشيوعي بأربعة أيام طلب مني حمدي عبد المجيد الحضور إلى "قصر النهاية" لعيادة بعض المرضى. ذهبت إلى هناك وبدأت من السرداب فرأيت سلام عادل نائماً وسط القاعة طويلاً نفسه على الأرض مشدود العينين ومدمى. وعبد الرحيم شريف العاني بنفس الحالة وكذلك حسن عويبة وعبد القادر إسماعيل البستاني وحدي ايوب العاني وآخرين لم اتعرف عليهم وكانوا بحالة مزرية ينامون مباشرة على أرضية السرداب الرطبة. حاولت تضميد جراحهم وانتقلت لردمات أخرى وكتبت لهم الادوية المطلوبة وكنت اعودهم يومياً لمدة اسبوع. وتعاملت معهم كما يتعامل طبيب مع ردة اعتيادية للمرضى حتى جيء في أحد الايام بهاشم جواد (وزير خارجية قاسم) واعطوه وجبة عشاء "خبز وتمر" فسألته: هل تشكو من شيء؟ فاجاب مذهولاً "شئو يعني؟" فقال له أحد الحراس القوميين: هذا د. تحسين معلقة. فوقف مرتجفاً: نعم نعم!! قلت: أنا طبيب واستطيع ان اخدمكم. سألت عبد القادر البستاني: لماذا وصلت الامور إلى هذا الحد؟ فأشار إلى سلام عادل قائلاً أنه هو السبب. وعندما وصلت إلى سلام عادل سألته فأجاب: هذه مسائل يجب ان تتحاور حولها، وليس هناك احابات سريعة. ولم اكلم حسن عويبة تالماً لانه ابن صفى الدراسي في ثانوية النجف. ولم اكلم عبد الرحيم شريف لانه عدل احى المحرم عبود معلقة، شجعت منه وكان صلياً وتحدثت مع د. محمد الجلي وكان جسده مجروحاً فقال: الاحتجاج إلى حليب ولحم؟ قلت أنا طبيب ساصف لك ذلك ولا ادري إذا كانوا سيلبون هذا. وفي نفس اليوم حصلت حادثة مزعجة ضد

←

وأخيراً فأنا أشك بوجود أشرطة مسجلة لأي حوار يُزعم أنه دار بين القيادتين البعثية الحاكمة والشيوعية السجينة، لأنه لم يجر أساساً أي تحقيق منتظم، وليس صحيحاً ما قاله الفكيكي عن وجود تسجيلات محفوظة في القصر الجمهوري، ولم اسمع بذلك إطلاقاً ولا اعتقد أن له نصيباً من الصحة.

المعتقلين فصممت أن لا اعود إلى قصر النهاية. وبعدها علمت أن د. ادب الفكيكي ود. سعدون التكريتي وطبيب ثالث ربما هو صادق علوش كلفوا بزيارة المعتقلين [25].

ويرى الشيوعيون أن ادعاء مقتل جورج تلو على يد رحيم شريف هو مجرد دعاية وحرب نفسية، ويقولون عن شريف أنه تميز بعلو ودماثة خلقه وبعدهم تدخله بشؤون الآخرين، وأن تلو لم يكن ضعيفاً أو متخاذلاً حتى يتطوع شريف لقتله، بل كان صلياً وصعد على كرسي وحث المترددين على الصمود وهتف بحياة حزبه فرماه أحد المحققين بطلق ناري. أما أقرباء رحيم شريف العاني فيقولون أن طبعه يمنعه من القتل. وأنه لم يكن يستطيع الجلوس لأن المحققين كسروا ظهره فقد رفسه أحدهم على صدره بقوة بينما كان نائماً على الأرض واستمر على ذلك الحال حتى وفاته واعتقد أن حادثة مقتل تلو هي التي دفعت د. ملة إلى عدم الذهاب إلى قصر النهاية مرة أخرى. وكانت قيادة الحزب الشيوعي والكادر الملحق بها تتكون حينذاك من: سلام عادل (عمار) سكرتير أول ومشرف على التنظيم العسكري (قتل)، هادي هاشم الأعظمي (حسن) عضو السكرتارية اعتقل واعترف، ويدعي البعض أنه كان على صلة بأجهزة الأمن منذ فترة سابقة، في حين سمعت شخصياً عام ١٩٧١ من أحمد العزاوي أن هادي هاشم جاء منهاراً وبدافع ذاتي، وهو أمر يحصل كثيراً في العمل السري. محمد صالح العبلي - نعمان - عضو السكرتارية مسؤول العلاقات بمنظمات الحزب (قتل). جمال الحيدري - حبار - عضو السكرتارية مسؤول الفلاحين (قتل). جورج تلو عضو مكتب سياسي (علي) مسؤول التنظيم العسكري وكان قبلها مسؤول الخارج (قتل)، عزيز محمد (مخلص) عضو مكتب سياسي مسؤول كردستان كان في شمال العراق. سلام الناصري (غيث) عضو مكتب سياسي مسؤول بغداد، كان في موسكو. باقر إبراهيم الموسوي (مجيد) مرشح مكتب سياسي بقي على رأس منظمة الفرات الأوسط التي لجأت إلى الريف وضمنت السلامة. وقتل جميع أعضاء المكتب العسكري ما عدا ثابت حبيب العاني (كان في الخارج) وبينهم جورج تلو ونافع يونس وسلطان ملا علي وعبد الستار مهدي محمد رضا وغيرهم. ونجا عزيز شريف وآرا حاجادور لوجودهما في الخارج. ونجا صالح الرازقي وزكي خيري لوجودهما مع باقر إبراهيم في ريف الفرات الأوسط. وكان في الخارج أيضاً كل من حسين سلطان وعزيز الحاج ود. نزيهة الدليمي وعامر عبد الله وبنهاء الدين نوري وناصر عبود. وقتل محمد حسين أبو العيس عضو مكتب سياسي "مخفض" مع سلام عادل بنفس الطريقة ووضعت جنتسه في زنزانة واحدة مع زوجته (سافرة جميل حافظ) اخت زكي نجيب حافظ نقيب المحامين وعضو قيادة حزب العربي الاشتراكي وهي أديبة نالت جائزة على روايتها "دمي واطفال". وصالح دكلة (سعيد) عضو لجنة مركزية مسؤول الجنوب اعتقل وهربته زوجته انعام العبايجي، بعد أن تمكن عزيز الشيخ المعترف والمنقول من قصر النهاية إلى النادي الأولي عند إذاعة أسماء المنقولين ليصعدوا إلى الناقلة من مسك يده والضغط عليها، فأدرك دكلة فكرته وصعد معه، وعندما وصلوا النادي، قرأت الأسماء ولم يكن بضمنها، فأرادوا إرساله إلى القيادة العامة للحرس القومي، واحتاروا معه ثم أبقوه ليأتي دوره في التحقيق، فجاء إليه سعدون غيدان وكان عضواً في اللجنة التحقيقية وحده من مصيره، فترتب زوجته أمر تهريبه بعد طلب نقله إلى المستشفى. عبد الرحيم شريف عضو لجنة مركزية مسؤول لجنحة الثقافة والاقتصاد (مات إثر التعذيب). شريف الشيخ عضو لجنة مركزية. عمر الشيخ عضو لجنة مركزية كان موجوداً بكردستان. حسن عويبة عضو ارتباط باللجنة المركزية (قتل). عزيز الشيخ مرشح مكتب سياسي. كريم أحمد مرشح مكتب سياسي في كردستان. وهكذا لو دققنا أكثر لوحدنا أن كل واحد منهم قد قتل بطريقة مختلفة، مما يؤكد قطعاً تحلف تقرير د. صادق علوش.

حظ العراق سيء !!

سؤال : ما الذي يميزك انت وعلي وحازم ومحسن وحدي وحيد والونداوي وكريم نصرت واحمد العزاوي عن حسين الرضي (سلام عادل) وابو العيس والعبلي وعزيز وعامر وحدي أيوب وتوفيق منير وباقر إبراهيم وعوينة . . الخ ؟ انتم بعثيون وهم شيوعيون لأسباب تتعلق ربما بالمصادفة، بينما الضرورة تؤكد أنكم أبناء بلاد عريقة واحدة وأبناء تراث واحد وأهداف وطنية عامة مشتركة . . فما عساكم فعلتم ؟ أهو حظ الانتساب أم الايديولوجيا، أم ماذا ؟

طالب شبيب : كنا جميعاً مناضلين ولكن في خندقين متجابهين وفي حالة تصادم. كان هو فعلاً حظ الانتساب. نعم ففي الحرب الاهلية الامريكية تقاتل زملاء الكلية الواحدة وهي أكاديمية ويست بوينت العسكرية فاقتتلوا رغم ارتباط بعضهم بتزواج ونسب متقارب عندما صاروا في خندقين مختلفين. كما ان كازانتاكس كتب رواية "الاخوة الاعداء" كصورة فنية لحالة واقعية تحققت في الحرب الاهلية اليونانية التي كانت ايضا مؤسفة.

انه حظ مؤسف وملعون، حظ العراق سيء!! والآن وبعد مرور سنوات طويلة، لو افترضنا ان موقف الشيوعيين العراقيين كان مشابهاً علي سبيل المثال لموقف الشيوعيين السوريين الذين اعتبروا نظام البعث في سوريا قومياً تقدماً رغم اختلافهم معه في شؤون وتفصيل كثيرة، الا انهم اختاروا التوافق في الشؤون الاستراتيجية الداخلية والخارجية، ولم يفكروا ولا مرة واحدة كما فكر نظراؤهم العراقيون بأن اية قضية لا يجب ان تمر الا عبر قناتهم وتأخذ موافقتهم، وان ما لا يوافقون عليه يجب ان لا يحصل بل وتقع لعنتهم على من يخالفهم . وكان بعضنا يأسف لعدم سلوك الحزب الشيوعي مثل الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي بعث زعيمه الملا مصطفى البارزاني برقية تأييد لقيادة حركة ١٤ رمضان وضمنها شرط الحل العادل للقضية الكردستانية. وكان علي السعدي قد اجرى اتصالات سرية مع المرحوم صالح اليوسفي الذي كان ميالاً للسلام وحقق الدماء بين العرب والاكرد. فعرض البعث ايقاف العمليات الحربية من قبل الجيش فور استلام السلطة، ووعد الملا مصطفى بوقف العمليات الحربية من قبل البيشمركة وقد ابر بوعده. وهذا يعني ان الشيوعيين كانوا قد ذهبوا في تشدهم ضدنا ابعد من البارزي رغم ان الاخير حزب يمثل قومية اخرى. واعتقد انه لو لم تتكون في الاذهان بعض المفاهيم المتعصبة، لجرت الامور مجرى آخر وربما استطعنا لو حصل ذلك ان نصنع جبهة داخلية قوية بامكانها منع الطائنين مثل صدام حسين ومجموعته من التسلسل، فيما بعد، في غفلة الصراعات بين القوى الوطنية إلى حكم العراق

العزیز وتحويله إلى خراب وتقسيمه بصورة مشوهة إلى طائفية وشوفينية وجهوية . . الخ^(١).

ومن ناحية أخرى فلو كانت عقلية البعث في العراق أكثر مرونة وتسامحاً سياسياً وفكرياً، ولو توجه في حل المشكلات إلى الحوار وليس الحراب، ولو استفاد من طريقة رفاقه السوريين لاستطاع إقامة توازن ممتاز يحفظ للبعث قوته ويحافظ على وجود الشيوعيين معه في نفس الخندق. فقد استطاع السوريون ادامة ذلك أكثر من ربع قرن رغم حجم الضغوط والتآمر الكبير الذي تعرضوا له والذي لا يقاس بما تعرض له العراق حينذاك، فلم تكن سلطة البعث في بغداد عام ١٩٦٣ تواجه أي تحد دولي أو اية معارضة داخلية جدية، ولكنها خلقت لنفسها مشاكل كثيرة داخلية وخارجية كان يمكن تجاوزها وتجنب المصير السيء للعلاقات بين الحزبين والتي انتقلت من الحوار السياسي في الصالونات واروقة المدارس والجامعات إلى ساحات الإعدام وحوار الدم.

١ — الواقع ان حوار الصالونات الذي بدأ سلمياً هو الذي اسس لحوار الدم. لانه لم يكن حواراً للتفاهم بل مبارزة بين ايدولوجيات تتقابل فيها مفاهيم مجردة لا تتصل بمتغيرات الواقع. فكان ذلك الحوار صراعاً بين أحزاب تتبنى انساقاً من المفاهيم الشاملة المختلفة، وليس بين اشخاص احرار يمثلون حاجاتهم الاجتماعية والإنسانية المحددة والواضحة. وكانت الساحة العراقية تكتظ بمفاهيم سياسية صادرة عن النظام الاممي السوفيتي الراغب في توحيد الكرة الارضية تحت شعاراته. وكانت تقابلها مفاهيم قومية لم تستكمل نضجها بعد، وبعضها مستورد من مفكرين غربيين ايطاليين وفرنسيين وألمان. فكان احتراباً محلياً بمقولات اجنبية لا تتغير مضامينها ابداً، لارتباطها بنسق ايدولوجي شامل يربط امكانية تغييرها بتغير كامل منظومة المفاهيم المكونة للايدولوجيا الواردة!!

وحفاظاً على استمرار توتر وتماسك الجماعة المنظمة (الحزب) يُشترط على المنتظم الالتزام الضروري بمفاهيم "تورية" تُضخّم الجزئيات وترفعها إلى مستوى القضايا المصيرية المقدسة التي تؤدي إلى اصابة العقل بنشوة السكر، وتجعل مرارة التصادم قدراً حائماً! وتضع الديمقراطية في وعاء ديكتاتورية الدولة أو البروليتاريا أو الطليعة الانقلابية. فقرر البعثيون العراقيون ضمناً بان الانقلاب العسكري وسيلة ثورية لا بد منها، فلحق بهم الشيوعيون قائلين إن "الانقلاب العسكري هو انتفاضة شعبية وطبقية في ظروف بلادنا، أو انه الانتفاضة التي تلعب فيها القوات المسلحة الدور الحاسم"^[26].

مراجع:

- [1] حنا بطاطو، جزء ٣، مرجع سابق، صفحة ٢٩٢. حصل بطاطو على النص المذكور من الاستاذ حسين جميل في ١٣ آذار ١٩٦٣ وعثر عليه في بيت احد الشيوعيين. كما اخبر احد اعضاء منطقة بغداد للحزب الشيوعي انه كان مكلفاً بتوزيعه في منطقة الرصافة.
- [2] سمير عبد الكريم. اضواء على الحركة الشيوعية في العراق، دار المرصاد، بيروت، الجزء الثالث صفحة ٢٦ — ٣٧
- [3] د. عبد الحسين شعبان رسالة شخصية، ومقابلة في لندن، ١٩٩٨.
- [4] رياض طه، محاضر محادثات الوحدة، المحضر الثالث، مطابع دار الكفاح العربي، صفحة ٢٨
- [5] زكي خيرى مذكرات سياسي عراقي محضرم، القسم الأول، ١٩٩٤، صفحة ٢٤
- [6] يونس الطائي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٥.
- [7] بهاء الدين نوري مذكرات ١٩٩٥ ط ٢ ص ٢١٣.
- [8] علي الشوك جريدة الحياة الندنية ١٩٩٢/٣/١ عن كتاب نجم محمود (ابراهيم علاوي) المقايضة.
- [9] ثابت حبيب العاني رسالة العراق، العدد ٨، ١٩٩٥.
- [10] يونس الطائي، مقابلة، ١٩٩٥.
- [11] سمير عبد الكريم، ج ٣، ص ٩٥.
- [12] لقاءات متفرقة مع قادة شيوعيين بينهم عبد الرزاق الصافي ولييد عباوي وجميل منير وحامد أيوب.
- [13] باقر إبراهيم الموسوي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٤.
- [14] حردان التكريتي، مذكرات سياسي عراقي، دراسة احمد رائف (اسم مستعار)، بيروت، دار الزهراء للاعلام العربي
- [15] تعميم شيوعي صادر عام ٦٧ بعنوان "محاولة للتقييم . . ." حنا بطاطو العراق، شيوعيون وبعثيون، مصدر سابق، ص ٣٠٦.
- [16] بهاء الدين نوري، مذكرات، م س، صفحة ٢٠٧.
- [17] صالح دكلة، ندوة هولندا لايدن في ٢٧/١٠/١٩٩٥
- [18] ثابت حبيب العاني، رسالة العراق، العدد ٨، ١٩٩٥.
- [19] حامد ايوب، مقابلة، دمشق، ١٩٩٧.
- [20] عزيز الحاج، ذاكرة النخيل، مصدر سابق، ص ٨٨.
- [21] عزيز الحاج، ذاكرة النخيل، ص ٩٨.
- [22] حسين محمد الشبيبي، كتابات الرفيق حسين محمد الشبيبي، - من وثائق الحزب الشيوعي العراقي.
- [23] د. عبد اللطيف الراوي، عصابة مكافحة الصهيونية في العراق ٤٥ - ١٩٤٦، دار وهران في الجزائر ودار الجليل، دمشق ١٩٨٦ صفحة ٢١.
- [24] جميل منير، مقابلة، هولندا، ١٩٩٦.
- [25] تحسين معل، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
- [26] الحزب الشيوعي العراقي، بيان صادر عام ١٩٦٦.

ملف الوحدة

إخفاق الوعي وإخفاق التجربة

نرفض الممكن ونطلب غيره

تميزنا نحن القوميين برفض المأمول والمحتمل في سبيل المستحيل، فسينا إلى أهداف أكبر مما تستطيع قدرتنا ووعينا على إنجازه واستيعابه. ولما كانت الوحدة العربية معيارنا للموقف الوطني والقومي، ولصدق النضال ضد أهداف الاستعمار وضد أعداء الأمة العربية، فقد أدركنا أن طرقنا مع عبد الكريم قاسم مختلفة ومع الشيوعيين مقطوعة. فلم يرغبوا بأكثر من تضامن عربي واتحاد فدرالي، بينما نحن وبقية القوميين أردنا وحدة اندماجية فورية شاملة. واستناداً لهذا التباين اتضحت خيوط الاختلاف، فأخذ كل طرف يكتل حوله الأنصار والأصدقاء داخل العراق وخارجه. وللأسف إن كلا الطرفين كان على خطأ وصواب في الوقت نفسه. فلو سعيانا لفدرالية لأمكن تحقيقها بسهولة، وكان عبد الناصر سيوافق عليها^(١).

١ — لم يكن قاسم والشيوعيون وحدهم الذين يقولون بمنهج تدرج الوحدة وبالاتحاد الفدرالي أو البدء بتضامن عربي فعال وعملي مدعوم باتفاقات عسكرية وثقافية واقتصادية، أو بوحدة يسبقها التهيئة الداخلية وحل المشكلات المعيقة لكل قطر. بما في ذلك بناء المؤسسات الحكومية والشعبية الملائمة، بل إن ناصر نفسه وصل إلى هذا الرأي حتى قبل سقوط قاسم، وقد ابلغ به قيادة البعث بعد أيام من حركة ٨ شباط في معرض تقييمه لانتكاسة الوحدة المصرية السورية قائلاً: "الوحدة الاندماجية سابقة لأوانها، وهذا ما عبرت عنه في كلامي بضرورة مراعاة العوامل الإقليمية"^[١]. كما أبدت حركة القوميين العرب وحدة الهلال الخصيب وأبدت إمكانية قيام وحدات إقليمية بأي شكل كان، كوحدة شمال أفريقيا ووادي النيل والجزيرة، وأطلقوا عليها اسم (المرحلة) بدلاً من الاندماجية الفورية الشاملة^[2]. وهو موقف يتطابق مع موقف الحزب الشيوعي العراقي الذي عبر عنه عامر عبد الله في ١٩٥٩ بمحاضرتة الشهيرة (الطريق إلى وحدة الأمة العربية) بقاعة الخلد. ووقف الحزب الوطني الديمقراطي وكتلة عبد الهلدي الراوي وجابر حسن حداد وكتلة الحزب الإسلامي العراقي العسكرية والحركة الكردية، ضد الاندماج الفوري^[3]. وعلى مستوى الأشخاص فقد وقف نفس موقف قاسم كل من كامل الجادرجي وعبد الفتاح إبراهيم وحسين جميل ومحمد حديد وعبد اللطيف الشواف وعبد الوهاب الشواف ومحمد مهدي كبة ومحمد صديق شنشل وهديب الحاج حمود ومحمد مهدي الجواهري وعبد الوهاب البياتي وبلند الحيدري وعبد الجبار الجومرد وناجي طالب وعبد الرحمن البراز وتيار واسع من الشخصيات الحكومية والاجتماعية والحزبية، أكبر بكثير من تيار الوحدة الاندماجية الفورية الشاملة. وعلى سبيل المثال فقد كشفت الوثائق البريطانية أن عبد الرحمن البراز أكد في يوم ٢٦ آب ١٩٥٨ للسفير البريطاني (المستر فالي) بضرورة الفدرالية وبأنه يرى ضرورة بقاء العراق كيئناً منفصلاً يمكنه الدخول بنوع من

←

وفي الحقيقة لم يكن إخفاق الوعي وإخفاق التجربة السالفة هي المرة الأولى التي فشلنا فيها في استيعاب المرحلة وحاجاتها وإمكانياتها. فلقد خسرنا في مرات سابقة المشروع الحدودي لسوريا الكبرى، الذي كانت تدعمه فرنسا. ولو لم نغرقه، أو لو كنا قد دفعناه إلى الأمام، لربما أمكن تحقيق وحدة سوريا الحالية ولبنان والأردن وأجزاء من فلسطين، والمساعدة على الوقوف بوجه الصهيونية التي أغرقت فلسطين بالهجرة اليهودية تمهيداً لاستحداث وبناء دولة إسرائيل عليها.

أما المشروع الثاني الذي أهملناه في الخمسينات فقد كان مشروع الهلال الخصيب - سوريا والعراق فلسطين ولبنان والأردن والكويت - . وشاركت في رفضه جميع الأحزاب والجمعيات (التقدمية) العربية، مما عكس سذاجة وغرارة وغضاضة الوعي العربي. فليتنا قبلنا بمشروع الهلال الخصيب. نعم ليقه تحقق، لأنه يعني توحيد خمسة أجزاء عربية في دولة واحدة. فأني حلم عربي كان سيتحقق؟ أي حلم عربي؟ .

رفضنا مشروعين صدر الأول عن فرنسا والثاني عن بريطانيا، وكل منهما كان قادراً على تحقيق تلك المشاريع، وطرحننا مقابلهما مشاريع شاملة أردناها فورية، ولم نفكر بألية تحقيقها، فأفشلنا دون قصد مشاريع وحدوية ممكنة ودفعناها إلى المستحيل، في حين كان يجب التوقف عندها ودراستها لنعرف ما إذا كنا سنكسب منها شيئاً^(١).

الفدرالية لتأسيس اتحاد عربي يشمل الجميع[4]. في حين رأى الجادرجي بأن ليس من مصلحة العراق الانضمام للعربية المتحدة، وبدلاً من ذلك يمكنه إقامة تعاون وثيق معها في السياسة الخارجية، بل انه أوضح للسفير البريطاني (المستر فالي) بأنه ضد حكم الحزب الواحد، ولا يرغب " أن يُحكم العراق بنفس الطريقة التي تُحكم فيها مصر "[5]. ورأى العميد عبد الهادي الراوي ضرورة التريث ودراسة الوحدة وعرضها على علماء الدين في كل من العراق ومصر، ولا يجب أن تقوم الوحدة قبل موافقتهم عليها. ولم يكن ذلك، كما هو واضح، عملاً اندماجياً فورياً[6]. ولكل ما تقدم أرى ان على الباحثين الموضوعيين ان يفتشوا عن سبب آخر، غير الموقف من الوحدة العربية، أدى إلى قسوة الصراع بين قاسم وحلفائه من جهة وأولئك الذين مثلوا التيار القومي من جهة أخرى.

١ - في وقت سابق على حديث شبيب بعشرين عاماً انعقد المؤتمر القومي الثاني عشر لحزب البعث العربي الاشتراكي بدمشق ١٩٧٥ ، وكنت عضواً أصيلاً فيه. في ذلك المؤتمر تحدث حافظ الأسد مطولاً حول المشاريع الوحدوية التي رفضناها. وكان حديثه على سبيل إلفات النظر لأهمية الوحدة بين العرب، فسمعنا لأول مرة من قائد بعثي تاريخي ما يكسر الموقف المعتاد من تلك المشاريع. فقد تأسف الأسد لعدم تحقق مشروع الهلال الخصيب رغم انكليزيته. واعتبر أن تحقيقه كان من الممكن أن يكون خطوة يمكن أخذها والعمل على توطيدها ثم التضامن من أجل توسيعها. خطوة في طريق الوحدة المأمولة. بل تحدث الأسد من موقع الأمين العام للحزب عن فهم جديد، أكثر عقلانية عندما قال : " ان تعبيد طريق أو مد سكة حديد أو توحيد مناهج دراسية بين قطرين عربيين كالاردن وسوريا سيكون خطوة وإنجازاً وحدوياً ندعمها ونسعى إليها" . حينها فوجئنا، وترجم بعضنا، فقط لإعتيادنا على شجب تلك المشاريع والسياسيات دون تدقيق وبمجرد ذكرها أماناً واعتقد ان البعثيين والشيوعيين وغيرهم قد تورطوا في رفض مشاريع وحدوية سياسية

←

أما المشاكل الناصرية السورية ذات التاريخ المير، والعالقة في أذهان الطرفين الناصري والبعثي، فقد كان من الممكن تجاوزها بمجرد إعلان أي تقدم وحدوي واقعي جديد، حتى لو كان أقل بكثير من وحدة اندماجية شاملة. وكان من الممكن إقناع التحمسين بأننا هذه المرة أشد حماسة وأقوى إرادة، لكننا متعقلون وحريصون على عدم الفشل.

لكننا لم نعرض أيًا من الأفكار التي تواجهنا، أو حتى أفكارنا الخاصة، للدراسة والتمحيص أو لحسابات الربح والخسارة. ولم نعط اعتباراً لأهمية تأجيل المعارك التي لانملك وسائل خوضها، فحسبنا معاركنا وربح أعداؤنا أكثرها ضدنا. وكانت أذهاننا تضج بشعارات ومشاريع كبرى دون التفكير بآليات تحقيقها. ورغم ذلك عقدنا العزم واندفعنا، فاصطدمنا برحل مثل عبد الكريم قاسم الذي كان وطنياً، ولا يخرج في أفكاره عن نطاق تصوراتنا، فقضينا على بعضنا وخرجنا جميعاً خاسرين.

مع عبد الناصر

قبل ثورة الثامن من آذار في سوريا، عند لقائنا الودي الأول مع جمال عبد الناصر في ٢٢ شباط ١٩٦٣، لم يكن في ذهننا ولا في ذهن عبد الناصر أي مشروع عملي للوحدة مع مصر. ولم تتجاوز أفكارنا حدود علاقات الصداقة والتحالف الطيب مع أقطار عربية معادية للاستعمار كمصر واليمن والجزائر وبقية الحركات التقدمية العربية.

أوضحنا ذلك لمضيفنا على أساس أن ظروف العراق تتطلب التعددية السياسية والحزبية وأشياء وترتيبات وجهوداً كثيرة ووقتاً طويلاً، نستطيع خلاله تطوير التفاهم وتقوية العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة والحركات التقدمية العربية كاتحاد الشغل المغربي وجمهة التحرير الوطني الجزائرية والاتحاد القومي المصري (الاتحاد الاشتراكي)، لإقامة جبهة وطنية وقومية عريضة، تتعاون فيها الحركات والحكومات معاً لتحقيق وحدة الهدف والتضامن العربي تمهيداً لإقامة وحدة عربية متينة ومدروسة لا رجعة فيها. وحينذاك كنا قد أدركنا بسرعة قياسية

كثيرة متغيرة. وغرغرا أكثر بعد دخول عبد الناصر بوسائل إعلامه في معركة أدت إلى تخويف قادة الدول العربية من وحدة قد تؤدي إلى هيمنة جزء بذاته على بقية الأجزاء. وكانت النتيجة أن أيًا من المشاريع لم يتحقق سوى مشروع التحزبة القائم. وحاء رفض مشاريع الهلال الخصيب وسوريا الكبرى والاتحاد الأندلسي للمغرب العربي واتحاد الحميات العربية وخسارة اقتراح عراقي برعاية إنكليزية عام ١٩٥٤ لإنشاء وحدة سورية أردنية عراقية. ولم نرفض لعدم الحدود بل لحسابات سياسية وأيديولوجية. والاتحاد الوحيد الذي نجح من محاولات العرقلة الكثيرة هو (اتحاد الإمارات العربية). ولا أشعر بالخارج إذا قلت أن الحركات (التقدمية) وجدت باستمرار أسباباً لتأخير الوحدة، ومقابل ذلك فقد أضفست مفاهيم اجتماعية ملازمة تضع شروطاً على قيام الوحدة.

الفارق الكبير بين الشعارات التي كنا نرفعها وبين تنفيذها عملياً على أرض الواقع^(١).

كان الوفد العراقي إلى مصر برئاسة نائب رئيس الوزراء وأمين سر الحزب علي صالح السعدي ووزير الدفاع صالح مهدي عماش وأنا بصفتي وزيراً للخارجية وعضو القيادتين القطرية والقومية، يرافقنا وفد شعبي يضم رجالاً يمثلون الخارطة السياسية العراقية بكاملها، من سياسيين

١ - تردد قاسم وأحل مشروع الوحدة الاندماجية، فاستحق الثورة عليه وإعدامه. لكن خصومه لم يتمكنوا من طرح أو تنفيذ أي شيء مخالف لمواقفه وأفكاره. فبعد أسبوعين من إعدامه إستقر الرمام بيد قادة الحركة الذين بدأوا بالتحدث من عاصمة الوحدة (القاهرة) عن ضرورة التريث اعتباراً لظروف العراق المختلفة. وفسلخوا للتريث أكثر مما فعل قاسم، وسرعان ما اختصموا ونظروا للعداوات العربية- العربية، حيث تحدث علي صالح السعدي لوكالة أباء الشرق الأوسط عن وحدة إنحادية ليست عاطفية[7]، وطالب بإنشاء (الدول العربية المتحدة) وهو لعمرى أدى من الاتحاد الفدرالي أو على الأقل مماثل له. ويذكر أن البعث في مؤتمره القومي الخامس المنعقد بمحضر ١٩٦٢ أشار للوحدة الاندماجية الفورية الشاملة بأنسها (الاتجاه العاطفي السطحي اللاواعي)، ورفع وفد البعث - القطر السوري - إلى محادثات الوحدة شعار وحدة إنحادية (فدرالية)[8] كما وقع جميع الأطراف على ميثاق نيسان للترضية والافتراق وليس للتنفيذ[9] وطرححت حركة القوميين العرب في ١٧ آذار ١٩٦٣ برنامجاً يطالب بوحدة اتحادية (ليست اندماجية). وانتهت دعاوى عبد السلام عارف بالوحدة الفورية الشاملة بتوقيع اتفاقية للتنسيق السياسي مع حكومة عبد الناصر في ٢٦ أيار ١٩٦٤، وكان كل منهما حاكماً مطلقاً في بلاده، لا يعيقه عن الاندماج الفوري غير نفسه!! فكان أبعد من كل أسلافه القاسمين والبعثيين عن الوحدة. فهم تذرعو بظروف العراق وتكوينه الداخلي الخاص، أما هو فإنه رفض لنزعته الفردية وخوفاً على كرسیه الذي قال عنه " ما زال لم يدفأ تحتي"[10].

نستنتج من هذا أن الوحدة قد استخدمت كأداة في خدمة الاستحواذ على مناصب وكراسي لاتعادلها أهمية وقدسية. وفي هذا السياق حدثني صفاء الفلكي قائلاً: " بعد ١٩٦٨ سألت عبد الكريم الشبيخلي وكان خارجاً توأ من مقابلة صدام حسين: إلى متى سنظل نحكم بصورة استثنائية وبقرارات مجلس الثورة؟ لماذا لا نقيم وحدة عربية تستند إلى شرعية دستورية؟ فأجاب: ان الرأي عندنا هو أننا يجب ان نبقي بلا وحدة لفترة لكي نرتاح (ونبرش) ونبني أوضاعنا (وخلي) شعبنا (ينشنش) . " وأضاف الفلكي ان: " صدام حسين كرر نفس الرأي بعد عشر سنوات في مؤتمر السفراء العراقيين ١٩٧٩ قائلاً: إذا كنا مسيطرين فأهلاً بالوحدة. كما أشار إلى المفاوضات مع سوريا قائلاً: ان البلد الأكبر والذي فيه إمكانيات وثروات أكثر يجب ان يسيطر، وبغداد هي عاصمة الوحدة "[11].

ورغم ميل التحليل لمصلحة عبد الكريم قاسم، فإن انفراده بالسلطة كان قد مكن الناصريين والبعثيين من حشره في زاوية العداء للقومية والوحدة، في حين نجحوا هم في وضع أنفسهم كمحور لنشاط مريدي الوحدة، ساعدهم في ذلك إعلام ناصر المسيطر وتأثير مثقفي البعث والتيار القومي في سوريا ولبنان. بينما توهم قاسم بأن شعبيته الكبيرة هي كفيلة بحمايته من ابتزاز الشعارات الاندماجية الفورية الشاملة. ولم يستطع رؤية قدرتها على كسب الأنصار في كل يوم يمر إلا متأخراً. وفي الحقيقة ان عبد الكريم قاسم كان أبعد ما يكون عن فكرة القوميين عنه، فلم يتحسس خطرهم بل قام بتعيينهم في اخطر وأعلى المناصب الحكومية، بينما ترك لخصومهم الشيوعيين، رغم امتلاكهم الكادر الفسني المناسب، الشارع يقيمون فيه المهرجانات وينظمون النقابات والجمعيات. لكن القوميين كانوا قد طرحوا عليه وحدة رومانية عجزوا هم عن تحقيقها على مدى أكثر من ٣٥ عاماً من حكمهم المطلق. بل انهم حملوا قاسم مسؤولية عدم تحقيق كل أحلام العرب في الوحدة، وبعد قتله ألقوا كاهل الوحدة بشروط إضافية إمعاناً في الشيزوفرينيا السياسية التي سادت تلك المرحلة. ووصل بعضهم إلى تقسيم العراق الواحد إلى جهات والجهات إلى قبائل والقبائل إلى بيوت، وبيت واحد من تلك البيوت يسيطر على البلاد بكاملها ويلونها بألوانه.

وأكاديميين ومهنيين ونقابيين مشهورين كمحمد صديق شنشل وحلال الطالباني وخير الدين حسيب وأديب الجادر وفؤاد عارف وبعض ممثلي المنظمات الشعبية من بعثيين وغير بعثيين. وكان هدف الوفد تقديم التهنئة بذكرى الوحدة وتقديم الشكر لعبد الناصر على موقفه المؤيد للثورة. ولكي تتجاوز الفتور والضباب الذي حصل بيننا بسبب اختلاف التحليل الذي رافق انهيار الوحدة.

استقبلنا في القاهرة استقبال الأبطال. لكننا فاجأناهم بالخطاب الذي ألقاه علي صالح السعدي أمام جماهير مصر والذي لم يراع به المناسبة الاحتفالية، فجاء خطاباً تحليلياً تفاوضياً بين أطراف في حالة حوار ونقاش وليس خطاب تهنئة وتعارف^(١).

جاء خطاباً حزبياً عقائدياً، فارغاً من المحبة والمجاملة، كتبه عبد الكريم زهور (عضو قيادة قومية سوري) بلغة جافة ليست سياسية. واستطيع القول انه كان قد احتوى على الهيكل العظمي للرؤية البعثية دون شحم او لحم لتجميل الصورة. ولا اعتقد ان أي إنسان في الدنيا يعجب في الهيكل العظمي لأية امرأة او رجل مهما بلغ جماله ورشاقته، ولذلك لا يمكن لهيكل خطاب ان يكون شكلاً صالحاً لتقديمه إلى الرأي العام مباشرة وعلى شاشة التلفزيون. وكان طبيعياً وبمحكم المناسبة ان يلامس الخطاب مشاكل التجربة المصرية السورية وما تبعها من خلافات، ويستشرف مستقبل العلاقات بين البعث والناصرية.

كانت رغبتنا بالظهور بمظهر الحزب الواحد وراء تكليف عبد الكريم زهور بكتابة خطاب الوفد العراقي. وعندما وصلنا إلى القاهرة وجدنا وفد القيادة القومية لحزب البعث قد سبقنا إلى هناك لنفس السبب والمناسبة، فرغبنا ان يكتب الكلمة سوري ويلقيها عراقي. وهكذا فرغ

١ — استقبلت الجماهير العربية الفريق العراقي الحاكم الجديد معتقدة ان وضعه من القوة سيجعله قادراً على تحقيق كل شيء، وعلى دخول سباق الوحدة التكتيكي الذي صبغ العلاقات السورية الناصرية. في حين جاء شبان البعث العراقيين مثقلين بتحد ضار، يلاحظهم شبح نظام شعبي تغلبوا عليه تواء، وتتحداهم ذبول الحزب الشيوعي بتنظيمه القوي المنتشر في كل مكان. فقد كان نصرهم مجزئاً بدماء غزيرة تثير عند المواطن العراقي الرغبة في المقارنة، فضلاً عن ضغط المواطن العربي الذي نظر إلى العراق على انه (بروسيا العرب). إضافة إلى تحد اللوحة العراقية المتعددة حزبياً وقومياً وبمشاعر مخبأة للتمييز الطائفي. وكل ذلك يدعو للمقارنة ويضع في وجه القيادة البعثية الجديدة تحدياً لا يستهان به. ولم يكن — مع الأسف — بإمكان المواطنين وحتى أكثر المسؤولين العرب استشعار ذلك الضغط الذي يجعل المفاوضات العراقية لا يستطيع ان يعطي ما وعد به او ما هو منتظر منه عربياً. ولم يكن تردد العراقيين لينتقص من قناعتهم بالوحدة، بل كان تعلقهم بها سبباً في عدم انتظارهم وصول وفد مصري إلى بغداد مهتماً قبل ان يطير وفدهم إلى القاهرة، كما تحكم الأصول، فطاروا إلى القاهرة واشعروا المواطنين العرب ان في الأفق (شراع سفينة الوحدة العربية) . . لكن السياسيين العراقيين حينذاك، بمن فيهم الشيوعيين والبعثيين والناصرين حملوا استعداداً تاماً لملاء فراغهم بالنظريات الثورية الراجحة، والتي لم تنح لهم قسوة النضال وشدة الصراع الداخلي من التفرغ لها ومناقشتها والتأكد من جدتها. والآن وبعد مسك السلطة وتحولها إلى مسؤولية، بدأ التغير يتسرب إليهم وبدأ معه نمو فكرة التريث وكسب الوقت قبل الدخول في وحدة.

الخطاب من الدبلوماسية، ولم يرد فيه ذكر رئيس الجمهورية عبد السلام عارف. علماً بأنني قد صرحت قبل التوجه إلى القاهرة للوكالات بأن الحكومة العراقية الجديدة ستقيم علاقاتها مع الجمهورية العربية المتحدة على إيمان جازم بالمصير المشترك للشعب العربي، وقلت بأننا سنقيم علاقاتنا على أشد ما يمكن من القوة، وإن العراق سيتعاون مع الحكومات العربية القومية المتحررة بغية تحقيق وحدة عربية

هذا أمين: انه رجل مخبرات جيد

كوّن المصريون انطباعاً عن قلة خبرتنا بشؤون العلاقات بين الدول وبالدبلوماسية السياسية. وربما زادت عفويتنا من انجذاب عبد الناصر إلينا. وكنا خلال تلك الزيارة نجتمع ليلاً ونهاراً بعبد الناصر، الذي تفرغ إلينا كلياً، ووجه إلينا أسئلة واستفهامات وناقشنا وأسدى النصيح، وقال انه يشعر باطمئنان لوجودنا على رأس السلطة في بغداد. وانه مقتنع بأن حزب البعث الذي قاد العراق ضد نظام عبد الكريم قاسم، وخطط ونفذ الثورة، قادر على الحكم. واضلّف: "بادرتم وحثتم للقاهرة وستجدون مني كل دعم وتأييد. ولكنّه حذرنا، وكأنه كان يري ما سيحصل من صراع بين البعث والقوميين قائلاً: سيتآمر عليكم كثيرون، وسيقال لكم كثيراً عن علاقتنا برجال يتآمرون عليكم فلا تصدقوا. وطالبنا ان نحاسبه شخصياً عن كل كلمة تقال في هذا الشأن.

وعند توديعه قدم إلينا أمين هويدي قائلاً: هذا أمين، رجل انا أثق به، وهو رجل مخبرات جيد. اطلب تعيينه سفيراً لديكم. قلت: يا سيادة الرئيس سيكون سفيركم لدينا وسفيرنا لديكم وليعتبر نفسه منذ الآن مقبولاً. ولكن الأصول تقتضي ان أرسل برقية إلى رئيس الجمهورية لإخطاره وسأفعل ذلك فوراً عند وصولي للسفارة. وان شاء الله سيصبحنا الأخ هويدي على الطائرة عائداً معنا إلى العراق سفيراً معتمداً. . . وعلى الرحب والسعة. وأصبح أمين هويدي هو السفير الوحيد الذي يتمتع من قبلنا بتلفون سري خاص يتصل بواسطته مباشرة برئيس الجمهورية والوزراء ووزارة الخارجية متى شاء، ونصل به نحن أيضاً، ومنحناه ذلك الامتياز لنحافظ على سرعة الاتصال والتشاور والتنسيق الفوري مع القيادة المصرية، وكان ذلك دليلاً على استعدادنا للتعاون وثقتنا غير المحدودة بعد الناصر وسياسته.

انتهت الزيارة وصَفَتُ القلوب، وقد وجهنا في نهايتها الدعوة لعبد الناصر لزيارة بغداد. فقال ان قلبه يتوق لمثل هذه الزيارة التي ستكون الأولى في حياته، ووعد بتبليتها في أسرع وقت ممكن. ولم تتحقق رغبته تلك أبداً.

وليس صحيحاً ما أشيع فيما بعد عن ارتباك الزيارة التي دامت أربعة أيام بسبب تصرفات

نسبت إلى علي صالح السعدي^(١). فقد مرت بسلام، بل كانت ناجحة بما حملته من مضامين بناء الثقة بين قيادة العراق الجديدة ومصر، لأن ما دار بيننا من نقاشات شكل المقدمة التمهيدية لمفاوضات الوحدة التالية. وأنا واثق من أن عبد الناصر احتفظ بثقته بنا حتى نهاية عهدنا بالسلطة.

في الأزهر الشريف

خلال الزيارة أصر عبد المجيد فريد أن نذهب برفقة عبد الناصر إلى الصلاة في الجامع الأزهر وبعد إلحاح وإصرار شديدين قررنا الذهاب. وكان علي السعدي أكثرنا ممانعة، فقال لهم: إن الجمعة يوم للراحة بعد عناء المفاوضات وبرنامج الزيارات. لكنه وافق واستقل مع ناصر سيارة مكشوفة، واستقلينا أنا والمشير عبد الحكيم عامر سيارة مكشوفة أخرى، وكان المشير عامر في منتهى اللطف والمحبة. وعندما شاهدنا آلاف المصريين يتجمعون ويحيون موكبنا في الشوارع ومن البالكونات وشناشيل البيوت، قال المشير عامر مازحاً ومشيراً إليهم: "(هدول) هؤلاء أكلوا السد العالي، يخرب بيتهم!!".

كانت الجماهير تحتشد بسرعة، أكثر من مليون شخص يصفقون ويتعاطفون معه ومعنا، مع "ثورة العراق". شيء عظيم لا يمكن وصفه أو تفسيره إلا بأن ناصر نفسه يتعاطف معنا بصدق. وكنا جميعاً نرد التحية والفرحة بادية علينا.

دخلنا جامع الأزهر فوقفنا في الصف الأول مع جمال، كان المشير عامر على يمينه وعماش وعلي السعدي وأنا على يساره. سألتني السعدي هامساً: يا أبو مازن كيف نصلي؟ قلت له كما يصلي الرئيس... "تكتفنا" جميعاً كما يفعل أغلب السنين في صلاتهم. فعكست الأيدي، لكنني لم أكن أعلم أنني قد عكستها بصورة مخالفة للمذهبين الشيعي والسني. وعندما عدت إلى بغداد وجدت والذي وكان جالساً كعادة العراقيين على كرسي بباب الدار، فقال لي: لقد

١ — كان السعدي يقضي أغلب أوقات الزيارة بملابس غير رسمية، ويستغل أوقات الفراغ في زيارة أصدقائه ومعارفه من الطلبة العراقيين والعرب في القاهرة. فقد قام بزيارتهم في أقسامهم الداخلية وشققهم المفروشة، وخرج معهم وحضر مناقشاتهم الحامية. ورداً على بعضهم استشهد أكثر من مرة بمعلومات وآراء قالها ناصر في قاعة المفاوضات المغلقة، مثل رأيه بأن العالم سيقف كله ضد الوحدة العربية بما فيه الاتحاد السوفيتي الذي سوف يتأمر بدوره ضدها إذا ما أعلنت. وكان إشاعة مثل هذا الرأي - حتى لو كان صحيحاً - محرّجاً للحكومة المصرية. وباستثناء ذلك لم يتصرف السعدي - كما أشيع - أية تصرفات غير لائقة. وكل ما فعله هو أنه لم يلتزم بالأجواء الرسمية الثقيلة بل تصرف على سجية ابن المحلة البغدادي. لكن أجهزة الإعلام المصرية كعادتها كانت جارحة عندما حصل خلاف بينه وبين عبد الناصر.

فقدت بصلاتك شيئين، دينك وأرضك. فقلت له: ماذا حدث في الدين؟ قال: لقد صليت انت صلاة لم يصل مثلها محمد (ص) وآل بيته (ع) (ويقصد عكس الأيدي "التكثف") وبذلك لم تكن صلاتك مقبولة. كما انك عكست يديك خطأ، فلم تكن صلاتك على مذهب "العامة". قلت: إذا كانت صلاتي خاطئة فقد اتبعت علي السعدي وعبد الناصر. لكن جريدة الأهرام نشرت صورة الصلاة وبرزتنا نحن الأربعة على صفحتها الأولى، وكنت الوحيد الذي عكس يديه بصورة خاطئة. ولم اكن متعمداً بل جاهلاً للأمر، فأديت صلاة تصورتها على المذهب السني، ولم اكن اعرف أية يد يجب أن أضعها فوق الأخرى. ولم نكن جمال عبد الناصر والسعدي وأنا نمتلك أية نزعة طائفية. أما الأرض فقد خسرتها، لأن سعدون حمادي وزير الزراعة اصدر خلال سفرنا أمراً بمصادرتها هي وغيرها من الأراضي المهملة، فلم يُبقِ اهتمام الدراسة ثم السياسة لنا وقتاً كي نتفرغ لها.

ميثاق ١٧ نيسان

في ٧ نيسان ١٩٦٣ انعقدت في القاهرة ولمدة عشرة أيام مفاوضات الوحدة الرسمية بين الوفود الثلاثة المصرية والسورية والعراقية والتي أعطاها عبد الناصر عناية خاصة وحضر جميع جلساتها، وكان المتحدث الوحيد في الوفد المصري، ولم يتدخل أي منهم إلا بتكليف أو اختصاص، عدا المشير عامر. وكنت برغبة من السعدي المتحدث الرئيسي بإسم الوفد العراقي من أجل أن نتحدث بلغة واحدة إلا إذا تطلبت الضرورة وأراد أحدهم التدخل. وتشكل وفدنا من السعدي واحمد حسن البكر وأنا، ويرافقنا سفير العراق في القاهرة عبد الرحمن البزاز. أما الوفد السوري فجميع أعضائه يتكلمون وكل يعبر عن رأيه.

سؤال: ماهي أهم الصعوبات التي واجهتكم في مفاوضات نيسان؟

طالب الشبيب: اغلبها صعوبات تنظيمية حول عناوين ومسائل كثيرة تتعلق بمستقبل دولة الوحدة، وشكل التنظيم السياسي والحكومي النهائي الذي سيسود أقاليمها. وشكل الممارسة الديمقراطية القادمة. ولولا رغبة المصريين بعودة سوريا إليهم أولاً، او على الأقل إعطاء دور اكبر لأنصارهم فيها، لأمكن قيام حوار وتفاهم عملي حول كل المسائل المطروحة. كانت تلك عقبة كأداء وقفت وراء كل الخلافات الجزئية والتكتيكات والمناقشات التي لم ننجح خلالها في استبعاد المخاوف المصرية من قيام وحدة ثلاثية يهيمن فيها صوتان بعثيان هما سوريا والعراق، مقابل صوت ناصري واحد هو مصر. ولذلك كانت خلفية الصعوبات كلها تدور حول معرفة او

تحديد القائد الفعلي لدولة الوحدة، وهي نفسها شكلت خلفية المناقشات النظرية والتنظيمية التي لم تطرح إلا قليلاً^(١).

وكنا كبعثيين عراقيين وسوريين غير راغبين في استعادة النقاش حول أحداث ما قبل الانفصال لأنها ستؤدي إلى عتاب ومرارة وستكون حامية ومثيرة للحساسية، لكن عبد الناصر نفسه أصر على بحثها عندما طرح فكرة تحالف العمال والفلاحين بديلاً عن فكرتنا ومشروعنا في إقامة تحالف يضم الأحزاب القومية على شكل جبهة تقوم في كل قطر عربي، بذلك كان يريد قبل كل شيء، معرفة شكل التحالف الذي سيقوم في سورية وموقع أنصاره فيه، مكرراً: "العراق للبعث... أما سورية فهي أمر آخر!!". كان الرجل يريد دوراً مهماً بها يكون بمثابة ثمن رد اعتبار عن جريمة الانفصال، وبصورة ربما تساعد على تجنب المساومة المتوقعة (اثنان بعثيان مقابل ناصري واحد). ولذلك طور فكرته وطرح شعار (مصر

١ - (كم ستأخذ، وكم ستترك لي؟) هذا يختصر الأجواء العملية التي خيمت على المفاوضات، وأطفأت الحماس العظيم لدى بعض السوريين والعراقيين المساهمين في المفاوضات. وبالمقابل شح الاهتمام بشؤون أساسية كالتغيرات الاجتماعية الطارئة الخاصة بكل قطر عربي وإمكانية التغلب عليها، والأسباب الحقيقية للتجزئة. ولم تبحث إمكانية معالجة المشكلات الناجمة عن وجود تأثيرات وتيارات فكرية مختلفة في كل قطر عربي، وفيما إذا كان لتلك التيارات تاريخ وظروف ونشأة خاصة. وأدى العبور على تلك الأمور إلى عدم التعمق إلى احتمال قيام وحدة باهتة تناسب شكل الأنظمة السياسية القائمة، بحيث يستطيع الحكام إسقاطها بقرار سياسي متى شاءوا، وقد حصل ذلك بالفعل. ولنا الآن ان ندرك مدى الصدمة لدى بعض المفاوضين ممن طالبوا بوحدة اندماجية تُسَلِّم مفاتيحها لقائد واحد، ثم فدرالية وبعدها وحدة هدف. وربما كان أفضل ما طرح ولم يتحقق هو الدعوة للتقارب الدستوري بين البلدان الثلاثة. لقد أثبت مجرى المفاوضات ان عبد الناصر لم يدرك حتى ذلك الوقت ان الفردية سواء كانت ناصرية او قاسمية او عارفية هي أس التجزئة. وان نجاح الوحدة لا يتحقق قبل حرية تنقل الأفراد والرأسمال والتبادل التجاري الحر بين الأقطار العربية، تلك الحرية المتلازمة بالضرورة مع حرية الرأي والمعتقد، مع إسقاط حق الدولة في التدخل غير القانوني بشأن الاقتصاد والملكية. ولم يكن عبد الناصر وحده مقصراً في فهم ذلك، بل شاركه في القصور كل القوى الثورية العربية. كما لم يكن قاسم وحده فردياً بل كان ناصر كذلك، فقد ادخل للديكتاتورية وللخلافة العربية - العربية، في حين ركز قاسم على معاداة الاستعمار والاعمار الداخلي ومساعدة حركات التحرر العربية دون التدخل بشؤونها وأفكارها، بل لم يؤسس أجهزة مختصة للتدخل في شؤون الدول العربية كما فعل ناصر. لقد دافع ناصر بشدة عن الديكتاتورية في محادثات نيسان الوحشية، وسَخَّر من التعددية ألحج على ضرورة إلغاء التعددية وحل الأحزاب في تنظيم حكومي واحد. قال ناصر: "انا اعتبر فصل السلطات خدعة كبرى لأنه في الحقيقة ما فيش حاجة اسمها فصل السلطات" واضاف

الكلام ده طلع في فرنسا أيام مونتيكيو عن فصل السلطات، كلام نظري [12]. وذلك ينفي ادعاء ناصر وعارف وغيرهما بأن خلافهما مع قاسم يدور حول ديكتاتوريته. بل هما أقاما ديكتاتورية مودجلة وتوفقا في مفاوضات الوحدة عند الحصص اكثر من الأفكار والشعارات التي قسموا المواطنين العرب بسببها. وليس صحيحاً اتهام قاسم بالتخلف عن الوحدة لأنه لم تكن هناك وحدة ليلتحق بها، بل أختصرت الوحدة المصرية السورية إلى حكم المباحث المصرية لسوريا. ولم يقيموا الوحدة بعد مقتل قاسم بأربعة عقود من حكمهم، ولم يكن قاسم على قيد الحياة ليعيقهم.

وسوريا أولاً، ثم العراق) ونشط إعلامه في طرحها بصورة مكثفة بينما كانت المفاوضات مستمرة، وطرحها مؤيدوه في كافة أنحاء الوطن العربي.

وفي المقابل وجهنا النقد كبعثيين إلى الاتحاد القومي (الاشتراكي) باعتباره التنظيم الوحيد في مصر وإلى المنظمات الشعبية والمهنية المصرية بسبب خضوعها للتنظيم الوحيد الحاكم ممثلاً بشخص خالد حكيم، وبصورة تُفَرِّغ العمل النقابي من مضمونه وهدفه، ولم نستحسن هيمنة الدولة المصرية الكاملة على الاقتصاد بشكل يجعل التأمين مجرد إجراء لفائدة هيمنة الدولة وتقويتها على حساب الشعب والدستور والقانون، في حين حددنا لأنفسنا علناً مبدأ التعددية الحزبية القومية وسعينا لجمع الأحزاب والحركات القومية في جبهة موحدة. ورغم أنها تعددية ناقصة تستثني الشيوعيين والأحزاب القطرية والليبرالية، إلا أنها متقدمة على مبدأ ناصر ذو التنظيم الواحد الذي يهيمن عليه رجل واحد. وطرحنا مقابل شعار الناصري (وحدة مصر وسوريا أولاً) شعار الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق، وحدة تلتقي إلى أقصى حد مع الجزائر واليمن والحركات الشعبية القومية العربية.

وبعد تعثر شعار (مصر وسوريا أولاً . . .) طرح المصريون قيام وحدة عراقية سورية أولاً، ثم التوحيد بين الدولة الجديدة الموحدة ومصر، لتجاوز معضلة (صوتان مقابل واحد) لكن الوفد العراقي رفض باستقامة ونية صادقة، جعل قضية الوحدة مجالاً للمناورة السياسية.

وتحت ضغط المفاوضات المصري وافقنا على بقاء مصر خاضعة لهيمنة أحادية ممثلة بالاتحاد الاشتراكي العربي، يقابله تعددية حزبية قومية في كل من سوريا والعراق. وتركنا الباب مفتوحاً حول: من هو الحزب القائد في سوريا؟ لأن عبد الناصر رفض انفراد البعث بقيادتها.

وتدريجياً اكتشفنا شدة ارتباط ناصر بسوريا، واستعداده للصراع من أجلها، فقد نظر إليها حتى وهي تحت حكم البعث بصورة مختلفة عن نظرتة للعراق. يكن لها وللشعب السوري حباً خاصاً، وتراءى أمام عينيه المظاهرات التي توجهها البعثيون السوريون بشعارهم (من الخليج الهادر إلى المحيط النائر . . . رايات عبد الناصر"، قالها الشاعر السوري سليمان العيسى. كلمات ظلت ترن في أذنيه، يتذكرها ويحن إليها. واعتقد أنه أحب دمشق بقدر حبه للقاهرة وربما أكثر. كان يسهر معنا ويتألق (بلا مشروب فهو لا يشرب بل يدخن كثيراً) وهو يحكي أيامه مع سوريا ويطلب أن نحول دون المواجهة بين مصر وقيادة البعث^(١) مؤكداً أنه يعاني من ضغط

١ — يقصد بقيادة البعث، ميشيل عفلق وكرم الحوراني وصلاح الدين البيطار. وكان يرى أنهم وراء ترم وغضب شباب البعث منه. وقد تركت استقالتهم من حكومة الوحدة أثراً سلبياً بالغاً في نفسه. فقد كانوا قادة في الدولة لكنهم برروا الاستقالة بالسماح لهم بالمشاركة السياسية. كان الحوراني نائباً لرئيس الجمهورية العربية المتحدة لكنه شكاً عدم الاختصاص. وشكاً عفلق بمرارة عزلته عن صنع القرار، وكذلك قنوت والبيطار وكلاهما وزيراً، أما عبد

رفاقه في مجلس قيادة الثورة المصري الذين يطالبونه بالترث. ووجه كلامه لي في إحدى الجلسات قائلاً يا طالب صدّق أن عدداً غير قليل من أعضاء القيادة المصرية يعارضون قيام الوحدة. ويعتبرون الدخول في تجربة جديدة مع البعث سيؤدي إلى انهيار الوضع المصري الذي لا يتحمل هزة من نوع فشل تجربة وحدوية أخرى، ان هذا لا يمكن تحمله في حالة تكرره. وهمس انهم يتصورون أن أمن واستقرار وسلامة مصر ستكون مضمونة طالما ظلت وحدها !!

ناصر والعراق

سؤال : كيف نظر عبد الناصر للعراق ؟

طالب شبيب: عرف ان القوميين لن يقووا على منافسة البعثيين في العراق. ولذلك ظل يكرّر ان العراق للبعث، كما ان اعترافه السريع بثورتنا أعطاها بعداً قومياً صريحاً كان له صدى كبيراً ومفيداً. لكن حزب البعث (قيادة قطر العراق) لم يشعر بحاجته في الداخل إلى تركية من جمال عبد الناصر. وان قيادته للبلاد وللحركة القومية هو تحصيل حاصل، ويعكس الميزان العسكري والسياسي داخل أجهزة الدولة ومرافقها، فلم يكن الحركيون والناصريون منافسين لنا. وقد تمكن البعث حتى قبل ثورته من فرض نفسه قوة حاسمة وان يجمع حول نفسه تجمعاً قومياً أعطاه سمات الرجولة والقوة وذلك فخر له^(١).

الناصر فلم يفعل أكثر من تسليم سوريا لعبد الحميد السراج الذي حكمها بأسلوب لم تعتد عليه ، فأضر بالوحدة وبسمعة جمال عبد الناصر عربياً .

وعلى هامش محادثات الوحدة ١٩٦٣ علق ناصر على استقلالهم قائلاً: "لقد كانت استقالة وزراء البعث غلطة كبرى، ولدي الشجاعة ان أقول لكم انني اعتبر التسرع في قبولها من جانبي غلطة كبرى" [13] ويذكر ان استقالات البعثيين من وزارة الوحدة أدت في العراق إلى مشاكل بين البعثيين والناصريين وإلى انسحاب حركة القوميين العرب من الجبهة القومية "التجمع القومي". وفي رأينا ان الخطأ يتحمله عبد الناصر في رفضه التعددية، وميشيل عفلق في حله تنظيم حزب البعث في سوريا.

١ - استلم البعث السلطة، فطالب الناصريون والحركيون بجبهة قومية فعالة تضم البعث والاستقلال وحركة القوميين العرب والعربي الاشتراكي والرابطة القومية وشخصيات ناصرية مستقلة. لكنهم غضوا الطرف عن انفراد تنظيم واحد بجماهير مصر كلها. وعندما تأخر قيام الجبهة القومية تداعى القوميون إلى حوار شارك فيه سلام احمد، باسل الكبيسي، العقيد جميل السعودي، احمد الحبروي، عيد الحسن زلزلة، خير الدين حسيب، اديب الجادر وعبد الهادي الراوي والعميد عبد المنعم المصروف والعقيد إبراهيم الشيخ ومحمد مهدي كبة وغيرهم. وقبل ان يتبلور بينهم أي شيء، بادرت حركة القوميين العرب بوضع خطة انقلابية تبدأ بالسيطرة على الإذاعة والبريد والمرسلات ثم تتطور إلى المناطق الأخرى والمعسكرات [14]، وكان الراوي او المصروف سيكون رئيساً للجمهورية وتوزير سلام احمد والشاوي وحسيب والجادر والكبيسي وفواد الركابي وايداع سعيد ثابت ورياض الباور وطالب السهيل وعبد الاله النصراوي. (ويرى عبيد الإله النصراوي في لقاء خاص: "ان اسم طالب السهيل لم يطرح إطلاقاً، وما لم تستجد أمور جديدة فسيبقى عبد

ولم ينجح البعث في العراق في إقامة (التجمع القومي) فقط بل نجح في أمر أكثر خطورة بكثير، عندما تمكن بالبحيء بالعسكر إلى السلطة تحت جناح قيادته المدنية التي قادت على عكس المعتاد العسكر مباشرة، بما في ذلك التخطيط والتنفيذ داخل مكتبها العسكري وملسمي (المجلس الوطني لقيادة الثورة) اللذين تشكلا قبل الثورة^(١). فقد جئنا نحن القيادة المدنية بالضباط

السلام عارف رئيساً، والشيخ محمد مهدي كبه رئيساً للوزراء، وعبد الهادي الراوي وزيراً للدفاع". لكن وشاية وصلت إلى السعدي قبل ٤٨ ساعة من التنفيذ، فعقد المجلس الوطني لقيادة الثورة اجتماعاً استثنائياً في دار عبد السلام عارف بالأعظمية في ١٩٦٣/٥/٢٣، وتم اعتقال جميع المشاركين في بيوتهم ووحدهاتهم ودوايرهم، وتشكلت محكمة ثورة، وصرح علي السعدي ان المؤامرة ليست ناصرية بل حركية، وبرر فرض الإقامة الجبرية على محمد صديق شنشل وعبد الرزاق شبيب بورود اسميهما في الاعترافات، وكشف خطة الانقلاب بحطيهما المدني والعسكري. وعقب فشل (مؤامرة الراوي) ضيق السلطة على القوميين. وطلب علي السعدي في مفاوضات إقامة الجبهة القومية بين (السعدي وفائق السامرائي) استبعاد حركة القوميين العرب بسبب تورطها في مؤامرة ٢٥ أيار. وكان خط حازم وطلب يؤيدهما البكر وعارف وشكري صالح زكي وصديق شنشل يدعو إلى قيام حبهة قومية، في حين شكك تيار السعدي بصديق القوميين ورأى انهم ينفذون مخططات المباحث المصرية. وكان السعدي يحذر من انقلاب قومي آت ولذلك دعا لتطهير الجيش منهم، فلم يلقَ استحابة. لكن الصراع القومي البعثي ظل يتصاعد وبسببه تحولت مفاوضات الجبهة إلى مجرد تكتيك يهدف كل طرف فيه إلى الظهور بمظهر المتمسك باتفاقات نيسان في القاهرة[15]. وبسبب شعور البعثيين بعدم صدق القوميين معهم، وافقوا على ميثاق نيسان، لكنهم في نفس الوقت تسابقوا مع الزمن لتثبيت مواقعهم في العراق وسوريا وسعوا لتصفية القوات المسلحة من غير الموالين لهم. فكسبوا الرهان في سوريا، وكانوا سيكسبون في العراق لولا انقسامهم المبكر، وإصرار كل طرف ان يذهب بالصراع الحزبي الداخلي حتى نهايته، فخرس الطرفان.

وكان البعث قبل حركة ٨ شباط قد نجح في إقامة نوع من الجبهة القومية بهدف إسقاط قاسم والتوحيد مع مصر ومعاقبة الشيوعيين. وكان عمل الجبهة الوحيد هو إصدار البيانات وترصين ورفع معنويات الجبهة المعادية لنظام قاسم، وبعد الانفصال في ٢٨ أيلول ١٩٦١ انسحبت حركة القوميين العرب بسبب توقيع الحوراني والبيطار وثيقة الانفصال، رغم ان قيادة قطر العراق لحزب البعث أصدرت بياناً عنوانه: (لترتفع عالياً راية الجمهورية العربية المتحدة ولتغير مؤامرة الانفصاليين)[16]، وبعد إسقاط قاسم تعثر بتحديد نشاط الجبهة بسبب عدم ثقة عبد الناصر بالتنظيمات الخفوية المتماسكة وميله للحركات الشعبية، وتدخله لترجيح كفة هذا على ذاك.

١ — تشكل المكتب العسكري قبل الثورة من: علي السعدي، حازم جواد، طالب شبيب، احمد حسن البكر، صالح مهدي عماش، عبد الستار عبد اللطيف، خالد مكى الهاشمي، حردان التكريتي ومنذر الوندائي. ثم أضيف إليه مع بداية عام ١٩٦٣ عبد الكريم نصرت وذياب العلكاوي لتعزيزه برتب عالية. وعند قيام الحركة أعلن المكتب مجلساً لقيادة الثورة بعد إضافة بقية أعضاء المكتب السياسي للبعث: محسن الشيخ راضي وحيد خلخال وكريم شنتاف وحدي عبد المجيد كما أضيف له هاني الفككي وسعدون حمادي بعد إلحاقهما بعضوية القيادة بواسطة مجلس قطري، ومن القوميين ضموا إليه عبد السلام عارف وعبد الغني الراوي. واعتبر أنور عبد القادر الخديني عضواً فيه بسبب وظيفته سكرتيراً للمجلس.

أما الوزارة فضمت: البكر رئيساً والسعدي نائباً للرئيس ووزيراً للداخلية وعماش للدفاع وشبيب للخارجية وعبد اللطيف للمواصلات وعزت مصطفى للصحة والدولعي للعدل وشيت خطاب للبلديات وبابا علي للزراعة والوتاري للنفط والجواري للتربية وصالح كبة للمالية، وعبد الكريم العلي للتخطيط وناجي طالب للصناعة وفواد عارف للدولة

←

وأعطيناهم مكاناً بيننا كجزء من السلطة التي بقينا نقودها بإرادتنا الحرة. كما كنا قد فعلنا خلال تخطيط وتنفيذ الثورة بصورة مستقلة عن التدخلات الدولية ولم نلق مساعدات من خارج الحزب القومي^(١).

صعوبات أخرى

مثلما حوَصر عبد الكريم قاسم بمطالب غير قابلة التحقيق، واجهتنا وواجهت عبد الناصر موجة عظيمة من المزايدات في كل مكان في الوطن العربي. وكان الضغط يستهدف عبد الناصر أكثر من غيره، فأثقلت الساحة العربية بشعارات وأفكار يسارية متطرفة سببت لنا ولله الخذلان، وجعلت المشاريع الوحدية، حتى في حدها الأدنى تفشل وتُسحب. وكانت مفاجأة للمواطن العربي اكتشافه عدم قدرة عبد الناصر على توحيد الأمة العربية تحت قيادة واحدة، كما كان يحلم أو كما كانت تضغط عليه وتصوره له عواطفه الملتهبة وقد اكتشفنا ونحن في السلطة هذا أيضاً. لكننا قدّرنا بأنه حلم جميل يجب المحافظة عليه وعلى ديمومته حتى تأتي الفرصة المناسبة.

لكن قوى عديدة تدخل باستمرار ميدان الصراع، هدفها إعاقة مشاريع الوحدة، بل إن قوى عالمية كبيرة ستحضر إلى المنطقة لتعرقل وتتآمر إذا ما شعرت بمجدية الخطط الوحدية. وكان كلا المعسكرين يرفض قيام قوة أو معسكر ثالث يملك الطاقة والبشر^(٢). وإن مجرد تفكير سوريا

وفي ١٣ أيار ٦٣ جرى تعديل وزاري فأخذ السعدي الإرشاد وحازم الداخلية بالإضافة لوزارته (شؤون رئاسة الجمهورية) وذهبت وزارة الدولة لشؤون الوحدة إلى مسارع الراوي، والمالية لحمد العيسى بعد خروج كبة. ١ - قال جمال عبد الناصر خلال حوار مع علي صالح السعدي وشبيب بحضور الوفود الثلاثة: " دفعنا لحزب البعث من أجل القضية القومية في العراق. " ولا ندري لماذا سكّت البعثيون العراقيون ؟ وهل ما قاله ناصر كان حقيقة ؟ أم انهم سكتوا بحكمة ؟ وحول هذا الأمر ورد في الوثائق البريطانية انه : " لا يوجد لحد الآن أية إشارة لأية صلة بين الحركة والجمهورية العربية المتحدة، وشعورنا ان الانقلاب ربما جاء كمفاجئة للمصريين. وما عدا عارف الذي كلن في السابق مؤيداً بشدة لناصر والذي قد يكون عنصراً رئيسياً فإن الحكومة تحتوي على أغلبية قومية والبعض منهم فقط مؤيدون لناصر. "

٢ - هناك أدلة كثيرة على التآمر الدولي ضد مشاريع الوحدة العربية وبأشكال مختلفة وفي كل المجالات. وعلى سبيل المثال: أرسل ابنزهاور (رئيس الولايات المتحدة) إلى رئيس وزراء بريطانيا ماكميلان في ١٩ تموز ١٩٥٨ رسالة تضمنت دعوة لرصد حكومة ١٤ تموز، وتشجيع النزعة "القطرية" ضد "القومية" وتقول الرسالة: يجب أن نقوم بعمل شيء ضد سلوك المتطرفين القوميين المعادين لإسرائيل .. و"يجب تأكيد الوطنية أكثر التي تحاول الشيوعية السوفيتية تدميرها". وكان مفاجئاً أن الوثائق السرية البريطانية حول عام ١٩٦٣ أظهرت ان الإنكليز والأمريكيين كانوا يهتمون جداً بضرورة عدم اقتراب النظام الجديد من مصر، وان تستمر روح العداء للشيوعية. إذا كنا نفهم سبب اهتمامهم بتشجيع الفتنة بين الحكومة الجديدة والشيوعيين بأنه يعود لرغبتهم بالحد من التغلغل السوفيتي في منطقة خطرة، فان مصلحتهم في التجزئة والتشتت بين أقطار الوطن العربي الواحد هو سبب رغبتهم بأبعاد العراق عن مصر. بل

←

الاقترب من العراق عام ١٩٧٨ تسبب في مقتل نصف أعضاء القيادة والوزارة العراقية الحاكمة بهدف الإجهاض. وأنا أفسر أحداث عربية كثيرة بأنها استهدفت من طرف خفي إعاقة مشاريع وحدوية عربية محتملة، بما في ذلك ٣٠/١٧ تموز ١٩٦٨، الذي لم يكن انقلاباً على الرئيس عبد الرحمن محمد عارف بل على جمال عبد الناصر، لأن الأخير كان حينذاك مصاباً في الأعماق بسبب هزيمة قواته ونظامه في حرب حزيران ١٩٦٧ فكانت الفرصة سانحة لدحر أحلامه القومية العربية نهائياً، بالإتيان ببديل قومي خفيف، يهوش ولا يفعل. فجاء بنظام البكر — صدام، الذي استهدف نظامي سوريا ومصر، وكانت النتيجة تخلخل الوضع المصري نسبياً، ومشاغلة سوريا بهدايا على شكل متفجرات ومؤامرات وإعاقة ... الخ، أما السبب الآخر لانقلابات ١٧ تموز ١٩٦٨ فكان محاولة ضبط الشعب العراقي المندفع لشعارات التحرر والوحدة وفلسطين، بحكومة قاسية وشديدة، قادرة على المناورة ورفع شعارات موازية ومزايدة تختلف عن شعارات حكومة عبد الرحمن عارف الضعيفة. كما استهدف الحيلولة دون قيام حكومة ائتلاف وطني تضم الأكراد والبعث (اليسار) والحركة والشيوعيين^(١).

وأنا، طالب حسين الشبيب، أعلم علم اليقين أن الاتصالات السرية الخاصة التي حصلت حول العراق قبل ١٧ تموز ١٩٦٨ كان هدفها جلب الضد القومي فوقع الاختيار على كتلة البكر عماش صدام بهدف معاكسة عبدالناصر ونظام البعث في سوريا. تلك الكتلة التي أعطت عبر قنوات مختلفة ضمانات بأن تبقى بعيدة عن كتلة المواجهة العربية الممثلة بمصر وسوريا والمقاومة علي طول الخط. بل وستعمد إلى عرقلة جهود الحركة القومية وامتصاص زخمها بإدخالها في مناظرات ومواقف خلافية لا نهاية لها. وفعلاً رفع انقلاب ١٧ تموز ٦٨

ان اتحاداً عراقياً مصرية كان سيعني إعلان حرب ضد المشاريع الغربية والصهيونية، ويهدد أن تلتحق به أو تتعاون معه أقطار عربية أخرى.

١ — في عام ١٩٦٦ ارادت نفس القرى التي ائتلفت عام ١٩٥٧ في جبهة الاتحاد الوطني وأثمرت ثورة ١٤ تموز ان تقيم تحالفاً وطنياً فأقامت مفاوضات مكثفة بين ممثلين عن الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب البعث العربي الاشتراكي (اليسار) والحزب الشيوعي العراقي والحركة الاشتراكية العربية (جناح عبد الأله النصراوي) (وأطراف ناصرية بصورة جانبية) . . . ودامت المفاوضات حوالي سنتين أنضجت اتفاقهم على برنامج مشترك تم طبعه وتوزيعه على قواعد الأحزاب والشخصيات الوطنية المستقلة والاحتصاصين، ليجري العمل به بعد تلقي الردود والملاحظات. وكان المحور الرئيسي هو كيفية إنقاذ العراق بإقامة نظام ديمقراطي تسبقه حكومة ائتلاف وطني تتفق على برنامج مرحلي يمهد للاستقرار الدستوري. ولم يتضمن البرنامج المستخلص من المفاوضات المستفيضة بحث وسائل التغيير فقط بل وضعت خطة عمل للحكومة الائتلافية المنشودة بما في ذلك علاقات العراق العربية والدولية. وكانت الحركات المساهمة في المفاوضات قد باشرت بنشاطات ومظاهرات مشتركة هدفها التعبئة تمهيداً لإسقاط النظام. وخلال ذلك لاحظ البعث اليسار والشيوعيون تحركات مشبوهة بين كتلة البكر — صدام وبعض الوسطاء الدوليين المشبوهين فحذروا المجتمع عبر صحافتهم السرية وأشاروا للمؤامرة القادمة (الأطراف والأسماء). وفجأة حصل الانقلاب ليقطع الطريق على الجبهة ويغوض حرباً ضروساً ضد الشعب العراقي.

شعاراً وحيداً بوجهين مغربين، الأول : انه جاء رداً على نكسة ٥ حزيران، وكان ذلك مبرراً عريضاً ليتجهوا من البداية ضد القيادتين المصرية والسورية. والثاني : ملاحقة الجماهير العراقية وتدمير قواها المنظمة، تمهيداً للقيام بأعمال خيائية كبرى دون رادع. وكانت تلك الأعمال تهدف إلى تمرير وتغطية أسوأ خطوة يمكن للعراق (كشعب) المساهمة بها، وهي ممارسة التحريض للمنظمات الفلسطينية ضد نظام الملك حسين ووعدهم علناً بواسطة الإذاعة والتلفزيون بالثبث المباشر، وعبر وفود ومراسلات بأن الجيش العراقي سيهاجم أية قوة تصطدم بهم في الأردن، لكنهم وقفوا يتفرجون على معركة غير متكافئة بين القوات الأردنية والمقاومة الفلسطينية.

كما اتبع النظام العراقي (البكر-صدام) سياسة انشقاقية ضد محاولات القمم العربية للتضامن وتوحيد الجهود، والوقوف ضد جبهة الرفض العربية دون أية مبررات. وبالمقابل شجع الأفكار والمناظرات المشوشة للذهن. وتخريب العقل العربي بدفعه إلى بناء أحلام المحبطين وبالسير نحو تطرف كلامي فارغ. وكل تلك كانت الأثمان التي خطط الأمريكان قبضها مقابل دفع شركائهم - الناييف والداوود والحاني ولطفي العبيدي- لتقدم السلطة على طبق للبكر وصدام وعماش، وحردان الذي انسحب ولم يواصل معهم.

دقة المحاضر

سؤال : قيل ان محاضر محادثات الوحدة التي نشرت لم تكن دقيقة فماذا ترى؟

طالب الشيبب: لاشك ان أموراً كثيرة تغيرت فيها. ومن الصعب استعراض كل ما جرى، لان ذلك يحتاج إلى دراسة ووقت. وسأعطي أمثلة توضح هذا الأمر.

لقد ساهمت في كل مراحل محادثات الوحدة التمهيدية والرسمية التي بدأت في ٧ نيسان ١٩٦٣ في القاهرة، وعندما قرأت المحاضر التي نشرتها العربية المتحدة في الأهرام أو التي وزعتها في الأسواق، وجدتها تحتاج إلى شيء من الدقة. وأرى ان شيئاً من التغيير قد طرأ عليها. وعندما ذهبت انا وحازم مع عبد السلام عارف لزيارة القاهرة، سافرنا برفقة عبد الناصر في رحلة للإسكندرية بواسطة القطار. وفي الطريق قال لي ناصر أمام الوفدين: "ساهمت بمفاوضات الوحدة كمفاوض رئيسي، فما رأيك بالمحاضر المطبوعة؟"

قلت : يا سيادة الرئيس لدي بعض التحفظات على النص المطبوع. قال مثلاً. قلت : قرأت في المحاضر وقائع اجتماعكم بنا في داركم بمنشية البكري، فوجدت انها لم تنقل بدقة ما دار

فيه. أجاب ناصر : نعم لقد تعطلت أجهزة التسجيل في قصر القبة فجلسنا انا والمشير عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين نتذكر ونمثل أدواركم وادوارنا، واستعدنا الذاكرة.

كان عبد الناصر يتحدث منفثاً ومرحاً ولم يوارب رغم صراحي معه. وفعلأ لم تكن هناك فروق كثيرة او جوهرية بين اكثر مضامين الجلسات وما نشر عنها. لكن ما جلب انتباهي وشكي ليس مضمون ما نشر وانما اللغة التي لم تعكس الروحية التي تحدثنا بها، بل لم تكن نفس اللغة.

وهناك أخطاء وتدخلات متعمدة جرى تغييرها او إدخالها داخل الحاضر. ورغم قلتها وتناثرها، لكن بعضها لم يخلُ من أهمية، مثلاً : في إحدى جلسات المحادثات وكان الحديث يدور حول الإعلام والصحافة، قال المرحوم علي صالح السعدي : نحن لانشتري ولا نرغب ان نشترى أية صحف في لبنان او غير لبنان. فرد عبد الناصر : لا نحن نشترى صحف.

هذه المحادثة قلبت في الحاضر التي نشرت رأساً على عقب، فأصبح السعدي هو القائل : نحن نشترى الصحف !! وعبد الناصر هو الراض لهذا المبدأ. وكل منا يعرف ان ذلك ليس حقيقة، وان التغيير مقصود ومتعمد. وربما لم يكن لائقاً نشر قول عبد الناصر حول شراء الصحف. ولكن خطأ كبير نفبه عنه والحاقة بغيره. وهناك أمور أخرى كثيرة متفاوتة الأهمية واكثرها جانبية، تعرضت للتحويل والتغيير، ولم نكن نرغب في إثارتها.

بين المطرقة والسندان

في آخر لقاء رسمي مع المصريين ذهبنا للقاهرة، عبد السلام عارف وحازم جواد وأنا، وجاءت الزيارة بعد تخلي مصر عن ميثاق ١٧ نيسان، أي بعد قناعتهم بأن الوحدة مع البعث غير ممكنة، وبعد رفض مصر ان تضع نفسها بين العراق (المطرقة) وسوريا (السندان).

فكانت زيارة تطيب خواطر وجس نبض وتهذئة. وهكذا فعل المصريون من جانبهم فأبعدوها عن أجواء المفاوضات الرسمية الخافة، وتحولت جلساتها إلى أمسيات تطرح فيها أشياء مختلفة وبلا حدود او ترتيب.

دعانا عبد الناصر إلى زيارة الإسكندرية برفقته، وقال نذهب بالقطار، فكانت رحلة رائعة لنا ولعبد السلام الذي يزور مصر لأول مرة بعد تعيينه رئيساً للجمهورية العراقية. وفي طريق عودته زار سوريا أيضاً.

كان معنا في القطار إضافة إلى الرئيسين، كل من المشير عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي وعلي صبري وحسين الشافعي وزكريا محيي الدين. وكنا نترك المجال للرئيسين

يتحدثان وحدهما، كما هي عادة الرؤساء. ولكن جواً غير حيوي كان يسود بينهما، في حين ساد بيننا (أعضاء الوفدين) أجواء جميلة من المرح والنكتة، كأخوان لم يطرأ على علاقتهما ما طرأ. وكانت قبل ذلك قد مرت مياه سوداء كثيرة تحت الجسور، خصوصاً ما حدث في سوريا من مؤامرة جاسم علوان وإعدام عدد من الناصريين^(١). وبعد أن شتم عبد الناصر في خطابه علي صالح السعدي واتهمه بالرجل المريض. ورغم ذلك أردنا نسيان كل شيء. وعدنا إلى أيام رمضان الأولى، ونطقنا بذلك عيوننا وقلوبنا وكلماتنا، فتبادلنا النكات وشعرنا بالارتياح، ونشر المشير عبد الحكيم عامر جواً من المرح عندما تلقى تعليقاتنا بعد أن أمر لنا بالبطارخ، ولم نكن نعرف ما هي البطارخ، الله يرحم المشير وزكريا والآخرين.

أما عبد الناصر فكان يجتهد ويتحجج ليختصر جلسته مع عبد السلام ويأتي إلى طاولتنا، يجالسنا ويشاركنا المرح والنكتة، يأنس إلينا أكثر من عبد السلام، وقد فعل مثل ذلك في القاهرة أيضاً فقد كان يستغل كل فرصة ليتربص بجلسته معه ويدعونا لمجالسته، يقترب منا متسائلاً: لماذا تضحكون؟ ويكون السؤال مدخلاً له، كي يدخل أجواءنا وأحاديثنا المنفتحة.

١ — بدأت مشاكل عبد الناصر مع البعث في سوريا بعد أيام من ثورة الثامن من آذار، بسبب ما سمي بأزمة افتتاحيات صحيفة البعث السورية التي دافعت عن مفهوم الحزب الجديد للوحدة العربية، ووجهت نقداً شديداً للقوى الناصرية في سوريا التي كانت تشكل بوحدة البعث وتعرض به.

اعتبرت مصر تلك المقالات هجوماً عليها وخرقاً لما تم الاتفاق عليه في اجتماعات القاهرة لوقف الحملات الإعلامية. وكانت أهم تلك الافتتاحيات هي (ملكيون أكثر من الملك) كتبت في ٢٣ آذار ووصفت الناصريين (السوريين) الذين استمروا برفع شعار (وحدة مصر وسوريا أولاً) حتى بعد أن أقر عبد الناصر مبدأ الوحدة الثلاثية، بأنهم ناصريون أكثر من ناصر، واعتبرتهم يمثلون انفصالية جديدة وامتداداً سيئاً للانفصالية القديمة. وقررتهم بكلمة أكرم الحوراني التي عاكست شعار الناصريين (وحدة مصر وسوريا أولاً) بشعار (وحدة العراق وسوريا بمصر عن مصر)، وأكدت جريدة البعث أن الطرفين يريدان قتل وحدة ثلاثية ستكون إذا قامت أمن وارسخ وافضل من الوحدة الثنائية القديمة[١٧].

وفي ٢٣/٣/٦٣ رد محمد حسنين هيكل في الأهرام بمقال بعنوان "أني اعترض"، بثه راديو صوت العرب فوراً أكثر من مرة، هاجم فيه ميشيل عفلق والبيطار واتهمهما انهما يستهدفان مصر.

وأحدثت المقالات والردود عليها قلاقل ومظاهرات بدمشق وحلب. قابلها أمين الحافظ — وزير الداخلية — بإجراءات قاسية، ونسب المظاهرات إلى (الانتهازيين والمغرضين)، فعلاً فقد أدار أمين الحافظ الأحداث بقسوة وسوء، وأسس للقطيعة والديكتاتورية التي لم تعرف سوريا مثلها حتى ذلك الحين، فلقبه السوريون بسببها (أبو عبدو الجحش). وادي ذلك إلى تدهور تدريجي في العلاقات المصرية السورية، وصل قمته بعد أحداث ١٨ تموز ومحاولة العقيد جاسم علوان الانقلابية، وأصبح ميثاق ١٧ نيسان بحكم الميثاق. واقتنع البعثيون بضرورة توحيد العراق وسوريا أولاً. واتخذ المؤتمر القومي السادس لحزب البعث الذي انعقد بين ٥-٢٣ تشرين أول ٦٣ قراراً بإعدام المشاركين في مؤامرة ١٨ تموز. وقرر إقامة وحدة ثنائية سورية عراقية في مدة أقصاها شهرين تحت اسم (الجمهورية العربية الديمقراطية الشعبية) على أن يلحق بها عبد الناصر متى يشاء (١).

ان ضيق ناصر بعارف سببه ضيق أفق عبد السلام نفسه، في حين كان ناصر على علمه وثقافته يحب الحديث الطيب اللماح والنكتة والمرح، سريع البديهة، ويستغني عن الحديث الجامد او المفاهيم السخيفة المفرقة التي يلهج بها عبد السلام عارف كمصطلح الشعبوية عندما يذكر خصومه ومصطلح العصاة عند يذكر الأكراد، وغيرها من العبارات المكررة والمملة.

وكنا نرتاح لناصر ولم نشك بصدقه معنا، ولم نتجسس على أحاديثه مع عارف ولم نحاول التأكد من عدم مناورته علينا من خلف ظهورنا، لأننا كبعثيين عراقيين كنا متيقنين أنه يشاركنا الرأي في ان عبد السلام عارف ليس إلا فراغ في فراغ، كل هم ان يثبت لجمال انه ليس بعثياً حتى اضطر عبد الناصر ان يقول لنا مرة : ماذا ابقىتم لهذا الرجل ؟ مشيراً بيده لعارف.

هذا الكرسي جلس عليه فرعون

في تلك الزيارة طلب عبد الناصر اللقاء بنا انا وحازم على انفراد، فانتظرنا حتى الواحدة بعد منتصف الليل، وكنا قد خرجنا من داره مع عبد السلام الذي أوصلنا إلى مقر إقامته، وانتظرناه قليلاً ليخلد إلى النوم، لنعود مرة أخرى إلى المعجزة ونستأنف جلستنا دون عارف، وهناك قال لنا عبد الناصر : انتم رجال وطنيون، أثق بكم ثقة مطلقة، وأنا على استعداد ان أسلمكم حكم مصر. لكن هذا الكرسي المصري عمره آلاف السنين، جلس عليه فرعون، فأستفيدوا من ذلك، استفيدوا من ثباته وقوته، واعتبروا استقراره عليه ضماناً وصيانة وحسن لكم. اما كراسيكم انتم فهي مزعزعة، تهددها الانقلابات والمؤامرات الداخلية والخارجية. والشيء الثاني الذي اطلبه منكم ان تكونوا جسوراً بيننا وبين سوريا، فنحن لانريد ان نحارب سوريا، وبغض النظر عن ما يقوله أخونا امين الحافظ او غيره، نحن نريدكم جسوراً إليها عبر العراق، فأعملوا ما شئتم ولكن ابقوا على شيء واحد قائم هو التضامن الثوري بين مصر والعراق وسوريا.(انتهى كلام ناصر).

فكرت حينها بأن العراق عريق أيضاً، وعنده سبعة آلاف سنة من التاريخ. لكنني أدركت واقعية كلامه. لأن العراق كان فعلياً بلداً مهزوزاً وبلا زعامة او مرجعية سياسية متفق عليها، ويعيش انقلابات وصراعات واغتيالات وتلاعب بمصائره أيدي خفية طويلة، وكذلك حال سوريا رغم تاريخها العريق، فقد كانت غير مستقرة ولم تحس بالاستقرار إلا بعد ان قاد حافظ الأسد تحديث دولتها واقام أشكالاً مستقرة من التمثيل البرلماني والمحلي واصبح التوظيف فيها لا يستند إلى الصفة الحزبية بل الكفاءة.

وحدة الفاطميين والعباسيين والأمويين

كان عبد الناصر، وكما تأكد لنا خلال لقاءاتنا الكثيرة التي تلت زيارتنا الأولى في شباط ١٩٦٣، يميل إلينا ويتعامل بعفوية، لكنه أبدى كثيراً من الحذر والواقعية والتخوف من المبادرات الحدودية المستعجلة. ومن أجل تشجيعه قلت له على مائدة غداء يا سيادة الرئيس : كانت الوحدة أملاً تاريخياً لو تحقق بيننا فستقوم لأول مرة منذ الخلافة العباسية، وحدة تضم عواصم الفاطميين والعباسيين والأمويين. أجاب : نعم ولكن هل تدرك ان الاستعمار لا يسمح بذلك، حتى الاتحاد السوفيتي سيزعجه الأمر، هذا حلم سيتآمرون علينا بشدة بمجرد اعلانه. وسيحاولون اسقاطكم او إسقاط الوضع في سوريا. واذف : مرت علينا في مصر تجربة طويلة في التعامل مع القوى الاجنبية وتعلمنا كيفية صدها. اما انتم فمأزلمت حديثي عهد بالحكم وتحتاجون إلى خبرة وتمرس. واعاد عليّ ما كان قد كرره سابقاً : يا طالب انت خرجت يوم ١٤ رمضان تحمل رشاشة وتضحى بحياتك، ولكن صدّق ان هذه ليست أهم مهمة قمت بها، وستجد وانت في السلطة من الصعوبات والعوائق والمؤامرات ما يشيب له الرأس.

وبسبب الحذر الشديد طرح ناصر افكاراً بديلة عن الشعارات الاندماجية الشاملة. مما اصطدم احياناً، خصوصاً في اللقاءات الأولى، بحماسنا وعواطفنا التي اتجهت بشدة بعد قيام ثورة ٨ آذار في سوريا إلى الوحدة بين الأقطار الثلاثة. لكنه قال لنا : يا اخوان سيكون امراً عظيماً إذا وحدنا سوريا ومصر والعراق بأي شكل من أشكال الوحدة، حتى لو كانت وحدة هدف لتشكيل القاعدة والأساس الذي ننطلق منه إلى وحدة الأداة وسيكون ذلك نصراً عظيماً. واذف : صدقوا من تجربتي بأن كل دول العالم، بما فيها السوفييت، ستقف ضدنا وسيحاولون تفكيك الرباط بيننا. فليس من مصلحة أحد ان نتوحد. والوحدة بذاتها ليست عملاً سهلاً^(١)، فأجبت بنفس الحماس نيابة عن إخواني البعثيين العراقيين والسوريين : لا يا سيادة

١ — توهم عبد الناصر وبقية المفاوضين، ان الخطر على الوحدة يأتي من الخارج فقط، ولم يدركوا ان شكل النظام الاقتصادي السياسي السائد في الأقطار العربية بقيادة (الحاكم — الدولة) الذي يدير الدولة بطريقة لويس الرابع عشر الذي قال انا الدولة، يقف حائلاً دون تحقيقها، فقد استرشدوا بفهم سطحي لفلسفة الحق الميجيلية التي رأت في ان الدولة المركزية هي الحق متجسداً على الأرض وان نابليون يمثل روح الحق على صهوة حصان. ورغم اعتراف الدسليتر العربية بحق الشعب في الاختيار، وان للدولة شخصية قائمة بغض النظر عن الأفراد الممارسين لسلطتها، فإن ذلك مازال نصاً دستورياً، وان بقاءه بلاآلية تطبيقية يعني غياب أهم عامل للتقدم والوحدة. ان خوف الحاكم من انحسار سلطته يجعله يناور بل ويغوض الحروب ويثير المشاكل والحساسيات ويؤور كل شيء من أجل ان تبقى قضية الوحدة مجرد أغنية جميلة لكنها ليست واقعية. ولذلك لابد من إلفات النظر لأهمية الوحدة في تحرير الشعب العربي تدريجياً عن طريق تحرير السوق العربية وفتحها على بعضها والموافقة على انتقال السلع والعاملين بحرية بين أقطار الوطن العربي الواحد، وذلك على غرار ما يحصل في الغرب على أساس الابتعاد عن الشمولية وتحرير الاقتصاد داخل كل بلد واعتماد سلطة تنفيذية متغيرة بحسب نجاح او فشل برنامجها، ولأبأس من إجراء ذلك بطريقة تتناسب مع شكل الإدارة السياسية في كل بلد عربي وبحسب ظروفه.

الرئيس لن نكتفي بوحدة الهدف، نحن نريد وحدة العواصم الثلاث ليكون لها أثر العاصفة ووقع صاعق وطيب على كل مواطن يسكن الأرض العربية، بحيث يصبح ما شاهدناه خلال العدوان الثلاثي ١٩٥٦ على مصر من تضامن المشاعر العربية أمراً بسيطاً. واضفت : اننا نرغب بقيام وحدة عربية تضم لأول مرة في التاريخ الحديث العراق وسوريا ومصر تحت قيادة عربية وطنية مؤمنة ومخلصة. فقبلني وقال الله يوفقكم في هذا المسعى.

من جانبي لم أنس تلك المشاعر الملتهبة، وبقيت متأثراً بصدقها كلما تذكرت ذلك المشهد. ومثلما بكيت بشدة عند سماعي خبر وفاة عبد الناصر وعلي صالح السعدي. سمعت بخبر ناصر عند اجتماعي مع اللجنة السياسية الأولى للأمم المتحدة، وكان بجانب علي نفس الخط كل سفراء الدول التي تبدأ بحرف (I) كإيران وإسرائيل وأيرلندا، فمال علي السفير الأيرلندي قائلاً : احمل إليك خبراً سيئاً، أرجو ان لا تذيعه الآن (جمال عبد الناصر مات!!) ومباشرة انفجرت ببكاء لفت نظر ممثلي الدول المجاورة لمقاعدنا.

ان ما دفع المواطن المصري للبكاء عند سماعه نبأ وفاته، دفعني ان ابكي داخل اجتماع رسمي بهيئة الأمم. فلم يكن يربطني به شأن شخصي او حزبي أو مصلحة مادية عدا المحبة أولاً والألفة ثانياً والالتقاء حول الهدف القومي الكبير ثالثاً. واعتقد ان هذا يكفيه ويكفي. وعندما نفيت إلى مصر وتحددت إقامتي في القاهرة بالذات، شعرت به يحنو علي ويحفظ لي نفس درجة المحبة والعطف، وكانت تصلي مبادرته الودية ومشاعره عن طريق المقربين منه.

أما علي السعدي فبكيت به بشدة وألم، لانه كان أختاً وصديقاً ورفيق نضال، برغم ما حصل بيننا من خلاف سياسي وحزبي. وفي الحالتين (ناصر وعلي) كان حيي لهما عميقاً وعاطفياً صادقة.

وبشكل عام، فمن يعرف عبد الناصر من خلال مواقفه الخطابية والتحشيدات الجماهيرية التي تقام له في المناسبات، لا يعرفه على حقيقته. وقد كنت ضيفه أكثر من مرة فوجدته من الدماثة والخلق الرفيع والبسيط في آن واحد، يغمرك بشخصيته الجذابة ويداري عواطفك بعاطفة صادقة. وبحضوره كنا ندخن نوعاً واحداً هو سكاثر "كنت"، ولم يستطيع أحدنا إشعال السيكارة بنفسه لان ناصر يسارع في إيقادها له. ولم تسقط السيكارة من فمه لحظة واحدة. وربما يكون ذلك أحد أسباب وفاته رحمه الله.

كان يقشر لنا "المنكة" التي لم نكن نعرف كيف تؤكل عندما وضعت أماننا وأعتقد أنه رأى فينا شبابيه ورجولته وصدقته وتواضعه، وكان واضحاً له بأنني لا أملك بدلة مناسبة للتصوير معه، فقد كان بنطلوني أقصر من أن يصل إلى قدمي، وكان ناصر يعرف ذلك حتى أنه أوصى خياطه الخاص أن يقوم بصنع بدلات لعللي السعدي، وكان علي يشكو من مرض بظهوره فبعثه إلى طبيبه الخاص الذي وفر له بعض الأدوات الرياضية لمعالجة الفقرات.

ورغم كل حرصه فقد كان يريد منا أن نسير بحسب وجهة نظره وتوجهه، وهو أمر صعب على البعث، فلقد كان انتمائنا القومي واسعاً جداً وإيماننا بدستور الحزب إيماناً قاطعاً، وبين أفكار عبد الناصر والدستور فروق جوهرية، فقد كان ناصر فردياً، بينما دستور الحزب يدعو لنظام برلماني، أو على الأقل شكل من أشكال ديمقراطية النخبة، فلم يكن بقادر على ضمنا، بل كننا نحلم أن نكسبه إلى جانب وجهة نظرنا. ورغم الاختلاف حول شكل السلطة مستقبلاً، فلم تكن له تدخلات فجأة بشؤوننا كما حصل من قبل بعض أعوانه فيما بعد.

لقد شعرنا انه كان صادقاً في نصحه لنا وللحزب في العراق، ومن جانبيه إعتبرنا مباشرين وعفويين وأذكياء فتحدث بصراحة مبتعداً عن المناورات السياسية. فلم أسمع منه رأياً إلا وثبتت صحته. نصحننا بعدم التورط بحرب داخلية مع الاكراد وبأن نحافظ على وحدتنا، وضرب مثلاً بنفسه قال: أنا لم أعدم أي عضو من أعضاء مجلس قيادة الثورة رغم اختلافي مع بعضهم. وأضاف ملتسماً: أرجو أن لا يسيل الدم بينكم، أنتم كبعثيين، وبينكم كأعضاء في مجلس قيادة الثورة.

فعلنا ذلك والتزمنا بنصيحته عندما فضلنا الخروج إلى بيروت في ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٣ رغم ان السلطة كانت بين أيدينا. ولم نكن مضطرين للخروج، وكان بإمكاننا البقاء على رأس السلطة بشرط أن ندير مواجهة دموية شاملة ضد مؤسسة الحرس القومي، ولم يكن لدينا أدنى شك بأن النصر سيكون حليفنا، لأن الجيش تحت قيادة ضباط بعثيين، توسلوا إلينا بتغطية قرار سياسي لحسم الوضع في بغداد عسكرياً. لكننا لم نفعل حتى لاتسيل دماء رفاق الحزب والسلاح والقضية الواحدة. خصوصاً وأن الأزمة أبعدت عن الحرس القومي كل الطائرين والانتبهازيين ولم يبق بداخله إلا المقتنعون، ولم نكن حينذاك نملك الفرصة لاقتناعهم بخطأ التصعيد والمواجهة التي يديرونها.

لقاءات عربية: مع المغاربة : الجزائر

واستناداً إلى فكرتنا الرئيسية في إقامة وحدة ثلاثية متينة تبدأ بتضامن عربي واتفاقات متنوعة أو التمهيد بتوحيد المناهج والاقتصاد وغيرها أي بناء أسس التقارب مع العربية المتحدة بصورة تجعلنا قريبين من الحركات العربية التقدمية، فقد سعينا إلى لقاء القيادة الجزائرية وفعلنا ذلك أكثر من مرة خلال التسعة أشهر. وتركزت حواراتنا معهم على الشأن العربي والوحدة العربية.

قالوا لنا بفصاحة عربية: انتم أيها البعثيون إذا أردتم الوحدة العربية فنحن معكم وإذا كنتم لا تقرونها فنحن معكم أيضاً". وكان مفاوضهم الرئيسيون أحمد بن بيللا وهواري بومدين ومحمد خميسي وعبد العزيز بوتفليقة. التقينا معهم والتقت آراؤنا وتوافقت باستمرار. لكننا لاحظنا بعد فترة ان تصرفات أحمد بن بيللا تتماثل مع تصرفات المرحوم علي صالح السعدي.

كلاهما يتصرف منفرداً، ويتخذ القرارات السياسية الخطيرة دون مشاورة الآخرين ودون عرضها على اجتماع رسمي.

وفي أحد الأيام دعانا المرحوم بومدين إلى داره، وكانت متواضعة جداً. جلسنا إليه وكان الرجل حذراً. قال بصراحة: نحن غير قادرين على فهمكم ولا فهم عبد الناصر، لأنكم تتحدثون كثيراً ولا تطرحون شيئاً مفهوماً. فإذا كان لديكم مشروع وحدوي جدي، أرجو أن نخبرونا به وسندرسه بصورة جدية. أما إذا بقي مشروعكم يعتمد على مجرد الشعارات الدعائية كما هو الحال الآن بين سوريا ومصر والعراق، فنحن لسنا بحاجة إليه. وأرجو أن يكون الحوار العراقي الجزائري واضحاً ودقيقاً وصريحاً لنستفيد، لأننا لانرغب في خسارة الوقت والأ.... (انتهى كلام بومدين). وكان هذا كلاماً يخالف ما اعتدنا على سماعه من القيادة الجزائرية في اجتماعاتنا الرسمية معها.

المهدي بن بركة

التقينا مع قيادة واحدة من أبرز الحركات الشعبية العربية (الاتحاد المغربي للشغل) ورئيسه المهدي بن بركة، وكان صديقاً شخصياً ونضالياً، وقد قدمت له شيكاً بمبلغ عشرة آلاف دينار يحمل توقيع كوزير للخارجية، سلمه له عدنان القصاب. وهذا أقصى ما كان ممكناً تقديمه حينذاك. ويوجد الوصل في أرشيف وزارة الخارجية العراقية. واتذكر اننا لم ندفع من الخارجية لأية جهة أخرى عربية أو غير عربية بعثية أو غيرها، بسبب قرار القيادة وضعف ميزانية الدولة، ولكن بن بركة شيء آخر فقد كانت له مكانة كبيرة في قلوب البعثيين. كنا نؤيد مسعاه لتوحيد الحركات العربية وتقريب وجهات نظرها مستخدماً تأثيره وقوة شخصيته النفاذة والفعالة.

وبعد انقلاب عبد السلام عارف ضد البعث استنكر المهدي بن بركة احتجاجنا (الإقامة الجبرية في القاهرة) واستنكر تصرفات عارف مع البعث. كان بن بركة صديقاً لكل العرب الاستقلاليين والوحدويين، ومتحمساً مخلصاً في نواياه. ومن جانبنا كنا أميين على القضية القومية وصادقين في رغبتنا بالتحالف مع القوى التقدمية العربية.

واتذكر انه دعانا هو وزوجته إلى داره في القاهرة. وكان حازم وعماش مدعوين معي أيضاً وذلك قبل أسبوع واحد من سفره إلى باريس، هناك حيث قتل اغتيالاً وغدراً. لبينا الدعوة فقدمت لنا زوجته أكلة رائعة وطيبة (الكسكسي)، غير اننا تبادلنا الابتسامات عند سماعنا لأول مرة بأسمها. وكان لسان حالنا يقول: ما هذه الورطة في تسمية هذه الأكلة الطيبة بهذا الاسم!!

أفجعنا حادث قتله، حين سمعت لم ادر هل أعزي أم أتقبل التعازي؟ فأعتبرنا رحيله كارثة

وخسارة للعراق والمغرب والأمة العربية. واعتقد ان أوفقيير وزير دفاع المغرب كان وراء قتله، كما ان الملك الحسن الثاني ليست له صلة او مشاركة في اغتياله، فهو بريء. وكنت في وقت معين تشككت في موقف الملك عندما تملكني استغراب في ان يكون أوفقيير قد اقدم على قتله منفرداً. لكن وبعد ان علمت بمحاولة اغتيال الملك الحسن والانقلاب عليه واتهام المعارضة بقتله، أصبحت أميل لرواية الملك في كتابه (ذاكرة ملك). وادركت ان في هذا الوطن المشؤوم كل شيء ممكن!! وان لا احد يستطيع ان يعتمد على حليفه. وان ما من شيء غير ممكن. ورغم ان عدداً كبيراً من الرجال العرب الذين يتعدون بأنفسهم عن مثل هذه الممارسات الشريرة، لكن عجلة الشر لم تتوقف، فلم يكن أوفقيير وحده شاذاً وجاحداً، بل قدم صدام حسين نموذجاً مزعجاً للحدود والاخلاق السيئة^(١).

١ — ويُذكر أن قيادة الحزب رغم الملاحقة، تمكنت من بناء علاقاتها العامة داخل العراق وخارجه، ومن أمثلة ذلك، وبعد قيام ثورة اليمن بقيادة العقيد عبدالله السلال، جاء وزير خارجيتها السيد محسن العيني لزيارة العراق، وكان البعثيون القياديون في جنوب الجزيرة العربية يعرفونه، ويعرفه جيداً طالب الشيب. وبعد اجتماعه بعبد الكريم قاسم وهاشم جواد وزير خارجية العراق، تحقق بين قيادة قطر العراق للبعث وبينه لقاء خاص في دار الأستاذ ابراهيم حسيب المفتي، والد مازن المفتي، من أعضاء الحزب في منطقة الوزيرية ببغداد، وكان قد جلب الأستاذ العيني من مقر إقامته الرسمي في فندق بغداد المهندس عدنان القصاب، وعند وصوله كان في انتظاره علي صالح السعدي وحاز جواد وطالب شبيب، وبعد تناول الغداء في دار آل المفتي قام محسن العيني بشرح ظروف وتطورات ثورة اليمن والقوى المتعاونة في تنفيذها، وبالمقابل قام ممثلو قيادة الحزب بإخباره بأهمية أن يستعد العرب لاستقبال التغيير القومي القادم في العراق، وأبلغوه أن الحزب يهيئ نفسه للقيام بحركة ولأنه كان سيفادر من بغداد إلى بيروت فقد حملوه رسالة إلى القيادة القومية للحزب.

مراجع:

- [1] رياض طه، محاضر محادثات الوحدة، بيروت، مطابع دار الكفاح العربي.
- [2] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مصدر سابق، صفحة ٩١.
- [3] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مصدر سابق، صفحة ٢٦٦.
- [4] حول ما ورد من اسماء يتماثل موقفها مع موقف عبد الكريم قاسم. يمكن مراجعة : وثائق ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في ملفات الحكومة البريطانية، تعريب الدكتور مؤيد ابراهيم الوندائي صفحة ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٨٩ تحت عنوان مقابلات بين محمد مهدي كبة وموظفين بريطانيين في ٢٨ تموز ١٩٥٨، وكذلك مقالات محمد صديق شنشل والبراز وغيرهم بعد هذا التاريخ.
- [5] د. مؤيد الوندائي، الوثائق البريطانية، المصدر السابق صفحة ٣٠٢ .
- [6] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، م.س. صفحة ٢٦٦ .
- [7] يونس بحري، ثورة رمضان المبارك، دار الاندلس بيروت ١٩٦٣ صفحة ١١٨.
- [8] رياض طه - المصدر السابق.
- [9] الدكتور تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
- [10] راجع: حصاد ثورة، عبد الكريم فرحان، مرجع سابق.
- [11] مقابلة مع صفاء الفلكي، Wassenar هولندا، ١٩٩٧.
- [12] أمين هويدي، مع عبد الناصر، دار المستقبل، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥، صفحة ٥١ — ٥٢.
- [13] رياض طه، محاضر محادثات الوحدة، مصدر سابق، ص ١٤.
- [14] صالح حسين الجبوري، ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ في العراق، مصدر سابق، صفحة ٥١.
- [15] رسالة من أحمد الحيوبي ومقابلة مع د. تحسين معلة قال فيها زرت الشبيب فوجدت عنده محسن الشيخ راضي فدار الحديث حول مشروع الوحدة اثر رسالة كان علقق وجهها لعبد الناصر بعد ثورة آذار ٦٣ بيومين يدعوه فيها للحوار. فقال محسن : لن يفيد الوحدة مع ناصر. فذكرته بريقة علقق. رد : ومن هو ميشيل علقق. قلت : الأمين العام. قال : نغيره او نفصله.
- [16] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مصدر سابق، صفحة ١٥٨.
- [17] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مصدر سابق، صفحة ١٢٦ (عن نضال البعث جزء ٦، ص ١٤٨) وهاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مرجع سابق، ص ٢٨٨-٢٩٠.

المسألة الكويتية عام ١٩٦٣

سؤال : هل نتحدث عن المسألة الكويتية في عام ١٩٦٣ ؟

طالب حسين الشبيب : لعل من الأمور المحيرة معرفة مشاعر العراقيين الحقيقية دون تدخل الأيديولوجيا أو العقيدة أو المذهب، ودون تسليط حزبي. فلا تبدو أصول مشاعرهم واضحة، منهم من يعتقد ان الكويت جزء من العراق وان التقسيم البريطاني العثماني الذي توافقت عليه مشيخة الكويت وبريطانيا كان تهشيماً للعراق وتقسيماً للجهود العربي، ومضيعة للموارد والعلاقات المشتركة، بل ان معظم العراقيين يتصورون ان الكويتيين يحنون للبصرة ويسعون إليها وإلى البقاء فيها أكثر من رغبتهم في البقاء بمدينة الكويت ذاتها. ولا يعترف العراقيون بأنهم يختلفون لهجة وعادات وتقاليد عن الكويتيين، وقد تسببت تلك المشاعر والتصورات، بغض النظر عن صحتها أو عدمها، بفوائد وأضرار في نفس الوقت^(١).

١ — مع شيء من البحث والتنقيب يتضح ان ما يسمى بالهوى الكويتي لدى العراقيين هو قضية صنعتها الحكومات العراقية المتعاقبة في أذهان المواطنين، فلم يفكر العراقيون بها قبل حكوماتهم، بل ان مجموع الأدب العراقي نثرًا وشعرًا وسياسة لم يضع قضية الكويت ضمن مشكلاته وأهدافه، ولم تذكرها المواطنون إلا عندما تثيرها حكوماتهم. حاول ذلك الملك الشاب غازي مدفوعاً من ياسين الهاشمي وبعض الهاشمية، ووضع د. فاضل الجمالي (رئيس وزراء ووزير الخارجية) مشروعاً للضم الجزئي للكويت، حَمَلَهُ الأمير عبد الإله معه إلى ألمانيا مؤيداً من ياسين الهاشمي وعبد القادر الكيلاني ونوري السعيد[١]. وذكر الجمالي ان خلافاً حاداً وقع بين جون فوستر دالاس ووزير خارجية امريكا ونوري السعيد حول مطالبة الأخير بضم الكويت في اجتماع استنوبل لحلف بغداد في شباط ١٩٥٨. وتحدث وزير خارجية عراقي آخر هو توفيق السويدي مع سفير بريطانيا السير بترسون مذكراً بأن "الاتفاق العثماني البريطاني لسنة ١٩١٣ اعترف بالكويت قضاء مستقلاً استقلالاً ذاتياً ضمن ولاية البصرة. وبعد ان انتقلت السيادة على ولاية البصرة من الدولة العثمانية إلى المملكة العراقية الجديدة فلا بد ان تشمل تلك السيادة الكويت كما في اتفاق ١٩١٣، وان العراق لم يعترف بأي تغيير في مركز الكويت ..."[2]، وتضمنت مذكرة كتبها السويدي في ١٩٥٨/٦/٥ دعوة السفير البريطاني للموافقة على التدخل واستخدام الجيش العراقي مبرراً ذلك بقوله "ان الخطر الشيوعي اصبح يهدد الحكومة العراقية من سوريا والكويت ..."[3]، كما أشار السفير البريطاني في بغداد بمذكراته ان الاردن قدّم اقتراحاً لعبد الكريم قاسم، رغم مشاعر العدوة والتأثر، لتشكيل اتحاد فيدرالي بين الاردن والكويت والعراق. ثم جاء إعلان عبد الكريم قاسم، وبعده صدام حسين، وكانوا جميعاً مع الضم بالقوة، حتى عبد السلام عارف الذي فشل في ابتلاع شيك بملوي دينار كويتي كتبه الكويتيون باسمه لتعويض عوائل شهداء ١٤ رمضان، كان قبل اعترافه بها قد طلب من عبد الكريم قاسم الزحف على الكويت او تدبير انقلاب عسكري فيها، وقال : "سأكون أول جندي يدخل ارض الكويت"[4] أما الرئيس الأسبق عبد الرحمن عارف فرغم عدم تذكره الكويت خلال سنوات

←

وتجاوزاً لما تم في محاولة صدام حسين ضم الكويت واعتبارها المحافظة التاسعة عشرة للعراق. علينا ان اردنا ان نفهم موقف حكومة البعث عام ١٩٦٣ من الكويت، ان نسترجع الذاكرة التاريخية القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي.

اولاً : لم تكن هناك أية صلة قريية او بعيدة بين القيادتين القومية والقطرية للبعث والمجلس الوطني لقيادة الثورة باعتبارها الأداة التشريعية لسلطة الحزب في العراق وبين الحكومة الكويتية قبل مطالبة عبد الكريم قاسم بها او بعدها.

ثانياً : جاء إعلان عبد الكريم قاسم قراره بضم الكويت مفاجئاً للحكومتين العراقية والكويتية وبقية الأطراف المهتمة في الموضوع. وعلى سبيل المثال، علمت من خلال مطالعة الملفات عندما كنت وزيراً للخارجية وكنت راغباً بالإطلاع على تفاصيل الملف العراقي الكويتي، ان هاشم جواد وزير خارجية قاسم كان قد بعث ببرقية تهنئة إلى وزير خارجية الكويت بمناسبة إعلان استقلالها، لكنه فوجئ، في اليوم التالي، بينما كان يستقبل أحد الضيوف الأجانب في فندق بغداد، بسماع الخبر من أحد موظفي الوزارة بقرار ضمها وتعيين عبد الله السالم قائممقاماً لقضاء الكويت براتب ٧٥ ديناراً^(١). وكما هو معلوم ليس مقبولاً

حكمه، فقد ظهر على شاشة تلفزيون بغداد بعد احتياح صدام حسين لدولة الكويت قائلاً : ان صدام هو "الرئيس العظيم الذي أنجز ما كنا نحلم به ونُقصر في الوصول إليه".

وفي مقابل ذلك وخلال ثلثي قرن من الاستقلال الوطني صدرت للحركات الوطنية الشعبية العراقية مئات آلاف البيانات والنشرات والجرائد والمؤلفات، وكتب باحثون ومحققون آلاف الكتب في السياسة والاجتماع والاقتصاد والأدب والشعر، لم تتضمن كلها أية إشارة مطالبة بالكويت بل على العكس حذر بعض المعارضين العراقيين الكويت من احتمال تعرضها لغزو حكومي عراقي ، فعل ذلك حسن العلوي في عام ١٩٨٣ في جريدة الجهاد الناطقة بلسان حزب الدعوة الإسلامية، والأستاذ حلال الطالباني الذي تنبأ مخذراً في محاضرة ألقاها قبل الغزو في معهد الشؤون الدولية بلندن جاء فيها "ان التقارب بين العراق ومنظمة التحرير الفلسطينية والأردن يبدو في الظاهر موجهاً ضد إسرائيل، لكنه في الحقيقة من اجل تحقيق طموحات الرئيس العراقي على الصعيد العربي الشامل، بما في ذلك احتلال الكويت والسيطرة على الخليج"[5]. وربما يعود عدم اهتمام العراقيين بمسألة الكويت إلى ان نضالهم تركز أساساً على مساعي طرد الاستعمار من بلادهم وإلى شعورهم بعدم الخوف على الكويت لأنها ارض عربية وسكانها وحكامها عرب، وتعيش ميسورة ومرفهة، وهي في كل الأحوال ليست فلسطين السليبية او الاسكندرونه وعربستان.

١ - نص مذكرة حكومة عبد الكريم قاسم بخصوص الكويت عام ١٩٦١ . " لاشك بأن الكويت جزء من العراق فهذه حقيقة أكدها التاريخ ولن يفلح الاستعمار في طمسها او تشويهها. فقد كانت الكويت تتبع البصرة من زمن طويل وخاصة أثناء الحكم العثماني وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى وكانت الدول الكبرى ومنها بريطانيا تعترف بسيادة الدولة العثمانية على الكويت، فقد كان حاكم الكويت يعين بفرمان يمنحه لقب قائممقام، ويعتبر بذلك ممثلاً لوالي البصرة في الكويت. وهكذا كان حكام الكويت يستمدون سلطاتهم الإدارية من السلطات التركية في البصرة، ويؤكدون ولائهم للوالي التركي حتى سنة ١٩١٤. وكان الاستعمار البريطاني في سبيل غايات عسكرية واقتصادية يحاول بشتى الطرق التغلغل في بلاد العرب منذ القرن الرابع عشر، وذلك بالسيطرة على أجزاء من السواحل العربية على طريق الهند، بالعمل على تركيز أقدامه فيها ولا سيما الخليج العربي، وكانت الكويت جزءاً من تلك

←

التعامل مع قضايا الحدود او ضم الأراضي والدول بسرية وغفلة عن الشعب والمجتمع الدولي بل بالحوار والإقناع وإلا أصبحت احتلالاً باستخدام القوة الغاشمة.

ثالثاً : جئنا للسلطة ١٩٦٣ بخلفية موقف سياسي معارض لمطلب عبد الكريم قاسم ضم الكويت، انطلاقاً من مشاعر جياشة أخرى هي إننا طلاب وحدة عربية شاملة وكبرى. فلم نكن نعبأ بالحدود بين الأقطار العربية ولا بالمواثيق والمعاهدات والاتفاقات الإقليمية، بل نراها جميعاً مفروضة على العرب بالقوة والحرب، بما في ذلك ما حصل لفلسطين والاسكندرونة وغيرها. وكانت هذه المشاعر مهيمنة وطابعة لفكرنا وعقلنا. وجعلتنا أكثر ميلاً إلى ترجيح منطق الاصول والحق على منطق الأمر الواقع.

وآنذاك كنت عضواً في القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي حيث جرى بحث

السواحل. لذلك عملت الحكومة البريطانية لمدّ سيطرتها على الكويت تدريجياً وفصلها عن العراق. وكان من جملة المساعي البريطانية لفصل الكويت عن العراق ان عقّد المقيم البريطاني في الخليج يوم ٢٣ كانون الثاني يناير ١٨٩٩ اتفاقاً سرّياً مع الشيخ مبارك ألزّم فيه الشيخ نفسه وأولاده من بعده بالتزامات باطلة لأنها تضمنت تنازلاً عن حقوق لا يملكها هو نفسه، كحق إستخدام ممثلين او التصرف باراضي الكويت دون موافقة سابقة من بريطانيا. ورغم هذا الاتفاق ظل حاكم الكويت على ولائه للسلطان العثماني على ارتباطه بوالي البصرة. وحاول البريطانيون تارة أخرى سنة ١٩١٣ فصل الكويت عن العراق وتقوية نفوذها فيها بعقد اتفاق بينهم وبين السلطات العثمانية على أساس تمتع الكويت بشيء من الحكم الذاتي تحت السيادة العثمانية. ولكن المحاولة فشلت ولم يتم الاتفاق. وإذا كان الاستعمار البريطاني قد فشل في ذلك فقد عمد إلى القوة وأتاحت له الحرب احتلال العراق وعزل الكويت عنه. وبعد تحرير العراق بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ من نفوذ الاستعمار والسيطرة الأجنبية اخذ يعمل مع الشعوب العربية والشعوب المحبة للحرية من اجل تصفية الاستعمار في كل مكان وخاصة البلاد العربية وبعد ان نما الوعي العربي، لجأ الاستعمار إلى أسلوب جديد فابتدع شكلاً جديداً من الاستعمار تحت ستار الاستقلال، وهو يرمي إلى استمرار نفوذ بريطانيا وابقاء الكويت منفصلاً عن العراق. وهكذا عقدت بريطانيا في ١٩ حزيران ١٩٦١ مع شيخ الكويت اتفاقاً استعمارياً ينهي اتفاق ١٨٩٩ الباطل، ويتضمن استمراراً للحماية البريطانية للكويت إذ يتعهد فيه الإنكليز بتقديم أية مساعدة يطلبها شيخ الكويت وينص على التشاور. يضاف إلى ذلك ان إنهاء الاتفاق يقتضي إبلاغاً مسبقاً لثلاث سنين على الأقل. وحكومة الجمهورية العراقية تضع هذه الحقائق أمام الرأي العام لتعلن ان الكويت جزء لا يتجزأ من العراق وتؤكد عزمها على مقاومة الاستعمار وتفتسها بأن تصنيفه في الكويت وغيره من أجزاء الوطن العربي آتية لا محالة، وأنها متمسكة بوحدة الشعب في العراق والكويت وبالحفاظة عليها".

رد الحكومة الكويتية : "أوردت بعض وكالات الأنباء كما أذاعت محطة الإذاعة من بغداد ليلة أمس تقارير عن المؤتمر الصحفي الذي عقده عبد الكريم قاسم في ٢٥/٦/١٩٦١ والذي طالب فيه بدولة الكويت. فإذا صحت التقارير فإن حكومة الكويت تعلن ان الكويت دولة مستقلة ذات سيادة كاملة معترف بها دولياً. وان حكومة الكويت ومن وراءها شعب الكويت بأسره مصممة على الدفاع عن استقلال الكويت وحمايته. وان حكومة الكويت إذ تعلن ذلك لواقعة تماماً بان جميع الدول الصديقة المحبة للسلام، ولاسيما الدول العربية الشقيقة، ستساندها في المحافظة على استقلالها".

الموضوع وأصدرنا قراراً أُعْلِنَ رسمياً ونشر في الصحافة العربية وتضمن المبدأ التالي : ان الدول العربية كلها أجزاء في وطن عربي واحد، ويجب ان لا يكون هناك قرار بضم جزء إلى جزء بالقوة وبصورة تعسفية. وان قرار التوحيد يجب ان يتم بموافقة كل الأجزاء التي تقرر الوحدة او التوحيد او التعاون وان تستند الموافقة إلى استفتاء الإرادة الشعبية الحرة بين الأطراف الداخلية فيها، فنحن ضد قرارات الضم. وهذا ما سار عليه حزب البعث عند استلامه السلطة في العراق، واصبح موقفنا الرسمي المعلن عام ١٩٦٣. كما ان حركات أخرى حليفة أخذت الموقف ذاته مثل حركة القوميين العرب التي استنكرت مطالبة قاسم بالكويت، ونفت ان يكون لهكذا عمل أية صلة بالوحدة العربية المنشودة.

وكانت هناك قيود وشروط فكرية وحزبية، سياسية ودولية كثيرة تحكمت في توجيه موقفنا من المسألة الكويتية. ولعب موقف عبد الناصر أهمية كبرى في توجيه موقفنا بسبب احترامنا وتقديرنا لآرائه. فبعد أسبوعين من ثورة رمضان أثار ناصر معنا في القاهرة موضوع الكويت قائلاً : ان وفداً كويتياً زاره وكان يرأسه علي ما أتذكر الشيخ صباح الاحمد (نائب رئيس وزراء ووزير خارجية حالياً)، وعبر عبد الناصر عن تعاطفه مع الوفد الكويتي في رغبته ان تكون الكويت دولة مستقلة، تحظى بتعاون كافة الدول العربية الأخرى. ومال علي مرة أخرى قائلاً: "الشيخ صباح شاب سنه مقارنة لسنك ولديه تطلعات قومية لا تقل عن تطلعاتك". واعتقد ان عبد الناصر تحدث بتلك الطريقة الودودة والمبسطة لانّه أدرك أهمية تقريب الموضوع لنا، رغم تعقيده وخطورته، لكي لا نرتكب خطأ يؤدي إلى متاعب ونتائج غير حميدة. وربما لم يسمي الشيخ صباح ابنه ناصرًا مصادفة بل تعاطفاً مع التيار القومي العربي ومع شخص جمال عبد الناصر.

شرحنا لجمال وللمثلي القيادة القومية السوريين الذين كانوا موجودين معنا في القاهرة بأن مسألة الكويت فيها شيء من الحساسية وأمرها يتطلب الروية وعدم التسرع. ورجونا ان يصبروا علينا، ورجونا ناصرًا ان يكون واسطة مع الأخوان الكويتيين لطمأنة مخاوفهم، وقام الرجل بذلك بأمانة. لكنه نصحنّا بعدم التسرع في اتخاذ موقف حتى ينجلي الأمر وتتضح بذلك طبيعة العلاقات الكويتية مع العراق ومع العربية المتحدة. وان ينصرف جهدنا الأكبر نحو تأمين الثورة في العراق وحمايتها من المداخلات التي قد تنجم عن قضايا خطيرة كالقضية الكردية والكويتية، وكان مخلصاً بنصيحتة^(١).

١ — يروي وزير الدفاع العراقي الفريق صالح مهدي عمّاش، ان عبد الناصر ابلى الوفد العراقي لمباحثات الوحدة "بأنه مؤمن بأحقية العراق في المطالبة بمينائه الطبيعي في الكويت ولكنه ضد استخدام القوة لاستعادتها حتى يفوت على البريطانيين الانفراد بدور الحماية من خلال استثمار الأزمة التي نشأت بعد مطالبة العراق بالكويت وتهديده استعادتها بالقوة". وعبر عن الموقف المصري هذا أيضاً عبد القادر حاتم بقوله في ١٩٦١/٦/٢٨ "ان الشعب العراقي ←

ومن ناحيتي لم اكن حتى تلك اللحظة قد اجتمعت بأي كويتي، عدا نجل أميرها الشيخ سعد العبد الله الذي اصبح فيما بعد وزيراً للدفاع والداخلية ثم ولياً للعهد، فقد كان عضواً في رابطة الطلاب العرب بلندن عندما كنت أمينها العام، وكانت ميوله قومية ويساهم بنشاط في كل ما يجتمع عليه الطلبة العرب، ورغم عدم انتمائه إلى حركة بعينها فقد قدم تبرعات ومساعدات كثيرة.

بعد العودة من القاهرة فوجئنا بوصول برقية من الكويت عبرت عن رغبة الشيخ صباح الاحمد الجابر بزيارة العراق للتهنئة بنجاح الثورة. ولم نكن حتى ذلك الحين قد اخذنا وقتاً كافياً لترتيب اوراقنا واولوياتنا خصوصاً فيما يتعلق بقضية الكويت. ولكن الخلق العربي وبغض النظر عن مشكلة الاعتراف او عدمه، يحتم استقباله والترحيب به في بغداد.

ولم استقبله في المطار رغم رغبتني بذلك ، بل اوفدنا وزير التجارة الاستاذ شكري صالح زكي لاستقباله . وحل ضيفاً في القصر الابيض وهو السكن الوحيد الصالح للضيافة المناسبة في بغداد حينذاك . وادرك الوزير الضيف مغزى عدم خروجه لاستقباله . وحقيقة الامر ان الدبلوماسيين نصحوني قائلين : ان استقبال وزير الخارجية لوزير خارجية دولة أخرى يعتبر بمثابة اعتراف رسمي بها .

مناقشات لجس النبض

جرت مع الشيخ صباح الاحمد اجتماعات متعددة دون تأليف وفد عراقي لادارتها. فكانت اجتماعات غير رسمية حضرها من الجانب العراقي انا وحازم جواد وعلي السعدي وعماش، وكنت المتحدث الرئيسي، وإنصافاً كان السعدي يترك لي شخصياً المجال عندما يتعلق الامر بالشؤون الدولية، بما في ذلك محادثات الوحدة. ومن الجانب الكويتي حضر فضلاً عن الشيخ صباح الاحمد، الصديق المرحوم عادل الجراح مدير مكتب وزير الخارجية الكويتي. ولم تكن لدى العراق اجهزة تسجيل محاضر الجلسات، ولا تسجل غير رؤوس المواضيع ومختصرات

لديه من أسباب الدعوة إلى الوحدة بينه وبين شعب الكويت بصورة أبقى من الوثائق العثمانية، ولكن مصر ترفض الضم وإن كانت على استعداد لتأييد منطق الوحدة الشاملة"، ويقترب عبد الناصر بذلك من موقف القيادة القومية لحزب البعث عندما ميّز بين مفهومي الضم والوحدة ، وبأن العلاقات بين الشعوب العربية لا تحكمها معاهدات او اتفاقيات قديمة او حديثة، ولهذا السبب واجه ناصر إصرار السعدي وشبيب وبقية الوفد بقوله "قد سمعت وقرأت الكثير من وثائقكم لكني أقول لكم في منتهى الوضوح ان ما تطلبونه فات أوانه بحكم الحقائق العربية والدولية ، ان الإنكليز لم يعودوا وحدهم في السيطرة على بترول الخليج وإنما هذه السيطرة انتقلت إلى يد الأمريكان. فأن أراد أحد ان يحتل دولة في الخليج على غير رضا أهلها فيجب ان يعرف سلفاً أنه سيواجه الولايات المتحدة. ان الاتحاد السوفيتي نفسه يسلم للغرب بأهمية بترول الخليج بالنسبة لهم وبالتالي يجب ان نعرف ان هذه المعركة فوق طاقتنا." [7].

لأقوال الجانبيين. ويلعب موظف التسجيل دوراً مهماً في ذلك. وقد انعقدت جميع الاجتماعات في القصر الابيض، مقر إقامة الوفد الكويتي. وجرت مباحثات مطولة مرة بحضورنا نحن الاربعة واخرى ثلاثة واحياناً يحضر اثنان منا فقط. وكان منطلقنا فيها هو ان الكويت لا تحتاج ان تكون دولة لأن هناك علاقات خاصة سبقت المصالح السياسية تربط بينها وبين العراق^(١). ويمكن ترجمة هذه العلاقات عبر فدرالية بين البلدين فلم الحاجة إلى سفارات وسفراء كويتيين، خصوصاً وانها لا تمتلك الكفاءات الكافية. فكانت تستعير اشخاصاً من جنسيات عربية أخرى لتوظيفهم في سفاراتها، فلم لا يستلم الكويتيون مثلاً سفارات العراق ويكون صباح الاحمد وزير خارجية العراق والكويت بنفس الوقت (كما قال السعدي).

وفي الحقيقة لم تكن الكويت حتى ذلك الوقت قد استكملت تأسيس جهاز حكومي بالمعنى

١ — تلهف قلوب الكويتيين للعراق خصوصاً البصرة وبدرجة اقل الناصرية والعمارة والنحف وكربلاء، ويؤمنون بأنهم جزء من الوطن العربي الكبير، ويأملون ان يكونوا طرفاً في وحدة عربية شاملة، ولكن ليس إلى حد الذوبان في كيان ديكتاتوري، يفقدون معه رفاهيتهم ومكاسبهم الاقتصادية داخل وخارج الكويت. ومنذ الثلاثينات قامت الكتلة الوطنية الكويتية على شكل منظمة سرية، ترى في العراق قاعدة للقوميين العرب، ونشطت تحت غطاء "لجنة أكتوبر" لنصرة فلسطين في ١٩٣٦. وادى نمو الوعي السياسي الكويتي العربي والدولي إلى قيام مبادرات اقتصادية وثقافية إيجابية ومتزنة شجعت بعض ابنائها على المطالبة بالسماح لكل العرب بدخولها، وفتحت الابواب لأكثر من ثلاثمائة ألف فلسطيني للإقامة والعمل، فوفروا عيشاً كريماً لعائلاتهم المقيمة في سوريا ولبنان ومصر فضلاً عن فلسطين المحتلة. وكان هناك دائماً كويتيون يتعاطفون مع العراق ويأملون التعايش معه. لكن الاجتياح وقبلة احبارهم على دعم المجهود العسكري العراقي في الحرب الإيرانية وإلا ستحول الكويت نفسها إلى منطقة حيوية للحرب ١١، أثر في موقف الكويتيين خصوصاً المثقفين والمسيحيين، فوقف ضد الاجتياح حتى يمثلو حركة القوميين العرب الديسن طالسوا منذ الاربعينات بوحدة العراق والكويت[8]. بل اجتمعت الكويت كلها في موقف موحد سلمي من الاجتياح، وفعل ذلك البعثيون المرتبطون بحزب الرئيس صدام حسين الذي اعتقل مسؤول منظمته فيصل الصانع وغيبه، ورد وساطة أحد قادة البعث التونسيين لاطلاق سراحه. واضطر علاء الدين حسين، ولم يكن شخصاً مهماً، عند تشكيل وزارة كويتية انتقالية إلى الاستعانة بعناصر من المخابرات العراقية بعد ان وضع فوق رأس كل واحد منهم عقلاً خليجياً، واعلانهم وزراء كويتيين.

أحب الكويتيون الذين انحدر شيوخهم من منطقة الزين القريبة من البصرة، قضاء أوقات طويلة في العراق، يأتون إلى البصرة في كل المواسم وفي عطل نهاية الاسبوع (خميس وجمعة). وخلافاً لبقية العراقيين يعامل البصريون الكويتيين معاملة طيبة، وكانوا قد حموا املاكهم خلال الأزمة مع قاسم الذي لم يكن سلباً ولم يشجع على النهب. وبعد انتهاء الأزمة عرضوا على حماة املاكهم الجنسية الكويتية فوافق بعضهم ورفض آخرون. ويذكر انهم اقاموا في البصرة مزارع وفلاّ فحمة لاسيما في جبل سنام وأبو الحصيب والزبير وقصر حمدان، وبعض اهالي هذه المناطق "بجادة" يحملون جوازات سفر عراقية وكويتية وسعودية. ويذهب الكويتيون للبصرة حاملين الذهب وهدايا أخرى، أملين مبادلتها بصناعات بصرية غالية مشتقة من النخيل كالحصران و "سفر الخوص" والخريط والرطب المطبوخ والتمر البرحي فضلاً عن لحم الضأن العراقي المميز، والقمير والرز العنبر والككك العراقي، ويستوي في ذلك شيوخ الكويت وعوائلها الأخرى العريقة كآل الفليج والمنديل والرشيد، وتستضيفهم عوائل بصرية عريقة كآل النقيب وآل السلطان.

الصحيح. فكان مدراء المكاتب الحكومية اكثرهم سوريون وعراقيون وفلسطينيون. بمن فيهم بعض مدراء مكاتب الوزراء والسفراء.

كان رد الكويتيين هو : هل تستكثرون علينا ونحن جيرانكم ان نكون دولة ولها سفارات. ولم تكن المناقشات المطولة تصل إلى نتيجة، ورحل الوفد دون ان يحصل على شيء، لكننا كنا نعلم ان موقفنا اصبح ضعيفاً. إذ بالاضافة لما اوردناه من قيود مفروضة على موقفنا، فان عاملاً لا يقل خطورة قد استجد وهو فقدان الفيتو السوفيتي الذي كان يشهر سنوياً بوجه الطلب الكويتي إلى مجلس الامن للحصول على عضوية الجمعية العامة للأمم المتحدة.

ومعروف ان كل دولة حتى تصبح عضواً في الهيئة العامة الدولية عليها ان تستصدر من مجلس الأمن توصية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة لقبولها عضواً. وكان الاتحاد السوفيتي صديقاً لعبد الكريم قاسم ويحبط سنوياً المساعي الكويتية. أما الآن فلسنا واثقين من ان السوفيت سيواصلون استخدام الفيتو خلال الجلسة القرية القادمة خصوصاً بعد ان دخلنا في صراع اعلامي مكشوف مع الدولة السوفيتية.

اما الدول العربية فلم يكن بإمكانها ان تلعب دوراً، حتى في حالة توفر الرغبة لديها لمساعدتنا^(١). وحينها كان العضو العربي الوحيد في مجلس الأمن هو مندوب المغرب "الطبيبي بن هيمة" (وقد توفي رحمة الله عليه) فقد اعتادت الجمعية العامة ان تعين عضواً عربياً غير دائم في مجلس الأمن باستمرار وفي كل دورة. والطبيب بن هيمة هذا كان صديقاً للعراق والعراقيين، كما كان قرينه وزميله الأستاذ عدنان الباججي مندوب العراق إلى الهيئة الدولية، لا يقل عنه براعة في الأداء والعلم والحماس للمطالب العراقية.

وعلى أية حال فبعد زيارة وفد الخارجية الكويتي للعراق بيوم واحد، تم استدعائي للقصر الجمهوري بصورة عاجلة. وحالما وصلت، وجدت "محمد سعيد النقيب" وهو عراقي من نقباء البصرة لكنه يحمل جنسية كويتية (وارجو ان تضع اسمه بين قوسين لان دوره كما ارى كان

١ — الحكومات العربية كانت مقيدة إلى قرار جامعة الدول العربية الذي اتخذ في عشرين تموز ١٩٦١ ونص على:
اولاً:

أ - تتعهد الحكومة الكويتية بطلب سحب القوات البريطانية من الأراضي الكويتية بأسرع وقت ممكن.

ب - تتعهد الحكومة العراقية بعدم اللجوء إلى القوة لضم الكويت إلى العراق.

ج - تؤيد الجامعة العربية أية رغبة تبديها الكويت في الوحدة او الاتحاد مع أية دولة عضو في الجامعة العربية.
ثانياً:

أ - ترحب (الجامعة) بدولة الكويت عضواً في جامعة الدول العربية.

ب - تؤيد الدول العربية طلب دولة الكويت بتقديم مساعدات فعالة لدعم استقلال الكويت والدفاع عن استقلالها، ويؤيد الأمين العام صلاحية اتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ هذا القرار بأسرع وقت ممكن.

الاحظر والاهم فيما جرى بين العراق والكويت حينذاك، ولم اكن على معرفة به رغم رابطة الصداقة المتينة التي جمعت بيننا فيما بعد معه ومع اخوانه وانجاليه). ووجدت في القصر الجمهوري كلاً من عبد السلام عارف واحمد حسن البكر وعلي صالح السعدي وحازم جواد وصالح مهدي عماش وحرдан التكريتي، وفوجئت بقرار مسبق هو ان أسافر مع عماش وحردان فوراً في وفد رسمي لرد زيارة الشيخ صباح الاحمد، ولما يمر على انتهائها سوى يوم واحد.

رفضت بشدة متعللاً بكل ما استطعت شرحه من مبررات دبلوماسية وسياسية. وقلت انها خيفة غير مقبولة، وطالبت بدراسة القضية واتمامها بمجدية وبعيداً عن اللفلة، لكن المجموعة بكاملها كانت متفقة ومتحمسة لرأيها. ولم يكن امامي سوى الالتزام والتنفيذ، رغم معرفتي بأن رد زيارة وزير خارجيتهم من قبل وزير خارجية العراق سيعني اعترافاً رسمياً.

استقلينا الطائرة أنا وعماش وحردان ومحمد سعيد النقيب، وكان الأخير ان يرتبطان اصلاً بعلاقة حميمة وصداقة خاصة. وقد ترأس صالح عماش الوفد بعكس ما متعارف عليه دولياً في ان تسبق وزارة الخارجية وزارة الدفاع، لكنني عند تشكيل الوزارة احرّت اسمي ليأتي الثالث بعد السعدي وعماش تقديراً لفارق السن بيني وبين وزير الدفاع رغم انه لم يكن عضواً في قيادة الحزب الحاكم.

ونحن في الطائرة راقبت حماس حردان التكريتي للسفرة واهدافها، حتى انه قاد الطائرة بنفسه نصف المسافة^(١). فانزويت وتأملت متسائلاً في حيرة عن سبب التجاذب المتسرع الذي

١ — ومن سخرية القدر ان احمد حسن البكر وصدام حسين سيختاران مدينة الكويت، بعد ثمانية أعوام مكاناً لاغتيال المرحوم حردان التكريتي بعد ان اصدرا اوامرها إلى مجموعة مختصة من المخابرات العراقية العاملة في الكويت بينهم حمودي العزاوي (قتلته السلطة فيما بعد) وطارق ابو الخيل وهاشم الرفاعي، وتواطؤ السفير مدحت ابراهيم جمعة الذي ساهم بالأمر، دون ان يعلم أنه سيصل إلى القتل وكان سعدون شاكر موجوداً في الكويت ويعتقد انه شارك بها. ومن المؤسف ان الحكومة الكويتية سكنت حينذاك عن الجريمة، رغم ان حردان كان أول راع للاعتراف الرسمي العراقي بدولة الكويت، وبدلاً من التحقيق الجاد سمحت لوزير الخارجية العراقي عبد الكريم الشبيخي بزيارة الكويت بعد ساعات من الحادث ليصطحب معه عند عودته بعض منفذي الجريمة، وعاد القسم الباقي من فريق الاغتيال مع جنمان حردان التكريتي بصفة مرافقين. ويذكر ان سيارة المخابرات التي أقلت قاتلي حردان وتمت الرماية منها أصيبت باطلاقات من مرافقيه او من الشرطة الكويتية، وللتغطية وخوفاً من تحول الإصابة إلى دليل إدانة ضدهم، أرسلوا السيارة فوراً إلى كراج (عادل الحديث في الشويخ) وصاحبه "ابو عادل" حمودي الكلحجي فتم إصلاحها وإخفاء آثار الإصابة فوراً.

ورما كانت دولة الكويت بموقفها ذاك تحاول دفع الشر، وتجنب الشرور بتفادي الاصطدام وتحويل عدوانية الحكومة العراقية إلى اتجاهات أخرى، بل اندفعت مع بعض مطالبها التي لم تنته حتى بعد إحراق الكويت. أما حردان فرغم بعض المثالب التي تؤخذ عليه، إلا أنه شهيم، لا يغدر، وعندما يلتزم ينفذ التزامه، وعُرف بالشجاعة، وذهب ضحية لصفاته.

أبدته القيادة العراقية. وإذا كنت أفهم أهداف جردان وعماش وعبد السلام عارف وغيرهم، فلم أكن قادر على تفهم مجازة علي السعدي وحازم جواد لأنهما لم يكونا من الذين يسهل ابتزازهم.

وصلنا الكويت ففوجئنا باستقبال غير متوقع، كان استقبالاً حافلاً وترحاباً يفوق المتوقع بكثير. ومنذ اللحظة الأولى أدركت ان هدفهم إخراج الزيارة بصورة احتفالية توشي باعتراف عراقي بدولة الكويت واستثمار ذلك في المحافل العربية والدولية. ورغم عدم استقبالنا لوزير خارجيتهم بصورة رسمية، استقبلونا هم رسمياً وعزفوا نشيدهم الخاص والنشيد الوطني العراقي ورفعوا العلمين العراقي والكويتي. ولم يبق في الكويت رجل قادر على الحركة الا ووضع العقال على رأسه وخرج يشاهدنا او يتفرج علينا ولا أبالغ إذا قلت اننا رأينا حينذاك في مشهد منقطع النظير كل رجل في الكويت.

اجرينا مباحثات تقليدية مطولة ادركت خلالها ان لديهم خطة يسيرون عليها، ولم يكن لدينا ما يقابلها. ولاحظت انهم لم يحاولوا الوصول إلى نتائج فورية ومحددة في هذه الجولة، فركزوا على الشكليات والمفاهيم، وعلى استغلال الزيارة إعلامياً لتدخل عنصراً من عناصر الأمر الواقع الذي يجري الإعداد له بحرص شديد تمهيداً لتوقيع وثيقة الاعتراف في جولة قادمة، بعد ان يكونوا قد هيأوا شروط تأسيس دولتهم، وتوثيقها في الهيئات العربية والدولية ثم توضع أماننا على طاولة المفاوضات فلا نجد مفرأ من الموافقة والاعتراف غير المنقوص بكيان قائم فعلاً. وبذلك يكون مشروعهم قد تم إخراجه وإنجازه وبراعة وذكاء اشهد لهم بها.

وبعد أيام علمت ان دولة الكويت جددت طلبها إلى الأمم المتحدة لقبولها عضواً فيها. وان الاتحاد السوفيتي لم يستخدم الفيتو ضده، وذلك يعني انه لم يبق لنا نصير في مجلس الأمن غير الطيبي بن هيمة وهو لا يتمتع بحق الفيتو، وسُحِّلَ المغرب أكثر من قدرته ليعترض على قبول دولة عضو في الجامعة العربية في عضوية الهيئة الدولية. لكننا رغم ذلك خضنا في المجلس بنيويورك (وكننت حينها وزيراً للخارجية وموجوداً هناك) معركة خاسرة ضد دخول الكويت للمنظمة الدولية. اما أسباب العناد والممانعة التي ابديناها فتعود إلى اننا وضعنا نصب أعيننا هدفاً بسيطاً آخر هو: إذا لم يكن بالإمكان منع الكويت ان تكون عضواً في الأمم المتحدة فعلى الأقل يجب علينا ان نخرج من الأمر بشيء ما. واعتقد ان اغلب اعضاء القيادة القطرية والمجلس الوطني لقيادة الثورة قد فكروا حينذاك بنفس الطريقة للحصول على مكاسب معينة وامتيازات من الكويت للعراق. بل ان عبد السلام رئيس الجمهورية كان قد سبق الجميع، وسبق مجيء وفد التهئة الكويتي إلى بغداد بتبادله برقية مع أمير الكويت، وكانت أول إشارة على قرب

الاعتراف العراقي^(١).

وفي الحقيقة فإن استمرار المطالبة في الكويت من قبلنا كان سيبدو محاولة غير حادة وعابثة، وستصطدم بقرار الجامعة العربية التي يهيمن عليها عبد الناصر الذي سبق ان دفع بقواته دفاعاً عن استقلال الكويت. وذلك سيضعنا أمام تساؤل صعب: هل سنقاتل الجيش العربي والمصري من اجل ضم الكويت ؟

وكانت تلك بين أمور أخرى تبدو مستحيلات غير واقعية في وجه أي تفكير آخر غير التصديق على الاعتراف الدولي والعربي بدولة الكويت. ولكني رغم كل الواقعية التي عالجتها الأمر، بقيت انظر إلى زيارتنا للكويت وملاساتها والاستعمال فيها، على إنها خطأ تكتيكي لم يكن له ما يبرره، واعترف اني أحييت عليها. كما سأجبر فيما بعد على مرافقة عبد السلام عارف لزيارة القاهرة قبل انعقاد المؤتمر القطري للحزب مما أتاح فرصة ملائمة لمن يريد ان يتلاعب بنتائجه وينفذ أغراضه.

اجتماعات بمحمدون الخاصة تسبق الإتفاق الرسمي

اجتمعنا خلال زيارتنا للكويت برئيس الوزراء المرحوم صباح السالم الصباح الذي اصبح فيما بعد أميراً لها. وكنت في كل جولة من المحادثات اخرج بنتيجة باننا أمام الاعتراف العربي والدولي وخسارة الفيتو السوفيتي غير قادرين على فعل شيء أكثر من التفاوض على ترسيم الحدود ودراسة وضع آبار البترول الحدودية، وهذه غير ممكنة أيضاً إلا بين دولتين متكافئتين، كلتاهما عضو في الأمم المتحدة.

واستناداً إلى هذا الاحساس والواقع أشار عليّ علي صالح السعدي قائلاً "في قضية الكويت لا يوجد مَنْ يدعمننا، وانت يا طالب إفعل ما تراه مناسباً واحصل للعراق على أكثر ما تستطيع من حقوق بالمفاوضات ولنحتكم بعدها للتاريخ"، وكان يقصد ان نحصل على امتيازات مالية وإقتصادية ووعد بعلاقات مميزة مع الكويت، خصوصاً وأنه كان علينا كسلطة جديدة ان نقدم للشعب العراقي بعض المكتسبات المادية المباشرة، ولهذا سافرت في حزيران ١٩٦٣ إلى بيروت لمدة عشرة ايام في زيارة غير رسمية (شخصية)، ومن جانبه سافر الشيخ صباح السالم

١ - وتشير الوثائق البريطانية[9] إلى ان اللواء مبارك اخبر موظفاً في السفارة البريطانية بالكويت، بأنه استقبل رسالة صداقة من أمر موقع البصرة العسكري في يوم ٩ شباط ١٩٦٣. وكانت مدينة الكويت قد شهدت في نفس ذلك اليوم مظاهرة كبيرة شارك فيها الطلبة، وكانت بقيادة الشيخ عبد الله الجابر وزير المعارف، ورفقت فيها اعلام الكويت والعراق والجزائر والجمهورية العربية المتحدة، وأطلقت شعارات تحيي القومية العربية وعبد السلام محمد عارف والرئيس جمال عبد الناصر وأمير الكويت.

الصباح (رئيس وزراء الكويت) أيضاً ليقوم بقصره قرب "عاليه"، بين بمحمدون وعاليه، ولم ازره بقصره لكننا إتفقنا ان نلتقي كل امسية في مطعم متواضع سيء الخدمات ومقفر من الزبائن، وفضلناه لكي لا نلفت النظر إلى لقاءاتنا غير العلنية، ولكي نبدوا سائحين من الطبقة الوسطى.

فعلنا ذلك لنعطي لانفسنا فرصة حوار بعيد عن الاضواء والتوترات، وهناك اتفقنا على قرض تقدمه الكويت بثلاثين مليون دينار كويتي، وبنسبة ارباح رمزية ١٪ تبدأ بالاستحقاق بعد عشر سنوات، مع مليوني دينار تُقدّم كتبرع من الحكومة الكويتية إلى عوائل شهداء ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ وكان لدينا صندوق لفائدة عوائل الشهداء يرأسه حردان التكريتي وزير دفاع الجمهورية العراقية بعد ١٧ تموز ١٩٦٨^(١).

وحررت الكويت شيكين بالمبلغين ووثقتهما من وزارة المالية الكويتية بإسم عبد السلام محمد عارف وليس بإسم طالب شبيب وسلمنا إلى الحكومة العراقية، وأعطى الأول لخير الدين

١ - قال د. عبد الحسين القطيفي ممثل عبد الكريم قاسم في مفاوضات الكويت التي انعقدت بصورة غير رسمية في سويسرا والقاهرة، وكان حينذاك سفيراً للعراق لدى الجامعة العربية، انه تلقى عرضاً كويتياً بواسطة الدكتور محمد حسن الزيات يتضمن استعداد الحكومة الكويتية لدفع منحة سنوية قدرها خمسين مليون دينار كويتي مقابل موافقة العراق على انضمام الكويت إلى الجامعة العربية والاعتراف باستقلالها. وأضاف: "ابرقت في الحال إلى وزارة الخارجية بعرض الكويت وتعهدنا بالمبلغ الذي ستدفعه سنوياً . . . وكان رد وزارة الخارجية العراقية على لسان الزعيم عبد الكريم ما يلي: ان اراضي العراق لا تباع بالفلوس . . . انتهى[10]. ويقصد الزعيم قاسم بأراضي العراق "الكويت". ويذكر ان الكويتيين اعتادوا استخدام اشخاص غير رسميين او عقد لقاءات غير رسمية في المفاوضات مع بغداد، وكان آخرها لقاءات شبيب وصباح السالم في لبنان واعطاء دور لمحمد سعيد النقيب، وقبلها فاضوا الديبلوماسي العراقي القاسمي السفير قاسم حسن، وكذلك مع معاون وزير الخارجية في عهد قاسم الأستاذ الدكتور القطيفي بواسطة السيد موسى علاوي وهو عراقي مقيم في الكويت استمر قرابته بوزير الاسكان العراقي حسن رفعت، وحينها عرض الكويتيون بواسطته على عبد الكريم قاسم النقاط التالية كأساس للاتفاق المقترح: أولاً: اعتراف العراق باستقلال الكويت وسيادته على اراضيه. ثانياً: يباشر في مباحثات لتقرير اتحاد فدرالي بين البلدين، على ان تبقى العقود النفطية الخارجية بيد الكويت. ثالثاً: ميزانية الكويت تبقى مستقلة. رابعاً: تساهم الكويت بنسبة معينة من ميزانية الاتحاد الفيدرالي العامة واقامة مشاريع مشتركة بين دولتي الاتحاد وخاصة في الولاية البصرة والناصرية والعمارة. خامساً: يبقى نظام الكويت حسب نظام العائلة الحاكمة في اختيار الحاكم، وشكل الممارسة الحكومية. واستناداً لهذه النقاط اتفق قاسم مع مندوبه على مواصلة المفاوضات ما عدا النقطة الأولى[11]. ويبدو انه كان سيوافق على الاعتراف بعضوية الكويت في الجامعة العربية مقابل الاتحاد الفيدرالي ليكسب توحيد الجيش والسياسة الخارجية، لكنه كان متخوفاً من عدم التزام الكويتيين. ولم تدر المفاوضات حول المكاسب والمال بل جرت مناقشات مستفيضة حول مفهوم الوحدة العربية لدى الجانبين، وعُرف قاسم حسن والقطيفي عن رغبة عبد الكريم قاسم ببقاء الوحدة، وكل ما عداها يقبل النقاش بسهولة. وفي المقابل اعترف المفاوضات الكويتيون له بأن الكويت كانت قائممقامية عثمانية تابعة لولاية البصرة، وفصلتها بريطانيا. لكن ليست الكويت وحدها فصلت بل الحمرة وعربستان والاحساء والقطيف وبنجد وقطر، وكلها كانت مناطق ادارية تابعة للبصرة، ولذلك ليس يمكن الاعتماد على التقسيم العثماني كأساس لأدعاء الملكية. لأن العثمانيين انفسهم كانوا محتلين اجانب.

حسب لإدخاله الخزينة العراقية، أما شيك المليوني دينار فقد اخفاه عبد السلام في أحد ادراج مكتبه في القصر الجمهوري، وفوراً بعد زوال سلطة البعث إثر حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ جرى تمرير إشاعة مقصودة ومدبرة تلمح إلى ان البعثيين استولوا على الشيك وصرفوه لمصلحة حزبهم.

لكن وزراء ناصرين بينهم عبد الكريم فرحان وصبحي عبد الحميد إضافة إلى خير الدين حسب محافظ البنك المركزي العراقي، استطاعوا بعد جرد وتفتيش العثور على الشيك الضائع مخفياً في أحد ادراج مكتب الرئيس عبد السلام عارف فأخذوه وادرجوه باعتباره جزءاً من الاتفاقية العراقية الكويتية. ولو لم تتم تلك العملية لتمكن عبد السلام من التصرف بالشيك بصورة شخصية لعدم الاشارة له في الاتفاقية وملاحقتها.

والحقيقة فقد علمت وانا في نيويورك ان اجتماعاً رسمياً عُقد بين وفد عراقي برئاسة رئيس الوزراء العراقي احمد حسن البكر، وكويتي برئاسة الشيخ صباح السالم ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الكويتي، وبحثوا الأمر استناداً إلى ما توصلنا اليه في ذلك المطعم بعاليه. ووقعوا اتفاقاً عراقياً كويتياً يقر فيه العراقيون لأول مرة بوجود دولة اسمها الكويت.

اما انا فلم احضر ولم اوقع ولم أر ولم استلم أي شيء!! رغم إنجازي لأهم جوانب المفاوضات. وكان موقفني المعلن داخل اجتماعات القيادة الحزبية والحكومية هو اننا يجب ان نصل إلى حل للمسألة الكويتية بل صرحت بعد الثورة مباشرة بأن حكومتنا ستمكن قريباً من الوصول إلى قرار يعود بالفائدة على الشعبين الذين يشكلان جزءاً من الأمة العربية والوطن العربي.

اما الادعاء بأن الكويت جزء من العراق او أي بلد آخر فهو امر يعود إلى شعبي البلدين، وكنت ارى الحل واضحاً بشرط التروي، في حين كان البكر وحردان وعماش وعبد السلام عارف متعجلين^(١). وذلك جعلني أتساءل مع نفسي بل واتجاوز حد الاستغراب إلى الارتباب. وكانت صورة محمد سعيد النقيب لا تفارق مخيلتي كلما فكرت في موضوع الكويت، فما هي دوافعه واسباب حماسه؟ وكيف يحضر معنا وهو شخصية ليست رسمية في الكويت او

١ — لم يكن عماش وحردان وعبد الستار عبد اللطيف أعضاء في القيادة القطرية للحزب، ولم يكن عبد السلام عارف بعثياً، وهؤلاء اشتركوا بطريقة اخرى في مفاوضات ومداخلات القضية الكويتية. اما اعضاء القيادة القطرية للبعث الذين اشتركوا في تقرير مصير المفاوضات فكانوا علي صالح السعدي وحازم جواد وطالب شبيب، واضيف لهم فيما بعد احمد حسن البكر بعد ان فاز بعضوية القيادة في المؤتمر القطري الذي انعقد في أيلول ١٩٦٣ .

العراق؟ ولماذا الإصرار الشديد على إتمام الأمر خلال أيام أو ساعات وكأننا ننجز صفقة غير طبيعية رغم قناعتنا كحزبيين بما نقوم به ؟

ولم اكن اعلم، لو لم تكن الظروف قد دفعت بي إلى نيويورك، هل كنت سأوقع معهم نص الاتفاقية^(١)، خاصة بعد ارتياي بتصرفات جماعتنا المستعجلة ؟ ولكني رغم كل ذلك لا املك ولحد هذه اللحظة أي دليل على وجود رشوة. كما أستطيع التأكيد، وأنا مرتاح الضمير، بأن أعضاء قيادة حزب البعث القطرية منزهون من أي اتفاق خارج الأطر الرسمية وعن التورط بأية رشوة. والشيء الوحيد الذي أستطيع تأكيده هو انهم استعجلوا في إضفاء شرعية محلية على قرار دولي صادر من مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة.

١ — نص الاتفاقية : اجتمع الوفد الكويتي الرسمي الذي يزور الجمهورية العراقية بالوفد العراقي بتاريخ ١٩٦٣/١٠/٤ . وتألف الوفد العراقي : (١) اللواء احمد حسن البكر رئيس الوزراء. (٢) الدكتور محمود محمد صبحي الحجي وزير التجارة. (٣) الفريق الركن صالح مهدي عمّاش وزير الدفاع ووزير الخارجية بالوكالة. (٤) السيد محمد كبرية وكيل وزارة الخارجية. وكان الوفد الكويتي من : (١) سمو الشيخ صباح السالم ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء. (٢) سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح وزير الداخلية ووزير الخارجية بالوكالة. (٣) السيد خليفة خالد الغنيم وزير التجارة. (٤) السفير عبد الرحمن سالم العتيقي وكيل وزارة الخارجية. وجرّت المباحثات بين الوفدين في حرمهم بالود الاخوي والتمسك برابطة العروبة والشعور بأواصر الحوار وتحسين المصالح المشتركة. وتأكيذاً من الوفدين المحتمين عن رغبتهما الراسخة في توطيد العلاقات لما فيه خير البلدين بوحى من الاهداف العربية العليا. وإيماناً بالحاجة لاصلاح ماران على العلاقات العراقية — الكويتية نتيجة العهد القاسمي تجاه الكويت قبل إشراق ثورة الرابع عشر من رمضان المباركة وبقيناً بما يمليه الواجب القومي من فتح صفحة جديدة من العلاقات بين الدولتين العربيتين تتفق وما بينهما من روابط وعلاقات ينحسر عنها كل ظل لتلك الجفوة التي اصطنعها العهد السابق في العراق. وانطلاقاً من إيمان الحكومتين بذاتية الأمة العربية وحتمية وحدتها. وبعد ان اطلع الجانب العراقي على بيان حكومة الكويت الذي ألقى بمجلس الأمة الكويتي بتاريخ ٩ إبريل ١٩٦٣ والذي تضمن رغبة الكويت في العمل على إنهاء الاتفاقية المعقودة مع بريطانيا في الوقت المناسب. اتفق الوفدان على ما يلي : اولاً : تعترف الجمهورية العراقية باستقلال دولة الكويت وسيادتها التامة بمحدودها المبينة بكتاب رئيس وزراء العراق بتاريخ ١٩٣٢/٧/٢١ والذي وافق عليه حاكم الكويت بكتابه المؤرخ ١٩٣٢/٨/١٠ . ثانياً : تعمل الحكومتان على توطيد العلاقات الأخوية بين البلدين الشقيقين بمحدودها في ذلك الواجب القومي والمصالح المشتركة والتطلع إلى وحدة عربية شاملة. ثالثاً : تعمل الحكومتان على إقامة تعاون ثقافي وتجاري واقتصادي بين البلدين وعلى تبادل المعلومات الفنية بينهما. وتحقيقاً لذلك يتم فوراً تبادل التمثيل الدبلوماسي بين البلدين على مستوى السفراء، واشهاداً على ذلك وقع كل من رئيسي الوفدين على هذا المحضر. اللواء احمد حسن البكر رئيس الوفد العراقي صباح سالم الصباح رئيس الوفد الكويتي

ملاحظة : تقصد الاتفاقية "بكتاب رئيس الوزراء" رسالة نوري السعيد إلى السير فرانس همفريز المندوب السامي البريطاني في ١٩٣٢/٧/٢١ ، وأقر فيها بأن حدود الكويت تمتد من تقاطع وادي العوجة مع الباطن إلى جهة الشرق بامتداد الباطن جنوبي آبار سفوان وجبل سنام وأم قصر إلى نقطة التقاء خور الزبير بخور عبد الله، وتعود جزر ورسة وبوبيان ومسكان وفيلكة وعوّه وقارورة وأم المرامد للكويت . . ويُذكر ان الاتفاقية لم تُصدّق من قبل مجلس قيادة الثورة، ليس لعدم موافقته عليها، بل لان العراق بكامله دخل بعدها في دوامة من الخلافات تسببت بفرار سياسي لم ينته إلا بعد سقوط حكم حزب البعث في ١٨ تشرين الثاني عام ١٩٦٣.

وفي الحقيقة لم تكن لدينا خيارات أخرى، فضلاً عن نظرنا إلى قضية الكويت باعتبارها اصغر بما لا يقاس من اهتماماتنا القومية العظيمة التي تلف الوطن بكامله، فكنا نتصور أنفسنا قرييين من توحيد العراق وسوريا ومصر.

سؤال : قيل ان البعثيين قبضوا ثمناً معيناً وتداول ذلك كثيرون، فهل من سبيل للتأكد من عدم حصول ذلك ؟

طالب شبيب : في عام ١٩٦٧ التقيت الشيخ صباح الاحمد بلندن، وكنت سفيراً لجامعة الدول العربية فيها، وكنا نستقل سيارة واحدة وكان معي مصحف صغير. قلت له: نحن الآن لوحدها وأريد لضميري ان يرتاح، أرجو ان تقسم على هذا المصحف وتجييب على سؤالي، هل اخذ أحد من قادة البعث رشوة بقضية اعترافنا بالكويت عام ١٩٦٣ ؟

أجاب : اقسم لم ادفع لأحد منهم ولا مليم.

وكلامي هذا موثق بالاحياء، فلا اتحدث عن اموات، والشيخ صباح الاحمد هو أخ وصديق ورجل صادق، حي يرزق قال لي لم يأخذ أحد رشوة.

هذا الأديم كتاب لا كفاء له رث الصحائف باقي منه عنوان

ربما كان يجب ان نحصل على شروط افضل وأشياء كثيرة، لكن وضعنا كان مهتزاً وانا شخصياً كنت في اسوأ حالات الغضب والانزعاج من هزيمتي في انتخابات المؤتمر القطري لحزب البعث التي جرت للتو والتي لم تكن نزيهة من حيث الإعداد لها. ولذلك جاءت سفرة نيويورك اشبه بمتنفس، فلم احضر جلسة التوقيع على الاتفاقية مع الكويتيين، كما لم اعرف كيف جرى التصرف بالمبالغ.

وارجو ان تعرف ان جمال عبد الناصر يعرض قواته للدفاع عن استقلال الكويت، والاتحاد السوفيتي يتخلى عن الفيتو ويرى ان الكويت قد اصبحت حائزة على مقومات دولة. والجامعة العربية قبلتها كدولة كاملة العضوية فيها. والقيادة القومية لحزب البعث قررت رفض منطق ضم الجزء إلى الجزء بالقوة. فمن اين لنا ان نأتي بغطاء شرعي عقائدي او عربي او دولي لمنع دولة قائمة من إعلان استقلالها؟

ولذلك ارى ان نطرح جانباً تلك الاتهامات التي غالباً ما تكال بدون ميزان. فلقد قاتلنا حينذاك بلا اسلحة، وكنا سُعْرَضُ العراق إلى كارثة لو فعلنا شيئاً آخر. وليس أدل على ذلك ما حل بالعراق عندما اقدم مُمَثِّلاًً بشخص الرئيس صدام حسين على ضم الكويت بالقوة

الغاشمة، فضلاً عن ما لحقه من أضرار في جسد الأمة العربية وبقضية الوحدة وما تسبب به من إحباط في أذهان الجماهير العربية^(١).

سؤال : هل هناك أدلة تثبت ان الولايات المتحدة لم تكن تاريخياً حريصة على دولة الكويت ؟ وكيف نوفق بين تحريضهم لنوري السعيد وصادم حسين وأجواء الحلف الذي ربط بينهم وبين صدام حسين خلال المرحلة السابقة، وبين دفاعها عن الكويت عندما احتلها صدام حسين ؟

طالب شبيب : لم يدخل الأمريكان لعبة السياسة الدولية بقوة قبل الحرب العالمية الثانية، فهم الدولة الكبرى الوحيدة التي لم تتضرر كثيراً في الحرب. ربما في بيرل هاربور فقط وهي جزيرة بعيدة عنها في هاواي، وفي مناطق محدودة وغير هامة أخرى. فخرجوا من الحرب اقوياء بينما خرج غيرهم منهكاً. وذلك شجعهم على إعداد انفسهم للتدخل الذي اعدوا له طويلاً في غرف مغلقة، وكان العراق إحدى المناطق التي توجهوا إليها، مستغلين في البدء بعض الثغرات، اهمها الصراع الخفي بين الوصي عبد الإله ورئيس الوزراء نوري السعيد. فتمسك نوري السعيد ببريطانيا، في حين اندفع عبد الإله باتجاه امريكا. ولا اشك ان كليهما كان مخلصاً في بحثه عن حلفاء لجعل العراق قوياً، وتدعيم مكانته وتعزيز موقفه العربي والاقليمي، ولذلك فكلاهما بالإضافة للملك غازي بن فيصل الأول وأبيه طالبوا بالكويت بهدف اكتساب القوة والمال

١ — بعد انقطاع حوالي عشرين عاماً قضتها الجماهير العربية تدوي جراح الحروب الإسرائيلية وإحباط كامب ديفيد وغيرها، جاءت الغزوة الكويتية في ٢ آب ١٩٩٠ لتقضي على مؤشرات وارهصات نهوض عربي حديد، بعضه اسلامي وآخر علماني. وادت الغزوة إلى تقسيم القوى إلى قسمين، الأول : يرى ان اجتماع القوى الغربية، واكتسابها مواقع جديدة في البلاد العربية لم تكن تحصل لولا غزوة صدام للكويت. والثاني : يتصور ان الغزو هو بداية تاريخ جديد لنهضة عربية تتحدى المتدخلين الغربيين. واصحاب هذا الرأي احتفلوا بالنصر الآتي، ليستسلموا بعد اشهر إلى احباط وهزيمة نفسية اخرجتهم من الميدان الفعلي والايجابي. فذهب نتيحتسها قسم من شباب العرب زرافات إلى المنافي ليضعوا انفسهم خارج الميدان الحقيقي للمواجهة. ولم تكن تلك هي الفعلة الأولى المثيرة للاحباط العربي التي يرتكبها النظام العراقي، فقبل ثلاثين عاماً وعدت الحكومة العراقية الفلسطينية بدخول عمان من اجلهم. وقبل عشر سنين عندما غزت ايران بعد سقوط الشاه، اعلنت ان تاريخاً عربياً جديداً من الانتصارات قد بدأ. وفي كل الحالات تمكنت من استمالة اعداد هائلة من الشباب العربي ليكتشفوا بعد ثماني سنوات الواناً لم يعهدوها من الخيبة والخسارة، بما في ذلك توليد ازمة جديدة هي "احتلال الكويت"^[12]. وربما يقف وراء اندفاع بعض المثقفين والسياسيين العرب نحو اعمال طائشة هو آمنيات كسولة تستبد بهم، فتسول لهم انفسهم ان يستيقظوا يوماً ليشاهدوا نصراً عربياً حازماً يقدمه صدام حسين او غيره حتى لو كان ضد الاصدقاء او الاشقاء. ان اسوأ ما في هذه الصورة هو موافقة المحيطين العرب على ان ينال الكويتي السعيد والغاوي ليلته ليستيقظ في اليوم التالي فيرى ان رئيسه اصبح صدام وليس جابر ودبناره ليس كويتياً وان عليه قبل السفر مراجعة المخابرات والحصول على موافقة سباعوي او علي حسن المجيد.

وحاولوا الاستفادة من الولايات المتحدة التي لم تخف رغبتها في الحلّول محل النفوذ البريطاني^(١).

وفي هذا السياق، قرأت كل وثائق الخارجية البريطانية المنشورة، وكذلك الملفات الكثيرة الموجودة في الخارجية العراقية عندما كنت وزيراً لها. وبضمير مرتاح استطيع ان اقرر ان نوري السعيد كان وطنياً وكذلك فيصل الأول.

١ — استدرج الأمريكيون العراقيين اكثر من مرة لغزو الكويت او لخلق أزمة تسمح بتدخلهم السافر. ولم ينجحوا عملياً الا مع الحكومة العراقية القائمة مستغلين خصال الجهل والاستهتار والفردية المميزة لقراراتها. فقد نشرت مجلة البلاد مباشرة بعد غزو الكويت ١٩٩٠ خبراً قالت انسه ورد في وثيقة سرية محفوظة في مكتبة الكونغرس الامريكي — والعهد على المجلة وعلى الأستاذ علي الشوك الذي نقلت عن مقالته المنشورة في جريدة الحياة اللندنية في ١٩٩٢/٣/١، وتقول الوثيقة: "ان واشنطن رتبت لقاءً سرّياً بين نوري السعيد وحون فوستر دالاس وزير خارجيّة الولايات المتحدة من اجل البت نهائياً بشأن موضوع الكويت، وحددت الولايات المتحدة موعد اللقاء بـ ٢٤ تموز ١٩٥٨... لكن ثورة تموز وقعت وانتهى الأمر". اما لماذا ورد موضوع الكويت بين الطرفين ؟ فتحيب الوثيقة: لان "نوري السعيد اتصل بواشنطن في أواسط حزيران ١٩٥٨ أي قبل الثورة بشهر واحد طالباً منها المعونة، فقال له المسؤولون الأمريكيون: "ضمّوا الكويت إليكم فلديها الموارد المالية...".

ومما يؤكد ذلك ان نوري السعيد وجّه في أواخر أيامه إلى السفير البريطاني قائلاً: "لقد تجاوزت السبعين من عمري وثابرت طول هذه المدة على سياسة واحدة لم انحرف عنها، وهي الصداقة المتينة معكم لاعتقادي ان مصلحة بلدي تستوجب صداقتكم (...). غير اني احد انكم تعاملون خصومكم افضل بكثير مما تعاملون اصدقاءكم". [13]. ويوجد اكثر من مؤشر يؤكد التشجيع الامريكي لإثارة الأزمة بين العراق والكويت، فقد ساهم بعض المتعاطفين مع النفوذ الامريكي داخل أروقة الدولة العراقية بتشجيع الملك الشاب "غازي" على مهاجمة أمير الكويت مباشرة والإنكليز بصورة غير مباشرة من إذاعة نصبها في القصر الملكي بلغة تتحدث عن التنوير وتنتقد الرجعية والأساليب القديمة، وهو نفس النقد الذي اعتادت الادارة الامريكية على توجيهه للأساليب الاستعمارية الانكليزية.

وفي ١٣ تموز ١٩٩٠ تحدث انتوني كوردسمان (خبير في مجلس الشيوخ الامريكي) في الندوة التي نظّمها مركز دراسات الخليج في اكستر عن سيناريو هجوم عراقي على الكويت، فقال: "إذا قررت الولايات المتحدة مواجهة العراق بسبب الكويت فانها تحتاج إلى أسبوعين على الأقل، وان القدرة العسكرية الامريكية في المنطقة لمواجهة هجوم العراق تفتقر إلى مقومات بجميع قوات رئيسية" لكنه اعتر "ان تحقيق نجاح امريكي يظل غير مضمون في حالة مواجهة عسكرية كاملة مع العراق. ولذا سيظل امل الولايات المتحدة في ان تتسحب القوات المهاجمة من الكويت نتيجة لمفاوضات سياسية، وكذلك بالضغط على بغداد عبر وقف صادرات النفط العراقي"، ووضح كوردسمان "ان تقويماته وتقديراته مبنية على أساس مقابلات اجراها في المنطقة وفي واشنطن ولندن... انتهت" ومن الواضح ان كوردسمان بالسيناريو الذي كتبه يريد ان يحث صدام حسين على غزو الكويت، بل ورسم له سيناريو ما بعد هجومه المحتمل على الكويت. وبدلاً من السيناريو الحقيقي المبنيّ يقدم له سيناريو الخديعة وطعم المغفلين الذي ابتلعه صدام حسين فأدخل العراق في حжим لا نهاية قريبة له.

وقبل ثلاثة أيام من غزوة صدام حسين للدولة الكويت أدلى وكيل وزير الخارجية الامريكي جون كيلي بشهادة أمام الكونغرس، وحينما سأله أحدهم: ماذا سيكون رد فعل امريكا إذا غزت القوات العراقية الكويت ؟ أجاب: اننا لا يمكن ان نجيب على افتراضات. وعندما ألقوا عليه، قال: ليس لدينا معاهدة دفاع مشترك مع الكويت [14].

مراجع:

- [1] راجع: حسن العلوي، اسوار الطين، مرجع سابق.
- [2] عزيز الحاج، ذاكرة النخيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٢، صفحة ١٨.
- [3] حسان عاكف حمودي - الثقافة الجديدة - العدد ٢٧٤ ص ١١.
- [4] حسن العلوي، اسوار الطين، م س. و ابراهيم علاوي، المقايضة. وتحليل ابراهيم حسين، ثورة الشواف (موسوعة ١٤ تموز)، مصدر سابق، جزء ١ صفحة ١٥٧.
- [5] حلال الطالباني، محاضرة القاها في ٢ أيار ١٩٩٠ بمعهد الشؤون الدولية بلندن.
- [6] سعد البراز، حرب تلد اخرى، الاهلية للنشر، عمان ١٩٩٢.
- [7] حسن العلوي، اسوار الطين، م س.
- [8] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مصدر سابق، ص ١٣٠.
- [9] خليل ابراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، السقوط ص ٢٩٨.
- [10] خليل ابراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، السقوط ص ٢٦٤، ٢٧٨.
- [11] خليل ابراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، السقوط ص ٢٨٥.
- [12] سعد البراز، حرب تلد اخرى، مصدر سابق.
- [13] علي الشوك، حريدة الحياة، ١٩٩٢/٣/١ في سياق نقد لكتاب المقايضة للاستاذ ابراهيم علاوي (نجم محمود).
- [14] خير اذاعته، اذاعة صوت امريكا الناطقة بالعربية وإذاعات عربية كثيرة بنفس فترة الحدث.

القضية الكردية ١٩٦٣

سؤال: نريد معرفة موقفكم الحقيقي من الكرد والقضية الكردية؟

طالب الشبيب: من الصعوبة فهم أو تفهم موقف التيار القومي، والبعث بشكل خاص من هذه القضية. فقد كان مفهومنا العام للأكراد: أنهم قومية نازحة إلى الأرض العربية، جاءت لتحل ضعفاً على العرب في بلادهم. ولم تكن الحقيقة كذلك، ولم يكن الأكراد كالأرمن أو الأتراك أو غيرهم من الجماعات التي اضطرت نتيجة الصراعات والحروب، وبسبب الاضطهاد العثماني القومي والمذهبي، إلى النزوح والعيش على الأراضي العراقية. فالأكراد قومية أصيلة في وجودها في العراق، وعاشت قبل العثمانيين بفترة طويلة جداً، بل قبل بعض الهجرات العربية إليه^(١).

هناك إذن مسؤولية عربية في الجهل، ومسؤولية كردية في عدم التعريف. ويؤسفني أن أقول إن الأكراد أضروا بأنفسهم وبمصادقيتهم بسبب التبعية السياسية والتبعية الفكرية الحديثة. فقد ربط أول وأكبر حزب قومي كردستاني حديث (البارتي) نفسه بمرجعية محلية ودولية بإعلان نفسه حزباً ماركسياً لينينياً (ستاليني المنحني). ووثق ذلك في دستوره، وأصبح بسببه ذليلاً تابعاً للحزب الشيوعي العراقي، رغم الخلافات والصراعات الشرسة التي كانت تحصل بينهما بين حين وآخر في عهد عبد الكريم قاسم وربما قبله. وهذا ما كنا نجهله ولا نعرفه، فقد نظرنا للبارت باعتباره فرعاً من فروع الحزب الشيوعي خصوصاً بعد إن اتفق الطرفان على اضطهاد القوميين العرب في أعقاب ثورة الشواف، وهذا ما يعترف به أغلب زعماء الثورة الكردية الذين التقينا بهم داخل العراق وفي المنافي فيما بعد^(٢).

١ — وهناك كتابات تاريخية محققة وتحذرات تؤكد أن الأكراد كانوا موجودين في المنطقة الشمالية من العراق حتى قبل وصول الاسكندر المقدوني لبابل وأربيل، بل فقد قاتل الأكراد الاسكندر ولهم معه حادثة طريفة ومشهورة جداً في جبال كردستان في طريقه من أربيل إلى برسي بولس (شيراز) الإيرانية. ولم تكن مسألة الأصول التاريخية للأمة الكردية مفهومة بوضوح أو مدروسة جيداً من قبل المثقفين الأكراد حتى وقت قريب، وساعد في ذلك غموض المعلومات واختلاف الادعاءات التاريخية حول أصول الأكراد.

٢ — لاشك أن تعاوناً قد حصل على مستوى أحداث المرسل بين الكرد والشيوعيين، فقد ورد في صحيفة اتحاد الشعب العلنية الناطقة بلسان الحزب الشيوعي العراقي في ١٨/٣/١٩٥٩ إشارات عديدة تؤكد تعاونهما في تمع حركة

وهكذا اختلطت الرؤيا ونماهى ما هو كردي وما هو مؤيد للحزب الشيوعي ولعبد الكريم قاسم، وتداخل اللونان تداخلاً شبه تام، رغم أن التيار القومي حاول أن يتفهم القضية الكردية بوجه سليم. وبالفعل فقد نجح علي صالح السعدي قبيل ثورة رمضان بعقد أول لقاء "رسمي" بينه وبين صالح اليوسفي، حيث اتفقا على بعض الأمور. وقد أبلغ اليوسفي الملا مصطفى البرزاني بوعده الأخير بأنه سيكون أول المؤيدين إذا ما تمكن البعث من إسقاط عبد الكريم قاسم، وسيتم وقف إطلاق النار المتبادل بين الجيش العراقي وقوات البيشمركة الأكراد. وجاء ذلك في الاتفاق بعد أن اتضح لقيادة البعث بأن الأكراد ليسوا بالضرورة ذيلًا للحزب الشيوعي أو لعبد الكريم قاسم، بل أن أجهزة عبد الكريم قاسم بدأت تضطهد الشيوعيين والتضييق على البارت، وحصلت صراعات فعلية بين البارت والحزب الشيوعي، وتلك التطورات مهدت لإعادة تقويم الموقف وللاتصال بيننا وبين الأكراد^(١).

الشواف والعناصر القومية، فقالت "كان وجود المناضل البرزاني في كردستان أثناء حدوث تمرد العصاة الخونة (زمره الشواف) ذا أثر كبير في اندفاع الأكراد للمساهمة في قمع العصيان".
كما أصدر الحزب الديمقراطي الكردستاني بياناً يدعو فيه أكراد الموصل للخروج إلى الشوارع والدفاع عن أنفسهم ضد "الشوفينية".

١ — لم يكن في ذهن عبد الكريم قاسم ولا نذه كل العسكريين القادمين من النكبات إلى السلطة، أي تصور عملي أو نظري لحل القضية الكردية على أسس قانونية أو فلسفية، بل اعتقد جميعهم أن المشكلة كلها تكمن في حسن النوايا، ولذلك اعتمدوا شعارات الأخوة والشرابة الوطنية والمساواة في المواطنة، دون اهتمام جاد للمطامح القومية الكردية من لغة وثقافة وتسيير ذاتي.... الخ.

وفي المقابل لم تطرح القيادة الكردية ممثلة بزعامة البرزاني بعد أية مطالب محددة غير عنوان عام أطلقت عليه اسم "الحكم الذاتي" بلا تحديد لمضمونه. ولذلك كان الصراع مع عبد الكريم قاسم كما يبدو، مجرد محاولة لإعلان النيات، سعى كل طرف لاثام الآخر: أن لا يتمادى في مطالبه وأحلامه. وكانت تلك أشبه بمحاولة كئي أذرع أكثر منها معركة بين عدوين يقسيان على بعضهما، حتى أن قاسم أوعز في الشهرين الأخيرين قبل سقوطه إلى الجيش أن يكف عن القتال ضد الأكراد ما لم يبادروا إلى إطلاق النار، ومدد فترة وقف إطلاق النار شهراً آخر [1]. وإذا كانت القيادة الكردية لم تقدم أية مطالب واضحة وشاملة إلا بعد سقوط قاسم، فإن الحكومة المركزية أيضاً لم تقدم أي مشروع لتفاهم إلا في عام ١٩٦٣ من قبل حزب البعث وسمي بمشروع "اللامركزية" بعد أن حققت المفاوضات "في بدايتها" تقارباً كبيراً استند إلى مواقف إيجابية متبادلة، فأصدرت الحكومة قرارات بإطلاق سراح السجناء الأكراد ورفع الحصار الاقتصادي، في حين أرسل البرزاني برقية تأييد، وساهمت "عناصر من البارت في انقلاب ٨ شباط ولا سيما في القوة الجوية بتعطيل الطائرات في معسكر الرشيد" [2]. كما أوحى قتال الحكومة ضد الأكراد، للبعث والكرد أنهما قاتلا عدواً واحداً مشتركاً.

وإذا كان قاسم قد تورط في القتال ضد الحركة الكردية التي ساعدت على إطاحته، فإن الأكراد بدورهم انغمسوا بسرعة في صراعات تصوراً أنها ستساعدهم على الوصول السريع إلى أحلامهم العيدة. فباشروا منذ ١٩٦٠ عبر جريدتهم سخه بات، بالمطالبة بكل شيء مما أجج ضدهم تركيا وإيران، واضطر قاسم لإحالة الجريدة على التحقيق [3]. وابتدأ بذلك صراعهم المكشوف مع ثلاث دول وثلاث أمم شرق أوسطية مهمة هي الفرس والترك والعرب. وأرسلت

وبعد أسبوعين من ٨ شباط جاء إلى بغداد وفد كردي ضم جلال الطالباني وصالح اليوسفي ولقمان البرزاني وآخرين. وعقدت بين قيادة البعث وبينهم اجتماعات لم تأخذ شكل المفاوضات الرسمية، بل على صورة لقاءات وتبادل آراء شارك فيها علي صالح السعدي وحازم جواد وأنا (طالب شبيب) وصالح مهدي عماش، واتفقنا على إعلان بشأن نظام اللامركزية وإخراجه علناً إلى الرأي العام العراقي والعربي. وقد كنا في حقيقة الأمر نخشى التوسع في مضمون الإعلان رغم إيماننا وإرادتنا على الاتفاق والسلام، وأول ما كنا نخشاه جراء ذلك، هو رد فعل الدول المجاورة، وثانياً رد فعل الرأي العام العربي والبعثي والقومي والعراقي، لعدم تقييدهم إلى تقبل الأطروحة الجديدة التي كنا نرغب أن تكون أوسع مما أسميناه باللامركزية.

وأذكر أن المرحوم علي السعدي، وكنا نؤيده بذلك، قال للمفاوضين الأكراد: "إنكم أقرب الناس إلينا، لأنكم تشكون الهم القومي الكردي، كما نشكو نحن الهم القومي العربي. نحن مجزؤون بحكم الاستعمار وأنتم مجزؤون أيضاً، ولا بد أن يكون كل منا حليفاً للآخر تاريخياً ومصيرياً. وما اتفقنا عليه الآن يجب أن يتفق مع الظروف الإقليمية والعربية والعراقية. أما ما يمكن أن يتمخض عن وفاقنا في المستقبل فهو أكبر من ذلك بكثير".

إيران وتركيا بعد شهرين من رحيل قاسم ضباط اتصال ومراقبة أقاموا في شمال العراق بموافقة الحكومة العراقية وحمايتها، فأغلقت الدول الثلاث أية إمكانية قريبة لتحقيق الأحلام والمطامح الكردية. ويستطيع المراقب أن يلاحظ أن المنطقة الكردية لم تستقر منذ أن طُور البرزاني بمساعدة مثقفين أكراد مطالبه ذات الطبيعة الإنسانية البسيطة إلى مطالب قومية عامة، وجاء أول رد عملي مباشر من قبل الجيش الإيراني ثم الجيش العراقي الذي شن هجوماً ضد الأكراد بقيادة الجنرال الإنكليزي "رنين" وقامت الطائرات الإنكليزية في منتصف ١٩٤٥ بقصف المنطقة بعنف [4].

وبسبب الحظ أو بغيره لم يحقق الأكراد رغم صدقهم وشجاعتهم أية نجاحات عندما هبت الرياح القومية التحررية على شعوب الشرق، بل ذهبوا ضحية موازين القوى الإقليمية والعالمية. كما أنهم لم يكونوا مستعدين لقطف الثمار، وربما حالت الأناطورية دون تمكنهم من بناء أمة ووطن واحد، فتقسموا بين عدة بلدان واضطروا لتشكيل أحزاب قطرية ترفع مطالب محدودة، وحرمو لاسيما في تركيا، من أبسط الحقوق. وكان أول انفتاح كبير عليهم تحقق مع ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الذي أتاح لهم إطلاقة قوية على العالم، فتقدمت حركتهم وعياً وتنظيماً في العراق على مثيلاتها في تركيا وإيران.

ورغم أن الكرد رحبوا بالوسطاء المحايدين مثل محمد سلمان حسن (وزير النفط) وحسين جميل وغيرهم، لكنهم رفضوا وسائط الحزب الشيوعي إثر اجتماع عبد اللان التي تقع بين السليمانية ودوكان، وقد وضع الشيوعيون شروطاً بينها ضرورة استسلام الحركة الكردية وتسفير بعض قادتها إلى الدول الاشتراكية بعد تحميلهم مسؤولية اندلاع القتال لأول مرة، ومقابلها يعطي قاسم فرصة كافية للقيام بإصلاحات تصب في منفعة الشعب الكردي، واعتبر الأكراد تلك الشروط محاولة من الحزب الشيوعي لكسب ود قاسم على حسابهم، وهذا وحده — كما قال لي شمس الدين المفتي — كان سبب رفض وساطتهم. ولم تنوقف الوساطة إطلاقاً من أجل مساعدة البعثيين في مساعيهم لإضعاف قاسم وإسقاطه. ويقول الأكراد أنهم عندما رفضوا تلك الوساطة لم يكونوا قد سمعوا عن رغبة البعثيين في القيام بانقلاب عسكري، بل أنهم سمعوا دعوات الشيوعيين إلى وجوب ملء الفراغ التدريجي وصولاً للسلطة.

وكنت معجباً جداً بجلال الطالباني لأنه أدرك المعنى العميق لما نظرته، ولم يكن في البدء مصداقاً وقال لي بعد سنوات طويلة أنه فوجئ بمستوى وعي شباب البعث وتفهمهم للمطامح القومية للشعب الكردي القريبة والبعيدة، والتي هي مطامح نافذة في الوجدان الكردي، فكيف إذا وجدت نظيراً لها في الوجدان العربي، فأني نصر سيكون في هذا للجهتين إذا أمكن تحقيقه؟

وعلى أساس ما تقدم ولأن الملا مصطفى البرزاني أبرّ بوعده فأرسل بعد إعلان حركة ٨ شباط برقية تأييد مبكرة^(١)، اصطحبنا جلال الطالباني وفؤاد عارف ضمن الوفد الشعبي والحكومي العراقي للتهنئة بعيد تأسيس الجمهورية العربية المتحدة في ٢٣ شباط ١٩٦٣، وضم الوفد كل الفئات والتيارات الأساسية للمجتمع العراقي.

وفي أول جلسة رسمية مع جمال عبد الناصر قال لنا: إن الطالباني وفؤاد عارف أعربا عن رغبتهما في اللقاء به، وطلب منا أن لا نتورط في حرب أهلية، وأن لا نستعيد عبد الكريم قاسم في أشخاصنا، وأن لا نخضع لتراكمات الماضي، لأن واجباتنا القومية أوسع بكثير من القضية الكردية، وإن حركة القومية العربية بسعتها وشملها بإمكانها أن تستوعب كل مطالب الأقليات القومية الموجودة في الوطن العربي. وأن تجد لمشاكلها حلاً سلمية. وقال أن الأكراد طلبوا اللقاء بي منفردين ولم أعطهم جواباً قبل أن أسمع رأيكم. قلنا: لسنا موافقين فقط، بل نرجو أن تفعل ذلك وتستمع إليهم، بنفس الطريقة التي تستمع فيها إلينا بصدرك الواسع المعروف.

١ — أرسل "البارت" إلى مجلس الثورة برقية نصها "إن ضربات الشعب الكردي تلاحت بالثورة المجيدة على الصدر اللدود للقوميتين الشقيقتين العربية والكردية وبقية الشعب العراقي على الجلال الأرحل لشعبنا الكردي المسلم وعلى أوكار الخيانة المطلحة بعار دماء شهداء الشعب وقواته المسلحة وكوارثهم وويلاتهم". التوقيع: صالح اليوسفي، فؤاد عارف (مستقل).

وكان سلام عادل قبل مقتله بأيام قد كتب رسالة يقول فيها "إن القوميين الأكراد حاربوا قاسم بصورة عمياء، طالبوا العون والمساعدة من أية جهة لإسقاط قاسم، وغازلوا القوميين العرب اليمينيين وتعاونوا معهم، وتصورا بأن انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ كما لو كان انتصاراً لهم، إن هذه السياسة تنم عن ضيق الأفق القومي وقصر النظر البورجوازي، إنهم يجاهدون الآن عدواً أشرس من قاسم. أن مطامح الشعب الكردي تتعارض مع أهداف الانقلاب على خط مستقيم تماماً". وكانت جريدة نيويورك تايمز قد نشرت مقالاً بقلم دانا شميدت يقول فيها "إن الملا مصطفى البرزاني رعيم الثورة في جبال المنطقة الشمالية يطلب الآن المساعدة الأمريكية بالحاح وإصرار، وهو يعرض لقاء ذلك الإطاحة برئيس الوزراء العراقي اللواء قاسم وبتحويل العراق إلى أقوى حليف للغرب في الشرق الأوسط"، وقال أن الحكومة الأمريكية أجرت في نهاية ١٩٦٢ مفاوضات سرية مع الحكومة الإيرانية لحملها على تأييد حركة التمرد ومساعدة المتمردين بالأسلحة^[5]، وكان ذلك قد تزامن مع تصاعد المعركة بين قاسم وشركات النفط حول القانون رقم (٨٠). ويدكر أن تفاهم الحركة الكردية مع البعث ومجلس الثورة لم يدم طويلاً، ولا يبدو أن الحكومة كانت تأمن جانب الأكراد، لأن عماش بدأ يبحث عن السلاح بكل الوسائل منذ البداية، وكان عذره أن يتمكن من الرد بشدة إذا ما تمرد الأكراد مجدداً، كما أن الحركة الكردية آوت في الجبال الشيوعيين السهاريين من حжим المطاردات في بغداد وبقية المحافظات.

ورجونا أنه أن يحاول إفهام الأكراد أن لا يضغطوا على نظامنا الجديد بمطالب غير معقولة أو تقع خارج قدرتنا على تحقيقها الآن، وإبلاغهم بأننا كقوميين عرب سنكون معهم على دول الخط^(١).

وكان عبد الناصر ينظر للعراق كورقة ضغط على حلف السنو. بما في ذلك تركيا وإيران (الشاه) بالذات، وينظر إلى حكومات تلك الدول على أنها عدوة لأمان الأمة العربية في تحقيق وحدتها، ولذلك يرغب للعراق أن يكون موحداً، وقد اجتمع مع المبعوثين الكرديين الطالباني وعارف وأبلغنا بضرورة التعامل معهما ومع الملا مصطفى بنفس طويل وحكمة وبعد نظر، وقال: "أنا أرى فيكم أتم الشباب العرب الثوار نفس ما أراه في جلال الطالباني!". وتكونت لدي في الحقيقة نفس الفكرة عن شخصيته ورأيت محباً للمعشر، ذكي ومتوقد الذهن، غير معقد من العرب والعروبيين، بالقدر نفسه الذي كان فيه مخلصاً لقضيته القومية.

وما زلت بعد مرور السنوات أرى أن الأمر لم يتغير، فليس هناك تناقض ما بيننا وبإمكان مسعود البرزاني أو جلال الطالباني أن يدافع أي منهما عن القضايا القومية العربية بنفس المستوى الذي يدافع به عن القضية الكردية، وربما بنفس الحماس والبراس والتجربة التي يقوم بها مناضل عربي في الدفاع عن مأساة الشعب الكردي ومعاناته الطويلة.

الاحتكام للقوة مرة أخرى

انتهت المحادثات بين حزب البعث وقيادة الحركة الكردية ممثلة بالحزب الديمقراطي الكردستاني. وقد نجحنا في إشعار الحركة الكردية برغبتنا كحزب في حل القضية، وأصدرنا قراراً برفع الحصار وعفواً عن السجناء المعتقلين والأكراد. كما وضعنا خطوطاً أساسية لنظام اللامركزية لتكون قاعدة للتفاوض مستقبلاً^(٢).

١ — ويذكر أن محمد حسنين هيكل نشر في "سنوات الغليان" ص ٩٣٣ صورة عن رسالة عبد الناصر إلى المشير عامر في اليمين يقول فيها "قال لي الأكراد بعد أن قابلتهم منفرد، أنهم لا يتقون في أي عود من الحكومة إلا إذا ضمنت شخصياً تطبيق هذه الوعود، وهم يطالبون بالحكم الذاتي، وقد أوقفوا القتال بعد قيام الثورة، وكان لهم اتصال مع رجال الثورة قبل قيامها، وأخذوا وعوداً والملاحظ أن الحكومة تنهت".

٢ — تضمن إعلان اللامركزية التي ساهم شبيب بشكل أساسي في صياغته: أولاً: الاعتراف بحقوق الأكراد ضمن خطة لا مركزية يتضمنها الدستور المؤقت والدائم عند وضعهما. ثانياً: العفو العام عن المحكومين والمعتقلين لتعاونهم مع الثورة الكردية. ثالثاً: تغيير الموظفين الإداريين الذين لهم مواقف عدائية تجاه الشعب الكردي في المنطقة اللامركزية. رابعاً: إلغاء جميع الأوامر القاضية بمصادرة ممتلكات الأكراد الذين اشتركوا في الثورة الكردية. خامساً: رفع الحصار الاقتصادي عن كردستان. سادساً: سحب الجيش إلى مواقعه ومقراته السابقة. وأصدرت الحكومة بياناً قالت فيه "لما كان من الأهداف الرئيسية لثورة رمضان إقامة نظام حديث يستند إلى أفضل الأساليب الإدارية والحكومية، ولما أثبت أسلوب اللامركزية أنه مفيد، فإن الثورة إذ تنصرف على أساس المبادئ الثورية التي أعلنت في بلاغها الأول والتي تنص

←

لكن التطورات اللاحقة أظهرت أمرين، أثار أحدهما علي صالح السعدي وهو إيواء الشيوعيين الهاربين من بغداد في كردستان. والثاني: عدم توقف الحملة الإعلامية والسياسية السوفيتية الخارجية المتعاونة مع أعلام الحزب الشيوعي ضد السلطة المركزية في بغداد انطلاقاً من كردستان. وقد تجلّى التعاون بين الشيوعيين والبارت عندما طلبنا من الوفد تقديم مذكرة بالمطالب الكردية للتفاوض عليها وإقرار ما نتوصل إلى اتفاق بشأنه، فقدّموا إلينا مطالب ستؤدي إذا ما أخذنا بها حتماً إلى خلق دولة داخل الدولة. فإن الأسس المبدئية لكيان أية دولة تتجلى في وحدة قواها المسلحة ووحدة سياستها الاقتصادية والخارجية. في حين تضمنت المذكرة الكردية طلباً بتحديد تواحد وتمرينات وإجراءات الجيش العراقي في المنطقة العربية فقط، وأن يحدد تواجد قطعات الجيش وتدريباتها في المنطقة الشمالية بموافقة السلطات الكردية المحلية، حتى لو كان ذلك التواحد بدعوى حماية الحدود العراقية، وذلك يعني وجود سياستين وطنيتين في بلد واحد، ويعني أن الجيش لم يعد مسؤولاً عن حماية الحدود ولا يستطيع أن يهيمن على كامل الأراضي العراقية والدفاع عنها بوجه أي معتد أجنبي. وكان هذا في حال تطبيقه سيسبب شرحاً في بنية الدولة.

أما الشرح الثاني فهو مطالبة الأكراد بتوزيع كافة وظائف ومناصب الدولة بما فيها الخارجية على الأكراد والعرب بما يتناسب مع نسبتهم السكانية، أي يكون لهم ٢٠ % من وظائف الدولة بغض النظر عن الأهلية والكفاءة. وعلى سبيل المثال فإنهم لو حصلوا على ما يطالبون به في وزارة الخارجية فستكون لنا سياستان مع الخارج، لأن تبعية الموظفين الأكراد ستكون للحركة الكردية التي ستمسك بدورها في تسميتهم.

الشرح الثالث: طالبوا بحصة من النفط مساوية لنسبتهم السكانية، وقالوا بمذكرتهم إنهم سيتصرفون بالعوائد بحسب ما يترأون، وبذلك ستكون للعراق سياستان اقتصاديتين، وكان البلد قد جزيء وشطر مسبقاً، وهو أمر ليس مقبولاً أو معقولاً. ومن الأفضل لكردستان أن تستقل عن العراق وتترك الباقي جسماً سليماً. أما إصابته بمرضين: مرض التجزئة ومرض التداخل (دولة داخل دولة، وميليشيا "بيشمركة" موازية للحرس القومي) وذلك شر مستطير.

ولأسف الشديد فاوض الأكراد استناداً إلى أهدافهم البعيدة النهائية ولم يكونوا واقعيين^(١).

على تعزيز الأخوة العربية الكردية، وعلى احترام الحقوق القومية للشعب الكردي والأقليات الإقليمية، فإنها توافق على منح الحقوق القومية للشعب الكردي على أساس اللامركزية، وأن ينص على هذا في الدستورين المؤقت والدائم عند إعلانهما، وستشكل لجنة لتضع الخطوط العريضة للامركزية [7]. وعندما شكلت اللجنة، فيما بعد، لم يخف الأكراد تيرمهم لعدم وضع أي كردي في عضويتها.

١ — يقول د. محمود عثمان " لم تكن نتوقع من حزب البعث حينذاك أن يعترف بالحقوق الكردية الأساسية كما نريدها نحن. إلا أن الحرب مع قاسم ألحكت الشعب الكردي، وكان الناس بحاجة إلى فرصة وهدنة. وفي المقابل كان ←

ولم يفهموا المبادئ الأساسية لكيان الدولة الموحدة. فقلنا لهم إذا كنتم تريدون الاستقلال يمكنكم طرحه علينا مناقشته، أما أنكم تطرحون مطالب ليس بينها الاستقلال لكنها تؤدي إلى انقسام الدولة وتحول العراق إلى كيان مريض فهو أمر لا نقبل به.

ولذلك لم يكن هناك مجال للرد على مذكرتهم ولا مخالفتها، واكتفينا بعدم قبولها. وقد اعترف لنا المفاوضون الأكراد في نهاية الأمر أن مطالبهم لم تكن تصلح كقاعدة واقعية للتفاهم^(١). وحينها لم نكن

البعث أيضاً بحاجة إلى مثل تلك المدة لكونه ضعيفاً، وحاء إلى الحكم حديثاً. ولم تجد القيادة الكردية ضرراً من إجراء محادثات معه وإعطاء فرصة السلام بدل الحرب التي استمرت منذ عام ١٩٦٠. وحينذاك كانت علاقتنا (البارت) مع الشيوعيين متوترة بسبب مساندتهم لقاسم حتى لحظة سقوطه، ولوجود خلافات شديدة بين البرزاني ومكتبه السياسي ولانعدام الوحدة داخل القيادة الكردية جعلنا في حاجة للمهذبة والوقت للمراجعة والترتيب..".

ويضيف د. عثمان " لم تكن مفاوضات البعث معنا جدية، إنما خطوة تكتيكية لكسب الوقت والاستعداد، قبل شن أشرس حرب واجهها الشعب الكردي، فالبعثيون كانوا مقتنعين أن قاسم لم يُزَلْ الحرب بمجدية. وحينها عانينا من التبعيث والتهجير وحرق القرى، ولم نلمس على أرض الواقع أية إنجازات، وكانت فترة حكمهم القصيرة سلبية لنا ولحزب البعث ولشعب العراق وللحركة التحررية العربية، وكنت أود لو أن سلطة صدام حسين استفادت من التجربة السالفة ولكن ذلك لم يحصل... [8]، ويقول الأستاذ شمس الدين المفني إن المذكرة الكردية التي رفضتها حكومة ٨ شباط ١٩٦٣ لم يكن فيها ما يُرفض، فقد عرضت مطالب بسيطة، تم شرحها من قبل جلال الطالباني وتضمنت "مطالب بتحويل البيشمركة إلى شرطة حدود لتأهيلها والاستفادة منها. وتدريب جنود الخدمة الإلزامية الأكراد في المناطق الكردية وليس بمناطق بعيدة كالبصرة والناصرية. وبتثبيت مسبق للمناطق التي ستحري فيها فرضيات وتدريبات الجيش وإعلام القيادة الكردية بزمان حصولها، حتى لا تتحول إلى وسيلة للتوتر أو المناورة واحتلال جديد للمنطقة الكردية، إذ أن الجيش اعتاد قبل هجماته التدرج بفرضيات تدريبية. ولم تتضمن المذكرة أي شيء حول تحويل البيشمركة إلى جيش يحمل محل جيش الدولة" [9]. ويذكر أن المطالب المذكورة أقرها مؤتمر البارت المنعقد في آذار ١٩٦٣ بكويسنق، وفي مقابلها أُنجزت السلطة وثيقة اللامركزية في ١٩٦٣/٦/١ أي قبل أيام من تجدد القتال، ويمكن حول هذا الأمر مراجعة ش. ج. أشيريان، الحركة الوطنية الكردستانية في كردستان العراق، بيروت ١٩٧٥، وتقول بعض المصادر أن الأكراد طالبوا في مصر خلال محادثات الوحدة في ٧ نيسان ١٩٦٣ بمطالب ذات طابع سياسي وإقليمي وعسكري ومالي في حالة قيام وحدة عربية سورية عراقية ومصرية. واعتبرت الحكومة العراقية تعجيزية وتخدم مصالح الدول الأجنبية.

١ - بعد رفض البعث المذكرة الكردية توترت الأجواء وارتسمت مؤشرات الحرب في الأفق، رغم أن المفاوضات بذاتها كانت ودية وناجحة، لكن خفايا وعقداً كثيرة عرقلت استمرارها، فسافر الطالباني إلى القاهرة ليشكو عبد الناصر من جمودها، ويطلب وساطته لتحريكها. وبسبب اندلاع القتال لم يعد إلى بغداد بل سافر إلى فرنسا ثم عاد إلى كردستان عبر طهران. أما بقية الوفد الكردي المفاوض، فأوصلته الحكومة إلى كركوك أملاً في السفر إلى السليمانية لتدارس الأمر مع الملا مصطفى ومراجعة أو تغيير بعض المطالب، لكن أوامر صدرت من وزير الدفاع صالح مهدي عمّاش باعتقالهم وإعادتهم إلى بغداد، وهناك أخذوا للتحقيق وظل اليوسفي يعاني من نتائجها حتى وفاته. وضم الوفد الكردي المفلوض إضافة إلى جلال الطالباني كل من اليوسفي ومسعود محمد، وحبیب محمد كرم، وإحسان شيرازي والعميد مصطفى عزيز الذي تعاون فيما بعد مع الحكومة المركزية.

وفور اندلاع القتال قدم الوزيران الكرديان بابا علي وفؤاد عارف استقالتيهما إلى أحمد حسن البكر بعد أن سعى فؤاد عارف لرأب الصدع في محاولة أخيرة واتصل بالبكر وطاهر يحيى وطالب شبيب.

←

راغبين بأي تغيير للطاغم المفاوض لأن تفاهمنا على طاولة المفاوضات كان كبيراً وقد نجح جلال الطالباني وحاز على رضانا ورضى الملا مصطفى البرزاني. وهذا كان أسلوبنا معهم قبل الثورة أيضاً فلم تكن لنا أية قناة أخرى رسمية للاتصال بهم غير قناة (السعدي — اليوسفي) ولم نسع لتجاوز أو إزعاج البرزاني بالاتصال بغيره، حتى لو كان ذلك الغير هو المكتب السياسي، وكنا نعرف أنه رجل ملتزم ولا يجب المناورة والخداع، فضلاً عن أن تعدد القنوات كان سيضر بسريّة العمل ويعرضنا لخطر الانكشاف للأجهزة الأمنية القاسية.

أما الأستاذ إبراهيم أحمد، فقد شارك بشكل جاد في المباحثات والاتصالات والمسايع ضمن الوفود التي استمرت جبهة وذهاباً بين مقر البرزاني في "حاج عمران" وبغداد. ولم نكلف طاهر يحيى التكريتي قبل استلام السلطة بالاتصال بإبراهيم أحمد أو البرزاني، ولم يكن يحيى يمتلك مثل هذه الصلاحية ولا القدرة على كتابة سطر واحد (أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء)، ولم ينتسب لحزب البعث إلا قبل أيام معدودة من ٨ شباط، وكان يتصل بأحمد حسن البكر، ولم يحضر أي اجتماع حزبي إلا صباح يوم اندلاع الثورة، قبل تنفيذها بساعات^(١).

ومرة أخرى تجد الخلافات العربية — الكردية في العراق طريقاً وأسباباً لتصعيدها. ولعل عدم

ويرى الأستاذ شمس الدين المفتي أن القيادة الكردية لاحظت ابتعاد الخططين المدني والعسكري لحزب البعث عن بعضهما، خطط علي السعدي والقيادة المدنية عن خطط عبد السلام عارف وبعض الضباط القوميين كفرحان وصبيحي عبد الحميد يساندهم البكر وعماش ورشيد مصلح وطاهر يحيى وحردان التكريتي، ذلك الخط الذي استخدم لأول مرة سياسة الأرض المحروقة ضد الأكراد العراقيين.

١ — يرى الدكتور محمود عثمان (عضو مكتب سياسي للبارت ومستشار للبرزاني، ومؤسس للحزب الاشتراكي الكردي)، إن هناك اتصالات كثيرة قبل ١٤ رمضان ١٩٦٣ بينها اتصال علي السعدي بصالح اليوسفي، لكن أهم اتصال كان بين البعث والمكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني وسكرتيره إبراهيم أحمد ع/ ط طاهر يحيى التكريتي برسالة نقلها المقدم كرم قرني (كردي). ويضيف: لا أستغرب عدم معرفة الشبيب بذلك لأن الخط العسكري للبعث والضباط القوميين كانوا ناشطين هناك، وقد يكون البكر وعماش يعلمون بذلك الاتصال، أو ربما يكون الأمر قد تم بتكليف خاص من السعدي للبكر ومن البكر ليحيى ويحيى لقرني. لكن المكتب السياسي استلم الرسالة التي تحدثت عن الانقلاب القادم، وهذه حقيقة مؤكدة. ويضيف د. عثمان: "نحن كأكراد كنا نلمس رأياً بغيثاً واحداً عسكرياً ومدنياً وكنا نسمع من القيادة المدنية للبعث أن العسكريين ينفذون أوامر قيادتهم الحزبية المدنية، لكنهم يعودون وينكرون دورهم في قسوة القتال وبعض الممارسات الإجرامية ويتهمون القيادة العسكرية بارتكابها دون علمهم، وفي هذا تناقض [10]. ويذكر أن علاقة وطيدة ربطت بين البكر ويحيى منذ اشتراكهما بثورة تموز ١٩٥٨ وكلاهما أحيل على التقاعد، وذهب البكر إلى السحن حيث التقى السعدي الذي نسب له للبعث وكلفه بكسب صداقة الضباط ذوي الرتب الكبيرة، وربما يكون يحيى ذهب للأكراد مكلفاً من البكر. كما كانت هناك لقاءات غير رسمية كثيرة حصلت بين بعثيين وأكراد، مثل ذلك الذي جمع بين ميشيل عفلق وإبراهيم أحمد سكرتير البارت مباشرة بعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في مقر جريدة الجمهورية البغدادية، وربما يكون عفلق قد التقى هناك بجلال الطالباني الذي كان يعمل محرراً بنفس الجريدة، وحينذاك أعطى عفلق حديثاً للجمهورية نشرته في ١٩٥٨/٨/١ ووعده فيه الأكراد بحرص العرب على حريتهم ونيل التعصب القومي "الذميم" وبمستقبل يشهد تحقيق أمانهم [11].

تفهم الأكراد للعقيدة والفكر القومي البعثي، وعدم استفادتنا من نصيحة عبد الناصر التي كررها على أسماعنا، قد ساعد على ذلك التصعيد. فقد قال عبد الناصر: إن الاستعمار سيخلق لكم مشكلة داخلية وعليكم تفاديها، وإن وحدة العراق تكمن في وحدة جيشه، ويجب أن لا ينجح الجيش في حرب أهلية وتلك من الأولويات.

وكنا نتجاوب مع تلك النصيحة وكانت القيادة القومية لحزب البعث قد أكدت نفس الملاحظات. أما رفاقا البعثيون في الأقطار العربية الأخرى، فرغم عدم تفهمهم للمسألة الكردية كما نفهمها، فقد كانوا حريصين على عدم القتال. لكن ألعاماً بشرية كردية وعربية دفعت بالأمور نحو الاصطدام وزرعت الشكوك خصوصاً في صدق نوايا القومية العربية بشكل عام وحزب البعث بشكل خاص عن الأكراد، فدفعوا الأكراد إلى الظهور بمظهر المحرضين ضدنا حتى في لقاءاتهم مع جمال عبد الناصر، لكننا تفهمنا ذلك وقدّرنا تأثير ضغط الإعلام الشيوعي والسوفييتي عليهم، وتفهمنا أيضاً أهمية القضية الكردية في خارطة السياسة والمصالح العربية الإقليمية والدولية، واحتمالات استثمارها من قبل قوى أجنبية كبرى لأغراض قد لا تمت بصلة للمصالح الوطنية المحلية. وكنا نرغب أن توضع القضية في مكانها الصحيح على الخارطة العربية، لكن شتان ما بين الرغبة والواقع.

وإذا عدنا للمذكرة المطالب الكردية التي رمت بصورة غير مباشرة إلى إظهار كيان كردي مصطنع سيضر قضيتهم ويعرقلها دون أن يحقق أيّاً من طموحاتهم. وطبيعي أن لا يحقق ذلك للعرب أية مصلحة، ويمنع العراق من إمكانية التحرك السليم ولعب دور مفيد. وهذا ما شرحناه لعبد الناصر كلما تحدث معنا كوسيط أو كطرف، وهو ذاته الذي شرحناه لقواعد الحزب ومنظماته المحلية والقطرية والقومية، كما أرسلنا وفداً إلى كردستان للشرح والتوضيح، ووجهنا الدعوة للملا مصطفى البرزاني لزيارة بغداد، ولكنه لم يأت ولم يرسل أحداً من أبنائه، ولعله على حق في عدم حضوره شخصياً، باعتباره رمزاً وقائداً وحيداً لحركة شعبه وأن سقوطه سيؤدي إلى التشرذم.

وكانت وفودنا للأكراد رسمية وغير رسمية شارك فيها سعاة ووسطاء خير، بينهم علي حيدر سليمان وهو كردي وسفير معروف في الخارجية، وحسين جميل عضو قيادة الوطني الديمقراطي وأحد مؤسسيه، وظاهر يحيى التكريتي رئيس أركان الجيش الذي قيل أن أصوله كردية. وأؤكد لك أن القيادة المدنية للبعث كانت ترغب فعلاً في إقامة سلام مستقر مع الحركة الكردية، ولم تراودنا أية رغبة في الانتصار عليها ولّي ذراعها.

كنا نستلم شكاوى يومية من صبحي عبد الحميد مدير الحركات العسكرية في وزارة الدفاع، ومن قائد الفرقة الأولى عبد الكريم فرحان، ومن كافة الضباط والإداريين والمتصرفين

العاملين في المدن الكردية^(١). وشمل التخريب والتجاوزات كل شيء، حتى الأديرة جرّب المسلحون البيشمركة دخولها وسرقة النبيذ المعتق منها.. والله أعلم!! والطريف أن الشكاوى الواردة ضد البيشمركة كانت مطابقة شكلاً ومضموناً لتلك الواردة إلينا من وسط وجنوب العراق ومن أنحاء مختلفة من بغداد وتشتكي من ممارسات الحرس القومي وسلوكهم.

وازدادت الشكاوى من البيشمركة مباشرة بعد أن بدأت منظمات حزب البعث تؤسس مقرات رسمية لها داخل مدن كركوك والسليمانية واربيل، لتخلق بؤراً جديدة يدور حولها ويسببها الصراع بين منظمات البارت والحزب الشيوعي من جهة ومنظمات البعث التي تبحث عن مواطني تثبت فيها أقدامها. ورغم عدم ذكاء فكرة إنشاء منظمات بعثية تضم أكراداً وتركمانيًا وعرباً داخل المدن الكردية، لم تفكر القيادة القطرية إطلاقاً بإنشاء حزب كردي مواز للحزب الديمقراطي الكردستاني ومؤيد للسلطة، بل كان قرارنا الحقيقي هو طلب اعترافهم بسيادة حكومتنا على جميع الأراضي العراقية ولنترجم نحن بحرية الشعب الكردي في اختيار منظمته والسير في مفاوضات هدفها اتفاق عادل يحمي ويدعم السلام.

لكن تجاوزات مزعجة وغير محدودة حصلت من قواعدا الحزبية ومن البيشمركة ومن بعض الضباط أدت إلى خلق أجواء من عدم الثقة، وكنا نحرص على إبلاغ القيادة الكردية بما يصلنا من شكاوى ونسلمها إلى صالح اليوسفي وإبراهيم أحمد أو جلال الطالباني الذي كان موجوداً عند تصاعد الأزمة في "حاج عمران" مع الملا مصطفى. وأبلغتنا القيادة العسكرية الميدانية بأن الجيش أصبح أمام خيارين: إما أن يسحب القوات من كردستان كلها أو نفقد التحكم العسكري بها.

وضعنا هذا الخيار أمام المجلس الوطني لقيادة الثورة وناقشنا تقويم الوضع العسكري هناك، فطرح اقتراحان، الأول: أن يبدأ الجيش بعملية عسكرية لصعد الاعتداءات واستعادة السيطرة الأمنية. والثاني: والذي انحاز إليه أغلبية العسكريين ويرى أن يشن الجيش عملية واسعة هدفها إحراز النصر التام كي يستعيد الجيش معنوياته المفقودة، ورأوا أن إنجاز النصر مهمة قابلة للتحقيق في فترة وجيزة جداً، واحتجوا بأن عبد الكريم قاسم لم يكن يقاتل الأكراد بجدية.

واستمعنا إلى ضباط بعثيين، وقوميين، يتحدثون بصوت واحد ويقفون وراء العمل العسكري

١ — في هذا السياق أخبرنا كثيرون من الأخوة الأكراد بأن المدن الكردية الكبرى كانت في عام ١٩٦٣ في يد قوات الحرس القومي وأجهزة الدولة المركزية، وخالية من البيشمركة. كما أن عدداً من المواطنين المحليين من شتى القوميات انتموا إلى الحرس القومي، وباسمه تمت الاعتقالات والتابعات. ولم تحصل شكاوى من أعمال سيئة ضد البيشمركة إلا في عام ١٩٦٤ واشتدت في عام ١٩٦٦ حتى ١٩٧٠ وذلك رافق أعمال الانشقاق عن حركة الملا مصطفى البرزاني الذي قاده جلال الطالباني وحينذاك حصلت أعمال وعروقات ضد حقوق الإنسان وفتحت بعض منظمات البيشمركة معتقلات خاصة خارج المدن وفي الجبال.

الشامل، وكان أكثرهم حماساً عبد السلام عارف الذي حَضَّ على القضاء التام على الحركة الكردية وإخضاع المنطقة لهيمنة الدولة المركزية بنفس الحماس والتحريض على محاربة وضرب الشيوعيين وتصفيتهم نهائياً. وكان هو وعدد من أعضاء مجلس الثورة مستعدين للموافقة على أي قرار وعلى وضع جميع طاقات البلاد تحت تصرف القيادة العسكرية الميدانية ومديرية الحركات في شمال العراق. وإذا كنت أتذكر جيداً فإن الضابط الوحيد الذي وقف نفس موقف القيادة المدنية هو منذر الوندائي.

سؤال: هل كان عبد السلام عارف وبقية الضباط سيوافقون مثلاً على قرارات تصل إلى حد الإبادة؟

طالب الشبيب: ليس إلى هذا الحد، فقرارات الإبادة التي تشمل المدنيين لم تمر بأذهان القيادات السياسية أو العسكرية، فقد كانت أهدافهم تدور حول الاستحواذ على السلطة ومنع غيرهم من المنافسة، ومن أجل ذلك يستخدمون كل الوسائل في ملاحقة وتصفيّة الخصوم والمنافسين أحزاباً وأفراداً. ولم تُتخذ قرارات الإبادة الجماعية في العراق إلا في عهد حكومة صدام حسين. أما ما جرى في ١٩٦٣ فقد أُسند إلى مبررات وتقديرات القيادة العسكرية. وأعترف أننا لم نستشر القيادة القومية ولا حكومتي مصر وسوريا ولا أية جهة إقليمية أو دولية. وافترضنا أن الجميع سيعذرنا بعد أن نجعلهم أمام الأمر الواقع مع إيضاح كامل بالدوافع والأسباب. ولا أخفيك فإن العسكريين صوّروا لنا وكأن المعركة ستكون جولة سريعة، فذقوا طبول الحرب ومعزوفات النصر مبكراً جداً.

ومع قرار الحرب قررنا في مجلس الثورة، أولاً: الإعلان رسمياً وبقانون عن بدء العمليات العسكرية، فخالفنا بذلك طريقة عبد الكريم قاسم الذي باشر عملياته العسكرية دون الإعلان عنها رسمياً. وثانياً: الإعلان بدقة عن سير العمليات العسكرية لنبعد عن المبالغات وتكون تقاريرنا صحيحة على شكل بلاغ يومي رسمي صادر من مديرية الحركات العسكرية بوزارة الدفاع.

فوجدنا عند التصويت على بدء العمليات العسكرية بصالح مهدي عماش يصوتُ ضدها وعندما سألناه قال أنه يطالب بتأجيلها ريثما يتمكن من توفير السلاح الكافي. وصوت ضدها أيضاً علي صالح السعدي وحازم جواد وطالب شبيب ومحسن الشيخ راضي واثان أو ثلاثة آخرون. فعُلّقت بصوت عال قائلاً: أية دولة غربية وفاقة للعقلانية هذه التي يصوت وزراء خارجيتها ودفاعها وداخليتها ونائب رئيس وزرائها وأبرز شخصية حزبية فيها ضد الحركات العسكرية، ورغم ذلك تقرر المضي في شن الحرب.

ومازلت كلما راجعت نفسي أشعر بأن قرار بدء العمليات الحربية كان مبيّناً، وأشك بشدة

بسلوك صالح مهدي عماش، رغم تصويته معنا ضد بدء العمليات، فقد علمت أنه بدأ وقبل حضوره الاجتماع بالاتصالات مع الملحقين العسكريين الإيراني والتركي وبحث الأمر معهما. ثم طلب مني فوراً بعد انتهاء الاجتماع استدعاء سفيرى البلدين لتوثيق أمر إبلاغهما ببدء العمليات الحربية رسمياً، وكان إطلاق النار قد بدأ فعلاً، وكل تلك التطورات المتتابعة كانت أشبه بحلقات في سلسلة لا يمكن تواليها دون إعداد مسبق.

استدعيت السفيرين فأجابا: نحن نعلم بما يجري ونشكركم على إبلاغنا، وسنعين خبراء عسكريين لإقامة لجنة اتصالات وعمليات مشتركة بين البلدان الثلاثة للحد من التسلسل وتهريب الأسلحة ولجوء المقاتلين. وإن الأمر هو الآن قيد البحث مع وزارة الدفاع العراقية. وأبلغوني تأييدهم وحماستهم لقرارات الحكومة العراقية. وبالفعل تشكلت هيئة تنسيق مشتركة إيرانية تركية عراقية يرأسها صبحي عبد الحميد ويرعاها وزير الدفاع صالح مهدي عماش^(١).

الموقف الخارجي ومصادر التسليح

تباطأ السوفييت في تسليم صفقات الأسلحة المتأخرة، وكان عماش قد تحدث مع جمال عبد الناصر في إحدى الخلوات الشخصية لتجهيزنا من المعامل المصرية بعتاد وقذائف مدفعية يفتقدها العراق، فضلاً عن تنفيذ طلبات بعشرات آلاف القطع من رشاشات بورسعيد. وتم تجهيزنا بكل ما طلبنا.

وأعلن الآن بأسف شديد بأني أفصح عن هذه الصفقات السرية في عام ١٩٦٤ عندما كنت منفياً في القاهرة إلى السيد شوكت عقراوي الذي عاتب بدوره الرئيس جمال عبد الناصر،

١ — في منطقة ناشيتان قرب كلي علي بيك باتجاه سهل ديانا، كان يوجد لواء عسكري استضاف خلال اندلاع القتال ضابطين كل منهما برتبة عقيد، أحدهما إيراني والآخر تركي ومعهما مرافقة فنية تحمل أجهزة لاسلكي وتصوير وإنصات. ويتذكر الأكراد لحد الآن اسمي الضابطين، كما حلقت طائرات إيرانية وتركية للتنسيق مع ضباط الارتباط وبدوهم يتشاورون مع قيادة الحركات[12]. ويرى عدد كبير من الأكراد بأن وزارة الدفاع التي لم تبلغ مصر وسوريا مسبقاً بأمر القتال كانت قد بحث أمره مع تركيا وإيران، الدولتين اللتين يشك قادهما بوجود ميول يسارية وشيوعية لدى الحركة الكردية، رغم أن الملا مصطفى لم يكن حتى ذلك الحين متورطاً بأية التزامات إلزامية مع الدولة السوفيتية أو الأمريكية، لكنه لم يتفهم بعض التأثيرات الدولية، ولا أحد يعرف كيف حرت الأمور وتطورت بعد اشتداد القتال؟ وربما تكون التأثيرات قد تسلسلت تحت ضغط الحاجة والحرائق. ويقول شمس الدين المفتي[13]. إن ضابط استخبارات أمريكياً تواجد في مدينة خانة الكردية الإيرانية وضابطاً آخر في قصر شيرين داخل الحدود الإيرانية لمراقبة الأتراك والإيرانيين إذا كانوا جادين في منع تسلسل الأكراد خلال القتال. واحتجت القيادة الكردية لدى سفارتي أمريكا في أنقرة وطهران، لكن الاحتجاج رفض ولم يتم استقبال المبعوثين الأكراد. وعندما حاول قياديون مثل جلال الطالباني والمفتي الاتصال بالسفارات الأمريكية في أوروبا تحدثوا معهم بصفة غير رسمية وغالباً ما يخرج أحد موظفي السفارات للقاء الطالباني أو غيره خارجها، في مطعم أو مقهى حتى لا يقال عن اللقاء أنه رسمي.

الأمر الذي أظهر مصر وكأنها منطلق مزدوج. وعندما سأله عبد الناصر عن مصدر معلوماته قال أنه طالب.

لقد كنت أدافع حينها عن موقف الحزب، وأردت من عقراوي أن يفهم بأن الحرب لم تكن قراراً بعثياً فقط وإنما ساندته فيه إخوانه العرب، وقلت له : لم تكن قراراتنا شخصية أو اعتبارية... .

وبعد أيام عاتب جمال عبد الناصر، رجب عبد الحميد سفير العراق بمصر قائلاً : لم أكن أتصور أن طالب سيكشف مثل هذا الأمر.

سؤال: وماذا عن التسليح الكردي ؟

طالب شبيب: بعض السلاح الكردي يأتي من الدول الاشتراكية ومن إيران وتركيا، وبعضه الآخر سُلم لهم في عهد عبد الكريم قاسم، وشكل عام كانت أسلحتهم خفيفة تناسب حرب العصابات الجبلية، لكنها تفتقد إلى مقومات القتال الواسع النطاق، فلم يكن لديهم المدفعية الثقيلة أو مدفعية مضادة للطائرات، ولم تتمكن الحركة الكردية من سد هذا القصور إلا عندما زودهم بها شاه إيران بعد عام ١٩٦٨ خلال إعلان حكومة (البكر — صدام — عماش) الحرب عليهم، وبحصولهم على المدفعية أجبروا الحكومة المركزية ممثلة بشخص صدام حسين على السفر إلى الجزائر والتوقيع مع شاه إيران "اتفاقية الجزائر" التي جلبت للأكراد الحراب وللعراق وإيران فيما بعد الكثير من الكوارث.

ولا بد أن أذكر أن القيادتين العراقية والسورية لحزب البعث لم تكونا مياليتين للحرب، لكنهما وبعد أن صار القتال أمراً واقعاً اضطرتا للدعم والتأييد وأرسلت سورية لواء عسكرياً بقيادة العقيد فهد الشاعر انتشر فوراً في قطاع هدينان في محافظة دهوك، ولم يكن هذا اللواء مُبلغاً من قيادته إلا بمساندة الجيش العراقي عسكرياً ومعنوياً خلال القتال في شمال العراق بعيداً عن العاصمة بحوالي ٥٠٠ كيلو متر. ولو كانت له مهمات سياسية كما قال الفكيكي في كتابه لذهب إلى بغداد أو اقترب منها، ولم تكن محاولة الفكيكي إلا نوعاً من محاولة تحميل ذنوبنا على الغير، فقد كان فينا من أسباب ذاتية للفوضى والخلاف ما يكفي ويزيد.

وقفت حكومة الولايات المتحدة ضد القتال، وكذلك الاتحاد السوفياتي، وتحفظت الحكومة البريطانية وتحمست إيران وتركيا. أما ما قيل عن اتصالنا بحلف السنتو فهو أمر غير صحيح ومستحيل، لأننا لم نكن بحاجة لإحيائه ولم يكن الإيرانيون والأتراك يرغبون بذلك، لأن التنسيق القائم بيننا يؤدي عملياً نفس الهدف دون العودة إلى اسم لا يجه شعبنا ولا نرغب به. وأعتقد أن توزيع اتهامات مجانية أمر يعود إلى مرحلة نزقة وغير متعلقة سابقة.

كانت "اللامركزية" عهداً بعثياً

سؤال: هل صحيح أن عبد الكريم قاسم قاتل الأكراد بعدم جدية رغم تماسك الجيش تحت قيادته؟

طالب شبيب: لا ، أنا أرى أن الجيش العراقي بشكل عام يرفض القتال في كردستان العراق، فليس هناك في قلب أي عراقي عربي رغبة في أن يذهب بعيداً عن أهله وحواره لقتل أخيه الكردي. وخير مثال التجربة العملية التي حصلت صبيحة ١٤ رمضان ١٩٦٣ عندما قطعنا الطريق على الفوج الثاني الموجه إلى كردستان، فاستطاع البكر بسهولة إقناع أمره بترك مهمته والانضمام لنا، ولاحظت فرح الضباط والجنود بهذه النتيجة التي تجنبهم الحرب داخل أراضي عراقية. وقد لعب ذلك الفوج يوم الثورة دوراً مهماً جداً في حماية الثورة في الإذاعة وساهم بجميع الفعاليات رغم أن قيادته ليست بعثية.

وذلك يؤكد أن الشعب العربي في العراق غير متعطش لدماء الأكراد ولا راغب في قتالهم وليس لديه قضية يمكن اعتبارها مشرفة وتبرر سفك الدماء. وكان على الأكراد أن يتفهموا هذا الأمر، ويدركوا أن نفراً سفيهاً أو مشبوهاً يقف وراء تكريس دوافع الحرب، ومن المفضل الخروج من المأزق بنتيجة لا غالب ولا مغلوب بل بحوار جاد بين القوميتين. وإن خير حليف للأكراد هم العرب الذين يعانون نفس المعاناة والتجزئة. وأعتقد أن حزب البعث كان أول حزب يحكم العراق ويعترف للأكراد بحقوق قومية أصبحت فاتحة عهد لتطویر مطالبهم وكفاحهم. وحتى الآن يقاتل أكراد تركيا وإيران لانتزاع مثل الحقوق التي قررناها في عام ١٩٦٣، وحتى حركة صدام حسين على رؤسها لم تستطع التراجع عن ما تقرر من لامركزية وإدارة ذاتية في عهدنا.

ورغم أن عبد الكريم قاسم أعاد القادة الأكراد من المنفى إلى العراق واعترف بأن العرب والأكراد شراكة في الوطن وأثبت ذلك في دستور الجمهورية العراقية، كما سمح بفتح مقبرات رسمية ومقر للفرع الخامس للحزب الديمقراطي الكردستاني في بغداد، وأسكن الملا مصطفى في دار صباح بن نوري السعيد... الخ من المكاسب، ولكنه لم يكن يمتلك أية فكرة عن "اللامركزية" والإدارة الذاتية. ولذلك أقول أن اللامركزية كانت عهداً بعثياً. ولم يستطع أحد لحد الآن رغم اختلاف التسميات أن يقدم أفضل مما قدمنا. فقد خلا مشروعنا من توترات العصبية القومية، وقد حصل ذلك لأن البعث كان حزباً سياسياً مناضلاً يتطلع إلى تحقيق أمنية العرب في وحدتهم، ولا يمكنه أن يضطهد أية قومية أخرى مضطهدة ومجزأة. لذلك نزعنا للتعاون مع الأكراد، خصوصاً في العراق حيث يتعايش الشعبان تحت علم واحد ووطن واحد. وبدأنا التحالف فعلياً بعد الاتفاق الذي سبق ٨ شباط ثم استلامنا السلطة وبدأ تعاوننا وشاركنا الأكراد في كل شيء وذهبوا معنا إلى مصر والجزائر واليمن واستقبلهم عبد الناصر وعبد الله

السلال وأحمد بن بيلال، وتصرفنا كأخوة وكأن عهداً جديداً مفرحاً قد بدأ بيننا، ولم نشعر بأية روح عداوية. ولكن كان هناك سوء تصرف ولا أبالغ إذا قلت لو حظي الأكراد بقيادة واقعية جامعة، ولو حظي العرب العراقيون بقيادة وطنية منسجمة لما حصل قتال ولا سالت دماء، لأن ما جرى لم يكن قتالاً ضرورياً بل سوء تصرف. فعندما يقرر أربع وزراء في الحكومة عدم القتال وتقرر رغم ذلك أن تقاتل فإنه يعني الكثير من سوء التصرف والكثير من العنجهية وقلة في إدراك أبعاد الموضوع.

وقد أعدّ مشروع "اللامركزية" ثلاثة أشخاص هم علي السعدي وحازم جواد وأنا "طالب شبيب". ولم يعترف عليه أحد عند عرضه على المجلس والقطرية لإقراره. لاحظت عند قراءته أن بعض أعضاء المجلس لم يفهموا شيئاً مما نقرأ.

ولا أنسى رعاية عبد الناصر لمشروع التفاهم البعثي - الكردي. ومن جانبنا فقد كنا قد ناقشنا مع أنفسنا قبل غيرنا القضية القومية وموقفنا من القوميات المظلومة، وأدركنا بأن وقوفنا ضد القومية الكردية سيعني تناقضاً ضميرياً يستحيل معه بقاء الشخص ثورياً متحمساً. لكن عدم استغلال الحركة الكردية ضد نظامنا الجديد كان هاجسنا الأول ومصدر حساسيتنا، بل كنا مقتنعين بأن أي إصبع سيمتد إلينا لن يمكنه أن يفعل إلا عر القضية الكردية.

وحينذاك تمكن صالح مهدي عماش بالتعاون مع عدد من الشيوخ تأسيس ما سمي بفرسان صلاح الدين، وهم من المرتزقة الأكراد للمساهمة في الحرب. وكانت مثل تلك الترتيبات تقع ضمن صلاحيات وزارة الدفاع التي يحتاج فيها إلى أخذ موافقة الهيئات الأعلى. وأستطيع القول أن القوات الكردية كانت قبيل تشرين الأول قد دحرت كلياً تقريباً وتراجعت على كل الخطوط، وأكدت ذلك جريدة التايمز اللندنية بافتتاحيتها قائلة أن الحركة الكردية أثبتت فشلها على الصعيدين العسكري والمدني، ولم يكن لها الواقع والوقع الكبير بين الأكراد، ولم تكن فعالة عسكرياً وفقدت قدرتها على الصمود بل عن تحقيق النصر العسكري ضد القوات الحكومية. في حين أظهرت القوات الحكومية قدرة كبيرة وكفاءة عسكرية وتمكنت الحكومة في بغداد من إقامة تعاون عسكري مع حكومات الدول المجاورة. وكاد الأمر يحسم لو دام القتال أسبوعاً آخر أو لو لم يحصل الخلاف الداخلي الذي أدى إلى حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣.

ولم يكن النجاح العسكري الذي أحرزته القوات المسلحة يعني أننا سننجح في حسم القضية الكردية. لكن التمرد الذي قاده الملا مصطفى البرزاني بحذائه كان على وشك الانهيار الكامل. وبالنسبة لنا كان مكديراً ومؤسفاً اعتماد الأكراد باستمرار على جهات أجنبية لدعم كفاحهم السلمي أو المسلح، وذلك بالضبط ما أتاح للحكومات المتعاقبة التغلب عليهم انطلاقاً من ادعاء الدفاع عن الوطن والوطنية العراقية، فتأخذ حريتها في القمع وتغطي ذلك بشعارات وطنية وباتهام الوطنيين والمكافحين بارتباطاتهم مع قوى وحكومات أجنبية. والشيء الوحيد الذي

لاحظته وجلب انتباهي وربما يكون صدى تاريخنا، هو أن الملا مصطفى لم يبعث أحد خاصته إلينا (أبناءه مثلاً)، ولم يكن يتحدث عن القضية الكردية. بمنطق قومي بلي. بمنطق الفقراء المحرومين من حقوقهم. فكانت لغته أقرب إلى لغة دينية، مما جعله يتعد عنا فكراً. فقد نظرنا لقضيته على أنها قومية، وهو يتحدث عن إنصاف المساكين. وفي سنه لم يكن يتحسس الفرق بين لغتين ومفاهمنا، وكنا نشعر أن لغة الطالباني وإبراهيم أحمد أقرب إلى لغتنا. وتلك مشكلة كبيرة لأن البرزالي كان وحده صاحب القرار الأول. وفي أية مفاوضات إذا أردت الوصول إلى نتائج معقولة يجب أن يفهم ويتفهم كل طرف الطرف الآخر، في حين كنا متباعدين وكان الحوار بيننا وبين معسكر البرزالي يشبه حوار الطرشان، وبسببه ربما لم نلتق برجل الحكومة الكردية الأول ولا بأبنائه وحاشيته التي وقفت وراء القرارات في حين تعاملنا مع إبراهيم أحمد الذي نكن له احتراماً وتقديراً خاصاً والطالباني الذي أحبيته شخصياً وأتمنى له طول العمر والفكر الثاقب والتقليل من حركته الكثيرة جداً ١١ لكن الاثنين كانا ينطقان في كثير من الأحيان بأحلامهما وقناعاتهما التي لم تكن بالضرورة مطابقة لما يجري في ذهن البرزالي الكبير.

ولقد دفع الأكراد نتيجة تقلبهم السهل للتحالفات مع الخارج وبسبب شعورهم الطاغوي بأنهم فاقدون لحقوقهم ثمناً باهظاً وخسائر كبيرة لأن التحالف مع جهات أقوى يكلف كثيراً، واختيار الأعداء سهل جداً، في حين تحتاج إلى حنكة سياسية بارعة وباهرة لتكسب صديقاً واحداً.

قاتل عبد الكريم قاسم سياسياً ، وقاتلوا فياً

قاتل عبد الكريم قاسم ضد الحركة الكردية. بمسؤولية السياسي، في حين قاتل عمّاش وعبد الكريم فرحان والعقيلي وطه الشكرجي وإبراهيم فيصل الأنصاري وصبحي عبد الحميد ضد الأكراد، كضباط فنيين يعالجون عدواً شطرنجياً أو مختبرياً، ويختلف الأسلوبان اختلافاً جوهرياً. وأعتقد أن قاسم كان يقاتل الأكراد متألماً ، وهو نفس ما شعرنا به أنا وحازم علي السعدي وبقية أعضاء القيادة القطرية المدنيين عندما بدأ القتال الذي صوتنا ضده داخل مجلس الثورة. فقد شعرنا بأننا لم نتيجة لإدراكنا أبعاد القتال سياسياً وقومياً وفكرياً على مستقبل العراق والأمتين العربية والكردية، وأعتقد أننا قاتلنا وكذلك قاتل عبد الكريم قاسم قتال المضطرين^(١). ويتحمل الجانبان الخطأ فضلاً عن ظروف موضوعية محيطة وتداخلات كثيرة، فلا أعفي الجانب الكردي أو العربي كلياً من حصته في الخطأ. فقد كنا قادرين كقيادة للحزب الحاكم على إسكات الذين

١ — كتب السفير البريطاني في العراق إلى حكومته يقول "إن ضباط الجيش العراقي نظروا باستياء إلى عبد الكريم قاسم" بسبب الفشل في قتال الأكراد. وأدرك الجيش أن توجيه قاسم الشخصي للعمليات العسكرية في الشمال هو الذي يلام لهذا" [14].

صوتوا مع الحرب داخل مجلس قيادة الثورة، لو أردنا ذلك. وكان الأكراد من جانبهم يستطيعون إيقاف علاقاتهم مع الخارج، وبذلك يحرمون خصومهم والمستفيدين الحاقدين من مررات إعلان الحرب النائية^(١).

وأرى أننا بهذه المناسبة يجب أن نبحث ضميراً عن أسباب استمرار النزاع من أجل وضع اليد على الأسباب والخلل، ولكي نضع أحوبة على الأسئلة التالية: لماذا نتقاتل ونحن الأقرب إلى بعضنا؟ ولماذا نعين الأجنبي على التدخل في شؤون بلادنا؟ ولماذا تتحالف مع جهات نعرف أنها في النهاية ستتحلى عنا؟ ولماذا نستمر في نزاع عسكري نعرف مسبقاً أن أيّاً من الطرفين لا يستطيع فيه إزالة الآخر نهائياً؟

سؤال: نتحدث المعارضة العراقية عن قوى ثلاث تقف باستمرار وراء تأجيج القتال في منطقة الحكم الذاتي الكردية وهي العوامل الدولية الخارجية، وبعض القادة العسكريين الكبار المهيمنين على إدارات الجيش، والمستفيدين وتجار الحرب من الجانبين، فماذا ترى أنت ؟

طالب شبيب: أرى أن الدول الكبرى هي أقل الأطراف تأثيراً. فقد تأكدنا أن أسباب الصراعات المنتظمة في العراق تأتي غالباً من الداخل، أو هي داخلية متداخلة مع عوامل إقليمية عربية وغير عربية. وإذا كان للدول الكبرى تدخلات فتتم عن طريق دول مجاورة. وعلى حد علمي ومن خلال عملي كوزير للخارجية حينذاك كان الأمريكيان مستائين من القتال واحتجوا علينا متحججين بأعمال اجتياح بعض الأديرة ومناطق العبادة المسيحية، ولكنهم لم يتقدموا بمذكرات رسمية واكتفوا بالحديث المباشر لأنني نصحتهم وحذرهم بعدم تحويل احتجاجاتهم إلى وثائق رسمية لأننا حينذاك سنعتبرها تدخلاً في شؤون بلادنا الداخلية. ولم نكن نسمح باحتجاجهم الرسمي لكننا نوافق أن نسمع كلامهم بعد رفع الصفة الرسمية عنه، أي في سياق الحوار والدرشة. أما السوفيات، فكان موقفهم عدائياً جداً واستخدموا تلك الحرب للضغط علينا. وكان بعضنا يفهم أنها حرب على شكل لعبة دولية. وأن العراق كان ومازال أغنى وأروع وأكبر وأبشع مسرح للعبة الدول، وما زالت المأساة تتحرك بأسوأ أشكالها على مسرح، ولم يكن علينا أن نساهم في بقائها واستمرارها... .

وما زلت أرى، وبسبب ظروف كثيرة تاريخية وحاضرة ومستقبلية، بأن حلفاء الأكراد

١ — يرى د. محمود عثمان إن هناك وسائل وطرقاً كثيرة بديلة عن الصراع المسلح وكان يمكن طرقها للوصول إلى حلول وسلام كردي عربي وطيد في العراق. وكان يمكن تطوير الفكرة التي وردت في المادة "٣" من الدستور العراقي المؤقت الذي أعلنته حكومة عبد الكريم قاسم عام ١٩٥٨ وتقول "إن العراق يتكون من الشراكة العربية الكردية" وهذا مبدأ كان يمكن تطويره بالحوار الطويل الصبور والمفاوضات وإرادة السلام.

الطبيين هم العرب، فليس هناك مصلحة إقليمية عربية في أي شيء كردي، فليأخذوا ما يشاءون ونحن ندعمهم بهذا الأمر. وإن الحليف الوحيد الطبيعي لهم في هذه المرحلة هو التيسار القومي العربي الذي ربما يتمثل بحكم الواقع والضرورة حالياً بالجمهورية العربية السورية وبمصر، وبحركة المعارضة العراقية وهم حزء أساسي فيها. أما استمرار التحالف من تركيا وبريطانيا وإسرائيل وقوى وأمم أخرى، فهو وهم في وهم، حصدوا مرارته في تجارب عديدة سابقة عادت عليهم بالوبال وكان أبرزها حلفهم مع إيران (الشاه).... فما نأمل هو أن يكون هناك حوار فكري حقيقي عربي كردي.

وما كنا نأمل من الأكراد سابقاً وحالياً هو حوار حقيقي نخرج متفقيين وأقوياء. نحن أنصارهم وهم أنصارنا بصورة يمكن معها بناء كيان عراقي قوي^(١). وأقرن التغيير الأكبر يقع بالدرجة الأولى على عاتق العرب أكثرية السكان وتقع الدولة وأجهزتها بين أيديهم.

وقد أخبرنا الأكراد حينها (عام ١٩٦٣) بكل شيء وعن استعدادنا للذهاب معهم إلى أبعد مدى يتعلق بمستقبلهم بشرط واحد هو أن لا يفكر أحد ببناء دولة داخل الدولة لأن ذلك مدمر

١ — يبدو أن القضية الكردية ستظل لفترة طويلة مثيرة للجدل والمتاعب للعراق ولمطقة الشرق الأوسط، سبب تعقيداتها وتداخل عوامل داخلية واجتماعية وجغرافية وقبليّة وسياسية وغيرها، وحارحية ليست أقل أهمية وخطورة، لذلك فهي مسألة لا تخص الأكراد والعراقيين عموماً بل وكل محيطهم العربي والإقليمي. وأتذكر أن وفداً كردياً جاء إلى دمشق بعد فشل مفاوضات الجبهة الكردستانية مع الحكومة العراقية التي تلت انتفاضة آذار/ شعبان ١٩٩١، وكان هدف الوفد إيضاح موقف الجبهة الكردستانية إلى القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي والحكومة السورية، وفي سياق ذلك اللقاء مع أطراف المعارضة العراقية. وتشكل الوفد من المرحوم عمر دبابه (قبل وفاته بأيام) وفلك الدين كاكائي وأغري وشخص رابع، وعلى هامش تلك الزيارة دار بيننا حوار طويل سجلنا قسماً منه على الورق حول أفضل أسلوب لمستقبل كردي يتحقق بلا حروب، واقترحت عليهم حينها أن يبادروا فوراً لمناقشة عقد ندوة وطنية عراقية لبحث القضية يحضرها مائة أو مائة وخمسون شخصية من قيادات المعارضة المعروفة بنضالها من أجل السلام في كردستان ومن غير المتورطين في النزاع، ومن حقوقيين وأساتذة جامعيين وأدباء وشعراء ومتفقيين ومفكرين وعلماء دين ووجهاء من كل الطوائف والأديان والتجمعات السكانية، مع مدعويين عرب ومن الدول الإقليمية. ولا بأس في عقد مثل هذه الندوة الوطنية كل عام إذا تعدد الوصول لنتائج هامة وجذرية. وأفترض أن هكذا ندوة ستخرج بنتائج وتوصيات وأفكار مستقبلية ستعطي السياسيين مجالاً للتعامل عقلياً ومنطقياً مع القضية دون حرج إذ ستحمل الندوة الوطنية مسؤولية النصيحة والموقف، وستجعل من الصعب على المتصيديين والمغرضين اقام التنوع الكبير الذي تضمنه الندوة الوطنية. وسيخفف الحوار الطيب من التوترات العصبية والإثارات الفارغة، ويحل محلها إرادة التفاهم دون تضيق المصالح القومية والوطنية لأي من الأطراف الداخلة في الحوار، فالندوة غير ملزمة، لكنها تقدم رأياً راجحاً وأقرب إلى السداد.

وأرى أن مثل هذا المشروع يستحق أن يرصد له مبلغ من المال، وسيكون أكثر إفادة للعراق بعربه وأكراده من آلاف الفدائف والأسلحة التي عجزت طوال عشرات السنين من تحقيق الاستقرار أو السلام. فلماذا لا نجرب هذه المرة الاحتكام للعقل والحوار ثم الحوار، فقضايا الحدود والعلاقات بين القوميات داخل الوطن الواحد لا تحل بالقسوة والتغلب أو بجرائم ضد الإنسانية، بل بالحوار والتفاوض الطويل جداً.

ومستحيل ولا نقبل به. وليس أمامنا جميعاً سوى بناء نظام وطني ديمقراطي قوي ومقبول للطرفين وليس من مصلحة أحد قيام حكومة ضعيفة ومرتبكة. وأعتقد أن هذا يصبح اليوم أيضاً وهو أن أي وفاق لا ينجح مستقبلاً إذا لم يضع الديمقراطية محورا له.

جرائم لم نأذن بها

سؤال: صديق مصطفى عنوان لقضية يتحدث بها أكثر العراقيين الذين عاشوا تلك المرحلة... خصوصاً الأكراد، ويسمون يوم الزعيم صديق " باليوم الأسود" في حياة السليمانية وحصل في ٦ حزيران ١٩٦٣ حينما ارتكب جريمة بشعة، فهل يستطيع ضابط أن يقتل مئات المواطنين الأبرياء دون توجيه رسمي؟

طالب شبيب: لم تكن قادة عسكريين، والأمور العسكرية كانت تعالج من قبل وزارة الدفاع. وتعيين الضباط القادة في مسرح العمليات يتم بالتشاور ما بين أحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش إضافة إلى صبحي عبد الحميد مدير الحركات العسكرية.

وما زلت حتى هذه اللحظة غير متيقن من دقة ما كان يُنقل إلينا من معلومات بواسطة وزير الدفاع صالح مهدي عماش عن العمليات العسكرية وعن أعمال التطهير والقمع التي ترافقها.

وأذكر أن الزعيم صديق كان ضابطاً محسوباً على الخط القومي العربي الإنساني المتنور الذي ضم البعث وحزبي العربي الاشتراكي وحركة القوميين العرب اللذين تفرعا عن حزب الاستقلال ذي العقيدة الديمقراطية. وهؤلاء الضباط كانت لهم قوة لا يستهان بها داخل الجيش بعد تصفيته من الضباط القاسميين والشيوعيين وعدد كبير من الضباط المستقلين، وكان وجودهم مؤشراً داخل القطعات وفي الهيئات العسكرية كالأركان وإدارة العمليات، فضلاً عن التعاطف الذي أبداه عماش مع كل المتحاملين فكانت القضية الكردية مجالاً نفسوا فيها أحقادهم.

ولا أريد أن أذكر مرة أخرى بأننا كقيادة مدنية لم نرغب بالقتال. ولكننا لم نتدخل في تفاصيل العمليات الفنية، ولا أخفيك فإن كثيرين تعاملوا مع القضية بوجهين، وطمعوا بنصر قريب لكن النتائج أثارت لنا متاعب اقتصادية وسياسية كبيرة، وبدأ النصر بعيداً بسبب رغبة بعض الضباط وتجار الحرب المحيطين بهم في استمرارها، فقد شكلت الحرب مصدر رزق وارتفاق لهم. فضلاً عن الرواتب الوهمية الكبيرة التي تصرفها الحكومة لمقاتلين وهميين تُدفع بشيوخ عشائر كردية (الجاهل) وهم من المتعاونين مع السلطة والمعاونين تاريخياً لقيادة الحركة الكردية المسلحة، كما تم تخنيذ مقاتلين غير نظاميين من عشائر كبيرة كشمر والجبور فيقبض

شيونجها آلاف الرواتب في حين لا يلتحق غير بضع مئات فقط، فكانت الحرب مصدراً للنهب ومرتباً للحرامية من التجار، وبعض الضباط، يقتلون ويسرقون الدولة ويشعلون الحرائق تحت شعاراتٍ قوميةٍ ووطنيةٍ سامية !!

وكان بين بدء العمليات العسكرية ونهاية سلطتنا ثلاثة أشهر فقط، ولم تكن تلك المدة كافية كي تنفرغ لوضع حل جذري والقضاء على الفساد المستشري في الجهاز العسكري خصوصاً في مقرات القيادة ووزارة الدفاع والقيادات الميدانية العليا. وأنا شخصياً لم أكتشف ولم أسمع ببعض الجرائم إلا بعد سنين بما في ذلك مجزرة السليمانية التي سماها الأكراد بيوم السليمانية الأسود، ولا أنحجل من القول الآن بأننا كمدنيين ربما آخر من يعلم. لكن ذلك لا يعفيانا من المسؤولية أو المحاسبة، فما حصل كان مؤسفاً وجلب للعراق مآسي كثيرة.

إن ما يتحدث به الأكراد عن معاناتهم من العمليات العسكرية والممارسات القمعية في الستينات لم يكن معروفاً لدينا ولدى أكثر المدنيين من منتسبي الحركات التي تشكل التيار القومي. كما أعترف بأن قتالنا وقاتل عبد العزيز العقيلي في عهد عبد السلام عارف اختلف جذرياً في نوعيته وحجمه عن قتال عبد الكريم قاسم الذي وجه للأكراد ضربات ذات طابع تأديبي ليس أكثر، ولم يخض ضدهم حرباً، وتعود الآن إلى ذاكرتي مصطلحات قاسم التي تؤكد ما ذهبت إليه، فقد سمي الملا مصطفى البراني "بناكر الجميل" وغير ذلك، ولكننا والذين حكموا من بعدنا أطرنا القتال بمفاهيم إيديولوجية عنصرية، شجعنا عليها حماس وتوتر العسكريين الكبار الذين أشرفوا على العمليات. ولا أريد الآن أن أذكر أسماءهم، لكن أيديهم ملطخة بالدماء، ويستطيع الباحث التاريخي أن يتعرف عليهم.

حينذاك لم ينصحنا أحد غير القيادة القومية للحزب والرئيس جمال عبد الناصر، هاتان الجهتان كانتا كارهتين للحرب الداخلية وانعكاساتها على الأوضاع السياسية العربية وعلى علاقاتنا الدولية. فالسوريون رغم إرسالهم لواء فهد الشاعر لكنهم استمروا في رفض الحرب وأكدوا أن الحرب هي آخر الوسائل وليس أولها، وكانوا يرفضون أن تدور أغلب معارك البعث مع السوفييت وأنصارهم من الشيوعيين وحلفائهم الأكراد.

مراجع:

- [1] زكي خيري، مذكرات سياسي عراقي مخضرم ، ص ٢٤٧ .
- [2] زكي خيري، م . س . نفس الصفحة.
- [3] زكي خيري ، م . س . نفس الصفحة.
- [4] عزيز الحاج، ذاكرة المخيل، المؤسسة ، ص ٢٦.
- [5] خليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، السقوط، ص ١٩٢ .
- [6] خليل إبراهيم حسين ، موسوعة ١٤ تموز ، عبد الكريم قاسم، السقوط ، ص ٩٠ .
- [7] جريدة الوقائع العراقية، عدد ٧٨١ تاريخ ١٧/٣/١٩٦٣ عن كتاب د. فاضل البراك، مصطفى الرزائي — الأسطورة والحقيقة. مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٩ ، ص ٢٨٧ .
- [8] د. محمود عثمان، رسالة شخصية إلى د. علي كريم سعيد بتاريخ ٣٠/١٠/١٩٩٥
- [9] شمس الدين المفتي، مقابلة في دمشق ١٩٩٦ .
- [10] د. محمود عثمان، رسالة شخصية للدكتور علي كريم سعيد في ٣٠ / ١٠ / ١٩٩٥ .
- [11] د. فاضل البراك، مصطفى البرزان، م. س .
- [12] شمس الدين المفتي، مقابلة بدمشق ١٩٩٦ .
- [13] شمس الدين المفتي، مقابلة بدمشق ١٩٩٦ .
- [14] د. حامد البياتي، أسرار انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ في العراق، في الوثائق السرية البريطانية، مؤسسة الرافد، لندن ١٩٩٦ ، ص ١٦ .
- [15] د. محمود عثمان، ندوة القدس في لندن بتاريخ ١٦ / ٥ / ١٩٩٨ التي أقامتها المنظمة العربية لحقوق الإنسان في لندن.

الملف الامني

سؤال : وجهت اليكم تهم كثيرة، كشخص وكفريق عمل، يشكك بعضها في نوع الارتباطات في الخارج على مستوى العلاقة بمصر او الغرب والولايات المتحدة. ويخص بعضها الآخر فترة ممارسة السلطة في ١٩٦٣ وبعاوين محددة مثل تهريب الدبابة السوفيتية المتطورة وقصة محمد المهداوي ومقولة علي صالح السعدي المزعومة حول القطار الذي ماكنته امريكية، وقضية إيليا زغيب، فهل يمكن إستجلاء بعض الغوامض المستعصية والتي يحلو لكثيرين التحدث عنها وكأنها حقائق بيّنة او اسرار دفيئة ؟

طالب حسين الشبيب : عشت فترة طويلة خارج العراق، خلال دراستي في بريطانيا وعندما عملت وزيراً للخارجية وسفيراً للجامعة العربية في لندن ونيويورك وديلوماسياً في عواصم مختلفة، ومنفياً بعد ١٤ رمضان في بيروت والقاهرة، ومنذ سنين وانا مقيم او قل إن شئت لاجيء سياسي خارج البلاد. وذلك اتاح لي احتكاكاً كثيراً، ومعرفة عدد من السياسيين المرموقين الرسميين وغير الرسميين، خصوصاً الاشخاص المتخصصين في شؤون الشرق الاوسط والمنطقة العربية. وهذا امر طبيعي يحصل لكل شخص يشغل نفس المراكز التي شغلتها.

وبسبب عدم نضج بعض السياسيين ومجانبة المتطرفين المنحدرين من اليمين او من اليسار، إنتشرت مفاهيم جاهلة ترى في كل قائد سياسي كان مقيماً او منتدباً او دارساً في امريكا امريكياً وفي فرنسا فرنسياً وفي انكلترا انكليزياً وفي روسيا شيوعياً. ورغم التبسيطية الغريبة في تلك الاتهامات إلا أني اعترف بأنها تجتذب البعض فيتداولونها.

وسأحاول إلقاء الضوء، بحدود الممكن، على بعض ما ذكرت لتوضيح ما ارادوا جعله ألغازاً. وسأبدأ من ايليا زغيب الذي كان استاذاً في الجامعة الامريكية في بيروت.

إيليا زغيب، كتب عنه هاني ما سمعه من الآخرين

استاذ في الجامعة الامريكية، من اصل سوري او لبناني (لا ادري)، امريكي الجنسية. لم أكن

اعلم انه صديق لميشيل عفلق قبل ان يقدمه لي في ١٩٥٩ رفيقي وزميلي في عضوية القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي فيصل حبيب الخيزران المقيم في بيروت قائلاً : ان الاستاذ اديب الجادر قد عرفه على أنه استاذ في الجامعة الامريكية متخصص ومهتم بمشاكل المنطقة.

ولدى لقائي به، وحدثه مثقفاً حيد الاطلاع على الشؤون العربية وشؤون العراق ومشكلاته، ويحتهد في جعل آرائه متعاطمة مع إطروحات حزب البعث. وكان الرجل كريماً ومضيافاً ويتصرف برقة ولطف، وهي خصال شجعت على إقامة واستمرار علاقة صداقة طيبة معه، خصوصاً وأنه كان يقيم لنا الدعوات الجميلة المبهجة في كل مرة يأتي فيها الاستاذ اديب الجادر إلى بيروت. في حين ينقل لنا اديب اخبار ومستجدات اوضاع العراق، ويجتمع مع ميشيل عفلق فتثار بيننا المناقشات والتوقعات، ويحصل بعض ذلك على مائدة زغيب.

كنا انا واديب الجادر نتهامس ونلمح لبعضنا بشكوك حول احتمال ان تكون للرجل علاقة بحكومة الولايات المتحدة الامريكية، بل وصلنا إلى قناعة بأنه لا يمكن ان يكون بعيداً عن ذلك. ونظرنا إلى هذا الامر على انه مفروغ منه، دون ان يكون لدينا أي دليل. وكانت اجواء السياسة والثقافة والادب ومحافلها في بيروت حينذاك حافلة بسياسيين عرب من مختلف الجنسيات، وبسماسرة سياسيين من كل الاصناف. ولم يكن وجود شخص مثل إيليا زغيب وسط تلك الاجواء غريباً. لكن الذي اثار إستيائنا واستغرابنا فيما بعد. واعترضنا عليه بشدة، ولم نكن لنرضى به في أي حال، هو انه وبعد إستقالة الوزراء البعثيين من حكومة العربية المتحدة (البيطار والحواراني وقنوت وحمدون) وردت انباء من دمشق أفادت ان رجال عبد الحميد السراج والمكتب الثاني اللبناني يستهدفون الآن الاستاذ ميشيل عفلق. فطلبتنا إليه نحن اعضاء القيادة القومية للحزب المتواجدين في بيروت ان يغير مسكنه، وعرضنا عليه ان ينتقل إلى واحدة من بيوتنا فأعترض قائلاً : ان بيوتكم جميعها معروفة للمكتب الثاني اللبناني. وأنه "ميشيل عفلق" سيدبر الامر بمعرفته. وكم كانت المفاجأة مزعجة عندما علمنا انه يسكن او يختفي في دار إيليا زغيب في جبل لبنان، وكما اظن بمنطقة "برمانا".

لم يكن هذا التصرف يناسب شخصية ميشيل عفلق ومكانته التي يستمدّها من تعاظم قوة وتأثير حزب البعث العربي الاشتراكي على الساحة السياسية العربية، فيسكن بدار موظف في مؤسسة ثقافية امريكية تدور حولها اقاويل كثيرة بين الاوساط السياسية والشعبية العربية.

قضى عفلق في دار زغيب اسبوعين ثم تركها بعد ان ابلغناه بالمعلومات الجديدة التي تؤكد ان الامر مبالغ به ولا يتطلب الاختفاء. وبالامكان ضمان امنه بشكل معقول بتوفير منزل جيد وجديد له.

ومنذ ذلك الحين لم التق بأيليا زغيب، إلا مرة واحدة، بعد اسبوع واحد تقريباً من نجاح

ثورة ١٤ رمضان، إذ جاء إلى مقرّي في وزارة الخارجية مهتئاً. وبسبب كثرة المواعيد والارتباطات السابقة الملحة، لم تدم مقابليّ له أكثر من عشر دقائق، علمت منه انه يعمل استاذاً في جامعة بغداد عن طريق عقد توظيف خاص وقعه مع رئاسة جامعة بغداد ووزارة التعليم العالي قبل ٨ شباط ١٩٦٣، أي في عهد عبد الكريم قاسم. وسمعت فيما بعد انه استمر بوظيفته كمحاضر في جامعة بغداد طوال فترة حكم الحزب، وواصل عمله بعد سقوط حكومتنا في ١٨ تشرين الثاني سنة كاملة على الأقل.

اما الاشاعة التي حاول بعضهم تسريبها مؤخراً، بأن محاولة جرت لتهريب الدكتور إيليا زغيب او إبعاده عن عمله الجامعي إلى خارج العراق مباشرة بعد ٨ شباط ٦٣، فهو امر لم يحصل إطلاقاً وليس صحيحاً ما قيل بأن القيادة القطرية للبعث في العراق قد استخدمته كصلة إرتباط بينها وبين القيادة القومية او ميشيل عفلق في بيروت في مرحلة معينة من الاعداد للثورة. ومثل هذا الامر غير ممكن حزبياً إطلاقاً وتمنعه اللوائح والاعراف الداخلية الحزبية، وعار عن الصحة، إذ لم يكن بالامكان من الناحية الحزبية إطلاقاً تكليف أي شخص من خارج نسيج الحزب بمثل هذه المهمة.

ويمكن التأكد من حقيقة ما اقول بسهولة، بالعودة إلى الملفات الحكومية العراقية وإلى سجلات الاساتذة الاجانب المتعاقدين في ديوان جامعة بغداد او وزارة التعليم العالي، لمعرفة متى باشر زغيب عمله ومتى ألغى عقده او إستقال وغادر العراق.

وبدوري اقول لك وانا متأكد تماماً وإطلاقاً، بأن موضوع إيليا زغيب لم يجرب بحته بعد وصولنا إلى السلطة، ولم ار او اعرف شيئاً عن ملفه الذي قال هاني الفكيكي انه وعلي صالح السعدي وآخرون وجدوه فوق مكتب عبد الكريم قاسم. كما ان هاني وعلي لم يحدثاني عن هذا الامر. ولم يمر ذكر زغيب من ٨ شباط حتى ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، غير زيارة العشر دقائق التي ذكرتها. فلم تسمح ظروف عملي الجديد وتسارع الاحداث اللقاء به مرة اخرى. وحسب علمي اننا لم نجد على مكتب قاسم اية ملفات، بل وجدنا قائمة بأسماء ضباط بعثيين كان عبد الكريم قاسم قد وضعها عند جهاز تلفونه. ولم نطرح لا في القيادة ولا في أي مكان آخر موضوعاً كهذا. وهناك اعضاء قيادة واعضاء مجلس قيادة ثورة ما زالوا احياء يعيشون خارج العراق ويمكن العودة إليهم ليؤكدوا حقيقة ما أقول^(١).

١ — لنلاحظ هنا رواية هاني الفكيكي في "اوكار المزيمة" حول نفس الموضوع :

يقول : في منتصف شاط ١٩٦٣ تشكلت لجنة من المقدم محمد يوسف طه، وجعفر قاسم حمودي والمقدم علي عريم، لجرد محتويات جناح عبد الكريم قاسم فأتصل بنا جعفر ليعلمنا بوجود إضبارة على مكتب قاسم ونخص الدكتور إيليا زغيب، الاستاذ اللبناني المنتدب للتدريس في جامعة بغداد. وكنا قد استخدمنا الدكتور زغيب توصية وتزكية من ميشيل عفلق والقيادة القومية لسنوات في نقل بعض الرسائل بيننا وبين القيادة القومية. وكان طالب شبيب هو صلة الوصل
←

سؤال : والآن هل تعتقد ان إيليا زغيب كان جاسوساً ؟

طالب شبيب : أثق ان المخابرات المركزية الامريكية لا تضع الفرصة لكسب مثل هذا الشخص. ولكننا عندما كنا في بيروت لم نكن نخاف من جلاسنا. فلم نكن لوحدا، بل كلنت لنا حصانة وقوة وخلفية نعتمد عليها. وعندما نلتقي بأي شخص في بيروت لا نكون خائفين. ومن اجل ان تفهم هذا الامر بوضوح اكثر عليك ان تعود بذاكرتك إلى طريقة حزب البعث في الدفاع عن نفسه، وإعتداده وثقته بنفسه وبهمومه القومية الكبرى.

وفي الحقيقة فأنا لا اعرف كيف تعرّف أديب الجادر على إيليا زغيب، ليقدمه بدوره إلى فيصل حبيب الخيزران ؟ وهل كان فيصل هو واسطته للتعرف على ميشيل عفلق ام هو اديب ؟ أم أن عفلق يعرفه قبلهما ؟ لكنني اثق بأن اديب الجادر وخير الدين حسيب لا يطالهم الشك، ويحتمل ان يكون زغيب قد ادرك اهميتهما وتنبأ بالمستقبل السياسي للاشخاص الذين تعرّف عليهم، وذلك يشمل اديب وحسيب وعفلق وفيصل وانا وربما آخرين. فسعى لتعزيز علاقته مستخدماً وسائل اهمها ثقافته ومعرفته الواسعة، والدوق والكرم.

وفي أي بلد في العالم، خصوصاً العالم الثالث، يتقرب اصحاب المصالح ورجال الاعمال والجواسيس والراغبين بإقامة علاقات إستثنائية يتقربون بها من القيايين الفعليين ومن اولئك الذين يؤمل لهم مستقبل سياسي في بلدانهم لدراسة وضعهم ودراسة إمكانية التعاون معهم او تجنيدهم، ويستخدمون لذلك وسائل كلاسيكية واحياناً مبتكرة وغير متوقعة وغالباً ما تنفرد الدول الكبرى بأساليب متعددة ومتغيرة لكثرة ما تحتاج إليه من خدمات خارج حدود بلدانها، وهذا امر ليس مستغرب.

أرادها دولة جاسوسة !

اما قصة الدبابة السوفيتية فهي الاخطر والاكثر غموضاً رغم كثرة المتحدثين عنها. بدأ موضوع الدبابة الشهير عندما حصلت إتصالات رسمية بين مديرية الامن العام العراقية ووزارة

به في بغداد. وحين دراستنا للملف وجدناه مليئاً بتقارير مديرية الامن العامة والاستخبارات العسكرية التي تشير إلى علاقة زغيب بوكالة الاستخبارات المركزية الامريكية CIA وتعاونيه مع البعث وتطلب إلى قاسم الموافقة على إعتقاله وإبعاده عن العراق، غير ان قاسم كتب على بعضها امره بإبقائه ومراقبته بدقة. وعلى ضوء ذلك إتصلنا على السعدي وانا فوراً بطالب شبيب بمكتبه بوزارة الخارجية وعرضنا عليه الامر، واعلمته بعزمنا على إعتقال زغيب. لكنه نصح بالريث وعدم التسرع في تصديق كل ما تدعيه دوائر الامن والاستخبارات، وطلب تأجيل البت في الامر لحين حضوره بسبب اجتماعه حينذاك مع بعض السفراء. في الوقت نفسه إتصلت بدوائر الامن والسفر وطلبت إليها منع زغيب من مغادرة العراق ووضعه تحت المراقبة. غير إننا اكتشفنا مساء ذلك اليوم إنه غادر العراق عن طريق الرطبة البري [1].

الدفاع من جهة وممثل رسمي عن المخابرات المركزية الامريكية من جهة اخرى. وحصل الامر إثر تغيب صالح عماش عن لقاء دوري كان يقوم به السبت من كل أسبوع مع مسؤول محطة الـ CIA في السفارة الامريكية ببغداد (بيل ليكلاند) وكانت لقاءاتها رسمية. فأوعز احمد حسن البكر إلى المقدم جميل صبري البياتي مدير الامن العام حضور اللقاء نيابة عن عماش مع مسؤول المحطة وكان منصبه الرسمي مساعد الملحق العسكري وقدم نفسه للحكومة العراقية بصورة مكشوفة على انه موظف في الـ CIA وهو امر يحصل عندما يرغب الضيف إشعار الدولة المضيضة بحسن النية وبعدم وجود اغراض تأمرية ضدها وهو بنفس الوقت إعلان عن الاستعداد للتعاون. وعلى نفس الاساس والفهم إستمر صبري بالالتقاء مع الديبلوماسي الامريكي المذكور بصورة علنية وبمواعيد بروتوكولية محددة سلفاً. وكان عماش باعتباره وزيراً للدفاع منشغلاً بأعداد القوات المسلحة لمواجهة الاكراد، فقرر ان يستفيد من تلك العلاقة، وأوعز إلى جميل صبري ان يطالب الولايات المتحدة بتزويد العراق بأربعين بطارية كبيرة خاصة بالدبابات، لأن الاتحاد السوفيتي رفض او حمد تزويدنا بها. ولم يكن لدينا احتياطي منها وكانت الحركات العسكرية بين الحركة الكردية والجيش قد بدأت.

وافق المسؤول الامني الامريكي على شحن البطاريات المطلوبة بصورة سرية، إستجابة لرغبة صبري وعماش، لكنه طلب مقابل ذلك الحصول على دبابة سوفياتية من نوع T 62 وهي احدث دبابة من نوعها. وكان الغرب يتطلع لمعرفة اسرارها. وحسب ما علمت لم يستطع أي بلد خارج حلف وارشو الحصول عليها غير العراق بسبب الصداقة الاستراتيجية التي ربطت بين عبد الكريم قاسم والاتحاد السوفيتي. ويبدو ان صالح عماش ابلى جميل صبري موافقته على الصفقة بشرط ان يقوم الامريكان بشحن البطاريات أولاً. وفعلاً وصلت بواسطة طائرة نقل عسكرية امريكية عبر الاجواء التركية وحطت بمطار الحبانية العسكري، وربما قاعدة الرشيد الجوية، وإستلمها الجيش العراقي وادخلها فوراً في الخدمة.

بعدها بدأ الديبلوماسي الامريكي يضغط على جميل صبري لتنفيذ الشق الثاني من الصفقة بتسليمه الدبابة الحديثة والبروتوكول المتعلق بها. آنذاك ادرك صبري انه متورط، ولمس عدم قدرة صالح مهدي عماش على تنفيذ ما وعد به. فذهب إلى احمد حسن البكر وقال له: لقد اوقعنا عماش بمشكلة!!^(١).

١ — يذكر ان جميع مشتريات السلاح بين دول العالم الثالث والمعسكر الاشتراكي والتي يطلق عليها العراقيون اسم "الطلبات الشرقية" يوجد في عقودها دائماً بند ثابت يؤكد على عدم تسرب او تسريب المعلومات والمواصفات الفنية الخاصة بالجهة المنتجة للأسلحة الواردة. وفي حالة المخالفة يجنب السلاح وتجنب الثقة وينتهي التعاون بصورة تلحق الضرر بأستراتيجية البلاد. وليس السلاح وحده يحمل الاسرار وإنما جواز سفر السلاح او ما يسمى بروتوكول السلاح لا يقل اهمية وخطراً.

عرضت القضية بكاملها على مجلس قيادة الثورة فعبّرت عن انزعاجي الشديد لعدم إستشارة وزارة الخارجية بأمر خطير كهذا، وطلبت إقالة عماش من وزارة الدفاع. وقلت : لو حصل وتمت الصفقة لأصبحنا دولة جاسوسة ! ولن يبيعنا احد بعد ذلك السلاح. فنحن نقبل او نتوقع ان يكون بيننا جاسوس مدسوس علينا يعمل لمصلحة دولة اخرى فنستأصله وينتهي الامر. اما ان تصبح دولتنا جاسوسة وتبيع او تفشي اسرار دولة اخرى، بيننا وبينها عقود وعهود إلى دولة ثالثة عدوة لها. فهذا أمر غاية في السوء. وتساءلت مخاطباً المجتمعين : هل يمكن لأمريكا ان تزودنا بالسلاح مستقبلاً، لو كنا قد سلمناها اسراراً عسكرية سوفياتية غاية في الخطورة والاهمية؟ الجواب: لا.. لأنها ستوقع اننا سلطة بلا مبادئ، وستظن، وهى على حق في ذلك، إننا سنبيع اسرارها العسكرية للسوفييت فيما إذا تطلب الحاجة أو تبدلت الظروف. وأضفت: ان صفقة عماش - الـ CIA (ليكلاند) لو تمت لدمرت اهم مقومات الدولة العراقية بقطع مصادر تسليحها، وبالتالي تعريض أمنها للخطر بعد فقدان الثقة بها. وان المأزق الذي وقعنا به مزدوج، الاول : مع السوفييت الذين لهم مصادرهم وعيونهم. والثاني مع الأمريكيين، إذ سننكث وعداً إلترمنا بتنفيذه، بل سنظهر امامهم كالمحتالين الصبيانين والجهلة، مما قد يغضبهم ويترك مضاعفات سلبية على مستقبل علاقتنا معهم والتي كنا نرغب ان تظل جيدة وهادئة. . . (إنتهى كلامي).

وبعد اخذ ورد إقترح البكر اقتراحاً غريباً بقوله : هل يمكن ان نسمح للخبراء الأمريكيين ان يطلعوا إطلاعاً فقط !! على الدبابة داخل الاراضي العراقية؟ وبذلك نتجنب المشكلة !! قلت : هذا مستحيل، إن الخيانة نفسها وبنفس المعنى^(١).

١ — يعكس إقترح احمد حسن البكر نهجاً ثابتاً سارت عليه السلطات العراقية التالية على طول الخط : نهج التواطؤ والمجانبة الوطنية واللامبدئية، كل شيء قابل للمساومة، وقد توارث الانصار ذلك، وسارت عليه مرحلة الحكم الثاني منذ عام ١٩٦٨ وحتى الآن. وسنذكر هنا مثالين فقط، من بين مئات الامثلة التي تؤكد على نهج اللامبدئية : ففي عام ١٩٨٤ تمّ إستدعاء خبراء فرنسيين بواسطة سفارتهم ببغداد للاطلاع على الطائرات السوفيتية مقابل بيعهم طائرات ميراج 2000 وحاء الخبراء وحققوا وإطلعوا على الطائرات السوفيتية في قاعدة المثنى الجوية - خلف مطار بغداد - ومثل الجانب العراقي في الصفقة المشبوهة اللواء هشام عطا عجاج (لاعب كرة قدم دولي سابق)، وحينها احذ اللواء هشام عطا عجاج البروتوكولات الفنية للطائرات السوفيتية وسافر بها إلى فرنسا. ولم يكن هشام ليفعل ذلك إذا لم تصدر له أوامر من قائد القوة الجوية حميد شعبان التكريتي الذي كان يعمل بالاضافة لواجباته العسكرية مستشاراً لصدام حسين للشؤون الجوية.

المثال الآخر : اخبرنا العميد استخبارات عسكرية (س.س) الذي فرّ من الخدمة لاحقاً إلى اوربا عبر الاردن : في عام ١٩٨٨ تمّ الاتفاق بين الحكومة الصينية والعراقية - بين اجهزة البلدين - على إرسال احدى الطائرات العراقية المتطورة (روسية الصنع) إلى الصين من اجل تخوير الشفرة الفنية و اجهزة الرادار، وابدائها بمنظومة الكترونية صينية الصنع. وقد مثل العراق في تلك الصفقة العميد الجوي الركن حامد السعودي. وتنص الاتفاقية المبرمة مع الاتحاد السوفيتي على وجوب إلترام الطرف العراقي بعدم إطلاع الدول الاخرى على اسرار الطائرة وبروتوكولها.

←

وهنا لمعت بذهني فكرة ربما ستنقذ الموقف. فطلبت من المجتمعين بمجلس قيادة الثورة ترك المسألة برمتها لي وسأعجلها كوزير للخارجية. فوافقوا فوراً على اقتراحي. وذلك يوضح مدى ثقل الموضوع وضغطه على اذهانهم ورغبتهم بالتخلص منه.

وفي اليوم التالي إستدعيت السفير الأمريكي إلى مكنتي وأخبرته بما جرى. وقلت : ان احد موظفي سفارتكم وهو عضو في الاستخبارات المركزية CIA حاول الحصول على اسرار عسكرية عراقية. وان الدبابة السوفيتية التي اشتريناها اصبحت سرّاً عراقياً. وما جرى يعتبر عملاً غير ودي وغير مقبول من قبل دولة ما فتئت تقول انها صديقة لبلادنا. ولهذا اطلب مغادرة الموظف المسؤول عن هذا الامر خلال ٧٢ ساعة.

إعتذر السفير الأمريكي وقال : هذا الموظف سيغادر كما طلبتم. حينها أخبرته عن استعدادنا لدفع ثمن بطاريات الدبابات التي استخدمها الجيش العراقي. لكن السفير اهل المطالبة بقيمة الصفقة، ربما لانها لم تكن رسمية او لتجنب الفضيحة وخوفاً من وسائل الاعلام. وكان رجاءه الوحيد هو طلب غلق الموضوع وعدم رفع مذكرة إلى حكومة الولايات المتحدة نطلب فيها مغادرة الموظف الذي سيغادر فوراً. وكان طلبه ملائماً لنا تماماً. فلم نتمنّ أكثر من غلق الموضوع بهدوء ودون ان يلحق بسمعتنا أثراً سيئاً. وطوبنا الموضوع بتوجيه تأنيب شديد لصالح عماش (وزير الدفاع) وجميل صبري (مدير الامن العام).

وبعد إنقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ أصبح البكر رئيساً للجمهورية العراقية وصالح عماش وزيراً للداخلية. فأمر البكر بأعتقال جميل صبري وتخطيطه داخل السجن. سمعت بالخبر وعندما زرت البكر مهتماً رغبت إليه إطلاق سراح صبري، فذكرني بموضوع الدبابة السوفيتية وعلاقته برجل المخابرات الأمريكية. فقلت : علينا يا ابا هيثم ان نتذكر التاريخ بإنصاف ودقة، فالعلاقة المنحرفة مع الديبلوماسية الأمريكية بدأها صالح عماش، ولم يلتق به جميل صبري ويطلب منه بطاريات ويوافق على تسليمه الدبابة إلا بموافقة وتوجيه عماش. وذكرت البكر (بلطف) باقتراحه الخاص بحل المشكلة، وقلت : ان صبري بريء من العملية وينحصر خطؤه بموافقته على اخذ الاوامر من وزير الدفاع وليس من وزير الداخلية حازم جواد الذي هو رئيسه المباشر، واطن ان جميل صبري لم يكن يعلم ان القيادة القطرية والمجلس الوطني لقيادة الثورة لا يعلمان بمثل هذا الامر الخطير. بل ربما كان مقتنعاً بأن عماش كان يبلغه بأوامر مجلس قيادة الثورة. وبعد اسبوع واحد من حديثي مع احمد حسن البكر أطلق سراح جميل صبري.

اما خطة تهريب الطائرة ومستلزماتها فتمت كما يلي : أرسلت الطائرة على انها اردنية ووضع عليها العلم الاردني - دون معرفة الاردن - بعد ان ارتدى طاقمها الملابس الاردنية. وقاد الطائرة المقدم خالد رشيد والرائد حسون عبد المهدي والرائد عبد الزهرة مسعد الذين تدربوا على اللهجة الاردنية تحسباً للطوارئ.

امريكي ينقل كلمة سر حزبية

"ابو هدى يسلم" هي كلمة سر حزبية يحتفظ بها المقدم محمد المهداوي، وهو يقضي مع عدد من ضباط الجيش العراقي دورة عسكرية دراسية تدريبية في الولايات المتحدة الامريكية. وابو هدى هو لقب يكتفى به صالح مهدي عماش.

وكان في الدورة عدد من الضباط البعثيين. والمسألة بدأت عندما اصدر نظام عبد الكريم قاسم مذكرات اعتقال بحق بعض الضباط البعثيين، فخشي عماش عودة المقدم الركن محمد المهداوي ومعه الضباط البعثيين بعد إنتهاء دورتهم التدريبية فيعتقلون. ويبدو ان عماش استعجل الامر فأبلغ مساعد الملحق العسكري الامريكي بكلمة السر ليبلغها إلى محمد المهداوي ويخبره بتأخير قدومه إلى بغداد. وللتاريخ اقول ان عماش جاء فوراً لاجتماع المكتب العسكري وابلغنا قائلاً : "التقيت بمناسبة ديبلوماسية بمعاون الملحق العسكري ليكلاند، وكانت فرصة لأطلب منه إبلاغ المقدم محمد المهداوي في امريكا بأن يؤجل قدومه إلى العراق ريثما تنجلي صورة الموقف والوضع الامني، وابلغته كلمة السر المتفق عليها بيني وبين محمد المهداوي"^(١). وقد نظرنا للامر مجرد مبادرة فردية غير موفقة، وساعده كثيراً إبلاغه لنا في نفس الوقت.

سؤال : لكن كيف تسنى لمعاون الملحق العسكري الامريكي "ييل ليكلاند" وهو ضابط مخبرات خبير، ان يثق بأن ضابطاً برتبة عالية مثل صالح مهدي عماش وعمل في الاستخبارات والانضباط العسكري وهي مناصب مميزة، ويستطيع حضور مناسبات ديبلوماسية رفيعة، ليس مدسوساً عليه، إذا لم تكن له معرفة سابقة به ويتفاصيل كثيرة اخرى؟ وهل تعتقد ان مثل هذه الامور الخطيرة يمكن تناولها بطيبة وبساطة؟ ومهم لنا ان نعرف موقف علي السعدي وحازم جواد من هذه المسألة؟

طالب شبيب : ربما اكون قد نظرت بسلامة نية وطنية، ولكن لا تنس إنَّ ما شجعتني على تصديق روايته هو عدم وجود دليل يقطع بشيء ضد صالح مهدي عماش الذي غالباً ما يقوم بأعمال وتصرفات فردية في كل اتجاه"^(٢).

١ — كان عماش يعمل في دائرة الاستخبارات العسكرية بوزارة الدفاع، تلك الدائرة التي رأسها لبعض الوقت رفعت الحاج سري. ثم انتقل إلى دائرة الانضباط العسكري، وبشكل عام أهلتته مناصبه في عهد عبد الكريم قاسم حضور الدعوات والحفلات الديبلوماسية.

٢ — ولا ندري هل تكون الصدفة فقط هي التي جعلت رئيس الوزراء ووزير الدفاع العراقي بوري السعيد - في العهد الملكي - يختار الرائد صالح مهدي عماش عام ١٩٥٦ للسفر إلى روما لاستلام السلاح الامريكي والبريطاني الذي كان ←

ولم يكن علي السعدي وحازم جواد يملكان أية ادلة ضده. ولو كنا قد امتلكننا تلك الادلة، لما تخلفنا عن اعلانها بوجهه دون خجل او حذر خصوصاً علي السعدي الذي كان دائم السخرية والانزعاج منه. ولم يكن السعدي ولا حازم خبيثان ليخفيا اية اسرار من هذا النوع واستطيع ان أوكد ذلك نيابة عن علي السعدي. اما حازم جواد فهو حي يرزق وبودي ان يطلع على ما نكتبه ليقول ما يعرفه.

وارى من الضروري ان نذكر بأن "ليكلاند" هذا هو نفسه اقام الاتصالات بحمال عبد الناصر ولعب دور عضو الارتباط بين الصباط الاحرار المصريين والدولة الامريكية، وإستمر يواصل مهمته ويتشاور مع قيادة مصر الجديدة قبل وبعد إنفراد عبد الناصر برئاسة الجمهورية.

ثم انتقل إلى العراق في عهد عبد الكريم قاسم معاوناً للملحق العسكري الامريكي. وبعد استلامنا للسلطة خفف في البداية من نشاطه، ولم نكن نسمع به في الايام الاولى، لكن الهدنة لم تستمر طويلاً، فعاد إلى نشاطه وتدخلاته مباشرة بعد إشتداد خلافاتنا مع الجمهورية العربية المتحدة، وبدأ يهاجمنا علناً، ويتحدث في المحافل الدبلوماسية عن صعوباتنا ومشاكلنا، ووصلتني في مكنتي بوزارة الخارجية إستفسارات وتقارير كثيرة تؤكد كلها إنه يتحدث في مجالسه دون حذر ويقول : ان عبد الناصر لن يبق البعثيين في سلطة العراق.

ولا ادري ماذا كان هدفه ؟ ربما الوقعة، لكني لهذا السبب ولاسباب كثيرة ذكرت بعضها، اخبرت السفير الامريكي بتصرفاته غير المناسبة^(١).

سيستخدم لمهاجمة سوريا وإسقاط حكومتها الوطنية في مؤامرة اطرافها بريطانيا وامريكا والحكومة العراقية ممثلة بنوري السعيد واديب الشيشكلي من سوريا. وقد نفذ عماس تلك المهمة بنجاح واصل السلاح إلى القوات العراقية التي أوكل لها تلك المهمة الخطيرة والمشبوهة.

لكن المؤامرة لم تنفذ بل أحبطت سبب توافق موعدها مع اليوم الذي حصل فيه العدوان الثلاثي ضد مصر، فأصبح من الصعب شن عدوان على سوريا في ظل تصاعد الحماس القومي العربي الجياش حينذاك[2].

ويذكر ان عبد الكريم قاسم كان حينذاك يقود اللواء الاول الموجود في المفرق وهو اللواء المتوقع إرساله لغزو سوريا. وقد إتصل قاسم حينذاك باللواء عفيف البزري الذي حضر يرافقه عبد الحميد السراج منكرين بزي عربي تقليدي، فأعلمهما بنية حكومته، ووعد البزري (رئيس اركان الجيش السوري) بأنه سيحبط المحاولات البريطانية بدفع

الجيش العراقي لغزو سوريا حتى لو اضطر للتمرد او الزحف على بغداد[3].

١ — بيل ليكلاند من مواليد ١٩٢٣ وهو عوضاً عن وظيفته كمتخصص في شؤون الشرق الاوسط، عمل لفترة طويلة في سفارة بلاده في القاهرة وكان معجباً بعبد الناصر. أرسل إلى مصر في النصف الاول من عام ١٩٥٢ من قبل روزفلت بمنصب سكرتير ثان في سفارة بلاده، ولم يتجاوز عمره التاسعة والعشرين ليكون "حلقة الاتصال بين الضباط الاحرار والسفارة الأمريكية في الاشهر التي سبقت الانقلاب" . . "وكان ليكلاند وهو جندي سابق في مشاة البحرية الامريكية، خدم في موقعين حساسين من مواقع الحرب الباردة : انقرة ١٩٤٧-١٩٤٨، وميونخ ١٩٤٩. واتاح له صغر سنه وخلفيته العسكرية مصادقة الكولونيلات الشبان بسهولة وخاصة عبد الناصر الذي كان بمصادفة مؤاتية ، جاراً

←

تخريب العلاقة مع ايران

لم تكن مشكلة الدبابة السوفيتية الشاهد الوحيد على تهور صالح عماش. بل قام بأعمال كثيرة، وقطع اول خطوة باتجاه جحيم الصراع العراقي الايراني المدمر القادم، والذي كان يمكن تجنبه. فلم تُصنَّع لاستعداداته على ايران عام ١٩٦٣، فعاد إلى التاجيج ودون مقدمات عام ١٩٦٨ فإثر حادث حدودي بسيط يمكن حصوله باستمرار بين دولتين جارتين، إستدعى صالح عماش إلى مكتبه السفير الايراني في بغداد، وكان نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للداخلية، وقال له: "ماذا سيكون رد فعل ايران إذا قصفنا مصفاة خرمشهر ومطار عبادان!!"

حتى ذلك الحين كانت ايران تمرر سفن الدول الاخرى الراحبة بدخول شط العرب وهي تحمل العلم العراقي وعلم الدولة المالكة للسفينة، ولا ترفع العلم الايراني غير السفن الايرانية فقط. وبعد تلك المقابلة التهديدية العماشية الفارغة، اقدمت ايران كرد فعل من جانبها على إلغاء معاهدة ١٩٣٧ التي تعترف بعراقية شط العرب إلا في مناطق معينة امام عبادان وخرمشهر، فطالبت سفن الدول الاخرى منذ ذلك اليوم وحتى الآن برفع العلم الايراني إلى جانب العراقي عند دخولها شط العرب. وبذلك فقد العراق حقاً معنوياً يؤكد ملكية النهر للعراق. وبعد ذلك رسخ صدام حسين تلك النتيجة بتوقيعه مع شاه ايران إتفاقية الجزائر وتأطيرها قانونياً بالتنازل عن حق جغرافي إضافي آخر هو نصف شط العرب "خط الثالوك".

رعونات كبرى وصغرى : تصفية نساء الوزارة

سلوك عماش اذن تميز في اغلب الاحيان بالرعونة. وكانت له رعونات كبرى ورعونات صغرى. والرعونات الكبرى هي النماذج التي ذكرتها وامثالها كثير. اما الرعونات الصغرى فمن نماذجها على سبيل المثال : عندما سافرت إلى خارج العراق، حل عماش محلي مؤقتاً وكيلاً لوزير الخارجية، واصدر فوراً قراراً بفصل ونقل جميع نساء الوزارة مبرراً ان الخارجية لا تحتاج إلى "حريم" نساء.

له. ومن خلال ليكلاند ابلغ عبد الناصر كافري ان الكولونيلات يريدون صداقة الولايات المتحدة. [4]. هذا الرجل نفسه ارسل إلى بغداد زمن قاسم لإدارة إتصالات سفارته العامة فيها. اما محمد المهدي فهو مقدم ركن مسؤول خلية الضباط البعثيين ضمن الدورة العسكرية بأمريكا. وبعد حركة ١٤ رمضان ٦٣ لمع نجمه عسكرياً وحزبياً، وتأهل ليلعب دوراً حاسماً في تغيير مسار المؤتمر القطري الاستثنائي في ١٩٦٣/١١/١١ الذي عصفت نتائجه بحكومة وقيادة البعث لترمي بهما في النهاية خارج السلطة. ويقول الفكيكي [5] : ان عبد الناصر حذر علي صالح السعدي في نهاية شباط ١٩٦٣ من بيل ليكلاند قائلاً : إن بيل ليكلاند سبق ان حدم في القاهرة وهو خبير إنتقالات.

المثال الثاني : عندما تم تعيينه وزيراً للداخلية بعد عام ١٩٦٨ ، امر بصيغ قوادم وسيقان جميع النساء والفتيات اللواتي يرتدين تنورات قصيرة بـ "البويا" (الأصباغ)، وكلف مستخدمي امانة العاصمة بتنفيذ اوامره، فظهر هؤلاء في شوارع بغداد يحمل كل منهم "سطل" مملوء "بويا" وفرشة كبيرة. وسبب ذلك هلعاً وضيقاً في اوساط معينة، وكان تدخلاً سافراً في حياة الناس الخاصة لم يعهد مثله العراقيون، وحصلت بسببه احتجاجات كثيرة ومؤثرة، إضطر عماش إثرها إلى التراجع عن قراره مدحوراً^(١).

المثال الثالث : كنت مسافراً خارج العراق، وكان عماش وزيراً للخارجية بالوكالة، وحدثت ازمة حدودية بين المملكة المغربية والجمهورية الجزائرية حول مدينة "وجدة" على ما اذكر، وقرر مجلس الثورة بأقتراح من عماش لعب دور الوساطة المحايدة، وارسل احمد عبد الستار الجواهري رئيساً لوفد الوساطة. وكان على عماش ان يتصل بيّ ويسألني قبل تقديم ذلك الاقتراح وتنفيذه، لأن الجزائريين إنزعجوا من سلوكنا وعاتبني عبد العزيز بوتفليقة الذي اصبح

١ - شكل عماش جهازاً خاصاً اسماء "شرطة الآداب" وكلفه بمهمة كبح "المتרחات" وشمل قراره اكثر ما شمل طالبات الجامعة والموظفات ودرجة اقل عامة الشعب. وصادفت إجراءاته تلك مع عودة شاعر العرب الاكبر محمد مهدي الجواهري من غربته الطويلة إلى بغداد، الذي تصور خطأ أن مشوار الصراع بدأ يجد نهايته، وإن البلد الغني سيلتفت للبناء والفرح فتفاعل قائلاً :

أرح ركابك من أين ومن عثر	كفأك جيلان محمولاً على خطر
كفأك موحش درب رحى تقطعه	كان مغنّره ليل بلا سحر
حفض جناحك لا تهزأ بعاصفة	طوى لها النسر كشحيه فلم يطر

وكان عماش هاوياً كتابة الشعر ويتميز بمزاج اجتماعي جيد، وميل لحياة المثقفين، فرد على الجواهري مُحاكياً ومُرحباً :

أرح ركابك من أين ومن عثر	هيهات ما لك بعد اليوم من سفر
--------------------------	------------------------------

وكم كانت مفاجأة الجواهري عندما سمع بتدخلات عماش ضد الحريات الشخصية، فأضطر وهو الناشد للهدوء إلى الاحتجاج عليه قائلاً :

وفي لها نذراً فــــوائ	وسعى بها سقاً وطافا
ابا "هدى" شوق يلح	ولاعج يذكي الشعافا
نبئت انك توسع الـ	أزياء عتاً واعتسافا
وتقيس بالافتــــار أر	دية بحجة ان تنافا
اترى العفاف مقاس اقــــ	مشة؟ ظلمت اذا عفافا
ومن لم يخف عقي الضمير	فمن سواه لن يخافا

واستمرت سجالات شعرية بين الاثنين، إنتصر فيها الناس والرأي العام للجواهري وإضطرت وزارة الداخلية إلى التراجع عن قرارها.

وزيراً لخارجية الجزائر بعد مقتل سلفه المرحوم محمد خميسي، وقال : كيف تعتبرون انفسكم تقدميين وتتوسطون بحيادية بيننا وبين المملكة ؟ وكيف تتوسطون بحيادية بين حليفكم وخصمه وهو خصمكم ايضاً. وكنت خلال دراستي بلندن قد تعرفت على اكثر القيادة الجزائرية الثورية، وعلى قادة المعارضة المغربية، وكنا طلاباً ننام في شقة واحدة، نفترش ارضها معاً.

اجتمعت فيه خصال التردد والقسوة والغموض

ورغم كل ما قيل عن عماش فلم يكن وحده الذي ارتكب اخطاء وكبائر. ولا أرى انه كان عميلاً لجهة معينة وإلا لكانت نصحته بجعل سلوكه اكثر عقلانية^(١). لكنه تميز عن غيره بأنه لم يفعل شيئاً مفيداً، ولم يأت بأحد إلا وكان جباناً او مشبوهاً. وقد علمت ان احد ضباطه هو الذي رفع لعبد الكريم قاسم قائمة بأسماء الضباط البعثيين التي وجدت على مكتبه يوم ١٥ رمضان ١٩٦٣، لكن عماش انقذ ذلك الضابط^(٢). ولا ادري لحد الآن لماذا امر بقتل

١ — ارتكب عماش اعمالاً وتصرف بغموض يؤكد ما ذهب اليه الشيب ونختار الحادثة التالية مثلاً : خلال نشاط الضباط البعثيين والقوميين للقيام بأنقلاب ضد نظام قاسم، إنتشرت بصورة متعمدة دعاية تداولها الضباط تؤكد : ان صبحي عبد الحميد وعبد الكريم فرحان وحاسم كاظم العزاوي - سكرتير قاسم - هم جواسيس مخفيون للسلطة ويجب الحذر منهم. وبعد التقصي تبين ان مصدر الاشاعة هو صالح مهدي عماش الذي طالب الضباط القوميين بترك "المجموعة المشبوهة"، فهرع صبحي عبد الحميد وعبد الكريم فرحان إلى البكر فوجدا عنده عماش وستار عبد اللطيف وبعد عتاب إعترف عماش بفعليته مبرراً بأن سمعة مجموعة صبحي وفرحان ممتازة ومنافسة ولا سبيل لايقافها إلا بتشويه سمعة روادها، وقال معاتباً : "إنكم ايضاً أشعتم بأي بعثي". فرد عليه فرحان : يا صالح إنك بعثي قبل ان تشكل اللجنة القومية ومعظم الضباط سمعوا بذلك لأنك غير حريص على كتمان إلتماثك ولاتنس ان خالد محمد فريد هو الذي احبرك بوصول نبأ إنضمامك للبعث إلى عبد الكريم قاسم"^[6].

٢ — وكى يخرج عماش نفسه من دائرة المشبوهية والاتهامات، صرح في مقابلة^[7] قائلاً : بعد نجاح ثورة ٨ شباط ٦٣ تسلمت مذكرة من قبل محمد يوسف طه وقد عثر عليها في غرفة عبد الكريم قاسم وهي صادرة من السفارة البريطانية وتقول لقاسم : "حفاظاً على نظامكم الصديق والعلاقات الوطيدة نحذركم من محاولة سيقوم بها المقدم صالح مهدي عماش، احد ضباط الانضباط العسكري، وهو من الضباط الناصريين، وهذه المحاولة لصالح عبد الناصر". ولا اشك بأن ما قاله عماش هو محط تزوير وإفتراء لانه اولاً : لم يجرؤ على قول ذلك منذ عام ١٩٦٣ حتى عام ١٩٦٨. ثانياً : تصنع ان تخطئ المذكرة المزعومة بإتتمائه إلى الناصرية وليس إلى البعث، بينما كان الجميع يعرفه بعثياً، وذلك لكي يوحي بأن اجنبياً كتبها. ثالثاً : الجميع حاول تبرة ساحته مشككاً بقاسم، لكن البحث والتقصي اكّد بياض صفحة قاسم ويديه في حين أظهر استعداد الآخرين المتعجل لخيانة الوطن. رابعاً : اين المذكرة ؟ واذا كان امرها صحيحاً لماذا لم يحتفظ بها وهي تحمل برهان براءته. خامساً : لم يشر أي شخص لهذا الامر، بمن فيهم محمد يوسف طه الذي لم يعد موجوداً الآن. وبهذا يكون عماش واحداً من الذين يحاولون السخريه من ضحاياهم. يريد بعد خيانتهم ثم وتدميرهم ان يقول انه انظف من عبد الكريم قاسم وان قاسم صديق للانكليز، وموجهاً من قبلهم. ويذكر ان محمد يوسف طه كان واحداً من لجنة جردت موجودات مكتب قاسم ولو عرف بشيء فسيعرفه آخرون^[١]. وقد ذكر كل الذين اشتركوا بجرد مكتب قاسم برسائل بعثوا بها إلى خليل ابراهيم حسين وإلى احمد فوزي او كتبوا مذكراتهم ولم يذكروا تلك الرقية رغم خطورتها لو كانت صحيحة، فستكون اول وثيقة تدين عبد الكريم قاسم.

←

العقيد عبد المجيد جليل الذي ما كان يجب ان يعدم، لأنه أرحم مدير أمن عام في تاريخ العراق كله، ولم يظهر اية عداوة للقوميين او البعثيين، واصطدم بالشيعيين اكثر من اصطدامه بنا. ولم يسيء إلى عماش وعماد وبهاء الشيب (وكان الاخيران ضابطين) ولا السعدي وكريم شنتاف عندما تمكن من إعتقالهم قبيل ٨ شباط بأربعة ايام، رغم خطورة امرهم. فلو كان قد حاول وانتزع منهم المعلومات قسراً لأنقذ حكومته.

مع مصر الناصرية

اما علاقتي المصرية فقد تكونت دون تخطيط مسبق اثناء وجودي بانكلترا. وكنت اميناً عاماً لرابطة الطلبة العرب التي يسيطر عليها البعثيون. وكنا خلال ازمة السويس نتصل يومياً بالسفارة المصرية تضامناً ودعمًا، وشعرت بفخر عظيم حين قابلت السيد علي صيري - احد نواب جمال عبد الناصر - على هامش زيارته لانكلترا، لانه اكبر مسؤول مصري التقى به. وساعدني في الامر بعض النواب اليساريين من حزب العمال البريطاني المتعاطفين مع القضايا العربية.

وبعد عودتي إلى بغداد، اديت الخدمة العسكرية وبتوسط من المرحوم فؤاد الركابي (اول امين قطري للبعث في العراق) وجدت وظيفة في وكالة انباء الشرق الاوسط، كمترجم من العربية إلى الانكليزية، وكانت الوكالة تصدر نشرة بالانكليزية توزعها على السفارات، فاشتغلت مترجماً طوال ست ساعات كل ليلة.

وبواسطة الركابي أيضاً تعرفت على ثلاثة موظفين في سفارة الجمهورية العربية المتحدة (وكانت مندوحة وتمثل سوريا ومصر) وهم عبد المجيد فريد وهو حي يرزق ويعيش في بريطانيا حالياً. وطلعت صدقي، سوري الاصل وما زال حياً. ومحمد كبول، سوري وبعثي يعيش حالياً بدمشق. اصبح هؤلاء الثلاثة اصدقاء لي، وحافظنا على صداقتنا حتى بعد إخراجهم من العراق. وعندما ذهبت إلى مصر وزيراً للخارجية وضيئاً على الدولة المصرية وجدت عبد المجيد فريد اميناً عاماً لرئاسة الجمهورية، وطلعت صدقي مديراً لمكتب الشؤون العربية ويرتبط مباشرة بالرئاسة ويشرف على اللاجئين العرب بمصر. وعلمت ان كبول عاد إلى سوريا بعد الانفصال مباشرة.

هذه هي معرفتي الشخصية بالمصريين ومصر. اما الصلة الرسمية بين حزب البعث العربي

وقد حدثني الشيخ مهدي الخالصي [8] ان قراراً بإعادته إلى الجيش صدر في ٨ شباط ٦٣ كضابط احتياط وكان قبلها هارباً بسبب "عدم موافقته على الحرب مع الاكراد" فقال: جرى تكليفي مسؤولية مقر عبد الكريم قاسم للمحافظة على اوراقه وحاجاته ووحدت فيه ملفاً كبيراً كتب عليه "الشيخ مهدي" والملاحظة التالية: "لا يلقى في صنف الدروع" وصورة من إلقاء القبض علي.

الاشتراكي والحكومة المصرية فقد اتاحت لي آفاقاً وعلاقات وفرصاً كثيرة، انتهت فور خروجي من قيادة الحزب بعد انقلاب ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣.

لكن الدولتين مصر وسوريا توقفتا عن تقديم العون بعد فشل حركة عبد الوهاب الشواف، ويستثنى من ذلك المساعدات الكثيرة والسخية التي قدمها لنا رفاقنا السوريون الذين شغلوا وظائف مختلفة في مناطق حدودية بين العراق وسوريا مثل دير الزور والقامشلي وربيعة وابو كمال.

اقول هذا لأؤكد بأن الحزب في العراق لم يتزود من مصر لا بالسلاح ولا بالمال بعد ذلك التاريخ، فلم نستلم من عبد الحميد فريد او من جمال عبد الناصر أي مبلغ. وحازم جواد وعبد الله الركابي يعرفون هذا الامر جيداً، ونفاه الاثنان نفياً قاطعاً^(١).

ولا يسعني إلا ان اذكر ان السلاح الذي إستخدمناه في ثورة رمضان كان اكثره مصرياً، وصلنا عبر الاراضي السورية. كما حصل عبد الوهاب الشواف على إذاعة واسلحة من مصر وسوريا وهذه قضية أصبحت معروفة ومعلنة وموثقة بالاعترافات التي حصلت في محكمة الشعب. وإرتبط المصريون بعلاقات وطيدة مع قيادة حزب البعث في العراق خصوصاً خلال امانة سر فؤاد الركابي. كما ساعدت القيادة القومية للحزب في تأسيس "مؤسسة الصحافة" في بيروت والتي ادارها عضو القيادة جبران مجدلاي.

وعلى ضوء ماتقدم لم تكن معرفتي بمصر ابعد من علاقة البعث بها. ولو كانت غير ذلك لانكشفت خلال العداوة المرة التي حصلت بين البعث وعبد الناصر منذ استقالة الوزراء البعثيين من حكومة دولة الوحدة إعتراضاً على الممارسات التي فرضتها المباحث المصرية ولاسيما تصرفات عبد الحميد السراج والمعاملة السيئة التي عومل بها القادة البعثيون العسكريون وابعادهم إلى مصر وكان من بينهم الرئيس العربي السوري حافظ الاسد.

وساءت العلاقات بيننا اكثر عندما وقع اكرم الحوراني والبيطار وثيقة الانفصال سيئة الصيت^(٢).

١ — يقول الفكيكي: "بعد المؤتمر القومي الثالث كلفني خالد علي الصالح في دمشق وهو عائد للعراق بالتوجه للقاهرة لاستلام مساعدة مالية للحزب فضلاً عن اجهزة إرسال إذاعي واتصال لاسلكي. وذهبت فعلاً برفقة حازم جواد، وأحضرتنا لدورة تدريب على اجهزة للإرسال والبت والاستلام دامت اسبوعين" و "تسلّمت مبلغ ٣٠ ألف دينار من عبد الحميد فريد الذي بات مدير المكتب الخاص لعبد الناصر" [9] ويذكر ان المؤتمر القومي الثالث انعقد بعد فشل تجربة الوحدة المصرية السورية، وهذا يعني ان الفكيكي إستلم المبلغ بعد فترة قصيرة من حركة الشواف وذلك يخالف ما ذهب اليه طالب شبيب.

٢ — بعد انتصاره في معركة تأميم القناة وإقامة اول وحدة على طريق الحلم العربي بالوحدة الشاملة، شعر ناصر بنشوة ثورية جعلته يعتقد ان الوطن العربي كله سرعان ما سينضوي موحداً تحت قيادته. ولم يحسب جيداً القوى العظيمة

لكن البعث في العراق ظل رغم كل شيء يحتفظ بعلاقات وذاكرة طيبة مع الدولة المصرية. وكان أوثقنا صلة بالقيادة المصرية الأستاذ فؤاد الركابي ويليهِ علي صالح السعدي ثم حازم جواد وأنا. وعندما اشتد الصراع بين البعث في سوريا وجمال عبدالناصر اختار فؤاد الركابي جانب القاهرة وترك الحزب ليؤسس حزباً ناصرياً صغيراً.

ومن أبرز الأدلة على العلاقة الطيبة بمصر، أنها كانت وحدها تعرف خطتنا لاسقاط حكومة عبدالكريم قاسم دون معرفة تاريخ التنفيذ ومضمونه. وقد فوجئتُ بنجاحنا. وذكر لي عبدالله الركابي ان جمال عبدالناصر استدعى فور سماعه النبأ فؤاد الركابي (وكان مقيماً بالقاهرة) وقال له: ان ما حصل ضربة على "اليفوخ"، ولكن مادام الامر قد حصل فلا مجال إلا أن نؤيد هذه الثورة وسنرسل برقية تأييد^(١)

التي ستقف دون ذلك. وفي سياق نشوته تصرف باستعجال وتورط بسهولة بالتدخل في شؤون أقطار عربية كالعراق وسوريا واليمن والجزائر وغيرها. وأظهر كثيراً من اللامبالاة عندما انحاز في كل تلك "دنا قبل ان يأخذ فرصة كافية لدراسة لوضعها الداخلي الى الاطراف التي رشحتها للمخابرات المصرية، ففي العراق تدخل محاراً بعد خمسة أيام فقط من نجاح ثورة ١٩٥٨ متحدت مع عبدالسلام عارف ، الذي ذهب على رأس وفد لمقابلته بدمشق، عن مصير عبدالكريم قاسم [١١] } وبينما الكتاب مائل للطبع، حدثني الدكتور مبدل الرئيس ان عبدالحميد السراج كان قد أخبره شخصياً في القاهرة بأن عبدالسلام عارف عندما جاء الى دمشق وتحدث مع عبدالناصر عن أهمية قيام وحدة اندماجية فورية، وقال بأنه سيقتل عبدالكريم قاسم (بطلقة واحدة) اذا عارض قيامها، وهنا قاطعه جمال عبدالناصر قائلاً: " لا يأخ عبدالسلام، هذا الكلام لا يجوز، لأنه زميلك ورئيسك، ويجب ان يتم كل شيء معه عن طريق الحوار والاتفاق ". وكان السراج حاضراً في المقابلة بين الرحلين والتي ضمت العقيلي وصديق شنشل وآخرين. فسمع قاسم بالامر (دون ملاحظة عبدالناصر) مكرراً فكرة عن المستوى الاخلاقي للسياسة المتداولة، خصوصاً وأن الثورة مازالت لم تفرغ من احتفالها بالنصر ، ولم تتضح بعد التوجهات بداخلها ولم يبدأ الحوار معها حتى يستبدل بالتخطيط السري ضدها. ونتيجة لذلك قامت العداوة بين قاسم وناصر بالواسطة، عداوة عن بعد، فلم يلتق الرحلان ويستمع لبعضهما حتى يختلفا. وبدلاً من الاعتذار شجنت الحكومة المصرية بصورة سرية اذاعة واسلحة واموال الى الضباط في الموصل، بهدف قلب الوضع في بغداد، وشارك في العملية عبدالجيد فريد وطلعت صدقي ومحمد محمود يوسف والملحق العسكري المصري، العقيد عبدالجيد فهمي الذي كان حلقة الوصل بين الضباط وعبدالحميد السراج، الذي يتصل بناصر مباشرة. وكان ناصر قد أظال زيارته لدمشق انتظاراً لبداية نجاح الحركة الذي حاء غيباً. وعلى صوته شنت أجهزة الاعلام المصرية وعبدالناصر شخصياً حملة اعلامية ضد قاسم سقت ظهور نتائج التحقيقات وهجوم محكمة المهلداوي المصاد، وكانت حكومة قاسم قد حققت إنجازات كبرى قبل حركة الشواف، أي بعد أقل من سنة على الثورة. وذلك الوضع الجديد شجع وأتاح للخصومة داخل الساحة السياسية العراقية ان تنفlect من عقابها وشارك فيها الشيوعيون والناصريون وغيرهم. وكل يتهم الآخر بخيانة الوطن الذي كلهم أبناءه. ومن الغريب ان الحكومة المصرية وظفت في تدخلاتها موظفين رفيعي المستوى، بدءاً من المشير عامر وانتهاء بأصغر ملحق دبلوماسي. وواصلت أجهزتها التدخل حتى بعد سقوط قاسم، فارسلت السراج الى العراق سرّاً حيث زار مثلاً قادة عسكريين ومدنيين في منازلهم لترتيب امر تغيير عبدالسلام [١٢]. ثم جاء المشير عامر وعبدالحميد فريد الى بغداد بمناسبة تشييع عبدالسلام وبحوزتهم خطة لإحلال عارف عبدالرزاق محله، وكان الأخير قد فوجيء بالأمر (وكان حينها لاحقاً سياسياً في القاهرة)، ولم تنفذ الخطة لحصول عبدالرحمن عارف على منصب الرئاسة [١٣]. ثم استمرت التدخلات حتى انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨. وغير معروف لماذا اعتمد ناصر على السراج في إخراج سياسته في سوريا والعراق! رغم خنقه السراج لسوريا سنوات الوحدة وفشله في المحافظة على شعبية ناصر في العراق بعد ان وصلت ذروتها ما بين ١٩٥٦ - ١٩٥٨.

١ - قلت للشبيب: إن رفعت الجادرجي قد ذكر أن عبدالناصر أخبر والده أن هناك ست دول ساهمت باسقاط قاسم. كما ذكر هيكلي في كتابه (سنوات الغليان) عن تقرير صحفي نشر بالأهرام ١٩٦٣/٩/٢٧، بأن الملك حسين ←

اخره قائلاً : "اني اعلم علم اليقين بأن ما حدث في ٨ شباط ١٩٦٣ كان يحظى بتشجيع وكالة المحادثات المركزية وان بعض اعضاء قيادة حزب البعث في العراق لا يعلمون بذلك." واضاف "لكي اعلم ذلك وكانت لقاءات عديدة تمت في امريكا والسعودية. وان هناك محطة اذاعة كانت تساعد رجال ٨ شباط . . الخ". احاب تشييب ما مضمونه : لو كانت هناك دول تساعدنا لحصلنا منها على رشاشات صالحة للاستعمال، واعلم انه لم تكن هناك جهة خسارج القيادة القطرية والمكتب العسكري تعرف بموعد الحركة ومضمونها، وليست هناك اية دولة تعرف بأكثر من سعيها لاسقاط قاسم، حتى القيادة القومية لم تعرف بتاريخ الحركة[14].

اما الملك حسين فقد يكون محققاً بأن المخاضات الامريكية سرّت وارتاحت لما حصل من مقتل عبد الكريم قاسم وتقاتل ابناء الصف الوطني الواحد - شيوعيين وبعثيين. اما مانقلته الاهرام عن الملك حول لقاءات وترتيبات ربما تكون قد حصلت ولكن ليس بين بعثيين وامريكيين او اية جهات لها صلة بالامريكيين او السعوديين. فلم يذهب بعثي واحد لمناقشة القيادة السعودية وهو امر يسهل التأكد منه. واطل ان الملك حسين (اذا كان مانقله هيكل صحيحاً) قد نهجم علينا مباشرة بسبب انزعاجه من صدور اتهامات بحقه من لجنة "تشيرش" في الكونكرس الامريكسي. ولم تكن هناك اية اذاعة تذيع لفائدتها، بل كانت هناك اذاعة سوفيتية باسم "لكي ايران" واخرى تشيكية وواحدة باسم صوت العراق الحر يديرها الشيوعيون العراقيون. لذا اعتقد ان ما قاله هيكل كان تأليفاً ساذحاً لايعكس سوى المهارات والعداوة التي نشأت في الاشهر الاخيرة من حكم الحزب مع دولة عبد الناصر .. انتهى[15].

ومن حاني (ع. ك. س) ليس لدي ما يؤكد نسبة الكلام إلى العاهل الاردني غير حديث هيكل، وقد تميز الاعلام المصري وبضمنه هيكل، في تلك المرحلة بالديمقراطية والبحث عن الاثارة على حساب الحقيقة. وكلنا يتذكر احمد سعيد الذي كثيراً ما اداع من صوت العرب عن مظاهرات وحرائق وفعاليات مزعومة بالعراق بينما كنا نعلم بالامان ونسخر منهم، كما كانت علاقات مصر مع حكومة البعث عند نشرها الخبر في ايلول عام ١٩٦٣ ليست على مايرام، ولم تكن طيبة ايضاً مع الاردن، واعتادت مدرسة هيكل الصحفية على استخدام التاريخ لدعم الاهداف الراهنة دون اكترات مما قد تسببه رغبته من اضرار بالحقائق التاريخية، يلوي اعناق الحقائق لمصلحة غايات مؤقتة. ويستطيع أي مواطن عربي، وليكن جزائرياً، ان يقف مندهشاً عندما يقرأ ما كتبه هيكل عن أحداث معينة في الجزائر. وسيشعر السوري والعراقي واليماني بنفس الاحساس، ولكن كل واحد منهم سيظن ان هيكل يخطئ فقط في الجزء الذي يخص بلاده، وانسه يحقق جيداً في اخبار البلدان الاخرى، لكن الحقيقة انه يكتب من احوال البلدان ما يناسب آراءه ورغباته ومصالح معينة، ويضيف إليها إذا ما تطلبت الحاجة السياسية فصلاً لم تكن موحدة في الواقع.

وعلى سبيل المثال يقول هيكل في "سنوات الغليان" عن العراق انه "في ساعة الصفر المقررة للانقضاض على عبد الكريم قاسم بدأ سلاح الطيران الذي يقوده اللواء عارف عبد الرزاق بضرب وزارة الدفاع مقر قيادة قاسم ومسكنه بالصواريخ" ويضيف : عندما بدأ الانقلاب كان قاسم "جالساً مع بعض اعوانه يراجع قائمة بأسماء ٥٨ ضابطاً قرر إحالتهم على الاستبداد بعد ان وصلته معلومات عن نشاطهم في الوحدات العراقية" ويضيف ان قاسم لم يكن حتى تلك الساعة من صباح ٨ شباط "قد نام بعد وانما كان جالساً"[16].

وفي هذه القطعة مما يكتبه هيكل نكتشف عدة اخطاء ومعالطات :

اولاً : كان عارف عبد الرزاق نائماً بداره عندما بدأت الحركة ولم يكن علي رأس الطيارين القاصفين منذ البداية. واستخدم هيكل اسم عارف وليس الرنداي لان عارف عبد الرزاق ناصرياً وليس بعثياً وهو ما يهم هيكل. وهذا لا ينقص من اهمية دور عارف في الحركة.

ثانياً : يعرف الجميع ان قاسم عندما بدأت الطائرات بقصفها لم يكن بوزارة الدفاع، بل نائماً في دار اخته بالعلوية، وخرج بعد سماعه النبأ بسيارة مكشوفة يحيط الجماهير المحتشدة على طول طريقه إلى وزارة الدفاع. لكن هيكل يريد

←

لقد حصل الكثير من التشهير والتهديد بين البعث والحكومة المصرية الناصرية طوال عام ١٩٦٣ ، وكان بالامكان إستغلال أي شيء في ذلك الصراع لو كان موجوداً. وأؤكد لك ان مصر لم تحاول تشغيل بعثيين في اجهزتها الامنية. ولم تنظر إلينا كمخبرين بل ادركت من البداية إننا ثوار شجعان. وكنا كقادة في حزب البعث ننظر لانفسنا : قادة لمستقبل الامة العربية بكاملها، وحاملين لرسالتها ورواد وحدتها المنشودة، ولا يمكن لمن يحمل مثل احلامنا الرومانسية الشجاعة والطموحة، ان يفكر، مجرد تفكير، في العمل لصالح أجهزة. كانت نيتنا تنحى اساساً إلى حلها وإغائها لصالح دولة اعظم واهم واحطر هي دولة الوحدة العربية الكبرى. كما لم نفكر كبعثيين إطلاقاً بالعمل لصالح الدول العظمى لأننا نحلم ان نبني على ارضنا دولة عظمى قادرة على الحياة والتنافس والوقوف بوجه اطماع الاعداء. وتلك الاحلام جعلت افعالنا وجعلتنا مستقيمين. فلم نكن نصلح كمخبرين، بل ثوريون. واذا كان هناك من استطاع ان يستغل حماسنا ويستفيد منه في الصراع ضد نظام عبد الكريم قاسم او في الصراع الداخلي (العراقي - العراقي) فهذا شأنه، ولم نكن في اسوأ الاحوال نعلم بوجوده. وقد سمعنا من هنا وهناك عن ورود اسلحة واموال للناشطين ضد حكومة قاسم، ولكنها وبعد حركة الشواف لم تكن إطلاقاً لحزب البعث^(١).

العلاقة مع الاتحاد السوفيتي

إرتبكت علاقتنا مع الاتحاد السوفيتي وتضررت كثيراً نتيجة لسوء التفاهم الكبير الذي حصل بسبب الاصطدام المبكر بالحزب الشيوعي العراقي، وانعكس ذلك على علاقتنا بالمعسكر

إظهار قاسم بالرجل العصامي المنشغل بالاعتقالات والغارق بالجريمة إلى درجة إلحاق الليل بالنهار. ومن اجل ذلك يلفق كل شيء بما يخدم السياسة المصرية. فلم يقل او يكتب احد ان قاسم كان موجوداً في الدفاع مع اعوانه عند بدء الحركة عبر هيك، فم اين اتى بها ؟ والارجح انه إحتلقها.

١ — يقول الفكيكي عن عبد الحميد السراج إنه "حاكم سوريا الفعلي في عهد الوحدة، كان قد اصدر امراً بعدم تسليم اية قطعة سلاح للبعثيين إلا بأمر مباشر منه. ورحلت لفترة طويلة في "البوكمال" اراقب قوافل الاسلحة المعطاة للاخوان المسلمين ولععض القوميين العرب، ووكلاء زعماء بعض العشائر، فيما كان بعض هذه الاسلحة يباع في اسواق العراق السوداء." [17].

ويقول زكي خيري "إتصل السفير الامريكي في بيروت بضابط عراقي، وكان في احازة وهو شقيق محمد علي حواد آمر القوة الجوية العراقية، الذي قتل مع بكر صدقي، ومن اقرباء عبد الكريم قاسم (ابن خالته)، كلفه السفير ان يعود إلى بغداد ويحذر قريبه من مغبة وضع توقيعه على مسودة القانون (قانون رقم ٨٠) وكانت جاهزة للتوقيع لتصبح قانوناً نافذاً. وكان قاسم متردداً في التوقيع حتى تلك اللحظة، ولما سمع بالانذار الامريكي طلب اللاتحة ووقعها في الحال. وكان هذا التوقيع بمثابة التوقيع على حكم الاعداء على صاحبه" [18] وكانت آجال عقود شركات البترول تمتد إلى مايقرب من عمر البترول العراقي المكتشف. وتشمل امتيازاتها ٩٩.٥٪ من الاراضي العراقية. وكان اسوأ شرط فيها هو عدم خضوع الشركات وإدارتها للقوانين المحلية العراقية.

الاشتراكي وبكتلة الاحزاب الشيوعية العربية والعالمية. ورغم ذلك كنت ارى السفير السوفيتي اكثر من سفراء جميع البلدان الاخرى. لأن حجم العلاقات والمصالح بيننا يحدد حجم المشكلات الكبيرة، فقد ورثنا من نظام قاسم مسائل ومصالح كثيرة عالقة، فضلاً عن مشكلات ليست اقل اهمية ناتجة عن الحملات الاعلامية المثيرة للعداوة التي كانت مختلف وسائلنا الاعلامية تشنها على الدولة السوفيتية. وهذا ما جعلني اطلب لقاء السفير السوفيتي مرة، ويطلب هو لقاءي مرة اخرى بهدف تخفيف وتطويق الازمة المتفاقمة.

واذكر انه طلب مني برجاء ولطف، ان لانهاجم باذاعتنا الرسمية الرئيس السوفيتي نكيتا خروتشوف بالاسم عند نقد سياسة بلاده في العراق والمنطقة العربية. وقال : نحن عندما نهاجم العراق، نقدر سياسته، ولا نهاجم شخصية عبد السلام عارف رئيس دولتكهم. ولكم مطلق الحق والحرية في نقد سياسة الاتحاد السوفيتي، اما مهاجمة رئيس الدولة باسمه فهو يهدد بتردي العلاقات، ويسبب قطيعة غير مقبولة، وكنت اوافقه، ولكنني ذكرته بدعم دولته لنشاطات التجمعات الشيوعية المعارضة خارج العراق بصورة مباشرة وعلنية^(١).

وبالمقابل طرحت على المجلس الوطني لقيادة الثورة سلبية تردى العلاقة مع الدولة السوفيتية وطالبتهم باصلاح الامر وقمت بخطوات ناجحة في هذا السبيل . . واذكر على سبيل المثال : ان شحنة اسلحة محملة على ظهر باخرة سوفيتية كانت في طريقها إلى العراق لكنها اوقفت بعد نجاح ثورتنا في احد الموانئ السوفيتية. وحثهم في تأخيرها هي ان العراق مازال مديناً،

١ — وكمثال على الدعم السوفيتي لحصوم النظام الجديد عام ١٩٦٣ ستحضر ما يلي : اولاً : تحويل جميع إذاعات الدول الاشتراكية الناطقة باللغة العربية إلى وسائل ناطقة بلسان الحزب الشيوعي العراقي ومحرضة للرأي العام ضد الحكومة العراقية. ثانياً : الدعم المعنوي والمادي الذي تلقته "حركة الدفاع عن الشعب العراقي" خلال قيادتها المعارضة في الخارج. ويذكر ان الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري تزعم الحركة التي اشترك بعصويتها د. فيصل السامر (وزير قاسمي ينتمي للحزب الوطني الديمقراطي) وعزيز الحاج وذنون ايوب وبوري عبد الرزاق ومحمود صبري وكلهم شيوعيون، فضلاً عن عضوية رمزية للزعيم الكردي الملا مصطفى البارزاني والاستاذ حلال الطالباني. وساعد وجود الجواهري في الحركة على ارتفاع شأنها. وتمكن الشيوعيون من ايصال قصيدته إلى الداخل وإلى حيث تجمعات اللاجئين في الخارج والتي كان مطلعها :

آت وألف شامت للزغام	"أمين" لا تغضب فيوم الطعام
الستر وديست حرمت الأنام	أمين لا تغضب وان هُتلك
وقال أُمـر مستتب وسلام	وهلل الفرعون في محرابه

وتناول فيها بقسوة شخصية عبد السلام عارف عندما وصفه :

يا حزي من زكي وصلى وصام	يا عبد حرب وعدو السلام
-------------------------	------------------------

وقدمت نوك الدول الاشتراكية تسهيلات تسمح بتحويل التبرعات المستحصلة إلى العملة الصعبة . وتمكنت اللجنة من نقل نشاطها إلى الغرب وتمكن الجواهري بمساعدة الشهيد خالد احمد زكي اللقاء بالفيلسوف العالمي براتراند راسل الذي تعاطف مع حملتهم كثير^[19].

ولم يسدد ما قيمته حوالي ثمانية ملايين دولار. ومن جانبنا كما نرى ان هذه الصفقة بالذات ليس لها علاقة بالديون السابقة، وقد دفع العراق مقدمها وكانت في طريقها اليها، وحسب الاتفاق المبرم فان العراق سيدفع بقية قيمتها بعد استلامها، وهكذا كما ندور في دائرة مفرغة او مغلقة. وفي تلك الاثناء اخبرني السفير السوفيتي ان نائب رئيس وزراء بلاده لشؤون الصناعة، او ربما نائب وزير الصناعة سيصل بغداد ويود اللقاء بك. ابلغته فوراً بموافقتي ثم اخبرته بأني ورئيس الوزراء احمد حسن البكر سلّقتي به عند وصوله.

قابلنا المسؤول السوفيتي انا والكر في القصر الجمهوري. فقلت له : نحن ندور، في موضوع الاسلحة، في حلقة مفرغة والسؤال المهم كما نراه : نحن نريد ان ندفع لكم ؟ ونحن رئيس الوزراء ووزير الخارجية نقول نعم. اما انتم فتقولون ان الثمن هو المشكلة وسؤالي لكم : هل تريدون فعلاً تسليم الشحنة ام لا ؟ فأجاب : نعم نريد تسليمكم الشحنة بدليل انها مازالت محملة على ظهر الباخرة ولم يجر تفريغها. قلنا : ليذهب اذن الملحق العسكري السوفيتي ويجمع بالمسؤولين في وزارة الدفاع العراقية ويتفق على جدول للشحن وجدول للدفع في آن واحد وتنتهي المشكلة فوراً. وكانت هذه واحدة من المشاكل التي حتمت علينا نوع وشكل اللقاءات.

بعد وصول صفقة الاسلحة قدمت اقتراحاً وافق عليه مجلس قيادة الثورة، ان ابادر في طلب زيارة الاتحاد السوفيتي فكلّمت السفير وقابلت السيد غروميكو وزير الخارجية على هامش اعمال الجمعية العامة. وكان ذلك على ما اعتقد في اواخر ايلول، وكررت له رغبة العراق في استعادة علاقاته الطيبة مع الدولة السوفيتية. وقلت له : نحن دولة غير منحازة، وحزب البعث العربي الاشتراكي ليس حزباً معادياً للشيوعية وان ما يحصل بين البعث والشيوعيين انما كان بسبب تصدي الشيوعيين بالاسلحة لثورة البعث، ونرجو أن لا تتحول هذه المشكلة او تصبح الاعتبار الوحيد في العلاقات بين بلدينا. فقلت : ان علاقاتكم السيئة مع العراق ستنعكس على مجمل علاقات السوفييت مع البلدان العربية. وذكرته بالاختلاف الذي حصل بين خروتشوف وعبد الناصر خلال عهد عبد الكريم قاسم وانحياز حكومتكم له. وطالبته ان يتعاون معنا في تحجيم نقاط الاختلاف ووضعها في موضعها الطبيعي. وعبرت له عن استعدادي للذهاب إلى موسكو في الوقت الذي يقررونه.

تفهم غروميكو كل ماقلتله. لكن الامور جرت بعد ذلك بسرعة، ولم تتح لزيارتي فرصة التحقق.

اما علاقاتنا بالغرب فلم تتميز بمجديد. ولم تختلف عن السابق وكانت صلاتنا بسفرائهم جيدة بشكل عام، ولم تكن لدينا اية مشكلة مع الولايات المتحدة. وقد نصحننا جمال عبد الناصر بالاستفادة من القانون الامريكي المسمى "الغذاء من أجل السلام" . . . كانت مصر تشتري

استناداً لذلك القمح وتدفع بالعملة المحلية المصرية. فعلنا ذلك واشترينا كمية كبيرة من القمح وفوجئنا بعدم موافقة الجهات القانونية الامريكية على معاملتنا مثل المصريين وحجتهم ان العراق بلد نفطي ولديه كميات وافرة من العملة الصعبة، فوافقنا ودفعنا. وعدا عن هذا لم تحصل بيننا اية احتكاكات باستثناء بعض المضايقات البسيطة مثل تفتيش الحرس القومي للسفير الامريكي ببغداد. وكان يأتي اليّ مشتكيًا ، فأعترى واضطر للقول له : لستم وحدكم تعاونون من هذا ، بل حصة السوفيت وسفيرهم وسفراء الدول الاشتراكية من المضايقات اكبر بكثير فيبتسم وينتهي الامر.

ناصر الحاي ولطفي العبيدي

سؤال : هل مرّ عليك قبل وبعد عام ١٩٦٣ اسماء مثل ناصر الحاي ولطفي العبيدي وعلي عبد السلام وغيرهم من الاسماء التي دارت حولها شائعات كثيرة ؟

طالب الشبيب : في نهاية عهد عبد الكريم قاسم اجتمع المكتب العسكري والمكتب السياسي للبعث لتعيين التشكيلات الحاكمة بعد نجاح الثورة. اقترح عماش ناصر الحاي وزيراً للخارجية ووافق المكتب على الاقتراح. وكان الحاي حينذاك يشغل منصب سفير العراق في سوريا، أي مشرفاً على علاقات قاسم الحميمة بحكومة الانفصال وذلك لم يكن يحصل لو لم يكن عبد الكريم قاسم راضياً عليه وعلى صلة طيبة به.

ناقشت القيادة القطرية هذا التحليل فيما بعد وقررت إستبعاد الحاي من المنصب، لكن صداقة صالح عماش معه ومع لطفي العبيدي لم تتأثر، واستمرت قوية ولذلك عدل في اجتماع آخر للمكتب العسكري إقتراحه، وطالب بتعيينه وكيلاً لوزارة الخارجية وكان له ذلك. وبعد سنين كثيرة سمعت من سعد صالح جبر (ولم اكن اعرف ذلك) ان عماش وحردان وعبد الستار عبد اللطيف كانوا بين آخرين يتعاملون كمستشارين مع مكتب تجاري للاستيراد والتصدير اسسه جبر في بغداد غطاء رواتب ممتازة وإعانات مالية. ولا ادري مدى دقة هذا الامر، خصوصاً وقد سمعت من آخرين بأن ماجرى في بغداد يأتي في سياق علاقات قديمة تربط بين العبيدي والحاي وبين عماش وتصل هذه الصلة إلى صدام حسين عندما اقام في القاهرة.

ربما كان مجيء ناصر الحاي وزيراً للخارجية حكومة (البكر - صدام) عام ١٩٦٨، له دلالة اكبر من مجرد الاستيزار، لكنني لا اعرف اية تفاصيل عن هذا الامر^(١).

١ — ذكر لي احد كوادر حزب البعث العربي للاشتراكي، وكان لاحقاً في سوريا بين عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٧ ومقرباً
←

والفكرة الوحيدة التي ظلت عالقة في ذهني هي ما تم كشفه عن الاجتماعات التي عقدت في دار الحاي في بيروت وفي دارَي الملحقين الثقافيين الامريكى والبريطاني في بيروت ايضا وبرفقة عبد الرزاق الناييف رئيس وزراء حكومة ١٧ تموز ١٩٦٨ ولطفي العبيدي، وربما اجتمع معهم احد الشخصاى الثلاثة عماش او حردان او صدام. وقد نشر لطفي العبيدي في الصحافة اللبنانية في نهاية الستينات صور شيكات مسلمة إلى قيادة سلطة ١٧ تموز ١٩٦٨. مما ادى بالمخابرات العراقية إلى شن حملة إغتيالات وملاحقات شملت كتلة العبيدي - الحاي - الناييف، في كل مكان داخل وخارج العراق.

وليس من شك ان بعض المداخلات المشوهة كانت تحصل بالقرب منا وحولنا. ولكن ليس معنا إطلاقاً (واقصد مع القيادة القطرية للبعث). واتذكر، على سبيل المثال، العلاقة الودية التي كانت تجمع بين علي عبد السلام من جهة وكل من صالح عماش ورشيد مصلح التكريتي وكذلك تردده على احمد حسن البكر وعبد السلام عارف، وقد اعطى لنفسه رتبة عسكرية

من منذر الوندائي. بأن كتلة بيروت المؤلفة من الحاي والعبيدي وغيرهم والمتعاونة مع عبد الرزاق الناييف (مدير الاستخبارات في العراق)، كانت تبحث بين اوساط المعارضة العراقية عن شركاء في انقلاب حديد يجري تحضيره على نار هادئة لتغيير نظام عبد الرحمن عارف، الذي بدا ضعيفاً، بغيره أشد منه. بهدف إيقاف نمو القوى الراديكالية من بعث يسار وشيوعيين (قيادة وجنة) وحركة قوميين عرب والحركات الناصرية المتفرعة عن العربي الاشتراكي، والتي باتت قريبة جداً من إعلان جبهة سياسية تضم بالإضافة لهم الحركة الكردية المسلحة، وقريبة أيضاً من الاستيلاء على السلطة وقلب الأوضاع جذرياً.

وكان شرط مجموعة بيروت للتعاون هو ان يتمتع شريكهم باسم او اسماء مدوية تصلح كغطاء للانقلاب الجاهز، فلم تلك المجموعة تمتلك ضابطاً كبيراً أو سياسياً معروفاً.

فعرضوا الامر على كثيرين، وقالوا لمنذر الوندائي ان نامكانه اذا وافق على عرضهم ان يسافر إلى بغداد ليستلم منصب رئاسة الجمهورية. لكن الوندائي الذي لم يكن عليه غير الموافقة وانتظار البيان الاول، رفض العرض بعد مشاوره القيادة القومية لحزب البعث، وكان حزبياً ملتزماً يرفض التورط بأي عمل مشبوه.

وكما ذكر محمد باروت في كتابه "حركة القوميين العرب" ان هذه الكتلة عرضت أيضاً على قادة حركة القوميين العرب مشاركتها في انقلاب ابيض قادم، لكن الحركيين رفضوا لشكهم بأرتباطات لطفي العبيدي والحاي. وبعد إنقلاب كتلة البكر على حليفاتها كتلة (النايف، الداود، الحاي، العبيدي) اظهرت الاعترافات والتهم المتبادلة اسراراً كثيرة مؤسفة تؤكد ان الاستخبارات الامريكية نشطت في العراق ليس من خلال قناة واحدة، ولا يستبعد ان تكون الولىمة التي اقامها علي عبد السلام في داره عام ١٩٦٣ تصب في ذلك النشاط المتنوع، والغريب أن الرجل دعا لوليمته كل اعضاء مجلس الثورة وصديقاً امريكياً له واستثنى من الدعوة جميع اعضاء القيادة القطرية لحزب البعث. وعرض على المدعويين توسطه لدى الادارة الامريكية لتسليح الجيش العراقي مقابل إطلاع الخبراء الامريكان على كتيبة صواريخ سام السوفياتية الموجودة بمعسكر التاجي[20].

وقد استفسرت برسالة من الاستاذ سعد جبر عن ملابسات هذا الامر والمكتب التجاري المزعوم ؟ فأجاب برسالة قائلاً: انه لم يوظف في مكتب له عماش او حردان او ستار، ولم يعط راتباً لصدام حسين في القاهرة لا مباشرة ولا بالواسطة. لكنه لم ينف ولم يؤكد وجود ذلك المكتب التجاري الذي يفترض وجوده في واحدة من بنايات منطقة حافظ القاضي ببغداد.

لبسها ثم جُردَ منها. ودارت حوله قصص كثيرة من اعمال تـهـريـب كـبـرى وصفقات مشبوهة وعلّامات استفهام كثيرة. وبعد عام ١٩٦٨ في عهد (البكر - صدام) قتل في سياق الملاحقات وتصفية الحسابات وسد ثغرات الفضائح، ووجدت حثته مقطعة.

السعدي يتوسوس من وجود إرادة خفية

سؤال : هناك من يتصور ان علي السعدي احس منذ الاشهر الاولى لاستلام السلطة، إنها بعيدة عنه وليست بين يديه ولا بين يدي قيادة الحزب المدنية. في حين تمكن العسكر من تحسس اهدافهم وتشخيصها واصبحوا يعرفون ما يريدون. ولذلك نفذوا بحماس كل ما شعروا انه يناسب مصالحهم واهدافهم وتباطأوا في تنفيذ ما اعتبروه غير مناسب من قرارات قطرية الحزب، فـشـعـر السعدي تدريجياً انه والجنـاح المدني لا حول لهم ولا قوة إزاء إرادة خفية وربما مشبوهة تتآمر وتملك مخططاً جاهزاً للتنفيذ وبلا رحمة ولذلك تباطأ وخفت حماسه فما رأيك ؟

طالب شبيب : ليس ذلك صحيحاً، ولم يصبح السعدي بلا قوة. وكانت لديه كل الصلاحيات السياسية التي تمنحه القوة التي لم ينافس عليها احد. كان لديه كل شيء، لكنـه ترك الامر واهمل كل شيء، في وقت لم يكن مطلوباً منه سوى الاتزان والتفرغ لمسؤوليات الدولة. وكان بإمكانه لو فعل ان يجد الوقت الكافي لممارسة هواياته وميوله الأخرى، فيفصل بين حياته كمسؤول وممارسة رغباته الخاصة. لا ان يتصرف كلياً بفوضوية تسخر وتهزأ من مؤسسات الدولة وقادتها رغم وجوده بداخلها وعلى رأس زعامتها^(١).

واكرر رأيي بأن القيادة القطرية المدنية كانت قادرة حتى بداية شهر تشرين الثاني ١٩٦٣

١ — يبدو ان آراء وأخبار وقرائن كثيرة تخالف الاستاذ شبيب بعض الشيء، وتؤكد ان السعدي عرف من خبرته المدى الذي يمكن ان يذهب اليه العسكريون. انهم سيقتلون ويسحقون من يقف بوجههم ولذلك قُدر (في الاشهر الاخيرة من حكم البعث ٦٣) اختيار الحل السياسي، واذا لم ينجح فالانسحاب بهدوء من واجهة السلطة، وانتظار فرصة أخرى مناسبة. واذا لم تأت تلك الفرصة يكون هو وتياره قد اصبحوا خارج السلطة دون سفك الدماء ودون خسائر كبيرة. وجاءت الفرصة في المؤتمر القطري الاستثنائي، فأرادها سلمية، وارادوها خصومة عسكرية فاستولوا على المؤتمر باختراقه، وتحكّموا بنتائجه. وتصرف السعدي بهدوء، وكانت تلك من المرات القليلة التي ينجح في تطبيق العقلانية والمسالة على نفسه وتياره.

وذهب الفكيكي إلى مثل هذا الرأي قائلاً : ان السعدي فقد رغبته في شد اوضاع السلطة وفي إعداد جماعته للمواجهة لقناعته بأن الخط الآخر قوي عسكرياً ومستعد للفتك بخصومه اذا تحركوا حركة طائشة.

على اصلاح الوضع وحماية سلطة الحزب لو اراد على ذلك، ولم يكن مطلوباً منه غير منع وجود جيشين في دولة واحدة^(١).

١ — روى لي شاعر العراق مظفر النواب في برلين: ان علي السعدي بعد عودته من المنفى، عبر عن رغبته بإقامة علاقة طيبة معه (مظفر)، وكان يلح على خلوة معه يدافع فيها عن نفسه . وكان الشاعر يصده بسبب موقفه من قيادة نظام ١٩٦٣ الذي مورست فيه أعمال القتل والتعذيب وتصرفات غامضة أو مثبوهة . وكان السعدي قائداً لذلك النظام (على وجه التقريب) . ورغم الصدود ظل السعدي يلح على النواب الذي لم يتصرف كشاعر فقط بل كقائد سياسي (القيادة المركزية)، ويكرر طلبه كلما تصادفا في بيوت الاصدقاء المشتركين أو المنتديات العامة. وعندما أذعن النواب وإستمع إليه، طالبه السعدي بأهمية ان يصدق مايلي:

اولاً : انه (اي السعدي) والخط القريب منه لم يكونوا إطلاقاً على صلة بأية جهة احببية. وألح على ضرورة ابلاغ ممثلي الاطراف الوطنية شيوعيين وحركيين واكراد وبعثيين يساريين بذلك.

ثانياً : طالب القيادة المركزية للحزب الشيوعي العراقي واليسار عموماً، بضرورة الوصول بالتعاون والتخطيط لمسلك زمام السلطة، لانه يعلم ان اخطاراً جسيمة تنتظر العراق، واكد استعداده ورغبته الشديدة بمحكمة عادلة وعلنية يقف فيها متهماً ليعترف بحقيقة ما جرى قبل ١٤ رمضان ١٩٦٣ وخلافاً، ليصير ممكناً للآخرين الحكم بعدالة على القضايا المتعلقة بتلك المرحلة القاسية. أي انه طالبَ بعدم التصديق بالدعايات والاحاديث المرسلة بلا مسؤولية.

ثالثاً : قال انه وبعد دقائق من ثورة رمضان اكتشف انه وجماعته يسرون دون ارادتهم بقطار ماكنته امريكية ١١

رابعاً : طالبَ ان تستمر مفاوضات الجبهة الوطنية بين قوى المعارضة وبضرورة قبول "حزب العمال" طرفاً فيها، وانه مستعد ان ينسحب من قيادة الحزب بسبب ما يعتقدونه من دوره في مقتل قيادتهم في عام ١٩٦٣.

خامساً : قال عن قيادة ١٧ تموز ١٩٦٨ "كلهم عندهم علاقة مع السفارة البريطانية - ما عدا البكر الذي لا أعرف عنه شيئاً". وبعد ذلك جلسنا إلى بقية الحضور فقال بحضور أمل الشرقي وعبد الجبار محسن وآخرين انه يخاف كتابة مذكراته لانها ستودي لقتله وربما الاساءة لزوجته.

لكن النواب يعتقد ان السعدي كتب شيئاً وتركه في مكان ما، وقد أفادت "هنا" بما يوحي بذلك. ويقول النواب ان السعدي كرر ذلك عندما التقاه في بيروت.

وفي هذا السياق اخبرني يونس الطائي ان السعدي اخبره في ١٩٦٧ بالقاهرة وكرر في بغداد "أنهم جاعوا، دون قصد، بقطار ماكنته امريكية. وكان الطائي يسكن في مدينة السيدة زينب بغرفة متواضعة، علق فوق رأسه صورة تجمع بينه وقاسم وبن بيل وتحتها كُتِبَ بيت شعر من نظمه:

يظل الحق منهزماً زماناً ثم ينتصر

وذكر اللواء الركن اسماعيل العارف "اسرار ثورة ١٤ تموز" انه قابل السعدي في لبنان وسأله "كيف راحت السلطة من ايديكم ؟ فأجاب : انهم جاعوا في القطار الامريكي وكانت جماعة امريكا اقوى من اية جماعة اخرى". ونقل كثيرون انهم سمعوا من السعدي مثل ذلك الكلام. واخبرني بعض الطلبة في براغ انهم سمعوا من السعدي مثل ذلك اكثر من مرة، وانه كرر ذلك الكلام في حفلة وطنية اقامها الطلبة بحضور د. عبد الحسين شعبان و ع. ف. والرحوم موسى اسد الكريم (ابو عمران)

مراجع:

- [1] هاني الفكيكي ، أوكار الهزيمة، مرجع سابق، ص ٢٦٩.
- [2] حسن العلوي، دولة المنظمة السرية، شركة المدينة للطباعة والنشر جدة، ١٩٩٠ ص ٩٠ - مأحودة عسن وثائق المحكمة العسكرية الخاصة العليا جزء ٢ ص ٤٠ .
- [3] راجع خليل ابراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، مصدر سابق.
- [4] حيفري ارونسن، واشنطن تخرج من الظل، مؤسسة الانبث العربية، ١٩٥٦، بيروت، ص ٩٠.
- [5] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، م س، ص ٢٨٧.
- [6] عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مصدر سابق، ص ٦٠ — ٦١.
- [7] صالح حسين الجبوري، ثورة ١٤ رمضان، مصدر سابق، ص ١٣١.
- [8] الشيخ مهدي الحالصي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦/١/٧.
- [9] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مصدر سابق، ص ١٦١.
- [10] أمين هويدي، مع عبد الناصر، دار المستقبل العرب، - القاهرة، ط ٢، ١٩٨٥، ص ١٥٢.
- [11] د. مؤيد النداي، الوثائق السرية، مصدر سابق، راجع المقابلات مع محمد صديق شنتل وعد العريز العقيلي وعبد الرحمن البزازة محمد مهدي كبة، وغيرهم.
- [12] عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مصدر سابق، ص ١٨٨.
- [13] أمين هويدي، مع عبد الناصر، م. س. ص ١٤٨ ، ١٥٣.
- [14] أكد الاستاذ أحمد الحبوبي في رسالة للدكتور علي كريم سعيد في ١٩٩٦/٣/٥ نفس كلام شبيب، لكنه أضاف بأن القاهرة لم تكن فرحة بانفراد البعثيين بالسلطة.
- [15] طالب شبيب، مقابلة، دمشق، ١٩٩٥.
- [16] محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، مصدر سابق، ص ٦٧٦.
- [17] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مصدر سابق، ص ١٣٩.
- [18] زكي خيري، مذكرات، مصدر سابق، ص ٢٤٠.
- [19] محمد مهدي الجواهري، ذكرياتي، ج ٢، ص ٣٠٤.
- [20] عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مصدر سابق، ص ١٥.
- [21] مطفر النواب، مقابلة، برلين، ١٩٩٤ في سياق استعراض دور التآمر الدولي في العراق.
- [22] يونس الطائي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٥.

البيرية المسلحة^(١) حركة حسن السريع

سؤال : هل لك ان تحدثنا عن ما اصطلح على تسميته بحركة حسن السريع، او انتفاضة ٣ تموز ١٩٦٣ ، وانعكاس ذلك على السلطة آنذاك ؟

طالب الشبيب : كانت ترد إلينا بين حين وآخر معلومات من قيادة الحرس القومي وجهاز الأمن عن وجود تنظيم عسكري شيوعي يضم ضباط صف وجنوداً، إضافة إلى وجود وقيام خلايا شيوعية مدنية قليلة العدد، بدأت نشاطها في بعض أحياء بغداد، وبعض المحافظات في أنحاء مختلفة من البلاد، وان قيادة الحرس القومي قد تمكنت من كشف بعض تلك الخلايا واعتقال عناصرها.

ورغم اهتمام قيادة الحرس القومي بالأمر، لم تأخذ قيادة الحزب القطرية ذلك مأخذ الجد^(٢). لأن حزب البعث كان يسيطر على جميع أسلحة الجيش في بغداد ومحيطها، ويقود كتائب الدبابات الأربع ضباط بعثيون بعد ان تم تنقية كافة مراتبها من المشكوك في ولائهم. أما وحدات المشاة فتوزعت قيادتها بين ضباط بعثيين وآخرين مواليين.

وبضمانة الجيش، وهو أهم أدوات السلطة، كان من الطبيعي ان لا نشعر بالخوف، بل عشنا أجواء ظننا انها آمنة، قبل ان نفاجأ بما سمي بحركة او تمرد حسن السريع.

وعلمت شخصياً بحصول تمرد في معسكر الرشيد من مكالمة وصلت إلى مكتب حازم جواد الذي جاء إلى بيتي مرتدياً بدلة عسكرية، واخبرني بوجود تمرد عسكري في الرشيد. ومن داري

١ — البيرية هي غطاء الرأس العسكري الذي يلبسه الجنود.

٢ — حدثنا احمد العزاوي (عضو القيادة العامة للحرس القومي) في عام ١٩٧١ بدمشق ، بأن قيادة الحرس القومي عندما علمت بوجود بعض خلايا "التنظيم الجديد" للحزب الشيوعي في بغداد وبعض المدن، لم يغمض لها جفن، واستنفرت كامل قواها ولم تهدأ قبل ان تضع يدها وتتحكم بالأمر [1] وقد ذكر العزاوي ذلك في سياق حديثه عن المجهودات والأرق الذي يصيب نظام بغداد بسبب النشاطات السرية التي تقوم بها قوى المعارضة العراقية.

أجرى اتصالات بوزارة الدفاع والقصر الجمهوري، فأخبروه ان الأمور أصبحت تحت السيطرة. لكن التبرم والانزعاج ظهر جلياً على وجهه حينما عَلِمَ ان عبد السلام عارف يقود بنفسه كتيبة الدبابات الرابعة التي أصبحت بعد ثورة ١٤ رمضان كتيبة دبابات القصر الجمهوري، فصعد إلى الدبابة الأولى وقاد رتلاً من الدبابات نحو معسكر الرشيد.

واعتقد ان تصرف عبد السلام وتصدره للعملية كان وراء تحسس وإلحاح حازم جواد لكي نذهب فوراً إلى المعسكر لرؤية ما يجري على الأرض، ولنكون موجودين عندما تتخذ قرارات عسكرية، وربما تكون خطيرة وبذلك لا نترك الفرصة لعبد السلام عارف ان يظهر بمظهر المنقذ والحامي لحكم البعث.

ومع الأسف ثبت لنا بسرعة عدم سداد هذا الرأي. وكان من الأفضل ان نذهب إلى مقرات القيادة في وزارة الدفاع او القصر الجمهوري.

ركبنا سيارته أنا وهو وأخي بهاء شبيب، وكان يقودها حامد جواد أخو حازم جواد ، وهو ضابط في القوة الجوية ومسؤولها الحزبي. ولم يكن معنا غير مسدساتنا الشخصية ورشاشة كلاشينكوف واحدة. وعندما دخلنا معسكر الرشيد وجدنا أنفسنا وسط فوضى عارمة. وكانت الدبابات التي يقودها عبد السلام عارف قد دخلت قبلنا بقليل، والمدفعية ترمي بكثافة والقتال محتدم، ووحدات من الحرس الجمهوري موجودة تتخللها مجموعات من الجنود، وآخرون بملابس الحرس القومي. وكل هذه القوى تختلط ببعضها بصورة فوضوية عجيبة.

ولم يكن هناك أي مظهر يدل على وجود قيادة او تنظيم مركزي، بل لم يكن أحد يعرف إلى أي طرف ينتمي هؤلاء وأولئك، وكنا نعلم ان الحرس القومي متسيب، لكننا فوجئنا بمستوى ما تجسّد أمام أعيننا من فوضى غير متوقعة وغير معقولة^(١).

١ — فجر يوم ٣ تموز ١٩٦٣، وكان الظلام مازال طاغياً، إنجّه العريف حسن السريع مع مجموعة من جنود وضباط صف المدرسة المهنية العسكرية وبعض المدنيين بزي عسكري فضلاً عن جنود ملتحقين من وحدات أخرى، انطلاقاً من مهاجعهم، صوب كتيبة الهندسة بمعسكر الرشيد، وكان بعضهم يرتدي ملابس ورتب الضباط. وعندما أصبح على مسافة مجدية من حرس باب نظام الكتيبة، رفع وبمركبة سريعة وذكية بيريتيه طالباً منهم بحزم وثقة إلقاء أسلحتهم، مستغلاً ستار الظلام وجلية الرجال الذين معه، ليوهم الحراس بأنه وبقية العسكريين المرافقين يحملون أسلحة وينفذون خطة مدروسة ومعدة سلفاً. وبأن ما يقومون به ذو شأن كبير وجزء من عمل واسع . . . دار ذلك بخلفه وأوحى به حركة البيرية في أذهان الجنود الحراس البسطاء، الذين ذهلوا ورموا أسلحتهم مستسلمين.

كانت تلك بداية انطلاق ما سمي بحركة حسن السريع التي تمكنت من احتلال كتيبة الهندسة ثم اغلب أجزاء المعسكر الذي احتوى على أكبر قوة في بغداد، ضمت الطائرات والدبابات والمدركات وسلاح الهندسة والمشاة وغيرها. كما تمكنا من اعتقال عدد من الضباط الموالين للحكومة، وتجهيز بعض الطائرات بانتظار الضباط الطيارين بعد إخراجهم من سجن رقم واحد الواقع في المعسكر ذاته والذي صم حوالي ٥٠٠ ضابط شيوعي وقاسمي، ليتم توزيعهم على

سرنا وسط تجمع من الجنود وأفراد الحرس القومي، فأوقفت سيارتنا من قبل مجموعة يرتدي أفرادها ملابس مماثلة لما يرتديه الحرس القومي، وطلبوا الهويات، فقدمناها لهم ونحن نلومهم

الوحدات في المعسكر، وإلى معسكرات التاجي وابو غريب والمحاويل وبعض الوحدات المستقلة في بغداد، فضلاً عن دعوة عدد منهم للمساهمة في قيادة الحركة وتسييرها. وكان للحركة جود موزعون على كل الوحدات ومبلغين بأن ساعة الصفر لبدء العمل على اعتقال ضباطهم هو الوقت الذي يصل فيه الضباط المطلق سراحهم إلى تلك الوحدات. وكانت الحركة قد أحرزت الحركة اتصالات مع شيوعيين في بغداد وبعض المحافظات، ومع منظمة الفرات الأوسط التي لم تنصر كثيراً بسبب لجوئها إلى الريف بقيادة عضو المكتب السياسي باقر إبراهيم الموسوي ويعاونه عضو اللجنة المركزية الاحتياط صالح الرازقي وزكي عضو المكتب السياسي المحفّض إلى عضو قاعدة وعدنان عباس. ومع مدينة الناصرية، وبأنصار كثيرين يقطنون أحياء بغداد الشعبية الجديدة كالأغفرانية والثورة والشعلة والحرية، والتنسيق معهم لكي يبدؤوا بالسيطرة على معسكراتهم أو على الأقل إثارة القلاقل بمجرد بدء الحركة. وكان هدف الاتصالات الواسعة هو التحاق بأفكار متفرقة كثيرة توحى باتساع الحركة وتوزع أو تشتت قوة ردود فعل الحكومة وإضعاف معنويات المترددين من أتباعها، فيكسب الثوار وقتاً ضرورياً يسمح بالنجاح أنصار كثيرين متوقعون، كما يسمح للضباط الشيوعيين والقاسميين المطلق سراحهم من سجن رقم واحد في أخذ مواقعهم والبدء بالتعاون مع الجنود للسيطرة على مراكز قيادة الوحدات. وكان أمل السريع ورفاقه كبيراً بتحاوّل جنود الجيش الذين غالباً ما ينحدرون من أوساط اجتماعية يُعتدُّ أبناءها أسهم مظلومون، ويتعاطفون مع قاسم الذي تقرب إليهم بإقامة مشاريع لمصلحتهم. ولم يخف الغالبية منهم مشاعر الأسف لعدم توفر الفرصة لهم في ٨ شباط للدفاع عنه، وهاهي الفرصة تأتي مع محاولة انقلابية جديدة للثأر، حيث ستتم دعوة الجنود لاعتقال الضباط غير المتعاونين وتنصيب الخارجين من السجن محلهم أو حتى تنصيب ضباط الصف قادة للوحدات مؤقتاً، إذا تطلب الأمر، تمهيداً للسيطرة على السلطة السياسية. وعُلم من التحقيقات والمعلومات الراسخة هنا وهناك أن السريع وجماعته قد فكروا بأدق التفاصيل وأعدوا خطة جريئة كانت تحتل النجاح لولا ملائسات بسيطة أهمها: "جن" قائد الدبابة الوحيدة المشاركة في الهجوم على معتقل الضباط، وكان يقودها الجندي "خلف شلتاغ"، فضلاً عن استئصال المدافعين عن السجن، مما سبب تأخر إطلاق سراح الضباط وأعطى الحكومة وقتاً. فخسر الثوار عنصر المفاجأة والمبادرة، وحوصرت حركتهم داخل المعسكر بانتظار حسم معركة السجن وتطير الطائرات القاصفة واستخدام الدبابات وبقية الأسلحة. ورغم بساطة الخطة الموضوعة وسهولتها إلا أن قسوة القمع الذي تلى فشلها، وتنفيذ أحكام الإعدام بأهم رجالها واستمرار الحكومات التالية في ملاحقة المساهمين بها وسجن الأحياء منهم وإخفاء وهرب المتعاونين معها على مدى سنين طويلة، فضلاً عن اكتظاظ السنوات التالية بأحداث مريرة، سالت فيها الدماء وانشغلت فيها الأنفس، أدت إلى ضياع معلومات وتفاصيل كثيرة عنها. ولهذا نحن الآن لا نعرف بالضبط مستوى التنسيق الذي قام بين الجنود والضباط المعتقلين في السجن رقم واحد، وهل وافق الضباط التعاون والمساهمة في الحركة؟ وفي براغ ١٩٧٧ سألت الضابط غضبان السعد بحضور المرحوم موسى اسد والرحوم شمران الياسري (ابو كاطع) ود. عبد الحسين شعبان عن الأمر، فأجاب: لقد أبلغ السريع قيادة منظمة السجن بخطته الانقلابية، بما في ذلك دور الضباط فيها. ولم يؤثر على ثقتهم بتعاوننا عدم تسلمهم رداً صريحاً بالموافقة والتعاون. وأضاف السعد: "إن عدم ردنا عليهم سببه الرغبة في تلافي إغضب قيادة الحزب التي أظهرت تردداً في دعم الحركة". وأكد هذه الحقيقة د. حامد أيوب العاني الذي استقى كثيراً من معلوماته من المرحوم هاشم الآلوسي. كما أكد أغلب من التقيناهم من الضباط المعتقلين، أنهم كانوا سيتعاونون بلا تردد، لو تمكنت الحركة من إطلاق سراحهم. بل إن غضبان السعد ظل طوال حياته يفتخر بالمنصب الذي منحه له الحركة في حالة نجاحها، وقد طالبني بحضور المحامي رؤوف ديبس، أثناء مجادلة حول الأمر، إن أحترم ما يقوله وإن أُصَدِّق بأنه كان سيكون رئيساً للعراق، لولا الحظ السيء، مستنداً إلى نية الثوار بتعيينه قائداً للجيش [2].

بشدة على قلة انضباطهم وعلى تصرفاتهم التي لا تدل على نظام او تنظيم. وكان تقديرنا انهم من شباب الحرس القومي، وفجأة تحولت رشاشاتهم إلى صدورنا وطلبوا منا النزول من السيارة. وفي نفس تلك اللحظة الحرجة كان حامد جواد الذي يرتدي بدلتة العسكرية قد ترجل وتمكن من التملص، ولا ندري هل تركوه يذهب احتراماً لبدلتة العسكرية بأعتبارهم جنوداً، ام لأن تركيزهم استقر علينا فقد كما صيداً ثميناً (وزير خارجية ووزير داخلية)، فأحاطوا بسيارتنا وامرونا بالنزول بعد ان اطلقوا بضعة إطلاقات اصاب سقوف السيارة. واعترف ان اسلحتهم لم تكن موجهة عند الرمي اليها مباشرة.

كانوا ثمانية اشخاص، إقتادونا نحن الثلاثة - انا وحازم وبهاء - نحو حائط قرب بوابة معسكر الرشيد الرئيسية. فأيقنا اننا سنقتل، ولا استطيع الآن ان اصف لك شعوري، لأنني لم اشعر بشيء، لا خوف ولا رهبة ولا أي شيء آخر. فالقضية كلها تمت في لحظات. والمفاجأة بحد ذاتها لم تترك متسعاً للخوف ولا لأي شيء آخر. ولم يتجسد في ذهننا سوى فكرة واحدة هي اننا سنقتل، وليس امامنا، كما يبدو، سوى ان نتصرف بجلادة وصبر، فمادامت النهاية محتومة فإن الشجاعة افضل من الضعف.

وقفنا بإتجاه الحائط، ووقف خلفنا الجنود وكان قد صدر لهم امر بسحب الاقسام من قبل عريف، مازلت اذكر اسمه "صباح ليلية" وهو آشوري. وكنت قد تدربت في دورة عسكرية لضباط الاحتياط واعرف ما يعنيه ذلك، فستكون الرصاصات قد إندفعت إلى سبطانة البنادق، وبعد فاصلة زمنية قصيرة جداً سيصدر الامر بالرمي. وفي ذلك الجو الفوضوي، يستطيع أي شخص ناغم او متهور ودوغماً مساءلة ان يقضي علينا بضغطة زناد.

وفجأة!! سمعنا صوت عسكري عالي النبرة، يأمر الجنود بالتوقف، فالتفتوا ورائهم ليكتشفوا انهم محاطون بقوس يتكون من فصيل كامل من الحرس الجمهوري، وعلى رأسه ضابطان هما حامد الدليمي وكنا نعرفه ويرافقه حامد جواد (سائقنا الذي ترجل)، فكانت اكثر من اربعين رشاشة مصوبة إلى صدورهم.

ومن حظنا الطيب، وحظ أسرنا العاثر انهم كانوا بسطاء ولم يدركوا ان الدليمي وجنوده لم يكونوا قادرين على الرمي، لأن مجرد إقدامهم على ذلك سيعني قتلنا، لأن أسرنا ينفون على خط مستقيم بيننا وبين محاصريهم. وهو امر لم يكن حامد الدليمي او حامد جواد قادرين على المجازفة او التورط به. كما انهم رغم قراءتهم لهوياتنا ومعرفتهم لمراكزنا، لم يتشبها بنا ويساوموا علينا، وهو امر كان سيساعدهم كثيراً، ويكسبهم الوقت الكافي للحصول على نجدة او للهرب والاختلاط بالجنود المبعثرين داخل وخارج المعسكر في حالة من الفوضى لا يعرف لها مثيل. ويبدو ان الارتباك سيطر عليهم عندما وجدوا انفسهم امام

عسكريين نظاميين يفوقونهم عدداً، فرموا اسلحتهم واستسلموا، فتمَّ إنقاذنا، بما يشبه المعجزة، وفوراً أمر الضابط حامد الدليمي بإعدام الجنود الثمانية^(١).

علمنا فيما بعد أن القائد العام للحرس القومي منذر الوندائي ونائبه نجاد الصافي وآخرين

١ — كانت البدرة الاولى لحركة السريع قد بدأت إنطلاقاً من محاولات فردية لاستعادة التنظيم قام بها الشيوعيون بعد ان وجهت اليهم حركة ٨ شباط ضربات قاصمة قطعت اوصال منظماتهم. لكن خلايا ومنظمات حزبية قاعدية في كل القطاعات الاجتماعية والعسكرية، ظلت بعيدة عن ايدي السلطة واجهزتها، وبفس الوقت تجمد عملها وظلت بعيدة عن امكانية تحقيق الاتصال بمركز قيادتها، سبب قسوة الظروف ومقتل وهرب او سجن المسؤولين المباشرين عنها. فدبت الفوضى والاعمال الفردية، حتى ان احد الشيوعيين كتب بياناً بخط يده ووزعه بسرية بتوقيع "الحزب الشيوعي في الدورين". . . ويبدو ان جماعة حسن السريع كانت واحدة من تلك المنظمات النائية، بحكم ان مسؤولي أكثر المنظمات الحزبية العسكرية كانوا بين القتلى والسجناء ويواصل بعضهم وجوده في السجن منذ ما قبل ١٤ رمضان ١٩٦٣. ولم تنضج فكرة الحركة الا بعد التقاء منظمة السريع الصغيرة بمنظمة عمالية نائية اخرى أكبر منها يقودها "ابراهيم محمد علي" الذي امتلك معنوية عالية، وكان عضواً في اللجنة العمالية ببغداد، وهي لجنة هامة تتصل مباشرة باللجنة المركزية للحزب الشيوعي (ويُعتقد ان صادق جعفر الفلاحى يعرف عنها وعن مواقفها المتمردة على سياسة الحزب حتى قبل ٨ شباط)، وتتكون اللجنة من ثلاث لجان هي العمالية الكبرى وتضم عمال المنشآت الكبيرة كالنפט والكهرباء، والوسطى وتضم المصانع المتوسطة كالمياه الغازية والنسيج والصغرى وتضم عمال المطابع والافران وسائر المنشآت الصغيرة. وكان ابراهيم محمد علي وهو "كردي" عضواً في القيادة العليا لهذه اللجان ورئيساً للصغرى "النائية" وعندما تقطعت الاتصالات ابلاغ اعضاء هيئته بما حل بالحزب واقتراح الاستمرار بالعمل، واعتبار ان لجنتهم هي الحزب، ريثما تنفرج الامور، واعتماداً على حركيته العالية اخذ يغذي لجنته والمتصلين بها بمعلومات يستقيها من الاذاعات ومن مصادر اجتماعية وسياسية مختلفة، بعد ان يجري عليها التحويل والتأويل فيضيف اشياء ويحذف اخرى بهدف تمييزها واضفاء شيء من السرية والرعب على مصادرها وذلك ينفع عادة في جعل العمل الحزبي السري متماسكاً.

وهكذا نشط هذا الخط فاتصل بالطلبة والجنود وعدد من المنقطعين ولكن بحذر شديد جداً، يتناسب مع قسوة النتائج في حالة انكشاف امرهم. وبسبب تضخم التنظيم قرروا تخصيص العمل، فجعلوا العسكريين في منظمة مستقلة تكلف بها محمد حبيب "ابو سلام" وهو عامل مقهى، وتمكن بسبب مهمته الجديدة التعرف على حسن السريع. ورغم استقرار عمل اللجنة المذكورة الا ان قيادتها لم تتوقف يوماً في البحث عن وسيلة للاتصال باللجنة المركزية للحزب (جمال الحيدري والعبلي) ويبدو ان بحثهم الملح عن المركز قد اوقع زعيمهم ابراهيم محمد علي، إذ تمكن احد الشيوعيين المتعاونين مع لجان التحقيق الخاصة (خط مائل) من اصطياده مدعياً القدرة على ايصاله إلى قيادة الحزب، وهؤلاء المتعاونون تحولوا إلى "قناصة" يجوبون جميع انحاء بغداد لاقتناص الشيوعيين الذين ما زالوا احراراً ونشطاء او متخفين. وهكذا عاد ابراهيم من لقائه ليبشر رفاقه بعثوره على صلة بالحزب. وفي اليوم التالي ذهب حسب الموعد للاتصال. عن اعتقد انهم صلة الوصل، فاصطادوه وقادوه إلى "قصر النهاية"، فعذب ومات دون ان يعترف او ينطق حتى بكلمة واحدة!! فاستلم التنظيم بعده محمد حبيب، وفوراً بدأ يفكر، بدفع من العسكريين الذين ارتبط بهم، بحركة أكثر جدية وأكثر من مجرد جمع وتنظيم الانصار، فأعد العدة ونسق مع حسن السريع الذي تميز بالصلافة والقدرة على الاقتناع والحماس المطلق لما ينوي القيام به. فأعدت خطة الحركة وشكلت قيادتها تحت اسم "اللجنة الثورية"، ونشط المدنيون لتهيئة الاجواء والاتصالات وتهيئة القادرين منهم على حمل السلاح للدخول إلى معسكر الرشيد بمساعدة بقية الجنود للمساهمة في التنفيذ.

سبقونا في الوصول إلى المعسكر قد وقعوا في الأسر، وهم الآن معتقلون. وحينذاك تأكدنا بصورة ملموسة بأن الحرس القومي غير قادر على القيام بأية مهمة عسكرية حقيقية وفعلية، وليس أدل على ذلك من أن أول من وقع في الأسر قيادته التي إنجرت سريعاً لخديعة بسيطة، فأدخلت نفسها في وسط من الفوضى ليس لك أن تميز وانت بداخله العدو من الصديق، والجندي من الحارس القومي أو الثائر المتمرد. وأحسنا بالفارق الكبير بين تصرف القوة النظامية وغير النظامية، من خلال رصد موقف وسلوك سرية الضباط حامد الدليمي بالمقارنة مع عشرات الحراس القوميين الذين لم يفعلوا سوى زيادة الطين بلة.

اخبرنا حامد جواد انه بعد ان تخلص من سيارتنا ذهب باحثاً عن نجدة لتخليصنا، فوجد الضباط الدليمي على رأس سرية من الحرس الجمهوري فأخبره بوقوعنا في الأسر وباحتمال ان نقتل فوراً، فتحرك بفصيل منها بسرعة ونفذ بعد رصد المكان عملية انقاذنا. وكان وضع المعسكر حتى لحظة إطلاق سراحنا غير مستقر، يختلط فيه "الحابل بالنابل" والقتال محتدم ولا احد يستطيع التمييز بوضوح بين الموالين والمعادين، ولم تكن السيطرة واضحة لأحد. وعلمنا ايضاً عدم وجود ضباط بين المتمردين وانما كلهم كانوا جنوداً وضباط صف وحزبيين مدنيين، وانصب تركيزهم على احتلال السجن رقم واحد، لأطلاق سراح الضباط، لكنهم واجهوا مقاومة غير متوقعة من سرية حراسته^(١).

١ - لم تحسب قيادة الحركة حساباً لصدور سرية حراسة السجن، بل اعتبرتها فاصلة جزئية من عملها الكبير، فأربكها صدور حراس السجن الذي استغرق وقتاً كافياً للوصول دبابات القصر الجمهوري، وخلال المعركة قُتل أو انتحر أمر سرية حراسة السجن حازم الصباغ (الاحمر). ولا يمكن الآن الحكم بسهولة على امكانية فشل أو نجاح الحركة لو لم تقف تلك العقبة بوجه المتمردين، خصوصاً وانهم كانوا مبادرين واثقارين، ولديهم الفرصة بالاستعانة بمئات الضباط المختصين بمختلف صنوف الاسلحة، إذ لم يجتمع مثل هذا العدد "٥٠٠" ضابط لأية حركة من قبل، لا لثورة تموز ولا رمضان. ولا إنقلاب ١٧ تموز او غيره. وقد خسرت "اللجنة الثورية" بسبب عدم اطلاق سراحهم امكانية اعطاء اشارة البدء للوحدات والمعسكرات الاخرى. اما السلطة فلم تتوقع ما حصل إطلاقاً ولم تتخذ اية احتياطات او تضع خطة طوارئ للمواجهة. ان الغرابة والإثارة فيما حصل تكمن في الكيفية التي تمكن بها جنود لا يزيد متوسط اعمارهم عن الخامسة والعشرين، ولم يقضوا في مدرسة الحياة فترة كافية، ولم يصل أي منهم إلى مستوى عضو "لجنة محلية" داخل حزبه، من مجرد التفكير والتخطيط لقضية بالغة التعقيد وخطيرة مثل الاستيلاء على السلطة السياسية والتخطيط لذلك بهدوء، في حين جرت العادة ان يضرب العمال عن العمل ويهرب الجنود من قطعاتهم اذا كانوا غاضبين. لذلك فإن ما جرى يعكس، في تقديري، المستوى السياسي المتطور الذي وصلت اليه المدارس الحزبية العراقية كالمدرسة البعثية التي فاجأت نظام قاسم بعمل فائق التنظيم، والشيوعية التي كان السريع نموذجها. لكن هذا وحده لا يمثل سوى الامكانية والجانب الفني للمسألة، ولا يشكل دافعاً كافياً للتحرك والمجازفة في مواجهة القسوة والموت. ولذلك وبعد إستقصاء من كثيرين وجدت ان هؤلاء الشباب قد تملكهم شعور وموقف ثابت هو ان السلطات المتعاقبة تضمهر لهم ولطموحات أهاليهم العداوة المستمرة، فاستقر بذهنهم موقف سلمي من مؤسسة الدولة. وما نذكره هنا يجد صداه ايضاً في الجهة الاخرى حيث قرر عسكريو ٨ شباط — حتى قبل البدء بالانقلاب العسكري — إستبعاد الجنود من قيادة الدبابات، واشتروا الضباط لقيادتها بواقع ثلاثة لكل دبابة. وكان سبب

←

وعلمنا ان قائد التمرد ضابط صف اسمه حسن السريع، وانه تمكن من الهرب، وان القوات الحكومية تمكنت الآن (الساعة السابعة صباحاً) من تطويق التمرد، وهي في طريقها لسحقه وإخماده، وقد تحقق ذلك وألقي القبض على اكثرية المتمردين.

دام التمرد عدة ساعات، وقد دخلنا المعسكر وتعرضنا للاسر في الساعة السادسة صباحاً، وانتهى القتال واستتبت الاوضاع في حدود الثامنة صباح نفس اليوم. واذكر انني كنت مرتبطاً بموعد مع وفد برلماني بريطاني يزور العراق، في مبنى وزارة الخارجية في الساعة الثامنة من صباح ذلك اليوم ايضاً، فأسرعت إلى الوزارة وتم الاجتماع، وحينها سألت ضيفي اذا كانوا قد سمعوا اطلاق رصاص أو أية أخبار مقلقة عن الوضع الأمني في البلاد؟ فردوا أنهم لم يسمعوا شيئاً وان الامور بدت لهم على ما يرام. فأخبرتهم بأنهم سيمعون بعد قليل من الاذاعة بأن تمرداً بسيطاً حصل في احد المعسكرات، وامكن السيطرة عليه بسهولة وبسرعة. ولم اخبرهم بما جرى لي، غير انهم علموا بذلك قبل مغادرتهم الوزارة. فعبروا عن استغرابهم واعتذروا عن حضوري الاجتماع في تلك الظروف الاستثنائية، بعد ان كنت معتقلاً. وحينذاك كان الخبر قد شاع في بغداد كلها وبدأت التلفونات والبرقيات تصل مهنئة بالسلامة.

وفي اليوم نفسه اجتمعنا في الساعة الواحدة ظهراً في وزارة الدفاع بدلاً من القصر الجمهوري، لأن المعلومات عن العملية كانت ترد إلى هناك تبعاً. وطلبنا في حينه من وزارة الدفاع ومن ادارة الحرس القومي رفع تقارير تفصيلية عن ما جرى وعن نواحي الخلل، وتقويم الموقف لدراسة الاسباب التي أدت إلى فشل الحرس القومي في كشف وردع المحاولة قبل حصولها غير ان كلا التقريرين لم يصلا إلينا عند إلتئام الاجتماع. وكان واضحاً تقصير وزارة

القرار التخوف من عدم موالاة الجنود. وهذا يعكس وجود هوة كبيرة بين الجندي والضابط وبالتالي بين الجندي والسلطة. الامر الثاني هو نزوع الجنود بدلاً من الهروب، إلى اخذ السلطة كلها بين ايديهم، ولجوئهم الواعي ليس إلى الضحيح والبيانات، وانما التخطيط لاستخدام آلة السلطة الحقيقية وهي الجيش، يدلل على وعي خاص ومتطور بكيفية إدارة الصراع في دولة لا تعتمد البرلمان الديمقراطي في ادارة شؤون البلاد. كما انهم ربما تأثروا بدور الجيش في ثورة ١٤ تموز و ١٤ رمضان في حسمه ومجاحه في الانقلاب على السلطة، فلجأوا هم ايضاً إلى اسلوب الثورة العسكرية. وقد اثبتت التحريات ان عملهم كان ذاتياً ١٠٠٪ ولم تكن هناك اية تدخلات او تعاون خارجي. فضمت صفوف حركتهم عناصر من كافة ألوان النسيج العراقي العربي والكردي والآشوري والمسلم والمسيحي . . . الخ ولم تتحكم في تصرفاتهم اية مثيرات طائفية او عنصرية او دينية. ولهذا فإن ما حدث في ٣ تموز ١٩٦٣ لم يكن فقط انذاراً للسلطة، بل كان انذاراً عاماً بضرورة العودة للشعب وعدم الابتعاد عنه. لكن احداث المستقبل اثبتت ان الذين سيطروا على السلطة لاحقاً استفادوا من ذلك الدرس مقلوباً، فخططوا حتى قبل وصولهم للسلطة (عام ١٩٦٨) إلى تحطيم ممانعة الشعب العراقي من خلال سحق مراكز قوته الدينية (الاسلامية الشيعية والسنية) وسحق الحركة الكردية والوطنية المنظمة والتأمر على سوريا والجوار العربي والاسلامي[3].

الدفاع التي لم تستطع المبادرة في إحماد الحركة، وتركت لعارف الباب مفتوحاً لتحقيق نصر معنوي، دفع احمد حسن البكر إلى ان يقترحه في ذلك الاجتماع رئيساً دائماً لمجلس قيادة الثورة. كما طأطأ قادة الحرس القومي رؤوسهم امام تساؤلاتنا ونقذنا. وذلك افرز نتائج سياسية وامنية سمحت لرجال مثل طاهر يحيى التكريتي ورشيد مصلح التكريتي وصالح مهدي عماش بالتعاون مع بعض هيئات التحقيق الخاصة مثل عمار علوش وناظم كزار وصادق التكريتي وسعدون شاكر وخالد طيرة وغيرهم، وتزويدهم بأسلحة واموال كافية لتأجير او كار غير رسمية للتحقيق، وكانت اخبار الجرائم تصل إلى اسماعنا دون ان نمتلك أدلة ملموسة.

وفي مساء نفس اليوم عقد المجلس الوطني لقيادة الثورة اجتماعاً في وزارة الدفاع ايضاً، في جو مشحون بالحماسة الثأرية. وخلالها إقترح رئيس الوزراء احمد حسن البكر ان ينتخب رئيس الجمهورية عبد السلام محمد عارف رئيساً للمجلس الوطني بصورة دائمة، نظراً لبطولته وتفانيه في الدفاع عن الثورة، وتعريض نفسه للخطر^(١). فأنبينا انا وسعدون حمادي وعلي صالح السعدي يؤازرنا كل مدنيي الحزب معترضين على الاقتراح، وقلنا ليس هناك أي داع لتغيير قانون مجلس قيادة الثورة لمجرد حادث بسيط تم داخل معسكر، وكان يمكن القضاء عليه دون تعريض رئيس الجمهورية نفسه للخطر، وكان يفترض من البدء ان نضع خطة امنية، وننفق على المكان الذي يجب أن يتجمع فيه من اعضاء القيادة القطرية ومجلس قيادة الثورة، ولا بأس ان نضع الآن خطة للمستقبل في حالة حصول تمرد مماثل او محاولة إنقلابية، فتحول دون الوقوع في أسر خصومنا كما حصل.

واكدت بأن الحرس القومي سيبقى مشكلتنا الازلية، لذا يجب ضبطه وإعادة تنظيمه وإلا فسيوقعنا بمأزق خطير، خصوصاً اذا استمر بهذه الدرجة الخطرة من التسبب حيث أخذنا وأخذت قيادته أسرى لأن الجميع ظن ان الحرس القومي يجيد حفظ الامن. والحقيقة كنت

١ — أثبت اقتراح البكر دقة وصدق تنبؤ وتخوف حازم حواد. بل ان حركة السريع ودور عبد السلام في احمادهما، أضعفت في محصلتها النهائية، دور المدنيين في حكومة البعث العربي الاشتراكي في العراق ووطدت دور العسكريين، ليس فقط من جهة اقتراح البكر، عبد السلام رئيساً دائماً للمجلس، بعد ان كانت دورية، بل بدأوا يطالبون بدور وصلاحيات وتمثيل أكثر في قيادة الدولة والحزب ومؤتمراته، مما أدى إلى صراعات انتهت بفقدان الحزب للسلطة بكاملها. ويذهب بعض المحللين الشيوعيين منهم بشكل خاص، بان فشل محاولة اغتيال قاسم برأس القرية وفشل السريع بمعسكر الرشيد، كانا فشلين ادبا إلى تغيير تاريخ العراق القادم، اذ لو مات قاسم في الاولى بايد غير شيوعية، لاستلم الشيوعيون السلطة مباشرة ولما حصل ما حصل فيما بعد من تغيير في بنية وتركيب الدولة والجيش. ولو نجح السريع لخسر البعثيون والقوميون السلطة. وما زال الشيوعيون ينظرون إلى هاتين الفرصتين كحلم ضائع، كان تحققه سيعطيهم الفرصة لتغيير مسار العراق تماماً.

أريد بطرح ذلك الموضوع الحساس، أن أخلق مناقشة حادة تؤدي إلى إهمال اقتراح احمد حسن البكر. وأعتقد ان موقفنا ذلك ترك راسباً سيئاً في نفس عبد السلام عارف ضدي وضد علي السعدي وسعدون حمادي ، واتضح ذلك من الامتعاض الشديد وعدم الارتياح الذي ظهر على وجهه ، حتى اننا لقينا بعض الجفوة في تصرفاته القادمة ، وما زاد الامر سوءاً هو وقوفي ضد الاقتراح الذي قدمه في اليوم التالي بإعدام جميع الضباط الشيوعيين المعتقلين في السجن رقم واحد، بدعوى تعاونهم مع الحركة.

وكانت هناك سلسلة من المواقف إختلفنا فيها ، ثم جاءت أحداث أخرى عصفت بدولتنا، وغطت على هذا الموضوع، لكن عبد السلام لم ينس وعبر عما بداخله مرة أخرى عندما استتب له الامر بعد ردة تشرين الثاني ١٩٦٣ ، فقام باحتجازنا في مطار بغداد، ومنعنا من دخول البلاد، رغم انه رد على طلبنا بالعودة بالموافقة، لكنه نكث وسفرنا بعد ست ساعات منفين للقاهرة.

وكم كانت المفاجأة مزعجة عندما علمنا ان عارف كان، خلال تأخيرنا لنا في مطار بغداد، يناقش مع أركانها أمر اعتقالنا وإعدامنا، فوقف بوجهه كل من طاهر يحيى وصبحي عبد الحميد وكان الاول رئيساً للوزراء والثاني وزيراً للخارجية . ويمكن للقارئ ان يلاحظ انه هازية عبد السلام عارف الذي تظاهر قبل مغادرتنا العراق برغبته الشديدة في بقائنا (وحينذاك كنا اقوياء) وبين موقفه بعد أن أصبح الحاكم الوحيد للبلاد.

المهم في الامر ان التمرد الذي تم سحقه داخل معسكر الرشيد، ظلت بعض ذبوله تُسبب الخلافات داخل الدولة، وتؤدي إلى نتائج دموية أخرى تتعلق بالتمردين والمعتقلين، وإلى مكاسب حققها دعاة التشدد والقسوة. وقد ظهر جلياً مدى حقد البعض على الجنود البسطاء المشاركين في الحركة، وما زلت أتذكر أخي "صلاح شبيب" وكان حينها نائب ضابط في الاستخبارات العسكرية ومحققاً رئيسياً، انه جاء إلى داري ورمى رشاشته أرضاً وقال بانزعاج: لا استطيع المواصلة، لأنكم تعتقلون وترسلون رجالاً بسطاء إلى ساحة الاعدام، انه امر غير مقبول ولا يحتمل، جميعهم يصيحون "دخيلك يا محمد، دخيلك يا علي! ويكبرون بالثلاث!!".

عائني أخي صلاح قائلاً: إنكم إذا عاديتهم هؤلاء البسطاء والمساكين فإنهم سيذهبون حتماً إلى الشيوعيين . . . وبعد هذا الحادث وقفت بصراحة ضد كل اجراءات السلطة ولم اوافق على قرارات الاعدام، حتى ان حازم جواد عائني قائلاً : ليس لك حق يا طالب، فهؤلاء حملوا السلاح ضدنا!!

قطار الموت ١١

ان ما سمي بقطار الموت لا اذكر كل شيء حوله، وما اذكره الآن هو اننا فكرنا بأن مجرد وجود مثل ذلك العدد الكبير من الضباط الشيوعيين^(١)، معتقلين في معسكر الرشيد قرب

١ - لم يكونوا شيوعيين عسكريين فقط، وإنما كان بينهم مدنيون وقاسميون ايضاً. وتختلف الروايات حول عدد الضباط الذين كانوا في سجن رقم واحد فيقول الفكيكي انهم ٤٥٠ [4]، وباقر ابراهيم ٦٠٠ [5]، في حين يقول كاظم السماوي انهم ١٢٠٠ سجين [6]. وأغلب هؤلاء حملهم القطار عربات (فاركونسات) مطلية حذرأسها وارضيتهما بالزفت (الكار)، وغير مبطنة بواقيات عازلة وغير موصلة للحرارة. انطلق بهم في الساعة الحادية عشر صباح ٧ تموز ١٩٦٣، مع إرتفاع شمس مموز العراقية الحارقة. فكان يمكن للركاب - حسب التقديرات العلمية والطبية - ان يستسلموا للموت بعد ساعتين من انطلاق القطار، بسبب تركز الحرارة في الجدران والارضية القبرية، فتتحول كل عربة إلى تور متنقل او فرن مغلق على لحوم بشرية. وكانت تلك العربات مخصصة لنقل البضائع، فوضع السجناء داخلها مكبلين، بعضهم "بكبلجات" وآخرين بسلاسل حديدية، ربطوا بها إلى بعضهم بأشكال مختلفة وبصورة ليست منظمة ولا معتادة تدل على الاستعمال والفوضى. وتوزع الحراس على الممرات بملابس مدنية وارتدى بعضهم ملابس على طريقة ابناء الفرات الاوسط ليظهروا بمظهر عمال او فلاحين إمعاناً في التمويه. وكانت مهمتهم منع اية محاولة لكسر الابواب والحرب.

ان صمود السجناء احياء فترة اطول سببه وجود عدد من الأطباء الضباط معهم اعطوهم النصائح بأهمية (مَصْرُ) اصابعهم واجزاء الجسد الاخرى لاستعادة بعض الأملاح التي يفقدها الجسم وهي ضرورية لاستمرار صمود الجسم البشري وغيرها من النصائح المفيدة. وكان السجناء قد فقدوا قدرتهم على تحمل الحرارة بعد ساعة من تحرك القطار، وبدأوا يعانون من الغثيان وهبوط ضغط الدم بسبب نقص الاوكسجين داخل العربات التي حاول السجناءون إحكام اغلاقها، فتقياً أكثرهم، ويتدخل الحظ ولكن هذه المرة لصالحهم ويتوقف القطار بعد تجاوز الدورة وهور رجب في محطة المحاول، "وأثناء توقفه صعد شخص في الثلاثين من عمره وقال لي: خالي تعرف ان حولتك ليست حديد بل بشر هم أفضل أبناء شعبنا" [7]. ويقال أن شخصاً آخر اتصل بالسائق عبد عباس المفرجي في المحاول قائلاً أن حولتك ليست بضاعة خاصة وإنما سجناء سياسيين "انهم ضباط عبد الكريم قاسم!!" فكلّف المفرجي (السكن) مساعد السائق أن يذهب للتأكد، فعاد مصفراً وهو يصيح (الحك الحكي طلع صدك). ولم يكن السائق يتوقع انه يقود تابوتاً بـهية قطار مصفح، ولهذا استبدت به الشهامة العراقية المتوقعة، مؤيدةً بذكرة ودية لعهد قاسم، فأطلق قبل الموعد بأقصى سرعة ممكنة (غير مسموح بها) فوصل بالقطار قبل مواعده بساعتين، وكانت الرحلة الاعتيادية من بغداد تستغرق ستة ساعات، ولم يُعرف لحد الآن كيف عَلمَ ذلك النفر من ابناء سدة الهندية والديوانية بسر القطار فاحتشدوا حاملين "أسطل" الماء التي رشوا منها الماء على العربات "فأخبرتهم أنهم بهذه الطريقة سيقتلون ركابي، فاقتربت مني امرأة وقبّلت يدي في غفلة مني وقالت: "ارجوك أوصلهم بسرعة" [8]. ولا ندري هل سَرَّب الخبر بعثيون متعاطفون أم أن الشيوعيين نظموا ذلك، أم انهم اقباء السجناء. ولم يتوقف الامر عند هذا الحد، بل إنهم اتصلوا بمعارفهم في السماوة لإستقبال القطار ومساعدة السجناء، اذ سيصل القطار قبل ان تهيأ السلطات المحلية لاستقباله. وعندما فتحت ابوابه في السماوة تكشفت العربات عن حشرات صادرة عن هياكل بشرية زاحفة للخارج، في حين غاب آخرون عن الوعي ومات شخص واحد على الاقل، وللمرة الثانية يلعب الاطباء الثلاثة السجناء دوراً مهماً في انقاذ حياة السجناء، اذ قفروا للامام وامروا المستقبلين الذين احضروا معهم مياه مثلجة وحليب ومشروبات غازية، فمنعوا السجناء من الشرب وامروا الناس بجلب ماء دافئ وملح، وسرعة عادوا يحملون ملحاً وماء دافئاً "بالطشوت - جمع طشت وهو إناء يستخدم لغسل الملابس ولحاحات منزلية اخرى" ورشوا بها السجناء وسقوهم، لكن ذلك لم يمنع

الدبابات والطائرات ومركز السلطة، سيظل مصدر قلق وخطر كبيرين. وسيسعى جنود مغامرون لتحريرهم والاستفادة منهم. وان اهم عامل في فشل حركة حسن السريع كان في عدم تمكنها من اطلاق سراح اولئك الضباط. وايضا لعدم وجود ضباط في قيادة الحركة. وباستخدام هذا التحليل تمكن عبد السلام وغيره من "الصقور" من إدخال فكرة "ضرورة القضاء عليهم" في ذهن احمد حسن البكر وذلك من اجل قطع الامل امام أي مغامر قد يحاول مستقبلاً اخراجهم من السجن واستخدامهم في عمل عسكري ضد السلطة.

وعلى هذا الاساس نقل السجناء إلى سجن نقرة السلامان في الصحراء المحاذية لمدينة السماوة، فيما سمي بقطار الموت. ولا ادري اذا كان قد مات بعض السجناء خلال رحلتهم بالقطار إلى "النقرة" من العطش او الحرارة الشديدة، ولم اسمع أي شيء حينذاك إطلاقاً.

وما اعرفه ان احمد حسن البكر استدعى عبد الغني الراوي (عضو مجلس الثورة، قومي) وطلب منه ان يذهب إلى نقرة السلامان وهناك يجري تنفيذ اعدام بعض الضباط، بعيداً عن بغداد. وهذا الامر لقي مقاومة حازمة وشديدة من قبل قيادة الحزب المدنية. وكنا نحن، الذين أسرنا المتمردين وتعرضت حياتنا للخطر، اشد الاعضاء اعتراضاً على روح الانتقام التي سيطرت على اجواء كبار الضباط. ولقي موقفنا دعماً من بعض العسكريين واذكر منهم على وجه التحديد سكرتير مجلس قيادة الثورة انور عبد القادر الحديثي.

سعيناً نحن المدينون ومعنا أنور الحديثي إلى ايقاف دعوة الموت المندفعة الصادرة عن فورة من الانفعال الشديد، وروح الثأر التي يمكن في وسطها تمرير وتنفيذ اية قرارات فيها قتل او اعدام.

بعض السجناء من اللجوء إلى السواقي فشرّبوا ونزعوا ملابسهم ونام بعضهم فيها، وجرى كل ذلك وسط حشود من الناس، تتعالى بينهم ولولة وبكاء النساء. وعندما حاول رجال الشرطة والحراس الاعتراض تحدث معهم بعض الضباط السجناء فأحجلوهم، فابتعدوا واحترموا ذلك المشهد الانساني النادر الوقوع. وكان بين السجناء غضبان السعد والعقيد ابراهيم حسن الجبوري والعقيد حسن عبود والعقيد سلمان عبد المجيد الحصان والمقدم عدنان الخيال ورئيس اول لطفي طاهر وحدي ايوب ود. رافد صبحي والطيار ابراهيم موسى والمهندس الكهربائي الضابط عبد القادر الشيخ ورئيس اول صلاح الدين رؤوف قزاز والضابط يحيى نادر وحميل منير العاني وآخرين. ولم يتوف منهم سوى شخص واحد كان في الأساس يعاني من مرض الربو هو الرئيس الأول يحيى نادر أخو اللواء محمد نادر مدير الشؤون الطبية في وزارة الدفاع.

وكان بين سجناء القطر ضابط صيدلي هو ابن السيد طالب ... ، وهو شخص مرموق من مدينة السماوة، وقد علّم والده بخبر القطر، فاتصل من بغداد بأهالي مدينته (السماوة) واستنفرهم، فطبخت النساء وحيزت الخبازات، فأحضروا من الزاد ما يكفي عشرات المرات للعدد المنقول في القطار، وقد استأجر سيد طالب شاحنة لوري وحملها مواد غذائية كالرز والسكر والشاي والسمن والتمر وسيرها مع سيارات نقل السجناء إلى نقرة السلامان هدية منهم إليهم، وقد سمي حمدي أيوب بنجدة أهالي السماوة بانتفاضة السماوة الصامتة.

وقد ساعدتنا عصبية عبد الغني الراوي الذي رفض التنفيذ لأن عدد المطلوب قتلهم قليل جداً بالنسبة له!! وطالب بأعدام المئات في حين أبلغ بتنفيذ الاعدام بحق ثلاثين فقط. فتدخلنا وبعد حدال طويل اقنعنا احمد حسن البكر ان لا ينفذ حكم الاعدام سوى بثلاثين إسماً يحددون بالاسم ويتم التنفيذ في نقرة السلطان.

وبعد اقتناع البكر، اعتبرنا تلك خطوة أولى طيبة نحو اقناعه بالتخلي نهائياً عن فكرة الانتقام وإعدام ضباط كانوا سجناء عندما حصل التمرد. وكان رفض عبد الغني الراوي المدعوم من عبد السلام عارف قد جعلنا نكسب وقتاً. وكان تبريره بأن الامر لا يتطلب سفره لأن قتل ثلاثين معتقلاً فقط يمكن ترتيبه مع إدارة السجن، وهو لن يكلف نفسه مشاق تلك السفارة.

قررنا قضاء الليلة مع البكر في مقر المجلس انا وحازم وانور لإقناعه بإلغاء احكام الاعدام، وبعد قتل أي من الضباط المسفرين^(١). وكما قلت فقد لعب أنور دوراً أساسياً، أولاً: بإثارة عواطف احمد حسن البكر الابوية، عندما قال له: ان لديك اطفالاً وهؤلاء السجناء كلهم لهم اطفال وعوائل، فكيف ستممكن من ان تنام الليل بعد ان تأمر بارتكاب مذبحه من هذا النوع. ثانياً: بتذكيره بما سيكون عليه موقفه باعتباره رجلاً مسلماً، فكيف يستطيع إستباحة هذه الكمية من الدماء. وقلنا له: ان التمرد لم يحصل بناء على اتفاق بين قيادة الحزب الشيوعي او

١ — حول عدد الضباط الذين تقرر اعدامهم، تختلف الروايات والارقام، ف يرى هاني الفكيكي: ان عدد الضباط الذين رأى عبد الغني الراوي عددهم قليلاً هو (١٥٠) ضابطاً، ويرى طالب شبيب انهم ثلاثون، اما الرقم الاساسي المرشح للاعدام والذي بدأت المساومة حوله فقد تضمن الطلب الذي قدمه عبد السلام عارف باعدام ٤٥٠ ضابطاً وتنفيذ الامر فوراً. ويذكر ان وثيقة حزبية داخلية نشرت في ٢ شباط ١٩٦٤ في سوريا اكدت نقلاً عن احد قادة الحزب الذي تحدث داخل المؤتمر القطري السوري معلناً على احداث العراق بسخرية قائلاً: "طلب من احد ضباط الجيش العراقي اعدام اثني عشر شيوعياً، ولكنه اعلن امام عدد كبير من الحاضرين انه لن يتحرك إلا لإعدام خمسمائة شيوعي ولن يزج نفسه من اجل اثني عشر فقط". وكان عبد السلام وعبد الغني الراوي يريان ما حصل كان نصراً للإيمان على الاتحاد، ولذلك احتج عبد الغني الراوي داخل اجتماع مجلس الثورة بفتاوى العلماء الشيعة والسنة للضغط وكسب الموافقة على المجزرة المحتملة. علماً بأن قمع التمرد قد تسبب فعلياً بقتل ٢٠٠ عسكري، وحكمت المحكمة العسكرية بأعدام ٤٦ جندياً، وقتل آخرين اثناء التحقيق، يضاف لهم بعض الضباط الذين قُتلوا بجمرة الحركة في مراكز التحقيق، رغم عدم قيام الدليل على تعاون الضباط مع التمرد وكان أول من أشرف على التحقيق هو هادي خليفة السامرائي والذي أشرف على الترحيل هو مصطفى الفكيكي، وقد حدثني احد الضباط الذين كانوا معتقلين في السجن رقم واحد قائلاً: ان احد جنود حراسة السجن همس بأذني عندما كنت ذاهباً للمرافق قائلاً "بسيطة سيدي، إن شاء الله باجر تروحون إلى بيوتكم." ولم يفهم الضباط المذكور المغزى إلا صباح اليوم التالي . . . وعلى اية حال فقد تمكنت القيادة المدنية للبعث من إيقاف المجزرة وإنقاذ نفسها من التورط. يمثل تلك الكارثة الانسانية عندما نجحت في تفسير الضباط السجناء إلى سجن "النقرة" وتسويق الامر بتشكيل لجنة تحقيق من محسن الشيخ راضي وحلمي عبد المجيد واحمد حسن البكر ومنذر الزنداوي وابو طالب الهاشمي[9].

الضباط داخل السحن مع المتمردين، بل تؤكد كل المعلومات انهم مستقلون تماماً في عملهم وتحركهم، فلماذا نأخذ هؤلاء بجريرة اولئك^(١).

ولم يقتنع البكر بكلام أنور وكلامنا إلا في الساعة الرابعة صباحاً، وبذلك توقف اسوأ مشروع للموت في تلك الحقبة القاسية من تاريخ العراق المعاصر.

١ — والحقيقة فإن استقلالية حركة السريع قضية ثابتة. فلم يفلح محمد صالح العبيلي عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي في مساعيه لإيجاد إتصال "باللجنة الثورية" قيادة الحركة او مجموعة (حبيب — السريع) وذلك بسبب الخلد والخوف من خطر الموت المترتب. لكنه حقق إتصالاً غير مباشر بهم، فأبلغهم بأن اللجنة المركزية ترى ان أي تحرك عسكري ضرب من الجنون والتسرع وقلة في التعقل، وقال للوسيط: "قل لهم نحن لسنا ضدكم ولا نقف بوجهكم. لكننا نرى عدم نجاحكم، وان ما تقومون به هو توزيع للقوة"^[10]. ويقال ان جماعة (حبيب-السريع) انزعجت من تلك النصائح، وكانت تنتظر المساندة والتعاون، خصوصاً وإن القيادة لم تكن تمتلك حتى ذلك الوقت اية مبادرة للدفاع عن نفسها ومنسوبي حزبها وكما قال الاستاذ باقر ابراهيم: "وهكذا كانت الرؤوس حامية وسارت في تنفيذ الامر"^[11] لكن الحوار مع (العبيلي-الحيدري) لم ينقطع، بل تواصل بطرق مختلفة، بواسطة زكي مبارك وهو قائد شيوعي قديم عاش في سوريا فترة طويلة ومات عام ١٩٩١ بموسكو. وكذلك بواسطة المحامي عدنان عبد القادر، وقد تم اعتقال مبارك وعبد القادر بعد الحركة ثم اطلق سراحهما. كما ان هاشم الألوسي (عضو محلية الرصافة) كان متعاوناً مع قيادة الحركة وسعى لدى من يتصل بهم من القيادات الاعلى لاقتناعهم بوجهة نظر الجنود. وكان الألوسي هذا ثائراً متمرداً وشجاعاً، اعتقل ثم اطلق سراحه، وقدم للحزب الشيوعي تقريراً مفصلاً عن ثماني صفحات (قطع كبير) حول ملاسبات حركة السريع، ومن غير المعروف اذا كان الحزب يحتفظ بها. ولكن الدكتور حامد ايوب العاني اخبرني ان اهم استنتاج تضمنته تلك الوثيقة المهمة هو ان حركة السريع في ٣ تموز ١٩٦٣ كانت تمتلك حظاً كبيراً بالنجاح، ولم تكن لتفشل لولا بعض الملاسبات والمفاجآت التي كان يمكن بسهولة تلافيها. هذا وقد قتل هاشم الألوسي في عام ١٩٦٨ تحت التعذيب في قصر النهاية كمناضل في "القيادة المركزية" للحزب الشيوعي.

ويذكر ان نشطاء الحركة تمكنوا من ارسال مندوبين عنهم إلى منظمة الفرات الاوسط للحزب الشيوعي التي لاذ قادتسها بمنطقة ريفية واسعة وعميقة وشديدة الكثافة وتقع بين مدينة الحلة والكوفة وكربلاء والديوانية، وهي مساحة شاسعة تسكنها عشائر عربية عريقة في الوطنية. وكانت المنطقة بقيادة باقر ابراهيم الموسوي الذي اصبحت عضواً في المكتب السياسي. فتمكن مندوب الحركة من الوصول إلى منظمة الفرات واجتمع في مدينة الكوفة بحسن شعلائ ماضي (وهو شيوعي رغم محذاره من طبقة الملاك الكبار)، وكان هدف الاتصال هو البحث عن سند شعبي ومساهمة فعلية. لكن قيادة الفرات لم تعط جواباً قاطعاً، بل اشترطت على الاقل معرفة اسم واحد من قادة الحركة، لكي تعرف مع من تتعامل. غير ان المندوب رفض بصورة قاطعة الكشف عن أي اسم. ولهذا أثبت على حل وسط هو ان تساند منظمة الفرات الاوسط الحركة فعلياً فوراً بعد إعلان التحرك العسكري.

ويذكر ان موعداً مباشراً كان قد تقرر بين محمد صالح العبيلي وقيادة الحركة، لكنه أعطي، قبيل الموعد، مع جمال الحيدري وعبد الجبار وهيبي في دار والد الدكتور عطا الخطيب. وهكذا لم ينته شهر تموز إلا وكان الطرفان (العبيلي-الحيدري) وتنظيم (حبيب — السريع) قد سُحِقا وأعدم غالبيتهم.

مراجع:

- [1] أحمد العزاوي، مقابلة، دمشق، عام ١٩٧١.
- [2] غضبان السعد، لقاءات في براغ، عام ١٩٧٧-١٩٧٨.
- [3] راجع: مذكرات حردان التكريتي، مصدر سابق.
- [4] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مؤسسة رياض الريس للكتب والنشر، لندن ١٩٩٣.
- [5] باقر إبراهيم الموسوي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٤.
- [6] كاظم السماوي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٤.
- [7] رسالة من مظهر عبد عباس ابن سائق القطار إلى د. علي كريم سعيد بتاريخ ١٩٩٦، ينقل فيها نصوصاً عن لسان أبيه لما جرى بالضبط خلال تلك العملية الحظيرة، ويبدو أن السيد عبد عباس استغل الفرصة ليؤكد لنفسه وللتاريخ بأن العراق بخير وبأنه يمثل الضمير الحر للعراقيين.
- [8] مظهر عبد عباس، الرسالة، م.س.
- [9] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مصدر سابق ص ٢٨٠.
- [10] باقر إبراهيم الموسوي، مقابلة، دمشق ١٩٩٤.
- [11] باقر إبراهيم الموسوي، دمشق، مقابلة، ١٩٩٤.

الطائفية

سؤال: هل ناقشتم قبل او بعد ١٤ رمضان ١٩٦٣ ، المشكلات الناجمة عن تعدد الأديان والمذاهب في العراق؟ وماذا كان موقفكم من تزايد شعبية المرجعية الإسلامية بزعامة السيد محسن الحكيم؟

طالب الشيب: لم نضع قضية الدين والطوائف ضمن دائرة اهتماماتنا، ولم نبحثها في اجتماعات القيادة القطرية للحزب لا قبل ٨ شباط ولا بعدها. بل ان المؤتمر القطري الذي طرحت فيه جميع الخلافات الممكنة، لم يرد ذكرها إطلاقاً. ولم يكن ذلك لقلة أهميتها، بل لأننا لم نتوقع مواجهتها. ولا أتذكر إن أحداً قد تجرأ على المجاهرة وإظهار الانحياز الطائفي خلال فترة حكم الحزب. وذلك يعني رسوخ القيم القومية في أذهان البعثيين حينذاك. ولا أشك بأن تلك الصرامة قد كتبت النوازع التفريقية لدى البعض واضطرتهم إلى وصف المرجعيات "بالرجعية" بدلاً من "الطائفية" التي اختفت ولم تجرؤ على الظهور علانية. وحتى عبد السلام محمد عارف الذي درج هو وبعض المحيطين به على استخدام كلمة الشعبوية^(١) كلما أراد

١ — الشعبوية مصطلح يعود إلى العصر العباسي، جرى إحياءه في نهاية الخمسينات من القرن العشرين، خلال الجدل حول مفهوم القومية، والطريق إلى وحدة الأمة العربية، اندماجية أم فيدرالية أم وحدة تبدأ بتضامن عربي ترسخه اتفاقات سياسية واقتصادية وثقافية وتوطيد الاتصالات وحرية السفر... الخ، واستخدمه المثقفون السوريون واللبنانيون لأغراض تختلف عن أخوتهم العراقيين الذين استخدموه (القوميون والبعثيون) ضد الشيوعيين في عهد عبد الكريم قاسم في بياناتهم ومناسباتهم، وتكرر مصطلح الشعبوية في البيان الأول لحركة ٨ شباط ١٩٦٣. ثم استخدمه القوميون في ١٨ تشرين الثاني ٦٣ ضد البعثيين وبشكل خاص ضد الحرس القومي. ثم أستخدمه نظام صدام حسين بصورة عشوائية ضد ثلثي سكان العراق في مقالات جريدة الثورة الرسمية بعد انتفاضة آذار/ شعبان الشعبية. كما استخدم لإحراج عرب العراق واتهامهم بالصلة الإيرانية، وذلك بهدف التخفيف من مطالبهم في المشاركة السياسية في سلطة بلدهم. ويبدو إن عدم ممارسة القيادة القطرية لحزب البعث عام ١٩٦٣ للتمييز الطائفي، قد أزعج عبد السلام عارف والمحيطين به، خصوصاً عندما تصل إلى أسماعهم اللهجة الجنوبية المتداخلة مع البغدادية داخل أروقة الحرس القومي والمجلس الوطني. ولذلك وصفت الجمل الأولى لبيان حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ الحرس قائلة " أدت المحجمات على حريات الشعب التي قام بها الشعبويون المتعطشون للدماء من أفراد الحرس القومي وانتهاكاتهم للمقدسات وامتهانهم للقانون والأضرار التي ألحقوها بالدولة والشعب، وأخيراً تمردهم المسلح في ١٣ تشرين الثاني ٦٣ إلى وضع لا يمكن السكوت عليه بعد أن بات يهدد مستقبل هذا الشعب... "[١].

و حول نفس الأمر ورد في كتاب حركة القوميين العرب، جمال باروت " إن وجود شخصية مثل عبد السلام عارف تتميز بتعصبها الديني والمذهبي والعشائري والجهوي في إطار قومية تقليدية عامة، كان من شأنه أن يكون رمزاً

←

الحديث عن مؤيدي عبد الكريم قاسم من أبناء الوسط والجنوب، إضطر إلى تغطية عداوته للمرجعيات الإسلامية. ولم تتضح نزعته الطائفية المتشددة إلا بعد خروج البعث من السلطة وانفراده هو بها. ولم نكن نعرف داخل القيادة القطرية: من هو السني ومن هو الشيعي؟ حتى اني لم اعرف ان هاني الفكيكي شيعياً، إلا في عام ١٩٨٤، عندما اشتكى بعض الأصدقاء من انه يتصرف تصرفات طائفية. فقلت: لم نعرف إن هاني سنياً متعصباً. فقالوا: بل هو شيعي!! أما علي صالح السعدي فأنا ما زلت غير متيقن حتى الآن، هل ولد شيعياً أم سنياً؟ ولم ألاحظ عليه انه كان يخطط لأعمال طائفية، لا خلال العمل السري ولا بعد استلام السلطة^(١).

بالنسبة لي كان سلوك البعثيين وفكرهم المكتوب مقنعاً، وقرأت مقالاتهم وعرفت رجالتهم. ودرست الاشتراكية العلمية وشيئا عن الجدل الميجلي، ثم المادي الماركسي. وحلمت بالمساواة ووحدة الوطن العربي. ولم أفكر بالعصبية، ولم أتصور ان الصراع سيدور في العراق

لتوفير هذه الانقسامات. فقد افترقت شخصية عارف لتمثيل الأبعاد السياسية في الشخصية الوطنية العراقية التي كان قد مثلها عبد الكريم قاسم". ويضيف ان عبد السلام قال للوزير السوري جهاد ضاحي (ممثل حركة القوميين العرب) إن وجود جورج حبش على رأس حركة القوميين العرب يثير الاستغراب بأن يقود نصارى شيان محمد[2].

ويقول هاني الفكيكي في أوكار الهزيمة "كان عبد السلام عارف يستخدم كثيراً في حديثه كلمة الشعبية بالمعنى والقصد الذي كان يستعملها بعض الطائفيين في محاربتهم لعرب العراق الشيعة، واذكر أن محسن الشيخ راضي وأنا وصلنا مرة متأخرين إلى إحدى جلسات مجلس قيادة الثورة، فقال عبد السلام: جاء الروافض (وكان يقصد بذلك اننا شيعيان)، الشيء الذي حمل انور عبد القادر الحديثي على الاحتجاج طالبا إلى عارف الاعتذار عن هذا التعبير".

١ — خرج حكم البعث عام ١٩٦٣، ولأول مرة في تاريخ العراق الحديث عن الثوابت والنسب المفروضة في توزيع المناصب الوزارية وفي التعامل والتوظيف داخل مؤسسات الدولة. فوضع في وزارات أساسية كالخارجية والداخلية والإرشاد والعمل وزراء كالسعدي وحازم حواد و شبيب ومسارح الراوي و خلخال، وفي مناصب مهمة كمحسن الشيخ راضي والفكيكي و احمد العزاوي وغيرهم من الرجال الذين لم تعهدهم السلطة، جاءوا إليها من أوساط بعيدة عنها ولعب الانتماء الحزبي والسياسي دوراً حاسماً في توظيفهم. ونستطيع ان نؤكد ان موقف القيادة القطرية في ١٩٦٣ من قانون الأحوال المدنية لا يمكن حمله على محمل طائفي، بل يعود إلى مرجعية مختلفة هي ثنائية "التقدمي" و"الرجعي" ولهذا عارض عارف موقف مجموعة السعدي في المجلس الوطني، وساند مطالب السيد الحكيم بإلغاء تعديلات حكومة قاسم على قانون الأحوال الشخصية[3] وألغت بموجبها شرط موافقة ولي أمر الزوجة أو حضور القاضي لزوجها، ومنع الزواج بأكثر من واحدة. وإعطاء المرأة حق الطلاق ومساواتها بالإرث. واستناداً لذلك فإن المراقب المحلل قد يظن ان قيادة البعث في ١٩٦٣، باستثناء لجان التحقيق والتجاوزات على القانون، هي اقرب من حيث المبدأ والموقف العملي إلى نهج حكومة قاسم منها إلى نهج حكومة عارف، الذي استعاد بعد إبعاد البعث ثوابت (كوكس - النقيب)[4] واصرّ على وزارة بلون واحد. ولا نستبعد ان يكون موقف الحصري من البعث ناجم عن عدم اهتمام قيادته بالنهج الطائفي في إدارة السلطة، ففي كتابه "الإقليمية جذورها وبذورها" وصف ساطع الحصري البعثيين انهم "إقليميين معادين للوحدة العربية"[5].

على الأسماء والهويات والمذاهب والأديان والعناصر. وعلى أيدي سلطات تدعي الانتماء للفكر القومي الواحدوي.

حينذاك تأملت الاشتراكية العلمية التي مثلت انتمائي الأول، وفي الاشتراكية الديمقراطية البعثية، فوجدت في الثانية مجالاً حراً أكبر من القيود الفكرية الاجتماعية الستالينية اللينينية. ومبكراً انخرطت في صفوف حزب قومي يعطي أهمية كبيرة للمواطنة العربية، ويوزعها على سكان الوطن العربي باختيارهم، على حساب الانتماءات الجزئية الأخرى مثل الدينية والمذهبية والطبقية والعنصرية.

وفي الحقيقة، لم يكن أكثر البعثيين العراقيين، قد اطلعوا حتى ذلك الوقت على الفكر الاجتماعي الانساني سواء كان الماركسي أو الأفكار الليبرالية أو بعض الكتابات العربية القومية الاجتماعية. وأساساً لم يكن في المكتبة العراقية العلمية ما يسعفهم. ويبدو ان اختيار البعثيين للبعث العربي الاشتراكي كان في البدايات غالباً لأسباب قومية أكثر منها اجتماعية، وظلت الاشتراكية العربية التي أطلق مصطلحها القادة القوميون والبعثيون التاريخيون خالية من مضامين محددة. وانطلاقاً من فراغها وجدّناهم (البعثيين) يتسابقون مع الشيوعيين على تبني الاشتراكية الماركسية بعد أول احتكاك لهم مع الشيوعية منذ نهاية عام ١٩٦٣.

ان الفارق بين الممارسة وبين ما هو مكتوب على الورق لدى كل حزبي، كبير جداً، ويعود السبب إلى انهماك الأحزاب باستمرار في صراعات سياسية داخلية. ومنذ عودتي للعراق عام ١٩٥٨ وجدت نفسي داخل أجواء تصادمية مع سلطة عبد الكريم قاسم والشيوعيين. ولم يترك الصراع لنا وللأطراف الأخرى فرصة كي نعيد التفكير ببداياتنا وتطوير أنفسنا. لكن عدم وضع البعثيين أجوبة جاهزة على كل شيء أفادهم كثيراً خصوصاً من ناحية موقفهم من التراث والطقوس الدينية واحترام الملكية الشخصية والخاصة وذلك جنبنا نخوض صراعات لا طائل وراءها مع الوسط الشعبي العراقي، تلك الصراعات التي استغرقت طاقة الشيوعيين.

كانت تلك هي حقيقة الموقف من الطائفية داخل الحزب. لكن الأمر لم يمنع وجود ضباط برتب كبيرة أو صغيرة على حد سواء قد فكروا بأعمال طائفية. غير اننا لم نسمع ولم نلاحظ ذلك إلا بعد خسارة السلطة بسنوات. والحقيقة فان معرفة ما في القلوب شيء صعب المنال. وهنا أتذكر قول الرسول الكريم عندما سأله أحدهم مشككاً بإيمان رجل دخل الإسلام حديثاً، فأجابته الرسول بسؤال: وهل فتحت قلبه ؟

غير ان الحوزتين الإسلاميتين الشيعية والسنية كانتا غير راضيتين عنا، فقد حصلت احتكاكات كثيرة أهمها تلك المتعلقة بالتعديلات التي أجريت على قانون الأحوال المدنية التي أبرمتها حكومة عبد الكريم قاسم دون دراسة كافية ودون اخذ الواقع بنظر الاعتبار. مما

أحدث نتائج لم تكن مقبولة. وفي هذا السياق حاولنا تجاوز أو تخفيف ما كاد يتطور إلى أزمة خطيرة بيننا وبين المرجعتين فألغينا بعض تلك التعديلات وابقينا على أخرى رغم إصرار جماعة علي صالح السعدي التي نظرت إلى تعديلات قاسم على أنها مكاسب "تقدمية"، لكن قانون الأحوال المدنية حافظ بتعديلاته الأساسية على شكله المخالف لبعض ثوابت الشريعة الإسلامية.

من ناحية أخرى أخبرنا المرجعية الشيعية عبر قنوات مختلفة بعزمنا مبدئياً على تشكيل لجنة لتلبية مطالبها المتعلقة بتعديل المناهج الدراسية وإصلاح إدارة الأوقاف ومراقبة أجهزة الإعلام الحكومية ومنع استخدامها كأداة للتفرقة بين المسلمين^(١)، لكن إجراءاتنا وعودنا لم تكن كافية لإرضاء السيد محسن الحكيم الذي أعلمنا بدوره بطرق مختلفة وعبر وسطاء موثوقين بأنه يرى أن الشيعة والسنة لا يختلفون حول قانون الأحوال الشخصية وإن أفضل طريق لتجنب التعارض بين ما تسنّه الدولة من قوانين وبين تعاليم الإسلام الأساسية سيكون بتشكيل لجنة مسؤولة عن التشريع، ولتكن من خمسين شخصاً، تضم متخصصين وموظفين كباراً وأصحاب شأن وممثلين عن فئات المجتمع المختلفة. ويرسل كل من السيد محسن الحكيم والشيخ الزهاوي شخصاً من قبله ليشير على اللجنة إلى كل ما يخالف نصوص القرآن والسنة. وماعدا ذلك فلتقرر السلطات السياسية وأجهزتها المختلفة ما تشاء من قوانين. وقد نقلت بنفسني في إحدى المرات مثل هذا التصور إلى قيادة السلطة، لكن اختلاف المفاهيم عرقل إمكانيات التفاهم حينذاك.

ولم يكن قانون الأحوال الشخصية هو المشكلة رقم واحد بيننا وبين السيد محسن الحكيم. وحسب علمي أننا لم نتخذ أي قرار يخالف الشريعة أو الأعراف والتقاليد. وحتى محاولة جماعة الشيخ محمد الخالصي تغيير صيغة مقدمة الأذان في الصحن الكاظمي الشريف، تدخلنا بسرعة وأوقفناها^(٢).

١ — لعبت أجهزة الإعلام مرات عديدة دوراً سلبياً في تأجيج المشكلات الاجتماعية والمذهبية، وعلى سبيل المثال كان مدير عام الإذاعة والتلفزيون عبد الستار الدوري الذي استمر بمنصبه حتى ما بعد ١٨ تشرين الثاني، تعليقاً سياسياً يومياً بعد نشرة الأخبار المسائية، يهاجم فيها أحياناً الملك حسين ويصفه بسليل الخيانة، ويقصد بذلك والده أو الأمير عبدالله، غير أن بعض علماء كربلاء والنجف فهموا أن في الأمر إساءة للإمام الحسين والإمام علي عليهما السلام، فشكّلوا وفداً ذهب إلى بغداد وقدموا احتجاجاً بهذا الشأن. وكانت إذاعة عمان قد أذاعت هذا الخبر في نفس اليوم الذي غادر فيه الوفد إلى بغداد. وبسبب مداخلات سياسية سابقة وحاضرة، اعتبر بعضهم تلك الحادثة دليلاً على تأييد العلماء الإسلاميين للأسرة الهاشمية [6]، وسمعنا أن إحدى المجلات العربية قد نشرت مؤخراً صورة عن فتوى للإمام الخوئي بهذا الشأن، بهدف تأكيد أحقية الملك حسين بعرش العراق. ولا بد أن نذكر بأن المرجع الأعلى للمسلمين الشيعة، حينذاك لم يكن الإمام الخوئي (رض) بل الإمام السيد محمد محسن الحكيم (رض).

٢ — حدثني قيادي بعثي من مدينة الكاظمية (لم يرغب بذكر اسمه) قال: "بعد سبعة أيام شاقة تلت ٨ شباط قضيناها في الحراسات والمتابعة، عدنا نحن بعثي الكاظمية إلى بيوتنا لنتراخ، ففوجئنا بغضب آبائنا بسبب الغاء الشهادة الثالثة من

كما أبقينا أبوانا مشرعة أمام علماء الدين. فلم يكن لدينا دوافع للصراع مع أي من الأطراف الدينية. حتى حزب الدعوة لم يكن يثير اهتمامنا. وأنا شخصياً لم اسمع به حينذاك، رغم اني علمت فيما بعد ان أجهزة الأمن كانت تعلم بنشاطه وباشتراكه بتنظيم الاحتشادات التي رافقت زيارة السيد الحكيم إلى سامراء وذلك يعود إلى اعتماد حزب الدعوة الإسلامية لمبدأ السرية في تلك المرحلة. وللتعظيم الإعلامي الذي مارسه النظام محاولة لطمس وجوده وأنشطته^(١).

إن أهم مسألة أثارت الخلاف بيننا وبين السيد الحكيم رحمه الله، وخلقت جفوة كبيرة في موقفه من سلطتنا، كانت أخبار المظالم والتجاوزات التي ارتكبتها بعض أجهزةنا، وتصله

الحراسات والمتابعة، عدنا نحن بعثي الكاظمية إلى بيوتنا لنتراح، ففرجنا بغضب آبائنا بسبب الغاء الشهادة الثالثة من مقدمة الأذان. فأخبرنا قيادة الحزب بخطورة ذلك. فأرسلت إلينا فوراً الرئيس عبد السلام عارف، وبعد استماعه للحثيات الموضوع قال: "اشغلتونا بموضوع ليس بذي قيمة" واقتل راجعاً. أعلمنا القيادة ثانية فأرسلت رئيس الوزراء احمد حسن البكر الذي اعتبر الأمر خطيراً، لكنه قال "ان احسن من يستطيع تولي مثل هذه الأمور هو أبو فارس (علي السعدي) وغادر بعد ان اهدى لكل شخص من الحاضرين مسدس "براوننج". وفي منتصف الليل من نفس اليوم جاء علي السعدي الذي تصرف بحزم ودون تردد، فوجه اللوم إلى جماعة الشيخ الخالصي ثم توجه إلى الصحن الكاظمي أمراً للشرطة بتجريدهم من أسلحتهم وتم ذلك. وخلال وجوده تصرف السعدي بطريقة بدت غريبة بالنسبة للحضور فقد رفض بشدة مناداته من قبل الموظفين بكلمة "سيدي" وأصر على الجلوس حيث يوجد مكان فارغ في المجلس، وتخلل عدنان الادلي عندما قام لإحلاسه بمكانه. وتصرف كزائر وليس كمسؤول ولم يغادر المكان إلا بعد ان استمع للأذان فجراً واطمأن إلى عودته إلى ما كان عليه" وخلال انتظاره الأذان خاطب السعدي مسؤولي الحرس القومي قائلاً: "نحن في الحرس مهمتنا حماية الثورة وليس لنا صلة بالتحريات ودخول البيوت وستعودون مستقبلاً إلى مؤسساتكم وأعمالكم الأصلية ولا أريد أن يفرح أحكم ببذلته ورشاشته"^[7]، لكن السعدي تمسك فيما بعد بوجود الحرس بسبب اشتداد الصراعات الداخلية..

وحول نفس الموضوع قال لي الشيخ مهدي الخالصي^[8] "ان مشكلة الأذان قضية فقهية اجتهادية باعتباره عبادة، والعبادة توقيفية لا تتغير. وأي تغيير فيها بدعة ومن يغير العبادة كأنما يغير السجود أو ما أشبهه. ولذلك اجتهد الوالد الشيخ الخالصي قبل سنة ١٩٦٣ بأربعين عاماً بهذا الأمر. وقد حذفت بعض الفرق من الأذان فصولاً، وأضافت أخرى فصولاً جديدة اليه. فقلنا ان (حي على خير العمل) يجب ان تعود لصلاة السنة، ويرفع ذكر (علي - ع -) عند الشيعة، ليقترب الطرفان من بعضهما" وقال "ان علماء كبار كالشيخ الصدوق والطوسي، وجدوا ذكر علياً (ع) في الأذان، رغم إقرارهم بصفته التي خلعهها عليه الرسول كولي الله، ليس ضرورياً وصلوا بدونه ، انتهى"^[9].

١ — لم تكن عملية التعبئة الجماهيرية التي وقفت وراءها الدعوة الإسلامية إلا حلقة في سلسلة الأعمال الجماهيرية الأخرى التي تبناها حزب الدعوة والأنشطة المختلفة في مختلف مناطق العراق، وكان حزب الدعوة الذي تأسس في نهاية الخمسينات، قد افتتح نشاطه الجماهيري العلني لأول مرة، مستغلاً زيارة السيد الحكيم الاحتجاجية الشهيرة إلى سامراء، فساهم بنجاح في تنظيم المسيرات والاحتفالات والتحريض عليها. وأعطاه نجاحه في ذلك دفعاً وتشجيعاً لتحضير إلى خطوات سياسية وجماهيرية في عهد عبد السلام عارف كمواكب الجامعة، حيث تستصل نشاطاته إلى كافة مدن وقصبات العراق، فضلاً عن دوائر الدولة والمؤسسات والمعاهد العلمية^[10]. رغم أن الدعوة السياسية الإسلامية كانت ما تزال تعتمد مبدأ السرية، ورغم ممارسة السلطة التعميم الإعلامي الشديد على نشاطات أنصارها لطمس وجودها.

باستمرار وكل يوم. وربما يكون هناك من همس اليه بما يعني استغلال البعث لفتواه ضد الشيوعيين^(١).

وكان من عادة السيد الحكيم إذا أراد أن يعبر عن غضبه وعدم رضاه، الاحتجاب عن لقاء ممثلي السلطة، أو السفر إلى مكان آخر تعبيراً عن الاحتجاج، واستعراضاً لقوة المرجعية التي سترز من خلال احتفالات التوديع والاستقبال والمواكبة^(٢).

١ - في ٢٠/٢/١٩٦١ - ٢٢ شعبان ١٣٧٩، صدرت فتوى دينية تحمل خاتم آية الله العظمى السيد محمد الحكيم، بخصوص الانتماء إلى الحزب الشيوعي ونصها: "بسم الله الرحمن الرحيم، والله الحمد. لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي فإن ذلك كفر والحاد أو ترويج للكفر والإلحاد. أعاذكم الله وجميع المسلمين عن ذلك، وزادكم إيماناً وتسليماً، والسلام عليكم وبركاتة".

ويذكر أن السيد الحكيم ومثلهما فعل ذلك أيام المد الشيوعي، عاد ليحتج بطرق مختلفة على العثيين عندما استخدموا القسوة مع خصومهم السياسيين. وقد تابع كثيرون من علماء الدين وممثلي الإمام في المدن والنواحي حتى السيد، ولعل أبناء الموقية وبدره يتذكرون المغفور له الشيخ محسن الحصاني ممثل الإمام الحكيم عندما اعتصم بمسجده أيام المقاومة الشعبية محتجاً على الممارسات الكيفية وأعاد ذلك أيام الحرس القومي محتجاً على قسوة المطاردات والتعذيب ومخدرات الجمهور من هدر حقوق الإنسان.

٢ - قام آية الله العظمى السيد محسن الحكيم في ٧/١٠/١٩٦٣ بزيارة مرقد الإمام علي الهادي بسمراء عبر كربلاء والكاظمية وبغداد في موكب عظيم، تبرع خلاله الآلاف من المواطنين والتجار والمريدين، بإقامة اللوائيم والمواكبة بسياراتهم أو بوسائط مآحورة، بل إن التجار تبرعوا بخمسة دنانير أجرة سيارة يوم كامل للراغبين في استقبال الموكب أو توديعه، ودامت السفارة أربعة أسابيع، وأكد كثيرون أن حركة السيد تلك كانت لجس النبض والاحتجاج على حملات الاعتقال والمطاردات وممارسة التعذيب ضد السياسيين ومنتسبي الحزب الشيوعي، وعدد من المعتقلين الإسلاميين. وهيات جولته الأجواء وأعطت الضوء الأخضر لكل من يرغب في استغلالها للتظاهر والاحتجاج. وبالفعل خرجت جماهير غفيرة بمسيرات احتفالية تخللتها الهوسات والأهازيج. وأقيمت الأقواس، ونحرت الدنانج، ترحيباً وتوديعاً في كل منطقة يمر بها موكبه. وخلالها افتتح السيد بنفسه جامع برائا في العطيفية، وحسينية التميمي في الكرادة، وجامع بمدينة الثورة. وفشلت محاولات الشرطة والأمن بإعاقة تنقل الجمهور بين الأرياف والمدن بهدف الرصد والمواكبة والمبايعة^[11]. ويذكر شهود عيان أن السيد الحكيم استدعى في طريق عودته بعض المسؤولين وعاتبهم بشدة على الاعتقالات وأخذ الاعترافات بالقوة. وخلال وجود الحاكم العسكري العام عنده تظاهر الطلاب في مسيرة احتجاجية من ثانوية الكاظمية حتى دار الحاج عباس محمد كرم حيث يقيم الحكيم اختترقت الدار وألقى أحد الطلبة (محمد باقر الحاج صولايغ الزبيدي) كلمة كتبها له العلامة اسماعيل الصدر شقيق الشهيد محمد باقر الصدر، وقد أزعج ذلك الحادث رشيد مصلح^[12].

وقد حاولت قيادة البعث تلافي الأمر بإرسال عدد من قادتها. فرفض السيد استقبالهم واحالهم على وكيله في بغداد الشيخ علي الصغير وابنه الشهيد السيد مهدي الحكيم^[13] وأراد برفض مقابلتهم لفت النظر، وإنهاء تردد وضعف المجتمع أمام الدولة، والمطالبة بالمشاركة السياسية من باب ممارسة الحق وليس الاستجداء. لكنه لم يسلك لتحقيق هذه الغاية طريق التمرد والثورة، بل التحرك المستمر إلى الأمام، مستفيداً من الانفراج الحكومي إذا حصل، ومحتجاً على انزوائيتها. كما أراد تقوية مركز المرجعية سياسياً وجعلها شعبية وقد نجح في ذلك بسرعة بحيث أصبحت الحكومات المتعاقبة مضطرة إلى عدم تقرير أية خطوة وطنية هامة، قبل دراسة ردود الفعل المحتملة للحوزة الإسلامية ولذلك أعطت وفاته ١٩٧٠ فرصة عظيمة لنظام البكر - صدام، للانفراد وضرب الحركة الوطنية وتصفيته تمهيداً

←

والآن فأنا أدرك كم كان السيد الحكيم رحمه الله ناصحاً في أمور جوهرية وحساسة، وكما كان ناصحاً فيما بعد لسلطة (البكر - صدام) عندما أراد تجنبها الخطر وأسوأ خطأ ارتكبه منذ بداية تسلمها السلطة عام ١٩٦٨^(١). وحول ١٩٦٣ أيضاً أتذكر ان أحد البعثيين من

لتفتحت النسيج الاجتماعي وإخضاع الشعب لديكتاتورية مريضة وقاسية بلا حدود. ويقول الدكتور تحسين معلية [١٤] ان احمد حسن البكر وصالح مهدي عماش طلبا منه في عام ١٩٦٧ تهينة لقاء مع السيد محسن الحكيم، ويقول "كلفت السيد محمد رضا الحكيم لترتيب ذلك وحددت معه موعداً في النجف، وعندما ذهبنا للنجف أعلمونا ان سماحة السيد سافر إلى كربلاء، وسب ذلك لي حرجاً أمام البكر وعماش لكننا فهمنا انه لا يريد مقابلتنا، فتناولنا الغداء في بيت الحاج صالح معلية وعدنا إلى بغداد". ويقول: "في الحقيقة لم يكن السيد ينق بعود البكر بعد تحررته في عام ١٩٦٣". ويرى الدكتور معلية ان البكر بسبب ذلك وسبب محاولته الاحتجاجية في عام ١٩٦٣ سعى للانتقام من السيد الحكيم بابنه السيد مهدي الحكيم، فأمر بتلفيق التهم اليه ثم اغتياله، لكن حردان عبد الغفار التكريتي تدخل وطلب من القيادة تأجيل اعتقال السيد مهدي أيام معدودة حتى يتمكن من إجراء معين لمنع المواجهة، وأوصل إلى السيد مهدي الحكيم نية السلطة في اعتقاله وتصفيته، وإعلان اتهماته بالتعاون والتآمر مع عبد الغني الراوي وكاظم شير وحييب محمد كريم وعبد الرزاق النافى.

١ - هنا تدخل حس الحاج وداي العطية - قيادي بعثي ومحافظ كربلاء - ليؤكد استمرار تورط الفئة المنهزمة بالطائفية حتى ما بعد ١٩٦٨ لتجر البلاد إلى حروب أضغعت العراق والأمة العربية وأوصلت القوى العظمى إلى ما لم تكن تحلم بالوصول اليه. قال: جاء اخي عبد الحسين إلى داري في عام ١٩٧٠ وكان وزيراً للزراعة، وأخبرني انّه مكلف من قبل رئيس الجمهورية احمد حسن البكر بمهمة لدى السيد محسن الحكيم. ورجاني ان اذهب معه، قائلاً: انت تعرف لغة العلماء وتفهمهم والسيد يعرفك ويحترمك، فارحو مرافقتي. رفضت التدخل لكه هاتف البكر ونالولي السماعه. قال البكر: كان من المفروض تكليفك بهذه المهمة لكنني نسيت وارغب الآن ان تذهب وسيخبرك عبد الحسين بمضمون المهمة.

ذهبنا إلى النجف، وانتظرنا مع كثيرين من جنسيات مختلفة عربية وإيرانية وباكستانية، خليجيين وعراقيين من أنحاء البلاد كلها، وكان السيد كما قيل لنا منشغلاً بكتابة رسالة إلى أحد ممثليه بأفريقيا. دخلنا عليه فقال له اخي عبد الحسين: ان الحكومة تنتظر منكم الدعم في مشكلتها مع إيران بخصوص شط العرب. فرد السيد "انا امثل المسلمين الشيعة جميعاً ولا أفرق في موقفي بين العراقي والإيراني والهندي والأفريقي والعربي والنسبة لي ليس الشيعة فقط بل المسلمون كلهم شيء واحد. ولا يجوز ان اميل لطرف دون آخر" رد عبد الحسين: ان الحكومة تقول ان لديها وثائق تاريخية، ومعها حق. فأجاب السيد: لا نتناولوا زحنا، مثل هذه القضايا السياسية المتغيرة. انا رجل علم، لا أتدخل إلا في حالة واحدة، عندما اقتنع ان الخلاف سيؤدي لإراقة دماء المسلمين، وحيثما سأسعى لحقن الدماء. وابلغنا السيد الحكيم بأن علاقته مع إيران ليست على ما يرام وضرب مثلاً ببرقية كان الشاه قد أرسلها اليه لتعزيزه بوفاء أحد العلماء الآيات. وكانت البرقية تحمل توقيع "القصر الشاهنشاهي" فرفض الحكيم الرد عليها قائلاً اننا لا نتكلم مع القصور... ورغم ذلك فقد فاجأنا السيد باقتراح إيجابي وغاية في الأهمية إذ قال: إذا طلبت مني الحكومة العراقية التدخل رسمياً، وأعلنت ذلك على الملأ من الإذاعة، حينذاك سأكون ملزماً وسأقول لكم شكلاً وقداً يضم فريقاً حكومياً متخصصاً فنياً وسياسياً يعرف ملاسبات القضية جيداً. وسأرسل معه من جاني، إن شئتم، عدداً من علماء الدين العراقيين، فضلاً عن شخص سياسي مقبول من طرفي ومن طرف الحكومة (يقصد حسن الحاج وداي العطية) وهناك يذهب الموظفون للحوار مع نظرائهم، أما العلماء فسيصلون بالحوارة الإسلامية لشرح الأمر لعلماء إيران وهم أعضاء كبار في حوزتنا ومؤمنون وسينظرون في كيفية التصرف بهذه القضية.

عدنا إلى بغداد وذهب عبد الحسين إلى القصر ثم عاد بعد قليل قائلاً: أخبرت البكر بكل شيء وفرح وقال انّها

←

النجف اتصل بعلي صالح السعدي واقترح عليه تعيين عدنان الجبوري قائممقاماً للنجف. وعندما سأله السعدي عن السبب ، قال له : سيفيدكم لان علاقته بالإمام الحكيم طيبة. فرد السعدي : وماذا يريد شيخ محسن الحكيم؟ ورفض تعيين الجبوري الذي جرى تعيينه قائممقاماً للنجف من قبل سلطة عارف فيما بعد ثم نقل إلى منصب سكرتير رئيس الوزراء طاهر يحيى.

خطوة جيدة وسنصدر بياناً تبثه إذاعة بغداد مساء اليوم أو صباح الغد، يلتبس من السيد الحكيم التدخل لتسوية خلاف البلدين. انتظرنا عدة أيام ولم يصدر شيء . وبعد التحري علمنا ان قيادة الحزب الحاكم رفضت هذا الاتجاه قائلة للبكر: نحن نريد التقليل من شأن علماء الدين، فكيف نعطيهم دوراً يعزز مكانتهم السياسية. انتهى كلام حسن وداي. ولعل هذا الأمر لو تم لكان أدى إلى تجنب مأس كثيرة. لكن سلطة بغداد انطلافاً من عقديها أبت، فاضطرت بعد حين ان تتصرف بذل حين وقع صدام حسين نيابة عنها مع الشاه اتفاق الجزائر متنازلاً عن حقوق عراقية أخرى، ثم ذلك بعد ان قام الشاه بدعم الحركة الكردية التي كانت تواجه جيوش بغداد، فراح عشرات آلاف المواطنين من الجانبين ضحية العقد المستعصية. ليختم صدام هذه الصفحة العبيثة الدامية بثماني سنوات حرب أضرت بالعراق وإيران وأضعفت المنطقة برمتها. واخيراً نعتقد ان طلب السيد الحكيم بإشهار طلبهم منه للتوسط انما كان احتياطاً ضد أية محاولة تكتيكية للتلاعب واستغلال اسم الحوزة، بل ان إعلان الأمر لو حصل كان سيخرج بغداد وطهران أمام الرأي العام ويجرهما إلى حوار جاد وسلام علي ويبعدهما عن حرب غامضة ومشبوهة. لكن أياً من الطرفين لم يكن صادقاً فيما يطرحه.

مراجع:

- [1] البيان الاول لحركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، كتأب المنحرفون تأليف وزارة الارشاد العراقية.
- [2] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق، ١٩٩٧، ص ٢٤٨.
- [3] جريدة الوقائع العراقية العدد ٧ / ٢٨ تموز ١٩٥٩.
- [4] حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية، دار الزوراء، لندن، ص ٢٠٠.
- [5] راجع ساطع الحصري، الاقليمية حذورها وبذورها، بيروت ١٩٦٣.
- [6] د. عدنان آل طعمة، رسالة موجهة للدكتور علي كريم سعيد، دمشق، ١٩٩٨.
- [7] ابراهيم الموسوي، لقاء، دمشق، ١٩٩٧.
- [8] راجع هاني الفككي، أوكار الهزيمة، مصدر سابق.
- [9] الشيخ مهدي الخالصي، مقابلة، دمشق، ٧ / ١ / ١٩٩٧.
- [10] صالح حسين الجبوري، ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ في العراق، مصدر سابق، ص ٣٣ - ٥١.
- [11] السيد صالح الشرع، جريدة نداء الرافدين العدد ١٦٧ - ٤ / ١٢ / ١٩٩٧ مقابلة احراها عدنان الامير تحدث فيها الشرع عن تكراره لبيعة الإمام السيد محسن الحكيم في تلك السفرة التي انتقل فيها من النحف فكربلاء ثم الكاظمية وسامراء والعودة ثانية إلى النحف.
- [12] راجع مجلة الإيمان، عدد خاص، الثالث والرابع، السنة الأولى، يصدرها موسى اليعقوبي، النحف، تشرين ثاني ١٩٦٣، ص ٣٢٢.
- [13] هاني الفككي، أوكار الهزيمة، مصدر سابق، ص ٢٧٤.
- [14] د. تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.

الثورة تلد انقلاباً

الهيئة للمؤتمر التكميلي، الاستثنائي

لحزب البعث - العراق - ١٩٦٣

في أيلول ١٩٦٣ وبعد انتهاء أعمال المؤتمر القطري الاعتيادي لحزب البعث العربي الاشتراكي - قطر العراق - بيومين، سافرت إلى الأمم المتحدة بنيويورك لترأس الوفد العراقي إلى الجمعية العامة في دورتها العادية السنوية التي بدأت منذ فترة، وكنت قد أجلت إلقاء خطابي مرات عديدة بسبب الانشغال في زيارة مصر وسوريا ثم المؤتمر القطري العادي.

بقيت في نيويورك أسابيع، ووصلتني خلالها مكالمات ملحة من حازم جواد وصالح مهدي عماش وبهاء الشبيب وغيرهم، يطالبوني فيها بالعودة إلى العراق بأسرع وقت، لأن الأوضاع، كما قالوا خطيرة جداً، ولا بد من مساهمتي ووجودي. وكان ردي المستمر، الرفض التام لعدم جدوى حضوري هناك، بعد أن فقدت عضويتي في القيادة القومية والقطرية واستتالي من المجلس الوطني لقيادة الثورة. فقالوا: ليس هناك قيادة قطرية لأنها غير قادرة على الاجتماع كما أن عضوية مجلس قيادة الثورة صفة لازمة والخروج منها يتطلب حسب قانون المجلس موافقة ثلثي أعضائه، ولذا لم تقبل الاستقالة.

لم أستجب، بل سافرت إلى لندن، متذرعاً بموعد سابق ارتبطت به مع سفرائنا ورؤساء بعثاتنا الدبلوماسية في أوروبا الغربية لعقد اجتماع لهم. وعقد فعلاً ودام ثلاثة أيام، تكررت خلالها نفس النداءات، وفي أحد الأيام وبينما كنت مرتبطاً بدعوة غداء مع وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطاني وصلني هاتف من بغداد يؤكد أن التغيير بات ضرورياً ووشيكاً.

اعتذرت من الوزير البريطاني واتجهت فوراً إلى بغداد حتى وصلتها في ٦ تشرين الثاني ١٩٦٣، وفي المطار فوجئت باستقبال غير مألوف، ومعد سلفاً. فلم أكن أتوقع أن أجد فضلاً عن موظفي وزارة الخارجية، حوالي ستين ضابطاً بعثياً يشغلون أخطر مناصب ومراتب الجيش، بينهم رئيس الأركان وأمر الانضباط العسكري وقادة كتائب الدبابات الأربعة، وهي القوة الوحيدة القادرة على حسم أي نزاع عسكري في بغداد. وعندما انتهى الاستقبال، أوصلني وزير الداخلية حازم جواد بسيارته إلى منزلي، وفي الطريق سألته عن معنى حضور كل

هؤلاء الضباط، قال: إن الوضع داخل القوات المسلحة لم يعد يطاق، وإن طلب عودتك لم يكن رغبة شخصية مني فقط، وإنما سعى إليها عدد كبير من كواد الحزب المتفهمين، المدنيين والعسكريين، الذين أصبحوا مقتنعين بضرورة التغيير، وأضاف: كن واثقاً أن الضباط بحضورهم إلى المطار أرادوا إبلاغك بصراحة بأن الوضع بات غير مقبول، أما القطرية فلم تجتمع ولا مرة واحدة ولا يمكن بتركيبتها الحالية أن تجتمع. وحينذاك أدركت واقفقت أنه لا بد من تحمل المسؤولية ووضع علاج معين، وعدم الاستسلام للفوضى. ولم يكن كما بدا لي، في ذهن حازم أي حل جاهز، ولم أكن حتى ذلك الوقت، قد فكرت بحلٍ أو مخرج.

لعبة مزدوجة

وقبل مغادرته أخبرني حازم جواد بأن عماش يلعب ببحث لعبة مزدوجة، ويحاول إقناعنا وإقناع نفسه بإمكان ولاء أكثرية القيادة القطرية التي ستتمخض عن مؤتمر قطري استثنائي أو تكميلي، بعد إضافة عدد من العسكريين إليه. فتمتلك الأكثرية ونعيد انتخاب قيادة تكون أكثريتها الجديدة موالية، وحينذاك سيكون ممكناً اتخاذ قرار بإخراج علي صالح السعدي من المسؤولية، ونعيد تنظيم الحرس القومي وفق ما نبحده مناسباً، ووفق ما يدور الآن في أذهاننا حول مهماته وواجباته^(١).

١ — يحق للقارئ أن يتساءل عن الأسباب التي تجعل قيادتي الحكومة والجيش في سياق سعيهما للسيطرة على الدولة تبحثان عن وسائل حزبية شرعية للتغلب على بضعة رجال شباب مدنيين يقودهم رجل ثلاثيني وقيادة فرع بغداد وأعضائها عشرينيون إضافة إلى المقدم منذر الوندائي وهو ضابط يطير محلقاً خارج سربه، في وقت لم يُعرف عن أكثر المتأمرين — باستثناء حازم وطالب — الورع أو توسل الشرعية في الصراع.

وأرى أن حذر وتخوف قادة الوحدات العسكرية وحاجتهم لغطاء حزبي شرعي، (تمثل بحازم وطالب)، يعود إلى ظهور البعث أيام عبد الكريم قاسم كأداة سرية قوية، أشاع رجاله بين حصومهم الرهبة والاحترام، وأعطت محاولتهم اغتيال عبد الكريم قاسم ثم إسقاطه رغم أنصاره الكثيرون، الانطباع بأن البعث قادر على الثأر من أعدائه، ومن أية جهة تخونه. وذلك شكل ضماناً عظيمة لكي لا يقدم الآخرون على ضربه قبل أن يفكروا كثيراً. لكن الصراع البعثي — البعثي، وخاصة بين أعضاء القطرية علي ومحسن وحدي وهاني من جهة، وحازم وطالب من جهة أخرى، قد فضح مواطن الضعف وغيب الرهبة والخوف منه عند الآخرين. فتجروأ وبدأوا بتحويل ما يدور في أذهانهم إلى ترتيبات واتفاقات سرية تمهيداً لتنظيم الانتقضااض عليه وعلى السلطة. في حين اطمأن البعثيون إلى خوف الآخرين، وتفرغوا كلياً لصراعاتهم الذاتي حتى سقوطهم على يد تحالف ضم عبد السلام عارف وكتلة الضباط القوميين وضباطاً من البعث تعاملوا معه وكتلاً عشائرية وجهوية داخل القوات المسلحة، في حين بقي أبناء الشعب بعيدون عن الصراع الجاري، وظل أكثرهم يعتقد بأن رحيل البعث ليس سوى استراحة سيعودون بعدها بقليل، وترسخ ذلك في الأذهان بعد أن أحفقت سلطة القوميين بكل شيء أقدمت عليه. وكان أكبر مثل على عدم تفاعل الشعب مع ما جرى هو: الاصطدام الذي جرى بين دبابات الجيش ومقرات الحرس القومي في بغداد يوم ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، فقد جرى في مدينة خالية، وقد أفرغ لهم الشعب الشوارع والساحات ولأد الناس بيوتهم، فتصارع الطرفان بلا متفرجين.

وبالفعل زراني عماش في اليوم التالي معتذراً ... أولاً عن القرارات التي اتخذها عندما شغل منصب وزير الخارجية بالوكالة خلال وجودي في نيويورك ولندن، وحينها ثقل كل النساء العاملات في وزارة الخارجية، أي صفى الوزارة نسائياً والغريب أن عماش الذي تظاهر بالتدين وأحياناً التزمت الديني، لم يكن في حقيقته متشرباً بل لم يتمسك بتعاليم الدين الإسلامي حتى وفاته رحمه الله، فكان يتصرف كأبي واحد منا بصورة "سوية" ويقيم علاقات مع النساء ويشرب الخمر!! وكنت قبل زيارته مكتبي قد اجتمعت بموظفي الخارجية واطلعت على قراراته غير المدروسة، وأبلغت نساءها اعتذار عماش عن تصرفه، كما أبلغت مجلس الخدمة ببطلان وإلغاء قرارات النقل والفصل التي وقعها صالح مهدي عماش بحقوق النساء، وإلغاء إجراءات أخرى على درجة أقل من الأهمية.

قال عماش : إن القيادة لم تجتمع والتذمر يتسع بين الضباط الذين بدأوا لأول مرة يشعرون أنهم يمتلكون الشجاعة والحرية لإبلاغ القيادة القطرية للحزب بما يدور بخلدكم، وبمعاناتهم بكل صراحة وأمانة ودون خوف، وهم الآن يختلّفون عن المدنيين الذين يخافون من بطش وانتقام علي صالح السعدي والحرس القومي إذا ما عبروا عن استيائهم وآرائهم. وأنه كوزير للدفاع يبلغني أن وضع الجيش لم يعد محتمل، ولا بد من ضبط الحرس القومي وإعادة تنظيمه بطريقة مناسبة . وليس أماننا غير عقد مؤتمر قطري وإضافة أعضاء مناسبين إليه. وقال : تأكد يا طالب أن عدداً كبيراً من كوادر الحزب سيتعاونون مع قيادة قطرية عقلانية.

كان عماش يبادل السعدي العداوة ويؤكد باستمرار أنه بيت الداء . لكنني لم أكن متأكداً من إخلاصه لما يقوله، ولم أثق بقدرته في إخراج مثل هذا الأمر إخراجاً حزبياً سليماً. ولم أثق بمحجى قيادة يمكنها أن تمس ظفراً واحداً لعلي صالح السعدي، ناهيك عن إبعاده. وكنت أرى أن أهداف عماش تدور حول : أولاً: رغبته في عقد المؤتمر التكميلي وتوسيع القيادة ليفوز بمقعد فيها. ومبرره أنه وزير للدفاع وممثل للعسكريين.

ثانياً: الاستفادة من بقاء خطين متواجهين داخل القيادة القطرية، ليلعب كما هو حاله الآن، دور الوسيط الوسيط.

أي أن هم انصب على توسيع القيادة بغض النظر عن نوعية الفائزين بعضويتها. ولم يجد صعوبة في ممارسة اللعب على الطرفين وتسمية ذلك حياداً. وكان حازم جواد يشاركني التحليل، بل أخبرني بمثل ذلك هاتفياً قبل عودتي من لندن. لكن زيارة عماش لي سجلت أول خطوة لانحراطي مجدداً في الصراع على السلطة التي تعدد ربايتها واشتد صراعهم المحموم عليها. وشجعتني على العودة كثيراً شكل الهيكل القيادي، والانسحاب الإداري لأكثرية الحزب من الدولة إلى الشارع أو إلى مقرات الحرس القومي.

لقاء بعد منتصف الليل

وفي ليلة ٩ تشرين الثاني أيقظني رنين التلفون من النوم في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وكان المتكلم حازم جواد. قال نحن مجتمعون الآن ونبحث في شؤون الحزب، ومصير الثورة ويجب أن تحضر، أخبرته: ليس لدي سيارة، فأرسلوا سيارة عبد الستار عبد اللطيف التي دخلت بها القصر الجمهوري حوالي الواحدة والنصف ليلاً. وكان هناك، إن لم تكني الذاكرة حازم جواد، أحمد حسن البكر، عبد الستار عبد اللطيف، جميل صبري وآخرون لا أتذكرهم، لكنني متأكد أن عبد السلام عارف لم يكن بين الحاضرين.

سألت عن سبب هذا الاجتماع فقال البكر: أنا قررت الاستقالة إذا ما استمرت الأوضاع كما هي الآن. وأتينا يا طالب الشبيب وحازم جواد كتنما في مقدمة الأشخاص الذين ورطوني مباشرة في تحمل هذه المسؤولية. كتنما قيادة الحزب الذي شاركنا وقادتنا في ١٤ رمضان. فالسعودي وعماش وشتاف اعتقلوا، وعبد السلام لم نشركه في الأمر، وغياب خلخال وحدي عبد المجيد ومحسن مسجون منذ فترة طويلة، لذا نحملكم مسؤولية الخراب الذي حل بالبلاد وأصاب الدولة. فإذا لم نعالج الأمر بطريقة حزبية، سيحصل انفجار لا يمكن السيطرة عليه وربما يخرج الأمر من بين أيدينا!! ووجه كلامه لي: يجب أن نعرف إننا إذا لم نعالج الوضع بسرعة سيعالجه غيرنا، وحينذاك سيأخذون معهم كل الضباط الحزبيين الناقمين على الحرس القومي وعلى الحالة برمتها^(١).

١ — يرى آخرون أن الاجتماع ضم أيضاً: حردان التكريتي، وعبد السلام عارف، وظاهر يحيى التكريتي. وأظهر جميع الحاضرين ودهم لحازم وطالب حاجتهم مؤقتاً إلى الشرعية الحزبية. وأضع خطأ تحت كلمة مؤقتاً لأن كل الدلائل تشير إلى أن الضباط حينذاك قد تأججت فيهم روح الرابطة العسكرية، ورغبة الدفاع عن المؤسسة العسكرية، ومن هذا المدخل تم استغلالهم وتهيئة الفرص لهم للتمرد على الحزب، وسيعمي الخل الحزبي حتى لو كان شكلياً أو اسمياً أبصارهم كلياً عن حقيقة المخطط الذي بدأ عبد السلام عارف في نسجه ببطيء وعلى نار هادئة، ورغم الحاجة لغطاء وحل حزبي فإن مخططي المؤامرة الوسطيين (البكر ومجموعته) وضعوا أمام حازم وطالب حلولاً محددة، وطالبوها بوضع حلول حزبية شرعية مطابقة لمقاسات ونتائج موضوعة سلفاً.

وفي هذا السياق يقول محسن ملة أن البكر وعماش خططوا فعلاً لإبعاد حازم وطالب حتى قبل شروط الحرس القومي إبعادهما، لكنه يستثنى حردان التكريتي وحسن النقيب وزكريا السامرائي وجميل صبري وعبد الستار عبد اللطيف الذين كانوا صادقين في رغبتهم بقاء حازم وطالب في العراق. وقد فاتحتهما حردان قبل مغادرتيهما إلى بيروت باستعداده لنصرتهم إذا ظلوا. وفعل ذلك صالح مهدي عماش أيضاً لكنه لم يكن صادقاً [1].

والحقيقة فإنه من الصعب معرفة ميول الضباط الحقيقية بعد أن تلوقوا طعم السلطة، وقد أخبرنا محسن الشبيخ راضي [2] بأن طاهر يحيى وعددًا من الضباط الكبار الذين دخلوا قبل تنفيذ الثورة وبعدها للحزب، أنهم كانوا كلما يلتقون بنا في ممرات المجلس الوطني أثناء الأزمة يكون بصوت عالٍ يعلنون ولائهم وخوفهم على ثورة الحزب من الضياع في نفس الوقت الذي يحضرون فيه الاجتماعات ويساهمون في التآمر ويخططون لضرب طالب وحازم بعد ضرب علي ومحسن.... الخ.

سؤال: هل كان البكر يقصد عبد السلام عارف بكلمة الغير؟

طالب الشبيب: لم يرد عبد السلام في الذهن، ولم يكن سوى بدلة عسكرية دون صلاحيات أو قوات تأتمر بإمرته. حتى حرس القصر الجمهوري كان يتلقى أوامره من البكر مباشرة، وكان أمره ضابطاً بعثياً هو المقدم عبد الجبار الصالحي.

وفي يوم ١٣ تشرين الثاني عندما قصف منذر الوندائي مكتب عبد السلام في القصر الجمهوري طلبت قوات الحرس المزودة بأسلحة مضادة للطائرات الأذن بالرد على طائرته من أحمد حسن البكر وليس من عبد السلام، وقد تردد البكر كثيراً على أساس أن الطائرة الواحدة تكلف مبلغاً كبيراً، فأخبره أمر الحرس بأن الجنود لن يصمدوا طويلاً، إذ كانوا يتعرضون للرصاص والقنابل دون إعطائهم حق استخدام أسلحتهم دفاعاً عن أنفسهم وأن ذلك سيجعل إمكانية التحكم والسيطرة على الكتيبة أمراً صعباً. وحينها أصدر البكر أمره بالرد على الطائرة المغيرة.

هذه وغيرها من عشرات القصص تؤكد أن عارف لم يستطع حتى إمرة الجنود الواقفين أمام باب غرفته لارتباطهم بوزير الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية حازم جواد، ومنظمتهم الحزبية، وكان سكرتير عبد السلام الضابط عبد الله مجيد بعثياً أيضاً. وكنا نشك باتفاقه معه (قتل فيما بعد مع الرئيس عبد السلام عارف بحادث سقوط الطائرة الشهير رحمهما الله، وعبد الله مجيد هو غير الضابط مجيد العبد الله الذي كان بعثياً منظماً ومن ضباط ١٤ رمضان)، وأذكر مرة أن الحرس القومي في إحدى مراحل الأزمة قطع تيار التلفون عن دار عبد السلام عارف رئيس الجمهورية فتطلب الأمر أن يتصل صالح مهدي بقيادة الحرس لإعادة التيار حتى يتمكن عبد السلام من الاطمئنان على عائلته انطلاقاً من القصر الجمهوري الذي يقبع محاصراً فيه. أضف إلى ذلك أننا لا نعتقد أن عبد السلام المحاصر بين جدران القصر قد خدعنا، فلم يكن يملك حتى حق الخروج ببذلته العسكرية إلى خارج قصره إلا بعلم وموافقة حازم جواد. كما أن جهاز الاتصالات العسكرية الموجود داخل القصر منذ ما قبل ثورة رمضان أصبح تحت سيطرة ضباط مراسلة بعثيين، بل إن عبد السلام عرف وضعه جيداً، وآثر في كل مراحل الأزمة البقاء بعيداً، لا يزوج بنفسه في المناقشات الحزبية، يستأذن ويخرج ليتركنا وحدنا عندما نلتقي (عسكريين ومدنيين) لمناقشة أية قضية حزبية، ويقول: هذه شؤونكم وأنا خارج.

فليس عبد السلام هو الذي استغل وضعنا وتآمر علينا. بل نحن الذين تركنا له سلطة فارغة من القيادة، فاستلمها رغم أن جميع أمراء الوحدات الأساسية في بغداد بعثيون، ومازلت حتى هذه اللحظة أعتقد أن عبد السلام فوجئ بالسلطة بين يديه، وربما يكون حينما قرر أخذها قد استثمر انتهازية صالح عماش، وتردد البكر، وتهافت عدد من الضباط، فجدد اتصالاته بمن توسم أنهم سيقفون معه.

وأغلب الظن أن البكر أراد بقوله، الإشارة ليس إلى عبد السلام بل إلى بعض الضباط الكبار كرشيد مصلح وظاهر يحيى وسعيد صليبي، كما أراد بتلميحه ذلك أن يحملنا المسؤولية، لإقتناعي شخصياً بأن الحل الوحيد يكمن في إخراج علي السعدي من السلطة، خاصة وأنه أكد بشكل قاطع عدم ثقته بتوقعات صالح مهدي عاش، مشيراً إلى انتهازيته ولعبه على الجبال ومحاولته استغلال الأزمة لكي يبرز وسيطاً بين الطرفين.

وخلاصة الأمر، إن من بين جميع الذين تأمروا علينا، كان عبد السلام عارف وحده، بحكم منصبه وتاريخه، يمكن أن يشكل مركزاً للاستقطاب، ويستطيع إذا جاءته الفرصة أن يؤسس شرعية تحمل محل القيادة القطرية للبعث، وكان يعرف خطوته القادمة، والخطوة التي يخطوها الحزب. وكنا أنا وحازم جواد نعرفه جيداً وقربيين منه، وحلقة الوصل بينه وبين القيادة القطرية ولم يتكلف غيرنا بذلك. وفي الحقيقة فإن علي صالح السعدي كان أول من حقق للبعث اتصالاً بعيد السلام عارف قبل ثورة رمضان، وربط معه المهندس عدنان القصاب، الذي نفذ أمراً سابقاً بجلبه إلى مراسلات أبو غريب يوم الثورة^(١).

١ - تهيب البعثيون الشباب أن يطلوا بأنفسهم مفردين على الشعب، وعلى مؤسسات الدولة والجيش بعد إسقاط قاسم. فاختاروا عبد السلام عارف وهو الرجل الثاني في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، والذي نازع قاسم في حكمه، وبسبب ما أصبح تنبئه تقليد في أن يأتي الضباط الشباب المنقلبون على سلطاتهم، برئيس أعلى رتبة، فيحافظون به على رضا وتماسك الجيش. وقد حصل ذلك في مصر مع محمد نجيب بعد أن اعتذر اللواء فؤاد صادق، وهو رجل وطني وقائد جيش مصر في حرب فلسطين ١٩٤٨. وتابّعهم قاسم عندما نصّب نجيب الربيعي، وهو ضابط وطني لم ينتم إلى حركة الضباط الأحرار، رئيساً لمجلس السيادة. وأرسل حزب البعث عدنان القصاب ليحلب عارف من داره إلى مقر قيادة الثورة المؤقت في أبو غريب وتعيينه رئيساً للجمهورية. وكان الفارق بين محمد نجيب وعبد السلام، أن الثاني اعتُبر من تجربة السلف. وأدرك أن البعثيين سرعان ما سيضعونه على الرف. فخطط أن يقتنص الفرصة إذا ما أتت. وظلت الفكرة مقيمة، تخفى في رأسه إلى أن أتاح له قياديو البعث بسبب خلافاتهم الانقضاء وتسلم السلطة^[2]. فقد حقق البعثيون في اختلافهم لعارف الجزء الأهم من خطته واستكملها هو كما يلي: أولاً: استغل غضب الضباط القوميين من انفراد البعث في السلطة، وتمكن من زرع بعضهم في مواقع عسكرية مهمة مثل أخوه عبد الرحمن عارف وسعيد صليبي، وهادي خماس، وصبيحي عبد الحميد، وعبد الكريم فرحان، كما أعاد صبيحي وفرحان تأسيس كتلتهم العسكرية الصغيرة التي "أحدث في داخل الصراع تعمل لصالحهما"^[3].

ثانياً: اقترب عارف بهدوء من جناح حازم وطالب والبكر، مستثمراً استقالة الوزراء القوميين الأربعة التي أضعفت وأربكت موقف تيار السعدي، وبذلك وفر لنفسه حماية قوية من الجناح البعثي الأكثر حضوراً داخل المؤسسة الحكومية والعسكرية. وعندما اشتد الخلاف البعثي - البعثي، لم يشارك عارف في أية محاولة لإطفائها بل مثّل دور الزاهد المنزوي - ليظمن ضحيته، وزيادة في التمويه شجع أحياناً على معاقبة القوميين العرب واعتقال زعيم الكتلة العسكرية الناصرية عبد الهادي الرواي والاعتداء عليه^[4].

ولم يكن جناح السعدي غافلاً، فتمحش بعيد السلام لجره إلى صراع مكشوف في محاولة لفضح موقفه وإشعار البعثيين بالموامرة التي تحاك لهم في الخفاء. فقصف منذر الوندائي مقر عبد السلام ومقرات حلفائه كسعيد صليبي، وقطع الحرس القومي التلغون عن داره، لكنه رغم ذلك تحلى بصبر وعقلانية لم يعتد عليهما.

ثالثاً: إن ما يؤكد تخطيط عارف المسبق هو تأكيد عبد الكريم فرحان على أن عبد الرحيم الأرحيم (وهو تاجر معروف

←

صديق لعائلة عبد السلام عارف) زاره وأبلغه " إن الرئيس عارف قرر التخلص من الحرس القومي والقيام بحركة لتصحيح الانحراف، ووضع الأمور في نصابها وأناط لي مهمة إنلاغك وهو يرجو تأييدك ومشاركتك في العملية التي باتت وشيكة" ثم اتفقنا على كلمة سر رمزية هي "شهامة" لتكون بمثابة إشارة بدء العملية[5]. ذلك يؤكد أن تداول سق زيارة التاجر لقائد العرق. ويعني أن عارف كان قد اتصل بكثيرين قبل هذا، لأن قوات عبد الكريم فرحان ليست مهمة حداً للانقلاب لبعدها عن مركز العملية، ولوجود جفوة قديمة بينه وبين عارف، عززها موقف الأخير بوقوفه إلى جانب متصرف الموصل مدحت إبراهيم جمعة في خلاف نشب بينه وبين قائد الفرقة عبد الكريم فرحان. بسل أن عبد السلام خير فرحان بين السكوت أو الاستقالة إن أرادا! وذلك حتماً لا يجعل فرحان أول المتبليين بالحركة المزمعة. ثم إن حركة القوميين العرب كانت ملغاة بحركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ التي أطاحت بالبعث قبل وقوعها بفترة ليست قصيرة[6]

رابعاً: بعد اعتراض حازم حواد على علي صالح السعدي في المؤتمر الاستثنائي ١١/١١/١٩٦٣، جلس السعدي وقام عمال وقال: رفاق، أنا فوحت من قبل سلطات مسؤولة في الدولة وغير موحدة الآن في هذا المؤتمر (يقصد عبد السلام وهو المسؤول الكبير الوحيد غير الموحد لأسسه ليس بعثياً)، بالتأمر على حزب البعث، ورفضت ذلك، فوقف حردان معترضاً على ذكر أسماء أصحابها غائون عن الاجتماع وكان حردان حليفاً لعبد السلام ولحازم وطالب[7]. ويذكر أن علي السعدي ظل يصير دائماً على القول منذ الأشهر الأولى لسنة ١٩٦٣ بأن عبد الكريم قاسم سرق من عبد السلام ثورته، ولن نسمح لسلام بسرقة ثورتنا، وفي ذلك تأكيد على إحساس السعدي بمحاكاة عارف لمؤامرة. (في هذا الشأن.

خامساً: يضاف إلى ما سبق، الاستعداد الشخصي عند عبد السلام عارف للتأمر. فقد أبلغ جمال عبد الناصر في دمشق أمام الوفد العراقي المرافق له، بعد خمسة أيام من ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بأن العراق سيضم سريعاً إلى العربية المتحدة. وعندما سأله ناصر عن مصير قاسم، أجاب: " سيكون مصيره مصير محمد نجيب"[8]. وأضاف أنه ليس أمام قاسم سوى الاستسلام أو السقوط. وأن قاسم لا يعدو أكثر من قلم حبر في حبيبه[9]. ووصل حديث عارف إلى عبد الكريم قاسم حتى قبل عودة الوفد إلى بغداد، ولم يكن عبد الكريم قاسم لثيماً ليحيى الأمر، بل واجهه به فور عودته ولامه عليه وطلب منه عدم تكراره، فأنكر عارف الأمر بصورة قاطعة. حصلت تلك الحادثة بين عارف وناصر وقاسم قبل اندلاع الخلاف حول شعار الوحدة العربية وطريقة تحقيقها (الأندماج أم الاتحادية أم الفيدرالية)، بل كانت ثورة تموز ٥٨ ما زالت تحتفل بانتصارها مما يؤكد سريرة عبد السلام المستعدة للتأمر.

وكل ما تقدم يؤكد أن عارف خطط لمؤامراته ضد البعث قبل يوم ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٣ وهو تاريخ إخراج طالب وحازم إلى بيروت.

وأرى أن البعثيين أخطأوا في تصورهم بإمكانية تغطية عارف لشرعية سلطنتهم أو بامتلاكه مميزات القائد السياسي الجذاب ليمنحوه محناً منصب رئاسة الجمهورية، فمنذ ١٩٥٨ لم يقل أحد من الذين عملوا معه أنه كان موهوباً أو جذاباً أو حافظاً للعهد. فقد قال عنه محمد صديق شنشل وهو أحد أبرز قادة التيار القومي في العراق إنه " لا يملك الإدراك السياسي أو كيفية التصرف مع الأجانب أو مع زملائه". وقال عنه خلال عهد قاسم " نظراً لقدرته المحدودة وتسرع وتصريحاته العامة غير المقبولة، فقد أصيب الجهاز الحكومي بشبه عجز، ولا يمكن إدارة البلاد عن طريق رجل مثل عارف" و "أنه من الخطورة بمكان لو استلم عارف السلطة فعلاً"[10]. وقال عنه عبد الكريم فرحان أنه أسند المناصب المهمة إلى أقاربه أو أبناء عشيرته ومدينته، وفي عهده راج سوق التزلف والرياء، وأثبتت الوقائع " تنكره للأهداف والمبادئ التي قامت من أجلها ثورة ١٤ تموز" ولم يكن مؤمناً أو جاداً بشأن قيام وحدة عربية مع مصر[11]. وسعى المرحوم الدكتور باسل الكبيسي سلطة عبد السلام عارف بالقيادة المنحرفة[12].

وإذا طلبنا الحق، فإن ميزة عبد السلام الوحيدة كانت معرفته بعبد الكريم قاسم وملازمته له، فلم يتذكره أحد، ولا اعتقد سيذكرونه مستقبلاً، قبل تموز وبعدها، إلا بسبب رفقته لقاسم أو عداوته له. وقد كانت تلك الرفقة هي السبب المباشر التي دفع بالبعثيين لتنصيبه رئيساً للجمهورية.

وبعد نقاش طويل إقترح أحد الحاضرين الدعوة لعقد اجتماع للمجلس الوطني لقيادة الثورة بتركيته الأصلية، أي بدون الأشخاص الذين تمت إضافتهم بعد نجاح الثورة. ليصبح أكثريته من العسكريين. فيكون حينها ممكناً تقرير إخراج علي صالح السعدي وأنصاره، على أن يشمل القرار أقل عدد ممكن منهم، وبما يكفي لإعادة الأمور إلى طبيعتها. وحينذاك يمكن الدعوة لمؤتمر قطري تأسيسي (أي انتخاب مندوبين إليه مباشرة من مؤتمرات الفرق الحزبية (القاعدة)، لأن الانتخابات السابقة تمت بصورة مشوهة، ولم يكن تنفيذ مثل هذا الاقتراح يحتاج إلى أكثر من دعوة السعدي ومجموعته للاجتماع واحتجازهم فور حضورهم وينتهي كل شيء. لكنني رفضت ذلك الاقتراح بشدة، لأسباب سخيفة إذا ما نظرنا إليها من زاوية الوقت الحاضر والوسائل السياسية المستحدثة كالغدر والمناورة. وقد استندت في موقعي الرفض إلى ضرورة عدم إظهار الأمر وكأن العسكر وعبد السلام عارف لهم دور في "مؤامرة" استبعاد علي السعدي، "مؤامرة" ضد بعثيين ينفذها ضباط غير بعثيين، وذلك سيثير قواعد الحزب ولا توافق عليه القيادة القومية. وقد عكس موقعي عقلية مثالية جاهلة أو ساذجة من حيث التفكير والتخطيط^(١).

وأمام هذا الرفض قال البكر: إن أكثر ضباط الجيش الذين راجعوه يحتجون على الدعوة التي وجهت إليهم للمشاركة بأرواحهم يوم ١٤ رمضان ١٩٦٣، لكنهم منعوا بعد انتهاء مخاطرة الدماء، من تقرير مصيرهم ومصير البلد. فلم نعظم الحق في اختيار مجلس قيادة الثورة، ولا في انتخاب قطرية الحزب، رغم أنهم بعثيون. ولم نستشرهم في تعيين الوزراء، وإنما أبلغوا بالأوامر ونفذوها بكل طاعة، ومات بعضهم نتيجة لذلك. ولذا فهو (أي البكر) بوصفه مسؤولاً عن المكتب العسكري الحزبي، لا يمتلك الحجة للرد عليهم وإقناعهم "فقولوا لي ماذا أفعل، وبماذا أجيئهم". قلت نحن لا نستطيع حل المؤتمر القطري والدعوة لانتخابات قطرية جديدة لنحصل منها على مندوبين مناسبين. لأن مثل هذا الإجراء لا يحقق إلا للقيادة القومية. وأكثر من ذلك سيكون مضرًا لنا إذا ما طلبنا من القيادة القومية التدخل لحل المشكلة، بعد

١ — تشكل المجلس الوطني لقيادة الثورة، قبل ٨ شباط ١٩٦٣ بأربعة أيام في اجتماع للقطرية في بيت طالب شبيب وهو الاجتماع الذي اعتقل بعد انتهائه السعدي وشتاف وبهاء وعماد. وضم المجلس المشكل علي السعدي، حازم جواد، طالب شبيب، أحمد حسن البكر، صالح مهدي عماش، عبد الستار عبد اللطيف، حردان التكريتي، منذر الوندائي. ثم بعد أول اجتماع له أضيف له عبد الكريم نصرت وذياب العلكاوي وطارح يحيى لتطعيمه برتب كبيرة. وتعيين أنور عبد القادر الحديشي سكرتيراً له وباقتراح من علي السعدي أضيف عبد السلام عارف وعين رئيساً للجمهورية. وفور نجاح الحركة أضيف محسن الشيخ راضي وحدي عبد المجيد وحيد خلخال وكريم شنتاف وهادي الفكيكي وسعدون حمادي، كما يحق لإثنين من أعضاء قيادة فرع بغداد الحضور له بحسب الاختصاص والطلب، وبهذا ضمن القياديون الحزبيون الذين لم يتسلموا مناصب حكومية المساهمة بصنع القرار السياسي للدولة من خلال المجلس الوطني لقيادة الثورة. وقبل ذلك كان مكتب حازم جواد يعتبر بالنسبة لهم مقراً يساهمون من خلاله بمراقبة وتوجيه الدولة، وكان مقر حازم يقع في البلاط الملكي القديم.

النتائج التي ترتبت على سير أعمال المؤتمر القومي السادس لحزب البعث العربي الاشتراكي^(١)، وإذا استبعدنا الحل القومي سيبقى ممكناً أن ينعقد المؤتمر القطري بنفس أعضائه السابقين وهو وحده صاحب الحق في حل نفسه. وذلك لن يحصل لا من أعضاء المؤتمر القطري ولا من القيادة القطرية التي لن تتبرع وتطلب من القيادة القومية إصدار أوامر بإجراء انتخابات جديدة لصالح خصوصها (حازم وطالب والبكر). كما أن القطرية لكي تقرر شيئاً يجب أن تجتمع وهو غير ممكن لاستحكام الخلاف بين أعضائها. وما يثير الحيرة أكثر هو أن كافة الحلول الأخرى لا تنبع من داخل الحزب ونظامه الداخلي، وهي حلول مرفوضة، فماذا ترى أنت ؟

رد البكر : لماذا لا يأتي الضباط البعثيون إلى المؤتمر القطري التكميلي المزمع عقده، ويطلبون بحقهم؟ أما كيف ؟ فسنفق على أسماء ضباط يشترط أن يكونوا المساهمين في ثورة رمضان ومن تنفيذها الأوائل، وليس ممن التحقوا بها فيما بعد. والصفوة من هؤلاء تأتي إلى المؤتمر وتطالب بحقها في عضويته وبتمام ذلك تجري الانتخابات وفق المعادلة الجديدة، فنخرج بقيادة سياسية مناسبة تستطيع تسوية الأزمة.

ذكرني حديث البكر بما أخبرني به عماش عند زيارته مكنتي قبل أيام، وبدأت تدريجياً أصبحو لأجد نفسي داخل مخطط أحكم مسبقاً. فمنذ ساعة واحدة فقط، أيقظني من النوم رنين الهاتف ووجدت نفسي فجأة داخل القصر الجمهوري في حوار سريع وخطير، سيقدر مصير السلطة التي صنعناها بمجد عظيم، ويود هؤلاء المغامرة بها بسرعة. وقبل أن أتمكن من جمع أفكار، وضعت أمامي مشاريع انقلابية جدية ومصيرية ستعكس مستقبلاً على البعث والعراق والمنطقة بكاملها.

ولم أكن بهذه العجالة قادراً على حسم الرأي، ومر بخاطري إحساس بعدم الرضى عن نفسي وعن كل شيء. وشعرت ببعيد المسافة بين ما حلمت به كمناضل وما وصلت إليه الأمور. وتعمق ذلك الإحساس بعد الاستماع للمناقشات التي دارت بين حكام فعليين، لكنهم يتوسلون لحل مشاكلهم بطرق جميعها ليست شرعية، وتتجاوز النظام الحزبي والحكومي.

١ - لم يكن ممكناً أن يستفيدوا من القيادة القومية، لأن مندوبي الجناح اليساري لحزب البعث في كل الأقطار العربية، مع ممثلي العراق الذين انتخبهم المؤتمر القطري في ايلول وكانت أغليبتهم الساحقة موالية لعلي صالح السعدي. قد سيطروا كلية على أجواء المؤتمر القومي السادس، وتمكنوا من استبعاد طالب وحازم من عضوية القيادة القومية، وانتخاب قيادة قومية تخالف ميشيل عفلق، وترى أفكاره متخلفة. وتحذر من إخلاص الضباط العراقيين لسلطة البعث في العراق، وبالتالي فإن تحكيم القيادة القومية بتشكيلتها المؤيدة لعلي صالح السعدي سيؤدي إلى إنصاف خطه ضد حازم وطالب.

ويذكر أن المؤتمر السادس انتخب لعضوية القيادة القومية من العراق كلاً من علي السعدي ومحسن الشيخ راضي وحدي عبد المجيد.

لكن ذلك كان مجرد خاطر مر بذهني للحظة، استعدت بعده صفة السياسي داخل الحلبة!! وقلت: هذه العملية معقدة جداً ولا أستطيع البت فيها فوراً. وإذا شئت جواباً سريعاً فإن الفكرة بمجملها لا تبدو متماسكة وهي غير مدروسة جيداً..

وفوراً أدرك الحاضرون أن اعتراضني الأخير كان فنياً وليس مبدئياً أو أخلاقياً، أي أن الموافقة حصلت من حيث المبدأ، وليس مطلوباً منهم غير إثبات فرص نجاح الحطة. فلاحظت إشرافاً على وجوههم، ولم أفاجأ من طريقتهم الجماعية الفورية في الرد عليّ، وكأنهم أمسكوا بنقطة ضعفي، ومن هبوبهم الجماعي بوجهي تأكد إدراكي السابق إن بينهم أمراً مدبراً. وإن هذه الجلسة لم تكن للتداول وإنما لإقناعي شخصياً بخطة جرى بحثها والاتفاق عليها قبل وصولي القصر، وربما قبل عودتي من لندن قبل ثلاثة أيام.

والواقع لم أكن أملك رداً. فوافقت على ما دعوني إليه واتفقنا أن نترك الأمر إلى أحمد حسن البكر ليختار الضباط بالتشاور مع حازم جواد وعبد الستار عبد اللطيف. وكانت تلك ليلة التاسع من تشرين الثاني ١٩٦٣^(١).

١ - انقسم البعثيون إلى شطرين، ضم الأول حازم جواد وطالب شبيب يساندهم ضباط كثيرون مثل البكر وعمّاش وجرّدان وعبد الستار عبد اللطيف وعلي عريم وحسن النقيب ومحمد المهدي وحميل صبري... الخ ويقف نفس موقفهم ضباط قوميون يحتلون مراكز حساسة مثل صبحي عبد الحميد وعبد الكريم فرحان وهادي خمّاس وعبد الرحمن عارف. ووقف نفس موقفهم أيضاً عبد الكريم نصرت وخالد مكي الهاشمي وآخرون لم يكونوا حتى وقت قريب على وفاق معهم، وذلك بسبب التحازات التي حصلت ضد الضباط في بغداد، ووقف معهم أيضاً الوزراء القوميون والموظفون الكبار وتيارات محافظة أخرى. أما جناح السعدي ففيه محسب الشيخ راضي ومحمدي عبد الحميد وهادي الفكيكي ونجاد الصافي وأبو طالب الهاشمي وأحمد العراوي والوندادي وستار الدوري وفائق البزاز وصديقي أبو طيبيخ وعدد كبير من القيادات الحزبية الوسطية والمنظمات الشعبية وكل المتأثرين بالأفكار اليسارية التي بدأت تدب في جسد البعث خصوصاً أولئك القادمين من أوساط طبقية كادحة. وتطور الانقسام إلى يمين ويسار:

قاد اليمين أحمد حسن البكر وأقام في ١٩٦٨ سلطة أوصلت البلاد إلى دمار جنوبي. واتفق اليسار مع قيادة حركة ٢٣ شباط ١٩٦٥ في سورية لتأسيس وإعادة بناء تنظيم البعث على أسس عصرية وشعبية. ودأب يسار البعث في العراق وعلى مدى أكثر من عشر سنوات تلت الانقسام على إصدار بيانات سنوية بمناسبة ١١ تشرين الثاني ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وكذلك في ٨ شباط يحيي فيها ثورة رمضان، لكنه يشن هجوماً ثابتاً ضد سلطتها مشيراً إلى أخطائها وممارساتها ضد الشعب العراقي والبعث نفسه، ويتهم المنحرفين بسلطة رمضان بالتخاذل أمام شركات النفط ويتجاوز القانون وممارسة التعذيب والقتل بما يخالف مبادئ حزب البعث التي تركّزت أساساً على النضال الوجودي العربي وحل المشاكل الداخلية بصورة سلمية. وقد حاض يسار البعث مع الشيوعيين والحركة الكردية والحركيين والناصرين مند منتصف الستينات مفاوضات جبهوية وتعاوناً ميدانياً، تجاوزوا خلاله الحساسيات القديمة، فاعترف كل طرف بصورة مباشرة أو غير مباشرة بأخطائه وممارساته الطائرتين في صفوفه، ولم يشأ الشيوعيون نسيان شهدائهم وموت كوادهم وأمينهم العام وخسارة مواقعهم التي يصعب استعادتها مرة أخرى، ولم يرغب البعثيون إلغاء تاريخهم، لكن الزمن والإرادة الطيبة تدخلت لتضع أمامهم مهمات جديدة أكثر خطورة.

وبعد انقضاء مرحلة الانقسام الأولى حكم كثيرون على حازم وطالب، أنهما قادا جناحاً مقابلاً لخط السعدي، فأتاحا

←

مؤتمر حزبي يؤدي إلى انقلاب عسكري

أبلغ صالح مهدي عماش ، علي صالح السعدي بموافقتنا على عقد المؤتمر القطري الاستثنائي لاستكمال العدد الجديد لأعضاء القيادة القطرية، وبنفس اليوم الذي اقترحه هاني الفكيكي (رئيس المؤتمر القطري العادي) وهو ١١/١١/١٩٦٣ . وكان عماش يقوم بدور الوسيط والمراسل بين جناحي القيادة المختلفين. وكانت تلك حالة غريبة لم يشهدها تاريخ الحزب في أكثر ظروفه تأزماً. وقد وافقنا على وساطة عماش بسبب انقطاع الاتصالات كلياً بيننا .

وفعلاً، انعقد المؤتمر بكامل أعضائه تقريباً. وبعد التام جلسته بدقائق قرع الباب ودخل الضباط يتقدمهم محمد المهداوي ورشيد مصلح التكريتي وعلي عريم، وبينهم جميل صبري البياتي وسعيد صليبي وحيد التكريتي.. الخ. كانوا سبعة عشر ضابطاً يقودون أهم الوحدات

الفرصة لخط ثالث معاد للبعث التدخل والفوز بالسلطة بعد أن كان متفرحاً. وفي الحقيقة فإن كلاً من السعدي وعبد السلام والبكر وعماش كانوا يعرفون ماذا يريدون ويذهبون مباشرة إلى مبتغاهم. أما حازم وطالب فقد أرادا شيئاً ولم يذهبا إليه مباشرة. فقد كانا من طينة السعدي، لكنهما وبسبب من واقعية متشددة أرادا استثمار تحالفهما مع اليمين لترسيخ أقدامهما بالسلطة من أجل تحقيق الطموحات القومية والوطنية للمجتمع العراقي!! إن تعمقاً بسيطاً سيكشف أسباب حدة الصراع الكامنة، ومن أجل فهم الأمر لا بد من معالجة أمور كثيرة أهمها :

أولاً: إن حكومة ١٤ تموز بعد أن أقامت نظاماً وطنياً، احتطت تحت ضغط الشيوعيين والتأييد الشعبي الساحق لقيادتها، خطأ يسارياً وضربت علاقات اجتماعية وجهوية كانت سائدة منذ فترة طويلة. ثانياً: جاءت نتائج الثورة العراقية في ١٤ تموز مخيبة لآمال جمال عبد الباصر الذي أراد نظاماً ذاتياً في العربية المتحدة وليس مكملاً، دون أن يدرك تركية العراق المتميزة وقوة وخبرة الحركة السياسية العراقية، واختلاف ميول وتقاليدهم، فلم يكن العراقيون بكاملهم جاهزين لإطاعة مندوب يرسله عبد الناصر لحكم العراق كما فعل مع سوريا. لكن ناصر اعتقد أن قاسم وحده الذي يعيق التحاق العراق الطوعي بالعربية المتحدة، فعمل بفعالية إعلامية نشيطة وشعارات مثيرة إلى تخريب سمعة قاسم عربياً وشجع على تأسيس خط ناصري منظم في العراق وكان وجوده قبل ذلك لا يتجاوز التعاطف العام.

ثالثاً: خلق إلحاح الشيوعيين وتطرفهم الاجتماعي بيئة فوقية من المتحالفين ضد نظام قاسم، اختلط فيها القومي الناصر مع ابن الإقطاعي والتاجر وذوي الميول الدينية وأبناء الفئة المستفيدة التي ضايقها كثيراً مزاحمة أبناء الأرياف الزاحفين على بغداد من كل حذب وصوب. كل هؤلاء شكلوا أقلية عددية معارضة، لكنها قوية ومتماسكة وتمتلك أصولاً وجذوراً راسخة داخل أجهزة الدولة والجيش والشرطة.

خامساً: وينتمي حازم وطالب للفئة النائرة من هؤلاء ، ولكنهما توها أن عقلانية هادئة ومحسوبة ستدعهما يتغلبان سلمياً ويحققان إرادة الحزب دون خسارة الحلفاء، وبأقل قدر من الفوضى. أما حناح السعدي فقد اعتبر عقلانية حازم وطالب نوعاً من الانتهازية والمداورة ، وتوهم بقدرته على هزيمة السلطة انطلاقاً من الشارع ففشل الجناحان، لأن اليسار قدم بفوضاه أضراراً كافية لانعزاله عن حلفاء طبيعيين له، والعقلاني توهم أن المحافظين وكبار العسكريين بلا ذكاء وبلا حطة. لكن حازم وطالب ودون قصد منهما استخدما جسراً مرت عليه فئة عضت السلطة ولن تتركها بسلام، فظل العراق يتدهور تحت سلطتها حتى خاضت به حروباً مجنونة على الحدود الشرقية والجنوبية، ولذلك اعتكف حازم ومات شبيب معارضاً.

العسكرية الموجودة في بغداد ومحيطها. ولإلنصاف فإن عددهم لم يتجاوز النسبة العددية لما يستحقه التنظيم العسكري داخل المؤتمر بالقياس إلى مجموع التنظيمات الحزبية المدنية الأخرى.

تكلموا معاتين وكانوا جميعهم من المشاركين الأوائل في الثورة. قال أحدهم وأظنه محمد المهدي: نحن ضباط ١٤ رمضان، قمنا بالثورة، وشاركنا في كل شيء، وحملنا دماءنا على أكفنا، ورؤوسنا على أكتافنا، وضحينا وقتل منا من قتل، ولكن أحداً لم يدعونا للمشاركة في الانتخابات، ولم نستشر، ولم يكن لنا رأي. وهذا اعتداء على حقوقنا كأعضاء في حزب البعث وكمساهمين في الثورة. ونرجو من أعضاء المؤتمر إعادة الحق إلينا.

اعترض رئيس المؤتمر هاني الفكيكي على دخول الضباط، فوجه حميد التكريتي رشاشته مباشرة إلى صدره وقال له انزل، ولم أكن أتصور أن هاني يمتلك القدرة الرياضية الكافية لكي يقفز بحركة كروبايكية واحدة، فيدور دورة كاملة في الهواء ويأتي على أرجله واقفاً. كما انتقل علي صالح السعدي من مكانه ليجلس إلى جانب أحمد حسن البكر والاحتماء به. في حين استمر أحد الضباط معاتباً "إنكم في القطاع المدني أجريتم انتخابات، فلماذا لم تقيموا مثلها في القطاع العسكري؟ ونحن نعترض عليكم لعدم تمثيل المؤسسة العسكرية داخل قيادة الحزب، فكيف يمكنكم معرفة إرادة القطاع العسكري بدون انتخابات.

تحدث علي السعدي فتوافق مع الضباط على حقهم في حضور المؤتمر محاولاً استمالتهم^(١) لكن الضابط محمد المهدي أشار إلى اللواء طاهر يحيى التكريتي أن يصعد إلى المنصة لترأس الجلسة دون تصويت. فقال له: "يا أبا زهير" تفضل لرئاسة المؤتمر. وفوراً طلب يحيى من المعارضين التصويت على قبول الضباط أعضاء أصلاء في المؤتمر القطري، ففاز الاقتراح بأغلبية ٣٨ صوتاً من أصل ٤٥ صوتاً^(٢). ثم جرى التصويت على سحب الثقة من القيادة القطرية

١ — لم يكن تصرف السعدي عندما وافق على منح العسكريين عضوية المؤتمر دليل ضعف، بل جاء لإنقاذ قيادة الحزب وأنصاره من احتمال أن يقتلهم الانقلابيون. لأنه (أي السعدي) أدرك أن ما يحصل ليس سوى انقلاب عسكري [13]. وكما اعتقد بأن اقتراح عضوية المؤتمر للضباط الذين انتهكوا حرمة المؤتمر ودخلوا قاعته عنوة لم يأت سوى من علي السعدي.

٢ — بعد دخول الضباط للمؤتمر احتل التوازن والتمثيل وأخذ الضباط أكثر من حقهم التمثيلي في المؤتمر، فقد أصبح عددهم حوالي ٢٨ ضابطاً من أصل ٦٢ عضواً، أي ٤٥ عضواً أصلياً يضاف إليهم ١٧ عضواً حصلوا على عضويتهم عنوة، وهم المقدم محمد المهدي والزعيم رشيد مصلح التكريتي والمقدم علي عريم والمقدم صلاح الطبقجلي والمقدم محيي محمود والمقدم زكريا السامرائي، والعقيد سعيد صليبي والمقدم حميد السراج والمقدم منعم حميد والمقدم الطيار حسين حيواني التكريتي، والمقدم جميل صبري البياتي، والرائد عبد الله مجيد، والمقدم فهد جواد الميرة والمقدم حميد التكريتي، والمقدم حسن مصطفى النقيب والنقيب الاحتياط عزيز شهاب والمقدم أحمد أمين محمود. وكان موجوداً داخل المؤتمر كأعضاء أصليين العميد أحمد حسن البكر، الفريق صالح مهدي عماش، اللواء طاهر يحيى التكريتي، العقيد ذياب العلكاوي، المقدم الجوي منذر الوندواوي، العقيد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت،

المنتخبة في المؤتمر الاعتيادي الذي لم يحضر على انعقاده شهران، وفاز الاقتراح بنفس النسبة السابقة. وكان سعدون حمادي من المعارضين لتلك الانتخابات فوقف قائلاً: إن ما يجري غير شرعي، فقليل له : اسكت، فسكت. وانتخب د. فائق البزاز وعبد الستار السدوري لعضوية القيادة القطرية الجديدة دون أن يرشحا نفسيهما، فاعترضا، ولم يقبل اعتراضهما، أما تحسين معلقة ومنذر الوندائي وصالح مهدي عماش، فقد انتخبهم المؤتمر أعضاء احتياطيين في القيادة الجديدة. وأتذكر أن جعفر قاسم حمودي دخل إلى قاعة المؤتمر قائلاً: أنا عضو أصيل في المؤتمر، فلماذا لم تدعوني لحضوره؟ ولا أتذكر إذا سمح له أم لا؟

بعد إعلان أسماء القيادة الجديدة، انتقل الفائزون إلى غرفة صغيرة مجاورة، لعلها غرفة البكر الذي ترأس الاجتماع باعتباره أكبر الأعضاء سناً، فقال: بدلاً من إبعاد عشرة، نقوم بإبعاد ثمانية، وبدلاً من ثمانية، ستة. وكلما قل عدد المبعدين يكون أفضل لنا، فنقرر إبعاد علي صالح السعدي ومحسن الشيخ راضي وحلمي عبد الحميد وهاني الفكيكي وأبو طالب عبد المطلب الهاشمي، وتشكيل حكومة جديدة برئاسة البكر، وعدم إذاعة تفاصيل ما حدث في قاعة المؤتمر باعتباره شأنًا من شؤون الدولة وأسرارها. على أن يتم بعد ستة أشهر إجراء انتخابات حزبية جديدة في جميع أنحاء القطر، يشارك فيها المدنيون والعسكريون. عن فيهم الأعضاء المبعدون إلى خارج العراق^(١).

المقدم عبد الستار عبد اللطيف، العقيد الجوي حردان عبد الغفار التكريتي، الملازم احتياط بهاء حسين الشبيب. وكان بين الحاضرين عدد من المدنيين الممنوحين رتب الضباط كابو طالب الهاشمي ونجاد الصافي وأحمد العزاوي .

١ — يقول حسن وادي العطية: كان محمد المهدي الوحيد بين الضباط الداخلين يرتدي بدلة مدنية سوداء ويحمل حقيبة سوداء ويضع نظارة شمسية سوداء. وبدأ حديثه مشيراً إلى حقيقته قائلاً: بهذه الخطة أسرار تدين بعض أعضاء القيادة القطرية وبعض الوزراء[14].

أما د. تحسين معلقة فقال: احترق ١٧ ضابطاً قاعة المؤتمر بعد عشر دقائق من التناهي، ورددوا شعار الحزب "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة" وكلهم عدا محمد المهدي يرتدون بزاتهم العسكرية. وكان الضابط حميد التكريتي يحمل غدارة (رشاشة) مصوبة وقالوا: نحن أعضاء في المؤتمر، ونرفض أن يكون الفكيكي رئيساً له . وطلبوا من طاهر يحيى رئاسته، وعندما اعترض الفكيكي هده التكريتي فنزل من المنصة بنفس الوقت الذي تنقل فيه محمد المهدي يجمع أسلحة المؤتمرين الشخصية، وعندما وصل إلى المقدم أنور الحديثي، سحب الأخير مسدسه محاولاً الانتحار وصائحاً: لسنا خونة، نحن وطنيون. وتمكن خالد مكي الهاشمي من تلقف المسدس من يده، وحاول الآخرون تهديته ومنعه من مغادرة القاعة وإعادةه إلى مقعده. بعدها تحدث السعدي محاولاً دغدغة عواطف الضباط قائلاً: نحن رفاق والعلاقات الرفاقية لا تسمح بالجابية... فوقف حازم حواد صائحاً: لا أسمع لك الآن أن تلبس مسوح القسس، فجلس علي بعد أن أدرك أن هناك ترتيباً وانقلاباً منظماً. وتم انتخاب قيادة جديدة بمشاركة الضباط، اجتمعت بغرفة جانبية ولم يسمح للأعضاء الاحتياط (عماش، معلقة، الوندائي) حضور الجلسة التي دامت نصف ساعة، أبلغونا بعدها بانتخاب البكر أميناً للسر ورئيساً للوزارة وبقراهم إبعاد علي ومحسن وحلمي وهاني وأبو طالب. وفوراً أشار حميد التكريتي بغدارته للسعدي ورفاقه: تفضلوا معي... فصاح السعدي بصوت تعمد أن يكون مسموحاً: "تعال يابه أبو هيثم (البكر) إحنا شنو معتقلين؟" فرد البكر: لا تعال معي، فذهبوا إلى القصر الجمهوري مع أعضاء القيادة

←

ولم يخرج من اجتماع الغرفة الصغيرة الذي تلا جلسة المؤتمر أي بيان. وما تم تلاوته على أعضاء المؤتمر هو القرارات والتعليمات التي قررتها القيادة المنتخبة الجديدة. وكانت أكثرها معدة سلفاً، قبل إشراك الضباط. ولم يكن من بين جميع القرارات المتخذة سوى قرار واحد مهم ومقصود هو قرار إبعاد علي وجماعته خارج البلاد. أما بيان المؤتمر فقد صغته بنفسه بعد يوم واحد من انتهاء أعماله.

الجديدة وآخرون. وأضاف د. تحسين معلقة يقول: أحرقني ستار الدوري فيما بعد، أنهم ألبسوا السعدي ورفاقه بإبعادهم لإسبانيا. فطلب السعدي اصطحاب زوجته، لكنهم أخبروه أنها ستصل بعده، فبكى السعدي بشدة، فاضطر الدوري مرة أخرى الطلب من عبد السلام الموافقة، وكان يحالسه حازم جواد وطالب شبيب، فرد عبد السلام قائلاً: يخرج " بالجلالقات" (أي ركلاً بالأقدام) [15].

ولا أرى أن عبد السلام بلغ من القوة ما يكفي ليقول ما قاله للسعدي، لكن تواطئاً بينه وبين أحمد حسن البكر قد حصل وحله يجرؤ على ذلك. ففوة الجيش والحرس القومي كانت حتى تلك اللحظة موزعة بين الكر وأنصار السعدي وليس لعارف أية قوة فعلية غير خطة مرسومة بذهنه ومفاتيح أولية في نطاق ضيق تنتظر التنفيذ. وكان منطقياً أن يعثر عارف بين الفريق العسكري الحاكم على ضباط كثيرين مستعدين لحيانة قسم وفائهم للبعث وذلك لأن عدداً كبيراً منهم انتمى للحزب لتحقيق مصالح خاصة، فقد ألح ميشيل عفلق على قيادة قطر العراق قبل ٨ شباط على ضرورة كسب الضباط الكبار ومنحهم عضوية الحزب العاملة فوراً [16]. فعلى سبيل المثال انتمى طاهر يحيى للبعث قبل ٨ شباط بيوم أو يومين. فعين رئيساً لأركان الجيش وبعد تسعة أشهر نصب رئيساً للمؤتمر القطري الاستثنائي، وبعدها بأيام أصبح رئيساً لوزارة السلطة التي طاردت البعثيين في جميع أنحاء البلاد وملأت السجون بهم، وهذا ينطبق على رشيد مصليح التكريتي وسعيد صليبي.

وفي الحقيقة، فإن البكر كان مهيناً لرئاسة المؤتمر لكنه قرر في اللحظة الأخيرة تركها لطاهر يحيى، ليعتد داخل القاعة يحرك الأحداث دون أن يظهر في الصورة، بل الظهور بمظهر المحايد، المضطر إلى التدخل وكانت النتيجة أن كل المناصب (أمانة سر القطرية ورئاسة الوزارة) صارت له أما القيادة التي خرجت من المؤتمر فتكونت من: البكر، حازم جواد، طالب شبيب، طاهر يحيى، محمد المهدي، طارق عزيز، عدنان القصاب، علي عريم، عبد الستار الدوري، عبد الستار عبد اللطيف، حسن حاج ودادي العطية، د. فائق البزاز، وفاز أعضاء احتياط حسب تسلسل الأصوات: صالح مهدي عماش، د. تحسين معلقة، ومنذر الوندادي. وفي القصر الجمهوري، عندما أطلع عبد السلام على أسماء القيادة الجديدة، مسح بقلمه اسم تحسين معلقة، وعندما سألت د. معلقة عن ما يمكن أن يكون السبب في تصرف الرئيس عارف، قال: ليس بيننا شيء، وقد ساعدته عندما كان معي في نفس المعتقل، وزرته بداره بصورة سرية بعد إطلاق سراحه، وليس لديه معي غير " طائفته المتورة" [17]. ويذكر أن القيادة المذكورة دامت ثلاثة أيام فقط، ثم حلت من قبل القيادة القومية في اجتماعها ببغداد في ١٤ تشرين الثاني ١٩٦٣ واعتبرت المؤتمر القطري الاستثنائي المنعقد في ١١/١١/١٩٦٣ غير شرعي. وضم اجتماع القومية: ميشال عفلق وأمين الحافظ، وصالح جديد وجبران مجدلاني ود. عبد الخالق النقشبند، واتخذت قراراتها تحت ضغط الحرس القومي الذي احتل مدينة بغداد بكاملها.

ونقل تحسين معلقة: إن أسماء مرشحي القيادة قرأت من ورقة معدة سلفاً وعندما اعترض كل من د. فائق البزاز ود. تحسين معلقة، وستار الدوري على ترشيح أنفسهم، ورفض اعتراضهم، وقام أحد الحاضرين ورشح صالح مهدي عماش الذي لم يرد اسمه في القائمة. فوقف منذر الوندادي وقال: أنا أيضاً من الضباط الثوار وأرشح نفسي للقيادة، ولم يعترض عليه أحد، فحرت الانتخابات في ظروف متوترة وغير طبيعية [18] وعندما اعترض سعدون حمادي وحاول الخروج من القاعة معلناً أن ما يجري مؤامرة ولن يشارك فيها، قال له علي عريم " إحرس عبد الزهرة!" [19].

انتقلنا، القيادة الجديدة وبعض أعضاء المؤتمر والمبعدون الخمسة فوراً إلى القصر الجمهوري. وعند مدخله اقتربت سيارتي من السيارة التي استقلها علي صالح السعدي، فقال لي غاضباً : أهذا ما كنت تريده يا طالب؟ قلت: هذا عكس ما كنت أريده وأتمناه، ولكن أنت يا علي أوصلت الأمور إلى هذا الحد المؤسف.

مر يومان على قرارات المؤتمر التكميلي وترحيل علي ومجموعته إلى إسبانيا، خلالها حول الحرس القومي بغداد إلى ساحة حرب، ووصل الأمر أكثر من مرة إلى حافة مواجهة حقيقية مع الجيش . وحصلت أحداث استفزازية كثيرة، وانتشر السلاح محمولاً بيد الآلاف. وقد نجحنا في إيقاف خطط تصادمية كثيرة. ولم يكن من السهل علينا أن نساهم بإراقة دماء البعثيين، على الرغم من محاولة الكثيرين تفسير تصفية الحرس القومي أنه يؤدي للاستقرار.

وفي يوم ١٣ تشرين الثاني أي قبل سفرنا ساعات جرت محاولات عديدة لكي نبقي على رأس السلطة السياسية بشرط إجازة الجيش في تصفية الحرس عسكرياً. وكانت إحدى تلك المحاولات صادرة عن عبد الكريم مصطفى نصرت قائد الفرقة الرابعة المدرعة التي تسيطر على بغداد، ولم يكن الرجل شاكراً، وكنا في مكتب عبد السلام عارف عندما قال : " ما دمت لا توافقون على أن يتحرك الجيش لإعادة الاستقرار ، وتخافون على قطرة دم تهدر. فاذهبوا أنتم، وسيتحمل الجيش مسؤوليته...".

أما عبد السلام عارف الذي اعترض على سفرنا، فقد أخبرنا بأن قرار سفرنا نهائي. فقال علي بركة الله، وفي أمان الله، وردد مازحاً " كلما قُلت الشياطين ارتاحت الملائكة" لكنه عرض أن يكون سفرنا إلى الموصل حيث تأخذنا طائرة خاصة إلى معسكر الفرقة الأولى في ضيافة عبد الكريم فرحان، نقضي الوقت الكافي ليعيد الجيش الهدوء إلى مدينة بغداد. فأصررنا على بيروت، على أمل العودة قريباً.

سافرنا دون أن ندع أحداً يستفيد منا بشيء، فلم نتفق أو نتفاهم مع عبد السلام عارف، لكنه استفاد بلا حدود من خروجنا من العراق، فبعد إخراج السعدي، خرجنا نحن، لكي تفرغ الساحة من الشرعية السياسية. فتهيأ الجو لانقلاب ضدنا. وما زلت أرى أن صالح مهدي عماش هو الذي أوحى لعبد السلام ولأحمد البكر بفكرة التخلص من المدنيين جميعاً. وقد سمعنا أنه كان يقول للمقربين منه، إن طالب وحازم تخلصا من علي السعدي وجماعته، فتعالوا نتخلص منهما لكي يستطيع الضباط وحدهم قيادة الثورة .

لذا أقول: اتخذنا قرار السفر مغاضبين، وكنا نشعر بألم لما آلت إليه الأمور. ويبدو أن عماش وحران أحسّا في تلك اللحظة أن الوضع بدأ ينزلق ويفلت من أيديهم. وكانا بين حوالي ستين ضابطاً في توديعنا بمطار بغداد . فقال حران التكريتي : إبقوا هنا ولا نحتاج منكم غير إعطائنا أوامر لكي نعيد البلاد إلى استقرارها.

أما صالح مهدي عماش ، فبدأ يتزلف كعادته، وهدفه أن يسجل موقفاً لخط رجعة محتمل، فقال أمام الجميع: إذا سافرت ستنتهي الثورة، وسمعه يقول ذلك كثيرون بينهم ستار الدوري وعبد الكريم نصرت، وحسن النقيب وبهاء شبيب ومدحت إبراهيم جمعة والبكر وعبد الستار عبد اللطيف وجميل صبري ومحمد المهداوي وحسن وداي وصلاح صلاح ومحبي محمود وعبد السلام عارف. وأعتقد أن عبد السلام حمل ما قاله عماش له، وبذلك يكون عماش قد خسروا وخسر السعدي وخسر عبد السلام^(١).

ولم يكن غضبنا على عماش وغيره بسبب التنافس السياسي. بل لإدراكنا التام بأنهم سيتسببون في إخراجنا وإفراغ البلاد من الشرعية السياسية، دون أن يكونوا قادرين على مسك زمام الوضع. فليس بينهم من سيتفق الضباط على الخضوع له. ولذا اعتبرنا تصرفهم تخريباً مضراً وأشبهه بتصرف الحرامية. سرقوا الثورة غيلة وجناً، ولم يحتفظوا بها حتى يوماً واحداً. وأعترف أننا ساعدناهم كثيراً بموافقتنا على إخراج السعدي ثم أقنعنا أنفسنا بقدرة البكر على الحزم، فغادرنا اعتماداً على تصرفه.

وأستطيع الآن التأكيد على أن ما جرى، كان مزيج من تسرع البعثيين في صراعاتهم الذاتي، وتآمر وفد القيادة القومية ممثلاً بميشيل عفلق وأمين الحافظ وجبران محلاي وصلاح جديد الذين عرضوا سلطة الحزب للضياح وأنفسهم للإهانة والاعتقال والتفسير، بعد أن وثقوا بعبد السلام عارف.

ولا أنسى بأنني وحازم جواد أدركنا خطورة الأمر، فأرسلنا برقية نشرتها جريدة النهار البيروتية إلى القيادة القومية، وإلى رئيس الجمهورية السورية، ورئيس الأركان ورئيس الوزراء، على شكل رسالة مفتوحة، نحثهم فيها بأن حكم حزب البعث في العراق يشرف على السقوط. وكان ردهم علينا، أنهم فصلونا بواسطة جهاز الإذاعة.

١ — ربما لم يكن صالح مهدي عماش صادقاً مع حازم وطالب، لكن حردان الذي يقود القوة الجوية ويؤثر على اثنين من قادة كتائب الدبابات في بغداد كان صادقاً معهم. غير أن طالب وحازم كانا في مأزق محرج، فلما أن يوافقا على تحقيق رغبة الحرس القومي بإعادة علي السعدي ورفاقه وذلك يرفضه العسكر وسيؤدي حتماً إلى نفس النتيجة أي الاقتتال. أو التواطؤ مع القيادة العسكرية وإعطاؤها الأوامر لضرب قوات الحرس القومي وسحقها عسكرياً وذلك يعني سفك دماء بعثيين وتسجيل صفحة دموية سوداء أوقلت الرفاق والأصحاب وبذلك يتم القضاء على تنظيم الحزب الذي طالما استمدوا منه قوتهم. لذلك اتخذوا قرار السفر للتخلص من المآزق الخاص ومن أجل سحب أحد صواعق الأزمة المشرفة على الانفجار.

ورغم أن سفر طالب وحازم كان أهم شرط أعلن وضعته قيادة الحرس القومي النائرة للبدء بالمفاوضات أو للقبول ببدء وساطة القيادة القومية، فإن هناك أسباباً أخرى كثيرة غير معلنة أهمها أن العسكرين وصلوا إلى مأربهم وصار بإمكانهم الإنفراد بالسلطة فلماذا يسمحون لشبان مثل حازم جواد أو غيره مشاركتهم فيها.

سؤال: حسب ما فهمته منك، أنكما أنت وحازم، كنتما حتى لحظة صعودكما الطائرة المغادرة إلى بيروت في ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٣، تمسكون مع حليفكم أحمد حسن البكر بكافة الأوراق العسكرية في بغداد، بل كانت السلطة بين أيديكم وطوع أمركم. فلماذا تخلّيتما عنها لعبد السلام عارف؟ في حين كان بإمكانكم إيجاد حلول أفضل من تسليمها إلى المتريصين بجناحي الحزب. ألا يعني تخليكم، أنكم لم تدركوا أهمية الآلة (الدولة والسلطة) التي استوليتما، بل وتصرفتما بها وكأنها لعبة غير جادة؟

طالب شبيب: أدرك فريقنا أهمية السلطة ودورها، باعتبارها الوسيلة الوحيدة لتحقيق الأهداف والمبادئ الاجتماعية وتطبيق السياسات. أما الفريق الآخر فقد اتجهج سياسة فرضية، وتطلع إلى تحقيق أفكاره الساذجة بالتجاوز على القوانين معتقداً بقدرته على تجاوزها بنفس السهولة التي أصبح معها قادراً على سنها. وما كان يدري أن ذلك يقود إلى فوضى، ستهدم أول ما تهدم السلطة التي بين يديه.

لقد كنا قادرين على البقاء، ولكي نبقي كان الأمر يتطلب إجازة استخدام القوة ضد الحرس القومي وضد رفاق بعثيين وقد رفضنا إعطائهما. في حين ألح العسكريون علينا بتغطية الحل العسكري سياسياً، وعندما لم نفعل بحثوا عن تغطية أخرى، قدمها لهم عبد السلام عارف. وفي الحقيقة فقد كان موقفنا الراض لإراقة الدماء ولأي اصطدام، بما في ذلك المجادلة ضد الوسائل غير الشرعية، يضعنا في موضع المشاكس، الذي يرفض دون أن يقدم حلاً أو مخرجاً. فالحرس القومي يسيطر على بغداد ومراكز المدن والجيش بكامله يقف مستعداً لأخذ المبادرة، ونحن مرفوضون من الحرس ورافضون للحل العسكري، بل رفضنا اتخاذ أي إجراء أممي احترازي ومنعنا الاحتكاك بالحرس القومي، وطالبنا بإفراغ بغداد له، ولم نضع حراسات أو حواجز (ما قيل)، ولم نطوق قاعة المؤتمر، بل استمرت الحراسات الاعتيادية في المجلس الوطني، وبينه وبين القصر الجمهوري، ولا أدري كيف تخيل الأستاذ هاني الفكيكي في كتابه أموراً غير ما قلت. وأعتقد أنه تصور وجود عساكر على جانبي الطريق بسبب هول المفاجأة والخوف من التصفية الذي، ربما، سيطر عليه. وقد علمت فيما بعد أن علي ومحسن وهادي وحدي تصورنا أننا سنرميهم بالرصاص فور احتجازهم. وكانوا من جانبهم لو سارت الأمور كما خططوا سيفعلون فينا أحكاماً بالقتل. وقد أكد علي صالح السعدي وهادي الفكيكي وآخرون أنهم كانوا قد وضعوا خطة كاملة مضادة. فلم يكن علي صالح السعدي خبيثاً ولم يحتفظ بأسرار، وعندما سألته عام ١٩٦٨ في بغداد قائلا: لو استمرت أعمال المؤتمر دون تدخل الضباط،

وفزتم بالانتخابات ماذا كنتم ستفعلون ؟ أجاب فوراً : سنستلم القيادة كاملة، وكنا سنعدمكمما أنت وحازم!!

كانت هناك أسباب كثيرة لمأزقنا وللفضوية والتطرف^(١) أهمها حالة الانتشاء التي سببها الانتصار السهل الذي تحقق على نظام عبد الكريم قاسم، فتملك بعضهم شعور بأنهم جاءوا "هبة الله للشعب" ولهم الحق كثوار أن يفعلوا ما يشاءون ، لإيصال الشعب إلى ما يعتقدون أنه صواب. رغم أن القضية برمتها، بما في ذلك الأهداف المعلنة للأحزاب، كانت تفتقر إلى الوضوح، مما جعل تصرفات السلطة الرسمية ومنظماتها لا تجري وفق معايير دقيقة ومحسوبة. وعلى سبيل المثال، عرض وزير العمل والشؤون الاجتماعية حميد خلخال على مجلس الوزراء مشروع قانون جديد للضمان الاجتماعي، وطلب أن يلتزم فيه كل رب عمل يستخدم عاملاً واحداً أو أكثر، بحفظ دفاتر للضمان الاجتماعي ودفاتر أخرى لدفع الضمان، وشراء أحتام وطابع وغيرها من المستلزمات. فتصور بائع الكباب الذي لديه "صانع" أو سائق الباص ومساعد الحداد وجميعهم ينطبق عليهم القانون.

ولم يكن مستوى العمل المهني والإنتاجي في العراق يحتمل مثل هذا التنظيم المقترح، كما أن الحكومة العراقية ذاتها لا تملك كوادراً قادرة أو كافية للإشراف على تطبيق عملية متشابكة واسعة للفصل بين العامل ورب العمل في طول البلاد وعرضها، وليس لدى الوزارة غير بضعة موظفين للرقابة. في حين يحتاج الأمر إلى عشرات الآلاف من الموظفين. ولو كانت الوزارة قد أقرت مشروع الوزير خلخال، لوجد طريقة للتنفيذ بواسطة الوسيلة الوحيدة الممكنة وهي عصا الحرس القومي الذي سيتدخل أفراداً بطريقة ثورية أو عاطفية بكيفية بعيدة عن القانون، وسيؤدي إلى كوارث اقتصادية تهدد بإيقاف كامل العجلة الانتاجية ، وهي حالة متوقعة عندما تخرج القوانين التي تسنها الدولة من عقلانيته فتتحطم روحها، وتتحطم الأهداف

١ — سبب لم يذكره الشبيب وهو أن حكم حزب البعث أتاح الفرصة لرجال من الوسط الشعبي البسيط إلى استلام مراكز مهمة في السلطة وفي تقرير سياستها العامة. فأزعج ذلك آخرين تعودوا الحكم (إذا سقط الآباء يحكم أبنائهم)، وأحسوا بالسلطة قلقة بين أيديهم، ينازعهم عليها ضباط شباب وكوادراً من الأحزاب السرية والحرس القومي، ولم تكن لهؤلاء ذهنية السلطة الباردة والهادئة، بل تشبعوا بمشاعر المظلومية، وتصرفوا عندما أمسكوا بالسلطة بروحية موتورة وكمتمردين.

فلم يكن السعدي وحازم ومحسن وحدي وشبيب والعزاوي يرغبون بالتعسف على الموظفين الكبار الوارثين سلطة العهد الملكي، لكنهم نظروا إليهم رموزاً للظلم الذي تعرض إليه الشعب العراقي عشرات السنين. أي لم تكن المزايدة الأيديولوجية والشعاراتية وحدها سبباً للتطرف، بل الصراع بين وارث لا يرغب أن يشاركه أحد بالتركة وبين راغب في المشاركة لكنه ممتور ومتطرف ولا يعرف الأساليب القانونية الباردة في المطالبة بالحق ، لأن السلطة ذاتها تستخدم القانون لمصلحتها ولا تطبقه بعدالة.

التي جاءت من أجلها. ولحسن الحظ وقف ضد القانون وزراء محايدون بينهم ناجي طالب وزير العمل في عهد عبد الكريم قاسم فقال: "إن قانون حكومة قاسم رغم بساطته ليس بالامكان تطبيقه بسهولة، فكيف بقانون عسير كهذا، سيشل في حالة تطبيقه الحياة الاقتصادية تماماً، ولا أرى أية فرصة لتطبيقه". وعلى إثر المناقشة سحب خلخال المشروع الذي لم يكن سوى مظاهرة يسارية مزيدة على قوانين قاسم، وعلى اشتراكية عبد الناصر، دون أن يدرك أن البرهان الوحيد على ثورية أكثر صدقاً من قاسم وناصر والشيوعيين تأتي بإعطاء حريات أكثر وإنجازات أفضل وباحترام إرادة المجتمع ورغباته^(١).

وبذلك أوفقنا أنفسنا بمبالغ غير مطلوبة، في وقت كنا بأمس الحاجة للتداول الواقعي لمواجهة التحدي الحاسم خصوصاً في مجال اختيار شكل النظام السياسي ونوع الممارسة الديمقراطية ودراسة علاقة الدولة بالملكية الخاصة والاجتماعية. كان مهماً جداً الجلوس وبحث الموقف من الرأي الآخر، فالعراق لم يكن كله بعثياً. وكانت هناك أسباب وآفاق كثيرة تشجعنا على إعطاء هامش ممتاز للحريات السياسية والفردية والاقتصادية. فحزب البعث استطاع بالتعاون مع القوميين في زمن عبد الكريم قاسم أن يفوز بانتخابات حرة وديمقراطية بعدد من المؤسسات والجمعيات المهنية الكبيرة، ك نقابة المعلمين والمهندسين. فلماذا نتخلف ولا نقيم انتخابات حرة في مجالات اجتماعية مهنية كثيرة، ونحن نمسك بالسلطة بكل امكانياتها.

فشلت محاولتنا لإصلاح الوضع، وانتهى الأمر إلى يد عبد السلام عارف. بسبب صراع البعثيين فيما بينهم حول مسائل غير واقعية، لعبت فيها دوراً أساسياً الإيديولوجيا اليسارية المتطرفة من جهة والتحالف مع أطراف من خارج نسيج الحزب كالضباط الكبار، من جهة أخرى. وحينما أردنا الخروج من الأزمة، اتفقنا مع البكر وعبد الستار اللطيف ومحيي محمود

١ — جاءت سلطة ١٩٦٣ لتحكم شعباً له تاريخ طويل في السياسة في مجال المعارضة والاستقطاب. ويعرف كل مواطن يعيش على أرض العراق من يحب ومن يكره. ولم يكن سهلاً أخذ المواطنين العراقيين على حين غرة، وكسبهم بمزايدات أو بتصريحات شفوية.

وأمام واقع الحال الصعب، لم تجتهد قيادة الدولة سواء المتمثلة في القطرية أو بمجلس قيادة الثورة، في التقرب من سواد المواطنين، وحتى من المثقفين، بل فرضت السلطة احترامها بين أبناء الشعب انطلاقاً من دعاية انتشرت بين الجميع بأن الحكام الجدد حازمون وقساة ويعاقبون خصومهم بشدة، وكان خطابهم للشعب يصدر بلفسة الأوامر وينفذ بدوريات الحرس القومي. وذلك جعل الشعب يذعن ولا يتعاطف وجعل معركة الحرس القومي مع دبابات عبد السلام عارف تتم بمعزل عن المجتمع. فقد أفرغ الشعب شوارع بغداد للطرفين المتصارعين ليتقاتلوا. وحصل ذلك تقريباً في كل ميادين ومراكز المدن العراقية الأخرى، إذ تقابل الحراس القوميون مع الجنود والضباط دون متفرجين، وانتهت المقابلة غالباً بتسليم الحرس لأسلحته بعد ورود أنباء عن انتهاء معركة بغداد لمصلحة الجيش.

(مدير الاستخبارات العسكرية) وجميل صبري (مدير الأمن العام)، على خطة متكاملة، كانت ستؤدي لو تم الالتزام بها إلى بقاء الحزب في السلطة مع استبعاد الممارسات الكيفية وإقامة حكم يحترم القانون. وبينما كنا نسير قدماً في تنفيذ الخطة، خطوة فآخرى، تدخل صالح مهدي عمّاش ليحطم أهم شروط نجاحها، فزرع في أحمد حسن البكر التردد. فصرنا في أخذ ورد أدى إلى فقدان الإقدام والحزم ثم الانهيار، لأن التردد أثناء التنفيذ يعني إعطاء الفرصة للآخر المتربص. وحينها اضطررنا للموافقة على أشياء كثيرة، منها سفرنا للخارج بحجة التخفيف من شدة الأزمة، في حين كنا نمثل الشرعية الحزبية الباقية بعد ترحيل علي السعدي وجماعته. فحصل فراغ تام ولم يبق للضباط البعثيين وهم قوتنا الضاربة ووحداتهم تسيطر ببغداد، مرجعية حزبية يعودون إليها، فاضطروا للسكوت والمسايرة.

ومع ذلك فقد اتفقنا قبل سفرنا مع البكر والآخرين، عدا عمّاش، بجماعة وضع الحزب خلال فترة غيابنا. لكن مفاجآت كثيرة حصلت ببغداد ومن المؤكد أن طمع الضباط بوعود عبد السلام، وعدم حزم البكر وممارسة عمّاش لهوايته في تثبيط العزائم، فضلاً عن تهديد الحرس القومي للضباط البعثيين دون غيرهم، أدى إلى الفشل وأتاح لعبد السلام الانقضاض واستلام السلطة صباح ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣.

حينها سافرت من بيروت إلى دمشق لدراسة الأمر مع قيادة الحزب، بناءً على دعوة من قبل ميشيل عفلق، وكان كل من البيطار وحمود الشوفي وصلاح جديد يتحكمون بالحزب، ووقفوا وراء إجراءات فصلنا غير النظامية. ولذلك كنا وما زلنا نعتبر أنفسنا أصحاب حق في عضوية الحزب، فلم نفعل شيئاً غير الكفاح والتضحية من أجل أهدافه ولم نحقق لأنفسنا أي شيء يتعلق بالمصالح الشخصية^(١).

فور وصولي إلى دمشق، حضرت اجتماعاً مع أعلى قيادة حزبية وحكومية في سوريا، حضره

١ — حينذاك اعتبرت أغلب قيادات وقواعد الحزب أن موافقة طالب وحازم على دخول الضباط البعثيين إلى المؤتمر القطري الاستثنائي في ١١/١١/١٩٦٣ في بغداد، بمثابة مخالفة صريحة للنظام الداخلي ودخول في تكتل ضد الحزب. وهو أمر يخرمه النظام الداخلي ويعاقب عليه بالفصل. لكن قرار دمشق جاء أسرع من الطريقة النظامية. فحازم وطالب عضوان في القيادة القطرية وفصلهما يتطلب إبلاغهما بالتهم والتحقيق معهما قبل أخذ أي قرار بشأنهما. وسيكون لهما حق الاعتراض والاستئناف بعد ذلك. ولم يكن هناك ما يمنع القيادة القومية من استدعاء طالب وحازم من بيروت لدمشق والتحقيق معهما.

حتى فؤاد الركابي الذي نفذ عملية كبرى "محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم" دون موافقة القيادة القومية، وخرج من الحزب وأسس لنفسه حزباً آخر. لم يفصل أتوماتيكياً، بل استدعي للتحقيق وعندما لم يحضر فصلته القيادة القومية. وهناك من يعتقد أن صدور قرار سريع بفصل طالب وحازم ومحمد المهدي وغيرهم وإذاعته من الإذاعة، كان محاولة لتهدئة الحرس القومي النائر في بغداد والتغلب على الأزمة.

إضافة إلى ميشيل عفلق ، صلاح الدين البيطار ، وحافظ الأسد ومحمد عمران وأمين الحافظ وصلاح جديد وحمود الشوفي، وقد عرضت عليهم خطة كنا درسناها أنا وحازم جواد للعودة إلى العراق فوراً واستعادة السلطة قبل أن يتمكن عبد السلام عارف من نقل الضباط البعثيين من مراكزهم العسكرية الخطيرة، ولم أطلب منهم أكثر من تسهيل عبورنا إلى العراق.

قلت لهم: إن صدام التكريتي جاءنا إلى بيروت (بعد اجتماعه بميشيل عفلق)، يحمل أخباراً من أحمد حسن البكر ويطلب عودتنا فوراً، لأن وجودنا في بغداد سيعطي شرعية حزبية لأي تحرك عسكري يجري الإعداد له. وإن أحمد البكر لا يمكنه لوحده تغطية ذلك، لأنه فقد في نظر كثير من الضباط والمندوبين مصداقيته، لما أظهره من تردد، بل يرى كثيرون أنه تواطأ مع عبد السلام عارف أو ذهب في تعاونيه معه إلى الحد الذي أدى إلى إسقاط ثورة الحزب. وقلت: إن صدام التكريتي أخبرنا بأن بيوتاً سرية ستهدى لنا، وأنا متأكد بأننا بالتعاون مع البكر والآخرين سنضع خطة ميدانية سريعة لاستعادة السلطة، وهي إمكانية ما زالت قائمة. وقلت: أننا أبلغنا صدام التكريتي بموافقتنا أن يشكل أحمد حسن البكر قيادة قطرية مؤقتة يضم إليها صدام حسين نفسه.

أحسست وأنا أتحدث بحو عدائي من قبل أعضاء مجلس الثورة السوري الحاضرين. وكان يحضر مهم صديقي العزيز عبد المحسن أبو ميزر الذي شغل منصب رئيس تحرير جريدة البعث عندئذ. ورغم الصداقة، نظر إليّ شزراً. وكانت عينا حمود الشوفي تقدحان شرراً، رغم أي سمعت قبلها أن بعض أعضاء مجلس الثورة يأملون أن تبقى أخوة ورفاقاً لهم، لتعاون على تخليص العراق من عبد السلام.

ولم يحقق اجتماعنا نتيجة فورية محددة، لكن ميشيل عفلق استدعاني بعد الاجتماع إلى لقاء منفرد فشرحت له تفاصيل ما نفكر به، وحاجتنا للتصرف بسرعة وإلا ستضيع الفرصة. لكنه قال لي: أرجو أن لا تنام الليلة بدمشق، لأنهم سيقتلونك (ويقصد حمود الشوفي وصلاح جديد وآخرين)، وقال: " لا تثق بهم وعُد إلى بيروت ومن هناك تابعوا ترتيبكم السري في العودة إلى العراق ولا تخبروا أحداً، لأنكم ستقتلون في طريق العودة".

شعرت بالحيرة عند سماعه، ولم أكن أثق به تماماً لكنه أربكني وأثار في شعوراً مريباً من الخوف من أساليب التآمر السائدة في هيئات الحزب العليا. وتساءلت مع نفسي إذا كان الأمر يصل إلى حد القتل؟ أم أن ميشيل يريد إبعادنا كي لا يستعيد الحزب دوره في السلطة؟ وبعد سنوات كنت تذكرت ذلك الاجتماع أشعر بالندم لأني لم أسعَ للالتقاء مع الرئيس حافظ الأسد الذي أظهر بوضوح تميزاً في صبره ومثابرته، فضلاً عن مظهره النزيه وتعفنه عن

الدخول في تكتلات ومؤامرات حزبية داخلية. ندمت لعدم استشارته، وأعتقد كنت سأسمع منه لو فعلت نصيحة مفيدة، خصوصاً أن الحياة أثبتت فيما بعد أن سكوته وتفضيله الاستماع في ذلك الاجتماع كان تعبيراً عن عدم رضاه على أسلوب المناورة في إدارة العمل، كما أثبتت قدرته على التخطيط وإدارة المواجهة والصراع حتى مع دول أكبر من سوريا بكثير.

وكانت النتيجة أننا لم نستطع العودة^(١) وقضى علي صالح السعدي أوقاتاً عصيبة مشرداً بين دمشق وبيروت والقاهرة، ثم فقد إمكانية البقاء في دول عربية كثيرة بما في ذلك مصر وسوريا، خوفاً من تطرفه وأفكاره^(٢).

سؤال: ما وجه الحقيقة في تقسيم الضباط إلى كبار وصغار، وخطافاتهم وموالاتهم؟

طالب الشبيب: لم تكن هناك مشكلة حقيقية تحت هذا العنوان. وربما وجد أربعة أو خمسة

١ — تنكر عارف لكل شيء فاعتقل وطارد جميع البعثيين حتى أولئك الذين أحسنوا إليه، وعندما عَلِمَ أن حازم جواد و طالب شبيب في مطار بغداد، تردد كثيراً بل قرر للحظة اعتقالهما لولا اقتراح من أحد خاصته بتسفيرهما إلى دولة أخرى بشرط أن لا يغادرا مطار بغداد حتى سفرهما إلى تلك الدولة، فاختار مصر وأرسلهما مبعدين ومتحفظ عليهما ووافق عبد الناصر على إقامتهما المشروطة في القاهرة، لا يغادرانها إلا بموافقة. ولم يكن حال البعثيين الآخرين مع عارف بأفضل، فقد رأى يوماً المهندس عدنان القصاب الذي كان رابطة الاتصال بينه وبين علي صالح السعدي قبل حركة ٨ شباط والذي ذهب إلى داره فور إعلان الحركة وحبسه إلى أبو غريب ليتم تعيينه رئيساً للجمهورية. حتى عدنان القصاب عندما التقاه عارف صاح به: هل ما زلت طليقاً وإشار إلى معيته لاعتقاله فاعتقل. ويذكر أن عارف عين حسن النقيب في القيادة العربية المشتركة في القاهرة، فالتقى النقيب بعد الرحمن البزاز — رئيس الوزارة — الذي كان في زيارة للقاهرة في نادي الجزيرة، وحدثه عن إمكانية العفو عن حازم و طالب، وذكره بفضل طالب الشبيب عليه، فوعده البزاز فعلاً تمكن من استصدار عفو عن حازم و طالب وبهاء الشبيب، وعين طالب مديراً لمكتب الجامعة العربية بتركيا، بينما رفض الاهتمام بقضية عماش، وكان مبعداً في القاهرة أيضاً الذي لأنه عسكري، ولكن النقيب استمر بسعيه وحصل على دعوة رسمية لعماش لزيارة العراق فأنتهى أمر إبعاده أيضاً [20].

٢ — أخبرني الشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي في دمشق عند حضوره حفل التكريم الذي أقامه الرئيس السوري حافظ الأسد للجواهري الكبير عام ١٩٩٦ فقال بحضور الدكتور محمود أمين العالم والأستاذ مهدي العبيدي والأستاذ وائل الملالي والدكتور أحمد الموسوي، بأنه — أي البياتي — والأخضر الإبراهيمي، وإبراهيم طوبان وآخرين، كتبوا من دمشق برقية إلى جمال عبد الناصر طلبوا فيها السماح لعلي صالح السعدي الدخول إلى القاهرة التي منع منها، وأضاف الشاعر عبد الوهاب البياتي بأنه علم أن صحيفة الأهرام المصرية سجلت للسعدي حديثاً (مقابلة) بواسطة إنجي رشدي لها علاقة بالمباحث ومتخصصة في مقابلة كبار السياسيين المنفيين على "كاسيت" لمدة عشرة ساعات، تحدث فيها بصراحته المعهودة عن كل شيء. وقال البياتي: إن في تلك الكاسيتات معلومات هامة جداً، لكن الأشرطة اختفت ولم يعرف حتى الآن إذا ما كانت الأهرام أو أية جهة أمنية تحتفظ بها.

ضباط شباب يتحدثون بلغة تختلف عن زملائهم أو رفاقهم، وتأثروا أو أمكن تحريضهم، تمهيداً لإدخالهم في أوضاع حزبية ذات طبيعة تكتيكية، وحتى ذلك لم ينجح إلا بعد أشهر من ثورة ٨ شباط (١٤ رمضان)، لكن فرقاً كبيراً بين الضباط البعثيين، وأولئك الذين جرى تبقيتهم على وجه السرعة. ودعني أصرحك، بأن العسكريين البعثيين وأغلبهم ذوي رتب صغيرة دخلوا الحزب وهم طلاب على مقاعد الدراسة الثانوية مثل أخي عماد الذي دخل الحزب تلميذاً في الإعدادية ثم أصبح مسؤول تنظيم القوة الجوية، وهناك ضباط شباب قتل بعضهم في الثورة مثل وحدي ناجي، كانوا بعثيين قبل رتبهم العسكرية. يقابلهم طبقة من الضباط الكبار كأحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش وعبد الستار عبد اللطيف وحرمان التكريتي، لم يكونوا بعثيين بل أعضاء في منظمة الضباط الأحرار، ووجدوا في الحزب آلة قوية تُعينهم في صراعهم ضد نظام عبد الكريم قاسم.

وبين الفريق الشاب والكبير فارق زماني في دخول الحزب، وفي درجة الثقافة والعاطفة الحزبية، فالذي تربى منذ طفولته بحضن الحزب، يختلف عن ذاك الذي أتى إليه وهو قائد لوحدة عسكرية ويحمل رتبة مقدم أو عقيد. فأحمد البكر يختلف تماماً عن منذر الوندائي إذ جاء الأول في سن كبيرة وبعد أن شارك في ثورة تموز ودخل السجن مع طاهر يحيى التكريتي وذياب العلكاوي ورشيد مصلح التكريتي، في حين كان الوندائي حزبياً قبل دخوله الكلية الجوية.

ولذلك فعند أول أزمة مررنا بها، ذهب ضباط البعث الشباب إلى السجن، بينما تقاسم أصحاب الرتب الكبيرة المناصب مع المتأمرين على الحزب^(١).

١ — قبل ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ تعاون الضباط البكر وحرمان وطاهر يحيى وعماش والعلكاوي ورشيد مصلح ومحمد المهدي وستر عبد اللطيف مع عبد السلام عارف لإبعاد القيادة المدنية لحزب البعث، رغم الغزل الذي أظهره نحو حازم وطالب، لكن البعثيين فوجئوا باشتراك عدد كبير منهم في حركة عبد السلام عارف ضد حكم حزب البعث، فأصبح طاهر يحيى التكريتي رئيساً لوزراء الحكم الجديد ورشيد مصلح التكريتي حاكماً عسكرياً عاماً ووزيراً للداخلية، وحرمان التكريتي وزيراً للدفاع ونائباً للقائد العام للقوات المسلحة، وعبد الستار عبد اللطيف وزيراً للمواصلات، والبكر نائباً لرئيس الجمهورية (وهؤلاء جميعاً كانوا أعضاء في المكتب العسكري لحزب البعث). أما صدام التكريتي، فقد صعد مع بعض زملائه المحسوبين على البكر وحرمان ظهر إحدى الناقلات المدرعة التابعة للسواء الآلي الثامن وساهم في ضرب مقرات الحرس القومي، وكوفيء بتوظيفه في قسم الاستعلامات في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون وطرد منها بعد مدة قصيرة، ولذلك سحل البعثيين الشباب عليه ذلك الموقف السليبي وقام زملاء لصدام التكريتي بأدوار مساعدة للسلطة فذهب ناظم كزار، مثلاً، إلى معتقل باب المظلم (مقر محكمة الشعب) لتتبع شخص السجناء وخصوصاً الشيوعيين منهم ليفرز بين الشيوعي الحقيقي والمشتبه به. أما عبد السلام وبمجرد إحكام قبضته على السلطة أقصى منها الرجلين الأشد خطراً على حكومته وهما حرمان والبكر، وللتخفيف من غضب عبد السلام كتب البكر براءة نشرها في الصحف الرسمية يعلن فيها تخليه نهائياً عن العمل السياسي، وأحيل ٤١٢ ضابطاً

ولست أرى الآن أن تحالفنا معهم كان خاطئاً، لكن وضع مستقبلنا بين أيديهم هو الخطأ. لأنهم لم يكونوا ليتحالفوا معنا، إذا لم نكن أقوياء، إذا لم يكونوا بحاجة ماسة إلينا. وكان علينا استيعاب ذلك، وليس الخضوع والاستسلام إليه^(١).

وطالب ضابط أكثرهم بعثون إلى التقاعد[21] وأبعد عشرات الضباط الآخرون إلى وحدات بعيدة، وفي وقت قياسي لا يتجاوز الثلاثة أشهر تمكن عارف من إبعاد البعثيين عن المراكز المهمة في الجيش والدولة. وخلاصة الأمر فإن الضباط ذوي الرتب الكبيرة، وضعوا موالاتهم موضع البيع والشراء، ومنحوها بحسب ميزان القوة وسحبوها بمجرد اهتزاز موقف حلفائهم. وقفوا مع البعث وهو قوي، ونسحوا مع عارف خيوطاً لتحالف جديد، بمجرد احتدام الصراع البعثي — البعثي، وفوحنا بهم على رأس الانقلاب القادم فأسسوا بذلك للانتهازية والضعف داخل الجيش.

١ — يرى طالب في أكثر من مكان من هذه الذاكرة بأن البكر لم يكن متورطاً في عملية سقوط حكم الحزب في العراق عام ١٩٦٣، لكننا نجد متورط فعلاً. وأن تورطه جاء بعد أن اضطر للمفاضلة بين الحرس القومي والتحالف مع عبد السلام، ففضل الأخير على رفاقه الحراس واحتار طريق المؤامرة في مواجعتهم، فسقط حكم الحزب وانفرد عبد السلام بالسلطة، ويمكننا إيراد بعض المؤشرات التي تؤكد ما ذهبنا إليه:

أولاً: تخطيط البكر لعملية اختراق الضباط للمؤتمر القطري بصورة كاملة وبفلس الأشخاص الذين شكلوا رأس حربة للانقلاب الذي قام به عبد السلام عارف ضد الحزب في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، مما يؤكد أن احتلال المؤتمر كان الحلقة الأولى في خطة أوسع انتهت بالسلطة إلى يدي عبد السلام عارف. وهناك ما يؤكد بأن البكر الذي تحالف مع حازم وطالب وحاول إظهار حياديته إلى علي السعدي، كان في نفس الوقت يتآمر في الخفاء لإقصائهم واحداً بعد الآخر، بعد تحميل السعدي مسؤولية فوضى الحرس القومي، وحازم وطالب مسؤولية اختراق نظام الحزب الداخلي بالموافقة على إدخال الضباط للمؤتمر وإقرار إقصاء السعدي وقد نجح بشكل كامل. في حين يقول د. تحسين معلية أن عماس أخيره قبل ١٩٦٣/١١/١١ بأن حازم جواد وعبد الستار عبد اللطيف يحرضون الضباط على ضرورة اختراق المؤتمر وفرض أنفسهم عليه. وهو تأمر صريح على حليفهم حازم جواد لترتيب القضية برأسه[22].

ثانياً: في ١٥/١١/١٩٦٣ التقى دكتور معلية مرة أخرى بعماس بمقره في وزارة الدفاع، فأخبره الأخير أن الوضع أصبح بين يديه ويدي أبا هيثم (البكر) تماماً، وخلال الجلسة أبلغ عماس سكرتيره المقدم علي عريم بأن يتصل بأمر معسكر الرشيد لتحضير الضباط لاجتماع سيحدثهم فيه حول تطورات الأزمة، وبعد دقائق رن جرس التلفون السري، وكان المتحدث أمر معسكر الرشيد، يرغب بالتأكد ما إذا كان الأمر صادراً فعلاً من عماس؟ وعندما استفسر الدكتور معلية أجابه عماس: إتفقنا أن لا تنفذ الوحدات العسكرية أية أوامر إلا إذا كانت صادرة من البكر أو من عماس نفسه باعتباره وزيراً للدفاع، وهذا يؤكد تحالف عماس والبكر، رغم محاولة البكر إظهار عدم ثقته بعماس أمام الآخرين، كما يظهر أنهما تخليا عن قوتيهما لمصلحة عبد السلام بعد أن اضطر للمفاضلة بينه وبين الحرس القومي.

ثالثاً: وافق البكر أن يجلس بداره شبه محتجز، لكنه يحمل لقب نائب رئيس الجمهورية، ليعطي لعبد السلام الفرصة الكافية لاستكمال لعبته، ولطمأنة العسكريين البعثيين من أن السلطة ليست ضدهم بل هي تعمل فقط لاحتواء الحرس القومي، كما أنه جنب عبد السلام عارف مسؤولية تفادي الخجل بعد الخدمات الجلى التي قدمها له قبل وبعد حركة ٨ شباط ١٩٦٣.

رابعاً: ندم البكر بعد فقدانه خيوط المؤسسة العسكرية، وجاء ندمه متأخراً بعد أن فقد الضباط ثقتهم به، وكانت

←

القوات التي يؤثر فيها هو وخط حازم وطالب تكفي للسيطرة. فعبد الكريم نصرت قائد الفرقة الرابعة وحسن النقيب وزكريا السامرائي وعبد الله سلطان الملاح يقودون كتائب الدبابات الأربع وجميعهم بعثيون. لكن البكر كسر حلفه مع حازم وتردد كثيراً فاضطر الضباط البعثيون للمسايرة مفضلين النظام العسكري على الخضوع لشعارات الحرس المعادية لهم. ولم ينس البعثيون عسكريين ومدنيين خيانة البكر الذي حذل السعدي ثم حازم وفشل مع عبد السلام. وبعد سقوط حكم الحزب وصلت إلى دار أحمد حسن البكر في بغداد وفود شكلتها منظمات الحزب في كل أنحاء العراق لمعاتبته وإبلاغه بموقفها. وعبر أغلبية الوافدين عن القناعة بتورطه في ضياع السلطة وأبلغوه رغبة البعثيين في عدم وجوده على رأس القيادة، وربما شكلت تلك الزيارات بداية الاستقطاب الفعلي الكبير. فصنف كل عضو يميناً أو يساراً بحسب موقفه في تلك المقابلات من أحمد البكر، وفي تلك اللقاءات ظهر صدام التكريتي لأول مرة في حياته الحزبية كرجل له قيمة ومستقبل سياسي إذ وقف دائماً إلى جانب أو حلف البكر بصورة التابع الخاص والتميز له، وبعد هذه الأحداث لم تقم للبكر قائمة بين البعثيين ولم تكن عودته للسلطة بواسطتهم، بل بعملية استلام وتسليم سميت بثورة بيضاء، مازالت غوامضها لم تنحل لحد الآن. وقد يعود إلى تلك العملية تورط العراق بحروب داخلية وخارجية أدت إلى انهياره كلياً بين يدي حكومة الرئيس صدام حسين التكريتي، ولذلك اضطر البكر بعد ١٧ تموز ١٩٦٨ بدلاً من بناء جهاز حزبي متين إلى بناء جهاز أمني. سلم أمره إلى صدام حسين ووظيفته التغلغل بين الجماهير، فتم بناء جهاز أمني واسع الانتشار بدلاً من بناء حزب جماهيري وعزز ذلك الجهاز بالأموال والصلاحيات غير المحدودة. ورغم فشل سلطة البعث الدريع في عام ١٩٦٣ إلا أن البعثيين ظلوا طوال الفترة اللاحقة مقتنعين بأنهم لم يخسروا السلطة نتيجة ضعف فيهم، بل بسبب خلاف فوقي ليس له أساس واقعي بينهم، فشعروا بالمرارة لعدم أخذهم للفرصة وظلوا يتوقون لتكرار التجربة وكان يسارهم ويميمهم مقتنعاً تماماً بقدرته على الوصول مرة أخرى للسلطة. ولذلك شعروا وهم خارجها كأنهم في استراحة. وكان البعث قبل فقدانه السلطة قد أضعف بشدة الحزب الشيوعي وأخرجه من المنافسة داخل القوات المسلحة، على الأقل بين صفوف الضباط الذين سيتحكمون لفترة طويلة في مصير البلاد السياسي، بينما ظلت تنظيمات الناصريين غير متماسكة، وتميزت حركة القوميين العرب بتماسك تنظيمها لكنها رومانسية، قليلة السياسة وكثيرة الأحلام، ولذلك فإن ابتعاد الشيوعيين وعدم عقلانية القوميين فتح الطريق مرة أخرى أمام البعث، فسق يمينه يساره بتحالف مشبوه.

مراجع:

- [1] تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
- [2] لقاء مع محسن الشيخ راضي في مدينة النحف عام ١٩٦٨ بحضور مهدي الشيخ علي وصديقي أبو طيسخ ومهدي الشوكتي. تحدث عن التمثيلية التي مثلها أكثر العسكريين ذوي الرتب الكبيرة وبينهم طاهر يحيى ورشيد مصلح بأنهم كانوا عندما يلتقون بأعضاء (القيادة القطرية) يتباكون بدموع خوفاً على مستقبل الحزب ويطالبوننا بإيقاف الخلافات في حين كانوا قد اتفقوا على الانقلاب علينا. ولم نكن نتصور تلك القدرة على التمثيل عندهم.
- [3] أكد ذلك أيضاً اللواء الركن حسن مصطفى القيب في مقابلة معه بحضور هاشم الياسري عام ١٩٩٦ بدمشق، وقال: إن عبد السلام خطط لاستلام السلطة وانتظر حتى تتوفر الامكانية لذلك، فساعده حزب البعث على تحقيق فكرته بسبب إصراره على الاختلاف الداخلي. ولتأكيد ذلك قال: لقد عقدنا يوم ١٥ تشرين الثاني عام ١٩٦٣ اجتماعاً في وزارة الدفاع بالاتفاق مع عبد السلام عارف وبحضور سعيد صليبي وعماش وعبد السلام وعلي عريم وصلاح الطبقجلي وحردان وصبحي عبد الحميد وآخرين وتحدث عبد السلام، وفهمنا منه مثل ذلك الأمر.
- [4] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مرجع سابق، ص ٢١١.
- [5] عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مرجع سابق، ص ١١٢ — ١١٣.
- [6] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مرجع سابق، ص ٢١١.
- [7] تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
- [8] مجيد حدوري، العراق الجمهوري، ص ١٢٥ — ١٥٣. ومقابلات مع محمد صديق شنشل، وفائق السامرائي، ومحمد حديد.
- [9] مجيد حدوري، مقابلة مع الزعيم الكردي عبد العزيز العقيلي الذي كان عضواً في الوفد العراقي المرافق لعبد السلام لمقابلة عبد الناصر بدمشق، ص ١٥٤.
- [10] د. حامد البياتي، الوثائق البريطانية المنشورة، وثيقة رقم ١٦١٥٨ / ١٠١٣ وتتضمن حديثاً دار بين شنشل وأحد أركان السفارة البريطانية في ٧ تشرين أول ١٩٥٨.
- [11] عبد الكريم فرحان — حصاد ثورة، مرجع سابق، ص ١٦٨ — ١٦٩.
- [12] باسل الكبيسي — حركة القوميين العرب — دار الطليعة، بيروت ١٩٧٤، ص ٨٥.
- [13] الفكيكي، أوكار الهزيمة، مرجع سابق، الفصل الخاص بالمؤتمر التكميلي.
- [14] حسن ودائي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
- [15] د. تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
- [16] محسن الشيخ راضي، مقابلة، النحف، ١٩٦٨.
- [17 و 18] د. تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
- [19] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مرجع سابق، ص ٣٤٩.
- [20] حسن مصطفى النقيب، مقابلة، دمشق، ١٩٩٧.
- [21] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مرجع سابق، ص ٢١٤.
- [22] د. تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.

بين الشبيب والبكر، صدام، وعفلق

مع أحمد حسن البكر

سؤال : وماذا عن احمد حسن البكر؟

طالب شبيب : بدأ احمد حسن البكر حياته السياسية العامة لأول مرة في ١٩٦٣ بمؤامرة وسقط بمؤامرة، ثم عاد في ١٩٦٨ رئيساً للجمهورية بمؤامرة ايضاً^(١).

١ — انتمى احمد حسن البكر مبكراً إلى احدى مجموعات الضباط الاحرار تحت قيادة عبد الكريم قاسم، الذي كان معلمه وأمره في الكلية العسكرية. وساهم معه في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، حاملاً رسالة من قاسم عشية الثورة إلى فاضل عباس المهداوي مسؤول مجموعة الضباط الاحرار في اللواء الاول (لواء الامن) للبدء بالسيطرة عليه. وبعد نجاح الثورة إعتقل لإتهامه بالتخطيط لمؤامرة، ثم كان عضواً في اول لجنة عسكرية سرية لوضع ترتيبات إسقاط نظام قاسم ضمت البكر وعبد الستار عبد اللطيف وعبد الكريم فرحان، وهدفها تقديم خطة انقلابية إلى اجتماع موسع سيضم إضافة لهم كل من صبحي عبد الحميد وصالح مهدي عماش وخالد فريد وإبراهيم التكريتي وعارف عبد الرزاق وجاسم العزاوي. كما نفذ البكر حركة ١٤ رمضان وكان قائداً عسكرياً فعلياً لها. وفي ١١/١١/١٩٦٣ قاد إنقلاباً عسكرياً ضد المؤتمر القطري التكميلي الاستثنائي لحزب البعث -قطر العراق- واعتقل اربعة من اعضاء قيادته بالإضافة إلى ابو طالب الهاشمي وابعدهم إلى الخارج، ثم عاد بعد يومين ليوافق على سفر حليفه حازم حواد وطالب شبيب إلى بيروت تمهيداً لنزع الشرعية من سلطة البعث. ثم رتب مع عدد من الضباط البعثيين والقوميين عملية إخراج الحزب من السلطة دون ان يتمكن من ملئ الفراغ، فملأه عبد السلام عارف في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، وربما يكون قد فضل سلطة عبد السلام عارف على سلطة رفاقه من اعضاء الحرس القومي.

وتمكن البكر بعد فقدان السلطة بخمس سنوات من استردادها بأنقلاب عسكري شاركه فيه عبد الرزاق النايف وإبراهيم الداود وسعدون غيدان وحامد شهاب وحردان التكريتي وصالح مهدي عماش وعماش، لكنه وبعد ١٣ يوماً قاد إنقلاباً عسكرياً ليضع جناح السلطة الثاني في السجن ويلاحق جميع شركائه ويغتال النايف بلندن، وينجو إبراهيم عبد الرحمن الداود بمساعدة اللواء الركن حسن مصطفى النقيب (قائد الفيلق العراقي في الاردن) ثم اللجوء إلى حماية المملكة العربية السعودية[1]. تلك وغيرها تؤكد ان البكر كان مغامراً وفضل البقاء في المعتكك السياسي حتى وفاته.

كان يقطاً في مجال المناورة فقط، في حين يتمتع بذكاء وقدرات وثقافة محدودة وشخصيته ضعيفة. لكنه يتميز مقابل ذلك بحصول يحتاج إليها كل قائد سياسي مثل امكانيته على كسب الاصدقاء المفيدون وترتيب التحالفات، وشخصية وبيت مفتوحين، يوحيان لكل زائر انه مرحب به، فيتجرأ الناس على زيارته دون تلوؤ. رغم ان زوجته طباحة غير ماهرة، فقد اكلت عنده، في كل المرات، كباب من الدرجة الثالثة، وكنت أفضل الأكل مع حُرَّاسِهِ حيث "الباجة والمشويات المتنوعة" ثم اعود اليه، ولم يكن عبد السلام عارف أفضل منه، والاثنان لم يمتلكا صفة الكرم وبسط اليد، الله يلن طعامهما!

خوف لا يمكن تجنبه

يتخلى البكر عن حلفائه، بحثاً عن حليف آخر، في نفس اللحظة التي يشعر انه اصبح ضعيفاً، او بضعف حليفه. ومازلت اذكر كيف وقف وراء خطة دخول الضباط البعثيين إلى المؤتمر القطري الاستثنائي للبعث يوم ١١/١١/١٩٦٣، ثم تخلى عنهم بمجرد شعوره بضعف موقفه وبقوة وحماس مؤسسة الحرس القومي التي طالبت باستبعادنا^(١).

ويكمن ضعف البكر في خضوعه لكل ما يخيفه، اكثر مما يندفع نحو مصلحته. وافضل طريقة للتعامل معه هي تخويفه. وقد لجأنا نحن (القيادة القطرية) في ١٩٦٣ إلى ذلك، فقلنا له: "سيكون مصيرك مثل ناظم ورفعت اذا لم تُنفذ خططنا في الانقلاب على قاسم، فسرعان ما يُكتشف امرنا، وحينها ستعدم معنا ١١" وقلنا له انك متورط، فقل لنا "من سيضمن عدم اعتراف صالح عماش او بهاء شبيب؟". . . ولذلك سار معنا في تنفيذ الثورة وعدم التأجيل.

ومنذ البداية اكتشف صدام حسين حصول البكر واستجابته السريعة اذا ما شعر بالخوف، فأقترَب منه بعد ان أقنعه انه ذراعه التي يضرب بها، وخَوْفُهُ من المؤامرات المزعومة، وتدرجياً فرض السيطرة الكاملة عليه وأقنعه بتسليمه جهاز الامن السري الخاص (مكتب العلاقات العامة) وبواسطته إستبعد و صفى اهم شخصيتين في نظام ٣٠/١٧ تموز ١٩٦٨ وهما حردان وعماش ليبقى امامه شخص واحد مهم هو البكر نفسه، الذي ابقاه اسير خوف دائم من دسائس وانقلابات وهمية إتهم بها مرة يسار حزب البعث واخرى جناحي الحزب الشيوعي (قيادة ولجنة) ثم حزب الدعوة الاسلامية وغيرهم بتدبيرها.

وكانت خطة صدام حسين هي نفس خطة صالح مهدي عماش في ١٩٦٣ عندما حاول عرقلة قيام الثورة بطرح المخاوف بوجه البكر من احتمالات الفشل، وعندما خَوْفُهُ قبيل ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ من المدنيين البعثيين قائلاً "من اجل ضمان استقرار البلاد، علينا التخلص

١ — يمكن في هذا المجال مراجعة الملحق رقم واحد في نهاية الفصل. ويتضمن نماذج من وعود البكر.

من المدنيين جميعاً، فدعنا نتخلص من خطر حازم وطالب علينا بعد ان نتخلصنا من علي وجماعته^(١).

وكلما امعن صدام حسين في تخويف البكر من خصوم نظامه الداخليين، زاد البكر من اعتماده على الاجهزة الامنية وهي في قبضته مباشرة. وهكذا أدت خصال الخوف والحذر إلى تسليم الامن السري إلى رجل قاس، كما ادت به إلى تجنب المعارك العنيفة المباشرة سواء على الحدود مع ايران او ضد الاكراد أو في حسم الصراعات الداخلية بالعنف والدم، ولذلك سعى في حدود معينة للحد من نزوع صدام حسين إلى خوض المعارك قبل حساب الثمن!! لكن الخوف سرعان ما تطور عنده إلى استبداد الشعور بالضعف وعدم القدرة على حسم القرارات حتى عندما يكون مقتنعاً، فأضطر منذ عام ١٩٧٤ إلى تسليم الملف الايراني والكردي وملف المرجعية الاسلامية الشيعية وحركة المعارضة اليسارية إلى صدام حسين، وأعطاه الصلاحيات الكاملة في حضور مؤتمرات القمة وغيرها^(٢).

١ — اذا عدنا لكتاب بران التكريتي "سبع محاولات لاعتقال الرئيس . " والذي يروي فيه كيف قامت اجهزة الامن والاستخبارات العراقية بترتيب انقلابات وهمية، استدرجت اليها بالافنار او بالقوة رجالاً تشك السلطة بولائهم، ثم يجري إخراجهم ومواجهتهم بكشف تلك المحاولات بكثير من الاثارة والاعلام ومعاقبة واعداد اولئك الذين جرى توريطهم!!

كما ذكر حسين كامل في مؤتمر صحفي مبثوث مباشرة بعد هروبه من العراق مع اخيه صدام كامل وانتي صدام حسين، بأن الرئيس العراقي صدام حسين إعتاد قبل سنوات من تنحية البكر ثم وفاته على سقيه فنجان قهوة يومياً فيه مادة سمية قليلة جداً، تؤدي تدريجياً إلى انهيار قواه ثم موته بعد سنوات دون ان يلاحظ ذلك الآخرون. وقد اخبرني شبيب انه لاحظ في آخر زيارة لاحمد حسن البكر في القصر الجمهوري في منتصف السبعينات يدي البكر ترتعشان ويميل إلى حديث الموت.

٢ — دفعت احلاق الشك المهيمنة على البكر إلى اضطراره لاختيار شاب قريب له، ينفذ رغباته دون تردد، ولما كان اولاده في عمر غير مناسب وقع اختياره على صدام حسين وهو مدني مغمور بلا ثقافة او شهادة، ولا يمكنه ان ينازعه على السلطة، فليس له مستقبل سوى ظل للبكر الذي لم يشك ابداً بأنه سينزع منه السلطة التي ارادها واحبها، ويرمي به بعيداً معزولاً. ومن جانبه فان صدام نجح في ايهامه باخلاصه واحترام إرادته، فضلاً عن توسط خير الله طلفاح لتوطيد العلاقة بين البكر وابن اخته صدام حسين[2]. وساعدت تلك العلاقة صدام حسين على تأمين مركز قيادي حزبي قبل ١٩٦٨ وعلى التسلل إلى مراكز السلطة الحساسة بعدها، ليتمكن منذ ١٩٧٥ من السيطرة على مقدرات البلاد، ويجعل من البكر رئيساً مرصوداً من قبل طارق حمد البكر الله وكامل ياسين. ويقول د. جليل العطية : ان البكر اعترف له في تموز ١٩٧٧ بأن كل شيء إنتهى ! ونصحه بمغادرة العراق !! وانه رفض اعلان الحرب على ايران (لأسباب ذكرها في آخر اجتماع لمجلس قيادة الثورة بحضوره) و اضاف العطية : ان البكر اخبره بأنه كان الوحيد الذي إعترض على اعدام عبد الكريم قاسم[3].

وكانت أهم أخطاء البكر في مواجهة صدام حسين هي موافقته على تقريظ رجال دسهم صدام حسين بعد أن مهد لهم بأساليب كثيرة لينها التصفية الجسدية للمحيطين، بمكتب الرئاسة.

←

بين رغبة التقاعد وخشية القتل

يتحسس البكر بشدة من أي رد فعل شعبي تجاه أي تنازل إقليمي عراقي لمصلحة إيران، ويتذكر باستمرار إتفاق ١٩٣٧ والتظاهرات الشعبية التي خرجت ضده. ولذلك لم يكن في اعماقه راضياً على اتفاقية الجزائر ١٩٧٥ بين "الشاه - صدام". في حين نظر إليها صدام حسين على أنها وصمة وخزي، إضطر لتوقيعها وهو يخفي الرغبة بالتأثر منها. واستخدم في هذا الشأن أساليب وإستراتيجيات قومية وطائفية كي يبقى النار مشتعلة تحت طبقة رماد خفيفة، لكن البكر مال في نهاية المطاف إلى وجهة نظر الرئيس السوري بضرورة عدم خوض الحرب ضد ايران، أولاً : لكي لا يأتي مشروع الميثاق القومي بين العراق وسوريا عام ١٩٧٨ كأنه حلف عسكري لخوض الحرب، ثانياً : لأن الصحوه الاسلاميه في ايران وغيرها من البلدان الاسلاميه ستستخدم حتماً الموقف العربي في مواجهة الأطماع الاسرائيلية، ولذلك لا بد من التعاون لإقامة حوار مجد بين البلدين يضمن لكل طرف حقوقه.

لكن فكرة الحرب كانت قد بدأت تترتب في ذهن صدام حسين. وأعتقد ان موقف الاسد وتأثيره المرتقب على البكر وعلى بعض اعضاء القيادة العراقية، كان وراء تخريب صدام للميثاق القومي وعرقلة إمكانية قيام وحدة عراقية سورية، بعد ان نضجت خطوات التنسيق والتقارب بين البلدين.

وفي تقديري ان دور صدام حسين في تخريب التقارب السوري العراقي كان مماثلاً للدور الذي لعبه صلاح حديد وامين الحافظ خلال مفاوضات الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٣. فمثلاً عرقلت أحداث تموز ١٩٦٣ في سوريا تموز الوحدة الثلاثية قبل قيامها، ادت مجزرة قتل عدنان الحمداني ومحمد محجوب ومحمد عايش ورفاقهم إلى قتل الوحدة المحتملة بين سوريا والعراق، خصوصاً بعد ان ابدى عدد كبير من المفاوضين العراقيين ميلهم للاتطوحيات العقلانية المباشرة للرئيس السوري ومن منطلق بعثي. ولا اعتقد ان الاسد كان جاهلاً بوجود تيار عراقي يعلو

وما تقدم لا يعني بأي حال ان احمد حسن البكر كان مسالماً، بل ساهم مرات كثيرة في مهرجانات للقتل، كمقتل جابر حسن حداد وراهي آل عبد الواحد الحاج سكر واربعة شخصية مهمة بطريقة بشعة[4].

ونقل شبيب: ان علي هادي وتوت عندما كان يعمل في ديوان الرئاسة قدّم له عام ١٩٧٠ قائمة باسماء ٤٩ عراقياً للمصادقة على حكم الاعدام ضدهم فوقها فوراً، وعندما سأله وتوت الذي اشتهر بمحذته: سيدي هذه قائمة احكام اعدام فهل قرأت الاسماء؟ رد البكر: "إذهب!!"، نقل الشبيب هذه الرواية في اوتيل برومانادا في مدينة لاهوي بحضوري وقاسم حول والراند زيد جواد وتوت، وقال ان قائمة المحكوم عليهم كانت دفعة من السياسيين الاكراد البسطاء.

الوحدة ويقوده صدام حسين، وبوجود تيار آخر يقف ضد خطط صدام حسين الضالع في مخطط عالمي كبير^(١).

وأذكر اني إلتقيت في عام ١٩٧٩ على هامش إجتماع منظمة العمل الدولية بجنيف بوزير الصناعة العراقي محمد عايش، ورئيس نقابات العمال بدن فاضل، فتحدثا معي حديثاً إنقلابياً قائلين : ان صدام ديكتاتور ويجب ان نشترك جميعاً في معالجة الوضع الخطير الذي تسبب وسيستبب به. وكنت وأنا استمع إليهم ادرك ان مشكلتهم تكمن في تصورهم انهم في حزب وليس في غابة^(٢).

والآن وبعد مرور كل تلك السنوات، أستطيع إعادة رسم الصورة، لاستبيان الجوهر الحقيقي وراء قيام تلك العلاقة التي ربطت صدام بالبكر، والتي جلبت نتائج تدميرية غريبة، تضرر بها العراق أرضاً وبشراً وتاريخاً. وارى بوضوح ان صدام هو صنعة احمد حسن البكر، منحه مناصب سياسية سامية أطل منها ولعب دور ظل الرئيس، واللاعب الغامض من الخلف. في حين ظل البكر أسير مخاوفه من خطر إطاحته. فهو وبسبب مساهمته في كل المؤامرات والمحاولات الانقلابية كان يعوزه الشعور بالاطمئنان والأمان. وتعود به ذاكرته دائماً إلى سرقة عبد السلام عارف منه ثورته في عام ١٩٦٣، واجباره على قبول منصب نائب رئيس جمهورية شكلي ومؤقت ريثما يتخلص من شركائه (بعض الضباط البعثيين مثل حردان وعماش وستار وزكريا السامرائي وحسن النقيب وغيرهم).

وزاد في عزله كتابته تعهداً خطياً إلى عبد السلام عارف بعدم ممارسة السياسة والتفرغ لشؤونه العائلية، بعد ان رماه في السجن بتاريخ ١٩٦٤/٩/٤ بتهمة مشاركته للبعث في مشروع محاولة انقلابية لاسترجاع السلطة^(٣). واعتقد ان البكر بعد سنوات من نجاحه في

١ — أخبرني أحد المسؤولين العراقيين الذين لجأوا إلى أوروبا بعد غزو الكويت والانتفاضة (رفض أن يذكر اسمه) أن أحمد حسن البكر قد حاول وبذل كل الجهود الممكنة للقاء قريبه الرئيس حافظ الأسد بصورة منفردة ولسوء لفة قصيرة، خلال زيارة الأخير إلى العراق والتي سبقت تنحية البكر، وقد تم ترتيب مثل ذلك اللقاء أكثر من مرة على عشاء أو بحضور البكر، عندما يكون مدعواً لدى الرئيس السوري قبل الوقت المخصص بقليل، لكنه يفاجأ في كل مرة بحضور صدام حسين، وانتهت الزيارة ولم يحقق البكر رغبته.

٢ — وبعد لقائهم بطالب توقف عدد من أعضاء الوفد العراقي في براغ، وإلتقيت هناك ببدر فاضل في الانترنتوننتال، وحينها كنت ذاهباً لزيارة د. فاضل الانصاري والوزير صفوان قدسي، فقدمه لي الاستاذ زيد النقيب، وتحدثنا في شؤون مختلفة لكن بدن فاضل تهرب من حديث السياسة ومال إلى حديث التسوق والكريستال، ربما خوفاً من زيد النقيب قريب عائلة صدام حسين. وعلى أية حال فقد أعدم الجميع وقضى القريبين من الحدث في السجن ولم يبق منهم شهود.

٣ — في عام ١٩٦٤ أعلن البكر في الصحافة المحلية في رسالة موجهة لعارف انه سيعتزل السياسة الحزبية. ولم يسلك البكر وحده طريقاً ضعيفاً، وسط اجواء لم تكن قسوتها تفرض مثل ذلك التخاذل، فقد سبقه سعدون حمادي السدي

الاستيلاء على السلطة شعر بحاجته للتقاعد، لكن التقاعد السياسي في الأجواء التي خلقها صدام والبكر نفسه يعني القتل والموت الحتمي.

اذن فقد بقي هاجس البكر الاول، ان لا يقاد مرة اخرى اسيراً من مواقع السلطة. فقد أقيّد في عهد قاسم من وحدته في اللواء العشرين إلى المعتقل، وكان قبلها واحداً من الضباط الاحرار. وفي السجن تعرف على المرحوم علي صالح السعدي الذي إقترب منه وشاركه الصلاة، فأصبحا صديقين ثم نسبته السعدي إلى عضوية حزب البعث^(١).

كتب رسالة إلى قاسم بعد محاولة إغتياله، يعلن فيها اعتزاله العمل السياسي، فعفا عنه وعاد للعراق. وعثر المكيكي على تلك الرسالة يوم ١٥ رمضان ١٩٦٣ في مكتب قاسم، فأخذها للاذاعة مقترحاً عدم تكليف حمادي محمية وزارية، لكن القيادة رفضت وعينته بالاصافة للفكيكي عضواً مضافاً للقيادة القطرية في المجلس القطري الذي انعقد مدار حففر قاسم حمودي بين ١٥ و ١٨ شباط ١٩٦٣ [5] وفعل مثل ذلك الوزير حكمت العراوي الذي رفع في عام ١٩٥٩ أيام ما سمي بالمد الأحمر رسالة إلى الحزب الشيوعي يؤكد فيها رغبته الانفصال عن حزبه والانتماء للحزب الشيوعي. وكان ميشيل عفلق قد سبق البكر وحمادي في رسالة مماثلة وحجها إلى الرئيس السوري حسني الزعيم في ١٩٤٩ من السجن يقول فيها "اننا على استعداد لأنواع خط غير منحاز، ونكف لساننا إن كانت هذه رغبتكم . . اما بالنسبة لي فقد قررت إعتزال السياسة نهائياً، اعتقد ان مهمتي وصلت إلى نهايتها، وان طريقي ليست ملائمة للعهد الجديد" [6]. ولأن إعطاء الرأية السياسية في العراق يعني السقوط السياسي، فقد عالى البكر باستمرار من عقدتها، وتجنّب المواجهة المباشرة خوفاً من ان يتهمه البعثيون بالضعف. وكان ذلك احد اسباب وهنه في مواجهة صدام رغم همس بعض كوادر البعث الاوائل وإشعارهم له بإمكانية التعاون لتحرير السلطة من قبضة صدام حسين، لكنه كان يقلب الامر ويتركه على حاله خوفاً من يؤدي إلى صراع داخلي يعني - يعني وتضيق السلطة مرة اخرى.

١ - لأهمية احمد حسن البكر ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر، اختلف المهتمون حول الشخص الذي كسبه إلى حزب البعث، فمنهم من يقول انه علي السعدي وآخرون قالوا انه بهجت شاكر. واذا كان مصير السعدي معروفاً لكثيرين فإن بهجت شاكر دفع ثماً كبيراً لعلاقته الحزبية المبكرة بأحمد حسن البكر. وكانت عائلة بهجت من العوائل التكريتية المحترمة، ولم يتسبب ماذى لأحد. فوالده كان باش كاتب تكريت. ولأنه متعلم أثار حفيظة المثريين، واصبح هدفاً دائماً للبكر وصدام لأنه يذكرهما بماضيهما، ولأنه افضل شأنًا من حيث الريادة السياسية والانتماء للبعث ومن حيث دفعه الانساني والمستوى الاخلاقي العالي الذي تمتع به، فاختلقوا له قضية اجتماعية وسجن لأنه تزوج على زوجته، وتم ابعاده عن ادارة وكالة الانباء العراقية رغم تطويره لها. وفي عهد صدام حسين اعتقل لعدة اسابيع وفصل من الحزب، وطرد من وظيفته بطريقة مؤلمة، لكن ذلك عزز الاعجاب به من قبل معارفه، وحينها ادرك الرجل ضرورة الابتعاد وإلا سيقتل فأنطوى على نفسه.

واتصور ان السعدي هو الذي نظم البكر في حزب البعث، أما بهجت فكان اول مسؤول حزبي له خارج السجن. لأن بهجت شاكر الذي شارك في حركة ١٤ رمضان، كان قد عمل مدرساً في الفلوجة وبعد مرور الحزب بنكسة محاولة رأس القرية لاغتيال الزعيم هرب إلى سوريا وقابل قيادة الحزب، وعاد إلى العراق مكلفاً مؤقتاً بأعادة بناء الحزب، ريثما تتخذ القيادة القومية ترتيباتها وتعين قيادة قطرية جديدة، تعيد بناء الحزب، وفي تلك المرحلة كان علي السعدي قد خرج من السجن وسافر إلى سوريا، كما خرج البكر من السجن يحمل كلمة السر الخاصة، ولا بد ان يكون السعدي قد ابلغ بهجت بضرورة الاتصال والارتباط به واعطاه كلمة السر، فاستحق "لقب" أول مسؤول للبكر.

واتذكر الآن تماماً عندما ذهبت لزيارة البكر بصحبة اللواء حسن مصطفى النقيب عام ١٩٦٨ لتهنئته على منصبه الجديد (رئيساً للجمهورية)، فلم نجده، ففتح حراسه مكتبه حيث إنتظرنه بداخله، وكان ذلك نفس المكتب الذي كان مهيباً ان يجلس عليه الملك فيصل الثاني بعد اكتمال بناء القصر، فأجلس حزب البعث عليه عبد السلام عارف في عام ١٩٦٣، ليحتله بعد سقوط طائرتة ووفاته، اخوه عبد الرحمن عارف ثم احمد حسن البكر.

وبعد فترة قصيرة عاد البكر، وسمعا بوق الاستقبال، دخل المكتب وفوجئ بوجودنا، فهأننا وكان لقاءً ودياً، وطلب مني ان احضر لزيارته مرة اخرى. قلت له : استلتم السلطة ومروك لكم، وإن شاء الله تكونون قد تعلمتم من تجربة الحزب الماضية.

ومن جانبه شرح دوره ودور الآخرين في الثورة، وقال انه أصيب بداء السكري وأحس بعطش شديد جراء لحظات الانتظار القلقة التي سبقت إستسلام عبد الرحمن عارف.

فذكرته كيفية إخراج الحزب من السلطة عام ١٩٦٣. ومثلته المسؤولية الأولى بأعباءه كان العسكري الأول في الحزب وفي ثورة ١٤ رمضان. وكان البكر يفهم جيداً ما أقوله. فأجابني بكلمات تنطوي على التأكيد والتحذير، قائلاً : "ابو مازن، لن اخرج من القصر الجمهوري هذه المرة إلا محمولاً على نعش، وكن مطمئناً، فإذا ما تأمر أي شخص ولو كان ابني هيثم فسأقطع رقبته"^(١).

وقد فهمت من كلامه انه يتضمن فضلاً عن معاناته الخاصة، تحذيراً لي ولكل رفاقي ومعارفي الذين التقى بهم من قياديي الحزب.

وحسب معلومات ومعطيات مؤكدة ان البكر ترك القصر الجمهوري مركولاً بجذاء صدام

١ — يبدو ان البكر بدأ يحطط ذهنياً لمسك زمام السلطة، مباشرة فور خروجه منها في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣. فقد روى لي فوزي الراوي نقلاً عن (ث . ك) الذي رفض ذكر اسمه، والذي كان معتقلاً مع البكر بعد ٩/٥/١٩٦٤ في القضيلية. وحينها حدثه البكر عن الآثار الأليمة التي تركتها عليه تجربة السلطة عام ١٩٦٣، وعن ملابس قوامها وسقوطها. وقال له : في المرة القادمة سأطبق قصة "الواوي والحمامة"^(١) وكز البكر على اسنانه قائلاً: "ويوي وسقوطها.. هكذا سنمسكها في المرة القادمة".

وفي الغالب فإن البكر يقصد بقصة "الواوي والحمامة" تلك المنشورة في احد كتب القراءة التي تدّرس في العراق في إحدى مراحل الدراسة الابتدائية، والتي أريد لها ان تكون حكمة وعبرة، ولعلها مأخوذة من كتاب "كلييلة ودمنة". وتحدث عن واوي إصطاد حمامة وامسكها بين فكيه فطلبت منه الحمامة ان يلفظ اسمه، ففتح فمه بخيلاء صائحاً "واوي" فطارت الحمامة. ولشدة حيلة الواوي (الذي يريد البكر التمثل به في المرة القادمة)، انه دبّر للحمامة مكيدة أخرى مكنته من خداع الحمامة وإصطيادها فكررت الحمامة المسكينة طلبها من الواوي ان يلفظ اسمه، ففعل ولكن هذه المرة بصك اسنانه وإطباق فكيه عليها بقوة قائلاً "ويوي.. ويوي..".

حسين ليموت بداره بطريقة او اخرى.

واتذكر تماماً انه أعاد عليّ قوله ثانية "لن أترك هذا الكرسي إلا محمولاً على نعش، ولو كان ابني هيثم متأماً سأقضي عليه بكل سهولة، لأن التجربة السابقة علمتني ان لا أعيدها ثانية".

وكان البكر يتحدث واثقاً بأنه سيبقى رئيساً حتى وفاته وتشيعه إنطلاقاً من القصر الجمهوري. غير اني ادركت في زيارة اخرى له بعد مرور ثماني سنوات تقريباً انه اصبح جسداً يمكن حمله بأي تابوت. واعتقد ان تردّي صحته وإرتعاشه وخوفه وشكوكه المتزايدة بصورة عشوائية قد شجعت امكانية خداعه والتأمر عليه. وانتهى الامر فعلاً بتنحيته.

واذا كان هناك شيء يشفع لأحمد حسن البكر، فهو لجوء صدام حسين فوراً بعد إقصائه إلى إسقاط تجربة الميثاق القومي مع سوريا وتصعيد الموقف ضدها، ثم إعدام كوكبة من القادة البعثيين، والتورط السريع في صراع مدمر مع الجارة ايران، مما يوحي ان وجود البكر كان يقلل او يحد من عقلية التورط الحمقاء التي دمرت مستقبل الشعب العراقي^(١).

وكانت نهاية البكر نتيجة طبيعية لخصال الغدر ونكث العهود التي تطّبع بها. وصدام حسين رفيقه وشريكه يعرف خصاله اكثر من غيره، فتحزّم للامر وخطط مبكراً لإقصائه. واعتقد ان البكر قضى ايامه الاخيرة متألماً، تحاصره ذكري عشرات الضحايا الذين تسبب في

١ — في البداية قص صدام حسين أجنحة البكر واحاطه بأشخاص متواطئين، واستبعد حردان بقتله وعماش بأرساله سفيراً، ليظل البكر بلا أجنحة. ثم تمكن من إستبعاد شفيق الدراجي سفيراً للعربية السعودية لينصب محله طارق حمد العبد الله جاسوساً له، مقابل السكوت عن فضائحه الاخلاقية، وكوفي بعد اتمام مهمته بتعيينه وزيراً تخديراً له قبل قتله بفترة قصيرة. ثم قتل عدنان شريف التكريتي (قائد الحرس الجمهوري) بعد إبعاده ملحقاً عسكرياً في موسكو. وتصفية الأخوين مظهر ومنذر المطلق زوجي بنتي البكر، الأول بإغراق سيارته في نهر دجلة وموته بداخلها، والثاني سفيراً إلى الارجنتين. واكد لي احد الضباط الغواصين (ع.ع) الذي ساهم بإخراج سيارة مظهر والبحث عن جثته المفقودة بأن الحادث كان مدبراً. ونقل حاتم عبد الرشيد (ماجستير اقتصاد وزوج احدى بنات البكر) إلى القاهرة قبيل تنحية البكر بعد تعيينه رئيساً لاتحاد الصاعات العربية وهو الاح الاكبر لماهر عبد الرشيد، وقتل محمد ابن البكر بعد ان كتب رسالة لأبيه يقول فيها "انك ستواجه ربك غداً، فماذا ستقول له ؟ ومن سيقف معك امام الله ؟" [7].

ونتيجة لكل تلك التدابير السرية القاسية إنتشر الرعب في البلاد وتخوف رجال العهد وبقي البكر وحيداً يحيط به رجال كلهم تقريباً جواسيس لمصلحة صدام حسين.

ولابد ان البكر الذي تمتع بذاكرة قوية جداً ويحفظ جميع اسماء ضباط الجيش ورتبهم ان يكون قد استعاد شريط حياته السياسية العامة، ومن يدري فقد نفاجاً يوماً بأنه سجل مذكرات مسموعة، وحينها سيكون ما يقوله ابلغ من كل الاستنتاجات.

تدميرهم، لينتهي الأمر به محتجزاً ينتظر الموت في داره غريباً ليس حوله اصدقاء، ولا ذكرى طيبة في ذهن الآخرين من رفاق الطريق او من ابناء الشعب العراقي^(١).

١ — ولد البكر في ١٩١٤ وتوفي في ١٩٨٢ . بدأ حياته معلماً ثم دخل الكلية العسكرية في ١٩٣٨ بواسطة مولود مخلص دون ان يستوفي شروط القبول فيها. فلم يكن حاصلاً على البكالوريا، وتنقل خلال عمله في انحاء مختلفة من العراق، وبعد تخرجه من الكلية العسكرية لم يعين قائداً لوحدة عسكرية، بل عمل ضابط إعاشة وإدارة وتموين، وفي هذا السياق قال عنه عبد الكريم فرحان "لم يكن البكر ضابطاً لامعاً، فهو من درجة عسكرية ادنى، لكنه اعتُقل ورفعته صلاته بحزب البعث وعلي السعدي" [8] ويقول فرحان في كتابه حصاد ثورة : مع حكم البكر "انفتح الباب على مصراعيه لتعيين الاقارب والاصهار وابناء العشيرة والبلدة والاصدقاء" و اضاف "لم اشاهده يفعل او يغضب، لكنه لا ينسى وعندما تحين الفرصة ينتقم بقسوة" ووصفه بالرجل الشجاع الذي يهيم بلوغ هدفه بصرف النظر عن الوسيلة" [9]. ويقول عنه حسن العلوي انه "نصف عسكري ونصف حزبي" ووصفه بعدم الحاذية قائلاً "لا أظن ان عبد الكريم قاسم ومهما حاول ان يستحضر اسماء خصومه الذين سيخلفونه كان سيضع اسم البكر واحداً منهم" وقال عنه هاني الفكيكي: "البكر شخصية موهوبة القدرة على توظيف مظهره البسيط وقدراته الفكرية والسياسية المحدودة، وكثيرون هم اولئك الذين خلدوا به ووسموه بالسذاجة، لكنه يستبطن مكرًا لا حدود له، وقدرة على خداع الخصم والغدر به" [10] ويقول عنه معاونوه انه محدود الكفاءة، كترماً ويتركز كل نشاطه السياسي على ترتيب الوضع العسكري السري بهدف الانقلاب مرةً ولمكافحته حيناً آخر، او لتمرير مؤامرة. ولم يؤثر عنه المشاركة السياسية العلنية إلا نادراً. فتمكن من وضع نفسه خارج الانقسامات الحزبية العلنية، وفعل ذلك عام ١٩٦٣ حينما احتدم الصراع بين جناحي علي وحازم. ومن اجل إرضاء طموحاته السياسية غير من تحالفاته وحث بوعوده، وإنسجم مع عقل المسيحي، رغم ما عُرف عنه من تعصب ديني، فقد روى حسن الذهب : انه كان جالساً بمكتبه بمعيشته واحمد عبد الستار الجوارى وطارق عزيز وشتاف في عام ١٩٧٢ واراد بمجاملة "الذهب" اليساري الانتماء فخاطبه : لماذا لا تضعون ايديكم بأيدينا وتعاون وتخلص من (التلكيفي ابن التلكيفي) ويقصد ميشيل عقلق، ولم يكن يعرف ان طارق عزيز مسيحياً ومن تلكيف.

كان البكر من الذين يسهرون الليل ويعقدون الاجتماعات مساءً. وحاء إلى الوزارة عام ١٩٦٣ محدود الكفاءة لكنه اراد البناء. في حين طبعت سلوكه بعد ١٩٦٨ محلية تكرتية صرفة ومفروضة بسبب نمو عقده ومجيء كتلة تكرتية معه تعمل ضد الحزبيين، وتحاول إضعافهم، فحاصرت عمال والسلم وعبد الخالق السامرائي ومرضى الحديثي وغيرهم. ولم يكن البكر مقداماً ليقف بوجه تلك الكتلة القوية بل تجنبهم بتأكيد شراكته لهم. واعتقد انه كان لئيماً ولا يحب العنف المباشر ويحاول قضاء حاجته بالالتفاف والمناورة وخنق الخصوم او قتلهم داخل السجون.

مع صدام حسين

الدولة ضد القانون

سؤال : قلت ان صدام حسين لم يكن عام ١٩٦٣ ملفتاً للنظر، ولم تتخيلوا إنّ في ذهنه مخططاً من أي نوع كان، فكيف اذن تحول من عنصر تنفيذ إلى شخص يتحكم بكل مقدرات البلاد ؟

طالب الشبيب : اذا اردت، فإن اولى الخطوات او المصادفات التي افاد منها صدام حسين، كانت بسبب تسليم القيادة القومية الملف العراقي إلى حمود الشوفي وصلاح جديد، وكلاهما معارض للتوجهات التي سعينا إليها، فلم يرغباً التصديق اننا ونحن مبعدون إلى بيروت نملك مفاتيح التغيير السياسي في العراق الكامنة في مسؤولي الوحدات العسكرية الفعالة من الضباط البعثيين قبل تصفيتهم وإحالتهم على التقاعد أو إرسالهم إلى السجون والوحدات البعيدة غير الفعالة. وبدلاً من التعاون معنا نظراً إلى شرراً، عند لقائي بهما وبقية اعضاء القيادة السورية. فأعطيا الفرصة للبكر وصدام وغيرهما للاستمرار والتحالف مع عفلق.

في حين وجدتُ في شخص الرئيس الاسد، رغبة جادة للاستماع وتفهم القضايا، لكنه لم يقحم نفسه طرفاً في أمورنا، لأنشغاله بشؤون سوريا ومستقبل نظامها السياسي. وفي الحقيقة لم اعرف حينذاك ما كان يدور بذهنه وما يكتنزه من قدرات كبيرة كشفت عن نفسها خلال ٣٥ عاماً الماضية في إدارته لصراعات أكثر خطورة، والخروج منها بما يعود بالفائدة على سوريا والأمة العربية. ولو كنا ادركنا ذلك حينها، لأقتربنا منه وتعاوننا على إنقاذ الوضع في العراق. ولا أكتمك فقد وجدت فيما بعد ان حافظ الاسد يتمتع بقدرة فائقة على إدارة الامور وتفهمها.

واعود لأقول، لم أكن مصداقاً إنّ واحداً من الكادر المتوسط المغمور مثل صدام حسين سيكون بديلاً للسلطة العراقية التقليدية، بل كنا عندما نراه او نخطبه نتصور اننا نتحدث مع احد انصار البكر او مع البكر نفسه بالواسطة.

ولكن بعد وصولهما سوية (البكر - صدام) إلى السلطة عام ١٩٦٨ ، ادركت يقيناً انسه سيستلم السلطة ويطيح بحليف البكر وجناحي السلطة، وزير الدفاع حردان التكريتي ووزير

الداخلية صالح مهدي عماش، وبعدها سيصبح احمد حسن البكر فريسة سهلة يمكن تأجيل إفتراسها إلى وقت آخر مناسب.

توقعت هذا الامر تماماً واختيرت رفاقي والقريبين مني وكل من يهمه الامر من قيادي الصف الاول في حزب البعث بهذا التقدير. وكنت واحداً من قلة يهمسون: ان صدام حسين سيرث السلطة من البكر^(١).

وفي عام ١٩٦٩ هس بأذني مسؤول المخابرات الامريكية CIA في الشرق الاوسط (.....) وكنا في دعوة غداء في الامم المتحدة في الركن الشرقي، وكنت ممثل العراق الدائم في الهيئة

١ - في البدء إكتسب صدام حسين قوته من علاقات خدمية مع احمد حسن البكر وطاهر يحيى ورشيد مصلح، إنطلاقاً من عصبية (تكريتية - عوجوية صرفة)، وبسبب استعداداته للتنفيذ[11]. ومنذ ١٩٦٣ اصبح رجل البكر، يدخل عليه في مجلس الوزراء ويحتلي به بصورة أثارت استغراب موظفي المجلس[12]، إذ ليس هناك ما يسوغ قيام علاقة بين رئيس وزراء العراق وشاب بلا مؤهلات او مركز حزبي او حكومي. وما إن اشتد الخلاف بين السعدي ومناوئيه اقترح صدام على بعض الضباط تخليصهم من السعدي باغتياله "وتنتهي المشكلة". ومنذ ذلك الحين اكتشف صدام أهمية احمد حسن البكر فظل رفيقه وظله حتى بعد سقوط تجربة البعث ١٩٦٣، ولاحظ ذلك "البعثيون العقائديون"[13] فحذروا منه لكن البكر حافظ عليه متميزاً. وفي عام ١٩٦٨ نجح صدام حسين في جعل شخصيته مدججة بالبكر، وحصل لنفسه على مقر خاص وميزانية خاصة غير خاضعة للمساءلة، وهو امر لم يتمتع به احد في الدولة العراقية قبله. وبصبر وكتمان لجم رغبته في الانقلاب ولم يقحم نفسه في عداوة مع البكر رغم تعدد المناسبات، فانتظر متربصاً ليوم مجد آخر، يصبح فيه عمره مناسباً ومقبولاً. وعندما حصلت صراعات واحتكاكات غير معلنة بين اجنحته واجنحة البكر (بعد عام ١٩٦٨) ابلى صدام حسين التنظيم الحزبي بأن كل شيء لا يصبح قانونياً بعد الآن، الا بموافقة القيادة القطرية، ما عدا ما يقرره الاب القائد احمد حسن البكر ١١ ومع مرور سنوات الاخلاص الوهمي بين صدام اجهزة ضخمة هدفها الظاهر حماية دولة البكر، لكنها قامت تدريجياً وبهذوء تنقليم اطافره، اد تم شراء او قتل كل الطلائع التكريتي المحيط به، فهرب صلاح عمر وقتل حردان ورشيد مصلح وطاهر يحيى وعدنان شريف وحماد شهاب والعميد حميد التكريتي. وقتل ازواج بنات البكر وابنه محمد، وشراء طارق حمد العبد الله، ونصب كمائن اخلاقية وجنسية مصورة بأفلام فيديو ناطقة لعدد آخر من المقربين، وخلق لهيتم البكر مشاكل اتعسته. ودار آخر لقاء بين شبيب والبكر حول شكوك الاخير وخوفه على السلطة، وخرج باستنتاج بأن البكر اراد القوة وطلب شخصاً يقطاً يؤدب فيه الخصوم في السلطة والشارع، ويجيد اخراج التمثيليات الحزبية (حسب النظام الداخلي) فكان صدام حسين الذي تصوره طامحاً بمكانة الرجل الثاني فأعطاهما له، رغم معارضة رفاقه، وكان حردان اشجع المعارضين فصفاه قبل غيره. وقد وجد صدام دائماً رجالاً مستعدين للتعاون ليتحولوا بعد فترة إلى ضحاياه، فقد جئى له مرتضى الحديثي الاموال وادخلها في حسابات خاصة وأخرى موظفة في كسب الانصار والوكلاء وتقوية المؤسسة السرية، وعندما سمع مظهر المطلق (زوج بنت البكر) بالامر سعى لفضحه، فردّ صدام بأغراقه مع سيارته في نهر دجلة[14].

ومن جانبه احتاج صدام إلى دعم البكر، ليخترق جهاز السلطة المتعلم والعريق نسبياً والذي لم يكن يعطي لمثل صدام غير منصب كاتب او موظف بسيط. وتغلغل صدام، وكان صعوده السهل الذي كفله البكر، قد ادى فيما بعد إلى انفراد بالسلطة ليبدأ مستقبلاً سياسياً مجللاً بمطالب مستحيلة ومحاطاً بأصدقاء قساة وضحايا ودماء.

الدولية، قائلاً: "ان صدام حسين رجل وغد، انه وغد thug" فقلت له انه الرجل الذي سيكون حاكماً للعراق، وستعاملون معه وتحذلون الجميع^(١).

مع الامير طلال بن عبد العزيز

وفي عام ١٩٨٤، خلال الحرب العراقية الايرانية، كنت مع صلاح عمر العلي بواشنطن في دار الامير طلال. قلنا للامير: هناك طريقة واحدة لوضع نهاية لمشاكل المنطقة هي إسقاط صدام حسين.

أخبرنا الامير: "ليس بإمكاننا إبلاغ هذا الرأي إلى حكومة المملكة العربية السعودية، ولا إلى أية جهة عربية أخرى"، مؤكداً انه يخشى مقابلتنا أو إدارة مثل هذا الحديث معنا.

وادررنا بوضوح انه يخشى ذلك لئلا ينكشف الامر يوماً، وحينها سيتجه صدام حسين بتهوره المعهود للانتقام، خصوصاً وانه لنجح في بناء دولة قوية تقيم حلفاً مع اهم دول العالم بسبب حاجتهم إليها في المواجهة الإيرانية، ويمتلك منظمات ومحطات أمنية فعالة منتشرة في جميع انحاء العالم. ولن أكون مدعياً اذا قلت ان حكومة المملكة العربية السعودية كانت تعرف جيداً اهداف صدام حسين وتكوينه الشخصي، وتدرك إمتلاكه للقوة المستعدة للضرب والفتك وأكثر من ذلك !! لكنها تتجنبه، وتعطي للزمن فرصة لعله يتغير أو يستقر، وبدلاً من مواجهته اهداه الملك خالد بن عبد العزيز خمسين من الجمال الحمراء.

ترتيبات صدام حسين السالفة سبباً كافياً لكي يخشى السعوديون ان يبحثوا معنا شؤون داخلية عراقية، فضلاً عن كوننا لا نمثل جهة رسمية بل معارضة، وهم (السعوديون) لم يكونوا مؤيدين أو معارضين للحكومة العراقية، ويرغبون بالتعامل معها كما يتعاملون مع أية حكومة عربية أخرى، وقد ترجم الامير طلال موقفهم النهائي والصريح عندما كرر: "ياطالب وياصلاح، انا لا استطيع حتى نقل كلامكم إلى حكومة المملكة ولا إلى أية جهة عربية أخرى".

اقسم امامي على الاخلاص للعراق والامة والحزب

سؤال : هل تعاملت مع صدام حسين مباشرة ؟

طالب شبيب : نعم، واهم لقاء كان في دمشق بعد المحاولة الفاشلة لاغتيال عبد الكريم

١ — ومن جانب آخر فقد اعلن رئيس قسم الشرق في البيت الابيض في عهد ريفان (وبعد عدة سنوات) لجريدة نيويورك تايمز بعد اجتياح الكويت بأربعة ايام قائلاً: "لم يكن الامر اننا كنا نريد ان يكسب العراق الحرب، اننا لم نكن نريد ان يخسر العراق. اننا حقاً لم نكن سذجاً. كما نعرف ان صدام وغد، لكنه وغدنا"[15].

قاسم، وكان حينها نصيراً غير حائز على عضوية الحزب العاملة. فكُلِّفت شخصياً بترديد قسم العضوية له، مكافأة على استعداده للتنفيذ، وفعلت ذلك بحضور فاضل الشاهر (عضو شعبة هارب) واعتقد فيصل حبيب الخيزران. وتكمن أهمية هذا في ان العضو الحزبي يظل يتذكر طوال حياته اليوم والشخص الذي ردد له القسم الحزبي وينظر اليهما باحترام وتقدير خاص.

وحين سافرنا انا وحازم جواد إلى بيروت بعد ١٨ تشرين الثاني، جاءنا صدام التكريتي حاملاً رسالة من البكر ومكلفاً بتوفير بيوت سرية لنا في بغداد، وطلب الينا العودة لتدبير إعادة السلطة من عبد السلام عارف.

ثم جاء إلى القاهرة، وكنا مبعدين إليها انا وحازم جواد، واتصل بي بواسطة المقدم علي عريم الذي كان هو والعقيد حسن النقيب والرائد صلاح الطبقجلي يشغلون عضوية القيادة العسكرية العربية الموحدة وهي وظيفة شكلية، تم إبعاد هؤلاء الضباط البعثيين إليها.

قال عريم : إن صدام يطلب منك بناء على رغبة من البكر، دراسة تحليلية عن تجربة ١٤ رمضان ١٩٦٣، النجاح والفشل والاختفاء المرتكبة. فكتبت حوالي ٢٠٠ صفحة، أرسلتها بيد علي عريم وسلمها بالضبط في يوم ١٩٦٤/٩/٤، وكان ذلك تاريخاً مشؤوماً، اذ اعتقلت السلطات العراقية فيه عدداً كبيراً من البعثيين المدنيين والعسكريين بينهم احمد حسن البكر وعبد الكريم مصطفى نصرت، وحصلت اعترافات كثيرة تحت التعذيب وإنهار عبد الكريم الشيخلي وآخرون بينما صمد الغالبية منهم، وضبطت الدراسة التي كتبها.

وخلال وجودي، موظفاً في الخارجية، كنت اتصل بصدام حسين عندما يطلبني او تتطلب الوظيفة، فيستقبلني برحابة. وكثيراً ما دعانا للقائه انا ومدحت ابراهيم جمعة ويسألنا الرأي في ترتيباته الحزبية وتركيبه قيادته القطرية. وكنا نقدم النصح بلطف وبالشكل الذي نعتقده صحيحاً. فقد اقترحت عليه ذات مرة ان تجرى انتخابات شعبية عامة للتخلص من مشاعر العزلة. وقلت : ان حزب البعث تمكن في ظروف صعبة، في عهد قاسم، من الفوز في انتخابات حرة ببعض الجمعيات والنقابات المهنية والعلمية والاجتماعية، وأرى انه مع شيء من الترتيب وبجهود معينة، وتوظيف امكانيات السلطة والدولة في بذل المكاسب الشعبية، وعندها سيكون ممكناً تحقيق الفوز باكثرية المراكز الانتخابية. وذلك سيكون تحدياً لتنظيم حزب البعث، وسيكشف اولئك المستفيدون الذين لا يبذلون جهداً يتناسب مع أهمية المراكز الممنوحة لهم.

شيء آخر قدمه لي صدام حسين شخصياً. وحصل عندما كتبت له رسالة اطلب فيها نقلتي إلى وظيفة مندوب العراق الدائم في الامم المتحدة. وكان وزير الخارجية حينذاك عبد الكريم الشيخلي يعارض بشدة مثل هذا القرار. وفوجئت فوراً بوصول برقية إلى السفارة العراقية

بتركيا، وكنت سفيراً هناك، تعلمني بصدور قرار (مرسوم)، بتعييني مندوباً دائماً، وكان صدام حسين حينذاك نائباً لرئيس الجمهورية.

على خطى البكر

إختار صدام حسين سبيلاً يماثل من حيث الجوهر اسلوب البكر، يعقد الصفقات ويحسب بها بالسهولة نفسها. لكنه تجاوز معلمه إلى شكل آخر أشد قسوة، فلم يكن مستعداً للخسارة او التنازل عن أي شيء مهما كان صغيراً^(١). وهو لا يقبل الوساطة عندما يتعلق الامر

١ — لم يكن صدام حسين تلميذاً خائباً للبكر، بل تعلم الدرس وواصل نفس المنهج. فتحالف في عام ١٩٦٩ مع جلال الطالباني ثم حذله في ١٩٧٠ ووقع إتفاقاً مع الملا مصطفى البارزاني ثم مع الحزب الشيوعي. لكنه خطط بنفس الوقت لتصفيتهم بلا رحمة، واقحم الرئيس هوارى بومدين كشاهد على إتفاق وقعه مع شاه ايران مطهراً فيه كثيراً من التذلل والانبطاح وقد وصف عضو القيادة الفلسطينية خالد الحسن مشهد لقاء الشاه — صدام إلى قيادة قطر العراق (باقر ياسين، أحمد العزاوي، محمد عبد الطائي، رشاد الشيخ راضي، وحسن الذهب) واخبرهم عن شدة إندهاش الرئيس الجزائري من تخاذل صدام حسين. لكن صدام، وعلى خطى البكر، يعطي الوعود والتنازلات السخية، ويضمر نكته في أول فرصة سانحة. وفعلاً مرق إتفاقية الجزائر بعد نجاح الشعب الايراني بالثورة على الشاه. لكن صدام نفسه وبعد ثمان سنوات حرب ضد النظام الجديد، عاد ليعترف علناً بتلك الاتفاقية المشؤومة، وهدفه كسب حياد الحكومة الايرانية وسكوتها على محاولته إبتلاع الكويت.

دفع رفاقه إلى العمل لصالح الميثاق القومي للوحدة بين سوريا والعراق عام ١٩٧٨، لكنه خطط بالوقت نفسه لقتلهم واستبدال الطاقم المحيط به. وفعلاً قتل عشرين من اعضاء قيادته القطرية وزرائه وقادته العسكريين والمدراء والسفراء، وازاح البكر وسقاه السم حرعات صغيرة لكنها قاتلة رغم قسم الاخلاص لعضهما عند مرقد الإمام أبو حنيفة النعمان! كما نكت إتفاقية مجلس التعاون العربي المشترك عام ١٩٨٩ الذي انتهى ومات بغزوة الكويت، وخديعته لحليفه حسني مبارك عام ١٩٩٠. ودعا العاملين المصريين إلى العراق مفسراً دعوتهم بأنها خطوة وحدوية، ثم انتهى الامر بأطلاق النار عليهم وإعادةتهم بتوايت مثلحة إلى مصر. وارسل مجموعة من علماء الدين الاسلامي للتوسط بينه وبين الزعيم الكردي الملا مصطفى البارزاني واوعز بنفسه لأجهزة الامن بلغم احد اجهزة التسحيل الخاصة التي سلمها مدير الامن "ناظم كزار" إلى احدهم لتسجيل الحوار، فأنفجر ذلك الجهاز بهم وقتلهم جميعاً، وانتقد رفيق الملا (ساقى الشاي) الملا مصطفى عندما كان بالصدفة يقدم له الشاي، فتمزقت اشلائه وخرج الملا من الحادث حياً موفوراً، وهو ما نقله لنا الاستاذ مسعود البرزاني في "راجان" [16].

وتحالف مع الشيوعيين ثم قتل رجالهم واتخذ قرار تصفيتهم نهائياً. وذهب عام ١٩٧٢ إلى سوريا ومصر طالباً الوحدة، وكان في الوقت نفسه قد اعطى تعهداً لفريق دولي بأسه سيحول دون لقاء عراقي مصري سوري جاد. وقتل راجي التكريتي بنفس الاسلوب الذي أستدرج فيه السيد مدلول الحنا في بداية السبعينات وقتله في بغداد، فقد اخبره حبير نصب الافحاح السفير نوري الويس انه ينقل اليه عهد شرف من صدام حسين بأن لا يؤذيه او يسيء اليه احد، اذا هو عاد للعراق، لكنه قتل راجي واصحابه شر قتلة، ورمى بجثته لكلااب مدربة على اكل لحوم بشرية. ويرى بعضهم ان الويس قد خدّر راجي قبل اخذه بسيارته الدبلوماسية. ويقول مشعان الجبوري [17] ان حسين كامل رغم معرفته بأساليب الخداع وشراكته بها، لكنه لا قى نفس المصير هو واخوه وابوه وقتل معهم احمد عبد الغفور التكريتي وثائر عبد القادر المجيد وهو زوج احدى بنات البكر، ويضيف : ان قاتل ثائر هو النظام وليس حسين كامل، لكنهم بعد قتله قالوا انه شهيد وكانوا قبل ذلك قد عرضه في تلفزيون بغداد حليفاً.

←

بالامس، او بأي شأن يعتقد انه يسيء اليه، ولا ادري كيف عمل على تعييني مندوباً دائماً في الامم المتحدة وهو يحمل حقداً خاصاً ضدي، سبب عدم مراسلتي له شخصياً، كما يفعل بقية السفراء العراقيين في الخارج، فقد تعاملت مع الدولة العراقية، وكانت إتصالاتي وتقاريري والكتب الرسمية تذهب مباشرة إلى وزارة الخارجية حسب الاصول.

وفي مطلع ١٩٩٣ وعلى خطي مدرسة النكر ايضاً، وبعد ان تأكدت سلطات بغداد ان الصحفي سعد البراز لن يعود إلى بغداد برغم رسائل التظمين والتهديد والترغيب، بما فيها الرسائل التي حملت توقيع صدام حسين نفسه والتي حملها السفير نوري الويس واوصلها بواسطة كاتب فلسطيني (صديق مشترك لهما)، وكانت آخرها تحمل مضموناً : ان الرئيس العراقي قد حوّل نوري الويس ان يضمن حياة الصحفي "الهارب من الجحيم" امام منقفي الاردن بصورة علنية، ويرافقه بسيارته من عمان إلى مكتب رئاسة تحرير جريدة الجمهورية مردداً اغلظ "الأيمان" (نحو: بشرفي وستر اخني وزوجتي!). ولم يكن للراز وهو ابن لتلك المؤسسة إلا ان يتعامل مع الرسالة بريية وإحتقار، وقال للحاملها: "لست مدلول الحنا، وليبحث عن ضحية سواي". وكانت احدى الرسائل التي وصلته تحمل توقيع عدي صدام حسين وتعد بمنحه وزارة الاعلام بدلاً من حامد حمادي الذي قاد الحملة ضد سعد البراز الذي قال عن نفسه أنه "هارب من الجحيم".

ويقول سعد البراز : بعد ستة اشهر من آخر رسالة وصلتي زار الدكتور راجي عباس التكريتي، وهو من اقارب نوري الويس، عمّان لإلقاء محاضرة في التراث في مؤسسة شومان، وبعد إنتهاء فترة الضيافة الرسمية، تنقل الدكتور راجي من مجلس لآخر ورحبت به شخصيات عراقية ثقافية وسياسية دون ان تنقطع صلته اليومية مع السفير الذي استدعاه في احد الايام على العشاء في منزله، وابلغه انه مرشح لشغل منصب وزير في التشكيلة الجديدة التي ستعلن ببغداد بعد ايام، وعليه التوجه إلى هناك بسيارة السفير الدبلوماسية، وما كادت السيارة تعبر نقطة "طريقيل" الحدودية حتى تسلمت اجهزة الامن راجي التكريتي من سيارة قريبه السفير لبواجهه مصيره.

مع ميشيل عفلق

سؤال: وماذا عن ميشيل عفلق؟

طالب شبيب: هو واحد من أهم القادة المؤسسين لحزب البعث، كان في البداية نشيطاً ومواكباً واستطاع أن يساهم في صنع الموجة السياسية المعاصرة للنهضة والبعث العربي، لكنه بدأ يخبو سياسياً ثم يموت فكرياً منذ أن أقدم على حل الحزب في القطر العربي السوري، فلم يستطع بعد ذلك التاريخ كتابة بيان أو مقالة أو موضوع واحد متميز أو ذا أهمية.

فقد كتبنا نيابة عنه وثائق المؤتمر القومي الثالث وبيانه الختامي الذي نشرته جريدة "الصحافة" البيروتية الناطقة بلسان حزب البعث. وكنا قد تكلفنا أنا والمرحوم خالد اليشطرطي عضو القيادة القومية ومسؤول التنظيم الفلسطيني وعبد الوهاب شميطلبي عضو القيادة القومية وعضو قيادة منظمة لبنان، وكتب كل واحد منا مسودة خاصة به، ثم اجتمعنا نحن الثلاثة وصنفنا أفكارها وربطناها بلغة وصياغة سليمة، ووافق عليها دون إضافة كلمة واحدة، ونشرت ووزعت على شكل تصريح منه.

ولا بد من الإشارة إلى أن حاجتنا لعفلق مثقفاً ومفكراً كانت أكبر من حاجتنا إليه كرجل تنظيم، وذلك بسبب حل الحزب في سوريا وحرمان منظمات الحزب القومية من مثقفي البعث السوريين الذين كانوا في مستوى فكري وثقافي أعلى من رفاقهم في الأقطار العربية الأخرى وبشكل خاص من العراقيين، الذين أثّرت على قراءاتهم شدة الرقابة ومنع الصحف والمنتديات الثقافية. وقد كانت تلك سياسة مستمرة منذ العهد الملكي حتى الوقت الحاضر. كان العراقي يحصل على فرصته عندما يسافر إلى سوريا أو لبنان فيطلع على الصحافة وعالم الفكر المتحرك ويقتني الكتب الممنوعة في بلاده^(١).

١ — اعترف عبد الناصر خلال محادثات الوحدة عام ١٩٦٣ بأن حل الأحزاب كان أحد أسباب نكسة الوحدة، لكنه قال "إن البعثيين هم المسؤولون عن حل حزبهم". وقال لعفلق والبيطار وكانا حاضرين "اللي حصل إن الحزب انحل واتم اللي اقترحوا حل الحزب"، ورغم سكوتهم وعدم تعليقهم، فإنهما لم يعترفا بأنهما كانا وراء تلك الفكرة، ولم يعترف أحدهما بالخرابي بها أيضاً.

وفي نفس الجلسة قال عبد الناصر "لو كان حزب البعث مش موجود، أنا كان لازم أقول ضروري حزب البعث يكون موجود، لأن عدم وجود البعث كاتجاه قومي ييضعف الوحدة". وعندما كان عبد الناصر يتحدث عن رفض وضع مصر بين المطرقة السورية والسندان العراقي، استدرك قائلاً "وأرجو من إخواننا العراقيين أن لا يعتبروا هذا الكلام لهم، أنسا

ولم نكن وحدنا الذين لاحظنا انطفاء ميشيل عفلق، وعدم وجود شيء هام عنده، بل لاحظ ذلك بوضوح جميع المقربين منه ومن القيادة القومية لحزب البعث.

لكنه استعاض عن الفكرة الذكية الصائبة وعن روح المبادرة في قراءة المستقبل، بتشجيع واستثمار ولاء الشباب الحزبي الحيوي المندفع له، واستعان بهم لتحقيق أهدافه السياسية، والتخلص أو التخلي عن كل شخص يكشف ضعفه^(١).

كما عجز عفلق منذ ذلك الحين عن القيام بأعمال تنظيمية جادة، بل لم يكن مستعداً للقيام بأي عمل لا يتلاءم مع بطئه ومزاجه الخاص. فأخذت أنا مسؤولية التنظيم القومي بكامله.

وكانت قيادات الأقطار كالعراق وفلسطين ولبنان تخطط وتفكر بنفسها على ضوء واقعها الملموس وذلك ينطبق على العراق أكثر من غيره.

وأشرف على إعلام الحزب وجريدته كل من جبران مجدلاوي وشميطلسي ويشرطي، ولم

مستعد أن أعمل معهم الوحدة دلوقتي". لكن الوفد العراقي أصرَّ على إيهام عدد الناصر بأن البعث في سورية أكثر إصراراً على الوحدة وأن العراقيين تعلموا من أساتذتهم السوريين دروساً في الوحدة.... وفي العراق لم يتمكن العثيون أو الشيوعيون التعمق بالفكر، بل أخذوا الفكرة حاضرة وناضلوا من أجل تطبيقها، فكان الشيوعيون من أقطار عربية مجاورة أكثر ثقافة من نظرائهم العراقيين. والعثيون السوريون أكثر ثقافة من رفاقهم العراقيين. فقد وأدت قسوة النضال السري والمظاهرات والإضرابات وبقية الصراعات العملية المشاريع الفكرية والعقائدية للأحزاب قبل اكتمالها. وأسقط الصراع الحزبي الداني والصراع ضد السلطة أعداداً هائلة من مثقفي الأحزاب الواعدين، كما قضى الكثيرون في السجون وأخذت منسهم البراءة عنوة، فأصيبوا بالضعف، ولا يصلح الإنداع مع مشاعر الضعف. وبسبب شدة الصراع سادت بين المناضلين مقولات فاسدة مثل: "لسنا بحاجة لفلسفة بل إلى العمل المباشرة!!"، كما أدت الحياة الحزبية السرية المستديرة إلى تنفس هواء فاسد، وأساء من ذلك إن بعض الأحزاب فضلت السرية على العلنية حتى مع وجودها في السلطة أو مع وجود سلطة تسمح نسبياً بالعلنية.

١ - للخروج من التحزبة والضعف إلى الوحدة والقوة بواسطة استثمار حيوية واندفاع الشباب يشكل الجانب الأهم من النظرية العفلقية التي لم تبدل أي جهد لدراسة مرحلة ما بعد قيام الوحدة وامتلاك القوة فقد تصور ميشيل عفلق أن التأثير الحيوي بإمكانه أن ينجر كل شيء بغض النظر عن أهمية العلم والمعرفة، فالاندفاع يعوض العلم، وبأيدي ثنائير يقود ميليشيا يمكن فعل أي شيء. وكان صدام حسين معجباً بالفكرة السالفة، فذهب إلى مراكز الثقافة والمعرفة العلمية العراقية ككلية الطب والهندسة والفلسفة رائراً من موقع السلطة والمسؤولية، وألقى محاضرات وحطاً سحر فيها من الأكاديميين ورفع من شأن الإدارة السياسية "المقتدرة"، فالسياسي الحيوي بإمكانه إدارة رئاسة الجمهورية أو معهد علمي أو نقابة وغيرها لا فرق.

وعلى خطى عفلق قام صدام حسين ودخل الكويت بمجرد شعوره أنه قادر على احتلالها!! فعل ذلك بعكس قاسم الذي ما أن لاحظ حجم ردود الفعل ضده حتى تراجع واستبدل فكرة العمل العسكري بشعار الالتحاق السلمي، لكن صدام حسين التأثير العفلقي قرر تجاوز كل شيء بهستيريا "وطية" كرر فيها هتلر وموسوليني ونظر إلى المسألة وكأنها إرادة أو غاية التاريخ، وليس أماماً جميعاً سوى الاندفاع دون تردد أو تفكير، وهكذا تماماً أراد ميشيل عفلق: قلة من الشباب وشدة في الحماس والعصبية المستترة وتحقق القدرة على الاقتحام والفعل، أما لماذا الاقتحام ولماذا السلطة وبأي شكل فيأتي فيما بعد!!

نستطع بعد شراء جريدة "الصحافة" تغيير اسمها بما يتلاءم مع طروحاتنا ومصطلحاتنا، لأن القانون اللبناني لا يسمح بذلك، فأبقينا اسمها وكتبنا تحته ملاحظة صغيرة هي "جريدة حزب البعث العربي الاشتراكي". وللتاريخ أقول أن الجمهورية العربية المتحدة كانت تمنحنا مبلغ آلاف الجنيهات شهرياً لاستمرار صدور الجريدة وشراء المطابع، لكن المساعدات قطعت بعد استقالة نائب الرئيس أكرم الحوراني والوزراء البيطار وقنوت وحمدون .

وما زلت حتى هذه اللحظة لا أدري لماذا استقال الحوراني والوزراء الآخرون، في حين بقي كل واحد منهم، فيما بعد، مجده وتفاخر استناداً إلى عمله إلى جانب عبد الناصر. وبعد سنوات التقيت في باريس بأكرم الحوراني، وعندما ذكرته بتوقيعه وثيقة الانفصال، تحدث بفخر عن عمله ومنصبه نائباً لجمال عبد الناصر وأسماء "عدو الاستعمار ورائد القومية والوطنية العربية..." وأعتقد أن ميشيل عفلق أحج بصورة غير مباشرة الأخطاء ضد ناصر دون أن يتورط هو نفسه بموقف مباشر ضد الوحدة القائمة. فقد كان ميشيل باستمرار غير مباشر ولا يملك الشجاعة والقوة للمواجهة عندما تستد الأمور ويتطلب الأمر موقفاً حازماً، وهو يخاف كثيراً على حياته، ورغم حييطته وحذره وقع أكثر من مرة بما لم يكن يرغب به حتى انتهى الأمر به بين يدي صدام حسين الذي تحفظ عليه وسلب منه حلمه في الهيمنة على البعث، كما اضطر أن يعيش في وسط عراقي لا يقدره ولا يحبه أبداً بسبب موقف الشعب العراقي ذاته من مضيفه^(١).

١ - قال لي سعد الزاز [18] "أتيج لي أن التقيته في نيسان ١٩٨٩ بعد أكثر من عشر سنوات على آخر مرة جلست فيها إليه، ويكفي المقارنة بين الكلمات التي تحدث فيها في المرتين لأستنتج ملامح حالته الجديدة، ففي ١٩٧٩ قال أن تجربة الثورة في العراق ستفاحي العالم والعرب كما تحمل مفاجأة لنا أيضاً. وكان يتحدث عن أحلام وطموحات يوم لم تكن الحروب قد وقعت بعد. أما في المرة الثانية أي بعد أقل من سنة على الحرب الإيرانية فقد كان الزمن قد أضعفه، وظهر صوته خافتاً وباتت كلماته متقطعة، إلا أنه قال أمامي "إن على جيلنا الجديد أن ينهض على الفور بمسؤولية عجز عنها الجيل السابق وهي المباشرة بحوار ثلاثي الرؤوس بين القوميين والإسلاميين والماركسيين، لأن هذا الحوار هو المنفذ الوحيد لتجاوز الخلافات وتكتيل القدرات في مشروع النهضة". وكانت السلطة بعيدة تماماً عن تلك الدعوات، وكانت مجموعات كثيرة من العسكريين والمدنيين قد سقت إلى معازل الموت بدعوى التآمر رغم مشاركتهم لصدام حسين في الحرب الإيرانية. وأدركت يومها أن الحكم الذي يعجز عن استيعاب الموالين ويعاملهم بالشك والريبة هو عاجز عن إدارة حوار مع قوى واتجاهات أخرى، وأن كلمات عفلق كانت نوعاً من تبرة الضمير وكأنه شعر بدنو موته. ولم يكن لدى عفلق في أيامه الأخيرة أي دور سياسي في بغداد، وكان وجوده فيها ضرورة معنوية للسلطة في صراعها ضد جناح الحزب الآخر في سوريا. ولذلك أمضي معظم وقته في منتجع بفرنسا ويتردد على بغداد إشارة إلى رغبته في أن ينوء بنفسه عن المشهد الذي يجعله صيلاً أمام الحاكم الذي صادر شرعية الحزب برضى عفلق نفسه يوم كان يقول "إن صدام حسين هو هدية البعث للعراق وهدية العراق للعرب" وإذا به يكتشف أن دوره شكلي وشاحب ويستخدم لصالح فرض سلطة الرجل الواحد الذي اعتقد يوماً أنه معقد آماله... انتهى كلام الزاز". وهكذا انتقل عفلق إلى مكان سيكون فيه شاهد زور على أكبر وأخطر الحرائم المرتكبة ضد الشعب العراقي المظلوم الذي تأسس حزب البعث أولاً تحت شعار نصرته.

كان افضل ما لدى ميشيل عفلق هو إعطاؤه الزمن الفرصة الكافية ليدور دورته فتتضح القضايا التي لم تجد طريقها الفوري للوضوح أو التحقق ، ولم يستفد تلميذه صدام حسين من تلك الحصلة الحميدة، بل ظهر فاقداً للصبر ومجازفاً بشؤون قومية عظيمة من أجل لاشيء تقريباً. وكانت غزوة الكويت مثلاً قاسياً على تصرفه. فلم يكن إلحاقها بالعراق لو تحقق يعني أكثر من التحاق جزء عربي من مكان " مجلس التعاون الخليجي" إلى مكان آخر، وليس في ذلك أي إنجاز تاريخي أو جوهرى يستحق المقامرة بكل شيء وبصورة أضرت بالأمة العربية ضرراً لا حدود له.

في حين وجدتُ في شخص حافظ الأسد قائداً بعتياً يمارس القيادة ويعطي الزمن أهميته في إنضاج الأمور ويدير السياسة بأستاذية تدرك أن ما للأمة العربية هو أمر لا يحق لأي شخص حتى لو كان حاكماً المقامرة به^(١).

أشخاص آخرون

تأثر بميشيل عفلق عدد من البعثيين بصورة مباشرة. ورغم اختلافه مع فؤاد الركابي بشدة لكن الأخير أدرك مثل عفلق أهمية السلطة ومعنى تسخيرها لخدمة الأهداف "العقائدية" والإيديولوجية، ولذلك اتجه في كل أعماله نحو السيطرة عليها مهما كان الثمن وحتى قبل

١ — نظر البعثيون إلى وحدة الأمة العربية على أنها لا تعبر فقط عن مصالح عملية ومنفعة، بل باعتبارها " حقيقة" تعلن عن نفسها كحق طبيعي وحتمي يشترطه أولاً وأخيراً الميل الذاتي الكامن في أعماق أبنائها، الذين يعيشون على أرضها، نحو الاتحاد. وإن كل الفوارق بين أجزاء الوطن إنما هي فوارق عرضية وستضمحل إذا ما استيقظ الوعي العربي الذي يربط روحياً بين أبنائه. إذ لا معنى للفرد بدون ذلك الربط الذي يخلق الأمة الحية ذات الرسالة الخالدة، والاستمرارية المتجددة. ولذلك وضع المنظمون البعثيون الأوائل أمامهم مهمة اختيار أشخاص أشداء أخلاقياً يتميزون بالجرأة والصدق والالتزام ليصبح الحزب بهم أداة فعالة لإيقاظ الأمة وتحويلها من الواقع المفكك إلى مخلوق حي متنوع ومتناغم وعظيم الشأن.

كما قرروا الاستفادة من الإسلام وتوظيف قدرته التحريضية لمصلحة توحيد الوطن العربي الكبير. وهتفوا للإسلام الذي نشأ وترعرع بين العرب وأعطى لإنسانية الإنسان قيمة أعلىته ودفعته إلى الأمام. وأدرك المنظمون الأوائل أن تحقيق أهدافهم ليس ممكناً بدون توفر الحرية الخاصة فورد في دستور البعث "... حرية الكلام وحرية الاجتماع وحرية الاعتقاد وحرية الفن أشياء مقدسة لا يمكن لأي سلطة أن تحد منها" لكن تلك النظرة غالباً ما تعذرت وتعثرت عملياً بسبب التأمر عليها وتحريفها قبل وبعد إقرارها، وكانت أول محاولة للإساءة إليها بدأت مع ميشيل عفلق في كتابه " في سبيل البعث " الذي يقول فيه " تكون الدولة مسؤولة عن حرية الكلام والنشر والاجتماع ضمن حدود مصلحة القومية العليا" وهو قول يخفي ديكتاتورية شديدة، لكنها مبطنه، يقرر فيها هيمنة الدولة أو الجماعة على الحريات الفردية الضرورية والأساسية وإخضاعها لحاجات سياسية ومادية عامة.. وكأننا بميشيل عفلق ينقل نصاً هيجلياً عن (الدولة — الفكرة) المتجسدة على الأرض والتي تلدوب فيها كل الجزئيات والألوان ، ليطبقها على الواقع العربي، رغم أنها ظلت مجرد فكرة غير قابلة للتطبيق حتى في أوروبا حيث تفلسف هيجل مودجلاً للشمولية الكونية.

التفكير بخطة أو برنامج عمل للحكم، وكانت تلك هي نفسها طريقة عفلق في الاعتماد على الحيوية والاندفاع والقوة الاقتحامية بغض النظر عن العلم والمعرفة.

وكان فؤاد الركابي يفعل ذلك دون أن تكون له مطامح شخصية، وقد لاحظت عصاميته وعدم تغير أحواله عندما كان وزيراً ثم عندما صار مختفياً في وكر حزبي. وبصورة تختلف عن تلميذ عفلق الآخر " سعدون حمادي " الذي أخذ عنه التردد والخوف. وأتذكر أنني زرت حمادي قبل محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في مكتبه بجريدة الجمهورية وكان رئيساً لتحريرها، وبعد حديث قصير حول آفاق تطوير العمل الحزبي وأهمية استغلال جميع الطاقات المستعدة للتعاون مع البعث، وضرورة عدم ترك الساحة للشيوعيين وحدهم، لاحظته ظل صامتاً متجهماً الوجه ثم خرج من غرفته وتركني دون توديعي. وبعد أيام سمعنا نبأ هربه إلى سورية، فكان صورة سيئة للتصرف الحزبي. ورغم كونه (خلال هروبه) عضواً في القيادة القطرية فقد تمكن حمادي من التخلص من العقاب بسبب الخلافات الحزبية الداخلية. وأعترف أنني ارتكبت خطأ عندما جادلت علي السعدي في أمر تعيينه وزيراً للإصلاح الزراعي بعد ثورة ١٤ رمضان، فقد كان علي يكرهه ووصفه بالجبان الذي لا يعتمد عليه.

وكان ردي: بأن مهمة الشجعان قد انتهت بعد نجاح الثورة، ونحتاج الآن إلى الفنيين والمتخصصين. ولم يكن لدينا حينذاك كفاءات كثيرة، وعلينا الجمع وليس التفريط. وكنا أنا والسعدي محقين في آن واحد، وللأسف كان سعدون حمادي خيبة أمل كبيرة لكل من اعتمد عليه واتكل على كفاءته.

أما حازم جواد فكان يعني الرجل التنظيمي الأول بالنسبة للبعث في العراق، ويقترن اسمه بذهني بإدارته لأمانة سر الحزب، فبعد اعتقال محسن الشيخ راضي، تركز الاعتماد تنظيمياً عليه وأصبح نائباً أو مساعداً لعلي صالح السعدي وعضواً في المكتب السياسي والعسكري، وقد عرفته وعرفت قدراته وعملت معه في نفس الميدان، فكنت بنفس الوقت عضواً في المكتب السياسي والعسكري ومشرفاً على الاتصال الخارجي بالإضافة إلى القيام بأعمال تحريرية في جريدة الاشتراكي السرية الناطقة باسم قيادة قطر العراق للبعث.

وفي السنوات الثلاث من عام ١٩٦٠ حتى ١٩٦٣ تمكن حازم جواد من البروز تنظيمياً وقام بأكثر أعمال أمانة السر التي يرأسها السعدي، وكان وفياً ومكماً وليس خصماً أو منافساً له. وقد أصبح أميناً للسر بعد ثورة رمضان بسبب تقلد السعدي لمناصب حكومية خطيرة.

وأسوأ ما حصل لحازم جواد وعطّله عن إنجاز مهماته بصورة محكمة هو إيقاله بمهمات حزبية وحكومية خطيرة كوزارة شؤون رئاسة الجمهورية ووزارة الداخلية وأمانة سر الحزب

وعضوية مجلس الثورة في آن واحد. ولا بد أن أذكر بأن حازم كما السعدي والركابي تمتعوا بشجاعة مطلقة يمكن تلمسها في أكثر من موقعة وتجربة.

ولا أرغب في الحديث عن نفسي سوى انطلاقةً مما وصفني به هاني الفكيكي في كتابه "أوكرار الهزيمة" بالانتهازي !

وحسب ما أفهم إن الانتهازي هو غنّام الفرص للانتفاع الشخصي على حساب حقوق الآخرين. وعندما أعود إلى تاريخي منذ سني الشباب الأولى، أجد أنني قد أنفقت حياتي أحمل موقفاً وأتحمل من أجله التبعات، فشاركت بجميع المسؤوليات وقمت بجميع الواجبات. وسواء كان الأمر في ١٤ رمضان أو حركة حسن السريع، فقد كنت في قلب الخطر، ربطت نفسي وعائلي بمصير ما اقتنعت به، فبقينا في خط المواجهة وفي الصف الأول، وإخواني جميعهم مناضلون دخلوا السجون ولعبوا أدواراً هامة وعرضوا أنفسهم للأخطار.

ولم أستفد أو أنفع من السلطة والمناصب، فقد عملت وزيراً للخارجية وسفيراً للجامعة العربية لبلادي أحد عشر عاماً ولكن لم أملك سكناً ولم أستطع إكمال بناء دار اعتيادية لنفسي في بغداد لولا تولي صديقي وأخي حازم جواد أمر إكمالها ودفع المبالغ الناقصة، ولم أستطع إيفاء ديونته إلا بعد سنوات.

وقد وقفت أحياناً مواقف كنت أعرف مسبقاً أنها ستعود عليّ بالضرر، وذلك من أجل أن لا أبدو مزدوج المواقف وبمعياري. وعندما واجهني علي السعدي بما كنت قد اقترحتّه قبل الثورة بأن لا يتولى أمين السر منصباً حكومياً مهماً، وافقته وتم سحب أمانة السر من حازم جواد وسُلمت إلى حمدي عبد المجيد وذلك أعطى الجناح الآخر سلاحاً ضدنا وأزعج حازم جواد، ولكنني لم أستطع التصرف إلا كرجل ملتزم بالعهد.

ومن جانب آخر ورغم أنني أنحدر من عائلة ملاك الأراضي، فإن أرضنا لم تكن تدر مبالغ كافية بسبب إهمالها والانشغال بالشأن السياسي العام. وكانت كلفة زيارات الفلاحين ومراجعتهم لنا في بغداد أكثر من واردات الأرض نفسها، فاضطرت بعد عودتي من لندن في ١٩٥٨ إلى القيام بعمل إضافي كمترجم في " الشرق الأوسط للأبناء" بوساطة فؤاد الركابي.

وإذا كان ما قمت به في خدمة ما اعتقدت أنه يمثل مصلحة العراق وإرادة الأمة العربية، وإذا كان تحمل الأعباء والمتاعب يعتبر انتهازية فأنا أقبل بهذه الصفة. ولعل الوقائع الموضوعية والزمن يعطيان لكل حقه.

والشيء الوحيد الذي حصل بيننا هو أن هاني الفكيكي جاءنا ليعبر عن موقفه قائلاً: إن علي

السعدي لا يصلح للسلطة، فأعطونا مزيداً من الوقت لتحاشي الاصطدام وامتلاك الوسائل لمعالجة الأمر.

وشيء آخر تميزنا به، فقد التزمنا أنا وحازم، رغم أن عفلق وجديد قاما بفصلنا بواسطة الإذاعة دون إجراء تحقيق نظامي، بعدم الانتقال إلى تنظيم آخر أو تأسيس حزب جديد، فبقينا مخلصين للبعث ولم نزل ولم ننظر للبعث على أنه أوكار للهزيمة وأثبتت الحياة صحة التيار المعتدل فيه وما زال الشارع العربي والمثقف العربي يتأثر بأطروحاته في الوحدة والكرامة. في حين قام علي وهاني وغيرهما بتأسيس حزب العمال الثوري بعد تركهم الحزب بأيام رغم أننا جميعاً كنا محاطين بمثقفين وليس بعمال.

وأعتقد أن سبب فصلنا هو أن ميشيل عفلق أراد استثمار سقوط حكم البعث في العراق عام ١٩٦٣ من أجل إحكام سيطرته على الحزب تحت شعار مراجعة تجربة العراق. فتمكن من فصل علي ورفاقه وأنا وحازم، مما أتاح الفرصة له للهيمنة مجدداً واسترداد ما كان قد فقدته من مواقع تنظيمية وفكرية في المؤتمر القومي السادس^(١).

كان عفلق غامضاً ودائم الارتباك، وأعتقد أن ذلك يعود إلى سعيه لتأسيس حركة متينة، تكون سلاحاً حاسماً في تحقيق آمال الأمة العربية في الوحدة والقوة، ولكن بشرط أن يبقى هو دون غيره على رأسها، مما اضطره إلى تبديل إجراءاته السياسية والتنظيمية بما يخدم موقعه ومصالحته.

والدرس الثاني: هو عدم تفهمه لطبيعة الدعم الذي حصل عليه من أمريكا وأوروبا في صراعه ضد إيران، فاعتقد خاطئاً أنه ماكر وتحدث عن الاقتدار. وعندما دخل الكويت واصطدم بالغرب، أراد استعادة نفس أساليب المناورة والخداع السياسي، ولكن هذه المرة تحول إلى أضحوكة، ولا أدري هل لديه حظ في إدراك الفرق بين الحالتين.

هؤلاء وغيرهم كثيرون جعلوا الصراع داخل السلطة فجاً ومملاً، وأظهروا أنفسهم محتكرين بائسين لها، رغم احترامنا لهم ولتاريخهم كأشخاص، لكنهم أداروا صراعاً عبثياً بائساً.

وأهم هؤلاء الرجال: عبد السلام وعبد الرحمن عارف وطاهر التكريتي وعبد الكريم فرحان

١ — بعد سقوط حكم البعث، حصل في العراق فراغ سياسي استمر منذ نهاية عام ١٩٦٣ حتى عام ١٩٦٨، وكانت تلك أشبه بمرحلة انتقالية أو تمهيدية لقيام سلطة ١٧ — ٣٠ تموز ١٩٦٨، فتداول السلطة فيها، بين حكام ومعارضة "شبه حكومية"، حوالي ثلاثين شخصاً وتناوبوا على مراكز السلطة أو السجن أكثر من مرة خلال خمس سنوات.

وصحبي عبد الحميد وأديب الجادر وخير الدين حسيب وناجي طالب وسعيد صليبي ومحسن
 حسين الحبيب وعارف عبد الرزاق وعبد الرحمن الداود ورشيد محسن وعبد العزيز العقيلي وعبد
 الغني الراوي ومحمد مجيد ورشيد مصلح التكريتي وبديع شريف العلي وعبد الكريم هاني
 وإبراهيم الشلال وعبد الرحيم الأرحيم وعبد الرحمن البزاز ورجب عبد المجيد وعبد الهادي
 الراوي وأحمد الحبوبي وشكري صالح زكي وشامل السامرائي وأحمد حسن البكر وأنور ثامر
 وعبد اللطيف الدراجي وسعدون غيدان وهادي خماس وصعب الحردان وشفيق الدراجي ونافع
 أحمد وبشير الطالب وعبد الستار عبد اللطيف وعزت مصطفى، وغيرهم.

ملحق رقم (١)

وعود البكر

خان البكر جميع زملائه الذين أقسم معهم على عدم الخيانة، مستخدماً مع كل منهم طريقة خاصة في القسم تتناسب مع مستوى وثقافة وميول الحليف (الضحية) مما يدل على مكره ودهائه. فأقسم مع حردان التكريتي (وزير الدفاع) في مرقد الحمزة ثم انتقل معه إلى مرقد العباس بن علي بن أبي طالب في كربلاء وأقسم معه على عدم الخيانة، لكنه في نفس الوقت تركه لصدام حسين يتآمر عليه ثم يغتاله في الكويت مستخدماً وسائل الدولة وموظفيها الكبار كوزير الخارجية عبد الكريم الشيخلي. وأقسم مع صالح مهدي عماش وغدر به. لكن عماش انقذ نفسه بأن أظهر الكثير من التذلل والصبر والتعفف عن مراكز الدولة، بل ورشح نفسه سفيراً في عواصم بعيدة عن مركز السلطة. وبالغ في الإيحاء عن تردّي صحته وإنتهاء مهمته في الحياة.

وسنأخذ نماذج أخرى من حوادث حث فيها البكر بوعوده مع بعض التفاصيل.

أولاً : قطع البكر عهداً للضباط البعثيين عام ١٩٦٣ بأنه سيقف معهم في المحافظة على سلطة الحزب إذا ما وقفوا ضد علي صالح السعدي وجماعته، لكنه كان في الوقت نفسه يحسب موازين القوة ليحسم أمره مع الأقوى. فخانهم بمجرد شعوره باحتمالات الفشل، وسلم كل شيء إلى عبد السلام عارف ووافق على منصب شكلي مؤقت، ريثما يتمكن عارف من احكام قبضته على الدولة وتصفية الحرس القومي وبذلك يكون قد خان ايضاً وعده للحزب الذي أقسم على الاخلاص له عند نيل عضويته.

ثانياً : في عام ١٩٦٣ وتحديدًا في بداية شهر نيسان كان الوفد العراقي إلى مفاوضات الوحدة يرافقه اكراد مثل جلال الطالباني وفؤاد عارف. وهؤلاء طالبوا عبد الناصر بالحصول على وعود من الحكومة العراقية باستمرار السلام وتحقيق المطالب الكردية البسيطة حينذاك. ومن اجل تجنب ما يثيره الاكراد أقسم لهم البكر على مصحف بعدم وجود اية نوايا للقتال، وعندما اندلعت الحرب دون مبرر كاف، أخذ فؤاد عارف الاوراق الخاصة بوزارته واعماله، وسلمها للبكر. مكتبه برئاسة مجلس الوزراء قائلاً له : تقسمون على القرآن ولا تلتزمون به. ولذلك استمر فؤاد عارف يصف البكر في مجالسه الخاصة "حقوداً وليس وفياً". ويُذكر ان فؤاد عارف هو الذي انتزع المسدس من يدي عبد السلام عارف عندما حاول الاخير إغتيال الزعيم في

غرفته، وقد عاتبه عارف على ذلك يوم ٩ شباط ١٩٦٣ عندما تم تعيينه وزيراً في الحكومة الجديدة، كما وقع برقية تأييد الحركة الكردية لحركة ١٤ رمضان مع صالح اليوسفي.

ثالثاً : مع الحرب الشيوعي قبيل ١٧ تموز ١٩٦٨ وخلال تحضير عدد كبير من القوى للانقضاض على سلطة عبد الرحمن عارف الضعيفة والمفككة التي كانت تعصف بها الخلافات، إتصل احمد حسن البكر بمكرم الطالباني، وطلب منه إبلاغ قيادة الحزب الشيوعي بأن حزب البعث "كتلة البكر" قد أعدّ الترتيبات للقفز إلى السلطة ولا يفصل بينهما وبين السلطة سوى ترتيبات شكلية، والمسألة أصبحت مسألة وقت ليس إلا، لذلك فهو والمتعاونون معه يرغبون بإعلام قيادة الحزب الشيوعي بأهمية التعاون بينهما في قيادة السلطة القادمة. وحينذاك سأله مكرم أسئلة كثيرة من قبيل مَنْ معكم ؟ وماذا تنوون فعله ؟ فكانت ردود البكر غامضة ولم يعط مُحدّثه أي تصور عن كيفية التعاون المطلوب، لكنه كرر عليه : نريد سلاماً وتعاوناً مع الشيوعيين ولا نريد تكرار تجربة ١٩٦٣.

عرض مكرم الطالباني الامر على حزبه الذي كان يشترك حينها في مفاوضات هامة مع حزب البعث (اليسار) والحركة الاشتراكية العربية والاكرد لإعلان جبهة وطنية تكون مقدمة لاستيلاء الإئتلاف الوطني على السلطة. وحصل داخل الحزب الشيوعي نتيجة لذلك اجتماعات ونقاشات كثيرة، مال خلالها الشيوعيون إلى الحلف مع البعث اليسار والحركة والاكرد، لكنهم رأوا ايضاً : اذا كانت جماعة البكر قريبة من الانقلاب على السلطة فعلاً، فلا بأس من الانتظار قليلاً ورؤية النتيجة.

وبذلك استطاع البكر كسب حياد الحزب الشيوعي وتلكؤه في حسم امره داخل المفاوضات الجارية لإعلان الجبهة، بل ادى ذلك التباطؤ إلى تأخير اعلان الجبهة التي انتظرها الشارع السياسي العراقي بصبر نافذ لمدة اسابيع كانت كافية كي تُبرم الصفقة بين النايف والبكر في اجواء مطمئنة تغيب فيها المنافسة مؤقتاً.

وحصل فعلاً إنقلاب ١٧ تموز غير المفاجئ، وكان الشيوعيون حتى تلك اللحظة مرتبكين حول كيفية التعامل مع الاحداث وتقويم الموقف، خصوصاً بسبب إتصال البكر بمكرم ووعدده له. وفي اليوم التالي للانقلاب ذهب عزيز محمد السكرتير الاول للحزب إلى بيت عضو المكتب السياسي باقر ابراهيم الموسوي وبعد مناقشة إتفقا على عدم قطع الرأي، والاكتفاء بتقديم مطالب وانتظار النتائج. ثم حضر المرحوم مهدي عبد الكريم عضو اللجنة المركزية الذي وافق على ما إتفقا عليه، وإلتحق بهم بهاء الدين نوري الذي رفض بشدة وحذر من مغبة عرض المطالب الاصلاحية ومن خطر إعطاء النظام الفرصة قائلاً : ان جماعة البكر "فاشست" ولا يستحسن ان نُترك لهم الفرصة للترث والتففس، ويجب علينا رفع شعار إسقاط السلطة فوراً. واخيراً إستقر الموقف على عرض المطالب وإلتزام الهدوء والحذر.

وذهب مكرم الطالباي إلى البكر مكلفاً من قيادة الحزب ، وقال له : سيادة الرئيس كنا معارضة وإتفقنا على التعاون بعد استيلائكم على السلطة. فرد البكر متنكراً لوعده : "كنت اريد ان ادخل إلى القصر الجمهوري وعلى يميني بعثي وعلى يساري شيوعي، لكنكم لم تكونوا موجودين". ثم استدرك وتحدث مطولاً حول عدم قدرته تنفيذ ما وعد به متعكزاً على وجود تناقضات داخل السلطة، خاصة وان عبد الرزاق النايف وابراهيم الداود يشاركانه السلطة وهما عدوان للشيوعية[20].

رابعاً مع نعمة كاظم الرماحي : ونعمة (ابو جعفر) من قيادي البعث في النجف الاشرف، ومن منبت عمالي، إمتلك على طول الخط شعبية واسعة بين العمال، ميزته عن اقاربه البعثيين في عدم تحوله بعد الانتماء إلى الحزب إلى "افندي"، وإنما ظل على سجيته الشعبية المتواضعة، مباشراً وليس فظاً، لكنه كان متحمساً ومبدئياً. وبعد سقوط سلطة حزب البعث في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ بفترة، ذهب مع وفد حزبي من منطقة النجف وعيظها لمقابلة احمد حسن البكر في داره بعد ان إتفقوا فيما بينهم على مخالفة البكر وتحمله مسؤولية فقدان الحزب لسلطته. وخلال ذلك اللقاء الذي ضم صدقي ابو طيخ ومحمد الجصاني ومهدي الشوكتي وعبد الحسين الرفيعي ونعمة كاظم وغيرهم، استطاع البكر ان يغمر نعمة ويتقرب اليه ويعده خيراً ١١ ويذكره بقرابته له (يدعي البكر انه رماحي ايضاً، واتصل مرة بشيخ الرماحيين في النجف "نجم عبود خلف" خلف لتأكيد تلك القرابة، وله في هذا المجال قصة ليس هنا مجال ذكرها)، وأثر ذلك بنعمة كاظم الذي ترك رفاق طريقه ليلتحق بخط البكر (اليمين)، بل انه زاره مرات كثيرة وتفرغ لإدارة عمل تنظيمات حزب البكر في الفرات الاوسط، ومنح ٢٠٠ دينار اشترى بها سيارة لتسيير الشؤون الحزبية والتنقل بين المدن والأرياف. وبعد مرور فترة طويلة تعطلت السيارة وحاول اصلاحها او إرجاعها للحزب، فلم يجد من يههم الامر، لأن الظروف السياسية لم تكن مؤاتية، فتركها في مرآب للسكراب.

وتدور الايام ويصل حزب البكر ونعمة للسلطة، ويحصل الاخير على موقع حزبي محلي متميز، لكن احباب السلطة كثيرون ويتنافسون على كل شيء، وتكثر مؤامراتهم التي عانى منها نعمة، فلدجاً إلى صديقه احمد حسن البكر. بمعية وفد كبير ضم وجهاء وتجار مدينة النجف سافر بهم إلى بغداد واستقبلهم البكر. وبسبب حاجة نعمة إلى الظهور بمظهر الصديق الذي ترتفع التكاليف بينه وبين رئيس الجمهورية اخذ يناديه "ابو هيثم" ويضع يده على كتفه. عند التصوير وبمازحه، وكان الرجل بحاجة لذلك لينقل النجفيون ما يشاهدونه من ود ورباط بين "ابو جعفر" و "ابو هيثم" إلى أهالي المدينة.

وعندما أزف وقت خروج الوفد أشار البكر إلى نعمة بالبقاء قليلاً، ففرح لهذه البادرة، وعندما خلا لهما المكان، سأله البكر: اين السيارة الحزبية التي سلمها لك الحزب، فقد كلفتني

القيادة ان اسألك عنها ؟ فبهت نعمة من هول المواجهة، لكنه شرح للبكر ما آلت اليه، وأضاف انه ليس بحاجة إلى ثمنها وانه كان دائماً ميسوراً ولم يكن بحاجة إلى مساعدة من احد (وكان صادقاً)، ثم اقترح ان يعيد للحزب قيمتها من حبيبه الخاص. فرد البكر : ان ثمن السيارة السابق يعادل الآن بالنسبة لنا مليوني دينار، فقد كنا نخرج السلطة والآن بيدنا العراق كله.

ويبدو ان البكر انزعج من تصرفات نعمة معه امام الوفد النحفي، فضلاً عن اخبار وتقارير وصلت ضده من مكتب العلاقات العامة لانه تورط واختلف مع رجالهم في النحف إضافة إلى فقدان البكر حاجته لنعمة. ولم يمض وقت طويل حتى وصل إلى منطقة الفرات الأوسط، وفد حزبي من القيادة القطرية برئاسة صلاح عمر العلي للتحقيق في الخلافات الحزبية المحلية في أكثر من قضية وكان من بعض نتائج فقدان نعمة كاظم لموقعه الحزبي وتحميده.

خامساً : مع جماعة بيروت التي تضم ناصر الحاي ولطفي العبيدي وعبد الرزاق النسايف وابراهيم الداود. وهذه الجماعة اتصلت بواسطة الحاي والعبيدي وآخرين بعبد العزيز العقيلي ورجب عبد المجيد وعبد الستار عبد اللطيف واحمد حسن البكر، كل على حدة. وبصورة غير مباشرة بمنذر الوندائي وحركة القوميين العرب [21]. وكانت تفضل الاتفاق مع العقيلي، لكنها وجدت، بعد رفض الوندائي وحركة القوميين العرب، السهولة والشروط الميسرة لدى احمد حسن البكر. وكان لدى الجماعة مشروع انقلاب جاهز، وتحتاج "تمثيليتهم" إلى متعاون له سابقة سياسية، يعطي الانقلاب مبرراً وغطاءً سياسياً. وكان البكر سخياً وموافقاً على كل الطلبات، لانه سينكت، ويسترد كل شيء بعد حين !! وفعلاً وبعد ايام من الانقلاب نفذ خطته وانقلب على حلفائه الجدد، الناييف (رئيس وزراء) وناصر الحاي (وزير خارجية) وعبد الرحمن الداود (رئيس اركان الجيش). ونقل الي احد قادة السلطة (حينذاك) ان البكر همس في اذنه في ٢٥ تموز ١٩٦٨ قائلاً : اعطونا "مهلة" وستشهدون نهاية الناييف والداود.

وقتل الحاي وهرب الداود واغتيل الناييف وظل العبيدي خارج الوطن حتى الموت. وذكر لنا هلال بلاسم الياسين (شيخ ربيعة) وهو عديل عبد الرزاق الناييف، في دمشق بدار سهيل السهيل وبحضوري (علي كريم سعيد) ومظفر النواب والشيخ طالب السهيل وباقر ياسين، ان احمد حسن البكر ارسل اليه رسولاً معتمداً إلى القاهرة يعرض عليه قتل عبد الرزاق الناييف بأية وسيلة يجدها مناسبة، ويفضل ترتيب الامر لشخص ثالث يدس له السم، مقابل تلبية جميع طلباته. ويدعي هلال الياسين انه ابلغ رسول البكر رفضه، قائلاً : انا عرب وترفض طبيعتنا هذا النوع من الغدر. وادعى ايضاً انه كان حينذاك يمول الناييف ويساعده.

والغريب ان هلالاً عاد للعراق بعد أقل من عام واحد، فوراً إثر غزوة الكويت، وذلك يلقي ظلالاً وغموضاً عليه وعلى اساليب السلطة وعلى مقتل عبد الرزاق الناييف.

مراجع:

- [1] حسن مصطفى النقيب - لقاء في كردستان العراق ١٩٨٢.
- [2] د. جليل العطية، نقطة ضوء، جريدة الوفاق، ٥ حزيران ١٩٩٧.
- [3] د. جليل العطية، فندق السعادة ... واكد ذلك الكاتب مير بصري في كتابه : اعلام السياسة في العراق.
- [4] احمد الحبوبي، ليلة الحرير، مخطوط.
- [5] د. تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
- [6] ميشيل غفلت، جريدة الاخبار، بيروت، ١٧ شباط ١٩٦٣، ونشرها بطاوط في كتابه (العراق) جزء ٣ صفحة ٣٤.
- [7] حسن العلوي، دولة المنظمة السرية، مرجع سابق، صفحة ١٧١.
- [8] عبد الكريم فرحان، مقابلة، دمشق، ١٩٩٤.
- [9] عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مرجع سابق، صفحة ٢٦٣.
- [10] هاني الفكيكي، او كار الهزيمة، مرجع سابق، صفحة ٣٤٤.
- [11] د. تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
- [12] اسعد الفريخ، مدير مكتب رئيس الوزراء حينذاك، حديث مع احد كوادر حزب البعث في معتقل قصر النهاية بعد إنقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨.
- [13] صفاء الفلكي، مقابلة.
- [14] صفاء الفلكي، مقابلة.
- [15] حسن العلوي، اسوار الطين، مرجع سابق، ص ٢٠٠-٢٠١.
- [16] مسعود البرزاي، لقاءات في ١٩٨٢ خلال "الثورة العراقية" بمصور اللواء الركن حسن مصطفى النقيب، وشناوة طاهر حسنين (ابو رياض).
- [17] مشعان الجبوري، حديث لتلفزيون MBC الشرق الاوسط.
- [18] سعد البزاز، مقابلة، لايدن هولندا، ١٩٩٧.
- [19] راجع حسن العلوي، دولة المنظمة السرية، شركة المدينة للطباعة والنشر، ١٩٩٠.
- [20] باقر ابراهيم الموسوي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٤.
- [21] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مرجع سابق. ومقابلة مع بعثي رفض ذكر اسمه.

أوراق ورسائل شخصية

رسالة إلى جورج بوش

فخامة الرئيس جورج بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

إن هجمة الشتاء القارس في الحدود العراقية ستكون شديدة بالنسبة إلى العراقيين لا سيما الأطفال وحديثي الولادة والمرضى، كما كان الصيف قاسياً أيضاً عليهم. وقد نتج عن النقص الحاد في التجهيزات الطبية والغذائية والطاقة الكهربائية في المستشفيات والعيادات الطبية وشحة مياه الشرب النظيفة وفاة الآلاف من الأطفال العراقيين تحت الخامسة. وقد أكدت ذلك دراسة أجراها فريق بحث طبي من جامعة هارفارد في باريس عام ١٩٩١. ومنذ ذلك الوقت أشارت جميع التقارير والتقديرات التي وضعها نفس الفريق وفرق أخرى كأطباء بلا حدود ومنظمات إنسانية ووسائل إعلام دولية، إلى هذه المأساة المروعة. وإن هذه التقارير على قوتها لا تمثل سوى القليل من أبعاد المأساة لأن سبل الحصول على معلومات من قبل وسائل الإعلام والمنظمات الإنسانية والأجهزة التابعة للأمم المتحدة تخضع لقيود شديدة جداً تمارسها السلطة العراقية في بغداد وفي بقية المدن العراقية الأخرى.

إن مئات الآلاف من الناس الذين هربوا من جحيم صدام حسين بعد قمع الانتفاضة الشعبية ولجأوا إلى الأهوار ومناطق نائية هناك دون أن يعلم العالم عنهم أي شيء. ومن نافلة القول أن نذكر أن حصص الغذاء كانت توزع من قبل النظام على أسس انتقائية وعشوائية تماماً، وهناك العديد من الانتفاضات غير المنظمة التي انطلقت في أجزاء من بغداد بسبب مشاكل غذائية وصحية، وقد تم إخمادها من قبل قوات الأمن. ولا يمكن بأي حال من الأحوال عقد الآمال على تلك الانتفاضات في إسقاط النظام. إن الوحشية والقسوة التي استخدمت في إخماد الانتفاضة الشعبية في العديد من مدن العراق حيث فقد النظام سيطرته، تشير إلى طبيعة النظام وازدراؤه وامتداده للحياة الإنسانية.

ولعل المجموعة الدولية قد أصبحت على درجة كبيرة من الوعي بالنسبة لهذه المأساة المتفاقمة،

فالقراوات التي أصدرها وتبناها مجلس الأمن (٧٠٦، ٧١٢) في عام ١٩٩١، حول السماح للعراق ببيع كميات محدودة من النفط أخذت بعين الاعتبار الموقف المتردي السائد في العراق، وقد أبرز مجلس الأمن في تلك القراوات قلقه على الموقف الصحي والغذائي للعراقيين، والخطورة الناجمة عن تفاقم مثل هذا الموقف، وقد نصت هذه القراوات على استخدام مبيعات النفط لتمويل شراء مواد غذائية وطبية للشعب العراقي وتقديم مساعدة إنسانية مناسبة. وجاء رفض النظام العراقي لهذه القراوات على أساس أنها تنتهك سيادته الوطنية، في حين تشير الحقائق إلى أن النظام قد برهن مراراً وتكراراً على أنه لا يكثر إطلاقاً بحياة وصحة الشعب العراقي، وهم الوحيد أن يحافظ على سلطته الديكتاتورية الجائرة.

إن هذا النظام يعطي ويمنع الناس الغذاء والدواء ويستخدمه كنواب أو عقاب بهدف أخضع لديكتاتوريته. إن هذه السلطة وزايتها تحاول أن تستثمر قلق المجتمع الدولي لا سيما في العالم العربي والإسلامي للتأثير في العقوبات التي تفرضها الأمم المتحدة.

إن فشل العقوبات الدولية في التخفيف من معاناة الشعب العراقي قد سمح لصدام حسين أن يتجسس في تحقيق هدفه المذكور، وقد ساعده على ذلك إخفاق القراوات الدولية (٧٠٦ — ٧١٢) في تحقيق النتائج المرجوة لأنها لا تملك آلية تنفيذية فعالة بل ظل أمر تنفيذها مرهوناً بإرادة النظام العراقي.

لقد صرح قادة التحالف مرات عديدة أن جهودهم متوجهة ضد نظام صدام حسين وليس ضد الشعب العراقي. كما طلبوا من الشعب العراقي أن ينتفض ضد صدام، وقد قام الشعب بذلك واستلم زمام الأمور في العديد من المحافظات العراقية، لكن قوات صدام حسين قامت بإخماد الثورة (الانتفاضة) المستخدمة الدروع والمدفعية على نحو وحشي وعلى مرأى ومسمع من العالم الذي لم يحرك ساكناً، مما نتج عنه هذه المعاناة. إنها مأساة ومفارقة أخلاقية ساخرة تمثلت في موت أطفال العراق في حين صدام حسين ونظامه باقيا.

في ضوء هذا الموقف الذي لا يحتمل، على مجلس الأمن أن يتخذ إجراءات عاجلة وفعالة في التخفيف من وقع هذه المأساة الإنسانية ولذلك نقترح على الحكومات العضوة في مجلس الأمن عقد اجتماع عاجل لدراسة التدابير والإجراءات التالية:

١ — الإدانة القوية لسياسة عدم امتثال الحكومة العراقية لقراوات مجلس الأمن (٧٠٦، ٧١٢) ولإعاقة الجهود التي تبذلها منظمات إنسانية متعددة للتخفيف من معاناة الشعب العراقي.

٢ — أن ينشئ المجلس لجنة خاصة ذات صلاحيات لتتولى أعمال التخفيف من معاناة

الشعب العراقي.

٣ — إنشاء صندوق دولي خاص لدعم هذا المجهود، على أن يبقى تحت إشراف وإدارة اللجنة الخاصة المنبثقة عن مجلس الأمن.

٤ — الطلب من الدول الأعضاء المالكة لأرصدة العراق المجمدة أن تفرج عنها بنسبة تصل إلى ٢ بليون دولار لتمويل جهود الإغاثة.

٥ — الطلب من الدول الأعضاء أن تساهم وتسلم اللجنة الخاصة أموالاً بقدر يتناسب مع قدراتها على الإقراض والمساعدة. وتحمل الحكومة العراقية مسؤولية تسديد هذه القروض مستقبلاً بطريقة ماثلة لتلك التي شرعت لتعويض ضحايا العدوان العراقي ضد الكويت.

٦ — الطلب من الدول التي فيها منصات لتحميل النفط العراقي والتي تقف فيها بواخر حاملة للنفط العراقي بيعه بواسطة اللجنة الخاصة وتحويل الأموال إلى الصندوق الدولي الخاص.

٧ — الطلب من الدول المجاورة للعراق تسهيل عمليات شحن الغذاء والدواء والضروريات الأخرى بكل الوسائل الممكنة إلى داخل العراق.

٨ — تتولى اللجنة الخاصة تنسيق العمل مع الوكالات المختصة التابعة للأمم المتحدة ومع كافة المنظمات الإنسانية والخيرية باتجاه دعم جهود الإغاثة.

٩ — يطالب مجلس الأمن الحكومة العراقية بالتخلي عن التدخل أو إعاقه جهود لجنة الإغاثة الخاصة وتسهيل عملها بالسماح باستخدام الغذاء والدواء وتوزيعهما تحت إشراف الأمم المتحدة.

١٠ — يتولى مجلس الأمن تقديم الحماية والأمن لفرق ومراكز توزيع المساعدة التي تعتبرها اللجنة الخاصة ضرورية لتنفيذ هذا الأمر.

إن هذه المقترحات التي قدمت نوقشت من قبل فصائل المعارضة العراقية وحكومات معينة أخرى ولاقت تأييداً عاماً وستقدم إلى رئيس مجلس الأمن وأعضائه.

نلتزم من حكومة الولايات المتحدة والحكومات الأعضاء في مجلس الأمن والأمم المتحدة أن تبادر إلى اتخاذ إجراءات عاجلة وفعالة للتخفيف من هذه المأساة الإنسانية التي يعيشها الشعب العراقي.

إن مجلس الأمن وقوات التحالف التي شاركت في تحرير الكويت تتحمل مسؤولية خاصة تجاه دعم المجهودات الإنسانية الضرورية جداً للشعب العراقي.

إن الحماس والجهد الذي قدمه مجلس الأمن للبحث عن أسلحة الدمار الشامل العراقية

وتدميرها ومنع استخدامها، كان يجب أن يوزايه مجهودات وحماس أكبر للحيلولة دون استمرار معاناة الشعب.

وإذا كنا نؤمن بحقيقة النظام العالمي الجديد وأهدافه فإن هذا الإيمان يجب أن يتعزز بالعمل باتجاه أن تكون حقوق الإنسان وكرامته واحترامه مكفولة وواحدة لا تتجزأ.

طالب شيب

واشنطن — ١٩ تشرين الثاني ١٩٩١

رسالة إلى عبد الله بشارة

معالي الشيخ عبد الله بشارة المحترم

أمين عام مجلس التعاون الخليجي

أخي الكريم

تحياتي لكم وللأسرة الكريمة وتحيات بهاء وأسرته حيث أنني معهم هذه الأيام وأخص لكم بعض الجهود والأمور التي تمت خلال الأيام القليلة الماضية:

١ — زرت واشنطن في الفترة من ١٧ — ٢٣ الجاري لتقدم المذكرة المرفقة إلى الرئيس الأمريكي كما قدمت المرفق إلى رئيس مجلس الأمن الدولي لأن المجلس سيبحث في الثاني من كانون أول (ديسمبر) قضية الخطر الاقتصادي على العراق — وأكون شاكرًا — لملاحظتكم حول مقترحاتنا المتضمنة في الرسالة إلى الرئيس بوش حول عمليات إغاثة الشعب العراقي وذلك لخبرتكم العميقة والطويلة بأعمال مجلس الأمن ولما تقترحونه بهذا الشأن.

التقيت أثناء الزيارة بمسؤولين من كل الجهات الأمريكية التي لها شأن بقضية العراق ووجدت للمرة الأولى بعد انتهاء الحرب أن الجو يتجه إلى تحرك سريع ينهي حالة الجمود ويعالج استمرار صدام في السلطة بشكل جدي وإنني متفائل بجدية المسعى والعزم. وقد قلم الأخ بهاء في ٢٥ الجاري زيارة مكمله لاستكمال البحث والأمور التنفيذية والإجرائية.

قالت سمو الأمير بندر لفترة طويلة وكان في غاية التفاؤل والعزم وأخبرني بمقابلته نفس اليوم لكل من بيكر والرئيس بوش وغادر إلى المملكة في نفس الليلة لمتابعة الموضوع ذاته.

اعتقادي أن قرار العمل الجاد قد تم اتخاذه وما هو مطروح للمناقشة على أعلى المستويات هو البحث في أنجع البدائل للعمل، ولا شك أنك مطلع على الأمور ومتابع لها، ولا بد أنك لاحظت أن الصحف الغربية صعدت الحملة على صدام والصحافة العربية مليئة بالتوقعات.

٢ — بحثنا مع وزارتي الخارجية الأمريكية والبريطانية مشاركة وفد شعبي عراقي يتواجد في مؤتمر داکار للدول الإسلامية وأكدوا الفائدة الكبيرة من حضور وفد موحد يجابه دعايات ونشاط الوفد الحكومي العراقي.

الأمر نفسه تم بحثه مع سمو الأمير بندر الذي إضافة إلى دعمه للمشروع أبدى الاستعداد الكبير لتذليل العقبات أمام تواجده وتسهيل مهمته.

وإلى جانبنا نعمل مع المجموعات العراقية المتواجدة هنا ولندن ودمشق والسعودية وطهران وغيرها، ووجدنا توافقاً في الرأي وربما للمرة الأولى استعداداً للعمل المنسق والموحد بما في ذلك الأكراد. والصعوبة هي في الحصول على سمات الدخول إلى السنغال ولعل بإمكانكم العسّون، إضافة إلى جهود المملكة والأمير بندر.

أعتقد أنكم ستكونون متواجدين في المؤتمر ولا شك في دعمكم وإرشادكم للوفد ليتحسن أداء مهمته وسيكون في رئاسة الوفد اللواء حسن النقيب والسيد محمد باقر الحكيم أو أخوه عبد العزيز، عن الأكراد محسن دزة ئي أو شخص بمقامه إضافة إلى الأطراف العراقية الأخرى.

رجائي وأملّي بذل جهودكم الخيرة في دعم المسعى مع الاخوة أعضاء المؤتمر من دول الخليج وخصوصاً دولة الكويت لما سيكون لذلك من أهمية معنوية تؤثر في الآخرين.

ولك منا جميعاً ولأسرتكم تمنياتنا بالصحة والخير وتعبيرنا عن المحبة.

أخوكم

طالب الشيب

سان فرانسيسكو — ١٩٩١/١١/٢٩

رسالة إلى عبد الله الأحمر

الأستاذ الرفيق عبد الله الأحمر

الأمين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي — القيادة القومية — دمشق

١٩٩٢/١/١٢

الأخ الكريم أبا جهاد،

لم تتح لي فرصة توديعكم عند مغادرتي دمشق ولكنني أبقى شاكراً ووفياً لما لقيته دائماً من الرعاية وحسن الاستقبال.

بعد عودتي أجريت اتصالات واسعة في الأوساط الغربية، رسمية، سياسية وإعلامية، فوجدت قناعات ومؤشرات أرى من واجبي إطلاعكم عليها وهي ليست أكيدة بالضرورة ولكنني مقتنع بصحة ما أعلمكم به إلا إذا لسوء التقدير أثبت العكس .

إن قضية العراق أصبحت، كما تستحق، أسبقية دولية من حيث سياسة الولايات المتحدة ومعها التحالف الغربي في ترتيب الوضع السياسي الجيوغرافي لوطننا وفقاً لمعطيات جديدة لا زالت غير واضحة أو معروفة بالكامل. لذا فإن ما أكتبه هو ملاحظات ومقترحات للنظر وفقاً لما تربطنا من أواصر.

١ — لقد مرت فترة كان الهدف فيها منذ مؤتمر بيروت هو تحديد وتحجيم دور سوريا وذلك عن طريق جر التيار الإسلامي مثلاً بإيران والقيادة الكردية عبر هذا الطريق.

٢ — إن محل انعقاد المؤتمر هو قضية مركزية لا أحتاج لشرح أهميتها وإن قضية التمويل هي أرنخس وأدنى أطروحة لحركة كفاح سياسي.

إن فكرة عقد المؤتمر في المنطقة الكردية أمر مبالغ في التفاؤل وفي قناعتي غير قابل للتحقيق عملياً، وإن مثل هذا الأمر حتى لو قبل من طرف الأكراد سيساهم في تمزيق الحركة الكردية وهو ليس بصالحنا، كما أنه سترك الأمر لصدام وأجهزته بإنهاء المؤتمر قبل ابتدائه بعمليات لا يزال قادر عليها من شأنها أن تؤجل المؤتمر أو تدخله في تعقيدات جديدة مما قد يتبع بعض أفراد المعارضة إلى طرح فكرة اللجوء إلى المقر الذي لا ملاذ عنه وأعني بذلك السعودية.

٣ — إن اعتبار مؤتمر بيروت الأول فاشلاً هو أطروحة أعداء الخط العربي لأنهم لم

يكونوا أصلاً لا مع الشعب العراقي ولا قضيتيه وعروبتيه، بل كانوا مع صدام ولأن سوريا التي ارتبط بها خط معارضة صدام طوال عشرين عاماً كانت معقل التحضير والتأمين والحماية نجحت في ذلك كل النجاح.

٤ — أما أطروحة مصر فهي كاذبة أصلاً، لأن مصر ليست رغبة واقعياً وحتى ولو وافقت فبإمكانها أن تتراجع في آخر لحظة وربما بضغط من السعودية لكي تكون بالنتيجة المكان الوحيد المؤهل. وفي هذه الحال يكون أمراً لا يمكن رفضه لأننا لم نعد البدائل والاحتمالات مسبقاً.

٥ — إنني أعتقد أن مكان المؤتمر المثالي هو لبنان وبالإمكان كما سبق أن تثبت قضية تأمين الحماية والإدانة والتنظيم. كل ما نحن بحاجة إليه وبدون خجل هو التواضع في العهد بالمسؤوليات، ولا زلت أتذكر ملاحظتكم القيمة في أول مقابلة معكم بعد المؤتمر بأن المهمة هي توحيد التيار القومي وإنعاشه وأعتقد أننا قمنا بما هو متاح لنا من إمكانيات بما يجب حيث سيطرت مبادرات التيار القومي في الأشهر الماضية على ساحة المعارضة العراقية ولكن يعوزنا الكثير من توافر الثقة والتنسيق في تقديرنا للعناصر التي قبلنا أن تكون محسوبة على التيار القومي وتقدير ثاتها وأهميتها وقدرتها على المواجهة عند الحاجة.

٦ — إن الاعتراض حول لبنان سيطرح ولكن ذلك يجب أن يكون متوقعاً من قبلنا وأن نتهياً مسبقاً بمكان أو مكانين على الأقل كبداية عملية مدروسة آخذين بالاعتبار قضية الأمن والتعامل مع الكلفة المالية ويجب أن تكون القضية المالية آخر اهتماماتنا لأن معارضة لا تستطيع جمع المال لعقد مؤتمر لن تتمكن من مواجهة نظام يملك كل الأموال. أعتقد أن بإمكاننا التعامل مع هذا الموضوع عن طريق التبرعات من العراقيين والعرب في أوروبا وأمريكا.

٧ — عروجاً على الذي اعتبرناه لحد الآن ضمن التيار القومي، أعتقد ضرورة إعادة البحث والتمحيص لنكون على أرض صلبة عند انعقاد المؤتمر. وإذا كنتم تقدررون له أهمية مصيرية يجب أن يسبق ذلك عقد لقاءات مشتركة يتفق فيها مسبقاً على المواقف الرئيسية الواجب اتخاذها وفي كل الأحوال يجب أن نحرص على أن لا يبدو وكأنه خصوصية سورية أو جناح للبعث أو من يحسب عليه.

٨ — أعتقد أننا حققنا كثير قومي جهداً حسناً وأعتقد أننا أصبحنا بديلاً مقبولاً لنظام صدام على الصعيد الداخلي والعربي والدولي، المهم أن يكون موقف الدولة والحزب والمنظمات الخليفة متسماً بالموضوعية.

٩ — إن الدول الغربية وبما فيها أولاً أمريكا يهملها (حالياً) إزاحة صدام ويعولون كثيراً على الصورة التي تبرز أمام المجتمع الدولي وأنتم في الأمر أعرف. ولذلك فإن التواضع في إبراز الاتجاه

الإسلامي في المؤتمر سيكون له تأثير إيجابي في الساحة الدولية والأهم من ذلك التأثير داخل العراق من ناحية تطمين البعثيين والعسكريين، كما أن من أهم أهداف المؤتمر إبراز صيغة قيادية مقبولة داخل عراقنا وكذلك إقليمياً وعربياً ودولياً.

١٠ — إنني إذ أوجه هذه الرسالة إليكم مدركاً معرفتكم واطلاعتكم وتقديركم للأمور وأهميتها، إلا أنني واثق بأن هذا الموضوع يستحق القرار المباشر والسريع ولذا أرجو أن يتخذ قراراً سريعاً بعقد المؤتمر في بيروت وإعلان ذلك لتتمكن من العمل في أوساط العراقيين في المهجر على تأمين الدعم المالي، وكذلك تهيئة الإعلام العالمي على أن نكون في نفس الوقت قد هيأنا البديل المعد والمدروس غير مصر والسعودية وذلك منعاً للمناورة وأن نكون مستعدين لكل طارئ.

مع التحية والاحترام.

أخوكم

طالب الشبيب

رسالة إلى كمال خرازي ممثل إيران الدائم في الأمم المتحدة

الأستاذ كمال خرازي — الممثل الدائم للجمهورية الإسلامية الإيرانية في الأمم المتحدة

١٩٩١ / ١٢ / ٢

فخامتكم... لي الشرف أن أقدم لكم الرسالة الموجهة إلى رئيس مجلس الأمن والمؤرخة في ١٩٩١/١١/٢٨ والرسالة المقدمة للرئيس بوش في ١٩٩١/١١/١٩.

وقد بينا فيها الموقف المساوي الذي يواجهه الشعب العراقي المسلم والمعاناة التي يزرع تحتها والتي هي بأمس الحاجة إلى علاج فوري.

نحن على ثقة أن فخامتكم وحكومة جمهورية إيران الإسلامية وشعبها سيستجيبون بالدعم والتأييد كما كانوا كذلك دائماً وسيقدمون كل مجهود ممكن في هذا السبيل.

طالب شبيب

رسالة إلى قاسم حوّل

الأستاذ قاسم حول

ملحمة الحسين بكر بلاء تعكس في معانيها الإنسانية كل عوامل وملامح التراجيديا التاريخية. وهي لذلك ارتفعت عن المحلية لتعكس تراجيديا عالمية مميزة. تراجيديا كونية أثبتت قدرتها على التأثير المتواصل أكثر من التراجيديات التي سبقتها كاليونانية والرومانية. فمأساة الإمام الحسين بحكم الرواية والشهادة والتاريخ، ظلت حية ومحفة لكل مسلم وعربي وعراقي على وجه الخصوص باعتبار وقوعها على أرض العراق. فلا زال دمها حاراً ومأساتها ماثلة، ونعيشها في ذاتنا الإسلامية والقومية على أنها جرح لم يندمل رغم مرور القرون.

ولهذا كان لا بد أن تحتل مكاناً مرموقاً في أعمالنا الفنية، فهي ملحمة تاريخية وجزء من التاريخ العربي، فمنذ أن سقط الإمام الحسين — أمير الشهداء — في طف كربلاء، لم تكف الأقلام والأفكار والمشاعر من تحسس تلك الذكرى وذلك المشهد ومن إقامة مجالس العزاء والتأبين. وإن محاولة تقديمها في عمل سينمائي باسترجاع ملحمة سيدنا الحسين في هذا الظرف هي أكثر ضرورة. فهو وقت يفرض على المخلصين استقراء الكينونة العربية والإسلامية لفهم عمقها وأسرارها. ولكي نستطيع بواسطتها أن نستعيد ذكرى أروع ثورة ضد الظلم، والحق ضد الباطل، والرجولة ضد الجبن. لذلك أرى أنها محاولة جريئة، يتمنى لها كل مخلص التوفيق ويدعو أن لا تصيبها سهام التشكيك والخبث بأذى.

رسالة جوابية من آل غور^(١)

مجلس الشيوخ الأمريكي — واشنطن دي. سي ٢٠٥١٠

في ١٠/٥/١٩٩١

عزيزي السيد شبيب،

شكراً لاتصالك بمكتبنا، ويسرنا الاستماع إليك، تقلقني كثيراً أخبار المأساة التي يعيشها العراق والاستجابة المتأخرة للرئيس بوش، وخلال الأزمة التي شهدتها الخليج "الفارسي" حث الرئيس (بوش) الشعب العراقي على الانتفاضة وإسقاط صدام حسين، والآن وبعد قمع الانتفاضة التي قام بها الشيعة والأكراد، فإن على الولايات المتحدة الأمريكية مواجهة مسؤوليتها الإنسانية الضرورية، وعلينا أن نتعامل بسرعة وعلى نطاق واسع مع الأفواج الهائلة من اللاجئين الذين يعبرون الحدود الدولية إلى تركيا وإيران. وإني أساند بقوة تحذير الرئيس بوش الموجه إلى صدام حسين إذا ما قام بعمليات هجومية شمال خط عرض ٣٦ ، وأساند بقوة أيضاً إنشاء معسكرات لإيواء اللاجئين في شمال العراق. وأتمنى لو أننا نسرع كثيراً بهذا الاتجاه.

إن حالة اليأس التي يعيشها اللاجئون لا يمكن أن توصف وأن جهودنا يجب أن توازي ذلك كثافة وقوة، فهناك حاجة ماسة جداً لتحقيق ذلك إضافة إلى الإسراع في تقديم المساعدة إلى الأكراد على طول الحدود مع تركيا ومع إيران. وعندما يحين الوقت لانسحاب قوات التحالف من القسم المحتل من جنوب العراق، فإن مصير اللاجئين سيكون موضع تساؤل بسبب عدم تأكدنا ما إذا كانت الحماية التي ستقدمها القوات الدولية ستكون كافية أو أنها تمتلك السلطة أو التحويل لتقديمها.

أعتقد أن على الأمم المتحدة أن توضح وتعزز سلطتها في هذا الجزء من العراق. وفي النهاية علينا أن لا ننسى أن العراقيين سواء منهم اللاجئين أو الذين ما زالوا يعيشون في المدن الكبيرة سيواجهون خطراً جديداً ويتمثل في الطقس الحار ونقص التجهيزات الصحية ومياه الشرب، الأمر الذي سيتسبب في انتشار بعض الأوبئة.

وكانت الولايات المتحدة قد تمكنت خلال تحريرها الكويت أن تقود هذه المحاولة قيادة عسكرية مرموقة. والآن عليها أن تستخدم تأثيرها في اتجاه التوصل إلى نتائج إيجابية بناءة. فإضافة إلى الهدف المتمثل في التخفيف من معاناة الناس، فإن المطلوب من سياستنا على المدى البعيد أن تؤيد الجهود المبذولة باتجاه قيام حكومة في بغداد تحترم متطلبات وحاجات الشعب

١ — لم يكن قد أصبح نائباً للرئيس حينها.

العراقي.

ولمعلوماتك أرفق لك نسخة من البيان حول هذا الموضوع والذي وجهته مؤخراً إلى مجلس الشيوخ.

المخلص ألبرت غور

من الكونغرس الأمريكي — واشنطن دي. سي. ٢٠٥١٠

نحو طريق للعراق^(١)

يعجّ الجسم العراقي الجريح بالآلام والأمراض نتيجة جهالة وطغيان حاكمه وضياح وتعثر بدائله ومعارضيه.

ونحن عراقيون وعرب، والقلة معنا من الأصدقاء العارفين، يتعذبون وسط هذا الضياح والتضييع الكبير لبلد وشعب كانا أملاً للعرب والمسلمين، كللتهم أمجاد عظيمة وأهلتهم كفاءات كبيرة وأحاطت بهم تطلعات مشعة لم يبق منها، إن بقي، إلا رعشات نور شمعة.

هذه الشمعة المستهلكة تقريباً والمتبقي فيها بعض ضوء ليست إلا الصوت الخافت الأليم لصرخة الشعب المخنوقة خارجاً وداخلاً بأن لا بد لنا من الصوت القوي المسموع والرأي السديد المعقول وطريق العمل الذي يجمعنا يداً على يد لنكسر هذا الطوق الصديد المؤلم الذي أمسك برقبة الوطن وحناق المواطن. ولعله كذلك حمل آلامنا ووعينا لكل من له معنا صلة قربى في الدم أو الإيمان أو القلب.

لا نستطيع، كعراقيين، أن نعتذر عن ذنوبنا أو عيوبنا أمام أنفسنا أو الآخرين، لأننا منحنا الفرصة ولا نزال نملك مجملها ولكن لنقل أن هنالك خمول كبير ووهم بالعجز مصحوبين بتعب وطني شامل أصاب كل شريحة منا، شعباً وأمة، عقيدة ودين.

ولعل هذه الظاهرة من الإعياء الشامل، نصيب محتوم لما يكن أن تدفعه أمم وشعوب عالم سعى مستكشفاً لآفاقه ليرتطم بالبوابة الحديدية الثقيلة للنظام العالمي الجديد.

١ — ورد مشروع المقال المنشور أعلاه ضمن رسالة خاصة بي، وهذا نصها

عزيزي،

هذه مقدمة مقال آمل نشرها في جريدة "الحياة"، وستكون طويلة نسبياً، وأعتقد أن عليّ أمانة أن أكتب بوضوح وصراحة لتبيان الطريق الذي أعتقد به وادعائي، لقد بلغت من العمر والتجربة ما يجعلني عاجزاً عن الكذب أو الحيانة، لذلك أرجو نصيحتك كأخ وصديق. هل أستمّر في الكتابة وإكمال المقال أو أن أسكت لأن في أمر الكتابة ألم ومعاناة وليس الأمر سهلاً.

أسف للإزعاج، آملاً في النصيحة.

ولك المحبة

طالب شبيب

دمشق ١٩٩٤

إنني أعتقد واثقاً دونما حاجة أن أقدم شروحاتاً أو مسببات بأن المسألة العراقية وليست الفلسطينية، هي حجر الأساس في كل ما يتم بقاءه أو انهياره فيما يسمى بخارطة الشرق الأوسط. ويستطيع من يشاء أن يتطلع ليعلم بأن السلم الإسرائيلي - الفلسطيني، والإسرائيلي السوري، وكذلك الأردني واللبناني لا يمكنه أن يتأكد أن يدوم، ما دام العراق، تلك القوة الكبيرة في الشرق الأوسط، لم تُقرر مصيراً حراً واعياً بعد، وبإمكانه أن يفجر كل شيء.

وبسبب ذلك فإن الأمر العراقي ليس حكراً على أبنائه وجيرانه ولا حتى الدول المؤثرة فيه، ولكنه أمر واسع وكبير يعم أمة العرب بكاملها وكافة من لهم تعاط حضاري في الفكر أو الثقافة أو في الجوار أو المصالح معه.

ليس في نظري، أي أمل للنظام القائم في التطبيع أو التعاطي مع النظام العالمي القائم. ومهما طال بقاء النظام وطال عمره فإنه آيل إلى الموت. هذه حقيقة يعرفها، رغم الخوف، بعض الأذكاء من أركان النظام وبعض المعارضة، كما تحاول تجاهلها للأسف بعض أطراف المعارضة لمعرفة منها بأنها ليست البديل الممكن حالياً.

في مقال لمطبوعة "الملف العراقي" والذي جاء فيه: "أن المعارضة العراقية تفتقد القدرة على المبادرة عراقياً وعربياً ودولياً وستبقى تلهث وراء الأحداث أسيرة تبعيتها للإرادة الإقليمية أو الدولية، حيث أصبحت كورقة بيد تلك الأطراف الإقليمية أو الدولية".

الحركة القومية الكردية تعيش مأساة الاختناق بأحضان الغرب الذي شل إرادتها من خلال احتوائها بالحماية الجوية دون توفير مسببات العيش والنمو والمقاومة. تجد تركيا (التي تنطلق من قواعدها طائرات التحالف لحماية أكراد العراق) أن من حقها ضرب الأكراد بحجة القضاء على عناصر حزب العمال الكردستاني التركي، كما لجأت إيران لذات الأسلوب في شن الهجمات العسكرية داخل كردستان العراق، وتحت وطأة الضائقة المالية استطاعت تجنيد العديد من الأكراد العراقيين بإسم الإسلام وغيره من الشعارات لتكرس التدخل الإيراني، بما يزهق نمو الحركة القومية الكردية من سياسة اقتتال الأخوة.

وضع كردستان العراق الحالي لم يعد يهدد صدام حسين وأية محاولة أمريكية لاستخدام أكراد العراق للسيطرة مباشرة على بغداد ستعرض أمريكا لمواجهة مع تركيا وإيران، إضافة إلى مخاوف حرب أهلية بين العرب والأكراد.

إذ لم يكن بمقدور الأكراد لجم صدام حسين ومنعه من المغامرة خارج حدود العراق، فالأمر ينطبق كذلك وبحدة على التيار الإسلامي الشيعي، فأمريكا تحشى اتساع النفوذ الشيعي الإيراني بقدر خوفها من صدام حسين".

أعتقد أن ذلك بمحملة صحيح. فحرب الخليج بنتائجها العسكرية السريعة المذهلة لم تترك للنظام فترة للتفكير وقلما يفكر، ولا للمعارضة المهزوزة المنهكة ولا حتى للمتصيرين من الحلفاء لترتيب المستقبل. فكانت الانتفاضة المحكومة بكل عامل فيها وحولها بالاستشهاد، والموت الكردي في تلوج الجبل ثم مناطق آمنة في الشمال ومنع الطيران في بعض الجنوب والوسط الخ....

ومؤتمر بيروت للمعارضة العراقية عقد وسط هذه الأجواء وكان ثمة أمل في لقاء إقليمي يتضمن الجراح الراقية وتكون فيه القلوب السورية — السعودية والإيرانية حانية وكلها مجرحة على الآلام العراقية، ولكن ذلك لم يحدث، والذنب كان فينا ولم يكن في غيرنا.

لقد تصورت المعارضة العراقية بأن المهم هو النقاط الغنائم ووراثه النظام. وبدأ كل يشحذ سهامه بحثاً عن داعم وإثبات لوجود وطعن كل المنافسين.

وفي ذلك خسرتنا وحدة الأيدي وفقدان المصداقية وما تبعها من تعب الأصدقاء وفقدان الثقة بيننا وبينهم ونكولنا عن التوجه إلى شعبنا في الداخل لأن التصور المحدود والاستقراء النفعي التجاري قادنا إلى الاعتماد الكلي على الخارج وعلى المنافسة في كسب الدعم منه.

لذلك لم يطرح الخطاب الوطني العراقي السليم حتى الآن وهو الأمر الأساسي المطلوب.

المطلوب ليس خطاب معارضة بل المطلوب هو خطاب الوطن.

خطاب الوطنية هو أن النظام أهان السيادة ليبقى وضحي بمقومات وحدة الوطن ووجوده ليبقى، وهدر ثرواته وآمال شعبه وأهان كرامته.

إن صدام كان وربما لا يزال يمتلك ترسانة متنوعة من الأسلحة الكيماوية منها أسلحة الخردل وغاز الثابون ومادة الثاليوم وهو السم المفضل لديه في اغتيال خصومه وكل من يشك في ولائه في داخل العراق وخارجه ولدى أجهزة مخابراته خبرة واسعة في استخدامها الفعلي وكذلك في استخدام أنواع الجرائم التي يصعب تشخيصها.

أما الأخطار التي يتعرض لها الشعب في العراق من جراء تخزين هذه السموم وخصوصاً المواد الجرثومية التي قد يعم جميع المناطق المجاورة للعراق أيضاً، فلا يمكن المبالغة في جسامتها. وهناك معلومات تشير إلى أن بعض المواد الكيماوية قد تسربت فعلاً إلى المياه وجميع من يعرفوا العراق يدركون سوء الصيانة والتخزين قبل الحرب، أما بعدها فالأمر أدهى وأخطر. ونعتقد أن صدام سيستمر في أسلوبه، ولذلك ستبقى الأخطار قائمة.

من هنا كانت المطالبة بخلق منطقة آمنة في وسط وجنوب العراق مسعىً خائباً لأنه لن

يتحقق إلا بقوات أرضية. كلنا سمعنا عن وعود قيل أنها قطعت من قبل أمريكا بهذا الشأن. وفي اعتقادي أن أمريكا لم تعط هذا الوعد لأحد ولا يمكن أن تعطيه.

إن إنشاء منطقة آمنة في الجنوب، خلافاً للنظر الشمالي يتطلب مشاركة قوات أرضية لإزاحة قوات صدام المتغلغلة والمنتشرة في تلك المناطق. والنظام لا بد له من القتال لأن البديل هو سقوطه المحتم.

أما عن التصور بأن أمر ما قد يدفع الولايات المتحدة لشن هجوم عسكري على النظام، فأستطيع القول باطمئنان بأن الجنرال شوارتزكوف هو أول وآخر قائد أمريكي يطمأ أرض العراق غازياً. وكذلك أستطيع القول معتمداً على المعطيات والأقوال بأن الولايات المتحدة ترغب في تغيير النظام القائم بنظام تستطيع تأييده وعلينا إيجاد البديل العراقي المقبول شعبياً وإقليمياً ودولياً ونضع جانباً الجدل حول نوايا الآخرين.

إن الاعتراف الأمريكي البريطاني بالمعارضة العراقية وشرعية سعيها لإزالة النظام أمر في غاية الأهمية والخطورة وعلينا الحفاظ عليه واستحسان استخدامه عوناً لنا في المعركة ومصدراً لشحن ثقة الشعب بهزيمة الديكتاتورية.

الحصار الاقتصادي

ليس من قضية تؤرق عراقيي الغربه بألم وإلحاح أكثر من مسألة تأييد إدامة الحصار الاقتصادي أو العمل لرفعه. وبالرغم من أن الأمر خارج عن إرادتنا وقرارنا، إلا أنه باق يختير وجداننا ويؤثر في حياة ومصير شعبنا.

ما يعانيه الشعب من حرمان وحياة كفيفة وما يداهمه من أمراض لا حول له على دوائها تهيب بنا إلى العمل لرفع الحصار.

وكثير ما سمعت وقرأت من آراء احترام أصحابها تقول بأن الشعب هو الضحية الأولى، وشلة النظام لم يمسها السوء. وتقول أيضاً بأن الشعب المنهك بالبحث عن رغبته ودوائه وردائه طوال يومه وليله لن يجد للسياسة والتفكير بالعمل على مقاومة النظام وقتاً، كما أن حقه سيذهب على الحصار الاقتصادي والقائمين عليه بدلاً من مسببه. وتذهب بعض الآراء لأبعد من ذلك بالقول أن الحصار نابع عن حقد على الشعب العراقي ومحاولة لقيمة لتعذيبه والإمعان في إذلاله لا لتخليصه ولذلك يجب العمل لرفع الحصار.

وكما أسلفت عن احترامي لأصحاب تلك الآراء فإنني أرى أيضاً في الأطروحة جوانب صحيحة رغم أنني لن أذهب إلى نفس الاستنتاج.

لا جدل أبداً حول ما يعانيه الشعب وضرورة بذل كل مسعى وجهد لرفع الضيم والألم.

ولكنني لا أستطيع ولا أطيق أن أستمع لأصوات النظام الكريهة بدعائها ومهرجاناتها رافعة قميص عتمان الحديد. النظام أولاً وآخره هو المسؤول عن فرض الحصار وإدامته، هذا النظام الذي أهدر مئات ألوف الأرواح في حروبه الجائرة وحملات القمع والتشريد والقتل الوحشية قبل الحصار وبعده، سيجر مأس أخرى لو دام له البقاء، وما يحتاجه الشعب ليس مسكناً وإنما دواء عاجلاً وشفافاً.

لقد انصب كل جهد النظام السياسي منذ وقف إطلاق النار في حرب الخليج لحد اليوم على رفع الحصار كما أن دعاواه وجهود مؤيديه تنصب جميعاً في هذا المسعى.

إننا نعلم جميعاً أن القضية الإنسانية لا مكان لها في حسابات النظام أو في تفكيره. والدليل الأكيد على ذلك هو رفضه للبيع المشروط والمحدد لكمية من النفط تصرف لشراء الدواء والغذاء وتوزع بإشراف عادل من قبل الأمم المتحدة.

وهذا الرفض لا ينبع من رفض للتدخل في الشأن الداخلي أو المساس بالسيادة. على العكس لم يبق تدخلاً إلا وأذن له النظام وتسامح فيه كما لم يبق للسيادة معنى حيث امتثل النظام للتفتيش المستمر والمراقبة الدائمة، كما أنه مستعد لتنازلات أكثر وأكبر وفي كل شأن مقلبل رفع الحصار.

رفض النظام بيع النفط المحدود نابع من أنه سيحرم من الهيمنة على البيع والتوزيع والسيطرة وبالتالي حرمانه من سلاح هام من أسلحة التحكم بحياة الشعب.

هل سيفسر رفع الحصار الاقتصادي من قبل شعبنا والعالم أجمع سوى بدء عودة الأمور إلى مجاريها بين النظام وبقية العالم؟

وهل ستصرف عوائد بيع النفط على إغاثة الشعب بشكل عادل أم أنها ستستخدم أداة للترغيب والترهيب في كبح المقاومة؟

وماذا بشأن ما سيصرف ويذخ على قوى القمع والأجهزة المنتفعة وفي شراء التأييد وكسب الولاء في الداخل والخارج، وماذا كذلك بشأن أجهزة الإرهاب والتجسس والدعاية في الخارج والتي بدأت تشكو ضيق ذات اليد وسوء الحال.

إننا لا نعلم بالضبط ما تبقى من الأموال المسروقة في حوزة صدام، ولكننا نستطيع أن نقول بأنها آخذة في النضوب. إن أجهزة الأمن والحماية لن توفر حاجاتها بدنانير مفقودة القيمة وإنما تتطلب زخ عملة صعبة كل يوم والحال ذاته لسفاراته ومندوبيه وأجهزته في الخارج.

لاشك أن الشعب سيتحمل مزيداً من المعاناة في حالة استمرار الحصار الاقتصادي ولكن

صدام سيستعيد المال الذي هو عصب الحياة لنظامه وسيسترجع القبول الدولي والتعامل معه فيما لو رفع الحصار.

لا أدري ما هو الرأي في قدرة الشعب على مقاومة النظام إن كان شعباً أو جائعاً، ولم أستخلص ترجيحاً لأيهما من تأريخ الثورات الفرنسية والروسية والصينية وغيرها، لكنني أدري أن صوت المعارضة لن يُسمع لدى دول وأوساط طُبَّعتْ علاقاتها مع النظام وكانت المعارضة جسراً لهذا التطبيع.

أيوب السوري مقابل نتنياهو

في سياق اهتمام شبيب في الشؤون العربية، وبشكل خاص الصراع العربي الاسرائيلي، خلال الإنتخابات الإسرائيلية الأخيرة ، أكد على أهمية أن لا يتصرف العرب تحت ضغط ذاكرة مجزرة قانا ومعاناة أبناء الجنوب اللبناني مع حزب العمل ويساعدوا الليكود على إسقاط شمعون بيريز لصالح نتنياهو، وكان واثقاً أن الأخير سيبدد الجهود التي بذلت حتى الآن في إستعادة الأراضي العربية السليبة الضفة، الجولان، الجنوب اللبناني، وكلها أراض عربية عزيزة. وعندما سألته عن سبب ثقته بآرائه خصوصاً وإن المصريين وقعوا مع الليكود إتفاق استعادة سيناء. أجاب فوراً إن أكثر قادة اسرائيل من حزبي العمل والليكود سابقاً كانوا سياسيين، يقبلون الرأي ويستغلون الفرص، لكن نتنياهو ليس سياسياً بل ايدولوجيست أعمى لا يرى غير الصورة التي رسمتها له ايدولوجيا تستفيد من عقد ومعاناة اليهود عبر التاريخ. وبعد فوز نتنياهو بأشهر حمل شبيب فكرته تلك الى بلاد الشام وعرضها على الاستاذ عبد الحليم خدام قائلاً: عليكم بصير أيوب ا فرد خدام فوراً : إن أيوب منا نحن السوريين.

وربما يكون كلام خدام قد صدر عن وجهة نظر الرئيس السوري الذي عرف بقوته وصبره.

مصائر مجموعة من المساهمين في ٨ شباط ١٩٦٣

— اللواء الركن ابراهيم فيصل الأنصاري، قائد فرقة ومعاون رئيس أركان ومساهم في قيادة دبابة في ٨ شباط. نفي خارج العراق ثم عاد مستغلاً عفواً خاصاً بحقه. قتله النظام بعد أن سب الجريمة إلى أسباب جنسية، ويذكر أن الأنصاري هو خال رئيس الأركان السابق نزار الخزرجي وقريب لعبد الكريم مصطفى نصرت.

— أحمد حسن البكر، رئيس وزراء ورئيس جمهورية وعضو القيادتين، قتله صدام حسين بعد عزله من مناصبه بسقيه السم تدريجياً مع الشاي (راجع اعترافات حسين كامل).

— أحمد العزاوي (أبو سلام) قتل في ١٩٧٥ بعد عدة محاولات فاشلة لاغتياله من قبل أجهزة الأمن العراقية، أهمها كانت عام ١٩٧٤ عندما فجرت سيارته. كان عضواً في قيادة فرع بغداد والقيادة العامة للحرس القومي عام ١٩٦٣، ثم عضو القيادتين القومية والقطرية ومسؤولاً للمكتب العسكري لحزب البعث، لعب دوراً كبيراً في التحضير وتنفيذ معركة ٨ شباط ١٩٦٣ في بغداد.

— باسل الكبيسي، ساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، وكان ناشطاً ضد نظام قاسم وأحد أبرز قادة حركة القوميين العرب عربياً وعراقياً، اضطر لمغادرة العراق بسبب الملاحقة، فاعتاله الموساد في أوروبا، ولا يشك أحد بأن الثائر الكبيسي لو بقي داخل العراق لقتلته قيادة (البكر — صدام).

— بدن فاضل، مساهم في ٨ شباط، رئيس اتحاد نقابات العمال في العراق قتل مع وجبة عدنان حسين.

— بهجت شاكر (تكريتي) تكلف مؤقتاً بإعادة بناء تنظيم حزب البعث في العراق بعد محاولة اغتيال قاسم في رأس القرية. طرد ركلاً من وكالة الأنباء العراقية واعتقل وفصل من الحزب وقضى بقية عمره خائفاً ومتخفياً يبحث بدأب عن ملاذ آمن وعن حيا لا يثير أحداً.

— اللواء بشير الطالب قتله نظام صدام حسين مع ابنه، وكان آمراً للحرس الجمهوري في عهد عارف، وساهم في ٨ شباط بعد إعلانها.

— تركي سعيد عبد الباقي الحديثي قيادي في الحزب الحاكم قتل في سجن أبو غريب حوالي عام ١٩٨٢ أخوه مرتضى الحديثي وزير خارجية.

— جاسم هجول، قتل بحادث سيارة مدير سنة ١٩٧٠ .

— جاسم مخلص التكريتي، ساهم بحركة ٨ شباط بعد إعلانها، وهو شخصية تكريمية مهمة قتل في التسعينات بعد اتهمته بتدبير مؤامرة ضد الحكم. وقد كان أخوه مولود مخلص وراء تهمة الفرص المؤاتية لشباب تكريت من أجل التوظيف ودخول الكلية العسكرية حتى بدون شهادات ثانوية.

— جعفر محمد رضا الذهب، أعدم في قضية عدنان حسين، مدير مصرف ومحافظ.

— جعفر العيد، عضو قيادة قطرية احتياط وسفير في موريتانيا قتل مسموماً بالثاليوم مباشرة بعد إعلان الحرب العراقية — الإيرانية. اشتهر بدمائة أخلاقه.

— جبار كردي وعدد من أشقائه قتلتهم حكومة البكر — صدام بعد تكليفهم باغتيال عدد كبير من مناضلي الحركة الوطنية. وكان جبار صديقاً شخصياً مقرباً للرئيس صدام حسين.

— العميد جابر حسن حداد، ساهم في ٨ شباط بعد إخراجه من المعتقل وكان من أبرز الناشطين ضد حكومة قاسم، محافظ كربلاء، قتل في ١٩٧٠ بتهمة الاشتراك بمؤامرة رجعية ونفذ فيه الإعدام مع ٤٠ شخصية سياسية وعسكرية وأعدمت السلطات معه الشيخ راهي آل سكر زعيم آل فتلة، وجاء قتله تذكيراً للعراقيين بأن ما لم يستطعه الإنكليز ضد أبناء الفرات الأوسط فعله صدام حسين وانتقم لهم من الحاج عبد الواحد بابنه، كما انتقم من شعلان أبو الجون بقتل ابنه.

— المقدم داود الجنابي، أحد المنفذين الأساسيين لحركة ٨ شباط، قام بالسيطرة على اللواء الثامن وتحضيره للعتيد عبد الغني الراوي، وزحف بأحد أفواجه على بغداد، أصبح آمراً للكلية العسكرية ثم قائداً للفرقة العاشرة المدرعة وقائداً لقوات بغداد. طرد من الجيش بعد أن وجهت له تهمة أخلاقية (جنسية) إثر خلاف نشب بينه وبين حسين كامل.

— حامد الدليمي (ضابط) ساهم في ٨ شباط، سجنته حكومة ١٧ تموز في سجن أبو غريب واشعل المحققون النار تحته وبعد أن أصبح الجزء الأسفل من جسده مشوياً قطع عنه الماء وترك ليموت، كان عضواً في المكتب العسكري بعد عام ١٩٦٣ ثم أصبح سفيراً في نيجيريا، استدعي واعتقل في المطار بعد أن اعتدى عليه أمام المسافرين. ويذكر أنه أصبح لفترة قصيرة معاون مدير الاستخبارات وشارك في مهرجانات القتل.

— اللواء الركن حامد الورد، أعدم في نيسان ١٩٨٩ .

— حبيب جاسم، عضو قيادة فرع بابل، قتل في السبعينات بتهمة التآمر.

— حسن محمد رضا الذهب، عضو قيادة قطرية وقومية، قضى سنوات في سجن النظام ثم مات نفيًا ومتأثرًا بأمراض سببها التعذيب الذي لاقاه خلال فترة الاعتقال.

— الفريق الركن حردان عبد الغفار التكريتي عضو مجلس ثورة وقائدًا للقوى الجوية ومساهم في حركة ٨ شباط، قتل اغتيالاً في الكويت وبعد إبعاده بأيام سَفَر النظام زوجته مع أولاده فماتت في الطائرة بصورة غامضة وكانت حاملاً.

— حسين سيد جبر، أول رئيس للجمعيات الفلاحية في حكومة البعث عام ١٩٦٨ مات قتلاً.

— الفريق الركن حماد شهاب التكريتي رئيس أركان ووزير دفاع وعضو مجلس ثورة قتل في مؤامرة بوليسية مدبرة.

— العميد حميد التكريتي كان ضمن ضباط الصدمة الأولى واتجهت دبابته إلى إذاعة الصالحية، عمل سكرتيراً لأحمد حسن البكر قتل عام ١٩٧٩ قبل إبعاد البكر وتمهيداً لسيطرة صدام على السلطة، عثرت عليه زوجته متكئاً على طاولة الطعام وقد احترقت ثلاثة رصاصات جسده وجاءت من النافذة المفتوحة.

— د. حقي اسماعيل الراوي ضابط طبيب قتل عام ١٩٩٥ بتهمة المساهمة بمؤامرة أمريكية.

— حمدان الراوي وأخته فوزية الراوي.

— خالد عبد الله سرية ساهم في إنشاء جهاز حنين عام ١٩٦٨ وفي قتل الآلاف من المواطنين خلال أكثر من ربع قرن، يقبع الآن في السجن مؤقتاً، ريثما يقرر نظام صدام حسين التخلي عنه فيوضع في تابوت ممتاز.

— فليح حسن جاسم الشمري عضو قيادة قطرية ووزير صناعة، طرد من مناصبه بسبب عدم موافقته على عضوية المحكمة الخاصة للمصادقة على مقتل ثوار انتفاضة صفر التي قام بها زوار العتبات المقدسة خلال مسيرتهم السنوية من مدينة النجف إلى كربلاء.

— فؤاد الركابي، أول أمين قطري لحزب البعث في العراق وأول وزير بعثي في العراق، ثم أصبح أمين عام حركة الحدوديين الاشتراكيين، وخطط وأمر بتنفيذ خطة اغتيال قاسم برأس القرية، وشكلت تلك المحاولة أول خطوة لصدام حسين للوصول الى قمة السلطة. اعتقل بعد اتهامه بالتجسس ثم قتل بطعنة سكين غادرة من أحد عناصر المخابرات المندسين بين السجناء مدعياً أنه فعل ذلك لأسباب أخلاقية (جنسية) ولم يتقدم أحد لإسعافه فمات بتأثير الطعنة

والنزيف. ادعت السلطة أنها أعدمته المجرم، لكنه شوهد يعمل موظفاً محلياً في السفارة العراقية بصوفيا.

— العقيد الركن فاضل مصطفى، قومي ساهم في ٨ شباط بعد إعلانها وأصبح ملحقاً عسكرياً وعضواً في القيادة العسكرية السورية الأردنية العراقية في السويداء، وقبلها كان ضابطاً لركن الحرس الجمهوري قتل في عام ١٩٧٠ بتهمة الاشتراك في مؤامرة.

— راجي عباس التكريتي، وزير وقائد سياسي معروف، قتل بطريقة بشعة بتهمة الضلوع في مؤامرة أمريكية لإسقاط حكومة صدام حسين. ويعتقد البعض أن السفير العراقي في الأردن أعطاه مخدراً ونقله إلى بغداد بسيارته، وكان آخر منصب له مديراً لمستشفى الرشيد العسكري.

— رشيد مصلح التكريتي، حاكم عسكري وزير داخلية، قتل من قبل حكومة البكر — صدام بتهمة العمالة للـ CIA وعلق بمشقة في السجن المركزي بعد أن أخذ منه اعتراف بأن الذي جنده هو شخص يهودي ويعمل عميلاً مزدوجاً، وذكر لهم اسماً ربما ليس له وجود كي يتخلص من التعذيب. أعدم فوراً بعد وساطة نخبة من وجهاء مدينة تكريت لإطلاق سراحه.

— العميد رياض القدو، منفذ أساسي لحركة ٨ شباط من عائلة بغدادية بسيطة تعمل في تجارة المصارين والجلود، دخل الكلية العسكرية ضمن وجبة شباب البعث عام ١٩٥٩ لتعزيز عدد البعثيين داخل القوات المسلحة، وأصبح قائد فرقة، قتل في سجن أبو غريب بطريقة بشعة عام ١٩٨٢ مع مرتضى الحديثي وثمانية عشرة آخرين من قادة الدولة والجيش، تزوجت أخته (منال) من محمد محجوب الذي قتل أيضاً.

— د. رياض الحاج حسين، وزير صحة وقائد بعثي، قتل بعد زيارته لمستشفى بتكريت وسؤاله أطبائها سبب عدم الاهتمام وحاسبهم. بالإضافة إلى الأثر السيئ الذي تركه التقرير الذي رفعه ضده د. صادق علوش إلى مكتب صدام حسين، فأحيل على التقاعد في نفس الوقت الذي كان فيه تلفزيون بغداد يعرض وقائع زيارته لمستشفى تكريت، وأعدم بعدها بفترة قصيرة.

— زكي الخفائي — بعثي — قتل بعد عام ١٩٦٨ .

— خاشع الحديثي ، أعدم بعد ١٩٦٨ .

— قاسم السماوي، وكيل وزير خارجية وسفير، أعدم.

— اللواء الركن صلاح القاضي، قتل لأنسه أمر قوات الفيلق الثالث بالانسحاب من قاطع الـ ٩٩ بعد أ، علم أن المدينة آيلة للسقوط.

— العميد الركن صالح عبد المجيد السامرائي، متآمر ضد نظام قاسم وتعاون مع مخبرات دول عربية مجاورة للعراق وكان ملحقاً عسكرياً قتلته نظام البكر — صدام.

— طاهر محمد أمين الربيعي، ساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، بقيت الصيادلة في العراق، قتل بالمؤامرة المزعومة لعدنان حسين.

— العميد طارق حمد العبد الله، مدير مكتب البكر ووزير الصناعة الخفيفة وأمين سر مجلس قيادة الثورة، قتل لينتهي معه سر عزل وتسميم أحمد حسن البكر، وأشاعت السلطة موته بالسكتة القلبية وكان صدام يستخدمه بعد أن سحّل له فيلماً أخلاقياً ساقطاً.

— طاهر يحيى التكريتي، رئيس وزراء ورئيس أركان جيش وأول مدير شرطة عام بعد ثورة ١٤ تموز، مساهم أساسي في حركة ٨ شباط اعتقل وعذب ومات بعد اطلاق سراحه بأيام بعد ١٩٦٨.

— طاهر حسين علي الربيعي قتل في السجن بعد اتهمه بالمشاركة مع عدنان حسين.

— صلاح أسود قتل بتهمة المساهمة مع عدنان حسين.

— اللواء الركن صلاح عبود التكريتي، قتل بجثث سيارة مدبر.

— اللواء الركن سعدون غيدان، مساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، وزير داخلية وعضو مجلس ثورة، عمل كل ما بوسعه لتجنب القتل، ثم مات في ظروف غامضة.

— سعد عبد الجليل الدلي، قتل في حادث سيارة مدبر مع عائلته على طريق بغداد — الكويت في طريقه للناصرية.

— سعدون البرماني، شارك في محاولة اغتيال الزعيم، قتل مع عائلته بجثث سيارة مدبر وكان معارضاً لنظام صدام حسين.

— شكري الحديشي، سفير استدعي مع أخيه السفير صبري الحديشي إلى اجتماع السفراء في بغداد إثر مؤامرة عدنان حسين ومحمد عايش فقتل صبري في السجن بين يديه، ثم خرج من السجن كائناً ذليلاً كئيباً في عام ١٩٨٣، فعينه طارق حمد العبد الله مديراً عاماً في التنمية الصناعية. أشرف على تعذيبه وتعذيب بقية الـ ٣٦ مسؤولاً الذين اعتقلوا معه مدير المخابرات الحالي دحام الألوسي، ثم طرد من وظيفته مرة أخرى بعد أن شمله قانون الترشيق،

فأراحوا شخصه المعذب وأعطوه فرصة للجلوس بداره بعد تعيينه شكلياً في مكتب المنظمات الشعبية برئاسة الجمهورية بدرجة مستشار في ديوان الرئاسة مع بقية المبعدين أمثال محمد حمدان وفارس عبد الكريم وهي وظيفة ينفي إليها المعاقبون وهو الآن حليس داره يشك بكل ما يحيط به.

— شفيق الكمالي، مساهم، وزير وعضو قيادة قطرية وقومية، يحمل ماجستير فلسفة قتل مع ابنه بعد أن استولى عدي على زوج ابنه في ليلة الدخلة.

— عامر الدجيلي، بعثي، شارك في ٨ شباط بعد إعلانها، قتله النظام عام ١٩٧٠.

— اللواء عبد مطلق الجبوري، كان سجين مع شيخ الجبور ابراهيم العطا الله في أبو غريب ويقال أنه قتل فيما بعد.

— عبد الوهاب البكاء، بعثي ساهم في ٨ شباط، مات في عام ١٩٦٨ بسبب آثار التعذيب الذي مارسته سلطة عبد السلام عارف ضد البعثيين. وكان من أبرز القادة البعثيين المنظمين.

— د. عبد الكريم هاني، مساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، وزير، قتله النظام ١٩٩٣ بزعم مساهمته في مؤامرة .

— عبد الرحمن البزاز، مساهم أساسي في ٨ شباط، رئيس وزراء، قومي إسلامي معروف، سجن وعذب حتى شارب على الموت فأطلق سراحه ليموت بعد أيام.

— عدنان حسين الحمداني، ساهم في شباط ٦٣ في السيطرة على الطريق المؤدي لمعسكر الرشيد، نائب رئيس وزراء وعضو قيادة قطرية ووزير للتخطيط، أعدم بتهمة مشاركته في مؤامرة مزعومة.

— العميد الركن عدنان شريف التكريتي، من أوائل الضباط المنفذين في ٨ شباط ١٩٦٣، قائد قوات الحرس الجمهوري وملحق عسكري، قتل بإسقاط طائرتيه مع ١٤ ضابط بعد أربعة أيام من الحرب ضد إيران قرب خانقين، وقد ضربها صاروخ من قبل قوات الحرس الجمهوري، وتعرف عائلة حماد شهاب ملاسبات قتله ويقال أن السبب هو الخلاف الذي حصل بينه وبين برزان إبراهيم التكريتي حول ابنة خاله (حماد شهاب التكريتي وزير للدفاع).

— الفريق الركن عدنان خير الله طلفاح، مساهم منفذ في ٨ شباط ضمن رتل الدبابات المتجهة إلى معسكر الرشيد، وزير دفاع، قتل بإسقاط طائرته الهليكوبتر بعد انتشار دعاية حول ترشيحه من قبل دولة كبرى لقيادة انقلاب ضد صدام حسين.

— د. عزت مصطفى، وزير وعضو قيادة ونقيب للأطباء وممول للحزب، طرد من جميع مناصبه وأصبح عندما يتحدث يهمس خوفاً من آذان كالحيطان. طرد بسبب رفضه عضوية محكمة شكلية للمصادقة على قتل رجال انتفاضة صفر للزوار بين النجف وكربلاء بمناسبة أربعينية الإمام الحسين بن علي (ع).

— العميد الركن عبد الواحد الحاج معيدي، أعدم في آب ١٩٧٩ .

— اللواء الركن عبد العزيز العقيلي، ساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، قائد فرقة ووزير دفاع، قتل بالتعذيب حتى الموت وكان موقفه صلباً وهو من الضباط الأحرار، اشتهر بمحملته العسكرية ضد الأكراد عام ١٩٦٤ وسميت باسمه.

— عبد الله فاضل السامرائي، وزير أوقاف وعضو قيادة، قتل في منتصف التسعينات اغتيالاً في أحد شوارع بغداد.

— عبد العزيز ابراهيم الحديشي (قائد الفيلق الخامس) طرد من الجيش ثم أعيد ليسقط بطائره الهليكوبتر مع عدد كبير من ضباطه في شباط ١٩٨٨ .

— عبد الكريم فرحان، منفذ ومخطط ضد نظام قاسم في ٨ شباط وقبلها، وزير، هرب إلى خارج العراق وهو يقضي منفاه منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

— علي هادي وتوت، أحيل للتقاعد وقتل عدد كبير من أقربائه، وأحيل أخوه العقيد جعفر على التقاعد بعد خمسة أيام من الحرب الإيرانية بتهمة الميول الطائفية، ثم قتلته المخابرات خلال انتفاضة آذار/ شعبان ١٩٩١ وقتل معه عدنان سالم الزيايدي وحيدر جواد وتوت وجرح العميد توفيق الياسري وذلك خلال التحضير لإعادة تحرير مدينة الحلة من أيدي القوات الحكومية.

— العميد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت، قائد معركة وزارة الدفاع في ٨ شباط ١٩٦٣ وعضو مجلس الثورة والمكتب العسكري، قتل بتمثيلية بائسة وعرض قاتله على التلفاز ليدعي أنه قتله لأسباب أخلاقية.

— عبد الرزاق النايف، ساهم بعد إعلان ٨ شباط، رئيس وزراء بعد ١٧ تموز ١٩٦٨ اغتيال غداً بلندن من قبل المخابرات العراقية بمساهمة أحد أفراد عائلة الخريبط .

— عبد الكريم الشيخلي، ساهم نشيط ضد نظام قاسم ومنفذ لعملية رأس القرية، وزير خارجية، قتل اغتيالاً في بغداد، من قبل نظام صدام حسين أمام زوجته.

— غازي أيوب، بعثي ساهم في ٨ شباط مدير معمل اسمنت السدة، ومعاون وزير التنمية الصناعية قتل مع مجموعة عدنان حسين ومحمد عايش ومحمد محجوب.

— عبد السلام عارف، رئيس جمهورية، شارك في ٨ شباط بعد إعلانها بعشرة دقائق ، قتل في عملية مدبرة بإسقاط طائرته في جنوب العراق.

— عبد الواحد زكي، ضابط قتل بعد ٣٠/١٧ تموز ١٩٦٨ وكان قبلها مديراً لشركة كوكا كولا.

— عبد القادر حسين الحياي، مساهم في ٨ شباط بعد إعلانها (بعثي) أعدمه نظام صدام حسين مع مجموعة من رفاقه بتهمة المعارضة في عام ١٩٧٣ .

— علي عجم، مساهم في ٨ شباط، قتله نظام صدام حسين.

— عبد الله السلوم السامرائي، ساهم في ٨ شباط ، عضو قيادة قطرية ووزير ثقافة وإعلام، مات في ١٩٩٨/٥/٢٠ بعد معاناة من مرض القلب أصيب به داخل قبو سجن المنحدرات (الأمن الخاص)، راجع د. جليل العطية، جريدة الوفاق (عمود أسبوعي، نقطة ضوء) تحت عنوان (الشاهد).

— عبد الخالق السامرائي، ساهم في ٨ شباط، عضو القيادة القطرية والقومية ونائب لرئيس الجبهة العربية المساندة للثورة الفلسطينية. حكم بالإعدام مع ناظم كزاز وجماعته وتدخل البكر فأجّل إعدامه، فقتله صدام حسين بعد سنوات على أيدي أقربائه ورفاقه.

— علي الدرويش من شيوخ ثمر ينتمي للتيار القومي لعب دوراً ضد حكومة قاسم خصوصاً فيما يتعلق بتسهيلات المرور التي كان يوفرها في الذهاب والعودة عبر الحدود السورية، قتله نظام صدام — البكر في عام ١٩٧٠ .

— العميد عزيز السامرائي، ساهم في ٨ شباط برتبة ملازم شرطة، قال وفيق السامرائي في عام ١٩٩٧ أن السلطة قتلته.

— علي عبد السلام، تاجر وشيخ وسياسي، ارتبط بصداقة خاصة مع عبد السلام عارف وساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، ومتهم من قبل الكثيرين بصلاته المشبوهة، شارك في الكواليس بصنع أحداث كثيرة بين عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٨ ومنحه عبد السلام رتبة رائد، قتل اغتيالاً في عهد البكر — صدام، وكان هو وعجيل الياور يجندون الفلاحين والرعاة من أبناء عشيرتهما لقتال الأكراد في شمال العراق.

— غانم عبد الجليل سعودي، وزير وعضو قيادة قطرية ومساهم أساسي في ٨ شباط، قتل مع عدنان حسين ومحمد عايش وجموعتهما.

— د. غالب عبد الحميد، بعثي اختصاصه زراعة، اشترك ضد قاسم قتل من قبل حكومة البكر — صدام بحادث سيارة مدبر عام ١٩٦٨ .

- الرائد نشأة عسكر، قتل مع العميد جابر حسن حداد ١٩٧٠. بما سمي بمؤامرة رجعية.
- العقيد الركن نزار النقشبندي، أعدم في جهات الحرب مع إيران بتهمة التخاذل.
- الفريق الركن نزار الخزرجي، مساهم أساسي في ٨ شباط، رئيس أركان الجيش، الآن منفي إلى الأردن.
- ناصر الحاني، وزير خارجية بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ وتم خطفه من داره وهو على رأس وزارته وقتل بتقطيعه فعضر عليه في كيس تحت واحد من جسور بغداد.
- ناظم كزاز، مديراً للأمن العام، قتله نظام البكر — صدام عام ١٩٧٣ بتهمة القيام بمؤامرة.
- العقيد نافع الكبيسي، مساهم في ٨ شباط بعد إعلانها أعدم في عام ١٩٧٩ .
- نوري حمادي حسين، مساهم في ٨ شباط، عضو هيئة التحقيق الخاصة عام ١٩٦٣ قتل من قبل حكومة صدام حسين بمحادث سير مدير.
- العميد مدحت حاج سري قتل عام ١٩٧٠ وهو أخو رفعت الحاج سري، حاول اغتيال قاسم ثم هرب إلى سوريا، عفا قاسم عنه وأرسل إليه أخوه اللواء فائق الحاج سري فعاد إلى العراق ليعدم بعد سنوات في عهد البكر — صدام بتهمة التجسس لأمریکا وأجبر على الظهور على الشاشة الصغيرة والاعتراف بعمله جاسوساً لصالح المخابرات الأمريكية.
- محمد عبد الطائي، مساهم في ٨ شباط ١٩٦٣، بعثي عضو قيادة قطرية، قتل عام ١٩٩٣ بعد محاكمة شكلية وسلمت جثته وعليها آثار التعذيب الوحشي، وكان موقفه أمام الحاكم صلباً إذ قال للحاكم الذي حكم بتجريمه وإعدامه: لست أنا مجرماً ولا أنت بل أن المجرم هو صدام حسين الذي تسبب بكل ما يحصل للعراق.
- د. منيف الرزاز أحد قادة البعث وواحد من إثنين وضعوا برنامج حكومة البكر في شباط ١٩٦٣ حكم عليه بالإعدام إثر محاولة عدنان حسين ومحمد عايش بتهمة تحول مكتبه إلى مكان للمناقشات والشكوى من ممارسات السلطة. كان هناك شخص بعثي أردني مطلع على أجواء العراق اسمه د. عبد الكريم الكرازة وكان هذا قد قرر إنهاء إقامته في العراق وذهب لمقابلة الملك حسين وعرض له أمر د. منيف فسافر الملك إلى بغداد وتوسط عند صدام حسين فأوقف أمر تنفيذ الإعدام به وتم نقله إلى داره ليظل محتجزاً فيها وأدى الضغط والتوتر إلى حصول نزيف دماغي عنده ولم تصل سيارة الإسعاف لنقله إلى المستشفى إلا بعد سبع ساعات من إبلاغ المسؤولين بحالته الصحية وذلك أدى إلى موته ونقل جثمانه إلى الأردن

وكانت أول باقة ورد تصل إلى أهل المتوفي الدكتور منيف الرزاز هي من الرئيس السوري حافظ الأسد نقلها سفير سوريا بعمان. (رواية د. فواز صياغ).

— محمد أيوب — بعثي — ساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، أعدم من قبل حكومة صدام حسين عام ١٩٩٣ مع مجموعة الشهيد محمد عبد الطائي.

— مدلول ناجي الحنا، قائد الحرس القومي في النحف، منح رتبة ملازم، مدير عام مصرف الرهون في العراق ثم محافظ وسفير، مرشح قيادة قطرية، قتل غدرًا أو خديعة.

— معتصم سعيد البدري، بعثي مساهم في ٨ شباط، قتل بداره نهاية عام ١٩٦٩ وحينها قالت السلطة أن قاتله "حرامي"، كان معتصم من البعثيين المتنورين وتربطه برفاقه وبناشطي الحركة الوطنية علاقة طيبة بغض النظر عن اختلاف الرأي السياسي. وكان قريباً جداً من علي صالح السعدي وعضواً في يسار البعث.

— اللواء الركن وليد محمود سيرت أحد المنفذين الأساسيين لحركة ٨ شباط، قائد فيلق وسفير، أعدم في تموز ١٩٧٩ بتهمة الاشتراك بمؤامرة وقتل معه أكثر من أربعين ضابطاً كلهم من فيلقه، وكانت له سمعة طيبة أخلاقية وفنية بين ضباط الجيش العراقي.

— محيي عبد الحسين الشمري، قتل بعد اتهمه بمؤامرة مزعومة في ١٩٧٩ وكان عضواً في القطرية ومجلس الثورة، أحضره صدام حسين أمام عبد الحليم خدام كشاهد على تعاونه مع الملحق العسكري السوري، وعندما سأله خدام أن يصف الملحق السوري وصفه بأوصاف معاكسة للحقيقة، فنهزه صدام وطلب إبعاده وكان جاثياً.

— مجدي جهاد صالح، بعثي، عضو قيادة قطرية، كان أول سياسي عراقي يكتشف مقتولاً بالثأل يوم.

— الضابط محمد فرج، قتله نظام صدام — البكر بعد ١٧ تموز ١٩٦٨ وكان من كتلة عبد الهادي الراوي القومية الإسلامية.

— محسن الشعلان، رئيساً للجمعيات الفلاحية بعد سيد حسين سيد جبر، قتله نظام البكر — صدام.

— محمد فاضل، عضو قطرية ومدير مكتب العلاقات العامة (المخابرات الخاصة) أعدم مع ناظم كزاز.

— مرتضى الحديثي، وزير خارجية بعد الشيخلي وهو ثالث وزير خارجية بعثي يقتل

عضو قطرية) مساهم في ٨ شباط قتل في السجن مسموماً وسلمت جثته لزوجته وكان وزنها ٣٠ كيلو غرام. تفاوض مع شركات النفط، أبلغ بعدم ترشيحه لقيادة الحرب الحاكم واعتقل عام ١٩٧٩ وسلمت جثته عام ١٩٨١ .

— مأمون كشمولة، رجل دين من الموصل اشتهر بخطاباته وتأجيجه العلني ضد نظام قاسم، اعدم عام ١٩٧٠ من قبل حكومة البكر — صدام في قصر النهاية بعد التعذيب.

— ممتاز قصيرة ، مساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، قتله نظام عبد السلام عارف أمام مبنى كلية الطب في الموصل وكان طالباً فيها.

— العميد محمد حسن وتوت، بعثي قائد فرقة، قتله نظام صدام حسين اثر انتفاضة آذار/ شعبان ١٩٩١ بعد هدم داره بالشفلات.

— محمد محجوب، عضو قطرية، وزير، مساهم في ٨ شباط وكان عضواً في المؤتمر القطري للحزب عام ١٩٦٣، قتله صدام حسين فوراً بعد انقلابه على البكر مع عدنان حسين ومحمد عايش وغانم عبد الجليل.

— مدحت محمد جميل، مساهم في ١٤ رمضان على جبهة الكاظمية، قتل متهماً بالجنون من قبل حكومة البكر— صدام بعد سجنه وتعذيبه في قصر النهاية بتهمة ارتباطه بتنظيم اليسار، فأصيب برأسه ومات عام ١٩٧٦ .

— محمد رضا الجيلاوي، بعثي، اعتقل في قصر النهاية ومورس التعذيب ضده أربعة سنوات متواصلة، وأطلق سراحه ناسياً اسمه يدور في الشوارع، وذلك بسبب اتهماته لصدام حسين وجهاً لوجه بأنه هرب من السجن المركزي باتفاق مدبر مع مدير الأمن العام رشيد محسن.

— العقيد محمد حسين المهداوي، مساهم ومنفذ أساسي في ٨ شباط، اعتقل في عهد البكر — صدام من سنة ٧٠ حتى ١٩٧٣. بمعتقل انفرادي مدمر وأسيء له وعذب ومات بعد إطلاق سراحه.

— محسن محمد رضا الذهب، ناشط بعثي ضد نظام قاسم، قتل بعد اتهماته بالمساهمة في مؤامرة عدنان حسين ومحمد عايش ومحمد محجوب.

— محمد عايش، عضو قيادة قطرية ووزير ومساهم في ٨ شباط ورئيس اتحاد نقابات العمال، قال عنه أحد المدراء العامين أنه قاد وزارة الصناعة بعقلية عامل، أعدم بعد اتهماته بمؤامرة مزعومة وكان البكر يكرهه، ولكنه أظهر شجاعة في حواراه مع صدام قبل

إعدامه، وسلمت جثته بلا لسان بعد قتله في غرفة التعذيب أمام زوجته التي كانت شجاعة أيضاً.

— العميد الركن محمد علي سعيد، ساهم في ٨ شباط وكان من الضباط الأحرار وأصبح بعد ١٩٦٨ سكرتيراً للمكتب العسكري، أعدم في نيسان ١٩٧٩ مع مجموعة كبيرة من الضباط البعثيين السامرائيين في سجن أبو غريب.

— العميد الركن محمد رشدي الجنابي، ساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، أعدم في شباط ١٩٧٠.

— محمد صبري الحديثي، وكيل وزارة الخارجية، أعدم من قبل نظام صدام حسين إثر محاولة عدنان حسين ومحمد عايش.

— هاني الفكيكي، عضو قيادة قطرية ومجلس قيادة ثورة وأحد قادة ٨ شباط تخطيطاً وتنفيذاً، قضى حياته حتى الموت منفيًا.

— وهاب كريم، عضو قيادة قطرية ومجلس ثورة، ساهم في ٨ شباط قتل بحادث مدبر بعد أن كلف هو بقتل أشخاص كثيرين على رأسهم أول وزير خارجية بعد ١٩٦٨ الدكتور ناصر الحايي.

— وليد محمد صالح الجنابي ساهم في ٨ شباط، وكانت تربطه صلة طيبة بال بكر، اشترك بتعذيب عبد الرحمن البزاز واشتهر بقسوته في التحقيق، أعدم مع جماعة عدنان حسين.

— وليد إبراهيم الأعظمي بعثي، قتل في ١٩٧٩ وكان حينها مديراً عاماً لمعمل شهزاد للبيرة.

فهرس الأسماء

أبو القاسم الخوئي (السيد، آية الله): ٣١٠
 احسان البياتي: ١٩٥
 احسان شيرزاد: ٢٥٣
 أحمد أمين محمود: ٣٢٨، ١٤٥
 أحمد بن بيلا: ٤٩، ١٠٩، ٢٢٥، ٢٦١، ٢٩١
 أحمد الجلي: ٦٨
 أحمد الحسوي: ٧٧، ٩٤، ٢١٥، ٢٢٨، ٣٧٠، ٣٤٨، ٣٤٣، ٢٧٠، ٣٦٥
 أحمد الحديثي: ٩٦
 أحمد حسن البكر: ١٣، ٣٤، ٤٦ — ٤٩، ٥٣، ٥٤، ٥٧، ٦١، ٦٤، ٦٥، ٦٩، ٧١ — ٧٥، ٨٠ — ٨٢، ٨٦، ٩٢، ٩٦، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١١٨ — ١٢٠، ١٢٢، ١٣٠، ١٣٤، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٦، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨، ١٩٠ — ١٩٢، ١٩٥، ٢١٢، ٢١٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٧٣ — ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨٧، ٢٨٩ — ٢٩١، ٣٠١، ٣٠٣ — ٣٠٥، ٣١١ — ٣١٤، ٣٢٠ — ٣٢٢، ٣٢٤ — ٣٣٣، ٣٣٦ — ٣٤٣، ٣٥٣، ٣٥٥ — ٣٥٧، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٩١، ٣٩٥، ٣٩٨ — ٤٠٢
 أحمد رائف: ٢٠٤
 أحمد الزياي: ٩٤

حرف الألف

آرا خاجادور: ٢٠١
 آغري: ٢٦٤
 آل غور: ٣٨٢، ٣٨٣
 إبراهيم أحمد: ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٦٢
 ابراهيم التكريتي: ٨٨، ١٠٠، ٣٤٣
 ابراهيم التميمي: ١٢٤
 ابراهيم جمعة: ٣٠
 ابراهيم حسن الجبوري: ٣١، ٣٠٣
 ابراهيم حسيب المفتي: ٢٢٧
 ابراهيم الحكاك: ١٢٦
 ابراهيم الداود (الداود): ٢١٩، ٣٤٣، ٣٦٨، ٣٦٩
 ابراهيم الشلال: ٣٦٥
 ابراهيم الشيخ: ٢١٥
 ابراهيم عباس الدليمي: ٦١، ٦٤
 ابراهيم العطا الله: ٣٩٦
 ابراهيم علاوي: ٢٤٥
 ابراهيم غانم: ٥١
 ابراهيم طوبان: ٣٣٨
 ابراهيم فيصل الانصاري: ٢٦٢، ٣٩١
 ابراهيم كاظم الموسوي: ١٩١، ١٩٥
 ابراهيم محمد علي: ٢٩٧
 ابراهيم موسى: ٣٠٣
 ابراهيم الموسوي: ١٢٤، ٣١٥
 أبو أيوب: ٢١
 أبو بكر الصديق (رض): ٨١
 أبو حنيفة (الإمام): ٣٥٦
 أبو رغال: ١١٢
 أبو طالب الهاشمي: ١٦٥، ١٧٥، ٣٠٤، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٤٣

أحمد سعيد: ٢٨٤
أحمد شبوط: ١٢٤
أحمد بن شوقي: ٦٨
أحمد صالح العبدى: ٢٤، ٢٧، ٣١، ٥٤،
٧٧، ٨٦، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١١٨،
١٢٢، ١٢٢
أحمد طه العزوز: ٢٧، ٣٠، ٣٣
أحمد عاشور: ٢٥
أحمد عبد الجبار الجبوري: ٦١، ٦٤
أحمد عبد الستار الجوارى: ٢٤، ١٥٦،
١٥٨، ٢١٦، ٢٧٩، ٣٥١
أحمد عبد الغفور التكريتي: ٣٥٦
أحمد العزاوي: ٣٥، ٥٦، ١٢٢، ١٣٨،
١٦٥، ١٧٣ — ١٧٥، ١٧٩،
١٩٦، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٩٣، ٣٠٦،
٣٠٨، ٣٢٦، ٣٥٦، ٣٩١
أحمد عليوي الناصر: ٦٨
أحمد فوزي: ٢٨٠
أحمد كرتينه: ٥٦
أحمد مرعي: ٣٠
أحمد الموسوي: ٢١، ١٢٧، ٣٣٨
الأخضر الابراهيمي: ٣٣٨
أديب الجادر: ١٦٢، ٢٠٩، ٢١٥، ٢٧٠
أديب خليل: ٥٥
أديب الشيشكلي: ٢٧٧
أديبة شبيب: ٥٢، ٥٣
أسامة أيوب صبري: ٧٦
أسعد الفريخ: ٣٧٠
الاسكندر المقدوني: ٢٤٧
اسماعيل الصدر: ٣١٢
اسماعيل العارف: ٢٩١
اسماعيل هرمز: ٢٥
اسامة وهي: ٦٢
أكرم الحوراني: ٣٤، ٤٠ — ٤٢، ١٨٣،
٢١٤، ٢١٦، ٢٢١، ٢٧٠، ٢٨٢

٣٥٨ — ٣٦٠

أكرم العلي: ٥٦
أكرم عبد الكريم أسود: ٨٤
أمل الشرقي: ٢٩١
أمين الحافظ: ١٥٨، ١٥٩، ٢٢١، ٢٢٢،
٣٣٢، ٣٣٧، ٣٤٦
أمين شاهين: ٧٥
أمين هويدي: ٢١٠، ٢٢٨، ٢٩٢
انتوني كوردسمان: ٢٤٤
انجي رشدي: ٣٣٨
انعام العبايجي: ١١١، ٢٠١
أنور ثامر: ٣٦٥
أنور عبد القادر الحديشي: ٤٧، ٥٧، ٦١،
٦٤، ٧١، ٧٣، ٨١، ٨٢، ٩٨،
١٧٧، ٢١٦، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠٨،
أياد سعيد ثلثت: ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣٢،
٣٣، ١٢٢، ٢١٥
أياد علاوي: ٥١
ايزنهاور: ٢١٧
ايليا زغيب: ٢٦٩ — ٢٧٢
أيوب (ع): ٣٩٠

حرف الباء

بابا علي: ٢٤، ١٢٩، ٢١٦، ٢٥٣،
باسل الكبيسي: ٢١٥، ٣٢٣، ٣٤٢، ٣٩١
باقر ابراهيم الموسوي: ١٧٩، ١٨٣، ١٨٩،
٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤، ٣٠١، ٣٠٥،
٣٠٦، ٣٦٦، ٣٧٠
باقر ياسين: ٣٥٦، ٣٦٩
بدن فاضل: ٣٤٧، ٣٩١
بديع شريف العاني: ٣٦٥
برتراند رسل: ٢٨٦
برزان التكريتي: ٣٤٥، ٣٩٦
برسي كوكس: ٦٩
بشير الطالب: ٣٦٥، ٣٩١

ثامر الوندادي: ٦٢، ٧٣

حرف الجيم

حابر حسن حداد: ٨٠، ٨١، ١٠٧، ٢٠٥،
٣٩٩، ٣٩٢، ٣٤٦

حابر الصباح: ٢٤٣

جاسم شبوط: ٦١، ٦٤، ٨٣

جاسم العزاوي: ٧٨، ٧٩، ٨٦، ٢٨٠،
٣٤٣

جاسم علوان: ٢٢١

جاسم قره علي: ٣٠، ٥٦

جاسم مخلص التكريتي: ٣٩٢

جاسم هحول: ٣٩٢

جبار خضير: ١٩٥

جبار السوداني: ٦٢، ٧٣

جبار كردي: ٣٩٣

جيران مجدلاني: ٤٣، ١٥٩، ٢٨٢، ٣٣٠،
٣٥٩، ٣٣٢

جعفر أبو الثمن: ١٧، ٩٢

جعفر العيد: ٣٩٢

جعفر قاسم حمودي: ١٥٨، ٢٧١، ٣٢٩،
٣٤٨

جعفر محمد رضا الذهب: ٣٩٢

جعفر هادي وتوت: ٣٩٧

جلال جعفر الأوقاتي: ٣١، ٣٨، ٥٥، ٨٤،
١٩٦، ١٩٥، ١٩٢، ١٦٦

جلال الطالبياني: ٢٠٩، ٢٣٠، ٢٤٥، ٢٤٩،
٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٨

٢٨٦، ٣٥٦، ٣٦٦

جليل العطية: ٣٤٥، ٣٧٠، ٣٩٨

جمال الحيدري: ٢٠٠، ٢٠١، ٣٠٥

جمال عبد الناصر: ٢٠، ٢٥، ٣٣، ٣٤، ٣٨،
— ٤٠، ٤٢ — ٤٤، ٤٧، ٤٩

٧٧، ٩١، ١٠٨، ١١٢، ١١٣

١٣٢، ١٣٣، ١٣٨، ١٥٣، ١٥٥

بكر صدقي: ١٧، ٦٩، ٨٩، ٩٠، ٩٢،
٢٨٥، ١١٠

بلند الحيدري: ١٢٢، ٢٠٥

بندر بن سعود: ٣٧٥

بهاء شبيب: ٤٣، ٤٧، ٥٢، ٥٤ — ٥٦،
٦٠، ٦٢، ٧٣، ٧٧، ٩٤، ١٥٥

١٧٥، ١٧٧، ٢٨١، ٢٩٤، ٢٩٦

٣١٧، ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٤٤

٣٧٥

بهاء الدين سوري: ١٧٥، ١٨٧، ١٩٦،
٢٠١، ٢٠٤، ٣٦٦

بمحت أبر غربية: ٣٩، ٤٣

بمحت شاكر: ٣٤٨، ٣٩١

بمحت العطية: ١١٠، ١٧٧

بورقية (الحبيب): ١٩٧

بيترسون: ٢٢٩

بيكر: ٣٧٥

بيل ليكلاند: ٢٧٣، ٢٧٦ — ٢٧٨

حرف التاء

تحسين محمد علي: ٧٦

تحسين معلّـة: ٢٧، ٣٠، ٣٦، ٤٣، ١٢٢،
١٢٧، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٣

٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٢٨، ٣١٣

٣١٥، ٣٢٠، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٤٢

٣٧٠

توفيق السويدي: ٦٨، ٩٢، ١١١، ٢٢٩

توفيق منير العاني: ٢٠٠، ٢٠٢

توفيق الياسري: ٣٩٧

حرف الثاء

ثائر عبد القائد: ٣٥٦

ثابت الألويسي: ١٢٥

ثابت حبيب العاني: ٣١، ٣٦، ١٧٥، ١٧٩،
١٨٨، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٤

١٥٢، ١٥٤ — ١٥٨، ١٥٦ —
١٦١، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٠، ١٧١،
١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٩٢ —
١٩٥، ١٩٨، ٢٠٢، ٢١٦،
٢١٧، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٨،
٢٣٣، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤٩،
٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٧٧، ٢٨٢،
٢٨٣، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٠١، ٣٠٤،
٣٠٨، ٣١٧ — ٣٢٩، ٣٣٤،
٣٣٦، ٣٤١، ٣٤٣ —
٣٤٥، ٣٥١، ٣٥٥، ٣٦٢ —

٣٦٤

حازم خطاب: ٢٥

حازم السعدي: ١٢٣

حازم سعيد: ٥٥، ١٦٥

حازم الصباغ: ٢٩٨

حازم علوان: ٧٩

حازم النعيمي: ١٣٤

حافظ الأسد: ٤١، ١١٧، ١٧٣، ١٩١،

٢٢٢، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٦، ٣٤٧،

٣٥٢، ٣٦١، ٤٠٠

حافظ علوان: ٧٨، ٧٩، ١١٦، ١١٨

حامد أيوب العاني: ١٨٩، ٢٠٤، ٣٠٥

حامد البياتي: ١٢٧، ١٣٥، ٢٦٧، ٣٤٢

حامد الجبوري: ٢٣

حامد جواد: ٥٧، ٦٢، ٧٦، ٢٩٤، ٢٩٦،

٢٩٨

حامد حمادي: ٣٥٧

حامد الدليمي: ٢٩٦ — ٢٩٨، ٣٩٢

حامد سالم الزيايدي: ٩٠، ٩٤

حامد السعودي: ٢٧٤

حامد الضاحي: ٧٥

حامد الورد: ٣٩٢

حبيب جاسم: ٣٩٢

حبيب محمد كريم: ٢٥٣، ٣١٣

١٦٠، ١٨١، ١٨٣، ١٩١، ٢٠٧ —
٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٥٠،
٢٥٣، ٢٥٨ — ٢٦٠، ٢٦٦،
٢٧٧، ٢٨٠ — ٢٨٤، ٢٨٧،
٣٢٣، ٣٢٧، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٢،
٣٦٠، ٣٦٦ — ٣٥٨

جميل السعودي: ٨١، ٢١٥

جميل صبري البيلقي: ٥٧، ٦١، ٦٣ — ٦٥،

١٤٥، ١٧٤، ٢٧٤، ٢٧٥، ٣٢٠،

٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٣٦

جميل منير العاني: ٦٠، ٩٤، ١٨٩، ٢٠٤،

٣٠٣

جهاد ضاحي: ٣٠٨

جواهر لال نهرو: ١٠٧

جون كييلي: ٢٤٤

جورج بوش: ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٨٠، ٣٨٢

جورج تللو: ٢٠١

جورج حبش: ٤٠، ٣٠٨

جوليو كوري: ٢٠٠

جون فوستر دالاس: ٢٢٩، ٢٤٤

جيفري ارونس: ٢٩٢

حرف الحاء

حاتم حمدان العزاوي: ٢٧، ٣٠

حاتم عبد الرشيد: ٣٤٩

حاتم قدوري: ٥٦

حازم البكري: ٢٧، ٢٩، ٣٠

حازم جواد: ١٣، ٢٠، ٣٣ — ٣٥، ٤٣،

٤٥ — ٤٧، ٤٩، ٥٢ — ٥٤،

٥٦، ٥٧، ٦١ — ٦٧، ٧١، ٧٢،

٨٠، ٨٨، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ٩٩،

١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١١٠، ١١٩،

١٢٩، ١٣١، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠،

١٤١، ١٤٣ — ١٤٦، ١٤٩ —

- حبیب الخیزران: ١٤٤، ٤٣
- حبیب الدوری: ١٣٨، ١٣٤، ٤٣
- حردان التكريتي: ٧٧، ٦٢، ٤٩، ٤٧، ٢٨
- ٨١، ٩٦، ١٠٦، ١١٩، ١٧١
- ١٧٧، ١٩٠، ١٩١، ١٩٥، ٢٠٤
- ٢١٦، ٢١٩، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩
- ٢٤٠، ٢٥٤، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٠٦
- ٣١٣، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٦
- ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٩، ٣٤٢
- ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٢
- ٣٩٣، ٣٦٦
- حسان عاكف حمودي: ٩٤، ٩٢، ٨٩، ٦٩
- ٢٤٥
- الحسن الثاني (الملک): ٢٢٧
- حسن الذهب: ٣٩٣، ٣٥٦، ٣٥١، ٤٧
- حسن رفعت: ٢٣٩
- حسن السريع: ٢٩٩، ٢٩٧، ٢٩٥، ٢٩٤
- حسن السعدي: ١٢٦
- حسن شعلان ماضي: ٣٠٥
- حسن عبود: ٣٠٣، ١٩٥، ١٨٨
- حسن العلوي: ٢٤٥، ٢٣٠، ١٢٣، ٩٢
- ٢٩٢، ٣١٥، ٣٥١
- حسن عويينة: ١٩٩ — ٢٠٢
- حسن غافل: ٥٦
- حسن مصطفى النقيب: ٩٣، ٤٧، ٢٤
- ١٩٥، ٣٢٠، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٨
- ٣٤١ — ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٤٩
- ٣٥٥، ٣٧٠، ٣٧٦
- حسن حياوي التكريتي: ٣٢٨
- حسن وداي العطية: ١٣١، ١٠٥، ٤٧، ٤٣
- ١٣٥، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٧، ١٦٣
- ٣١٣، ٣١٤، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٢
- ٣٤٢
- حسون عبد المهدي: ٢٧٥
- حسين جميل: ٢٠٥، ٢٠٤، ١٨٥، ١٢٩
- ٢٥٥، ٢٤٩
- حسين خضر الدوري: ١٩٥، ١٩١، ١٨٨
- حسين الزكم: ١٢٤
- حسين سلطان: ٢٠١
- حسين سيد جبر: ٣٩٣
- حسين الشافعي: ٢٢٠
- حسين طه: ١٧٧
- الإمام الحسين بن علي (ع): ٩٢، ٦٩
- ١٤٤، ١٤٥، ٣١٠، ٣٨١، ٣٩٧
- حسين كامل: ٣٩٢، ٣٩١، ٣٥٦، ٣٤٥
- حسين محمد الشبيبي: ٢٠٤
- حقي اسماعيل الراوي: ٣٩٣
- حكمت سليمان: ٨٩، ٦٩
- حكمت الطائي: ١٢٤
- حكمت العزاوي: ٣٤٨
- حماد شهاب: ٣٩٦، ٣٩٣، ٣٥٣، ٣٤٣
- حمدان الراوي: ٣٩٣
- حمدون: ٣٦٠، ٢٧٠
- حمدي أيوب: ٣٠٣، ٢٠٢، ٢٠٠، ١٢٤
- حمدي عبد المجيد: ١٠٦، ٤٩، ٤٧، ٤٦
- ١٤٢، ١٤٩ — ١٥١، ١٥٧
- ١٧٠، ١٧٧، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢١٦
- ٣٠٤، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٤ —
- ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٦٣
- الحمزة (ع) الامام: ٣٦٦
- حمزة الباهلي: ١٢٤
- حمزة سليمان الجبوري: ٢٠٠
- حمود الشوفي: ٣٥٢، ٣٣٧، ٣٣٦، ١٥٩
- حمود العزاوي: ٢٣٦، ٥٦
- حمودي الكلکجي: ٢٣٦
- حميد أمين: ٣١
- حميد جمعة: ١٣٤
- حميد خلخال: ١٥٠، ١٤٤، ٤٩، ٤٧، ٤٦
- ١٧٠، ١٧٦، ١٧٧، ٢٠٢، ٢١٦
- ٣٠٨، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٣٤، ٣٣٥

حميد شعان التكريتي: ٢٧٤
حميد عبد الله التكريتي: ٥٨، ٦١، ٦٤، ٧٢،
٣٩٣، ٣٥٣، ٣٢٨، ١٠٨

حميد مرعي: ٣٣
حناء بطاطو: ٣٦، ١٤٣، ٢٠٤، ٣٧٠
حيدر جواد وتوت: ٣٩٧
حرف الحاء

حرف الدال

دانا شميدت: ٢٥٠
داود الحناي: ٦٢، ٧٣ — ٧٥، ١٢٥،
٣٩٢، ١٩٥، ١٩١
داود سيد خليل: ٢٥
داود عبد المجيد: ١١٨، ٧٢
دحام الألويسي: ٣٩٥
درع ظاهر السعد: ٥٦، ١٣٤

حرف اللال

ذنون أيوب: ٢٨٦
ذياب العلكلوي: ٤٦، ٤٧، ٥٧، ٦١، ٦٤،
٧٢، ٧٤، ٩٤، ١٠٨، ١٦٦،
١٧٧، ١٧٩، ٢١٦، ٣٢٨، ٣٣٩

حرف الراء

راجي عباس التكريتي: ١٨٨، ٣٥٦، ٣٥٧،
٣٩٤
رافد صبحي: ٣٠٣
راهي آل عبد الواحد الحاج سكر: ٣٤٦،
٣٩٢
رايح العطية: ١١١
رجب عبد الحميد: ٢٥٩
رجب عبد المجيد: ٣٦٥، ٣٦٩
رحيم شريف العاني: ٢٠١
رشاد سعيد: ١٩٥
رشدي العامل: ٨٦
رشيد عالي الكيلاني: ٤٨، ٦٩، ٩٠، ١٢٠

خاشع الحديثي: ٣٩٤
خالد أحمد زكي: ٢٨٩
خالد الحسن: ٣٥٦
خالد حكيم: ٢١٤
خالد رشيد: ٢٧٥
خالد سارة: ٧٦
خالد طيرة: ١٩٢، ٢٠٠، ٣٠٠
خالد عبد الله سرية: ٣٩٣
خالد عبد العزيز: ٣٥٤
خالد علي السري: ٢٩
خالد علي الصالح: ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٣٢،
٢٨٢
خالد فريد: ٢٨٠، ٣٤٣
خالد محمد نوري: ٢٨
خالد مكّي الهاشمي: ٤٦، ٤٧، ٤٩ — ٥١،
٦٠، ٦٢، ١٩٥، ١٠٧، ١١٠،
١٥٧، ١٧٠، ١٧٧، ٢١٦، ٣٢٦،
٣٢٩
خالد النقشبندي: ٢٤، ٤٨
خالد يشرطي: ٤٣، ٣٥٨، ٣٥٩
خالد درويش لطفي: ٢٧
خروشوف: ٤٢، ١٤٦، ٢٨٦
خزعل علي السعدي: ١٢٤، ١٧٥، ١٩٥
خلف الجنابي: ٣٨، ٥٣
خلف شلتاغ: ٢٩٥
خلف عبد الاخرة: ٥٦
خليفة خالد الغنيم: ٢٤١

زيد النقيب: ٣٤٧

حرف السين

ساطع اسماعيل: ١٩٤
 ساطع الحصري: ٣١٥، ٣٠٨
 سافرة جميل حافظ: ٢٠١
 سالم حسين: ٢٥
 سامي سلطان: ٤٧، ٦١
 سامي مهدي: ٥٦
 سباعوي ابراهيم: ٢٤٣
 سنار البائر: ١٢٤
 سعاد أديب: ٥٥، ٥٦
 سعد بن أبي وقاص: ١٦
 سعد السباز: ٢٢٨، ٢٤٥، ٣٥٧، ٣٦٠
 ٣٧٠
 سعد جبر: ٢٨٩
 سعد العبد الله: ٢٣٣، ٢٤١
 سعد عبد الجليل غيدان: ٣٩٥
 سعد قاسم حمودي: ٥٣ — ٥٥
 سعد وهيب السامرائي: ٦١، ٦٤
 سعدون البيرماني: ٣٠، ٣٩٥
 سعدون التكريتي: ٢٠١
 سعدون حمادي: ٢٦، ٤٣، ٤٧، ١٤٩
 ١٥٨، ١٧٧، ٢١٢، ٢١٦، ٣٢٤
 ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٦٢
 سعدون شاكر: ٥٥، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٣٦
 ٣٠٠
 سعدون العزاوي: ٥٦
 سعدون غيدان: ١٠٨، ٢٠١، ٣٤٣، ٣٦٥
 ٣٩٥
 سعدون فليح العاني: ٤٦، ٦١
 سعدون المدفعي: ٨٦
 سعدي اصلان: ١٢٤
 سعدي طعمة الجبوري: ٤٦، ٦١، ١٢٤
 سعيد الدوري: ٧٨، ٧٩

رشيد محسن: ٣٦٥، ٤٠١

رشيد مصلح التكريتي: ٤٧، ٦١، ٦٤

١٠٦، ١٥٤، ١٧٨، ١٩٢، ١٩٣

١٩٥، ٢٥٤، ٢٨٩، ٣٠٠، ٣١٢

٣٢٢، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٩، ٣٤٢

٣٥٣، ٣٦٥، ٣٩٤

رضوان الكلبدار: ٢١

رفعت الجادرجي: ٢٨٣

رفعت الحاج السري: ٢٥، ٢٧، ٩٦، ١٠٤

١١٤، ١٢٠، ١٢١، ١٩٥، ٣٩٩

رفيق عارف: ١٢٠

رفيق الملا: ٣٥٦

رتن: ٢٤٩

رؤوف ديس: ٢٩٥

روزفلت: ٢٧٧

رياض الياور: ٢١٥

رياض الحاج حسين: ١٩٩، ٣٩٤

رياض الرئيس: ٣٠٦

رياض طه: ١٨٣، ٢٠٤، ٢٢٨

رياض قدو: ٤٦، ٥٧، ٦١ — ٦٧، ٣٩٤

رياض القيسي: ١٢٤

ريغان: ٣٥٤

حرف الزاء

زكريا السامرائي: ٣٢٠، ٣٢٨، ٣٤١، ٣٤٧

زكريا محي الدين: ٢٢٠

زكي جميل حافظ: ٢٠١

زكي الخالي: ٣٩٤

زكي خيري: ١٧٥، ١٨٤، ١٩٥، ١٩٧

١٩٨، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٦٧، ٢٨٥

٢٩٢، ٢٩٥

زكي مبارك: ٣٠٥

الزهاوي (الشيخ): ٩٤، ٣١٠

زهير الدوري: ٥٥، ١٢٤

زيد جواد وتوت: ٣٤٦

شفيق الكمالي: ٣٥، ٣٩٦
شكري الحديثي: ٣٥، ٣٩٥
شكري صالح زكي: ٢٤، ٨١، ١٢٩، ٢١٦،
٢٦٥، ٢٣٣
شمران الياسري: ٢٩٥
شمس الدين كاظم: ٢٦
شمس الدين المفتي: ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٥٤،
٢٦٧، ٢٥٨
شمعون بيريز: ٣٩٠
شناوة طاهر حنين: ٣٧٠
شهاب أحمد ليث: ١٨٨
شوارتزكوف: ٣٨٧
شوكت عقراوي: ٢٥٨

حرف الصاد

صادق جعفر الفلاح: ٢٩٧
صادق حميد علوش: ١٩٩ — ٢٠١، ٣٩٤
صادق القهوجي: ١٢٢، ١٢٥
صادق حسين الجبوري: ٣٦، ٩٤، ٢٢٨،
٣١٥، ٢٩٢
صالح دكلة: ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٤
صالح الرازقي: ٢٠١، ٢٩٥
صالح زكي توفيق: ٨٠، ٣٦٥
صالح الشرع: ٣١٥
صالح شعبان: ٢٦
صالح عبد المجيد السامرائي: ٣٩٥
صالح العبيدي: ١١١
صالح كبة: ٢١٦، ٢١٧
صالح معلقة: ٣١٣
صالح مهدي عماش: ٢٤، ٢٧، ٤٥، ٤٧ —
٥٠، ٥٥، ٥٨، ٦٢، ٧٣، ٧٧،
٨٦، ٨٨، ٩٦، ٩٨، ١٠٢،
١٠٦، ١٠٧، ١١٠، ١١٢، ١١٨،
١٣٤، ١٣٨، ١٤١، ١٤٩، ١٧٠،
— ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٧

سعيد الرهيمي: ١٣٤
سعيد صليبي: ٤٧، ٦١، ٦٤، ٧٧، ٣٢٢،
٣٢٨، ٣٣٠، ٣٤٢، ٣٦٥
سعيد عبد الباقي: ٣٩١
سعيد قزاز: ٤٨
سعيد متروك: ١٢٦
سعيد مطر: ٥٥، ٥٦، ٨٦، ١٢٢، ١٩٢،
١٩٥
سلام أحمد: ٢١٥
سلام عادل (حسين أحمد الرضي): ١٧٥،
١٩٥، ٢٠٠ — ٢٠٢، ٢٥٠
سلام الناصري: ٢٠١
سلطان ملا علي: ٢٠١
سلمان عبد المجيد الحصان: ١٩٥، ٣٠٣
سليم الامامي: ٦١
سليم عيسى الزبيق: ٢٧، ٣٠، ٣٢، ٣٣،
١٢٢
سليمان حديدي: ٤٣
سليمان العيسى: ٢١٤
سمير عبد الكريم: ٢٠٤
سمير عزيز النجم: ٢٧، ٣٠، ٣٣
سمير الكتي: ١٢٤
سهيل السهيل: ١٢٤، ٣٦٩
سيد حسين سيد جبر: ٤٠

حرف الشين

شاكر حليوة: ٣١
شاكر لمبي: ١٩٤
شامل السامرائي: ٣٦٥
شاه ايران: ٢٤٣، ٣١٣، ٣١٤، ٣٤٦،
٣٥٦
شريف الراس: ١٨٣
شريف الشيخ: ٢٠١
شعلان أبو الجون: ٣٩٢
شفيق الدراجي: ١٩٥، ٣٤٩، ٣٦٥

٣١٤ — ٣١٢ ، ٣٠٧ ، ٣٠٠
— ٣٤٣ ، ٣٤١ ، ٣٣٩ ، ٣٣٧
٣٦٦ ، ٣٦١ — ٣٥٢ ، ٣٤٩
٣٧٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٥ ، ٣٧٢ ، ٣٧١
٣٨٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٢
٣٩١ — ٤٠٢

صدام كامل: ٣٤٥

صدقي أبو طيخ: ٤٧ ، ٣٢٦ ، ٣٤٢ ، ٣٦٨

الشيخ الصدوق: ٣١١

صديق عبد العزيز: ١٢٦

صديق علي: ٢٥

صديق مصطفى: ٩١ ، ٢٦٥

صعب الحردان: ٣٦٥

صفاء صادق: ١٣٤

صفاء الفلكي: ٢٠٠ ، ٢٠٨ ، ٢٢٨ ، ٣٧٠

صفوان قدسي: ٣٤٧

صلاح أسود: ٣٩٥

صلاح جديد: ١٣٣ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٣٣٠

٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٥٢

صلاح صلاح: ٣٣٢

صلاح الدين البيطار: ٣٤ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤

٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢١ ، ٢٧٠ ، ٢٨٢

٣٣١ ، ٣٣٧ ، ٣٤٦ ، ٣٦٠

صلاح الدين رؤوف قزاز: ٣٠٣

صلاح الدين الصباغ: ١١٠

صلاح شبيب: ٣٠١

صلاح صالح: ٥٥

صلاح الطبقحلي: ٤٦ ، ٤٦ ، ٦١ ، ٣٢٨ ، ٣٤٢

٣٥٥

صلاح عبود التكريتي: ٣٩٥

صلاح عمر العلي: ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٩

صلاح القاضي: ٣٩٥

صلاح مكّي: ٥٦

١٨٧ ، ١٩٢ — ١٩٥ ، ٢٠٨
٢١١ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦
٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠
٢٤١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤
٢٥٨ — ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٧٤
٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠
٣١٣ ، ٣١٧ — ٣٢١ ، ٣٢٣
٣٢٥ — ٣٢٩ ، ٣٢٧ ، ٣٣٢
٣٣٦ ، ٣٣٨ — ٣٤٠ ، ٣٤٢
٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٣
٣٦٦

صالح اليوسفي: ٢٠٢ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠
٢٥٦ ، ٣٦٦

صباح الأحمد: ٢٣٢ — ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢

صباح رحيم: ١٢٤

صباح السالم: ٦٢ ، ٢٣٨ — ٢٤١

صباح عبد القادر: ٧٦

صباح ليلية: ٢٩٦

صباح محمد علي: ٢٦ ، ١٢٤

صباح المدني: ٥٦ ، ١٦٥

صباح نعمو: ١٣٤

صباح نوري السعيد: ٢٦٠

صبحي عبد الحميد: ٨١ ، ١٠١ ، ١٠٢

١٢٠ ، ١٢٧ ، ٢٤٠ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥

٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٨٠ ، ٣٠١

٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٦٥

صبري الحديثي: ٣٩٥

صدام حسين: ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٥

٩٢ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ١٢٢ ، ١٣٣

١٣٤ ، ١٥٦ — ١٥٨ ، ١٦٥

١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٩٠

١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢١٨

٢١٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤

٢٣٦ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩

٢٦٠ ، ٢٧٤ ، ٢٨٨ — ٢٩٠

٣٤٣، ٣٤١ — ٣٣٨، ٣٣٦
٣٥٤ — ٣٥٢، ٣٤٧ — ٣٤٥
٣٨٠، ٣٧٩، ٣٧٦، ٣٧٤، ٣٥٨
٣٩٠، ٣٨٤، ٣٨٢

طالب عيسى القابجي: ٣٦
طاهر حسين علي الربيعي: ٣٩٥
طاهر محمد أمين الربيعي: ٣٩٥
طاهر يحيى التكريتي: ٤٧، ٦١، ٦٢، ٦٤،
٦٩، ٧١، ٧٣، ٨٢، ٨٣، ٩٦،
٩٨، ١١٤، ١١٨، ١٢٠، ١٢٧،
١٥٤، ١٦٠، ١٦١، ١٧٠، ١٧١،
١٧٧، ١٧٨، ١٩٢، ١٩٥، ٢٥٣،
٢٥٤، ٣٠٠، ٣٠١، ٣١٤، ٣٢٠،
٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٨ — ٣٣٠،
٣٣٩، ٣٤٢، ٣٥٣، ٣٦٤، ٣٩٥

طلال بن عبد العزيز: ٣٥٤
طلعت صدقي: ٢٨١
طه سلطان: ١٩٥
طه الشكرجي: ٦٢، ٧٣، ٨٢، ٩٨، ١١٧،
٢٦٢
طه الشيخ أحمد: ٨٦، ٩٥، ١٠٠ — ١٠٢،
١٠٤، ١٠٥، ١١٠، ١١٦ —
١٩٥، ١٩٣، ١٢٠

طه الشيخ راضي: ١٣٨
طه ياسين رمضان: ٣٠
الطوسي (الشيخ): ٣١١
الطبي بن هيمة: ٢٣٥، ٢٣٧

حرف العين

عادل الجراح: ٢٣٣
عادل جلال: ١١٩
عادل حمودي: ٢٣٦
عادل عبد المهدي المنتفحي: ٥٣، ٧٣
عارف عبد السرزاق: ٢٨، ٣٦، ٤٧، ٥٧،
٦٩، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨١، ٨٥

حرف الضاد

ضياء الحلبي: ٥٥
ضياء الفلكي: ٥٥

حرف الطاء

طارق أبو الخليل: ٢٣٦
طارق حمد العبد الله: ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥٣،
٣٩٥
طارق الدليمي: ١٣٤
طارق الراوي: ٥١
طارق صادق: ٤٦، ٦١، ٦٤، ٨٣
طارق عزيز: ٥٦، ١٣٨، ٣٣٠، ٣٥١
طالب السهيل: ٢١٥، ٣٦٩
طالب الداود: ٢١
طالب شبيب: ١١ — ١٤، ١٨ — ٢١،
٢٣، ٢٦، ٣٠، ٣٥، ٤٣، ٤٦،
٤٧، ٤٩، ٥١ — ٥٤، ٥٧، ٥٨،
٦٠ — ٦٤، ٧٢، ٨٠، ٨٨، ٩٦،
٩٨، ١٠٢، ١٠٤ — ١٠٧،
١٠٩، ١١٠، ١١٤، ١٢٠، ١٢٣،
١٢٩، ١٣١، ١٣٤، ١٣٨ —
١٤٠، ١٤٢، ١٤٤ — ١٤٦،
١٥٠ — ١٥٢، ١٥٦، ١٥٨،
١٦٠ — ١٦٢، ١٧٠، ١٧١،
١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٨١ —
١٨٣، ١٩١، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٢،
٢١٢، ٢١٥ — ٢١٩، ٢٢٣،
٢٢٧ — ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٨ —
٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٧، ٢٤٩،
٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦١،
٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٨٠،
٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩٠ — ٢٩٣،
٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٨ —
٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٤

- عبد الجبار حمزة: ٥٤
عبد الجبار السعدي: ٧٥، ٥٠
عبد الجبار شطب: ٤٣
عبد الجبار الصالح: ٣٢١، ٣٢٠
عبد الجبار علي حسين: ٨١، ٧٥
عبد الجبار محسن: ٢٩١، ١٣٤، ١٢٢
عبد الجبار وهي: ٣٠٥، ٢٠٠
عبد الحسن: ٢١٥
عبد الحسين الرفيعي: ٣٦٨
عبد الحسين شعبان: ٢٠٤، ١٩٦، ١٨٣
٢٩١
عبد الحسين القطيفي: ٢٣٩
عبد الحسين مسلم: ١٢٤
عبد الحسين وداي العطية: ٢١٢، ٢١١
عبد الحكيم عامر (المشير): ١٣٨، ٢٠
٢١١، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٥١
٢٨٣
عبد الحلیم خدام: ٤٠٠، ٣٩٠
عبد الحمداني: ١٣٤
عبد الحميد السراج: ٨٢، ٤٣، ٤٠، ٢٩
١١٤، ٢١٥، ٢٧٠، ٢٨٣، ٢٨٥
٣٢٨
عبد الخالق السامرائي: ٣٩٨، ٣٥١
عبد الخالق النقشبندی: ٣٣٠
عبد الدائم: ١٦٣
عبد الرحمن السباز: ٢٠٥، ١٦١، ١٠٣
٢١٢، ٢٩٢، ٣٣٨، ٣٦٥، ٣٩٦
عبد الرحمن الداود: ٣٦٥
عبد الرحمن سالم العتيقي: ٢٤١
عبد الرحمن عارف: ٢١٨، ١١٤، ٩١
٢٢٩، ٢٨٩، ٣٢٢، ٣٤٩، ٣٦٤
٣٦٦
عبد الرحيم الأرحيم: ٣٦٥، ٣٢٢
عبد الرحيم الراوي: ١٢٠
عبد الرحيم شريف: ٢٠١، ٢٠٠
- ٣٦٥، ٣٤٩، ٣٤٣، ٢٨٤، ٩٤
عامر الدحيلي: ٣٩٦
عامر خالد حمدان: ٨١
عامر عبد الله: ١٨٩، ١٨٦، ١٨٤، ١٧٥
١٩٦، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٥
عباس أحمد: ٥٦
عباس البلداوي: ١١١
عباس حاح حنظل: ١٢٦
عباس الخفاجي: ١٧٧
عباس الدجيلي: ١٩٥
العباس بن علي (ع): ٣٦٦
عباس محمد كرم: ٣١٢
عباس النصراوي: ١٦٣
عبد الله الأحمر: ٣٧٧
عبد الله بشارة: ٣٧٥
عبد الله الجابر: ٢٣٨
عبد الله الركابي: ٢٨٢، ٨١، ٣٥، ٣٠، ٢٦
عبد الله الريماوي: ٤٤، ٤٣، ٤٠، ٣٩
عبد الله السالم: ٢٣٠
عبد الله السلال: ٢٦٠، ٢٢٧
عبد الله سلطان الملاح: ٣٤١
عبد الله سلوم السامرائي: ٣٩٨
عبد الله بن طلال: ٣١٠
عبد الله عبد الدائم: ١٥٣
عبد الله فاضل السامرائي: ٣٩٧
عبد الله مجيد: ٣٢٨، ٣٢١، ٣٢٠
عبد الله مريوش: ١١٧
عبد الله ناجي: ٢٥
عبد الإله (الوصي): ٢٢٩
عبد الإله البياتي: ١١٤
عبد الإله النصراوي: ٢١٥، ١٣٤
عبد الأمير الخالك: ١٢٦
عبد الأمير الشريفي: ١٣٤
عبد الأمير معل: ١٣٤
عبد الجبار جومرد: ٢٠٥

عبد الرزاق الزبيدي: ١٩٥
عبد الرزاق الصافي: ١٨٩، ٢٠٤
عبد الرزاق عصبيه: ١٩٥
عبد الرزاق لفته: ١٢٤
عبد الرزاق الناييف: ٨١، ٢١٩، ٢٨٩، ٣١٣، ٣٤٣، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٩٧
عبد الرضا عبيد: ٣١، ١٩٥
عبد الرضا القصاب: ١٢٤
عبد الزهره مسعد: ٢٧٥
عبد الستار السدوري: ٣٥، ٤٣، ٥٨، ٦٠، ٦٢، ٧١، ١٠٢، ١٠٤، ١١٠، ١٢٧، ١٣٩، ١٤٨، ١٨٨، ٣١٠، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٢
عبد الستار رشيد: ١٧٤
عبد الستار عبد اللطيف: ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٥٧، ٦١، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٨٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦، ١١٠، ١١٨، ١١٩، ١٢٣، ١٢٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٤، ١٧٧، ١٩٥، ٢١٦، ٢٤٠، ٢٨٠، ٢٨٨، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٦٥، ٣٦٩
عبد الستار مهدي: ٢٠١
عبد الستار ناجي: ١٨٨
عبد السلام عارف: ١٣، ٢٣، ٣٦، ٤٧، ٤٨، ٥٧، ٦٢، ٧١، ٧٢، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٨، ٩١، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٧، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٧، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٤١، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٧١، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨، ١٩٤، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٥

٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٦، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١١، ٣١٤، ٣١٨، ٣٢١ — ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٧ — ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢ — ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٥، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٩١، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠١
عبد السلام الناصري: ١٧٥
عبد الشهيد الياسري: ١١١
عبد عباس المفرجي: ٣٠٢
عبد العزيز ابراهيم الحديثي: ٣٩٧
عبد العزيز البدري: ٩٤
عبد العزيز بوتفليقه: ٢٢٥، ٢٧٩
عبد العزيز الحكيم: ٣٧٦
عبد العزيز العقيلي: ٢٩٢، ٣٤٢، ٣٦٥، ٣٦٩
عبد الغني الراوي: ٤٧، ٥٧، ٦٢، ٧٣ — ٧٥، ٧٧، ٨١، ١٠٥، ١٠٦، ١١٠، ١١٥، ١٧٧، ١٧٨، ٢١٦، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣١٣، ٣٦٥، ٣٩٢
عبد الغني قنوت: ٣٤
عبد الغني الملاح: ٩٠، ٩٤
عبد الفتاح إبراهيم: ٢٠٥
عبد القادر اسماعيل: ٢٠٠
عبد القادر حاتم: ٢٣٢
عبد القادر حسين الحياني: ٣٩٨
عبد القادر الشكسائي: ٨٢
عبد القادر الشيخ: ٣٠٣
عبد القادر الكيلاني: ٨٩، ٩٠، ٢٢٩
عبد الكريم الجده: ٥٣، ٥٥، ٧٧، ٨٤، ٨٥، ٨٨، ٩٥، ١١٦، ١٩٥
عبد الكريم زهور: ٢٠٩

- عبد الكريم الشيخخلي: ٢٧، ٣٠، ٣٥، ١٦٥،
١٧٥، ١٧٧، ١٩٢، ٢٠٨، ٢٣٦،
٣٩٧، ٣٦٦، ٣٥٥
عبد الكريم العلي: ٢١٦
عبد الكريم فرحان: ٢٣، ٢٨، ٨٠، ٨١،
٩٨، ١٤٢، ١٤٨، ٢٢٨، ٢٤٠،
٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦٢، ٢٨٠، ٢٩٢،
٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٣١، ٣٤٢،
٣٤٣، ٣٥٠، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٩٧
عبد الكريم قاسم: ١٣، ٢٣، ٢٤، ٢٦ —
٣٣، ٣٥، ٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٥ —
٥٤، ٥٨، ٦٢ — ٨٠، ٨٢ —
٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٣ — ٩٩، ١٠١ —
١١٥، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٣،
١٣٧، ١٤١، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٣،
١٥٥، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩،
١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٨١ —
١٨٩، ١٩٢ — ١٩٦، ١٩٨ —
٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٣،
٢١٦، ٢١٧، ٢٢٧ — ٢٣٠،
٢٣٢ — ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٥،
٢٤٧ — ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٦،
٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٣،
٢٦٥ — ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٤،
٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٣ —
٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠، ٣٠٠،
٣٠٢، ٣٠٧ — ٣٠٩، ٣١٨،
٣٢٢، ٣٢٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٣،
٣٤٥، ٣٤٨، ٣٥١، ٣٥٤، ٣٥٩،
٣٦٢، ٣٩١ — ٣٩٣، ٣٩٥،
٣٩٧ — ٣٩٩، ٤٠١
عبد الكريم مصطفى نصرت: ٤٧، ٥٧، ٦١،
٦٤، ٨٤، ٩٨، ١٦٥، ١٧٢،
١٧٧، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٢،
٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٤١
- ٣٥٥، ٣٩١، ٣٩٧
عبد الكريم الكرازة: ٣٩٩
عبد الكريم هاني: ٣٦٥، ٣٩٦
عبد اللطيف البدري: ٢٧
عبد اللطيف البغدادي: ٢٢٠
عبد اللطيف الخديشي: ٤٧، ٤٩، ٥٦، ٥٧،
٦١، ٦٢، ٦٤، ٧٢، ٧٨
عبد اللطيف الدراجي: ٣٦٥
عبد اللطيف الراوي: ٢٠٤
عبد اللطيف الشواف: ٢٠٥
عبد اللطيف عبد الرزاق: ٦٢، ٧٦
عبد اللطيف عبد الرضا: ٩٨، ١٢٧
عبد المجيد جليل: ١١٨، ١٩١، ٢٨١، ٣٢٠
عبد المجيد فريد: ٢٨١ — ٢٨٣
عبد المجيد فهمي: ٢٨٣
عبد المحسن أبو ميزر: ٣٣٧
عبد المطلب أمين: ٩٠
عبد المطلب الجبوري: ٣٩٦
عبد المنعم حميد: ١٠١، ١١٩
عبد المنعم الخطيب: ١٠٧، ١٢٧
عبد المنعم المصروف: ٨٠، ٨١، ٢١٥
عبد الهادي الراوي: ٨٠، ٢٠٠، ٢٠٥،
٢٠٦، ٢١٥، ٢١٦، ٣٦٥، ٤٠٠
عبد الواحد زكي: ٣٩٨
عبد الواحد حاج مهدي: ٣٩٧
عبد الوهاب الأمين: ١٩٥
عبد الوهاب البكاء: ٣٩٦
عبد الوهاب البياتي: ١٢٢، ٢٠٥، ٣٣٨
عبد الوهاب الشواف: ٢٣ — ٢٦، ٢٩،
٣٨، ٤٣، ٩١، ١١٢، ١٢١،
٢٠٥، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٨٢
عبد الوهاب شميظلي: ٤٣، ٣٥٨، ٣٥٩
عبد الوهاب عبد الرزاق: ١٧٧
عبد الوهاب الغريزي: ٢٧، ٣٠
عبدو الخالصي: ١٢٤

- عبد معلقة: ٢٠٠
عثمان بن عفان (رض): ٣٨٨
عجيل الياود: ٣٩٨
عدنان آل طعمة: ٣١٥
عدنان الادلي: ٣١١، ١٢٤
عدنان الامير: ٣١٥
عدنان الباججي: ٢٣٥
عدنان البدرابي: ٥٤
عدنان حسين: ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٥ —
٤٠٢، ٤٠١، ٣٩٨
عدنان الحمداني: ٣٤٦
عدنان خير الله: ٦١، ٦٤، ٣٩٦
عدنان الخيال: ٣٠٣
عدنان داود القيسي: ٨٤
عدنان دحام الجبوري: ٦١، ٣١٤
عدنان دحام العزاوي: ٤٦، ٦١
عدنان الراوي: ٢٤
عدنان سالم الزيايدي: ٣٩٧
عدنان شريف التكريتي: ٦١، ٦٤، ٣٤٩،
٣٥٣، ٣٥٦
عدنان عباس: ٢٩٥
عدنان عبد القادر: ٣٠٥
عدنان القصاب: ٥٧، ٦٢، ٧١، ٢٢٦،
٢٢٧، ٣٢٢، ٣٣٠، ٣٣٨
عدي صدام حسين: ٣٥٧، ٣٩٦
عرفان عبد القادر وجدي: ١٠٦، ١٠٧،
١١٨، ١١٩
عز الدين الراوي: ٢٦
عزت مصطفى: ٢٤، ٢٧، ١٥٦، ١٥٨،
٢١٦، ٣٦٥، ٣٩٧
عزيز أمين: ٧٣، ٧٦
عزيز جعفر الصندوق: ١١٦
عزيز الحاج: ٢٠١، ٢٠٤، ٢٤٥، ٢٦٧،
٢٨٦
عزيز خطيب العاني: ٦١، ٨٢
- عزيز السامرائي: ٣٩٨
عزيز شريف: ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١
عزيز شهاب: ٢٥، ١٠١، ٣٢٨
عزيز الشيخ: ١٧٥، ٢٠١، ٢٠٢
عزيز محمد: ١٨٦، ٢٠١، ٣٦٦
عصام الراوي: ٥٦
عطا الخطيب: ٢٠٠، ٣٠٥
عطا محي الدين: ١٦٥
عطشان ضيول الأزيز جوي: ١٨٨
عطية الخطيب: ٢٠٠
عفيف البري: ١١٤، ٢٧٧
علاء الحيدري: ٨٠، ٨١، ٩٤
علاء الدين البكري: ١٤٥، ١٤٦
علاء الدين الجنابي: ٤٧، ٦١، ١٤٤، ١٩٥
علاء الدين حسين: ٢٣٤
علي بن أبي طالب (ع): ١٤٥، ٢٧١،
٣٠١، ٣١٠، ٣١١
علي توفيق: ٢٥
علي حسن العامري: ١٥٧
علي حسن المجيد: ٢٤٣
علي حسون: ٢٧، ٣٠
علي حيدر سليمان: ٢٥٥
علي خالد: ٣١
علي الدرويشي: ٣٩٨
علي شريف: ١٩٥
علي الشوك: ٢٠٤، ٢٤٤، ٢٤٥
علي صالح السعدي: ١٣، ٢٠، ٢٦، ٣٢ —
٣٥، ٤٣، ٤٥ — ٥٥، ٥٨، ٦٢
٧٧، ٨٨، ٩٦، ١٠٢، ١٠٥ —
١٠٧، ١١٠، ١١٩، ١٢٣، ١٣٠ —
١٣٣، ١٣٧ — ١٤٦، ١٤٩
١٥٢، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧ —
١٦٠، ١٦٢، ١٦٦ — ١٦٨
١٧٠ — ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦
١٧٧، ١٨٣، ١٩٢ — ١٩٥
١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١١

غسان عبد القادر: ٨٤
غسان مرهون: ٥٥
غضبان السعد: ١٩٥، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٠٦
غوثتر: ١٢٢

حرف الفاء

فائز ضياء: ٥٦
فائق البزاز: ١٤٩، ١٧١، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣٠

فائق السامرائي: ٢١٦، ٣٤٢

فاتح الجبوري: ١٩٥

فاتك الصافي: ٣٥

فارس حسين: ٦١

فارس عبد الكريم: ٣٩٦

فاضل الانصاري: ٣٤٧

فاضل البراك: ١٧، ٢٦٧

فاضل جاسم: ٦١

فاضل الجمالي: ٢٢٩

فاضل الخطيب: ٢٠٠

فاضل الحيدري: ٢٠٠

فاضل الشاهر: ٣٥، ٣٥٥

فاضل الشكرة: ٢٥

فاضل عباس حلمي: ٢٦، ٨٢

فاضل عباس المهداوي: ٢٥، ٣٠، ٣٢ —

٣٩، ٤٣، ٤٨، ٥٥، ٥٦، ٧٩

٨٦، ٩٥، ٩٧، ١٠٠، ١٠٢ —

١٠٤، ١٠٥، ١١٠، ١١٤، ١١٦،

١١٨ — ١٢٣، ١٨٢، ١٩٢،

١٩٣، ٢٨٣، ٣٤٣

فاضل عبد الغفور: ٣٠

فاضل محمود المعموري: ٦٨

فاضل مصطفى: ٣٩٤

فاضل معلقة: ٢٧

فاضل الناصر: ٢٥

فالخ عبد الجبار: ١٣٤

٢١٢، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١،

٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٣٤،

٢٣٦ — ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٨،

٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦١،

٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٧، ٢٨١،

٢٨٣، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٠٠، ٣٠٨،

٣١٠، ٣١١، ٣١٤، ٣١٨، ٣١٩،

٣٢٢ — ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٨،

٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٨، ٣٥١، ٣٥٣،

٣٦٢ — ٣٦٤، ٣٦٦، ٤٠٠

علي صري: ٢٢٠، ٢٨١

علي عبد السلام: ٢٨٩، ٣٩٨

علي عبد الكريم: ٧٥، ١٢٦

علي عجام: ٣٩٨

علي عريم: ٦١، ٢٧١، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٠،

٣٤٢، ٣٥٥

علي كريم سعيد: ٢١، ٢٦٧، ٣٠٦، ٣١٥، ٣٦٩

علي العطية "المحامي": ١١١

علي هادي وتوت: ٣٩٧، ٣٤٦

عماد شبيب: ٥٣، ٦٢، ٧٣، ٧٧، ٢٨١،

٣٣٩، ٣٢٤

عماد نعمة عزيز: ٨١

عمار علوش: ١٦٥، ١٧٥، ١٩٢، ٣٠٠

عمانوئيل سليمان: ٦٢

عمر بن الخطاب (رض): ٨١

عمر دبابه: ٢٦٤

عمر الشيخ: ٢٠١

عمرو آل ياسين: ١٢٤

حرف الغين

غازي (الملك): ٢٢٩، ٢٤٣، ٢٤٤

غازي أيوب: ٣٩٧

غازي دخيل: ٣١

غالب عبد الحميد: ٣٩٨

غانم عبد الجليل: ٢٧، ٣٠، ٣٩٨، ٤٠١

قاسم حسن: ١٢٤، ٢٣٩

قاسم حول: ٣٤٦، ٣٨١

قاسم السماوي: ٣٩٤

قاسم العزاوي: ٢٥

قحطان خلف: ١٣٤

قحطان السامرائي: ٥٦، ٥٨

قحطان العاني: ٥٦

قيس السامرائي: ١٣٤

قيس وثاب: ١٣٤

حرف الكاف

كازانتاكس: ٢٠٢

كاسترو: ١٤٦

كاظم السماوي: ١٢١، ١٢٢، ١٢٧

٣٠٦، ٣٠١

كاظم شير: ٣١٣

كاظم عبد الكريم: ١٩٥

كافري: ٢٧٨

كافل حسين: ١٦١

كامل الجادرجي: ١٧، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٥

كامل مدحت: ١٣٤

كامل نعمة: ٤٦، ٦١

كامل ياسين: ٣٤٥

كريم أحمد: ٢٠١

كريم شنتاف: ٣٠، ٤٦، ٤٧، ٥٢، ٥٤

٦٢، ٧٧، ٨٨، ١٠٢، ١٠٦

١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٧٠، ١٧٧

٢١٦، ٢٨١، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٥١

كريم قرني: ٢٥٤

كمال جنبلاط: ١٤٣

كمال خرازي: ٣٨٠

كمال ناصر: ٤٣

كمال الدين حسين: ٢٢٠

كنعان خليل حداد: ٨٨، ٩٨، ١٠٠، ١١٠

كنعان علي: ٨٦

فالخ المجول: ٣٥

فالي: ٢٠٥، ٢٠٦

فرات الزهاوي: ٥٦

فراس علي كريم سعيد: ٢١

فراس الهنداوي: ٧٩

فرانس همفريز: ٢٤٢

فلك الدين كاكائي: ٢٦٤

فليح حسن حاسم الشمري: ٣٩٣

فليح الساعدي: ٦٢، ٧٣

فليح عبد الجبار خريبط: ٦١

فهد جواد الميرة: ٣٢٨

فهد السعدون: ٥٧، ٦٢، ٦٨، ٦٩، ٧٦

١٩٨، ٩١

فهد الشاعر: ١٥٩

فؤاد الركابي: ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٩

٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٨ — ٤٠

٤٣، ٤٤، ٤٧، ١٤٧، ١٩٨

٢١٥، ٢٨١، ٢٨٣، ٣٣٦، ٣٦١

— ٣٦٣، ٣٩٣

فؤاد صادق: ٣٢٢

فؤاد عارف: ٩٠، ١٢٩، ٢٠٩، ٢١٦

٢٥٠، ٢٥٣، ٣٦٦

فواز صياغ: ٤٠٠

فوزي الراوي: ٥١، ٣٤٩

فوزية الراوي: ٣٩٣

فيصل الأول (الملك): ٦٨، ٦٩، ٨٩، ٩٣

٣٤٩

فيصل حبيب الخيزران: ٢٠، ٢٤، ٣٠، ٣٥

٤٧، ٧٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٣٥٥

فيصل السامر: ٢٨٦

حرف القاف

قاسم الجنابي: ٢٧، ٣٠، ٣٨، ٥٤، ٨٦

٩٨، ١٠٣، ١٠٦، ١١٢، ١١٦

١١٩، ١٢٢، ١٢٧

محسن الرفيعي: ٨٦، ١٢٢، ١٩٥

محسن دزه ئي: ٣٧٦

محسن الشعلان: ٤٠٠

محسن الشيخ راضي: ٤٦، ٤٧، ٤٩، ١٠٢

١٠٦، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٩

١٥٠، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٦، ١٧٠

١٧٣، ١٧٦ — ١٧٨، ١٩٢

١٩٥، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٢، ٢١٦

٢٢٨، ٢٥٧، ٣٠٤، ٣٠٨، ٣١٨

٣٢٠، ٣٢٤ — ٣٢٦، ٣٢٩

٣٣٣، ٣٤٢، ٣٦٢

محسن العيني: ٢٢٧

محمد أحمد حسن البكر: ٣٥٣، ٣٤٩

محمد اسماعيل الويس: ٤٦، ٦١

محمد أمين محمود: ١٢٥

محمد أيوب: ٤٠٠

محمد باقر الحكيم (السيد، آية الله): ٣٧٦

محمد باقر الصدر (السيد، آية الله): ٣١٢

محمد باقر صولاغ الزبيدي: ٣١٢

محمد ثامر: ٨٤

محمد جاسم الجبوري: ٨٥

محمد الحصاني: ٣٦٨

محمد الجلبي: ٢٠٠

محمد حبيب: ٢٩٧

محمد حديد: ١٠٣، ١١١، ١١٢، ١٢٧

١٨٥، ٢٠٥، ٣٤٢

محمد حسن الزيات: ٢٣٩

محمد حسن وتوت: ٤٠١

محمد حسنين هيكل: ١٣٨، ١٤٨، ٢٢١

٢٥١، ٢٨٤، ٢٩٢

محمد حسين أبو العيس: ٢٠١

محمد حسين رؤوف: ١٣٤

محمد حسين الشيبلي: ١٩٨

محمد حسين المهدي: ٤٠١

محمد حمدان: ٣٩٦

كنعان مكية (سمير خليل): ٩٠، ٩٣، ٩٤

١٠٢، ١٠٥، ١٣١، ١٣٥

حرف اللام

لبيد عباوي: ١٨٩، ٢٠٤

لطفي طاهر: ٣٠٣

لطفي العبيدي: ٢١٩، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٦٩

لطيف الحديشي: ١٠٨

لقمان البارزاني: ٢٤٩

لويس الرابع عشر: ٢٢٣

حرف الميم

مأمون كشمولة: ٤٠١

ماجد أمين: ٣١، ٤٣، ١٩٢، ١٩٥

مازن المفتي: ٢٧، ٥٥

ماكميلان: ٢١٧

مالك سيف: ١٩٨

ماهر الجعفري: ٨٤

مبارك (الشيخ): ٢٣١، ٢٣٨

مبدر الويس: ٨١

محيي الشيخ: ٨٦، ٢٠٠

مثنى الراوي: ١٨٨

محمدي جهاد صالح: ٤٠٠

مجيد الجلبي: ٢٥

مجيد الحاج حمود: ١١١، ١٢٧

مجيد رجب حمدان: ٨٤

مجيد السعيد: ١٣٤

مجيد العبد الله: ٣٢٠، ٣٢١

مجيد قدوري: ٣٤٢

محسن (الحاج): ٥١

محسن اسماعيل: ٢٥

محسن حسين الحبيب: ٣٦٥

محسن الحصاني: ٣١٢

محسن الحكيم (السيد، آية الله): ١١٥، ١٩١

٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٠ — ٣١٥

- محمد كباره: ٢٤١
 محمد كبول: ٢٨١
 محمد مجيد: ٨١، ١١٨، ٣٦٥
 محمد محجوب: ٣٤٦، ٣٩٤، ٣٩٧، ٤٠١
 محمد مظلوم: ٢١
 محمد المهداوي: ٥٧، ٦١، ٦٣ — ٦٥
 ١٧٤، ٢٦٩، ٢٧٦، ٣٢٦، ٣٢٨
 — ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٩
 محمد مهدي الجواهري: ١٨، ٥٣، ١٢٢،
 ٢٠٥، ٢٧٩، ٢٨٦، ٢٩٢، ٣٣٨
 محمد مهدي كبة: ٤٨، ٢٠٥، ٢١٥، ٢١٦،
 ٢٢٨، ٢٩٢
 محمد نادر: ٣٠٣
 محمد نجيب: ٣٢٢، ٣٢٣
 محمد الوردى: ١٢٦
 محمد يوسف طه: ٧٥، ٨١، ٢٧١، ٢٨٠
 محمود أمين شسمة: ٢١، ٢٥
 محمود أمين العالم: ٣٣٨
 محمود البريكان: ١٢٢
 محمود حياوي: ١٣٤
 محمود شيت خطاب: ١٢٣، ١٦٧، ١٦٨،
 ٢١٦
 محمود صبري: ٢٨٦
 محمود عثمان: ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٦٣، ٢٦٧
 محمود محمد صبحي: ٢٤١
 محمود ناصر تركي: ٥٦
 محسن محمد رضا الذهب: ٤٠١
 محيي جاسم السامرائي: ١٣٤
 محيي الخطيب: ٥١، ١٢٤
 محيي عبد الحسين الشمري: ٤٠٠
 محيي الدين عبد الحميد: ١٢٠، ١٩٥
 محيي محمود: ١١٤، ١٧٠، ٣٢٨، ٣٣٢
 مدحت ابراهيم جمعة: ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٢٩،
 ٣٥، ٤٤، ١١١، ١٧٥، ٢٣٦،
 ٣٣٢، ٣٥٥
 محمد الخالصي: ١٢٦، ٣١٠، ٣١١
 محمد حميسي: ٢٢٥، ٢٨٠
 محمد رشاد الشيخ راضي: ٢١، ١٥٤، ١٦٣،
 ٣٥٦
 محمد رشدي الجنائي: ٤٠٢
 محمد رضا الجيلاني: ٤٠١
 محمد رضا الحكيم: ٣١٣
 محمد زكي يونس: ١٣١، ١٥٦، ١٥٨
 محمد الزبيدي: ١٣٤
 محمد سعيد قاسم: ٢٥
 محمد سعيد النقيب: ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩،
 ٢٤٠
 محمد سلمان حسن: ٢٤٩
 محمد سليمان: ٣٠
 محمد صالح العلي: ٢٠٠، ٢٠١، ٣٠٥
 محمد صبري الحديثي: ٤٠٢
 محمد صديق شنشيل: ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٤٦،
 ٤٨، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٦، ٢٢٨،
 ٢٩٢، ٣٢٣، ٣٤٢
 محمد عايش: ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٩٥، ٣٩٧،
 ٣٩٨، ٤٠١، ٤٠٢
 محمد بن عبد الله رسول الله (ص): ٢١٢،
 ٣٠٩، ٣٠١، ٣١١
 محمد عبد الطائي: ١٣٤، ٣٥٦، ٣٩٩،
 ٤٠٠
 محمد عبد اللطيف: ١٩٤
 محمد العبيسي: ٢١٧
 محمد علوان: ١٠٠، ١٠١
 محمد علي جواد: ٢٨٥
 محمد علي حمزة: ٧٦
 محمد علي السباهي: ٤٧، ٨٢، ١٩٥
 محمد علي سعيد: ٦٢، ١٩٥، ٤٠٢
 محمد عمران: ١٥٨
 محمد فاضل: ٤٠٠
 محمد فرج: ٤٠٠

- مدحت الحاج سري: ٣٩٩، ٢٨
مدحت محمد جميل: ٤٠١، ١٢٦، ١٢٤
مدلول ناجي المحنا: ٤٠٠، ٣٥٦
مرتضى الحديثي: ٤٠٠، ٣٩٤، ٣٥٣، ٣٥١
مزه حواد: ٨١، ٧٥
مزه الشاوي: ١١١
مسارع السراوي: ١٥٦، ١٢٩، ٧٣، ٥٣
٣٠٨، ٢١٧، ١٧٠، ١٥٨
مسعود البارزاني: ٣٧٠، ٣٥٦، ٢٥١
مسعود محمد: ٢٥٣
مسلم الجبوري: ٥٥
مسلم بن عقيل (ع): ١٤٥
مسلمة الكذاب: ١١٢
مشتاق طالب: ٢٠
مشعان الجبوري: ٣٧٠، ٣٥٦
مصطفى البارزاني (الملا): ٢٤٨، ٢٠٢، ١٢٩
— ٢٥٠، ٢٥٣ — ٢٥٧، ٢٦٠
٢٦٢، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٨٦، ٣٥٦
مصطفى حمدون: ٣٤
مصطفى عبد الله: ١٩٥
مصطفى عزيز: ٢٥٣
مصطفى علي: ١١٦
مصطفى الفكيكي: ٣٠٤
مظفر صالح: ٢٥
مظفر النواب: ١٢٢، ٩٤، ٨٦، ٦٠، ٥١
٢٩١، ٢٩٢، ٣٦٩
مظفر يونس الدبوني: ٦١
مظفر حبيب الخيزران: ٥٥
مظفر عبد عباس: ٣٠٦
مظفر المطلق: ٣٥٣، ٣٤٩
معصم سعيد البدري: ٤٠٠
معز الخطيب: ١٢٤
مكرم الطالباي: ٣٦٨، ٣٦٦، ٨١
ممتاز قصيرة: ٤٠١
منذر أبو العيس: ٣٣
- منذر المطلق: ٣٤٩
منذر الوندواوي: ٥٧، ٥٤، ٤٩، ٤٧، ٢٨
٦٢، ٦٨، ٦٩، ٧٣، ٧٥، ٧٦
٨٢، ١٠٦، ١٦٥، ١٦٨، ١٧٢
١٧٤، ١٧٧، ١٩٥، ١٩٨، ١٩٩
٢٠٢، ٢١٦، ٢٥٧، ٢٨٤، ٢٨٩
٢٩٧، ٣٠٤، ٣١٨، ٣٢٠ —
٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩
٣٣٩، ٣٦٩
منعم حميد: ١٠٥، ٣٢٨
منور المهناوي: ١٢٧، ٧٩
منيف الرزاز: ٣٩٩، ١٦٣، ١٥٣، ٣٩
٤٠٠
المهدي بن بركة: ٢٢٦
مهدي الحكيم (السيد): ٣١٢
مهدي حميد: ٢٠٠، ١٩٥
مهدي الخالصي (الشيخ): ٢٨١، ١٢٦
٢٩٢، ٣١٥
مهدي الشوكي: ٣٦٨، ٣٤٢
مهدي الشيخ علي: ٣٤٢
مهدي عبد الكريم: ٣٢٦
مهدي العبيدي: ٣٣٨، ٥٦
مهدي نجم: ٥٦
مؤيد ابراهيم الوندواوي: ٢٢٨
موسى أسد الكريم: ٢٩٥، ٢٩١
موسى علاوي: ٢٣٩
موسى يعقوبي: ٣١٥
موفق مصطفى العمري: ١٨٣
مولود مخلص: ٣٩٢، ٣٥٠
مونتسكيو: ٢١٣
مي الاوقاتي: ٩٤، ٦٠، ٥٨
مير البصري: ٣٧٠
ميشيل بابلو: ١٣٤
ميشيل علفق: ٣٥، ٣٤، ٣٠، ٢٦، ٢٣
٣٨، ٣٩، ٤١ — ٤٤، ١٤٦

نصيف جاسم العاني: ٦١
 نعمة فارس: ٤٦، ٦١، ١٠٥
 نعمة كاظم الرماحي: ٨١، ٣٦٨، ٣٦٩
 نور الدين محمود: ٩٠
 نوري البحراني: ١٢٧
 نوري حمادي حسين: ٣٩٩
 نوري الزكرم: ١٢٤
 نوري السعيد: ٩١، ٩٢، ١١١، ١٢٠
 ١٥٧، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٠، ٢٢٩
 ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٧٦، ٢٧٧
 نوري عبد الرزاق: ١٨٢، ١٨٣
 نوري الونة: ١٨٨
 نوري الويس: ٣٥٦، ٣٥٧

حرف الهاء

هادي خليفة السامرائي: ٣٠٤
 هادي خماس: ١١٨، ١٢٢، ٣٢٢، ٣٢٦
 ٣٦٥
 هادي الرياحي: ١٢٤
 هادي هاشم الاعظمي: ١٢٤، ٢٠١
 هاشم الآلوسي: ٢٩٥، ٣٠٥
 هاشم اسماعيل: ٤٦، ٦١
 هاشم جواد: ٤٩، ٥٨، ١٠٣، ٢٠٠، ٢٢٧
 ٢٣٠
 هاشم حسين: ١٧٧
 هاشم الرفاعي: ٢٣٦
 هاشم زيدان: ١٢٤
 هاشم السامرائي: ١١٩
 هاشم عبد الجبار: ٤٦، ١٨٨، ١٩٥
 هاشم عبد القادر: ٢٠٠
 هاشم عقراوي: ٢٥٩
 هاشم قدوري: ٥٦، ٧٧
 هاشم المشاط: ٦٠
 هاشم الياسري: ٨٨، ٩٤، ١٢٤، ٣٤٢
 هاني الفكيكي: ٢٥، ٢٨، ٣٥، ٣٦، ٤٣

١٥٢، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٣، ١٨٨
 ٢١٤، ٢١٥، ٢٢١، ٢٢٨، ٢٥٤
 ٢٧٠ — ٢٧٢، ٣٢٥، ٣٣٠
 ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٤٣، ٣٤٨، ٣٥١
 ٣٥٢، ٣٥٨ — ٣٦٢، ٣٦٤
 ٣٧٠

حرف النون

نابليون: ٢٢٣
 ناجي طالب: ٢٤، ٨١، ١٢٩، ١٤٠
 ٢٠٥، ٢١٦، ٣٣٥، ٣٦٥
 ناجي يوسف: ١١١
 ناصر الحسائي: ٢١٩، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٦٩
 ٣٩٩، ٤٠٢
 ناصر عبود: ٢٠١
 ناظم جودي: ١٢٦
 ناظم الطبقيجلي: ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٩٦، ١٠٤
 ١٢١
 ناظم القدسي: ٢٨، ٤٩
 ناظم كزار: ١٦٥، ١٧٥، ١٩٢، ٣٠٠
 ٣٣٩، ٣٥٦، ٣٩٨ — ٤٠٠
 نافع أحمد: ٣٦٥
 نافع داود: ٢٥
 نافع الكبيسي: ٣٩٩
 نافع يونس: ٢٠١، ٢٠٠
 نتناهو (بنيامين): ٣٩٠
 نجاد الصافي: ٥٥، ٥٦، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٤
 ١٧٥، ٣٢٦، ٣٢٩
 نجيب الربيعي: ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣١
 ٤٨، ٣٢٢
 نرجس الصفار: ٢٠٠
 نزار الخزرجي: ٣٩١، ٣٩٩
 نزار النقشبندي: ٣٩٩
 نزيهة الدليمي: ٢٠١
 نشأة عسكر: ٣٩٩

وفيق السامرائي: ٣٩٨
وفيق عارف: ١٢٠
وليد ابراهيم الاعظمي: ٤٠٢
وليد الخشالي: ١٢٤
وليد الغزالي: ٥٥
وليد محمد صالح الجنائي: ٤٠٢
وليد محمود سيرت: ٤١، ٤٠٠
وهاب كريم: ٤٠٢

حرف الياء

ياسين الحافظ: ١٣٣
ياسين عبد الجبار السامرائي: ٣٠
ياسين الهاشمي: ٦٩، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٢٢٩
يحيى الجدة: ١١٦
يحيى طاهر: ١٩٥
يحيى نادر: ٣٠٣
يسرى سعيد ثابت: ٣٠، ٣٢
يعقوب الحمداني: ٥٥، ١٥٨
يوسف اسماعيل البستاني: ١٩٧
يوسف كشمولة: ٢٥
يونس بحري: ٢٢٨
يونس الطلثي: ٧٨، ٨٦، ٨٧، ٩٤، ٩٦ —
١٠٠، ١٠٦، ١١٨، ١٢٢، ١٢٧،
١٨٥، ١٨٨، ٢٩١، ٢٩٢
يونس العاني: ٧٦
يونس محمد صالح: ٦٢، ٧٦

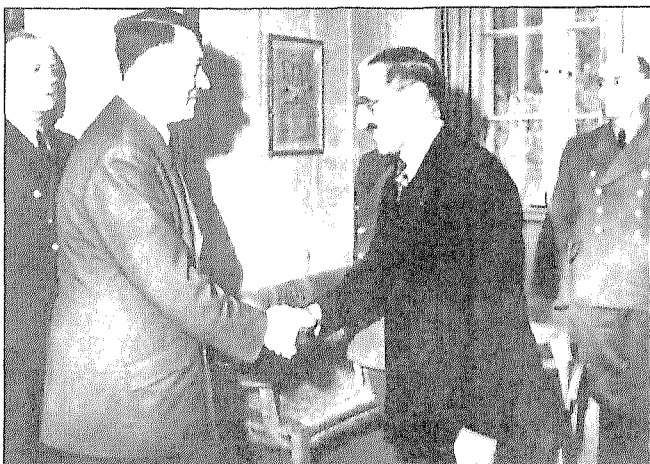
٤٧، ٥٦، ٦٢، ٧١، ١٠٢،
١٣١، ١٣٨، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٦
— ١٥٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٧،
١٧٩، ١٩٥، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١،
٢١٦، ٢٢٨، ٢٥٩، ٢٦٩، ٢٧١،
٢٨٢، ٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩٢، ٣٠١،
٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٥، ٣٢٤،
٣٢٦ — ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٤٢،
٣٤٨، ٣٥١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٧٠،
٤٠٢

هالي الهندي: ٤٠
هديب الحاج حمود: ١١١، ١٨٥، ٢٠٥
هشام الشاوي: ٢٣
هشام صفوت: ٢٦، ١٨٣
هشام عطا عجاج: ٢٧٤
هناء الشيباني: ١٣٤، ٢٩١
هلال بلاسم الياسين: ٣٦٩
هواري بومدين: ٢٢٥، ٢٢٦، ٣٥٦
هيشم أحمد حس البكر: ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٣

حرف الواو

وائل الهلالي: ٣٣٨
وائل عبد الله: ٢٨، ٦٢، ٦٨، ٦٩، ٧٦
وداي العطية: ١٠٥
وثاب السعدي: ١٣٤
وجدي ناجي: ٤٢، ٦١، ٨٣، ٣٣٩
وصفي طاهر: ٨٤، ٨٦، ٩٥، ١٢٠، ١٩٥

ملحق الصور



رشيد عالي الكيلاني مع هتلر



الملك المغدور فيصل الثاني

عبد الكريم قاسم،
مدير الأمن العام عبد المجيد جليل،
مدير الاستخبارات محسن الرفيعي،
يونس الطائي
ويظهر قاسم الجنابي خلف قاسم





من اليمين الأستاذ محمد حديد
والأستاذ هديب الحاج حمود



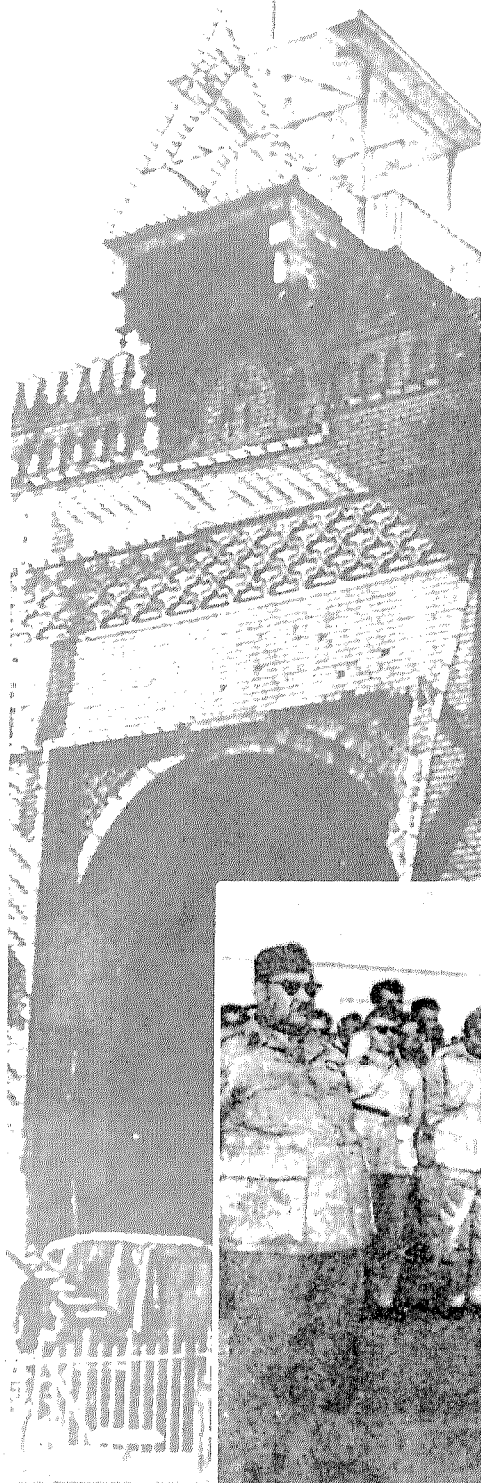
أديب الجادر يستقبل الزعيم في حفل نقابة المهندسين

كامل الجادرجي
وهديب الحاج حمود



المهداوي وزوجته في براغ مع رسميين تشيك وطلبة عراقيين

منطقة الصالحية، قرب الإذاعة،
بغداد يوم ٨ شباط ١٩٦٣





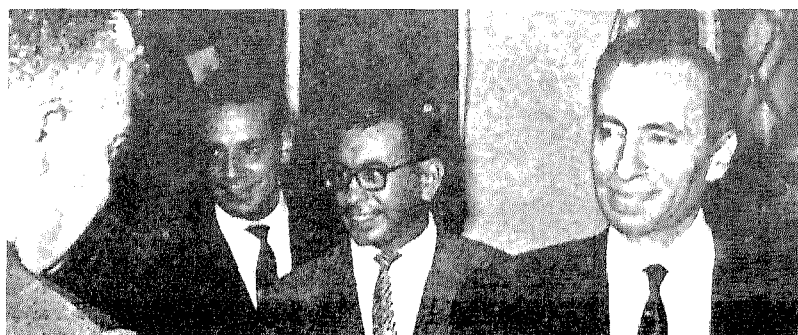
طالب شبيب يتوسط عبد الكريم نصرت وخالد مكّي الهاشمي
ويظهر طارق عزيز نائب رئيس الوزراء الحالي خلف الهاشمي إلى اليسار



المؤتمر الصحفي الذي عقده وزير الخارجية طالب شبيب
مباشرة بعد نجاح حركة ٨ شباط ١٩٦٣



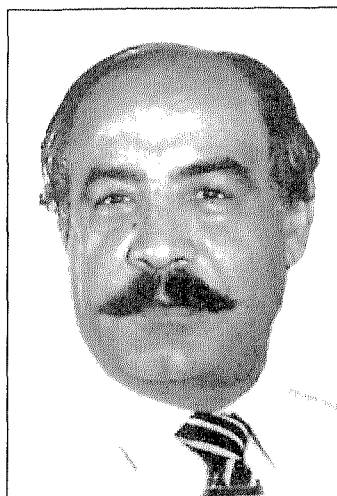
طالب شبيب يدلي بحديث
ويظهر في الصورة عمّاش وحردان وحازم جواد



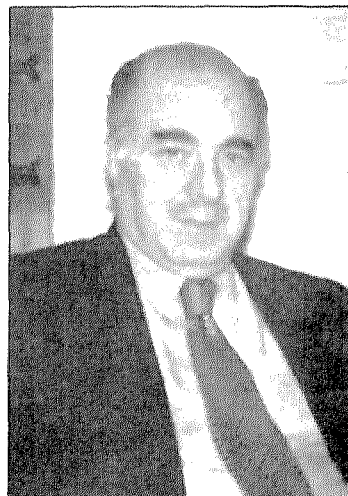
ميشيل عفلق،
حازم جواد و طالب شبيب



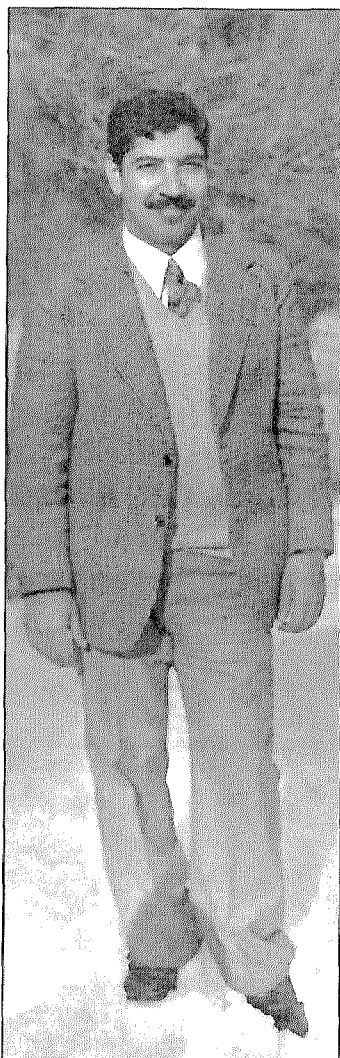
العميد عبد الهادي الراوي



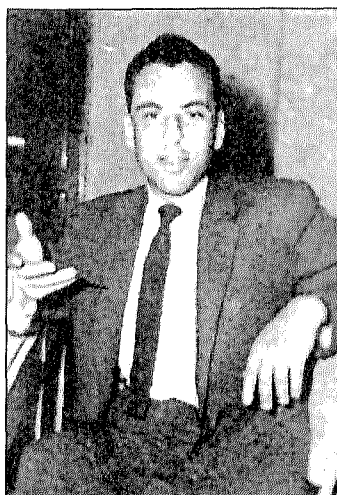
عبد الستار الدوري



هاني الفكيكي



أحمد العزاوي ٤٢٩



المهندس بهاء شبيب



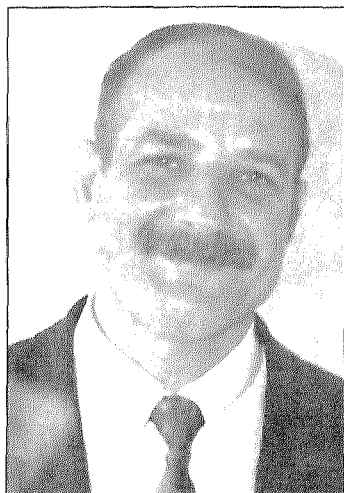
فائق السامرائي



المحامي محسن العزاوي



ناظم جواد



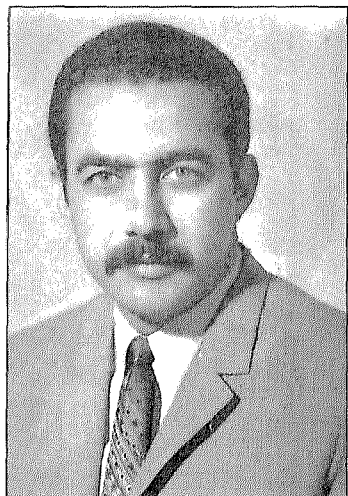
العقيد الركن حامد سالم الزيادي



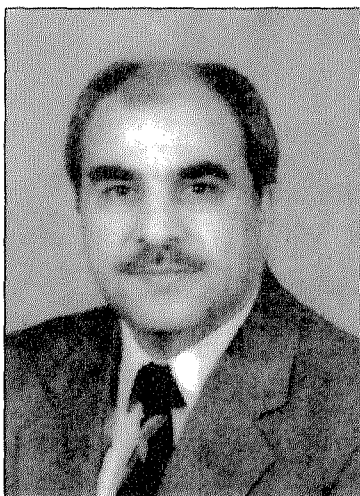
هديب الحاج حمود



شكر صالح زكي



هاشم الياسري



محمد رشاد الشيخ راضي



فؤاد عارف



أحمد الجبوي ٤٣٠



عبد الإله النصراوي



هناء العمري زوجة علي السعدي



الملازم طارق صادق



الملازم كامل حسين النعمة



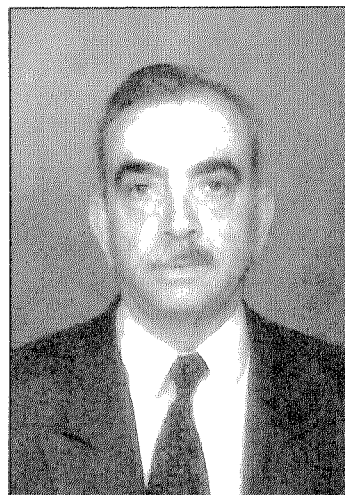
فؤاد الركابي



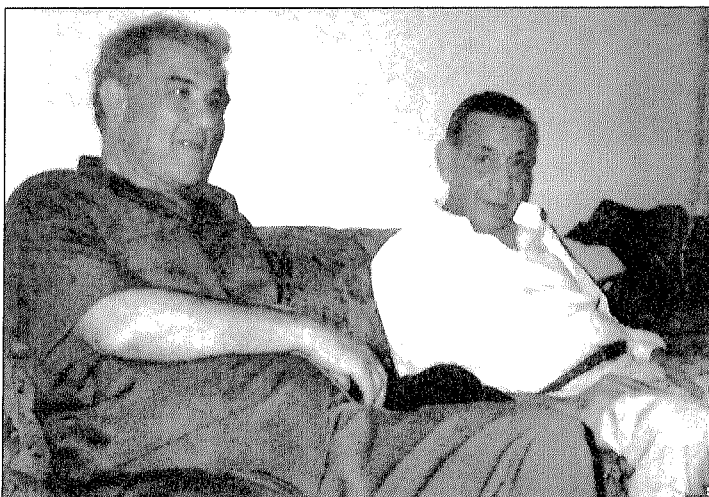
المقدم إبراهيم التكريتي



باقر إبراهيم الموسوي



مهدي العبيدي



طالب شبيب وعبد الرزاق الصافي عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي



٤٣١ عبد الرزاق شبيب

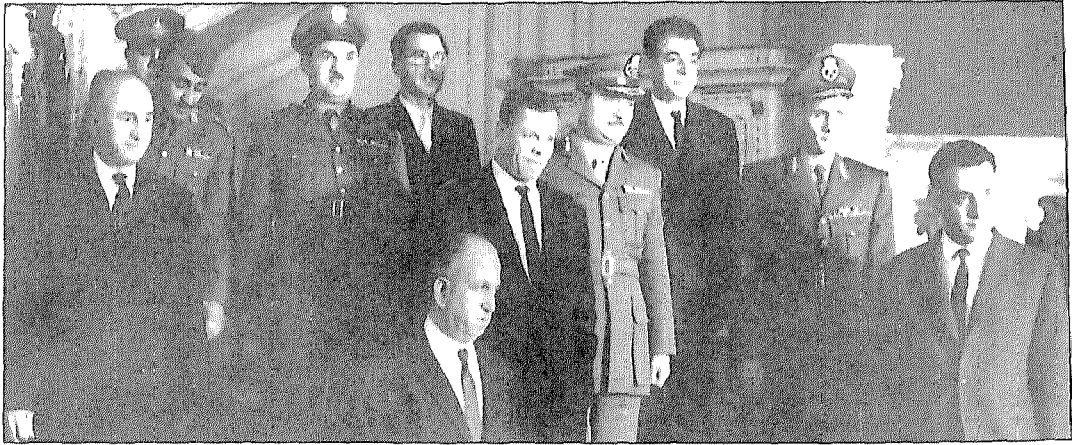
جمال عبد الناصر وعبد السلام عارف
وخلفهم فؤاد الركابي
ويظهر حازم جواد وطالب شبيب



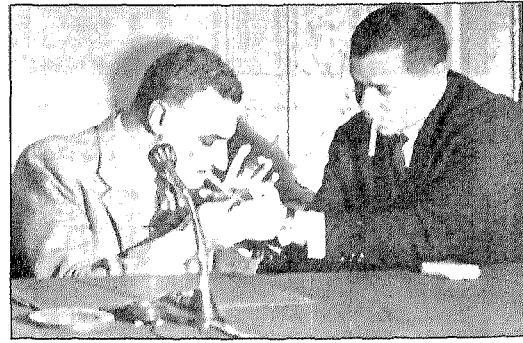
عبد الناصر، السعدي، شبيب، البزاز، نهاد القاسم وآخرون



المشير عبد الحكيم عامر، علي صالح السعدي، عبد الرحمن البزاز، نهاد القاسم، ويقف شبيب خلف السعدي



في مفاوضات الوحدة: شبيب، السعدي، عماش مع أعضاء الوفد السوري



علي صالح السعدي
يشعل سيكارة عبد الناصر



من اليمين: السعدي، البكر، بومدين، ويظهر خلفهم طاهر يحيى وصالح مهدي عماش وآخرون



ضباط وجنود معسكر سعد: أعدموا في ٨ شباط بتهمة التمرد
(أعدم منهم ٢٤ عسكرياً ومدنياً واحداً)



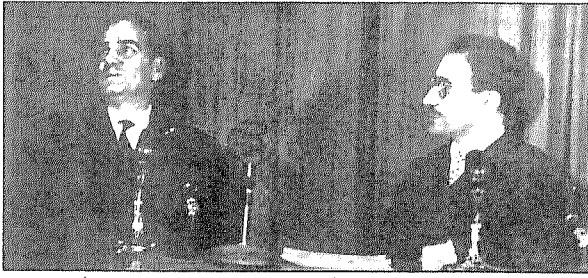
حسن السريع



سلام عادل وجمال الحيدري
ومحمد صالح العبلي



٤٣٤ جنود حسن السريع في المحكمة التي تشكلت هيئتها من شاكر مدحت السعود وحسن مصطفى النقيب



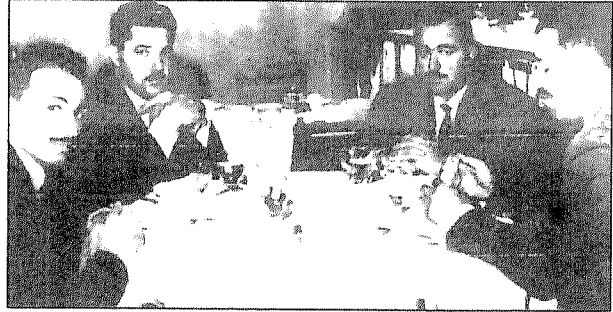
حسن عبود يعترف على التلفزيون مع قاسم نعمان السعدي



عبد القادر إسماعيل البستاني يحيط به شفيق الكمالي
و ضياء حسن في جلسة استجواب على التلفزيون



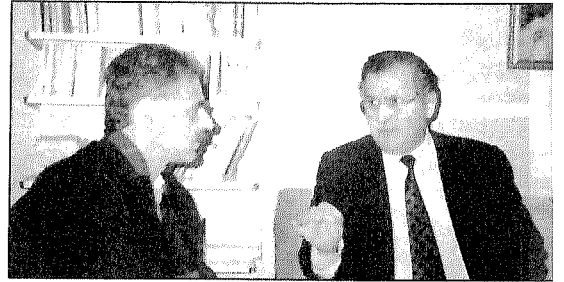
جمال عبد الناصر والملا مصطفى البارزاني



من اليمين: علي صالح السعدي، أبو طالب الهاشمي، محسن الشيخ راضي،
هاني الفكيكي بعد ترحيلهم إلى إسبانيا



اللواء حسن النقيب في شمال العراق



الأستاذ جلال الطالباني مع المؤلف



من اليمين : بهاء شبيب، رجاء غيدان،
عبد الستار الدوري،
عارف عبد الرزاق وطالب شبيب
في كردستان العراق

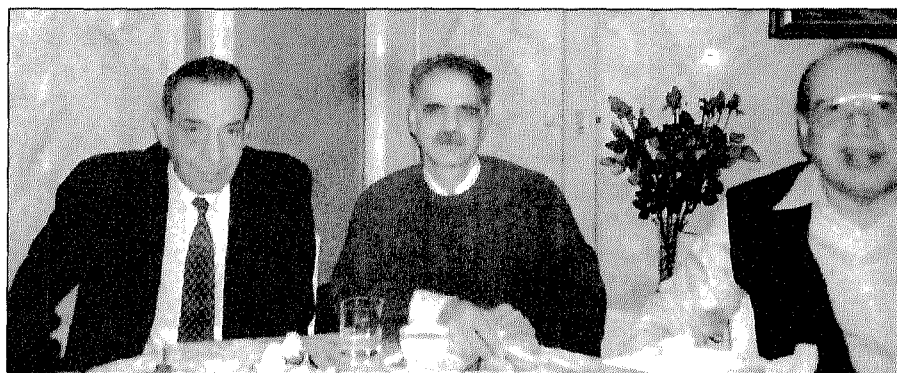


الأستاذ هاني الفكيكي
والدكتور علي كريم



محمد رشاد الشيخ راضي
والشهيد محمد عبد الطائي (أبو يوسف)

↓ حسن العلوي وطالب شبيب



صفاء الفلكي،
علي كريم سعيد
وطالب شبيب

من اليمين:
أحمد الموسوي،
حامد أيوب العاني
طالب شبيب
وعلي كريم سعيد



الدكتور محمود شمسه، محمد عبد الطائي،
والدكتور علي كريم سعيد

تحسين معله، محمد علي غني،
وعلي كريم سعيد

ثلاثة وزراء خارجية عراقيون:
شبيب، الشيخلي وعبد الباقي

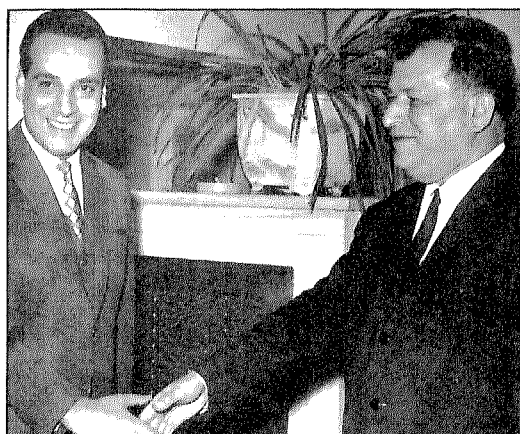




وزير خارجية الكويت صباح الأحمد
إلى اليسار ويظهر خلفه
وزير الخارجية الأسبق طالب شبيب



طالب شبيب يترأس الوفد العراقي في الأمم المتحدة



مع الرئيس التركي
يقدم أوراق اعتماده كسفير للعراق



طالب شبيب مع العاهل الأردني

طالب شبيب والأمين العام الأسبق
للأمم المتحدة كورت فالدهايم



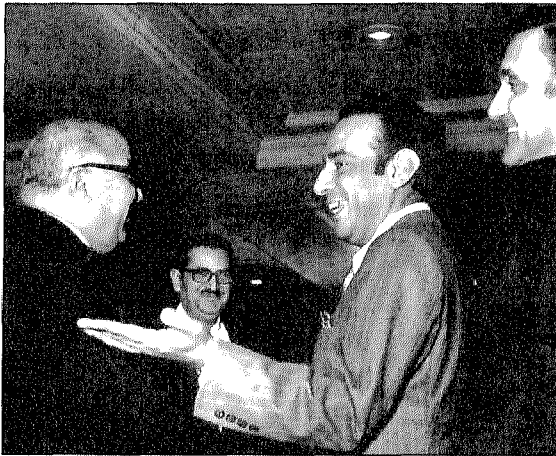
طالب شبيب مع محمود رياض



عبد الكريم الشيعلي وطالب شبيب



على منصة الأمم المتحدة
عندما كان رئيساً لمجلس الأمن الدولي



من اليمين: الباججي، طالب شبيب،
عبد الرحمن البراز، ومحمد حسن الزيات



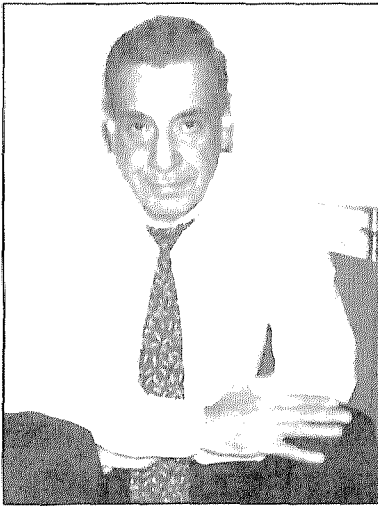
صدام حسين وطه ياسين رمضان
ورئيس الجمهورية الأسبق عبد الرحمن عارف



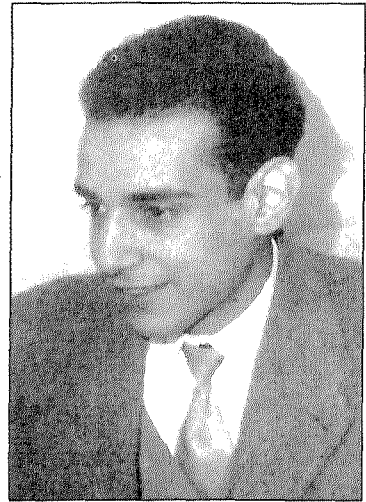
في الأمم المتحدة: طالب شبيب والباججي والشيعلي ونبييل نجم
ويظهر في الصورة الأستاذ عبد الحليم خدام



علاء الدين حسين الرجل الذي
نصبه صدام حسين زعيماً
على الكويت خلال فترة الغزو

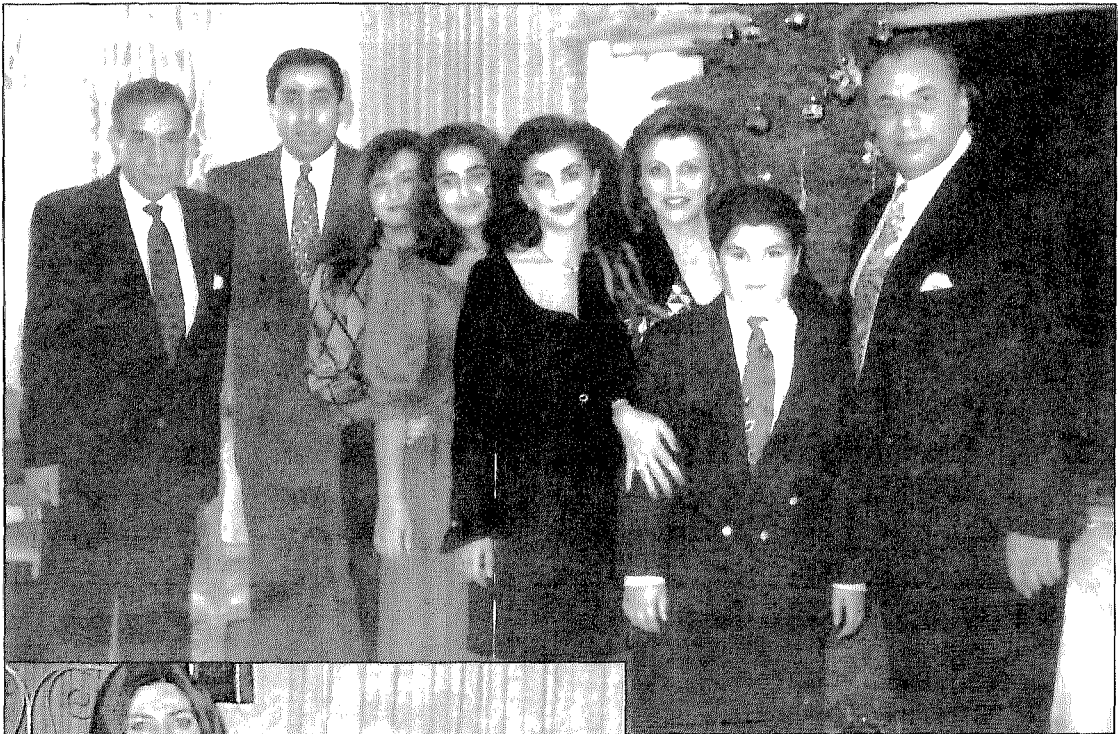


طالب شبيب خلال فترة الدراسة
في لندن في منتصف الخمسينيات

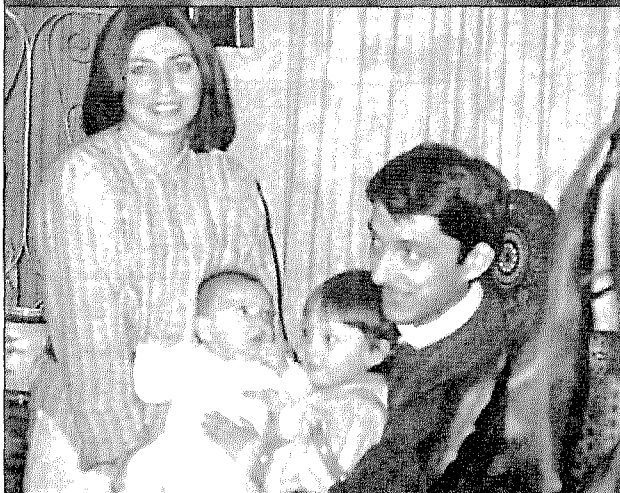


← طالب شبيب

في سنواته الأخيرة

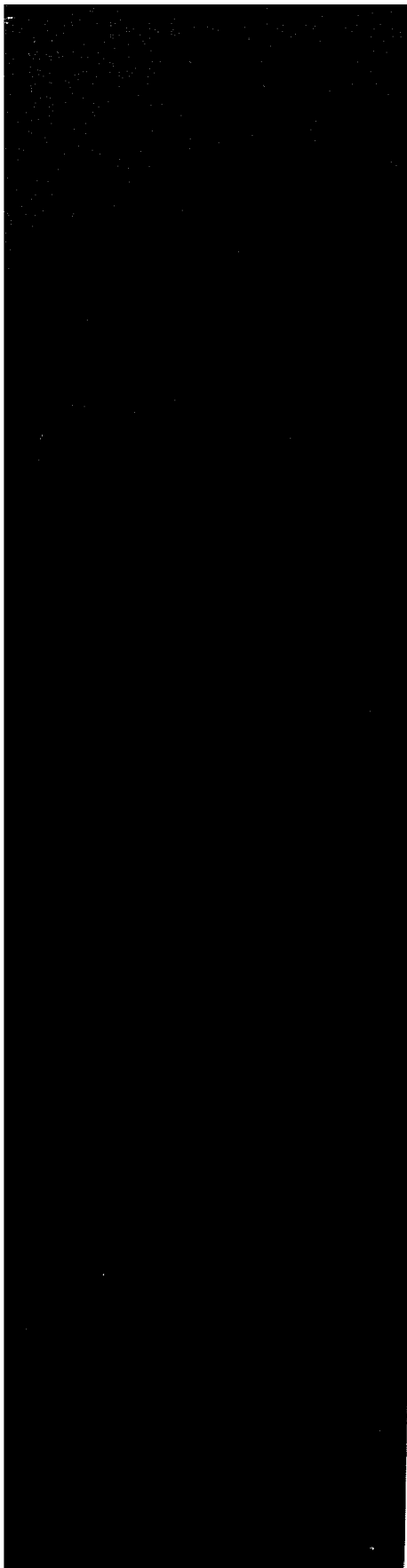


طالب شبيب مع عائلة
أخيه الأستاذ بهاء شبيب



BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

مازن طالب شبيب وعائلته



عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم

هذا الكتاب، نوع من كشف التجربة المرة، ودعوة حيادية لصدق الرواية التاريخية، بعد أن أوصل تزوير الوقائع العراق برمته إلى طريق مسدود، وبرهنت المقدمات المزيفة أن ما يخفيه الساكسون في صدورهم سرعان ما يندفع إلى الخارج عشوائياً عند أول فرصة للانفلات في دور دولاب النار وتتجدد الأهوال وتنشع السجون والمنافي وتتوسع المقابر، ويمكن الآن، ولو متأخراً، استعادة صورة ذلك العدد الهائل من الشباب الواعد يتسابق في صراع عبثي لدخول السجون بحثاً عن حرية مفقودة، ولكنهم جميعاً حملوا فكراً يختزل الحرية التي يطالبون بها إلى حرية الدولة التي زعمت عند استلامهم لسلطتها تمثيل الشعب بكامله غصباً عنه! حرية العقل الجمعي المقيد لحساسية العقل الفردي الحر المتنافس.

تعمدنا الإقلال من التحليل في المتن والهوامش، لنترك للقارئ أن يحلل ويركب بعيداً عن ميولنا وعواطفنا.

المؤلف